حضارة مصر القديمة

منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية

الجزء الثالث



تقديم

زاهي حواس

تأليف

د. رمضان عبده علي

منحة 2006

SIDA

السويد



نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٤٣

حضارة مصر القديمة

منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية

الجزء الثالث

تقديم
زاهي حواس

تأليف
د/ رمضان عبده علي

تصميم وتنفيذ: آمال صفوت الألفى
مطابع المجلس الأعلى للآثار



مقدمة

يسعدنى أن أقدم الجزء الثالث من كتاب حضارة مصر القديمة للأستاذ الدكتور رمضان عبده على ، وتأتى أهمية هذا الكتاب فى أنه يعتبر من المراجع العربية الهامة التى تتحدث باستفاضة عن الحضارة المصرية ، فهو يضيف لنا موضوعات هامة عن مصر القديمة تتعلق بالعمارة وأشكالها المختلفة والفنون التشكيلية من رسم ونقش ونحت وزخرفة معتمداً فى ذلك على أحدث المراجع ، بالإضافة إلى الفنون التعبيرية المتمثلة فى الموسيقى والغناء والرقص بأنواعه ، كما يتناول أساليب التربية ونظم ومراحل التعليم عند المصريين القدماء ومناهج ووسائل التعليم وتعليم الفتاة مما يشير أن المصرى القديم أهتم بالأنثى وبثقافتها منذ القدم . ويأتى هذا الجزء تكملة للجزأين الأول والثانى .

كما يناقش أيضا موضوع فى غاية الأهمية وهو مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها فى مجال العلاقات الخارجية ، ومراحل ازدهارها وتدهورها والأسباب التى أدت إلى ذلك ، وفى النهاية يتناول ما بقى من هذا التراث الحضارى من آثار مادية على أرض الكنانة مصر .

والدكتور رمضان عبده من العلماء البارزين فى استخلاص النتائج العلمية بمنتهى الدقة فهو نجح فى أجزائه الثلاث أن يعطينا صورة عامة عن مظاهر الحضارة فى مصر القديمة ، أو بتعبير آخر تقديم «لوحة فنية متكاملة العناصر» لهذه الحضارة فى مختلف مجالاتها وكان هدفه من ذلك كله أن يصحب القارىء فى جولة تاريخية

حضارية عبر هذه الصفحات للتحدث معه عما أنجزه أجداده وأسلافه ليستمد منها حاضره ومستقبله .

ويسر المجلس الأعلى للآثار أن ينشر هذا الكتاب ضمن سلسة كتب الثقافة الأثرية وهى رسالة هامة جدا للوعى الأثرى والتنمية الثقافية التى يتبناها المجلس الأعلى للآثار ويقوم بنشرها سواء عن طريق النشر العلمى أو برامج الوعى الأثرى .

والله الموفق

زاهى حواس

الجزء الثالث

الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها - أساليب التربية ونظم التعليم - مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها في مجالات العلاقات الخارجية - مظاهر الحضارة المصرية القديمة بين مراحل الارتقاء والازدهار ومراحل الغروب والانحسار.

٩

الباب العاشر

الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها

مفهوم الفنون :

الفـــنون هى ثقافة خاصة وتتبع وجهة نظر معينة فى مجالات الفنون التشكيلية فـــى الرسم والتلوين والنقش والنحت والتطعيم والزخرفة وفى مجالات العمارة بأنواعها وفـــيما أخـــرجه الإنسان المصرى القديم فى مجال بعض الحرف والمهن والصناعات الأخـــرى . فأصبح ما يخرجه من أعمال يعد تحفة فنية فى حد ذاته . أضف إلى هذا ما أبـــدع فـــيه فى مجالات الفنون التعبيرية من موسيقى وغناء ورقص بأنواعه وغيره من فنون تعبيرية أخرى .

ويمكـــن للإنسان أن يتوصل إلى معرفة ألوان هذه الفنون بفكره الخاص ويبدع فـــيها إذا كان لديه الموهبة فى إحدى هذه المجالات السابقة . ويمكن له أيضا أن يتلقاها ويـــتعلمها عـــن غيره ويتفوق فيها وتبرز شخصيته فيها ، ويستطيع أن يضيف إليها ما يلائـــم بيئـــته وظـــروفه المحلية وعقلية من يشاهدوا أى لون من ألوان هذه الفنون من معاصريه ، ويستطيع أن يضيف إليها كل ما هو جديد وما يهتدى إليه من ابتكارات من وقت لآخر .

ومدلـــول الفـــنون هـــو مدلول مرن ينطبق على كل ما اهتدى المصريون القدماء إليه وأبدعـــوا فيه . فنجد أنهم أبدعوا فى مجالات الرسم والتلوين والنقش والنحت والتطعيم والزخـــرفة والعمـــارة بأنواعها واستعانوا فى هذه المجالات التشكيلية بمعارفهم العلمية والـــنظرية مع الدقة فى التنفيذ لأنهم وضعوا لهذه الفنون التشكيلية قواعد طبقوها فى كل مـــا أخرجوه . كما أبدعوا فى مجالات الفنون التعبيرية ووضعوا لها قواعد وأنظمة مثل

فن الموسيقى وتطوروا بآلاتها كما أبدعوا فى فن الغناء والرقص . وكل هذه الفنون هى لون من ألوان التعبير الحضارى ولها جانبان :

- جانب مادى : وهو الإتقان والدقة فى التنفيذ .
- جانـب ثقافى : وهو محاولة الارتقاء بالأساليب والأذواق لكى تخرج هذه الفنون فـى صورة متناسقة جميلة ومحببة فيها جانب الإحساس والشعور المعبر . وهذا ما نجح فيه المصريون القدماء إلى حد كبير .

ويمكنـنا أن نضيف إلى هذين الجانبين مواهب أخرى كانت تتوافر فى الفنان المصرى القديم وهى :

دقـة الملاحظـة ، صـدق التعبير ، الإحساس المرهف ، العطاء بلا حدود ، والـتفانى فـى العمـل . وقـد لازمت هذه المشاعر المصرى القديم منذ فجر عصوره التاريخـية ولـم تكن وليدة عصر معين أو ظروف معينة وتوقفت بعد ذلك ، واستمرت تلازمه طوال عصوره التاريخية .

ونجـد كل هذه المشاعر والمواهب فى كل ما تركه الفنان المصرى القديم من مخلفـات أثـرية ، وفـى كـل ما سطره ونقشه ونحته ، وفى كل ما أقامه من عناصر معمارية . ولذلك فإن دراسة هذه العناصر الأثرية تجعلنا نتعرف على كل ما توصل إليه فـى مجـالات الفـنون المختلفة ، فقد عرف المصرى القديم الفنون التشكيلية : كالرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة والتطعيم والعمارة بأنواعها وأشكالها وذلك منذ أقدم العصـور . ووضـع لهذه الفنون الأساليب والقواعد التى كانت تدرس فى مدارس الفن المخـتلفة ، أى كانـت له ثقافـة فى هذا المجال . كما كانت له ثقافة أيضا فيما يسمى بمجـالات الفـنون التعبيرية كالموسيقى فيما وضعه من قواعد وفيما اخترع من آلات ، وفـيما نظم من غناء ، فكان أول من نظم الأغانى وسجلها على أوراق البردى أو نقشها علـى جدران المقابر ، وفيما أخرج من ألوان الرقص وكانت له مدارسه الخاصة . كما برع فى فن الرسم الساخر وهو لون من ألوان التعبير الثقافى عنده . فقد عبر المصرى القديـم عن بعض الموضوعات تعبيرا فكاهيا اتخذ شكلا ساخرا أو يمكن أن نطلق عليه رسوم تحاكى فن الكاريكاتير .

كما عرف المصرى القديم محاكاة فن المسرح الذى بقى داخل جدران المعابد المصرية ولم يخرج خارجها ، وكان قاصرا على فكرة الصراع بين الخير والشر ، وهو يخـتلف عـن فن المسرح اليونانى الذى خرج عن هذا النطاق وكان يعرض مسرحيات تعالج مشاكل المجتمع .

وعندما سطر الإنسان المصرى القديم بالرسم على الصخور القريبة من شطب الـرجال جنوبى إدفو مناظر تعبر عن حيوانات صيد ، عاصرها فى عصوره الحجرية القديمـة ، فإنما كان يعبر عما فى فكره بالفن وهى صفة من أهم صفات الإنسان الفنان فى العصر الحالى .

ولهـذا يمكن القول بأن الإنسان المصرى القديم ولد ليكون فنانا ، ولذلك أبدع فـى مجالات الفنون المختلفة . وأعطى الروح والمشاعر لفنونه حتى أصبحت المظاهر الفنـية مـن أهـم مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، فأمة بلا فن هى أمة بلا روح نابضـة . كمـا أصـبحت هذه المظاهر الفنية من أصدق الصور التى تعبر عن موهبة الإنسـان المصـرى القديـم . وظهـرت مواهب وكفاءة وقدرات الفنان المصرى فى فـن الرسـم والنقش والنحت والتلوين والتطعيم والزخرفة . كما أبدع بوجه خاص فى مجال العمارة[١] التى تعد بحق مقياسا لحضارة الأمة ونهضتها .

لـم يـترك الفنان المصرى شيئا أبدا للصدفة ، فقد فكر فى كل شئ وفى كافة الاحـتمالات . فـنلاحظ مـثلا أنه جهز سطح معبد دندرة بالمرازيب رغم ندرة هطول الأمطار فى صعيد مصر .[٢]

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٥ .

(٢) فرانسـوا دومـا : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتى) المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ١٩٩٨ ، ص ٨ .

كما وضع الفنان المصرى القيود والقواعد لكى يلتزم بها ، وكانت هذه القواعد بمــثابة السياج الذى حافظ على أصالة الفن المصرى القديم ، وكان يرى أن الحرية قد تقــتل الفــن وتخــرجه عن إطاره الملائم وأكد فى الوقت نفسه على ذاتية الفن وحرية الإبداع .[١]

ولا يظهر الإبداع الفنى فقد فى مجالات الفنون التى ذكرناها ، ولكن يمكننا أن نلمس الإبداع الفنى فى بعض الصناعات والحرف وفيما أخرجته يد العامل المصرى أو الصـــانع أو صـــاحب المهـــنة من تحف صغيرة ، فصانع الأوانى ، والنساج ، وصانع أدوات الزيـــنة ، والنجار ، والصائغ وغيرهم ، حاولوا أن يضيفوا لمسات فنية على ما أخرجوه من أعمال ونتاج . حتى الكاتب المصرى القديم ، كان فى داخله روح فنان فيما سطره من خطوط وفيما أخرجه من كتابات وحروف جميلة متناسقة وفيما لونه من ألوان وفــيما رسمه من رسومات ، وفيما زخرفه من زخارف فى أعلى فصول كتاب الموتى وفى متن بعض الكتب الدينية التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثة .

وكان للمقومات والظروف البيئية فى مصر ، وما توصل المصرى القديم إليه مــن مظاهــر حضـــارية أثرها فيما أنشأ وأبدع من فنون وأنعكس عليه ما نعم به من استقرار فى نظم الحكم والإدارة ، وما ساد حياته الاجتماعية من نظم ، وما تمتع به من رخـــاء فى حياته الاقتصادية وما توفر له من إمكانيات مادية فى أغلب العصور ، وما كان يؤمن ويشعر به فى حياته الدينية فكان الفن تخليدا وتجسيدا لعقيدته، وما توصل إليه فـــى حياته الثقافية ، وما تعود عليه من أساليب فى التربية وما اكتسبه عن طريق العلم مـــن معـــارف ، وما توصل إليه من معارف علمية ، وما تأثر به وأثر فيه فى مجالاته الفنية فى علاقاته الخارجية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨ – ٩ .

الفنون التشكيلية والتعبيرية

للفـــنون التشكيلية إبداعاتها كما للفنون التعبيرية إبداعاتها أيضا والتقى الاثنان معا لصنع حضارة متكاملة لا يحكمها العقل وحده ولا المشاعر وحدها بل يشتركان معا فـــى بـــنائها لكى يعبران عن قدرات الإنسان المصرى القديم وعما حققه من إنجازات ومنجزات .

أولا : الفنون التشكيلية :

سـوف نـتحدث أولا عن هذا اللون من الفنون نظرا لكثرة المادة الأثرية التى تعكس مجالاته ، وتشمل عدة فنون نتحدث عنها فى فصلين :

الفصل الأول

الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة والتطعيم

ومراحل التطور عبر العصور المختلفة

(١ – ٣) الرسم والنقش والنحت :

مـــرت أســـاليب الرســـم والنقش والنحت بمراحل كثيرة من مراحل التطور ، ومـــراحل التدهور ، ومراحل النضوج والازدهار .[١] وارتبط فن الرسم بالنقش ارتباطا وثيقا منذ أقدم العصور .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٦٦ .

نشـــأة أساليب الرسم والنقش والنحت فى فجر العصور التاريخية والمراحل التى مرت بها :

نشأت أساليب الرسم منذ فجر التاريخ المصرى القديم فقد رسم بعض الصيادين المصريين رسوم صيد تمثل بعض الحيوانات الأليفة والحيوانات البحرية التى عاشروها فـــى بيئـــتهم ، ورسموها بخطوط سطحية بقطع حجرية لينة بيضاء وملونة على أوجه صـــخور الهضـــاب الشـــرقية والغربـــية المحيطة بالنيل ، وجوانب الوديان التى كانوا يرتادونها خلال سعيهم وراء حيوانات الصيد وموارد المياه . ومن هذه الرسومات أيضا مـــنظر فريد رسمه صياد مصرى قديم ، على سفح تل يجاور مجرى النيل على مقربة مـــن شطب الرجال ، جنوبى ادفو بقليل . صور الصياد سربا من الحيوانات ، وصور هذه الحيوانات جميعها تتابع فى سلام وهدوء .

وصور تحتها نعامة مذعورة مسرعة ، يهرع إليها صياد جرئ بقوسه ويرميها بسهمه ، وصور رجلا آخر فى عمق الرسم يرفع يديه نحو السماء كأنما يهلل فرحا بما حـــدث .[١] ويرجع هذا الرسم إلى أواخر الألف الخامسة أو أوائل الألف الرابعة ق. م. فهـــل رسم الفنان هذا الرسم باعتباره وسيلة من وسائل اللهو الفطرى ووسيلة لاستغلال أوقـــات الـــراحة والفـــراغ ؟ أو ربط بين هذا الرسم وبين تخيلات السحر والرغبة فى السيطرة عليها أهو مجرد الإعجاب بمرأى الحيوانات أثار فيه نشوة الفن فعبرت يده عن هذه النشوة بالتخطيط والرسم ؟[٢]

واســـتمرت رسوم الصخور المصرية تتطور مع تطور حياة أهلها فى أساليبها وموضوعاتها . ثم جمعت إلى صور الحيوانات صور القوارب والمراكب ، التى أصبح أهلهـــا يشـــاهدونها من حين إلى حين كلما دفعتهم ظروف معيشتهم إلى ارتياد سواحل

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ شكل (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

البحر الأحمر وشواطئ النيل . وعاصر الصيادين الرسامين المصريين صيادون فنانون يشبهونهم فى شمال أفريقيا أى فى تونس ، ورسموا حيواناتهم فى أوضاع السكون والحركة . وعاصرهم أيضا فنانون آخرون فى غرب أوروبا وأواسطها ورسموا رسومهم فى بطون الكهوف نتيجة لشدة البرودة التى ألجأتهم إلى التماس الدفء داخل الكهوف .

بعد ذلك اهتدى الإنسان المصرى القديم إلى معرفة الرعى والصيد والزراعة والحرف والمهن البسيطة على ضفاف النيل مثل صناعة الفخار بأنواعه وأشكاله ، وتوفرت للرسم تبعا لذلك سطوح أوانى الفخار وتتابعت رسوم الفخار المصرية فى خمسة تطورات متمايزة فى المحلات الحضارية من العصر الحجرى الحديث فى دير تاسا ، والبدارى ونقادة بحضارتيها ، والكوم الأحمر .

المرحلة الأولى فى دير تاسا : زخرف أهلها سطوح بعض أوانيهم وفخارهم بتموجات خفيفة عمودية ومائلة ، ورسموا أيضا مثلثات ومستطيلات وخطوطا متموجة على سطوحها قبل حرقها ، وذلك فى أوائل الألف الخامسة ق. م. وفعلوا ذلك بطريقتين :

إما بحفرها بخطوط وحروز مستقيمة ، وملأوا هذه الخطوط بعجينة بيضاء تشبه عجينة الجبس الأبيض . وصوروا بعضها الآخر بنقط محفورة متجاورة ملأوها بالعجائن البيضاء نفسها . ويمكن أن نعتبرها بداية لمعرفة فن النحت .

المرحلة الثانية فى البدارى: استفاد أهل البدارى من طريقة أهل دير تاسا فى زخرفة أوانيهم فأضافوا إليها أربعة تجديدات: رسموا قيعان الأوانى المتسعة من الداخل، بعد أن كانت مقصورة على تحلية السطوح الخارجية وأضافوا إلى جانب الخطوط المستقيمة والمائلة والمتموجة خطوطا أخرى على هيئة أوراق الشجر وغصون النباتات. وقللوا غور رسومهم المحفورة على سطوح فخارهم الرقيق . وأحاطوا بعض رسومهم بإطارات تناسب هيئة الأوانى الخارجية.[1] وذلك فى أواسط الألف الخامسة ق. م .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٧٠ – ٢٧١ شكل (٢-٣) ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٤ .

<u>المـرحلة الثالـثة فى حضارة نقادة الأولى</u> : استخدموا الخطوط المستقيمة والمائلـة وألفوا منها أشكالا جديدة على هيئة النجوم، وخطوط الزجزاج الحادة ، وقلدوا بهـا زخـارف السلال المتداخلة ، واستعاضوا عن حفرها على سطوح الفخار برسمها بخطـوط بيضاء فوض أرضية حمراء مصقولة . وظلت رسومهم رسوما سطحية يمكن أن يـزيلها المـاء ويمكن أن تتلفها الحرارة ، وذلك يدل على أنهم اعتبروها من أوانى الزينة .

وصـور أهـل نقـادة الأولى برسومهم نباتات الماء وسعف النخيل والصبار وأفـراس الـنهر وتماسـيح وأسـماك ، وبـرعوا فى تصوير قواربهم ذات المجاديف المتعددة .

وصـوروا بعـض الهيـئات الحيوانـية مـثل كلاب الصيد والوعول والفيلة والـزراف . وصوروا الإنسان بنقطة بيضاء لا تتضمن شيئا من التفاصيل غير الشعر القصـير للـرجال والشعر المرسل للنساء . وعبروا عن جذعه العلوى بما يشبه هيئة المثلـث المقلـوب ، وعـن سـاقيه بخطين متجاورين ، ورسموا راقصين وراقصات يرقصون فرادى وجماعات ، وذلك فى أواخر الألف الخامسة ق. م.

<u>المرحلة الرابعة فى حضارة نقادة الأولى أيضا</u> : فقد استحدث أهلها فن النقش علـى الحجـر ، فنقشوا هيئات الفيلة والتماسيح على سطوح لوحات صغيرة رقيقة من الحجـر الجـيرى والإردواز ، اسـتخدمتها نساؤهم فى صحن الكحل وصحن مساحيق الزينة الحمراء .

<u>أما فى حضارة نقادة الثانية</u> : <u>فقد ميز أهلها رسومهم عن رسوم اسلافهم فى ألوانها ومواضيعها وأساليبها</u> . فصوروا خطوطها بالمغرة الحمراء الضاربة إلى السمرة فوق أرضية برتقالية . وقللوا رسم الزخارف شبه الهندسية القديمة . وزادوا من تصوير الإنسـان والنـبات والقوارب . فصوروا النساء فى مجالات الرقص الدينى والدنيوى ، واهـتموا برسـم الحـيوانات الألـيفة الصـغيرة . وبقى من رسومهم الممتعة الناجحة <u>منظران</u> :

مـــنظر يصـــور راعيا يسوق قطيعا من الماعز الجبلى ، ومنظر آخر لكبشين يواجـــه كل منهما الآخر فى تحفز ، وفى حيوية ممتعة . وذلك فى أوائل الألف الرابعة ق. م .

المـــرحلة الخامسة فى رسومات الكوم الأحمر (شمال إدفو) : وعدل أهل الصـــعيد فـــيها عن وسائل الرسم ومسطحاته وموضوعاته فى خلال النصف الثانى من الألـــف الـــرابعة ق. م. وتجرأوا فى هذه الفترة على الرسم بألوان متعددة على جدران متســـعة شيدوها من اللبن وكسوها بالملاط وبدأوا يصورون عليها مناظر قتال ومناظر صـــيد ومناظر خيالية بألوان بيضاء وخضراء وحمراء وسوداء ، مثل الجدارين اللذين عـــثر علـــيهما فى قرية الكوم الأحمر . ونقش الفنانون فى هذه الفترة سطوح الأمشاط العريضة من العاج وسطوح مقابض عاجية صغيرة ، كما نقشوا سطوح لوحات عريضة بيضـــاوية رقـــيقة من الإردواز ، وكتل حجرية كمثرية الشكل على هيئة رؤوس مقامع القتال .(١)

وعـــبر الفـــنانون عن كفائتهم فى النقش على سطوح هذه الأمشاط والمقابض ورؤوس المقـــامع تعبـــيرا يناسبها ، فهناك منظر يمثل فيل يطئ ثعبانا ضخما ، ونقش يمثل تفاصيل معركة جرت على البر والماء ، ومنظر صيد أعلى سطحى مقبض سكين جبل العركى .

وأبدع الفنان فى نقش لوحات الإردواز ، ومنها منظر يمثل وعلان يتواجهان . وأبدع الفنان أيضا فى نقش رؤوس المقامع الكبيرة ، مثل المنظر الذى يمثل حفل ملكى لافتـــتاح مشروع رى أو زراعى ، ورمز إلى المعارك التى خاضها الملك العقرب فى سبيل تحقيق وحدة البلاد السياسية .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٢٧١ شكل (٤) ، ص ٢٧٤ – ٢٧٥ شكل ٥ – ٦ أ ب ، ٧ – ٩ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ شكل ١٠ ، ص ٢٧٩ .
بالنسبة للأوانى والأدوات وصناعتها وزخرفتها فى حضارات العصر الحجرى الحديـــث بوجه عام ، راجع : Vandier, Manuel d'archèologie I, p. 62-

صاحبت أساليب الرسم والنقش منذ أوائل الألف الخامسة ق. م. تطور فى فن النحت . فقد استغل الفنانون المصريون الأوائل ليونة صلصال أرضهم فى عمل أشكالا منحوتة ، فقد صنع أهل دير تاسا من الصلصال الأسود الذى يصنعون منه فخارهم ، كؤوسا تشبه هيئة زهور التوليب ، وعملوا أشكالا نسائية صغيرة متواضعة . وصنعوا إلى جانب تماثيل النساء المتواضعة أشكالا أخرى بسيطة لحيوانات وطيور وقوارب . وصنع أهل غرب الدلتا ، فى بداية فجر تاريخهم أوانى فخارية بأقدام بشرية ، كما صنعوا تماثيل نسائية بدائية . كما صنع أهل البدارى أوانى فخارية على هيئة أفراس النهر . وصنعوا تماثيل بشرية صغيرة من الفخار . ومارس صناع التماثيل تجاربهم على العظم والعاج وبعض أنواع الأحجار ، فاستغلوا صلابة الظران وشكلوا منه هيئات الطيور والأسماك والحيوانات ثم استغلوا ليونة الحجر الجيرى ونحتوا منه تماثيل أسود وكلاب صغيرة . ونحت أهل البدارى ملاعق من العاج لا تخلو من فن وذوق جميل .[1] وعثر فى حفائر حلوان فى بداية الأسرة الأولى على تماثيل صغيرة من العاج ، وعثر على عمود من العاج ينتهى بزهرات اللوتس ، كما عثر على تمثال صغير لأسد .[2] كما عثر على ستة تماثيل صغيرة من العاج ارتفاع كل منها ٣,٥ سم فى أبى رواش أثناء حفائر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وهى تماثيل مؤرخة من الأسرة الأولى وتمتاز بدقة نحتها .[3]

تطور أساليب الرسم والنقش والنحت عبر العصور المختلفة :

فى عصر بداية الأسرات :

بدأ الفنانون بتوسيع مجالات النقش على حساب الرسم . وأضافوا إلى نقوش الصلايات ورؤوس المقامع ، نقوشا نقشوها على الأوانى الحجرية ، وعلى أختام

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ – ٢٨٠ شكل ١١ أ – ب ، ١٢ ، ١٥ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، صور ٤٤ ، ٤٨ – ٤٩ .

(٣) Saleh-Sourouzian, Official Catalogue: The Egyptian Museum Cairo, no. 12.

صـــغيرة حجـــرية وخشبية ، وعلى بطاقات ولوحات صغيرة من العاج والأبنوس[١] ، وعلى قواعد التماثيل . وبدأوا أيضا ينحتون تماثيلهم لتدل على أفراد بعينهم واستطاعوا أن ينحتوا بعضها بأحجام كبيرة .[٢]

فى عصر الدولة القديمة :

بدأ الفنانون ينطلقون بفنونهم منذ أوائل عصر الدولة القديمة ، فى القرن الثامن والعشرين ق. م. وخطوا خطوات سريعة بفضل وجود الحكومة المركزية التى استغلت مـــوارد البلاد وجمعت فى خدمتها الكفايات الفنية الممتازة ولذلك نفذت مشاريعها الفنية والمعماريـــة الكبـــيرة ، ورصـــدت لها الموارد الضخمة ، وحشدت لها ألوف الصناع والعمال .[٣]

وفى مجال الرسم والنقش حاول الفنان أن يصور الإنسان فى صورة متكاملة ، فصور لصاحب الصورة (أى الرسم أو النقش) رأسه وجذعه الأسفل من جانب واحد ، وفـــى الوقـــت نفسه صور عينه كاملة من الأمام ، كما صور صدره باتساعه الكامل ، وصـــور كتفـــيه الاثنتين ، رغبة منه فى إظهار حركة يديه وإظهار ما تمسكان به ، ثم صور وسطه من ثلاثة أرباعه . فإذا أكمل صورة الفرد على هذا الوضع ، حاول بقدر الإمكان ألا تعترضها صورة أخرى أو يتقاطع معها رسم أو نقش آخر . وذلك بحيث إذا تقدمت ساق صاحبها إلى الأمام ، حرصوا على أن يصوروا هذه الساق بعيدة عن سطح الصـــورة ، حـــتى لا تخفـــى شيئا من ساق صاحبها الثانية . وإذا امتدت ذراع صاحب الصورة بعصا طويلة أو قصيرة إلى الأمام ، حاولوا أن يصوروا هذه الذراع البعيدة عن مسطح الجسم ، حتى لا تعترضه بعصاها أو تقطعه فيبدو مشوها أو ناقصا .

---

(١) بالنسبة لنقوش اللوحات فى عصر بداية الأسرات ، راجع : Vandier, Manuel d'archèologie I, p. 724-765

(٢) وبالنسبة لتماثيل الملوك فى عصر بداية الأسرات حتى بداية الأسرة الثالثة ، راجع : Vandier, op. cit., I, p. 957-959 ؛ وبالنسبة لتماثيل الأفراد ، راجع أيضا: Id., op. cit., p. 959-966

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ .

أمـــا بالنسبة للرسم أو النقش الجماعى فقد تحاشى الفنان أن يصورهم مختلفين فـــى حيز واحد ، بل تعمد أن يظهر كل فرد منهم بذاته المستقلة ، ورتب كل فرد منهم وراء الآخر .(١)

تلـــك هـــى المبادئ الرئيسية التى التزم الفنان المصرى بها فى رسم أو نقش أشخاصـــه وجماعاته منذ بداية الدولة القديمة . أما عن مناظر الشخصيات الأخرى مثل المرأة أو الطفل أو الأتباع أو مناظر الحياة الدنيا أو الدينية ، فنقول : إنه بالنسبة للمرأة فـــى فـــن الرســـم : فقـــد تشـــابهت صورة النساء مع صور الرجال فى بعض هيئاتها وأوضاعها وتعمد بعض الفنانين المصريين ، فى بعض صورهم النسائية ، أن يصوروا ثوب المرأة محبوكا حبكا كاملا على جسدها ، أو يصوروا ثوبها فضفاضا رقيقا شفافا .

أمـــا مـــناظر الطفولة فقد صوروا أغلب الأطفال الصغار عراة تماما ، يضع معظمهـــم سبابة يده على فمه وتتدلى خصلة شعر سميكة على صدغه . وأرادوا التعبير بالعرى عن بساطة الطفولة بوجه عام وما فيها من براءة وسذاجة .

أما مناظر الأتباع ، فنجد أن الفنان قد تخفف من ضرورة تصوير الأفراد من أكـــثر من زاوية واحدة ، واكتفى بتصوير بعض الأتباع تصويرا جانبيا كاملا ، دون أن يلتزم فى صورهم بغير تصوير العين وحدها من الأمام . وأخفى فى الصور الفردية ما يســـتتر مـــنها وراء ساتر أو حاجز . وصور أغلب الأتباع مختلطين بعضهم ببعض ، وأخفى عن أجسامهم ما ينبغى إخفاؤه كلما تقاطع بعضها مع بعض آخر .

الرسم والنقش على جدران بعض المعابد والمقابر والنصب أو اللوحات :

قـــاموا برســـم ونقـــش بعـــض المناظر على جدران بعض المعابد التى تمثل موضوعات شتى : مظاهر الخضوع والعبادة وشواهد التقوى والصلاح ، ومناظر تقديم القرابين ، وأشكال المعبودات فى أفضل صورة لها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ – ٢٨٧ شكل ١٦ .

وفـي المقابر صوروا كل ما استحبوه لاخراهم ، سواء فى ذلك صنوف العمل ومظاهـر الرياسـة والجـاه ، أو صنوف اللهو ووسائل الاستمتاع ، وربط المصريون مـناظر الحـياة الدنيا التى صوروها فى مقابرهم باعتبارات معينة ، فاعتبروها وسيلة للـتأريخ وتخلـيدا لذكـر المتوفي ، وسبيلا إلي التعبير عن ثراء المتوفي ومكانته بين معاصـريه وأمام خلفائه ، واعتبروها نموذجا لما يود المتوفي أن تصبح عليه حياته في عالمه الآخر . واعتبروها وسيلة للتفاخر بين بعضهم وبعض ، ووسيلة للتعبير عن حب الزخـرف وسـلامة الذوق ، والرغبة في التعبير عن الفن الجميل إلى أبد الآبدين .(١) وبأنهـا سـوف تذكر الروح بحياتها الدنيوية كلما ترددت وهبطت على قبرها من عالم السماء ، واعتقدوا في إمكان تحويلها إلي حقائق تناسب العالم غير المنظور الذى ينتقلون إلـيه بعد الوفاة ، عن طريق ما يكتبونه فيها ويقرأونه عليها من تعاويذ سحرية وشعائر دينية .

وحاول الرسام أو النقاش المصرى القديم إظهار مظاهر رضا الملوك ورضى المعـبودات فى المناظر المرسومة أو المنقوشة على اللوحات(٢) ، مع إضافة نص من عدة سطور تبين ألقاب المتوفى ووظائفه والغرض من إقامة هذه اللوحة .

نسب الرسم والنقش فى الدولة القديمة :

كـان الفـنانون يـبدأون بتقسيم مسطحات رسومهم إلى مربعات ومستطيلات وخطوط يستعينون بها فى ضبط تصوير هيئات الإنسان والحيوان والطير ، ثم يزيلونها

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ شكل ١٨ ، ص ٢٨٩ – ٢٩١ ، ٢٩٣ – ٢٩٤ شكل ٢٥ – ٢٨ ، ص ٢٩٨ .
بالنسـبة لمناظر الحياة اليومية فى مقابر الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديـثة وتوزيعهـا وأوضـاع الأشخاص فيها ، راجع بوجه عام : Vandier, Manuel d'archèologie 1V, p. 50-527

(٢) هـذه اللوحـات غـير لوحات الأبواب الوهمية التى كان يصور عليها المتوفى مع زوجـته أمـام مـائدة قربان وفوق راسه نص يعدد القرابين التى يتمنى الحصول علـيها ، راجـع : Vandier, Manuel d'archèologie II, p. 389-445 .
ويعتبر فانديه الأبواب الوهمية واللوحات بأنواعها وأشكالها وموائد القرابين ونقوشها جزءا من العمارة الدينية والجنائزية ، راجع : Vandier, op. cit. 11, p. 389-534

بعد الانتهاء من إتمام صورهم . أو يطبعون على مسطح الرسم شبكة كبيرة جاهزة ذات عيون مربعة متساوية بعد أن يلونونها بلون أسود أو أحمر خفيف . وراعى الفنانون أن ترتفع قامة الإنسان من أخمص القدم حتى اتصال الشعر بالجبهة ١٨ مربعا .

وقد أدى تمسك الفنان المصرى القديم بنسب الرسم فى مربعات صغيرة إلى أن هــذه النســب حفظت للرسم خصائصه ، ولكنها من ناحية أخرى قيدت حرية التصرف والتجديد والابتكار عند كبار الفنانين .

تطور أساليب الرسم والنقش فى عصر الدولة القديمة :

ســارت الملامــح العامــة للرسم والنقش والنحت جنبا إلى جنب مع تطورات العمارة فى عصر الدولة القديمة . وحدث تطور فى أساليبهم خلال هذا العصر . وهكذا نجد أن أصحاب الذوق الفنى فى أوائل عصر الأسرة الثالثة استحبوا طابع الرقة والأناقة وفضــلوا النقوش قليلة البروز ، واستحبوا مظهر النحافة والأجسام الممشوقة ، وتعمدوا إظهار هيئة العظام القوية والعضلات المشدودة، والشعور المستعارة، وتفاصيل الحلى ، وفى نهاية الأسرة الثالثة زادت المساحات الحجرية التى اعتاد أصحاب المقابر أن ينقشوا نقوشهم عليها ، فمالت النقوش معها إلى خاصية الامتلاء وخاصية البروز .(١)

واســتمرت القواعد الفنية التى نشأت فى عصر الأسرتين الثالثة والرابعة فى تقدمهــا مع كثير من العناية . وأبرع ما بقى من نقوش الأسرة الثالثة هى نقوش الكاتب حســى رع . وقــد نفذها فنانوها على لوحات خشبية كست مشكاوات واجهة مقبرته . وأظهروا فيها صوره بنفس الرقة وقلة البروز وخاصية النحافة التى أظهروا بها صور الملــك جســر فى نقوشه . وأظهروا البراعة فى تمثيل شعره المستعار بتفاصيل دقيقة تختلف من لوحة إلى أخرى .

---

(١) ألفــه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ شكل ٧٢ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٠٤ .

وفى أوائل الأسرة الرابعة زاد امتلاء النقوش وبروزها زيادة كبيرة ، واستحب الناس حين ذاك طابع الضخامة ، واتسعت موضوعات ومناظر المقابر باتساع ثراء كبار الشخصيات ، وظهر نقش غائر جديد ، قسم أصحابه أرضيته إلى مربعات غائرة صغيرة ، كانوا يملئونها بعجائن ذات ألوان متنوعة .(١)

ولكن الرسم ظل يفضل الرقة والأناقة التى ورثها عن عصر الأسرة الثالثة وبلغ درجة كبيرة من الإبداع والحيوية فى التلوين ودقة التفاصيل وتوزيع الظلال ، مثال ذلك رسم أوز ميدوم ، الذى يمثل ثلاثة أزواج من الأوز ، رسمها الفنان وأبدع فى رسم ريشها ، وتوزيع ظلالها ، وتصوير الحشائش ، وحبات الحصى تحت أقدامها .(٢)

زاد ثراء النقش فى أواسط عصر الأسرة الرابعة ، وتعددت أنواعه ، فظهر منه نقش قليل البروز متطور عن نقوش عصر الأسرة الثالثة ، ونقش ممتلئ مرتفع البروز متطور عن نقوش أوائل عصر الأسرة الرابعة ، ونقش غائر حل محل ذى العجائن الملونة الذى ظهر فى أوائل عصر الأسرة نفسها فى مقبرة نفر ماعت وزوجته اتيت بميدوم .(٣)

وامتاز عصر الأسرة الخامسة بأن أهله استحبوا النقوش الهادئة متوسطة البروز ، وغلبت الحيوية والنضارة على رسوم ونقوش هذه الأسرة ، وتنوعت موضوعات مناظرها .

ثم عاد الفنان المصرى القديم خلال عصر الأسرة السادسة واستحب طابع الامتلاء فى نقوشه ، وتعمد حشو مناظر المقابر بتفاصيل ما كان يتمتع الأثرياء به من الشعور المستعارة والقلائد ، وزاد من تصوير تفاصيل الحدائق والمراعى التى كانوا يرتادونها ، وتفاصيل النباتات فيها . وتفاصيل الأسماك وأفراس البحر والتماسيح فى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) Saleh- Sourouzian, Official Catalogue: The Egyption Museum Cairo, no. 26.

(٣) Id., op. cit., no. 25 a-b.

الأنهار . وانتشر طابع التحرر فى مناظر الحياة اليومية التى صورها الفنان على جدران المقابر . ويتضح بعذ هذا التحرر فى أربع مناظر لراقصين وراقصات فى مناظر مقابر الجيزة وسقارة من الأسرتين الخامسة والسادسة .

تطور فن النحت فى عصر الدولة القديمة :

جـرت تقاليد فن النحت فى عصور مصر التاريخية على ما جرت عليه تقاليد فـن الرسـم والنقش سواء بسواء . وتعمد المثالون أو النحاتون ، إلى تمييز المعبودات والملـوك والملكـات(١) والأمراء وكبار الشخصيات باستقامة الهيئة ووحدة الاتجاه .(٢) فنحـتوا جـذوع تماثـيلهم العلـيا بعناية كبيرة حين الوقوف وحين الجلوس ، ووجهوا أبصارهم إلى الأمام فى اتجاه مستقيم(٣) ، ونحتوا رؤوسها على استقامة كاملة ، لا تلتفت يمينا ولا يسارا ، مع ميلة خفيفة تميلها الرأس أحيانا إلى أسفل حين يتخذ صاحبها جلسة الكاتب .(٤)

هيئات التماثيل وأوضاعها :

صـورت فنون النحت المصرية فى الدولة القديمة أصحابها فى أوضاع عدة ،

---

(١) بالنسـبة للتماثـيل الملكـية قـبل عصر خفرع حتى نهاية عصر الأسرة السادسة راجع : Vandier, Manuel d'archèologie III, p. 14-53

(٢) وبالنسـبة لتماثيل الأفراد وأوضاعها حتى بداية الأسرة الخامسة والتى تمثل رجالا ونسـاء أو تجمـع بين الزوج وزوجته وأولاده ، وصناعتها من الحجر الجيرى أو الخشب ، ونوعية الرداء والزينة وتصفيف الشعر ، كل ذلك ناقشه Vandier, op. cit. III, p. 42-143

(٣) Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 48-51.

(٤) Id., op. cit., no. 43.

فمثلتهم بين رجل واقف شامخ يمد ساقه كأنه على أهبة السعى فى عالم الخلود ، وكهل جالس يتطلع أمامه فى وقار وهدوء ، وملك رابض فى هيئة الأسد ، ومتعلم متربع يصغى أو يقرأ أو يكتب[١] ، أو رجل واقف يفكر ويمد يديه على فخذيه فى خشوع[٢] ، وآخر جاث على ركبتيه يحمل أوانى التطهير والعطور والزيوت .

ومثل النحات المصرى القديم كبار الشخصيات عراة الصدر والساقين فى أغلب تماثيلهم واكتفوا بإظهارهم يرتدون نقبة قصيرة . وتشابهت تماثيل النساء مع تماثيل الرجال فى أغلب أغراضها وطريقة نحتها ، ولكنها اختلفت عنها فى بعض تفاصيلها وبعض أوضاعها . فكانت الزوجة تمثل عادة واقفة أو جالسة بجانب زوجها يقل طولها عن طوله شيئا قليلا . وكثيرا ما كان المثال يحرص على أن يعبر عن عاطفتها نحو زوجها بحركات ذراعيها .[٣] وتشابهت تماثيل النساء مع رسومهن الملونة من حيث إظهار الأنثى مضمومة الساقين مبسوطة الكفين فى أغلب أحوالها .

أما الأبناء فظلت لهم أوضاع تقليدية يظهرون بها فى مجموعات التماثيل مع أبويهم ، فالولد يمثل واقفا مع أبويه . والبنت تمثل مع أبويها واقفة[٤] ، أو جاثية .

وتتركز حيوية التمثال المصرى فى ملامحه التى تتسم بطابع التسامى والنبل حينا وتطبعه بمظاهر الرياسة والجدية حينا آخر . أو تطبعه بروح الوداعة ، وروح التفاؤل ، وتزويده أحيانا ببسمة خفيفة ، أو تطبعه بطابع الرشاقة ما أمكن ، أو تطبعه بطابع القوة ، فتظهر عضلات ذراعيه قوية بارزة ويضفى على صدره سعة وقوة .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ، ٣٠٠ شكل ١٣٣أ – ب ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ شكل ٣٥ – ٣٦ ، ص ٣٠٦ .

(٢) تمثال حتب – دى – إف Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 22

(٣) تمثال مرس عنخ وزوجته من الأسرة الخامسة من مقبرته بالجيزة Id., op. cit., no. 50

(٤) مرس عنخ وابنتيه من نهاية الأسرة الخامسة من مقبرته بالجيزة : Saleh-Sourouzian, Official Catalogue : Egyptian Museum Cairo, no. 51.

وزاد النحات المصرى القديم من حيوية تماثيلهم بطرق أخرى صناعية ، فطعم عـيونها بمواد جعلتها كالعيون الطبيعية ، ولون أجسام الرجال بألوان تختلف عن أجساد النساء . ولون شعور التماثيل وحواجبها وشواربها . وطعم العيون بالأحجار الكريمة ، وأبدع فى تقليد شعورها المستعارة ، ومثل قلائدها وأساورها .(١)

وبقـى من تماثيل كبار الشخصيات فى عصر الأسرة الثالثة نحو ثمانية تماثيل يرجع أغلبها إلى ما بعد عهد الملك جسر ويمتاز الجالس منها بجلوس صاحبه على مقعد حجـرى بسـيط بمسند منخفض . وأفضلها ثلاثة : اثنان لرجل يدعى سبا ، والثالث لزوجـته . وقد صنعها النحات من الحجر الجيرى وأظهر نسبها سليمة وأظهر تفاصيل شعورها وثيابها ولون بعض أجزائها بألوان جميلة .(٢) ومن أجمل تماثيل الأسرة الرابعة الملونة تمثال رع حتب وزوجته من مقبرتهما بميدوم بالمتحف المصرى ، ومن التماثيل الملكـية فـى عصر الأسرة الرابعة تمثال صغير للملك خوفو من العاج عثر عليه فى أبـيدوس عـام ١٩٠٣ وهـو محفـوظ بالمـتحف المصرى . ولا يتعدى طوله بضعة سـنتيمترات وهـو ما يمثله جالسا على كرسى متوجا بالتاج الأحمر .(٣) وتمثال خفرع الـذى نحـت من الديوريت فى معبد الوادى للملك ، وتمثال منكاورع من الشست بين حـتحور وإحـدى معبودات الأقاليم ، وتمثال شيخ البلد (كا – عبر) وهو من الخشب الخـالص ، ذا العينيـن المطعمتين بالأحجار الكريمة.(٤) وتمثال الكاتب الذى يجلس فى وضـع القرفصاء من الأسرة الخامسة .(٥) وتمثال القزم سنب وزوجته وطفليه من بداية

---

(١) ألفــه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ شكل ٣٨ – ٣٩ ، ص ٣٠٨ شكل ٤٠ – ٤٢ ، ص ٣٠٩ – ٣١١ شكل ٤٣ ، ص ٣١٢ شكل ٤٥ – ٤٦ ، ص ٣١٤ شكل ٤٧ – ٥١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) يبلغ طوله ٧,٥ سم ، راجع : Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 28 a-b

(٤) عن طراز التماثيل الخشبية ، راجع : Vandier, op. cit., 111, p. 140-142

(٥) Saleh-Sourouzian., op. cit., no. 27, 31, 34, 40, 43.

الأســرة الخامســة ، وعثر عليه فى مقبرته فى الجيزة وهو من الحجر الجيرى الملون ارتفاعــه ٣٤ سم . ويمثل هذا التمثال القزم سنب الذى كان موظفا مصريا كبيرا وكان رئيســا لكــل أقزام القصر الملكى وكان مسئولا عن ملابس الملك وكان ملحقا ببعض الوظــائف الكهنوتــية ، فكان كاهنا لروح الملك خوفو وجدف رع وكان يملك آلافا من رؤوس الماشــية وأســطول شخصى من المراكب وكان على جانب كبير من الثراء . وتزوج من سيدة كانت تعمل فى البلاط الملكى ، سنت ايت اس وكانت هذه السيدة على جانب من الثراء والجمال وتزوجت من القزم وأنجبت منه ولدا وبنتا عنخ مع جدف رع واوت إيب إن خوفو .[1] وعندما أراد النحات أن يصورهما معا فى جلسة عائلية اختار أن يمــثلهما جالســين وفــى مستوى واحد حتى لا يظهر الفرق واضحا بين طول قامة الزوجة وقصر الزوج .[2]

ولا شــك فــى أن إخراج التمثال بهذا الشكل يعبر عن اتجاه الفنان المصرى القديــم فى احترام الشخصية الإنسانية فى حد ذاتها وعدم السخرية بأية حال من العيوب الخلقية لأخيه الإنسان . والتمثال الرائع للملك بيبى الأول مع ابنه بالحجم الطبيعى وهو من النحاس الخالص والمفرغ من الداخل .

اعــتاد فــن النحــت على تمثيل الملوك فى سن الرجولة دائما ، وفى سمات المعــبودات ، تكسوهم القداسة ، ولكن فى الأسرة السادسة بدأ الفنان يتخفف من بعض مظاهر القواعد الملزمة ، وأخرج أربعة تماثيل للملك بيبى الأول ، مثله أحدها عاريا فى ســن الرضاعة ، ومثله آخر جالسا على حجر أمه فى سن الطفولة ، ومثله ثالث جاثيا على ركبتيه فى سن الشباب ، ومثله رابع كهلا يدفع عصاه بيسراه ويجاوره ولى عهده مر ان رع عاريا فى سن الطفولة .

---

(١) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٢٩ (٦٠١٠) .

(٢) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 39.

تماثيل الأتباع :

صـنع الـنحات المصرى القديم أغلب تماثيل الأتباع والخدم والجوارى من مـواد لينة كالحجر الجيرى والخشب والأبنوس والعاج . وكان شأن هذه التماثيل فى تحررها شأن رسوم ونقوش الأتباع والخدم المرسومة والمنقوشة على جدران المعابد والمقابر وسطوح النصب .(١)

وترتـب علـى تحـرر المثالين فى نحت تماثيل الأتباع والخدم أن تعددت أوضاعها أكثر مما تعددت أوضاع تماثيل الخاصة . فظهر منها نماذج طريفة منها ما يمثل عاملا ينحنى ليعصر الجعة ، وآخر يميل بجسده ليصحن الحبوب ، وآخر يصنع الفخـار أمام عجلة الفخار ، وآخر برزت عظامه من قسوة الفقر ، وخبازا يقبع أمام فرنه ويتقى لفحة النار عن وجهه بكفه ، ومصارعا يصارع زميله فى عنف ، وغلاما يعزف على الجنك .(٢)

وأصبحت تماثيل الخدم فى بعض العصور عنصرا رئيسيا من متاع الترف والزيـنة ، وصنعها النحات من المعدن والمرمر والأبنوس وبقى من نماذجها الممتعة تمـثال يمـثل رجلا عجوزا يحمل آنية فوق ظهره ، وتمثال آخر يمثل جارية تحمل جـرة علـى جانبها الأيسر . ولا ننس الحديث عن نحت الرؤوس البديلة التى كانت توضع فى بعض مقابر الدولة القديمة.(٣) وحاول النحات إظهار نسبها سليمة وأضفى عليها الملامح الطبيعية .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

(٢) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 52-53.

(٣) عن هذه الرءوس التى عثر على عدد كبير منها فى مصاطب الأسرة الرابعة ، وخاصـة مـن عصـر الملك خوفو ومدى اهتمام النحات بشكل الوجه والأنف والعينين والفم ، ويقال أنه كان يخصص لها الطقوس الجنائزية ، راجع :
Vandier, op. cit. 111, p. 46-47.

فى العصر الوسيط الأول :

فقـدت مـنف زعامتها الفنية القديمة ، وتدهورت مدارسها الفنية أكثر من قرنين من الزمان . وأصاب التدهور فنون الرسم والنقش والنحت فى الأقاليم ، على الـرغم ممـا تمتع به حكام الأقاليم من سلطان واسع ، إلا أن إمكانياتهم المادية ظلت محـدودة ، وظل فنانوهم تنقصهم المهارة وروح الإبداع فترات طويلة نظرا لظروف السياسة الداخلية فى البلاد وضعف الملكية .[١] واصطبغت فنونهم بالصبغة الإقليمية . ونحـتوا أغلـب تماثـيلهم من الخشب لسهولة نحته ورخصه ، وصنعوا منه تماثيل الأثـرياء ، الـتى كانـت تتصف بخشونة الصناعة وتميل إلى الاستطالة والنحافة ، وعوضت خشونة صناعتها بإخلاص التعبير عن ملامح أصحابها .[٢]

فى عصر الدولة الوسطى :

أضـاف الفـنان المصرى القديم فى هذه الفترة عناصر كثيرة من الحيوية والـتجديد على أساليب النقش والنحت .[٣] وصور الفنانون فى مقابر أمراء الأقاليم ، مـناظر حربـية كثـيرة متحررة فى أوضاعها ومواضيعها ، وصوروا من أوضاع الرياضـة وأسـاليبها ما يفوق أشباهها القديمة ، وزادوا تحررهم فى تصوير بيئات الصـيد والقنص ، وصوروا حيواناتها تهرول فوق مرتفعات الصحراء ومنخفضاتها فى حرية وحيوية ممتعة .

---

(١) ألفـه نخـبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٣٦ شكل ٧٤ – ٨٠ ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

(٣) بالنسـبة للتماثيل الملكية والرؤوس الملكية فى عصر الدولة الوسطى ، راجع : Vandier, Manuel d'archèologie III, p. 162-172, 180-214

أمـــا بالنســـبة للنحـــت فقـــد تأثـــرت مذاهب النحت فى هذا العصر بثلاث مدارس [١] :

- **مدرسة منف** : واتجهت فى إظهار الواقعية فى نحت تماثيل ملوكها . فلم تكتف بـــأن تنحت وجوههم وأبدانهم كما هى فى واقع أمرها ، وإنما تعمدت أن تضفى على هذه الوجوه والأبدان هيبة مطلقة وشبابا خالدا ، وتقاطيع سمحة متناسقة .

- **مدرســة طيــبة** : واســتحبت الأسلوب الواقعى . واهتمت بدراسة الوجوه ، وعــبرت عن ملامح أصحابها كما هى فى واقع أمرها ، فعبرت بالملامح الجادة القويـــة فـــى وجوه تماثيل الملك سنوسرت الثالث ، وعبرت بالملامح الرصينة الطيبة فى تماثيل الملك أمنمحات الثالث .[٢] ومثلوا أيضا سنوسرت الثالث رجل الحـــرب العنيد بملامحه الجادة ، ولكن فى لحظات لانت فيها شدته ، ووقف فيها علـــى هيئة المتعبد أمام المعبود الذى يخشاه ، فأرسل يديه متراخيتين على ساقيه فى تقى وخشوع .

- **ثـــم مدرســـة الفيوم** : التى امتازت بالمثالية . وظهر ذلك فى الصور المنحوتة لسنوســـرت الأول ولأمـــنمحات الـــثانى وكذلك تمثالى أبى الهول ذوى الرأسين الآدمييـــن ، مما يدل على مدى تقدم النحت ودقة تعبير الفنان المصرى والتى لم يسبق أن شوهدت قبل ذلك العصر .[٣] ونحت المثالون ، تماثيل أخرى للملوك ، بقـــى منها ما يمثل الملك جالسا يضع تمثال معبوده على ساقيه ، وما يمثله جاثيا على ركبتيه يقدم آنيتين على يديه قربانا لمعبوده .[٤]

---

(١) تحـــدث فانديـــه عـــن هذه المدارس الفنية والتى كانت موجودة فى الدلتا ومنف والفيوم وأبيدوس وطيبة ، راجع : Vandier, Manuel d'archèologie III, p. 173-177, 261-279.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٠-٣٤١ شكل ٨٤-٨٥ ، ص ٣٤٣ .

(٣) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 82.

(٤) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣ ، ص ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ .

تأثـــرت تماثيل الأفراد فى الدولة الوسطى بروح عصرها ، فقد توفر لحكام الأقالـــيم فـــى أواخر عصر الأسرة الحادية عشرة وخلال الأسرة الثانية عشرة ثراء واسع هيأ لفنون أقاليمهم نصيبا من الازدهار ، فخرجت تماثيلهم تدل على سحن ريفية صادقة ولكن لا تخلو من خشونة نسبية .(١)

وهناك نموذجان يدلان على تقدم النحت فى الدولة الوسطى . وهما نموذجان لوصـــيفتين تحمـــل كـــل منهن سلة ، وهما من الخشب المغطى بالمصيص الملون ، ويوجد أحدهما فى متحف اللوفر ، وكان قد عثر عليه فى أسيوط .(٢)

فى العصر الوسيط الثانى :

تعرضـــت مصـــر خـــلال هذه الفترة لغزو الهكسوس ، وانعكس ذلك على الإنـــتاج الفنى بأنواعه ، فعاش أغلب أهل الفن على فتات روائع الفن المصرى القديم نحو قرن أو أكثر من قرن بقليل . ولم يعد الفنانون يبدعون فى هذه الفترة .

فى عصر الدولة الحديثة :

التطورات الكبرى فى فن الرسم والنقش والنحت فى عصر الدولة الحديثة :

ســـايرت فـــنون الدولة الحديثة حياة أهلها وما طرأ عليهم نتيجة اتصالاتهم بجيرانهم فى الشرق . ومرت أساليب الرسم والنقش والنحت بخمس مراحل :

(أ) مـــرحلة أولـــى : بدأت من أواخر الأسرة السابعة عشرة وامتدت حتى أواسط عصر الملك تحوتمس الثالث :

---

(١) عـــن تماثيل الأفراد فى عصر الدولة الوسطى حدثنا فانديه بالتفصيل عن زينتها وأوضـــاعها وتصـــفيف الشـــعر علـــيها ، راجـــع : Vandier, Manuel d'archèologie III, p. 225-244, 248-253.

(٢) Id., op. cit., p. 235-237.

سلك فن الرسم والنقش فى هذه المرحلة سبيل الاتزان فيما أخرجه الفنان من صور ومناظر وأضاف إليها نوعا من التفصيل وحلاوة التعبير . وبقى من إنتاجه نقش للملكة أحمس أم حاتشبسوت ، صورها بابتسامة حلوة مستبشرة . ونقش آخر لسنموت كبير مهندسى الملكة حاتشبسوت ، عبر عن امتلاء صدغيه وطيات ذقنه وتفاصيل شعره فى خطوط بسيطة . وصور الفنان أيضا فى مقابر كبار الأفراد خصائص الرسل والمبعوثين الأجانب حين كانوا يفدون على مصر بجزيتهم وهداياهم . وصوروا فى معبد حاتشبسوت ما يوجد فى بيئة بلاد بونت بقراها وحيواناتها وأشجارها وخصائص أهلها الجسمانية فى تفصيل دقيق .[(١)]

وفى هذه المرحلة ، استحب أهلها فى فن النحت [(٢)] ، اظهار روح الفتوة ومظاهر الرجولة . وقللت من تمثيل صفوف الزينة على تماثيل كبار الشخصيات . ثم جمع الفنان فى تماثيل الملوك بين المثالية وبين الجمال . وبلغت مدارس النحت غايتها فى تماثيل الملكة حاتشبسوت ، إلى مثلها أهل الفن فى عصرها بأنوثة حلوة ناضجة . ولم يستثنوا من هذه الأنوثة المليحة وجوه التماثيل التى مثلوا ملكتهم فيها رابضة على هيئة الأسد . [(٣)]

---

(١) قمنا بإعداد دراسة تفصيلية عن بونت وتا- نثر وأثر منتجاتهما فى الحياة اليومية فى مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر البطلمى- الرومانى (دراسة وثائقية) فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة المنيا ، العدد الثانى ، شهر يوليو ١٩٩٩ ، ص ١-١٠٣ .

(٢) حدثنا فاندييه عن تماثيل الملوك والملكات وأنواع ملابسها وزينتها وتصفيف شعرها فى فترتين : الأولى : من بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر أمنحتب الثالث والثانية : من النصف الثانى للأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، راجع : Vandier, Manuel d'archèologie 111, p. 295-316, 317-427, 434-537.

كما حدثنا عن تماثيل بعض المعبودات : ثالوث طيبة وحتحور وبتاح وست وبعض تماثيل الحيوانات المقدسة فى عصر الدولة الحديثة ، راجع :
Id., op. cit., p. 429-437.

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ – ٣٤٥ شكل ٧٨ ، ٨٨ – ٩٣ ، ص ٣٤٧ .

وبلغت غاية أسمى فى تماثيل تحوتمس الثالث الذى جمع فيها النحاتون بين الفتوة ورقة الطابع ونبل المشاعر . وبقى من هذه التماثيل ما يصور تحوتمس الثالث واقفا ، وجاثيا خاشعا ، ورابضا على هيئة الأسد . وصور له فنان وزيره رخمى رع تماثيل أخرى ضاع أغلبها ، مثلته يجلس مع زوجته ، ويقدم قرابينه إلى معبوده ، واقفا تارة وزاحفا على ركبتيه تارة أخرى .

ووجد الفنانون سبيلهم أيضا فى تماثيل الخشب ، وصنعوا توابيت خشبية كبيرة على هيئات بشرية لأميرات الأسرة وملكاتها ، ومثلوا فى بعض وجوهها ملامح صاحباتها فى رقة وجمال . ومثال ذلك تابوت مريت آمون .

(ب) مرحلة ثانية : بدأت منذ أواخر عصر تحوتمس الثالث واستمرت حتى نهاية عصر امنحتب الثالث :

وجدت مدارس الرسم فى هذه المرحلة سبيلها للتعبير عن معتقدات أصاحبها في عالم الآخرة . ورسم لنا الفنان طرق العالم السفلى والمداخل والعقبات التى توجد فيه ، وأربابه وأرواحه الطيبة والشريرة ، كل ذلك رسم على جدران حجرات الدفن فى مقابر الملوك بطريقة تخطيطية مبسطة ، ثم حورت هذه الخطوط بعد ذلك إلى هيئة الصور الكاملة . وملئت جدران المقابر بمناظر تمثل المآدب والمحافل ، والرقص والشراب والطرب وتقديم الزهور والنباتات . وصورت مجالات الطبيعية الطلقة وصيد البر وصيد النهر وصورت مناظر الاتباع والخدم والراقصات من ثلاثة أرباع أجسامهم من الأمام ، ومن الخلف ، وصورت الجوارى فى لفتات جميلة . وأخرج الفنان كل ذلك فى خطوط متناسقة ، حتى مناظر الجنازات وصور النادبات والمشيعين صورها بدقة متناهية وإحساس رقيق :

ونقشوا فى بعض مناظر جدران المقابر تفاصيل رقيقة ، وأظهروا أجسام أصحابها غضة ، واعتنوا بتقليد شعورهم المرسلة ، وتمثيل ملابسهم الهفهافة ، وتفاصيل حليهم وزينتهم ، مثال ذلك ما يوجد من نقوش فى مقبرة رع موسي .

وبالنسبة لفن النحت فقد اتبع النحات أسلوبين : أسلوب واقعي مرفه ، وأسلوب جمالي ناعم ، وخضعت معظم التماثيل لهذين الأسلوبين . ومن أمتع ما يستشهد به من إنتاجهم فى الأسلوبين ، تماثيل الملك أمنحتب الثالث وزوجته تي ،

وحكـــيم عصـــره أمنحتب بن حابو . فنحت رأسين للملك بوجه مستطيل ، وحاجبين طويلين ، وشفتين ممتلئتين ، وذقن صلبة بارزة ، وانف مستقيمة ، وأظهر فى الوقت نفســه ابتســامة مــترفعة علـــى فمه . ونحت مثال آخر تمثالا صغيرا للملك نفسه ، وصـــوره فـــيه على سجيته وفى هيئة طبيعية خالصة ، وفى وقفة مترافية ، ونحت تمـــثال للحكـــيم أمنحتـــب بن حابو ، مثل فيه على هيئة الكاتب ، بوجه نحيل بارز العظـــام ، انكمشـــت فيه طيات جسده نتيجة لكبر سنه ، وكشفت ملامحه عن صلابة العظـــام ، انكمشـــت فيه طيات جسده نتيجة لكبر سنة ، وكشفت ملامحه عن صلابة الرأى عند الشيوخ .(١)

واستخدم مثالون آخرون الأسلوب الجمالى المنمق ، فنحتوا لأمنحتب الثالث مع زوجته عدة تماثيل ، وأشهرها مجموعة مثلته هو وزوجته وبناته ، وبلغ ارتفاعه فـــيها وارتفاع الملكة نحو سبعة عشر مترا ، وبقى من إنتاجهم جزء من رأس تمثال للملكـــة تـــى ، نحـــتوها للملكة وهى فى شبابها ، وافرغوا فى شفتيها حلاوة ورقة . ونحـــتوا تمـــثالا أنيقا لأمنحتب بن حابوا مثله هذه المرة على هيئة كاتب شاب بوجه ممتلئ ، تدل ترهلات طيات جسده عن امتلاء وصحة وحياة رغدة .(٢)

(ج) مرحلة ثالثة : وهى التى شغلت كل عصر إخناتون :

ســـارت مـــدارس الرسم والنقش فى العمارنة على التقاليد نفسها التى جرى علـــيها فـــن النحت . وكانت مجالاتها أوسع من مجالات النحت ، ولجأت إلى التعبير عـــن الحـــركة ،و تصـــوير الواقـــع . وبدأت مدارس الرسم والنقش بالملك نفسه ، وصورته على سجيته ، حين يأكل فى شهية ، وحين يمرح مع زوجته ، وحين يضم

---

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 148.

(٢) ألفـــه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ – ٣٥٣ شكل ٩٧ –٩٩ ، ١٠١ – ١٠٣ ؛ د. عـــبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٢٤٩ – ٢٥١ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

بـــناته فى شغف ، وحين يندب إحداهن فى حزن ، وحين يتعبد إلى معبوده آتون فى إخـــلاص ، وحيـــن يمنح العطايا لرجاله ، وحين يتقبل الهدايا . وصورت بناته تضم إحداهن الأخرى وتداعب إحداهن الأخرى (١) . وصورت أتباعه فى مرحهم ، وحين تعـــبهم وحين إسراعهم ، وصورت الرسل الأجانب يتدافعون إليه . وظهرت صورها كلهـــا فـــى مرونة مطلقة وحركة نشيطة ، وبساطة مستحبة . وزادت مناظر الطبيعة الحية فى فن العمارنة ، ورسمت بصورها على جدران القصور وأرضياتها وجدران المقابر . (٢)

واتجـــه فـــن الرسم والنقش إلى التوسع فى إظهار وحدة المناظر واستغلال وحـــدة المكـــان . واخـــرج الفنان منظرا جعل فيه صورة الملك على عرشه مركزا اتجهـــت إليه بقية مفردات المنظر . وفى صورة أخرى جمعت بين الملك وأسرته فى مأدبة خاصة .

وعندما انتهى عصر إخناتون حوالى عام ١٣٥٠ ق.م ، عادت مدرسة الفن برجالها من العمارنة إلى طيبة . ولكنها لم تستطع أن تخلى عن قواعد العمارنة الفنية دفعة واحدة ، واستمرت تمارسها فى عهود خلفاء إخناتون : توت عنخ آمون ، آى ، وحور محب .

وتـــبقى مـــن نقـــوش خلفاء إخناتون عدة لوحات صغيرة لتوت عنخ آمون وزوجته ، عبر فيها الفنان عن مشاعر الود والمحبة والتعاطف بين المرء وزوجته . ونقـــش آخـــر لتوت عنخ آمون على جانب صندوق ضخم مطعم بالأبنوس والعاج ، صـــور الملك فيه يصيد السباع ، عبر فيه الفنان عن بيئة الصيد ، وصور السباع فى هرج ومرج . (٣)

---

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 164-169.

(٢) Id., op. cit., no. 170.

(٣) ألفـــه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ – ٣٥٧ ، ص ٣٥٩ شكل ١٠٨ – ١١٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

أمـــا عن فن النحت : اتجهت أساليب النحت إلى الدعوة إلى التحرر الكامل مـــن الأوضـــاع والأساليب القديمة ، وأرادت أن تعبر عن هذا التحرر الجديد بتمثيل الأشـــخاص علـــى هيـــئاتهم الدنيوية ، دون تجميل مقصود ، ودون مثالية مكشوفة . ومرت فى تحررها بمرحلتين :

- مـــرحلة بدأت بها فى مدينة طيبة ، عندما كان أمنحتب الرابع لا يزال مقيما فيها وبـــدأت مدرســـة النحت المتحرر حين ذاك بالملك نفسه ، فنحت تماثيله بعيوب جســـيمة مســـرفة ، وأظهـــرت وجهه مستطيلا ، وذقنه طويلة مترهلة ، وشفتيه غليظتين ، ورقبته نحيلة ، وبطنه منتفخة ، وفخذيه غليظتين .

- ثـــم ظهرت المرحلة الثانية لمدرسة النحت الجديد المتحرر فى مدينة تل العمارنة بعـــد أن انتقل إخناتون إليها . وتخلى المثالون عن العيوب المنفرة التى كانت قد ظهـــرت فى طيبة فى تماثيل الملك واهتموا بدراسة الوجوه وأحاسيس أصحابها وظهـــرت آثـــار هـــذا الاتجاه فى وجه إخناتون ووجه زوجته الجميلة نفرتيتى فأظهـــرهما فـــى وداعة ، ورقة ملكية مستحبة ، مثل رأس الملكة الموجودة فى المتحف المصرى [1] ، ورأس للملك جسم فيها الفنان الوداعة والبراءة .

واشـــتهر من مثالى العمارنة حين ذاك ثلاثة وهم : باك ، اوتى ، وتحوتمس واحـــتفظ هذا الأخير فى داره بمجموعة من التماثيل ورؤوس التماثيل للملكة نفرتيتى وزوجها وبناتها ، بعضها كامل الصنع وبعضها لم يتم صنعه ، ولكنها فى مجملها لا تقـــل رقـــة وحلاوة واتقانا عن تمثال نفرتيتى النصفى الذى احتفظ به متحف برلين . وصـــنع تحوتمس بعض هذه الرؤوس من أجزاء مختلفة ، وثبت تيجانها فيها بتعاشيق تشبه تعاشيق الخشب .

وتخلفت من فن العمارنة أقنعة جصية للرجال والنساء ، وكان الفنانون يتخذونها نماذج لما ينحتونه من وجوه تماثيل أصحابها ، وهى تنطق من فرط واقعيتها وصدق تعبـــيرها . وجـــرى النحـــت فى أعقاب عصر إخناتون على سنة تل العمارنة فترة

---

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 161-162.

غـير قصـيرة ، وظهرت ملامحه الرقيقة الناعمة فى تماثيل توت عنخ آمون ، وفى قـناعه الذهـبى الكبـير ، ورؤوس توابيته ، وفيها عثر عليه فى مقبرته من تماثيل صغيرة ناطقة مثلته هو وزوجته وعددا من المعبودات .(١)

وفـى نهاية الأسرة الثامنة عشرة وأوائل التاسعة عشرة ، استعادت مدارس الفـن بعـض الأساليب الفنية التى سبقت عصر إخناتون ، فاستعادت التألق والليونة والتفصـيل فـى خطوط الرسم والنقش ونحت سطوح التماثيل وظهر ذلك فى تمثال للملك حور محب قبيل اعتلائه العرش مثله على هيئة الكاتب . (٢)

(د) مـرحلة رابعـة : منذ أوائل الأسرة التاسعة عشرة وامتدت حتى نهاية عصر الرعامسة أى الأسرة العشرين :

اتسعت مجالات الرسم والنقش فى هذه المرحلة ، فاتسعت مساحات لوحاتها المصورة ، واتسعت فى تصوير مناظر القتال فى البر والبحر ، وفى تصوير مناظر الصيد ، واتسعت فى تصوير مجالات الإنسان والحيوان . وخير ما نستشهد به ، هى مـناظر معبدى الأقصر والكرنك من عصور عدة ملوك ، ومناظر معبدى الرمسيوم وأبو سمبل من عصر رمسيس الثانى ، ومناظر معبد مدينة هابو من عصور رمسيس الثالـث . وشـغلت مـناظر الحرب فى هذه المعابد جدرانا عظيمة الاتساع ، صور الفـنانون علـيها مخيمات الجنود ، وتحركات الجيوش ، وصوروا فيها مراحل الكر والفر ، وتصادم العربات الحربية ، وأقدام الخيول كبوها ، وصوروا القتال بالسيوف والحـراب ، والتراشق بالنبال ، وصوروا محاصرة الحصون والهجوم عليها وتسلف جدرانها ، وصوروا تراكم القتلى ، وصوروا الأسرى .

وبـالغ الفـنانون فى تصوير ذعر العدو وهلعه ، وأساه وجزعه ، ورجائه

---

(١) ألفـه نخـبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ – ٣٥٤ ، ٣٥٦ – ٣٥٩ شكل ١٠٤ – ١٠٦ ، ١١٣ – ١١٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٧٥ .

وابـــتهاله ، وخضوعه وامتثاله ، وصوروا ضحايا الأعداء ، وفى المعارك البحرية ، صــــور الفـــنان علـــى جـــدران معبد مدينة هابو صدام المراكب البحرية ، وانقلاب بعضـــها ، وصـــور غـــرق العدو ، وعزيمة المنتصر ، وأظهر ذلك كله فى حيوية واضحة .

ومن أفضل مناظر الصيد ، ما صوره فنان الأسرة العشرين للملك رمسيس الثالـــث خلـــف الصـــرح الثانى لمعبد مدينة هابو ، حيث صور الملك يصيد الثيران الوحشـــية ، وصـــور عدو الثيران أمامه فى جنون بين حنايا دغل ضيق ، ثم صور مظاهـــر الألم فى وجه ثور ضخم بعد أن أصابته السهام . ونجح فى تصوير الدغل بنباتاته التى ألقت ظللها على الثور .

وعلى نحو ما سجل الفنانون نشاط ملوكهم فى الحرب والصيد ، أسرفوا فى تسجيل مظاهر تقواهم وقربهم من المعبودات فسجلوا على جدران واحد بمعبد الكرنك اثنين وعشرين وضعا للملك سيتى الأول أمام معبودات المعبد ، وهو يحيى، ويدعو ، ويســـبح ، ويقدم القرابين (١) . وظهرت كل هذه الاتجاهات فى مناظر مقابر الملوك وكـــبار الشخصيات فى البر الغربى فى طيبة ، فبلغت ذروة عالية من جمال التعبير ورقـــته ، ونعومة النقش ونقاوته ، وحيوية التلوين وجمال التصوير ، ودقة التفاصيل فيما صورته من حياة أهلها فى الدنيا والآخرة فى مقبرة امنحتب الثانى ومقبرة سيتى الأول .

أما بالنسبة لتطور فن النحت فى عصر الدولة الحديثة :

نقول أن مدارس النحت استعادت الأساليب الفنية التى سبقت عصر إخناتون مـــن أناقة وتفصيل فى سطوح التماثيل . وظهرت بواكير النحت فى هذه المرحلة فى تمثاليـــن : تمـــثال لحـــور محب ، مثله على هيئة الكاتب ، وصوره فى جلسة لينة ؛

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

وانحناءه خفيفة تشبه انحناءة الحكيم ابن حابو . ولكنه أظهره فى الوقت نفسه بملامح سمحة حالمة ربطته برقة فن تل العمارنة .

وتمـــثال آخـــر كبير من المرمر للملك سيتى الأول ، صنعه المثال من عدة أجـــزاء منفصلة ، نتيجة فيما يبدو لصعوبة قطع المرمر . وتعاقبت بعد ذلك عصور الرعامسة ومارست مدارس النحت اوج نشاطها فى عصر رمسيس الثانى ، فأخرجت له تماثيل تفوق الحصر . ومنها ما يوجد فى معابد الرمسيوم والأقصر والكرنك وابى سمبل ومنف وصان الحجر وغيرها ، ونحتوا بعضها فى الصخر الطبيعى فى واجهة معبد أبو سمبل . (١)

وبلـــغ الفنانون فى نحت بعض هذه التماثيل الكبيرة مبلغا مقبولا من النجاح الفنى والنجاح التعبيرى ، ولكنهم اكتفوا فى بعضها الآخر بإظهار روعتها عن طريق ضخامتها المفرطة وجلال هيئتها وهيبتها وسلامة نسب الغالبية منها .

وأصـــاب تماثيل الأفراد فى بداية عصر الرعامسة نوع من الردة لأساليب النحـــت قـــبل عصـــر العمارنة ، فعاود المثالون تمثيل الأجسام فيها غضة ممتلئة ، وأظهـــروا هيـــئات أصـــحابها ناعمـــة مترفة ، وزادوا تمثيل طيات ثيابها وثنياتها ، وأسرفوا فى تمثيل تفاصيل الشعور وأنواع الحلى والزينة .

واستحدثت مدارس النحت فى عصر الرعامسة أوضاعا جديدة مثلت الملوك بهـــا خـــلال حفلات تتويجهم ، وحين يظهرون مع أسرهم ، وساعة انتصارهم على أعدائهـــم . واستخدموا صور الرموز الهيروغليفية فى التعبير عن أسماء الملك بحجم كبير . فعبروا عن اسم رمسيس الثانى برموز هيروغليفية ضخمة تصويرية ، جمعوا فيها بين قرص الشمس الذى عبروا به عن اسم رع ، وهيئة طفل رضيع عبر به عن

---

(١) وفى نص نقش على مذبح مقصورة تحوتى أمام معبد أبو سمبل نقرأ :

ir. n. f. mnw c3w nfrw r nḥḥ ḫft-ḥr n3ḫt pt

" انه أقام (= رمسيس الثانى) آثار شاهقة من أفضل ما يمكن للأبدية أمام أفق السماء " أى مواجه لأفق الشروق " .

كلمة " مس " ، وهيئات نبات صعيدى مقدس قديم عبر به عن كلمة " سو " .(١)

واستحدثت مدارس النحت أوضاعا أخرى لتماثيل الأفراد ، مثلتهم فيها حين يـتوهمون أنهـم يـتلقون الوحى من تماثيل المعبودات ، وحين يقدمون قرابينهم إلى معبوداتهم واقفين وجالسين وراكعين .

(هـ) مـرحلة خامسـة : من بعد عصر الرعامسة حتى نهاية عصور الأسرات المصرية الوطنية :

تراخـت بعد عصر الرعامسة عزائم الفنانين المصريين ، بعد أن استهلكت جانـبا ضخما من وسائلها المادية والحيوية فى عصور الدولة الحديثة . واضطربت اقتصاديات البلاد وأحوالها السياسية فى نهاية الأسرة العشرين وانعكس ذلك على الفن الذى حاول بقدر الإمكان المحافظة على أساليبه القديمة ، ولكنه أصبح فنا مقلدا غير مبتدع . ولم يتميز أصحابه فى غير اتجاهين : فى الرسم ونقش توابيت كهنة الأسرة الحاديـة والعشـرين بمـتونها وزخارفها ، وصوروها بألوان صفراء فاقعة ثابتة ، وشـكلوا فـى ثانيهما تماثيل صغيرة من البرونز ، رصعوها بمعادن وأحجار كريمة ونقشوا على سطوحها صور أربابهم ومناظر عبادتهم .

واسـتمرت هـذه الاتجاهات فى الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين . ومر الفن بعد ذلك بثلاث مراحل :

- فى الأسرة الخامسة والعشرين:

اسـتحب أهـل الفـن فى هذه الفترة أساليب عصور الدولة القديمة والدولة الوسطى وعصر الرعامسة فى نقوشهم ، فقلدوها فى لوحاتهم . واستوحوا منها هيئات أصـحابها واتجهـوا بهذا الأسلوب فى فن النحت أيضا وحاولوا أن يخرجوا من هذا بأسـلوب جـدي ، وتـبقى من افضل ما نحتوه لملوكهم ثلاث رؤوس ، راس للملك شـاباكا ، ورأسـان للملك طهرقا ، وعبرت ملامح كل رأس من هذه الرؤوس عن

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ، ٣٦١ – ٣٦٣ .

السـمات الشخصية لصاحبها ، وهكذا أظهر الفنان رأس شاباكا بوجه متسع وشفتين ممتلئتيـن وأنـف عـريض افطس [١] ومن تماثيل كبار الشخصيات ، تماثيل الكاهن الرابع لآمون منتومحات ، مثلته فى أحدهما واقفا فى انتصابة تماثيل الدولة القديمة . وكست وجهه بجدية صارمة عبرت بها عن عزيمته . ثم أظهرته فى تمثاله الآخر ، الذى لم يبق منه غير رأسه الضخم وجزء من صدره ، فى ملامح شخصية صريحة ناطقـة وشعر طبيعى وأظهرته فى إتقان بالغ جعل تمثاله آية من أفضل آيات النحت المصرى القديم .

ونحت مثالو المدرسة نفسها ، بضعة تماثيل واقعية لرجل يدعى " حاروا " ولـم يـأبوا أن يظهـروه فيها بعيوبه البدنية ، فصوروه بوجه ممتلئ كوجه الطفل ، وجسم مكتنز يترهل ثدياه .

- فى الأسرة السادسة والعشرين والسابعة والعشرين :

اتجـه أهـل الفن فى هاتين الأسرتين إلى تقليد مناظر الدولة القديمة . وما كـانوا يسـتحبونه لأنفسهم من لباس وزينة ، واستعاروا منها تصوير مناظر الصيد وتصـوير مواكب حاملات الهدايا وممثلى الضياع ، وسجلوا فى داخل بعض المقابر نسخا من نصوص الأهرام خاصة فى مقابر سقارة وطيبة وبعض المقاصير .[٢]

---

(١) ألفـه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٧ ، ص ٣٦٩ .

(٢) مقبرة بسماتيك = Daressy, RT 19 (1895), p. 19 col. 143

- مقـبرة بـادى امـن اوبـت = Dumichen, Der Grabpalast des Patuamenop I, p1. 9 col. 56-57; p1. 15 col. 63-64.

- مقبرة بادى نيت = Maspero, ASAE 2 (1902), p. 110.

- مقبرة امن اريتس = Daressy, RT 23 (1901), p. 10 col. 195.

- مقصورة امن تف نخت = Drioton, ASAE 52 (1954), p. 113. col. 83.

- مقصورة حور = Drioton, op. cit., p. 124 col, 33.

وســلك المــثالون ســبيلا قلدوا فيه أسلوب تماثيل الدولة القديمة وملابسها وأوضــاعا أصــحابها . وخلعوا على تماثيل ملوكهم مظاهر القداسة القديمة . وخلت تماثيلهم من تمثيل الشعور المستعارة ، واكتفوا لأصحابها بالرؤوس الحليقة . واعتادوا علــى أن يلصقوا وجوهها صقلا كاملا كلما صنعوها من أحجار صلبة ذات حبيبات دقيقة .

ويزخــر المتحف المصرى والمتاحف الأوروبية ، برؤوس مصرية صغيرة صــلبة رائعــة من هذه الفترة أو فيما بعدها . واستمروا فى نحت التماثيل الضخمة لكبار الكهنة وكبار رجال الدولة ، وكذلك التوابيت الضخمة ، ونحتوا للفرس وتوابيت حجــرية مــن أشد أنواع الأحجار صلابة ، وصنعوها بأحجام هائلة ، وشكلوها على هيــئة بشــرية كاملــة ، ونقشوا سطوحها الداخلية والخارجية بنصوص تخص عالم الموتى ومناظر الآخرة ، وفعلوا ذلك كله فى إسراف شديد .

- <u>من الأسرة الثامنة والعشرين حتى الأسرة الثلاثين :</u>

حــافظ فــن الرسم والنقش على الأساليب القديمة . وجاهدوا على الارتقاء بهــا ، وفى نهاية الأسرة الثلاثين تأثر فن النقش بالتأثير الاغريقى . امام بالنسبة لفن النحــت فنحــتوا تماثيل قليلة العدد ، تكسو وجوهها جميعها علامات المسئولية والهم والفكــر وآثار الكفاح [١] . وبقى من نماذجها تمثال نصفى للملك هكر ورأسان للملك نختنبو الأول . وصورت هذه القطع الثلاث الملوك بهيئاتهم الواقعية الصادقة . [٢]

وعــندما انــتهى عصر الأسرة الثلاثين ، ووفدت على مصر فنون إغريقية ورومانية ، انطوى الفن المصرى على أساليبه القديمة ، فنجح حينا وفشل حينا آخر ، ولكنه ظل فى رأى الأغريق والرومان أنفسهم ، <u>من أعرق فنون العالم القديم</u> ، أصالة وأكثرها حرصا على أساليبه وتقاليده .

---

(١) ألفــه نخــبة مــن العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ – ٣٧٠ شكل ١١٨ – ١٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

وقـد عـثر فى الفيوم فى هواره على لوحات تسمى " بوجوه الفيوم " وهى تصـور وجوهـا لـبعض المصـريين والمصريات الذين عاشوا تحت وطأة الحكم الرومانى فى القرن الثانى الميلادى . وقد اكتشفت هذه اللوحات بترى عام ١٨٨٨ . وفـى فرنسـا صـدر مؤخرا كتابا لفنانة تشكيلية يونانية حول " وجوه الفيوم " يمثل حصـيلة سنوات طويلة من الدراسة لهذه اللوحات التى تعد إنجازا فنيا يبهر كل من يشاهدها فى المتحف المصرى الآن (الدول العلوى حجرة رقم) [١] . وتقول الباحثة فـى كتابها " أن شخصية أصحاب هذه الوجوه مجهولون تماما . فنادرا ما يظهر أسم صـاحب الوجـه . كما أن الفنانين الذين أبدعوا هذه الوجوه مجهولون أيضا . وكان هـؤلاء الفـنانون يسـتخدمون الشمع السائل على سطح قماش مشدود على إطار أو بـرواز خشـبى لا يزيد ارتفاعه عن ٣٠ سم ويرسمون عليه بألوانهم الطبيعية وجه الشـخص المـتوفى ليوضـع على مقدمة التابوت الذى يحوى المومياء وذلك تخليدا لذكرى المتوفى " . وعندما شاهد الفنان العالمي بابلو بيكاسو صورا من هذه اللوحات قال " لو لم يكن المصريون يملكون سوى هذه اللوحات لظلوا أكثر الشعوب إبداعا فى العالم " .

ولـيس أدل علـى قـدرة الفنان المصرى الفائقة فى مجال الرسم والنقش والنحت والعمارة والزخرفة من تلك الآثار المتنوعة المختلفة الأشكال والأحجام والتى حفظـتها لنا أرض مصر ، وهى خير شاهد على قدرة الفنان والبناء المصرى القديم وحسـن إتقانه لفنه وصبره وجلده فى معالجته للأحجار شديدة الصلابة . وفى أقامته للعمـارة الضـخمة مـثل الأهرام والمعابد المشيدة والمنحوتة فى الصخر والمسلات والتماثـيل الضـخمة . ولـولا أنـه أحسن إخراجها لما قاومت عوامل الزمن آلاف السنين .

هذا إلى جانب أنه أضاف إلى فنونه طابع الذوق والنسب المطلوبة فخرجت فى صور متناسقة . وعمد الفنان المصرى فى نقوشه ونحته أن يمجد الإنسان وعمله

---

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 270.

الذى يقوم به وكذلك إظهار عواطفه وأحزانه وسروره .[١]

مما يدل على دقة الملاحظة وصدق التعبير وكيف أن الفنان عرف ملاحظة الإنســان وفهم انطباعاته كما يدل أنه كان يمتلك إحساس مرهف ومعبر . ولم يلاحظ الفــنان المصـــرى الإنســان فقط ، ولكن كل ما يعيش حوله من حيوانات بتحركاتها المختلفة وصور فزع البعض منها حين صيدها والطيور بأشكالها المتنوعة والأسماك بألوانهــا المــتعددة والنباتات والزهور بأشكالها الجميلة وأنواعها المتناسقة . كل هذه العناصــر وغــيرها نجدهــا مرســومة أو منقوشة وملونة بكثرة فى الفن المصرى القديــم [٢] . حــتى أدوات الزيــنة والملابس والأزياء والشارات والآلات باختلاف أحجامهــا والتى كان يستخدمها المصرى فى حياته اليومية ، حاول الفنان أن يزينها ويضــيف عليها طابع الزخرف حتى تمزج بصورة جميلة غاية فى الإتقان مع إظهار

---

(١) فى المناظر إلى تمثل تأديب الملك للأسرى نجد أن الفنان نجح فى إظهار ملامح الاستعطاف والعفو على وجه الأسير ، راجع المنظر الموجود فى المعبد الصغير لأبى سمبل : Le Petit temple d`Abou Simbel, p1. 38.
أو المنظر المنقوش على تابوت كاويت من الأسرة الحادية عشرة ، ويمثل عاملا يقــوم بحلب بقرة . ولمزيد من إعطاء البقرة إحساسا بالأمان والطمأنينة ربطوا صــغيرها فى رجلها اليسرى ، حتى يزداد إدرار اللبن ولا تشعر بالوحشة التى يســببها البعد عن وحيدها . ولكن البقرة تدرك تماما أن هذا اللبن ليس لصغيرها ولذلــك صورها الفنان المصرى الحساس وهى تزرف دمعة من عينها اليمنى :
راجــع : Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 68c; PM 11, p. 113; Naville, Dier el Bahari I, p. 48-49, 53-56 p1. 19-20.
وأيضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول شكل ٣٠٤ .

(٢) ألفــه نخــبة مــن العلمــاء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٨ – ١٦٩ ؛ Allam, Everyday Life in Ancient Egypt, p. 117, 120 .

كل التفاصيل الدقيقة .

(٤) التلوين :

استخدم المصريون القدماء ثمانية ألوان منذ أقدم العصور . ونرى تأثير هذه الألــوان فى رسومات فخار نقادة وفى مناظر مقابر الدولة القديمة فى الجيزة وسقارة وغــيرها وخاصـــة اللون الأخضر الذى نراه فى حجرة الدفن فى هرم ونيس والذى يزين نصوص الأهرام مما يدل على تأثر الفنان بعقائده الدينية بالنسبة لتنفيذ واستخدام بعض الألوان .

الأبيض : وكــان يحضر من الجير الحى او من الجبس (كربونات الكالسيوم أو كبريتات الكالسيوم) .

الأصفر : من خام الحديد (المغرة) ويجلب من اسوان ومن الواحات .

الأحمر : مــن مادة المغرة الحمراء ، وهى كثيرة فى الصحراء . واستخدم هذا اللون منذ عصور ما قبل الأسرات .

الأخضر : من مادة الملاخيت (أو الملاشيت) أو كربونات النحاس .

الأسود : من السناج المتخلف من النار ، ومن الفحم النباتى ، وربما من معدن المنجنيز من غرب شبه جزيرة سيناء . وقد عثر فى حضارة المعادى على مقادير من هذا المعدن ، بعضها محفوظ فى آنية من الفخار .

الأزرق : وهو نوعان : خام نحاس طبيعى من سيناء [1] ، ولونه أزرق أو مادة زجاجية مصنوعة من برادة الحديد والملاخيت والنطرون .

البني : اللون الأحمر مضافا إليه الأسود .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٨ ، ٤٨٠ – ٤٨١ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٨٠ .

الرمادي : اللون الأبيض مضافا إليه الأسود .

واستعملت المواد اللاصقة للألوان وتثبيتها من مواد زلالية من زلال البيض ، ومن مواد راتنجية مكونة من الصمغ مضافا إليه مادة الالفونية ، ومن مواد عضوية مكونة من الغراء الذى يصنع من حوافر الحيوانات (١) . وكنا نعتقد أن الألوان المصرية عبارة عن طحن وسحق هذه المواد الطبيعية وخلطها بعضها بالبعض الآخر ثم تستخدم ولكنه ثبت حديثا أنها تركيبة كيماوية معقدة جداً وذلك بعد أن أقام أحد الباحثين المصريين بتحليلها كيماويا واستغرق ذلك وقتا طويلا .

(٥) الزخرفة وفن التطعيم :

فى الواقع أن إتقان أى لون من ألوان الفنون المختلفة وحسن إخراجه يعبر عن الجانب المادي للحضارة ، وإضافة عنصر زخرفى إلى هذه الفنون هو نوع من أنواع التذوق الفني . وينطبق ذلك على كل ما أخرجته يد الفنان المصرى القديم من رسم ونقش ونحت وما حققه فى المجالات المختلفة للعمارة والزخرفة والتطعيم .

وقد أضاف المصرى منذ أقدم العصور عنصر الزخرفة على كل ما أخرجته يداه فى الصناعات المختلفة مثل النجارة وصناعة الأثاث والأوانى وأدوات الزينة .

وتحدثنا فيما سبق فى باب الحياة الاقتصادية عن الصناعات والحرف المختلفة التى مارسها المصرى القديم ، وتحدثنا عن لمساته فى قطع الأثاث التى عثر عليها فى مقبرة حسي رع منها كراسى وأسرة مريحة يحلى طرفى جانبيها زهرة بردى ، وقوائمها من خشب ، وأحيانا من عاج على هيئة أسير راكع قيدت ذراعاه خلف ظهره او على شكل أرجل ثور نحتت فى دقة بارعة . (٢)

---

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٣ – ١٥٥ .
وقام فانديه بتحليل مكونات الألوان فى الرسومات، فى مؤلفه :
Vandier, Manuel d’archèologie 1V, p. 3-6 (b).

وتشهد كثير من قطع الأثاث على مهارة فائقة فى فن التطعيم فمن الأثاث ما كـــان يرصـــع برصائع رشيقة من عاج وقيشانى ، تحليها زخارف هندسية محفورة ومنها ما كان يصفح بصفائح الذهب تحليه رسوم بارزة .

وممـــا يـــدل علـــى فـــن الزخرفة فى عصر الأسرة الثالثة ما يكسو بعض جـــدران الحجرات السفلى فى الهرم المدرج من قراميد صغيرة من القيشانى الأزرق الجمـــيل [١] . وهناك الكرسى المصفح بالذهب وقوائمه على شكل أرجل أسد للملكة حتـــب حرس [٢] . من بداية الأسرة الرابعة . ومن أسرة يويا وتويا والدى الملكى تى زوجـــة أمنحتب الثالث ما هو مصفح فى بعض أجزائه بالذهب أو الفضة ، ومنها ما هو مطعم بخشب ثمين وتحليه صور المعبودات .[٣]

وقـــد احـــتفظ كثـــير مـــن أثاث الملك توت عنخ آمون باشكال عديدة من الـــزخارف وفـــن التطعـــيم . ونـــرى ذلـــك أولا فـــى قـــناع الملك توت عنخ من الذهب واللازورد ، والكورنزيت ، والتركواز ويبلغ ارتفاعه ٥٤ سم ووزنه ١١ كيلو جـــرام [٤] . وهـــنا لـــنا أن نتساءل كم من الوقت استغرق الفنان القدير لإخراج هذه الـــتحفة الجمـــيلة فـــى هذه الصورة التى لا تزال تشد انتباه كل محبى الفن المصرى القديـــم ؟. وتـــابوت الملك من الذهب والأحجار الكريمة ويبلغ طوله ١٨٧سم ووزنه ١١٠ كـــيلو جـــرام ، والمقاصير من الخشب المغطى بصفائح من الذهب ، وكرسى العرش من الخشب المغطى بصفائح من الذهب وأحجار نصف كريمة ويبلغ ارتفاعه ١٠٢ ســـم . وعلـــى ظهر الكرسى نرى منظرا يمثل الملكة وهى تعطر كتف الملك

---

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 17.

(٢) Id., op. cit., p. no. 29.

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) وعلـــى كـــتف وظهـــر القـــناع نقشت صيغة الفصل ١٥١ب من فصول كتاب الموتى ، وهى الصيغة التى تتشابه فيها أعضاء جسم المتوفى مع أعضاء أجسام المعبودات ، وذلك كنوع من الحماية المطلوبة لجسم المتوفى .

الجـالس على نفس كرسى العرش . وكرسي الاحتفالات الدينية من الأبنوس والعاج وبعضه مصفح بذهب ومرصع ومطعم بأحجار طبيعية وقيشانى وزجاج ملون وكذلك موطئ القدم أمام الكرسى . هذا بالإضافة إلى الصناديق والخزانات باختلاف طرزها وأحجامهـا فبضعها صغير للحلى والعطور وأدوات الزينة ، وبعضها كبير للملابس وأغطـية الأسرة ، وبعضها بسيط ، وبعضها فاخر مذهب أو مطعم بالأبنوس والعاج أو بهمـا معا أو بالقيشانى والزجاج والمرمر المصرى وتحلى بعضها سطور منقوشة بكتابة هيروغليفية مذهبة أو محشوة بمادة ملونة . ومنها ما تحليه مناظر صيد أو قتال أو صورة الملكة فى ثيابها الأنيقة .

ومـن الـتحف المزخرفة تماثيل الاوشابتي التى تبين مدى صغر سن توت عـنخ آمون ، وكذلك سرير الملك على هيئة بقرتين ومسند رأسه ، وصندوق الحلي مـن الخشـب الملـون وعليه منظر يمثل الملك فى عربته الحربية ويهاجم الأعداء ومـناظر صـيد وعصا الملك ذات اليد على هيئة اسيرين ، وآنية العطور من العاج والمرمر على هيئة علامة سما وصندوق لعبة السنت من العاج والأبنوس .

والمنظر الشهير الذى يوجد على صندوق الأحشاء ، يمثل الملكة وهى تقدم باقـة من زهور اللوتس والبردى والبراعم للملك أثناء جولة فى حديقة القصر الملكى وأسـفل المنظر نرى فتاتين تقومان بقطف الزهور . واللوتس يعبر عن علامة نخب أى الاحـترام والتبجـيل . ومن التحف الجميلة المرصعة صدرية الملك من الذهب والعاج والأحجار الكريمة وقلائده المطعمة بالأحجار الكريمة . (١)

وغـير المقاعد كان من أثاث المنزل أيضا أوانى فاخرة من ذهب وفضة ، وأوانـى العطـر والـزيوت وأوانى جميلة من زاجاج أزرق أو أسود تحليه شرائط متموجة . وكانت هناك المرايا من معدن مذهب ومقابضها فى شكل غصن بردى أو

---

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 174-193.

؛ وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

Allam, Everydaylife in Ancient Egypt, p. 124-125. 130.

فــى صــورة حتحور أو شكل امرأة (١) والمراوح ذات المقابض من العاج والمشكلة بأشــكال رشيقة . والأمشاط التى يعلو أحدها تمثال صغير لجدى (٢) . هذا إلى جانب القلائد المطعمة بالأحجار الكريمة مثل قلائد توت عنخ آمون .(٣)

هـذا إلى جانب الحلى المطعمة بالأحجار الكريمة مثل حلى الأميرة خنمت مــن الذهب واللازورد والتركواز والتى عثر عليها فى مقبرة خنمت فى دهشور من الأسرة الثانية عشرة والصل المقدس للملك سنوسرت الثانى من الذهب واللازورد من اللاهــون وحلى سات حتحور من دهشور من الأسرة الثانية عشرة وصدرية الأميرة مر إرت من دهشور من الفترة نفسها ، وتاج الأميرة سات حتحور إنت ومرآتها من الفضة والذهب والأحجار الكريمة ، وحلى نفرو – بتاح من هوارة من الأسرة الثانية عشرة ، وكلها موجودة الآن بالمتحف المصرى . (٤)

كمــا أن تمثــيل ذيــل الثور فى النقش فى مؤخرة ملابس الملك يدل على شخصية الملك نفسه وأيضا يدل على قوته الجسمانية .(٥)

---

(١) د. أنــور شــكرى : المــرجع السابق ، ١٥٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموســوعة المصــرية ، المجلــد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٨١ – ٣٨٣ ؛ Allam, Everyday life Ancient Egypt, p. 45.

(٢) Id., op. cit., p. 43.

(٣) Id., op. cit., p. 124-125, 130.

(٤) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 107-116.

(٥) Jequier, BIFAO 15 (1918), p. 165-168.

الفصل الثانى

العمارة وأشكالها وأنواعها

وتطورها عبر العصور المختلفة

مقومات البيئة وفن العمارة :

استعانت العمارة المصرية القديمة فى مراحل نشأتها بمقومات البيئة ، وكانت البيئة منذ عصورها الأولى وفيرة بأعواد النباتات من البردى والغاب والسمار وفروع الأشجار ، وقد وجد فيها المصريون القدماء مواد سهلة يقيمون منها أكواخهم البدائية . (١)

وجلب النيل إلى مصر على مدى آلاف السنين طبقة سميكة من الطمى ، صنع منها المصريون القدماء منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ الطوب اللبن ، وذلك بخلطه برمل أو تبن أمام مادة أخرى ليقوى تماسكه . واستفاد المصريون القدماء من هذه المواد الأولية على مراحل ، واستغلوها لمطالبهم اليومية أولا ، ثم لأغراضهم الفنية ثانيا (٢) . ومع أن المصريون صنعوا الطوب اللبن منذ أواخر عصور ما قبل التأريخ فأنهم لم يستخدموه محروقا إلا فى العصر المتأخر .

وشيدت أغلب المبانى فى عصور ما قبل التأريخ بالطوب اللبن نظرا لتوفر الطمى فى كافة أنحاء مصر ولا تحتاج صناعته إلى مهارة كبيرة ، والبناء به رخيص التكلفة ، ويناسب طقس مصر لقلة المطر فيها ، فضلا عما يتوفر فى البيوت التى تبنى منه من دفء فى الشتاء واعتدال حرارة فى الصيف . ومنذ الدولة الوسطى كان يراعى أن يكون طول اللبنة ضعف عرضها لينتفع بها فى البناء طولا وعرضها بما يكفل تماسك البنيان ومتانته .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٨ – ٤١ .
(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣١٧ .

وكانت الجدران من اللبن تطلى بطلاء من طين ، وكان يتكون من نوعين : نــوع خشــن يتكون من طمى النيل العادى ، ونوع جيد يتكون من خليط طبيعى من طين وحجر جيرى ، ويوجد فى جيوب فى سطح الهضبة الشرقية . وكان المصريون فى كثير من الأحيان يغطون طلاء الطين بطلاء آخر من الجبس .

ولــم تكــن أشــجار مصر تصلح لتزويد العمارة بما كانت تحتاج إليه من أخشاب ، ذلك لأن أشجار الأثل والجميز ، وأن كانت قد استخدمت فى صناعة بعض الأثاث والمراكب ، ألا أنها لا توفر ألواحا طويلة من الخشب . وأشجار النخيل ، وأن كانت قد أفادت كثيرا كدعائم للسقوف وفى تسقيف القاعات فهى لا تيسر اتخاذ ألواح مــنها . لذلــك أضطر المصريون القدماء منذ بداية الأسرات على الأقل إلى استيراد أخشاب الأرز والصنوبر والسرو من سورية ولبنان .

اهتم المصريون القدماء بالخلود ، ووجدوا فى أحجار الصحراء ما يحقق لهم هــذا الهــدف ، فاستغلوها أكبر استغلال . وهذا ما حقق لمنشآتهم من مقابر وأهرام ومعــابد ومســلات ومقاصير وتماثيل وتوابيت وغيرها ، البقاء آلاف السنين . وكان الحجــر الجيرى حجر البناء الرئيسى ، وهو من الأحجار الرخوة ، ويتوفر بكثرة فى الهضــاب التى تحف بوادى النيل مباشرة فى الشرق والغرب من اسنا إلى القاهرة . ومــنه نوع جيد يمتاز بصلابته ودقة حبيباته فى طرة والمعصرة وفى جبلين جنوب أرمنت بقليل .

وكــان الملاط المستخدم فى المبانى من الحجر من الجبس ، ولا يعرف أن المصــريين قــد استخدموا الجير ملاطا قبل العصر البطلمى . واستخدم الملاط من الجــبس لــربط الأحجار بعضها ببعض ، ولملء الفجوات الدقيقة فى السطوح العليا للأحجــار ، وتيســير تحــريك الأحجار الثقيلة ووضعها فى مكانها من البناء بدقة ، وكانت الأحجار الكبيرة تنقل على زلاقات من خشب .

واستخدموا الجرانيت من أسوان وخاصة من جزيرة الفنتين ، ومنه الأحمر الــوردى والأشهب الأسود . والحجر الرملى الذى يتوفر فى التلال الممتدة من وادى حلفا إلى كلابشة فى بلاد النوبة ثم من أسوان إلى اسنا ، وكان أهم محاجره فى جبل

السلسـلة ، شـمالى أسوان بنحو سبعين كيلو مترا . وحجر الكورتزيت ، وهو حجر رملى صلب متبلور ذو لون يميل للاحمرار ، ويوجد فى الجبل الأحمر شمال شرقى القاهـرة ، وفـى جبليـن [1] . والمرمر المصرى (الكلسيت) ، وهو من الأحجار الرخوة ذات اللون الأبيض الضارب للصفرة ، ويتميز بدقة حبيباته وصلاحيته للصقل الجـيد ، ويوجـد فـى مصر فى أماكن من الصحراء الشرقية وخاصة بالقرب من حلوان ، وفى جنوب شرقى العمارنة . والبازلت ، وهو حجر صلب أسود أو أشهب قـاتم ، ومصـدره جبل القطرانى فى الفيوم ، ويوجد أيضا فى أبو زعبل وفى شمال غربى أهرام الجيزة .

ولقطـع هذه الأحجار وغيرها استخدموا آلات من النحاس ، ووسائل ومواد كـيماوية قبل استخدام الأزميل . فقد زاد استخدام النحاس فى صناعة آلات فى بداية الأسرات وكذلك صناعتها من البرونز منذ عصر الدولة الوسطى قد سهل عملية قطع الأحجـار . وكـان يدق على الأزميل بمدق من الخشب أو الحجر . وكانت الأحجار الكبيرة تفصل من أسفل باسافين من خشب مبلل بالماء كى تتمدد فينشق الحجر ، أما الأحجـار الصـغيرة فكانـت تفصـل باسافين يدق عليها . وفى العصور المتأخرة استخدمت اسافين مصنوعة من الحديد .

وقـد لازمت البناء بأعواد النبات والبناء بالطوب اللبن منذ عصور ما قبل الأسـرات أشـكال وخصائص وجدت سبيلها إلى العمارة فى الحجر بعد ذلك ، وقد توراثهـا المصـريون القدمـاء جيلا عن جيل ما اعتادوا عليه من تمسكهم بتقاليدهم القديمـة . ومـن ذلـك الخـيرزان والكورنيش المصرى اللذين أصبحا من عناصر الزخـرفة التقلـيدية فـى العمـارة الحجرية . ومن أبرز مميزات العمارة الحجرية الأسـاطين ذات الزخارف النباتية ، وهى تتميز على الأعمدة بأناقة أشكالها ، وترجع أصولها الأولى إلى أزمنة قديمة عندما كان السكان الأولون يدعمون عروش أكواخهم بحزم من أعواد النبات أو بفروع الشجر أو جذوعه .

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣ – ٤٧ .

ولابــد أنــه كان لاختيار البردى واللوتس والنخيل لتحلية أعالى الأساطين أسباب معينة ، لكثرتها إذ ذاك بين نباتات مصر ، ولأن المصريين أعجبوا بها لحسن أشكالها . وساعد النيل ، وقد كان أهم طرق المواصلات فى مصر وخاصة فى وقت الفيضــان ، علــى نقل الأحجار من المحاجر إلى مناطق البناء منذ الأسرة الأولى ، وذلك على مراكب كبيرة تقدموا كثيرا فى بنائها ، ولم يدخر المصريون القدماء وسعا فــى إعــداد الطرق من المحاجر إلى النيل ، ومن النيل إلى مناطق الإنشاء . وكانت تمهــد الطــرق وتبنى الجسور الضخمة حيث كانت الأحجار تنقل عليها بعد وضعها علــى زلاقات ضخمة من الخشب يجرها الرجال أو الثيران [1] إلى جانب توفر مواد البــناء فــى البيــئة المصرية ، فغن الظروف البيئية أيضا كان لها تأثير فى العمارة وخصائصها .

وتتمــيز الظــروف البيئــية فى مصر ، باعتدال مناخها على مدار العام ، ومصــر بلــد قلــيل الأمطار ، ومن أجل ذلك كانت الأفنية عنصرا هاما فى العمارة المصرية . وللسبب نفسه أصبحت سطوح المبانى وخاصة فى العمارة الحجرية طوال العصــور التاريخــية مستوية ، وقد تزودت المعابد بمآزيب ضخمة لتصريف ما قد يهطل من أمطار فجأة .

---

(١) د. أنــور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٧ – ٥٥ . وهناك كتلة من الحجر الجــيرى موجودة الآن بالمتحف المصرى ، عثر عليها فى محاجر المعصرة علــيها مــنظر يمــثل ثلاثة أزواج من الثيران تجر زلافة من الخشب محملة بالحجر ، ويسوقها ثلاثة من المشرفين . وكانت هذه الكتلة بجوار كتلة أخرى علــيها نص يدل على أن الملك أحمس الأول افتتح فى السنة الثانية والعشرين مــن حكمــه محجرا جديدا فى طره للحصول على حجر جيرى أبيض جميل لمعــبدى بــتاح فى منف وآمون فى طيبة ، راجع : Saleh-Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 119. وأيضا : المرجع السابق ، ص ٤٦ شكل ٤ .

والشـــمس تغمـــر البلاد بضوئها القوى ، وكان لذلك أثره فى أعداد مداخل الأبـــواب فى المعابد والمقابر بحجم كبير ، لكى يدخل الضوء منها ويضئ مساحات كبيرة فى ادخل المعبد أو المقبرة . كما كانت السطوح الخارجية بما عليها من نقوش غائـــرة عرضـــة لضوء مما يحميها من العطب ويسمح للضوء والظلال أن تتلاعب علـــيها بما يخفف من حدة الضوء الشديد ويضفى على الجدران جمالا . وكان نسيم الشـــمال العليل يلطف من حرارة الجو فى أيام الصيف ، لذلك كانت واجهات البيوت تستقبل عادة جهة الشمال ، كما كانت تنشأ فى السقوف ملاقف تتلقى الهواء الرطب .

هـــذا إلى جانب النيل الذى يجرى بين شاطئيه ، ناشرا الخصب والحياة عن يميـــن وشـــمال الوادى . والوادى الخصيب الذى تتخلله القنوات فى خطوط مستقيمة والهضـــبتان اللتيـــن تحفـــان بالوادى كأنهما سور حصين ، والصحارى الممتدة التى توحى بمعانى الخلود والدوام ، كل ذلك كان له تأثير فى أفكار المصريين القدماء وفى نفوسهم وفى نظرتهم لكافة مظاهر الحضارة . (١)

العوامل الأخرى التى أثرت فى فن العمارة :

كـــان للعقـــائد الدينـــية والجـــنائزية أثرهما الواضح فى العمارة . فقد كان المصـــريون القدمـــاء من اشد الأمم تدينا وأكثرهم اهتماما بالحياة الآخرة ، وأكثرهم رعايـــة لموتاهم . فقد أقاموا معابد المعبودات والمعابد الجنائزية فى كل مكان وكانت هذه المعابد مسرحا لمناسك وشعائر أكثر أيام السنة مما كان له أثره بطبيعة الحال فى تخطـــيطها . فـــتدرج ارتفاع أرضية المعبد ، وتدرج انخفاض سقوفه ، خضع لعقائد دينـــية . كمـــا أن وجود المعابد الجنائزية فى الدولة القديمة فى الشرق من الأهرام ، كـــان يخضـــع لعقيدة دينية .(٢) وما من شك فى أن زيادة أهمية معبود معين كان له

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٥ – ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ – ٥٧ .

تأثـير فى منشآت هذا المعبود . فكان كل ملك يحاول أن ينشئ له المعابد ويقيم فيها التماثـيل يضاف إلى ذلك أن الملوك أنفسهم كانوا لا يدخرون وسعا فى كسب رضاء المعبودات ، ببناء المقاصير والمعابد لهم ، أو إصلاح ما تهدم منها .

كمـا شـيدوا وحفروا المقابر لحفظ المومياوات وصيانتها ، وذلك للمحافظة علـيها أطول فترة ممكنة للبعث والخلود ، ونشأة الشكل الهرمى فى الدولة القديمة ، واتجاه مداخل الأهرام نحو الشمال ، كل ذلك خضع لتصورات جنائزية .

كما أثرت الظروف السياسية والحالة الاقتصادية فى العمارة وخصائصها . فكانـت الفنون المختلفة والعمارة تزدهر وتبلغ غاية تطورها فى عهود الحكم المستقر والرخاء الاقتصادى وتوفر الإمكانيات المادية اللازمة . وتضمحل فى عهود الضعف السياسى والاضطرابات الاقتصادية .

كمـا كان لشخصية الملك الحاكم ومهندسوه ومعاونوه الأكفاء الذين اشرفوا علـى العمـل وأحسنوا تنظيمه وجهود البنائين والعمال الذين قاموا به ، كان له أكبر الأثـر فى تطور العمارة . إلى جانب هذا أنهم كانوا ذوى أحاسيس فنية أسهمت فى إبداع ما أقاموه .[1] ولا شك أن ما لاقوه من رعايه من جانب الدولة كان له أثر كبير فى إنتاجهم .

وتوفـر هذين العاملين فى عهود الدولة القديمة مما كان له أثره فى العمارة المصـرية وازدهارها فى هذه الفترة . وتواضع منشآت الدولة الوسطى فى أحجامها وموادهـا ، ورشـاقة وضخامة مبانى الأسرة الثامنة عشرة ، وضخامة العمارة فى عصر الرعامسة ، كل ذلك خضع للظروف السياسية والحالة الاقتصادية .

واعتمد كثرة المنشآت على شخصية الملك وطموحه ، فمنهم من كان يشرف بنفسه على المنشآت المعمارية . وكانت له مطالبه وتوجيهاته الخاصة فى طراز عمارته الدينية والدنيوية . ومنهم من كان يكلف مهندسيه وعماله للإشراف على هذا العمل .

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

وقــد شجع كثير من الملوك المهندسين وأمدوهم بالمكافآت ، وكانت المكافأة بالذهب ، وفى الوقت نفسه كان يحرصون على توفير ما يحتاج البناؤون والعمال إليه مــن طعــام وشــراب وكســاء وزيوت عطرية .(١) ولا شك فى أنه كان للمهندسين المصــريين ، وخاصة النابغين منهم ، أثر أيضا فيما خططوا من منشآت وما أقاموا من مبانى . وكانوا من أحسن الناس تنظيما للعمل والإشراف على الأيدى العاملة .

ويعتــبر إيمحوتب أول مهندس معمارى كان له أثر كبير فى مبانى جسر ، وحم ايونو الذى يعتقد أنه أشرف على بناء الهرم الأكبر ، وسنوسرت عنخ من عصر الملــك سنوسرت الأول ، وانيني الذى حفر مقبرة الملك تحوتمس الأول ، وسنموت الذى شيد معبد حاتشبسوت الجنائزى (الدير البحرى) ، وآمون – مس أحد مهندسى الملك تحوتمس الثالث ، الذى أقام ما لا يقل عن عشرين معبدا فى الصعيد وفى الوجه الــبحرى ، وامنحتــب بــن حابو مهندس الملك أمنحتب الثالث الذى شيد معبد الملك الجنائزى فى البر الغربى .

وكــان للمهندسين المعماريين فى مصر القديمة مكانة ممتازة فى المجتمع ، حــتى أن مــنهم من كان أكبر كاهن فى البلاد ، ومنهم من كان من الأسرة المالكة ، ومــنهم مــن كــان صــديق للملك ومستشاره . وفى الواقع كان وراء نجاح خطط المهــندس ، نشــاط وقــوة عزيمة العامل المصرى ، الذى كان على استعداد لإقامة أضخم المنشآت بقطع أحجار ونقلها من محاجرها على مسافات بعيدة ، أو قطعها من الجــبل فــى ظروف قاسية صعبة ، وكان العامل أو البناء المصرى ذو جلد وصبر لوضع الأحجار الثقيلة فى أماكنها ، ولا تزال تبهرنا قدرتهم على نقل الثقيل منها فى الهــرم الأكــبر ، فمنها ما لا يقل وزنه عن ألف طن ، ولا تزال تبهرنا قدرتهم على صقل سطوح هذه الأحجار على الرغم من بساطة آلاتهم وأدواتهم .

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٨ – ٥٩ .

وكـــانوا يعتقدون فى قداسة ملوكهم وقدرة معبوداتهم فقاموا بالمعجزات من الأعمـــال .[١] وما من شك فى أنهم اكتسبوا الخبرة والحنكة بمرور الوقت بفضل ما لديهـــم من استعداد للتعلم وإدخال التحسينات اللازمة فيما أخرجته أيديهم . قام فانديه فـــى مؤلفه الشهير " موجز عن الآثار " بالحديث عن أنواع العمارة فى جزأين : ففى الجـــزء الأول الـــذى يشـــمل ثلاثة فصول[٢] ، يحدثنا فى الفصل الأول عن العمارة الجنائزية الملكية والتى تشمل الأهرام وملحقاتها حتى نهاية عصر الدولة الحديثة[٣] ، والمقابر الملكية من الأسرة الحادية عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين .[٤]

وفـــى الفصـــل الثانى يحدثنا عن العمارة الجنائزية لكبار الشخصيات والتى تشـــمل المصـــاطب والمقابر والمقاصير والآبار المؤدية إلى حجرة الدفن وأنواعها . والمقابـــر المـــنحوتة فـــى الصخر منذ بداية الأسرة الرابعة حتى نهاية عصر الدولة الحديـــثة ، والموجـــودة فـــى الجيزة وسقارة ومصر الوسطى ومصر العليا .[٥] وفى الفصـــل الثالـــث يحدثـــنا عـــن اللوحات والأبواب الوهمية وموائد القرابين والأهرام الرمزية منذ عصر الدولة القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة .[٦]

ويكمل الحديث عن أنواع العمارة فى الجزء الثانى الذى يشمل بقية الفصول مـــع ملحق فى نهاية المؤلف.[٧] ففى الفصل الرابع يحدثنا عن معابد المعبودات التى تـــرجع إلى عصور ما قبل الدولة الحديثة ، فتحدث عن المقاصير العتيقة والتى كان يطلـــق علـــيها أسماء : بر – ور ، بر – نو ، سح – نثر ، ومقاصير حتحور ومين وأوزير ، ومعابد الشمس فى أبو صير ، والبقايا المعمارية فى بعض المواقع فى الدلتا وإقلـــيم منف ومصر الوسطى والعليا . كما تحدث عن بقايا المعابد فى مدينة ماضى

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦١ ، ٦٣ .

(٢) Vandier, Manuel d'archéologie II Paris, 1954.

(٣) Id., op. cit., p. 6-152.

(٤) Id., op. cit., p. 154-243.

(٥) Id., op. cit., p. 251-373.

(٦) Id., op. cit., p. 389-522.

(٧) Id., op. cit., p. 11, Paris, 1955.

وفى الكرنك والأشمونين وجاو ومدامود وأرمنت وطود وأبيدوس .[١]

وفى الفصل الخامس تحدث عن المعابد الجنائزية الملكية فى البر الغربى فى طيبة وفى أبيدوس من عصر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين .[٢] وفى الفصل السادس تحدث عن معابد المعبودات التى ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية عصر الرعامسة ، منها المعابد ذات الأروقة والجواسق وبقايا هذه النوعية من المعابد فى الدلتا وتل العمارنة ومصر العليا . كما حدثنا بالتفصيل عن الأجزاء المعمارية لمعابد تل العمارنة والأقصر والكرنك . كما تحدث عن المعابد المنحوتة فى الصخر فى مصر والمعابد الموجودة فى بلاد النوبة المنحوتة فى الصخر والمشيدة[٣] ، وفى الملحق تحدث عن عمارة المنازل والحصون والقصور وخاصة قصور تل العمارنة .[٤]

وفى رأينا تنقسم العمارة إلى ثلاثة أنواع : عمارة دنيوية وتشمل : المدن وعمارة القصور ومنازل الأفراد والإدارات المختلفة والسدود والحصون وغيرها من الأبنية ؛ وعمارة دينية وتشمل : معابد المعبودات ، معابد الولادة المقدسة ، المعابد الصخرية ، المقاصير ، جواسق اليوبيل ؛ وعمارة جنائزية وتشمل : المعابد الجنائزية ، سراديب مومياوات الحيوانات والطيور المقدسة ، مقابر الحكام والمقابر الملكية ، المقابر الرمزية ، مقابر كبار الشخصيات ، ومقابر العمال .

أولا : العمارة الدنيوية :

(١) تشييد مدن العواصم والمدن ذات القداسة الدينية :

تحولت المدن فى مصر القديمة إلى تلال من الأتربة تختلط بها بقايا من الفخار وأطلال ضئيلة ، ولا عجب فى ذلك إذا كانت المدن والقصور والمنازل تشيد

---

(١) Vandier, op. cit., p. 556-642.
(٢) Id., op. cit., p. 664-783.
(٣) Id., op. cit., p. 796-960.
(٤) Id., op. cit., p. 972-1006.

بــالطوب اللبن . وأقدم ما يعرف من مدن محصنة فى مصر مدينة نخن ، وهى الآن الكــوم الأحمــر شــمال ادفو بقليل . وربما كانت محصنة بسور سميك مستطيل أو مستدير وله دعامات تدعمه أو أبراج بارزة تتيح للمدافعين عنه حسن مراقبة كل من يقترب منه . ومن أقدم المدن فى مصر القديمة ايونو ، ويظن أن تأسيسها يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ . وشيد نعرمر – منى فى أول الأمر مدينة " الجدار الأبيض " أو " الجدران البيضاء " ثم سميت فيما بعد منف .(١)

وكانــت أشبه بعاصمة ثانية للبلاد ، وكانت فيها المعابد والمقابر والقصور للملــوك والأمــراء ، والأحياء المختلفة ، والحدائق العديدة ، وكانت ترابط فيها فرق الجــيش الرئيســية ، وفــى ميــنائها " بــرو – نفر " كانت تشيد مراكب الأسطول المصــرى ، وكــان الأمــراء يتعلمون فيها الرماية وركوب الخيل ، ويصيدون فى صــحاريها الحــيوانات ، ويتولون فيها قيادة فرق الجيش . وكانت المراكب التجارية تجلــب إلــيها منتجات البلاد الأجنبية ، وتنقل منها ما تصدره مصر إلى بلاد الشرق الأدنــى القديم من أوراق بردى وجلود وأسماك مملحة وغيرها . وكانت فيها متاجر كبــيرة ، وكانــت مديــنة يكثر فيها الأجانب والمهاجرون والرهائن والعبيد ، وكان للأجانــب فيها أحياء خاصة ، وقد تحدث سترابون عن أجناس مختلفة تسكنها ، وتدل أنقاضــها على أن طولها كان أكثر من اثنى عشر كيلو مترا ونصف وعرضها أكثر من ستة كيلو مترات .(٢)

أبــيدوس : الــتى اصبحت منذ أواخر الدولة القديمة مقرا لعبادة أوزير ، وأصــبحت مــن المــدن المقدسة إلى جانب بوتو وسايس وبوزيريس (أبو صير) وايونو . وكان كل إنسان يأمل فى أن يزورها ويشارك فى احتفالات أوزير .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٦٤ .

(٢) المــرجع الســابق ، ص ٦٨ – ٧١ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ، ص ١٢ – ٢٤ .

اثت تاوى : بمعنى القابضة على الأرضيين ، أى الوجه القبلى والبحرى ، اختارها أمنمحات الأول بالقرب من اللشت الحالية ، رغبة منه فى أن تكون عاصمته الجديدة على مقربة من منطقة خصبة يمكن استغلالها فى مشاريع الزراعة وأيضا ليكون على مقربة من أقاليم أنصاره فى مصر الوسطى .

طيبة : ظهرت أهميتها مع بداية الأسرة الحادية عشرة ، وأصبحت عاصمة البلاد بفضل جهود ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

وعلى الرغم من أنها لم تكن تتمتع بحصون طبيعية ، ولا تشرف على طريق تجارى هام ، ولم تكن ميناء هاما على النيل ، فقد غدت بفضل جهود ملوك الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أم المدن جميعا ، وعاصمة الشرق القديم . كانت طيبة تمتاز بموقعها الجميل فى سهل واسع فسيح خصيب . وما بقى فى مدينة الأقصر الحالية يعطينا صورة واضحة عن طيبة القديمة ذات الصروح المائة وما كانت عليه من فخامة وسلطان . فقد أقيم على الضفة الشرقية المعابد التى تحيط بها أسوار عالية ، وتتقدمها صروح شاهقة ، تزينها صوارى بأعلام ملونة ، ومن أمامها مسلات عالية . وكانت مدينة الأحياء فى الضفة الشرقية حول معبد الكرنك ومعبد الأقصر ، حيث يصل بينهما طريق تحف به تماثيل الكباش . ويعتقد أن الأبواب المائة التى وصف بها هومر طيبة لم تكن سوى أبواب المعابد العديدة . وكانت تحيط بالمعابد بيوت ، تتخللها شوارع ضيقة متعرجة . وأقيمت فى بعض الأحياء القصور الجميلة ذات أبواب فخمة ، تحيط بها حدائق ذات أشجار عالية ، وأحواض من زهور ، وكانت هناك دور الحكومة ودواوينها المختلفة التى تزدحم بالموظفين والكتبة . حيث كان يجلس عدد كبير من الكتبة الحاسبين ، يحسبون دخل خزائن الملك من غنائم وجزى وضرائب ، وما خرج منها على المعابد والمنشآت والقصور الملكية وموظفى الدولة .

وكانت معابد طيبة تزخر بالكهنة على اختلاف طبقاتهم ، ومعهم فتيات ونساء من الأسر الراقية . وكان لكل معبد مخازنه الممتلئة بخراج أملاكه ومنتجات مصانعه وما يهديه إليه الملك من الغنائم والجزى . وكان على النيل فى طيبة

أكـثر مـن ميناء ، يزدحم بالمراكب محملة بالغنائم والمؤن المختلفة من بلاد الشرق القديم .(١)

وعلى الشاطئ الغربى للنيل ، حيث مدينة الموتى ، توجد المعابد الجنائزية ، مـثل الديـر الـبحرى ، ومعبد تحوتمس الثالث ، وأمنحتب الثالث ، وسيتى الأول ، والرمسيوم ، ومدينة هابو .(٢)

وفـى أحـد الوديان المنعزلة حفرت فى الصخر مقابر الملوك ، فى وادى الملوك وخلف معبد مدينة هابو حفرت مقابر الملكات والأميرات فى وادى الملكات ، وفـى البر الغربى نجد أيضا مقابر كبار رجال الدولة ورجال البلاط والوزراء وكبار الكهنة وقواد الجيش والأطباء والمشرفين على الخزانة والشون والمشرفين على المهن المختلفة فى القصر الملكى .

فهناك فى حدود أربعين مقبرة أصحابها ينتمون إلى الطبقة الحاكمة ، وهناك حوالـى سـبع وعشرين مقبرة يملكها كهنة عاديون أو كهنة مرتلون تابعون لآمون . وهـناك حوالـى اثنتى وأربعين مقبرة أصحابها من الكتبة المحليين والموظفين الذين كـانوا يتولون مناصب فى المعابد أو ممتلكات المعابد مثل كتبة القرابين وكتبة حصر الماشية والمتاجر .

وهناك على الأقل حوالى أربع وخمسين مقبرة من مجموع مقابر الرعامسة فى البر الغربى ، تخص العمال الذين كانوا يقيمون فى أماكن مخصصة لهم فى دير المدينة ، لتنفيذ المقابر الملكية للملوك الحكام ، أو الحرفيين والصناع فى ورش المعابد أو ممـتلكات المعـابد فـى طيـبة مـثل : النجارين ، وصناع النسيج ، وصانعى الحلى ،

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٢ – ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٠ – ٨١ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٥ ؛ د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ .

وصانعى الأحذية ، وحراس الأبواب .[1]

وكــل هــذه الثروة الأثرية المتنوعة تعكس لنا الكثير من مظاهر الحضارة المصــرية وكذلــك جوانب الحياة اليومية فى طيبة خاصة فى عصر الدولة الحديثة وأيضــا أنشــطة الملــوك المختلفة . هذا إلى جانب بعض القصور ومنازل الأفراد والعمــال الــتى شيدت فى البر الغربى . وإذا كانت طيبة قد عاشت عصرها الذهبى خــلال الدولة الحديثة ، فإن أحلك أيامها عندما دخلها الآشوريون مرتين ، إذ خربوا معابدهــا ، ونهبوا نفائسها فقد غزاها الآشوريون واستولوا عليها أثناء غزوتهم الثانية علــى مصــر عام ٦٦٦ ق. م. وتعرضت فيها للسلب والنهب . والمرة الثانية أثناء الغــزوة الآشورية الثالثة عام ٦٦٤ ق. م. عندما استولى عليها آشور بانيبال ونهبها ودمــرها ، وذاع نبأ سقوط المدينة الكبرى فى جميع أنحاء العالم القديم . وعانت بعد ذلــك من حصار البطالمة لقيامها بالثورة ضدهم أيام بطلميوس التاسع عام ٨٥ ق. م. وبالإضافة إلى ذلك تعرضت لزلزال عام ٢٧ ق. م. هدم بعض آثارها .

آخت آتون : وهى من المدن الهامة ، التى شيدها اخناتون على عجل فى شــرقى النيل ، فى مصر الوسطى ، ويعتقد أن اخناتون هو الذى وضع بنفسه مخطط هذه المدينة وحدد أماكن المعابد فيها وكذلك أماكن القصور والمنازل والميادين وخطط لشوارعها . فقصر الملك والمعبد والمبانى الحكومية والمحلات التجارية تشغل الحى الرئيسى بالمدينة ، وكان هناك منازل عظيمة خاصة بأعضاء الأسرة الملكية ، وعلى جانبى الشوارع تقع المنازل الضيقة الخاصة بعامة الشعب . وقد خصصت مساحات فسيحة لزراعة الأشجار والحدائق ، سواء داخل المنازل أو داخل المدينة .[2]

---

(١) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الــثقافة الأثــرية والتاريخــية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٠ – ٣٦٢ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢ – ١٣ .

بررعمسيس : أقامهـا رمسيس الثانى بالقرب من تانيس ، ولكن غطت علـيها مدينة تانيس التى كانت تقع فى موقع استراتيجى على أحد فروع النيل ، وقد زيـنها رمسيس الثانى وشيد فيها المعابد وأقام التماثيل والمسلات (١) ، وازدهرت فى الوجه البحرى مدن أخرى ، منها بوبسطة ، وسايس فى غرب الدلتا ، وتمى الامديد .

ومن الأسماء القديمة التى لا تزال باقية حتى الآن : دمنهور ، سمنود ، أبو صـير ، ميـت رهينة ، الفيوم ، اهناسيا ، القوصية ، الأشمونين ، أسيوط ، دندرة ، أرمنت ، وأسوان .

ولـم يقتصر الأمر على إنشاء المدن فى الوجه القبلى والبحرى ، وإنما كان هـناك مـن الملوك من شيد مدنا فى النوبة ، مثل مدينة كاوا التى يعتقد أن أمنحتب الثالث أسسها جنوب الجندل الثالث ، ومدينة جم آتون التى شيدها اخناتون فى الجنوب ومكانهـا الحالى هو بلدة " سزبى " فى السودان .(٢) ويبدو أيضا أن توت عنخ آمون شيد فى فرس جنوبى أبو سمبل مدينة جديدة .

ومن المدن ما أنشئ لأغراض معينة ، منها تخطيط مدن الموتى أو الجبانات فـى الجـيزة وسـقارة وأبيدوس ، وكان يتخلل هذه المدن الصامتة شوارع مستقيمة مـتعامدة . وكذلـك مديـنة الكهنة والموظفين فى شرقى مقبرة الملكة خنتكاوس فى الجـيزة ، وتقع فيها البيوت فى صف ممتد من الشرق إلى الغرب على طول شارع مستقيم .

شيد سنوسرت الثانى بالقرب من هرمه فى اللاهون عند مدخل الفيوم مدينة صـغيرة ، كانت محاطة بسور طوله أربعمائة متر وعرضه ثلثمائة وخمسون مترا . وكانـت تكفى لإيواء عدد كبير من العمال فى مساحة ضيقة .(٣) وكان المعبد مشيدا خـارج الأسـوار ، وأقيم جدار سميك قسم المدينة إلى منطقتين : خصصت إحداهما

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٥ – ٧٧ .
(٢) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 132.
(٣) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 61.

للأغنياء والأخرى للفقراء . ويشق المنطقة الأخيرة طريق عرضه تسعة أمتار يتقاطع بزوايا قائمة مع شوارع أقل منه اتساعا . وكانت تشمل على مائتى أو مائتى وخمسين منزلا صغيرا وكانت المنازل متقاربة وتطل واجهاتها على الشارع ، أما الغرف والدهاليز فكانت ضيقة إلى حد كبير . أما الحى الذى تعيش فيه طبقة الأغنياء فكانت تخترقه شوارع فسيحة تؤدى إلى القصر وإلى مساكن كبار الموظفين وكانت المساكن والشوارع تشغل كل الميدان .(١)

وكان حى العمال فى مدينة آخت آتون فى شرقى المدينة ، يحتوى على أربعة وسبعين منزلا ، ويحيط به سور مرتفع مدخله من الجنوب ، وتتخلله خمسة شوارع مستقيمة ومتوازية ، تجرى من الجنوب إلى الشمال . ويشبه حى العمال هذا الحى الذى أنشئ فى دير المدينة فى غربى طيبة ، وقد أنشئ هذا الحى لسكنى العمال والفنانين والحجارين الذين كانوا يحفرون المقابر الملكية فى وادى الملوك ووادى الملكات ، ويبلغ عدد منازله نحو خمسين منزلا فى القسم الأول غير المسور وسبعين منزلا فى القسم الثانى المسور .

وكان بالحى مدرسة ذات طابعى حكومى وهياكل للعبادة . كما كان فيها على الأقل مركزان للشرطة ، أحدهما عند مدخل الوادى الضيق والآخر عند مخرجه .(٢) وفى أكثر المدن التى تحوطها أسوار ، شيدت أحواض من الحجر بجوار آبار عميقة . ووجود مثل هذه الآبار أمر مؤكد منذ عصر الدولة الحديثة ، على الأقل ، وقد اكتشفت بعضها فى الأملاك الخاصة وكذلك فى أحياء المدن .(٣)

---

(١) بيير مونتيه : الحياة فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ، ص ١٣ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق، ص ٦٦ – ٦٨ ، ٧٧ – ٨٣ شكل ٩ – ١١، ص ٨٥ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٢) عمارة القصور ومنازل الأفراد :

لـــم يبق من منازل المصريين القدماء وقصورهم إلا آثار قليلة ، وذلك لأنها كانــت تشـيد عــادة بالقرب من الأراضى الزراعية . وهذا هو السبب فى اختفائها بســرعة لتشيدها فى مكان عرضة للرطوبة ، ومن ناحية أخرى كانت العادة أن كل بيت يهدم أو يسقط ، كان يستخلص منه الطوب اللبن السليم ثم تسوى الأنقاض ليبنى علــيها مــن جديد . وهكذا خلد ما يخص الموتى أكثر ما يخص الأحياء . ولهذا فمن الخطــأ الحكــم علـــى المصريين القدماء بأنهم قد اهتموا بعالم الموتى أكثر من عالم الأحــياء . ومهما يكن من أمر فقد تطور المنزل المصرى القديم مع الزمن واختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأصحابه .

وكـــان بـــناء المـــنزل أو مجموعة من المنازل تخضع لعدة اعتبارات منها اختـــيار المكان جيد الموقع أو ملائم أو مناسب ، ولطيف الجو ، وقليل الرطوبة فى فصـــل الفيضـــان مثل المساكن التى شيدها أهالى أتريب ، أو يكون بعيدا عن مناطق المســتنقعات تجنــبا للـــرطوبة ، أو يكون ملاصقا للمعبد للاستفادة من المساهمة فى الطقوس والاحتفالات الدينية .(١)

فى عصر ما قبل الأسرات :

كـــان البيت فى بداية الأمر ، عندما استقر الإنسان فى وادى النيل فى بداية العصـــر الحجـــرى الحديـــث ، عـــبارة عن مأوى بدائيا خفيفا ، يحميه من الشمس والـــرياح . واســـتخدم فـــيه الإنسان البردى والغاب وفروع الأشجار ، واتخذ الشكل البيضـــاوى أو المستدير ، ويقع مدخله جهة الجنوب الشرقى ابتغاء إتقاء شدة الرياح الشمالية الغربية .

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١ – ٢٢ .

ومـــن صور المراكب العديدة على فخار ما قبل الأسرات ، ما يبين أن بهذه المـــواد الخفيفة أقاموا الكبائن والمظلات على سطوح المراكب . كما شيدوا الأكواخ الخفـــيفة قرب المزارع فى مواسم الحصاد . ومن هذه الأكواخ ما كان يقام من أعواد النـــباتات المضفورة أو الحصير حول قوائم من فروع الأشجار ، ومنها ما كان سقفه مقبـــبا أو فـــى شـــكل قبة أو مائلا أو مستويا . ولم يكن الكوخ يشتمل إلا على مكان واحد . وكانت جدران بعض هذه الأكواخ تطلى بملاط من طين .(١)

وقـــد ذكر ديودور الصقلى أن المصريين كانوا يشيدون بيوتهم فى العصور القديمة من الغاب ، وأن بيوت الرعاة المصريين كانت لا تزال كذلك .

ولما امتد الزمن بهم استخدموا الطمي فى البناء على هيئة الجواليص أولا ثم على هيئة قوالب اللبن المستطيل ثانيا ، واستخدموا كسر الأحجار الصغيرة فى تدعيم جوانـــب مساكنهم وأسوارها ، ولكنهم ظلوا بعيدين عن استخدام الأحجار فى البناء . وظـــل المصـــريون فى هذا العصر يبنون بيوتهم باللبن ، عبارة عن أكواخ بيضاوية الشـــكل أو مستديرة غائرة فى الأرض لنحو ربع متر بجدران منخفضة يبلغ ارتفاعها نحو نصف متر . وكانت تعرش بغاب أو جريد نخل أو حصير أو فراء حيوان فوق دعامة من أغصان الأشجار مثبتة فى الأرضية . وكان يثبت على الجدار من الداخل فى بعض الأحيان عظم ساق فرس النهر كدرجة تعين فى الدخول إليه . وكان يحتمى فـــى هـــذه الأكـــواخ فى ليالى البرد الشديد ، وكان يثبت فى أرضيتها إناء من فخار يـــتجمع فيه ما يتسرب إليها من ماء المطر مثل ما عثر عليه فى حضارة مرمدة بنى سلامة .(٢)

---

(١) د. أنـــور شـــكرى : المرجع السابق ، ص ٩٢ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣١٧؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٤– ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ – ٩٤ شكل ١٨ .

وعثر من أواخر عصور ما قبل الأسرات على نموذج صغير من صلصال يمثل منزل صغير مستطيل ، تميل سطوح جدرانه الخارجية قليلا إلى الداخل .[١] ولم يلبث المصريون القدماء أن صنعوا من الطين الطوب اللبن . وقد يسر ذلك عملية البناء . وأصبح المنزل يتألف من ردهة وقاعة ، وتطلى جدرانه بطين ثم بطلاء أبيض أو مغرة صفراء .

فى عصر بداية الأسرات :

تعرفنا على شكل واجهة القصر الملكى مما يعرف باسم النصب التذكارية أو نصب المقابر الملكية فى أبيدوس . فعلى لوحة الملك جت فى متحف اللوفر نرى نقشا يمثل واجهة القصر الملكى الذى كان يسكن فيه الملك . ويبدو أنه كان من الطوب والأخشاب والحصير والبوص . ولكن تفاصيل كل هذه المواد غير معروفة ولا تزال محل جدال بين العلماء . ونرى على هذه الواجهة بابين بين ثلاثة أبراج عالية ، ويعتقد أن القصر الملكى فى بداية الأسرات كان يتكون من قسمين : قسم عام يستقبل فيه الملك كبار رجال الدولة ، وخاص يشمل جناح الحريم وقاعة للطعام وقاعات أخرى . ويعتقد أن بيت ملك الوجه البحرى كان من اللبن بسقف مقبى ، وأنه كان يتقدمه فناء يحيط به سور ذو مشكاوات . ويبدو أن بيت الزعيم أو الرئيس فى هذه الفترة كان يضم هيكل المعبود .[٢]

ولا يزال يقوم فى أبيدوس بناءان كبيران من الطوب اللبن من عصر الأسرة الثانية ، أحدهما يطلق عليه اسم " شونة الزبيب " وكان كل منهما فيما يبدو قصرا مؤقتا ينزل فيه الملك عندما كان يشترك فى احتفالات أبيدوس الدينية . ويحيط بالقصر سوران أحدهما من داخل الآخر . ويقع القصر فى أحد أركان الساحة الكبيرة

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٩٥ شكل ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ – ٩٧ ، ص ٤٩٧ صورة ٣٧ .

التى يحيط بها السوران ، وقد تهدم هذا الجزء وكان يشتمل على عدد من الغرف كما كانت تتخلل واجهته مشكاوات بسيطة .

فى عصر الدولة القديمة :

كشف فى هيراقونبوليس عن أطلال بعض البيوت من أوائل الدولة القديمة ، وكان كل منها يتألف من قاعتين متعاقبتين أو فناء تليه قاعة . وفى رحاب هرم سقارة المدرج كشف عن أطلال بيت يتألف من ردهة وثلاث قاعات . ويظن أن هذا المنزل ما هو إلا صورة لبعض ما كان من مبانى فى منف . وكان يشتمل على صفات ذات أساطين من خشب . وأن السقف كان من جذوع النخل أو مقبيا من اللبن .[١]

ومن أوائل الدولة القديمة نموذجان صغيران متشابهان من الحجر الجيرى ، يمثل كل منهما فيما يبدو بيتا بقاعة مستعرضة . ومن ورائها قاعتان متجاورتان وكانت تلحق بالبيوت صوامع تخزن فيها الحبوب .

وقد اندثرت قصور سنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع ولم يبق منها أثر يدل عليها ولا يعرف مكانها . واندثرت كذلك بيوت كبار رجال الدولة . ومن نصوص هذه الفترة نعلم أن متن من بداية الأسرة الرابعة أعطى بيتا مؤثثا طوله مائتا ذراع ، وعرضه مائتا ذراع . وكان به حديقة كبيرة ذات أشجار جميلة وأعناب وتين ، وفيه بحيرة كبيرة . ونعرف من نصوص حرخوف فى أسوان أنه شيد منزلا وحفر بركة وزرع أشجارا .

وفى قصة سنفرو وفتيات القصر نعرف أن الملك كان يتجول بزورق على سطح بحيرة القصر . ومن النصوص ما يدل على أن القصر الملكى كان يحتوى على حمام . ومن القصور ما كان يحتوى على مكتبة تحتوى برديات فى الديانة والمعارف كالطب .

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٩٩ – ١٠١ شكل ٢٠ – ٢٢ .

فى العصر الوسيط الأول :

عــثر علــى نمــاذج صغيرة من فخار لبيوت صغيرة تعرف باسم " بيوت الروح " منها ما يمثل فناء وفى مؤخرته صفة ذات أسطونين أو أكثر ، وقد يكون فى الفــناء ما يمثل حوض ماء مستطيل تعلوه مظلة تعتمد على أربع دعائم . ومنها ما له وراء الصفة قاعة أو أكثر . ومع أن هذه النماذج كانت ذات طابع جنائزى ، ألا إنها قــد تكون مستوحاة من بيوت الأحياء من الطبقة المتوسطة . وقد ظهرت هذه النماذج مــنذ نهايــة عصر الدولة القديمة واستمرت خلال العصر الوسيط الأول ، ثم اكتملت عناصــرها فى بداية الدولة الوسطى ، واقترح بترى تسميتها بــ " بيوت الكا " إشارة إلى تخصيصها لنفع الروح وصاحبها فى عالم الآخرة .(١)

فى عصر الدولة الوسطى :

عــثر علــى نموذجين فى مقبرة مكت رع فى البر الغربى فى طيبة ، يمثل أحدهمــا ســقيفة أمام واجهة بيت ، تشرف على حديقة مسورة يتوسطها حوض ماء تحــيط بــه أشــجار جميز . وتتألف الصفة من أربعة اساطين ذات تيجان على هيئة اللوتــس . وفــى الجدار الخلفى باب فخم ذو مصراعين تعلوه نافذة ، ثم باب صغير للاســتخدام الــيومى . ويمثل النموذج الثانى مكت رع جالسا فوق منصة تحت مظلة جمــيلة ذات أربعــة أســاطين لها تيجان على هيئة اللوتس . وجاء على لسان الملك أمنمحات الأول فى وصف قصره أنه محلى بالذهب ، وسقوفه من اللازورد ، وأبوابه من النحاس .

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٠١ – ١٠٤ شكل ٢٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ١٦١ ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

ومـــن قصة سنوهى نعلم أن باب القصر الملكى كان يسمى الباب المزدوج العظيم ، وأنه كانت تتقدمه تماثيل أبى الهول .

وكـــان فـــى المديـــنة الصغيرة التى أنشأها سنوسرت الثانى عند هرمه فى اللاهون قصر يقوم على مرتفع . ويغلب على الظن أن الملك كان ينزل فيه عند تفقده أعمال البناء فى هرمه . وقد تهدم هذا القصر . وعثر فى اللاهون على بعض بيوت كبار الموظفين ، ومنها ما كان عرضه خمسة وأربعين مترا تقريبا وطوله نحو ستين مـــترا . وتخـــتلف البـــيوت فيما بينها . ويتألف أحد البيوت من قاعة معيشة مربعة يتوســـطها اسطون ، وقاعتين جانبيتين وحمام وغرفة نوم ذات مشكاة . كما أنه كان هـــناك مجموعـــة مـــن القاعات كان يعتقد أنها كانت للأبناء المتزوجين والضيوف ، وربما استخدم بعضها كمخازن .

وكانـــت بـــيوت العمال فى المنطقة نفسها متلاصقة ، وتقع واجهة كل منها علـــى شارع أو درب ، وكان كل منها يحتوى على فناء صغير وقاعة أو قاعتين أو ثلاث . ومن القاعات ما كان سقفها مقبيا .

ومن عصر الأسرة الثانية عشرة ، عثر على نموذج فى البرشا ، يدل على أن مـــن البيوت ما كان يحتوى على فناء مستطيل ، وفى شكل برج من ثلاثة طوابق يعلوهـــا ســـطح . وكـــان ملحقا بهذه المنازل ما يمثل صوامع الغلال وأماكن للغزل والنسيج وصناعة الأثاث والجعة .

فى عصر الدولة الحديثة :

فـــى نص لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع بين قدمى أبى الهول يقول الأمير فى السطر ١٢ : " وقال تعالوا فلنسرع إلى منزلنا (pr) بالمدينة (أى منف) ونخصص القرابين لهذا المعبود " أى أن الأمير كان له مقرا فى منف(١)، لم يبق من

(١) د. رمضـــان عبده : أضواء جديدة على لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع ، دراســـة أثرية ولغوية ، نشرت فى المجلة العلمية لكلية الآداب- جامعة المنيا ، العدد السابع والأربعون ، ص ٣٧٢ حاشية (٨) .

أطلال قصور ملوك الدولة الحديثة إلا القليل . ومنها بقايا قصر أمنمحتب الثالث فى غرب طيبة ، وكان يؤدى إليه دهليز واسع ، يؤدى إلى ثلاثة أبهاء للاستقبال مختلفة السـعة ، فـى كل منها منصة للعرش ، كانت تعلوها مظلة من خشب مذهب . وإلى الشرق من القصر حفر الملك فى أواخر السنة الحادية عشرة من حكمه بحيرة كبيرة ، وسجل خبر ذلك على مجموعة من الجعارين .

وكـان لأمنمحتـب الثالـث أيضا مقر فى منف ، وآخر فى مدخل الفيوم ، وربما قصر ثالث فى شرقى طيبة . وفى تل العمارنة شيد اخناتون قصرا ملكيا الذى كـان يشـغل مسـاحة كبيرة على شاطئ النيل ، تمتد من الشمال إلى الجنوب ٨٥٠ مترا .[١]

وفـى أواخـر عهـد العمارنـة أضاف الملك سمنخ كارع إلى القصر بهو التتويج . وكان قصر الملك يقوم على مرتفع وله حديقة كبيرة على ثلاثة مستويات . وكان بالقصر المسكن الخاص للملك . وكان فى الشمال من العمارنة قصرا آخر ذو طـابع فـريد ، كـان أشـبه بحديقة حيوان ، حيث كان الملك والملكة يستمتعان فيه بمشاهدة الحيوانات والطيور المختلفة .

وفـى أقصـى المدينة من الجنوب كشف عن أطلال قصر ثالث يتألف من قسـمين . وفـى هـذا القصـر كان الملك يستمتع بالطبيعة وما يضفيه المعبود على الأشجار والزهور وسطوح الماء من جمال . مثل القصر الملكى لاخناتون الذى نقش شكله فى مقبرة مرى رع فى تل العمارنة . وكان للملك أى قصر فى طيبة ملحقا به بيت حريم فى وسطه حديقة كروم وأشجار فاكهة .

قصور عصر الرعامسة :

اندثـرت قصـور سيتى الأول ورمسيس الثانى فى طيبة ، وعثر على باقيا قصـر لرمسيس الثانى فى قنطير جنوب تانيس . وفى منف كشف عن أطلال قصر

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١١٥ شكل ٢٤ – ٢٧ .

للملــك مرنبــتاح فــى منف . يتألف مدخله من ردهة ذات أربعة أساطين فى صف واحد ، يكتنفها قاعتان فى أحديهما درج . ومن وراء ذلك فناء كبير مستطيل تحيط به الأســاطين . ويشتمل القصر على ثلاثة أقسام ، يشغل القسم الأمامى بهو مستعرض يقــوم فيه اثنى عشر اسطونا فى صفين ، ويشمل القسم الأوسط قاعة عرش وقاعات جانبيه ودرج يؤدى إلى السطح ، وكان القسم الخلفى يحتوى على القاعات الخاصة ، وتشمل قاعة معيشة وغرفة نوم وحمام وقاعات أخرى .

ومن القصور الملكية ما ألحق ببعض المعابد الجنائزية فى غربى طيبة وتدل أطلال قصر رمسيس الثانى الذى كان ملحقا بمعبده الجنائزى ، الرمسيوم ، على أنه كــان يتألف من أجزاء عديدة وقاعة عرش . وشيد رمسيس الثالث قصرا له بجانب معــبده الجــنائزى ، وهو معبد مدينة هابو فى غربى طيبة ثم هدمه وأعاد بناءه على نسق مختلف .(١)

منازل الأفراد :

اندثرت كذلك منازل الأفراد فى عصر الدولة الحديثة فيما عدا ما كشف عنه فى تل العمارنة . وتتكون بيوت العمارنه من طابق واحد . وتشغل بيوت العظماء أو كــبار الشخصيات مساحات كبيرة مربعة اختاروها فى أحسن المواقع على الشوارع الرئيســية . ويقوم كل منها فى الغالب على قاعدة منخفضة من اللبن ، وواجهته عادة نحــو الشــمال . وتختلف البيوت الكبيرة فيما بينها من حيث سعتها ونظام قاعاتها . وكــان للــزوج جناحه الخاص وللحريم جناح خاص بهن . وفى أرضية غرفة النوم كانت تودع ذخائر صاحب المنزل .(٢)

ومن بيوت رجال البلاط وكبار الموظفين والكهنة ما كان يختلف فى بعض

---

(١) د. أنــور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١٦ – ١١٩ شكل ٢٨ – ٢٩ ، ص ١٢٢ – ١٢٥ شــكل ٣٠ – ٣٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٩ شــكل ٣٤ – ٣٥ ؛ ص ١٢٩ – ١٣٤ شكل ٣٦ – ٣٧ أب .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ – ١٤٢ شكل ٤٠ – ٤٢ .

تفاصــيله فى الطراز الشائع بما كان يرضى مطالب كل أصحابه . ومن بيوت كبار الشخصــيات فــى العمارنة بيت الوزير نخت ، الذى كانت تحيط به أفنية تفصل بينه وبين البيوت المجاورة والشارع .

وفى منازل تل العمارنة ، كان يوجد إلى جانب غرفة النوم غرفة تعد كحمام تعـد فـيه منصـــة مـــن الحجـــر (ذات حافة مرتفعة) . كان يقف عليها من يريد الاستحمام . ويصب الخادم الماء عليه من أعلى ، وتنصرف المياه من ثقب إلى إناء كبير مدفون تحت الأرض . وإلى جوار الحمام كان يوجد عادة مرحاض أرضيته من الحجر وفيه فجوة .

وإلـــى الخـــارج من المنزل كانت توجد عادة ملحقات كثيرة أهمها المطابخ (أفران) والمخازن وغرف الخدم وحظائر الماشية ، فضلا عن حديقة كبيرة تتخللها بحـــيرات تزخر بشتى أنواع الأسماك . وترفرف فوقها الطيور المختلفة . وفى كثير مـــن هـــذه الحدائق كان يبنى جوسق أو كشك ، من الخشب يجلس فيه صاحب البيت وأهـــل بيـــته ليستمتعوا بالنسيم العليل (١) . وكانت بيوت العمال فى تل العمارنة فى صـــفوف مـــنظمة بعضـــها بجانب بعض وهى من طراز واحد ، وتتألف من أربع قاعـــات . وهى مشيدة من اللبن ، وتلقى صور البيوت على جدران بعض المقابر فى الـــبر الغـــربى فى طيبة وفى بعض البرديات شيئا من الضوء على تفاصيلها ومنزلة أصحابها .

وفـــى المدينة كانت البيوت تشيد فى مساحة محدودة ، على عكس المنازل فى ضواحى المدينة أو فى القرى . وتمثل أغلب الصور البيوت من الخارج ، وهى تدل على أن منها ما كان يزرع من أمامه أو فى أحد جانبيها وأحيانا كل منهما بضعة أشجار نخيل وفاكهـــة . ومـــن البـــيوت ما كان يحيط به فيما يبدو سور خارجى ، ومنها ما كان من طابقيـــن أو ثلاثـــة . ويقع الباب الخارجى فى أحد الجانبين القصيرين ويؤدى إليه درج . وقد يكون للبيوت الكبيرة باب آخر صغير للخدم ومن الشبابيك ما كان ضيقا ، بسيطا فى الطـــابق الأول ، وعريضـــا فى الطابق الثانى . وقد يحيط بسطح البيت سور مرتفع أو سياج من غاب أو جريد متشابك . وعلى السطوح فى بعض

الأحـــيان صوامع للغلال . ويبدو من الرسم الذى يمثل بيت " تحوتي – نفر " من الداخل أنـــه يـــتألف من طابق أغلبه تحت سطح الأرض ، يعلوه طابقان آخران . ويؤدى إلى طوابق البيت ثم إلى السطح درج من داخل البيت مستقل عن بقية أجزائه . ويحتوى الطـــابق الأرضى على مخازن وقاعات للخدم يؤدون فيها أعمالا مختلفة ، فمنهم من ينســـج الكـــتان أو يطحن الحبوب لإعداد الخبز . ويعيش أصحاب المنزل فى الطابق الأول فـــى غـــرفة أكثر اتساعا ، ينفذ إليها الضوء من خلال نوافذ صغيرة مرتفعة . وتســـند ســـقفها أعمـــدة علـــى هيئة ساق اللوتس . ولم تكن ثمة نقوش على حواجز الجدران ، ولكن ترسم عليها مناظر راقصات أو مراكب . وتخصص فى هذا الطابق غـــرفة لرب البيت . ولا توقف الخدم عن الحركة فوق درجات السلم وفى الممرات وهم يحملون جرارا مملوءة بالماء معلقة فى طرفى عصا يحملونها على أكتافهم .

كـــان هـــذا الـــنظام سائدا فى منزل أحد الأشخاص المدعو ماحو ، فكانت الجـــرار مكومـــة فـــى الطـــابق الأرضى . أما الطابق الأول فكانت توجد به حجرة الطعام ، وكان الطابق الثانى مملوءا بالدروع والأسلحة وأدوات أخرى كثيرة وكانت ســـطوح المـــنازل عـــادة مسطحة ، ويمكن الصعود إليها أمام بدرجات سلم مبنى أو بواسطة سلم متحرك ، أقام البعض عليها ، مثل تحوتي حتب صوامع للغلال ، وأقام آخرون سورا من الخشب على حافة السطح حماية لأطفالهم أو تجنبا لنظرات متطلعة إليهم . (٢)

وهناك نموذج فى متحف اللوفر يدل على طراز البيوت الذى شاع فى مدن الدولـــة الحديثة . ومن البيوت الكبيرة فى الريف ما كان من طابقين تلحق به بعض المـــرافق ومنها مخزن وصومعتا غلال ، ويحيط به سور مموج فى أعلاه مما يشير إلـــى أنه من طين . وكان للبيت حديقة كان ينمو فيها أشجار النخيل والدوم والجميز

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٣ .

والتين والأثل والسنط والرمان . وقد تحتوى الحديقة على كشك ، يجلس فيه صاحب البيت وزوجته ، وعلى بركة يؤدى إليها درج فيها زورق للنزهة مثال ذلك بيت انينى فى الريف .(١)

وزرع الوزير رخمى رع فى حديقته المحاطة بأسوار قوية كل أنواع الأشجار والنباتات التى كانت معروفة فى عصره . ولا يمكن أن نتخيل وجود حديقة دون بركة ماء ، وهذه تكون عادة أمام مربعة أو مستطيلة الشكل ومبنية بالحجر ، وتجلب المياه الصالحة للشرب عادة من بئر حجرية .(٢)

وهناك من بيوت الريف ما كان مبنى صغيرا وسط حديقة أو حقل ياوى إليه صاحبه فى زيارة قصيرة . ومثال ذلك بيت نب – آمون (٣) . ومنها ما يؤدى إلى مدخله درج . ومن الشبابيك ما يبدو أنه تغطيه شبكة مزخرفة بألوان مختلفة مثل بيت نخت .

وفى حرم معبد رمسيس الثالث الجنائزى ، مدينة هابو ، كشف عن بيوت الكهنة والموظفين والجند ، وكانت فى صفوف مستقيمة ومتشابهة إلى حد كبير ، ومنها ما كان يتألف من فناء فى مؤخرته صفة من اسطونين ، وفى أحد الجانبين ردهة وغرفة معيشة كبيرة وغرفتا نوم ، وفى الجانب الآخر غرفة كبيرة لخزن الحبوب .

وفى قرية دير المدينة(٤) كانت بيوت العمال والفنانين ورؤساء العمال من اللبن كذلك ، غير أن إطار الأبواب وعتباتها وقواعد الاساطين كانت من حجر رملى أو جيرى (٥) . وكان كل بيت يتألف من قاعة استقبال وقاعة معيشة من ورائها درج

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٤٤ – ١٥١ شكل ٤٣ – ٤٧ ، ٥١ .
(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩ – ٣٠ .
(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٤٩ – ١٥١ شكل ٤٨ – ٥١ .
(٤) تحدثنا فيما سبق فى ص ٥٩–٦٠ عن مدينة العمال التى شيدها الملك سنوسرت الثانى بالقرب من هرمه فى اللاهون ، وحى العمال فى تل العمارنة وكان يحتوى على أربعة وسبعين منزلا ، وحى العمال فى دير المدينة وكان يحتوى على مائة وعشرين منزلا .
(٥) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٨٣ – ٨٤ شكل ١١ .

يـؤدى إلـى السـطح ، ثم غرفة نوم ودهليز يؤدى إلى المطبخ ، ومن رسوم الدولة الحديـثة مـا يمـثل مظلات خفيفة بجدران من غصون البردى أو الحصير ، وفى واجهاتهـا اسـاطين بتـيجان على شكل زهرة بردى يانعة ، وتحليها أزهار اللوتس الطبيعية .

(٣) تشييد مبانى الإدارات المختلفة :

وفى حرم المعبد الجنائزى لرمسيس الثالث كشف عن مبنيين لإدارة المعبد . وكـان يوجـد فى القصر الملكى مبنى للوثائق الملكية فى عهد الرعامسة [١] . وهو يشـتمل علـى قاعـة رئيسية ، تدعم سقفها عشرة أساطين فى صفين ، وفيها مقاعد مـرتفعة يجلس عليها الكتبة ، وقد نشر كل منهم بردية على مائدة أمامه ، ويليها بهو تتخلـله أربعـة صفوف من الاساطين ، ويؤدى منه درج يتوسطه اخدود إلى دهليز يـتقدمه صـف مـن الاسـاطين ، وتطل عليه ثلاث قاعات . ويكتنف مدخل القاعة الوسـطى تمثالان للمعبود تحوتى فى صورة بابون ، وبداخلها تمثال آخر أكبر حجما ومن أمامه مائدة قرابين . أما القاعتان الجانبيتان فتحوتيان على صناديق تشتمل على الوثـائق ، وكانـت هـناك مبانى حكومية للإدارات المختلفة فى العاصمة مثل إدارة الهـبات والشـون الملكـية وإدارة الأشغال وإدارة المناجم وإدارة التسجيل والتوثيق وإدارات الشـرطة والجـيش ودور القضاء والمحاكم ودور العلم وملحقات كل هذه الإدارات ومخازنها .

وكـان المركز الرئيسى للإدارة فى عهد امنمحات الثالث فى هوارة والذى أطلق عليه الرحالة اليونان والرومان اسم " اللابيرانث " .

(٤) إقامة السدود :

مـثال ذلك الخزان الواسع الذى تتجمع فيه مياه النيل لاستخدامها فى حالة الضرورة والذى شيده مهندسو امنمحات الثالث عند هواره وعند مدخل الفيوم . وكان هذا الخزان مقفلا بواسطة سد كبير وله أهوسة وعيون ، وكان من الأعمال التى تشهد

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤ – ١٣٥ شكل ٣٩أ – ب .

بكفاءة المعمارى المصرى .

(٥) إقامة الحصون :

عنى ملوك مصر القديمة منذ بداية عصور الأسرات بتحصين المدن والحدود الشرقية والغربية والجنوبية . كان هناك حصن فى هيراقو نبوليس (الكوم الأحمر) من عصر الأسرة الثانية ، وأنه شيد على حافة الصحراء للدفاع عن المدينة . وهو يتألف من سورين أحدهما من داخل الآخر ، والسور الخارجى أقل ارتفاعا من السور الداخلى ، واقل من نصف سمكه .

لم يبق من حصون الدولة القديمة ما يدل عليها ، وهناك إشارة فى متون الأهرام إلى تحصين حدود مصر الشمالية الشرقية . وتزودنا نصوص الدولة الوسطى بمعلومات أوفر عن الحصون آنذاك . ونعلم أن امنمحات الأول شيد حصنا على الحدود الشمالية الشرقية ليحمى مصر شر غارات البدو من هذه الناحية ، وكان يسمى " حائط الأمير " .

وشيد ملوك الدولة الحيثة عدة حصون فى شرقى الدلتا ، على أنه لم يبق لها أثر . ونعلم أنة كان هناك حصن ثارو (سيلى) شرقى القنطرة كان يشرف على مدخل مصر من جهة الشرق .

وفى بلاد النوبة أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة عددا هاما من الحصون للدفاع عن الحدود الجنوبية وتأمين طريق التجارة مع المناطق الجنوبية . وقد جددها ملوك الدولة الحديثة وأهمها جميعا حصنا سمنة وقمة على جانبى النيل عند الجندل الثانى جنوبى وادى حلفا ، حيث تشق مجرى النهر وتعترضه صخور تمتد إلى شاطئيه .

وكان حصن سمنة أول الأمر مستطيلا ثم زيد فيه من أحد جانبيه ، ويحيط به خندق عرضه ٢٦ مترا فى المتوسط ، وتبرز من سطوح جدرانه الخارجية أبراج على مسافات غير منتظمة .

وحصن قمة يعلو ربوة عالية تشرف على النيل ، ويخلو جداره من الأبراج إلا عـند مدخله لحمايته ، وبالقرب من زاويته الشمالية الغربية درج يؤدى إلى النيل ويحمـيه جـداران سـميكان . وكان فى داخله معبد من عهد حاتشبسوت وتحوتمس الثالـث . وكشفت الحفائر الحديثة عن حصن فى بوهن جنوب الجندل الثانى مباشرة كـان يضـم مدينة وله ميناء على النيل . وكان من حوله خندق عميق ، على جانبه الخـارجى جـدار مـن اللبن يعلوه طريق مسقوف يحمى خط الدفاع الأول ، وعلى الجانب الداخلى جدار آخر من اللبن تتخلله أبراج مستديرة تشرف على الخندق ، وقد نظمت فيها فتحات (١) . وأهتم الملك رمسيس الثانى بغرب الدلتا فقد بدأ خطر شعوب البحر يدق على ابواب مصر من الغرب ، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل الملك يشـيد سلسـلة من التحصينات مثل حصن الغربانيات على مقربة من برج العرب ، وحصـنا آخـر عند زاوية ام الرخم إلى الغرب من مرسى مطروح (٢) . كما تحدثنا نصوص مرنبتاح عن حصون على الحدود الغربية .(٣)

ثانيا – العمارة الدينية :

(١) معابد المعبودات :

حـرص الملـوك الذيـن كانوا يعتبرون أنفسهم من نسل المعبودات وأنهم خلفـاؤهم على الأرض ، على إقامة المعابد والهياكل والمقاصير تحفظ فيها رموزها وتماثـيلها ، وتؤدى الطقوس الدينية فيها وتقدم فيها ولم تخل مدينة من معبد أو أكثر من مقصورة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٥ – ٩٠ شكل ١٢ ، ١٥ أ–ب ، ١٦ .

(٢) د. رمضـان عـبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ١٩٩٧ ، ص ٢٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

وعند تأسيس معبد للمعبود كانت تؤدى شعائر خاصة ، تسمى شعائر تأسيس المعـبد [١] . ومـن النصوص ما ينسب هذه الشعائر إلى ايموحتب من بداية الأسرة الثالثة ، ومنها ما ينسبها إلى خوفو ، ومنها ما يذكر أنها معروفة من عهد الملك بيبى الأول . ويبدو من نقوش الملك خع سخموى انها ترجع إلى عهد بداية الأسرات على الأقل .

وهـى عـبارة عن شعائر دينية تؤدى قبل البدء ببناء المعبد ، كان يقوم بها الملـك أو من ينوب عنه وتساعده كهنة وكاهنات يمثلون بعض المعبودات . وبعد أن تـم بناء المعبد كانت تؤدى شعائر افتتاح المعبد وتكريسه للمعبود الذى أنشئ للمعبود الذى أنشئ من أجله .[٢]

فى عصر ما قبل الأسرات :

مـن نقـوش بداية الأسرات على البطاقات من الخشب والعاج ، نعرف أنه كانـت هناك هياكل صغيرة تبنى من أعواد مضفورة من النباتات من البوص والغاب وجذوع الأشجار . ويتميز الهيكل بارتفاع جداريه وبسطحه المقبى . وكانت تتقدم هذه الهـياكل أو المقاصـير أو دور العبادة البسيطة صاريتان مرتفعتان ذوات أعلام ، ثم قاعـة مستطيلة بها رمزان مرتفعان لمعبود المعبد ، وفى نهاية مقصورة المعبود من العناصر النباتية . ولابد أن منها ما كان يشيد بالطوب اللبن .

---

(١) عثر على ودائع الأساس الخاصة بالملكة تا اوسرت فى معابدها الجنائزى فى الـبر الغربى بطيبة ، عثر عليها بترى عام ١٨٩٦ ، وهى من الأسرة التاسعة عشـرة وتتكون من ادوات من القيشانى والنحاس والخشب ، وهى معروضة الآن بالمـتحف المصـرى ، راجع : Saleh-Sourouzian, op.cit., no. 224.

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ – ٢٥١ .

فى عصر بداية الأسرات :

كشف فى أبيدوس عن أطلال معبد من عصر بداية الأسرات للمعبود خنتى امنـــتى ، معـــبود الغرب ومعبود الموتى . وكان يتألف من ردهتين متتاليتين . وفى حوليات حجر بالرمو نقرأ أن الملك خع سخموى شيد معبدا من الحجر . وقد عثر له فى هيراقونبوليس على عتب باب ، يدل على تأسيس معبد هناك . ومن هنا نرى أن المصريين بدأوا يستخدمون الحجر فى بناء جدران المعابد .

فى عصر الدولة القديمة :

شـــيد أغلب ملوك الأسرة الخامسة المعابد للمعبود رع ، فى ابو صير وكان المعـــبد يشـــغل مساحة طولها ١١٠ من الامتار وعرضها ٨٠ مترا يحيط بها جدار مـــرتفع ســـميك ، وتقوم فى مؤخرتها قاعدة ضخمة ترتفع لنحو عشرين مترا تعلوها سلســـلة كبيرة ، وكانت المسلة ترتفع فى الفضاء لنحو ستة وثلاثين مترا وأمام قاعدة المسلة مائدة قربان ضخمة ، تتألف من خمس قطع من المرمر المصرى . وكان على اليميـــن مذبـــح يتصل بعشرة أوان كبيرة من المرمر المصرى ، وكانت تجرى إليها دماء ما يضحى به من حيوانات .(١)

فى العصر الوسيط الأول :

كشـــف فى مدامود ، شمالى الأقصر ، عن بقايا معبد للمعبود أوزير ، كان يـــتألف مـــن صرح يؤدى إلى فناء فى كل من جنوبه وغربه مدخل يؤدى إلى دهليز

---

(١) د. أنـــور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٨ – ١٧١ شكل ٥٣أ–ب ، ٥٥ ، ٥٧ – ٥٨ ، ص ١٧٣ ؛ ألفـــه نخـــبة مـــن العلمـــاء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٢٧ شكل ٦٨ ، ص ٣٢٨ .

ضيق متعرج بسقف مقبى ، وينتهى إلى مقصورة صغيرة .

فى عصر الدولة الوسطى :

اعتبر ملوك الدولة من كبار البناه ، وأقاموا العديد من معابد المعبودات فى كثـــير من أنحاء البلاد ، غير أنه لم يبق منهم سوى آثار قليلة وذلك لأن معظمها هدم فــى عصر الهكسوس . فنجد أنهم شيدوا المعابد لآمون رع فى طيبة ، وأصبح معبد الكرنك مركزا هاما لعبادة آمون وكذلك معبد الأقصر .(١)

ولا تــزال مســلة المطــرية تشهد بما أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة من منشآت فى معبد الشمس فى ايونو . وهى إحدى مسلتين أقامهما سنوسرت الأول وهى مــن حجر الجرانيت الوردى ويبلغ طولها أكثر من عشرين مترا وتزن ١٢١ طنا . وفــى مديــنة ماضى فى جنوب غرب الفيوم شيد أمنمحات الثالث وأمنمحات الرابع معبدا صغيرا لمعبودة الحصاد رننوت والمعبود سوبك والمعبود حورس . وكان يتقدم المعبد فيما يظن صرح وفناء ، ويتألف ما بقى منه من صفة ذات أسطونين فى هيئة حزمة بردى .

فى عصر الدولة الحديثة :

كــان المعبد فى الدولة الحديثة يبنى عادة بحجر رملى كبير ، على أن من المعــابد ما بنى كله أو بعضه بحجر جيرى . ويتألف من صرح وفناء وبهو اساطين ومقصــورة أو قــدس أقداس فى نهاية المعبد ، وكل منها أكبر مساحة مما يليه وذلك

(١) عن الجزء الخاص بمعبد آمون من عصر الدولة الوسطى فى الكرنك ، راجع :
Jequier, BIFAO 7(1910), p. 87-88; Barguet, BIFAO 52 (1953), p. 145-155; Daumas, BIFAO 65 (1967), p. 227-230.

عــدا قاعــات أخرى جانبيه . ومن المعابد ما له فناءان ، ومنها ما له أكثر من بهو اساطين ، ومنها ما له أكثر من مقصورة واحدة .

وتحلــى السطوح الخارجية للمعبد ، وكذلك السطوح الداخلية للأفنية صور ومــناظر فى حجم كبير وفى نقش غائر وبألوان بهيجة تخلد أعمال الملك الحربية ، ومواكب الأعياد العظيمة وتخلد الصور على جدران القاعات الداخلية الشعائر الدينية الــتى كانــت تؤدى فى المعبد ، وكان يعتقد أن الملك وحده هو الذى يحق له أداؤها للمعــبودات ، ولذلــك تمــثله الصور وحده وهو يقدم القربان للمعبودات ويؤدى لها الشعائر ويتلقى منها النعم والأفضال والدعم والتأييد .(١)

ويحــيط بالمعــبد ســور ضخم من اللبن ، كان يضم أيضا مساكن الكهنة والموظفيــن ، ومكاتــب إدارة المعــبد ، ومخــازن مخــتلفة ، ومصانع ، ومخبز ، وحدائق ، وبحيرة مقدسة ، تغذيها مياه الرشح من النيل ، ثم مدرسة ومكتبة فى بعض الأحيان .

ومــن أهــم أمثلة المعابد من هذا الطراز معبد الأقصر الذى شيده أمنحتب الثالــث وخصصــه لعــبادة ثــالوث طيبة الذى يتألف من آمون رع وموت وابنهما خونســو . وأضفت إليه إضافات فى عهد رمسيس الثانى وفى العصر البطلمى وعند دخول المسيحية .

ويــتقدم الفــناء صــرح عظيم تكتنف مدخله ستة تماثيل ضخمة لرمسيس الــثانى ، اثــنان مــنها على يمين ويسار المدخل من جرانيت أسود يمثلانه جالسا ، والأربعة الأخرى من جرانيت وردى تمثله واقفا . ومن أمامها مسلة شاهقة من حجر الجرانيت الوردى ، تحلى أختها الآن ميدان الوفاق فى باريس . وكان يصل بين معبد الأقصــر ومعبد الكرنك طريق طويل مرصوف يحفه صفان من تماثيل ضخمة يمثل بعضها أسدا برأس إنسان وبعضها الآخر أسدا برأس كبش وكان يوجد على جانب كل

---

(١) د. أنــور شــكرى : المــرجع السابق ، ص ١٧٥ – ١٧٨ شكل ٦٠ – ٦١ ، ص ١٩٢ – ١٩٨ .

صـــف حوالى خمسمائة تمثال ضخم ، أى أنه كان هناك ألف تمثال من هذا النوع [١] ويعد هذا الطريق من أجمل التحف الفنية نظرا لطوله وسعته . ومن أمثلة هذا الطراز مـــن المعابد : معبد عمدا فى بلاد النوبة . وقد أقامه تحوتمس الثالث وأمنحتب الثانى لعبادة آمون رع ورع حور آختى .

معبد آمون أمنحتب الثالث فى صولب شمال الجندل الثالث ، وكان من أكبر المعابد المصرية فى بلاد النوبة .

معـــبد خونسو فى الكرنك ، وقد بدأ بناءه رمسيس الثالث ، وأتمه حريحور أول ملوك الأسرة الحادية والعشرين .

معبدى آتون ، اللذين أقامهما إخناتون فى تل العمارنة ، وقد تهدما على أنه يبدو من آثارهما وصورهما على جدران بعض المقابر أنهما من طراز جديد .

الكـــرنك يعـــد معبد آمون فى الكرنك من أعظم المعابد . وكان فى الدولة الوسطى معبد صغيرا ، وزادت أهميته فى الدولة الحديثة [٢] وهو من أجمل المعابد . ويعد معبد آمون رع فى الكرنك اعظم معبد فى العالم ، وعندما ازداد شأن آمون رع فـــى الدولـــة الحديـــثة ، أصبح معبده فى الكرنك يملك الأوقاف والأراضى الواسعة والحدائـــق والمخابز والمصانع المختلفة ، والمخازن المختلفة ، وبحيرة مقدسة تغذيها مـــياه الرشـــح مـــن النـــيل ، ثـــم مدرسة ومكتبة ، وله السفن تنقل منتجات حقوله ومصـــنوعاته ، وامتلأت خزانته بالذهب والفضة والهدايا ، وشونة بالغلال وحظائره بالماشية . [٣]

وكـــان يحـــيط بمعبد الكرنك سور ضخم من اللبن ، وكان طول هذا السور

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ – ٢٠٩ ، شكل ٧٣ – ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١١ شكل ٨٠

٢٢٦٠ متــرا وســمكه ١٢ متــرا [١] ، كان يضم أيضا مساكن الكهنة والموظفين ، ومكاتــب إدارة المعــبد ، ومختلف الأقسام ، وكان كل ملك من ملوك مصر القدماء يضــيف إلـى معبد الأقصر والكرنك وينافس في البنيان من سبقه ، دليلا على القوة والسلطان والتقوى والورع ، واشترك أكثر من ملك في إضافة صرح أو صرحين أو أقام مسلة أو أكثر أو أضاف فناءا أو مقصورة :

الصـرح الأول : لم تتم زخرفته ، ربما يرجع تاريخ بداية تشييده إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين أو الثلاثين [٢] ثم أكمل بناؤه بعض الملوك البطالمة الذين تركوه بدون نقوش أو زخرفة .

الصـرح الثاني : شيده الملك حور محب وأكمله رمسيس الأول وسجل عليه رمسيس الـثاني اسمه . وأضيفت إليه بعض الإضافات في عصر بطلميوس الثامن .[٣]

الصرح الثالث : شيده امنحتب الثالث وهو الذى أمر بهدم كل المباني التى استخدمت أحجارها كحشو له من عصور سابقة منها أحجار المقصورة البيضاء للملـك سنوســرت الأول ومقصــورة مــن المرمر للملك امنحتب الأول .[٤]

الصرحين الرابع والخامس : شيدهما تحوتمس الأول .

الصرحين السادس والسابع : شيدهما تحوتمس الثالث .

الصرحين الثامن : يرجع تشييده إلى فترة حكم حاتشبسوت وتحوتمس الثالث ورممه

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ حاشية (١) .

(٢) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London 1958, p. 90-92.

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة في مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥١ - ١٥٤ .

الملك سيتى الأول بعد ذلك .[١]

الصرحين التاسع والعاشر : شيدهما حور محب .

وكان معبد الكرنك يضم فى أماكن مختلفة منه عددا كبيرا من المسلات [٢] لم يبق منها قائما فى مكانه غير مسلتين إحداهما لتحوتمس الأول وأخرى لحاتشبسوت وشيد تحوتمس الثالث فى الكرنك صالة الأعياد الكبرى .

معبد سيتى الأول فى ابيدوس ، شيده سيتى الأول وأكمله أبنه رمسيس الثانى وهناك نص يبين اهتمام رمسيس الثالث برعاية الحدائق والمشاتل داخل أسوار بعض المعابد فى طيبة وايونو .[٣]

وكـــان يوجد داخل المعابد آبار للحصول على المياه وقد وجدت أربع آبار علـــى الأقـــل داخل أسوار معبد تانيس بنيت بالحجر بعناية تامة . وكان النزول إليها بواســـطة ســـلم مســـتقيم مســـقوف تبلغ درجاته ثلاثا وعشرين درجة يؤدى إلى سلم

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٢) قام د. محمد عبد القادر فى مؤلفه : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، ص ٧٨ بحصـــر عدد هذه المسلات من الأسرة الثامنة عشرة (عصر تحوتمس الأول) حـــتى الأســـرة الخامسة والعشرين (عثر على أجزاء من مسلة من هذا العصـــر فى الفناء الذى يقع بين الصرحين الثامن والتاسع) فوجد أن عددها يبلغ أربع وعشرين وقام فى ص ٨٠ – ٨٨ بحصر عدد المسلات التى عثر عليها فى أرض مصـــر ويـــربو عددهـــا على ثلثمائة مسلة من الحجم الكبير أو المتوسط وأماكـــن توزيعها فى العالم (وهى حوالى سبع وثلاثين مسلة) ويعطى فى ص ٨٩ بـــيان بارتفـــاع بعد هذه المسلات بالمتر وأوزانها بالطن . وأعلى مسلة هى مسلة أسوان غير الكاملة ٤١,٧٥ مترا ويبلغ وزنها ١١٦٨ طنا .

(٣) بيـــير مونتـــيه : الحـــياة اليومـــية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ١٩٦٥ ، ص ٢٠ – ٢١ .

حلزونى داخل البئر عدد درجاته اثنتا عشرة درجة . [١]

فى العصر المتأخر :

هـناك مجموعة كبيرة من المعابد ترجع إلى العصر المتأخر : معبد هيبس فى الواحات لعبادة آمون ، الذى بدأ فى تشييده امازيس وأتمه الملك دارا الأول . وقد زينـت جدرانه بمناظر دارا يقدم القرابين لآمون وموت وخونسو [٢] . وقد أتم نقوشه ملـوك الأسـرتين التاسـعة والعشـرين والثلاثين وبعض ملوك البطالمة والأباطرة الرومان .

يجـئ بعد ذلك معابد العصر البطلمى والرومانى والتى تأثر بعضها بطراز المعابد فى الدولة الحديثة ، ومن هذه المعابد الهامة :

معـبد أدفـو لعبادة حورس ، وهو من أكمل المعابد المصرية فى العصور المتأخرة ، ويبلغ طوله ١٣٧ مترا وارتفاع الصرح ٣٦ مترا ، واستغرق بناؤه ١٨٠ عاما وبدئ فى بنائه فى عهد بطلميوس الثالث (يورجيتس الأول) الذى وضع أساسه فى ٢٣ أغسطس عام ٢٣٧ ق.م .

وعن مراحل تشييد معبد أدفو نجد ما يلى :

١- فى ٢٣ أغسطس من عام ٢٣٧ ق.م الذى يوافق العام العاشر من حكم بطلميوس الثالث (يورجيتس الأول) شيد الجزء الأول من الناووس أى قدس الأقداس .

٢- فى ١٧ أغسطس من عام ٢١٢ ق.م الذى يوافق العام العاشر من حكم بطلميوس الرابع (فيلوباتور) تم تشييد الجزء الثانى من هذا الناووس .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) د. رمضـان عـبده : تـاريخ مصـر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ١٩٩٧ ، ص ٤٥٠ – ٤٥١ ، حاشية (٢) .

٣- فى عامى ٢٠٧ – ٢٠٦ ق.م تمت زينة الناووس فى العام السادس عشر من حكم هذا الملك .

٤- فـــى أعوام ٢٠٦ و ١٨٧ – ١٨٦ ق.م التى توافق العام السادس عشر من حكم بطلمــيوس الرابع والعام التاسع عشر من حكم بطلميوس الخامس قامت ثورة فى طيـــبة وتوقفت أعمال التشييد فى المعبد حتى قضى عليها بطلميوس الخامس فى العام التاسع عشر من حكمه وقضى على الفوضى فى البلاد .

٥- فـــى ٣ فبراير من عام ١٧٦ ق.م الذى يوافق العام الخامس من حكم بطلميوس السادس (فيلومتور) تم وضع الأبواب الكبرى .

٦- فـــى عـــامى ١٥٢ – ١٥١ ق.م الـــذى يوافق العام الثلاثين من حكم بطلميوس السادس استكمال الأعمال بحفر النقوش وتلوين المناظر .

٧- مـــن ١٠ سبتمبر من عام ١٤٢ ق.م الذى يوافق العام الثامن والعشرين من حكم بطلميوس الثامن (يورجيتس الثانى) تم تكريس او تخصيص المعبد .

٨- فـــى ٢ يولـــيو من عام ١٤٠ ق.م الذى يوافق العام الثلاثين من حكم بطلميوس الثامـــن تـــم وضع أساس المبانى التى أمام الناووس أى بهو الأساطين والأجزاء الأخرى .

٩- فـــى ٥ سبتمبر من عام ١٢٤ ق.م الذى يوافق العام السادس والأربعين من حكم بطلميوس الثامن تمت الأعمال فى المبانى التى أمام الناووس .

١٠- فـــى أعوام ١٢٣ – ١٢٢ و ١١٦ ق.م الى توافق الأعوام الثامن والأربعين إلى الرابع والخمسين من حكم بطلميوس الثامن تمت زينة المبانى أمام الناووس .

١١- فـــى ٢٨ يونـــيه من عام ١١٦ ق.م الذى يوافق العام الرابع والخمسين من حكم بطلميوس الثامن وتوفى الملك بعد إتمام الأجزاء الأخيرة من المعبد .

١٢- تشـــييد مظلة فوق سقف المعبد ، والزينة باسم بطلميوس الثامن وكليوباترا الثانية .

١٣- تشييد السلم المؤدى إلى مكان صناعة الذهب ، باسم بطلميوس الثامن .

١٤- فـــى ٧ فــبراير من عام ٧٠ ق.م الذى يوافق العام الحادى عشر من حكم بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس) .

١٥- فـــى ٥ ســبتمبر من عام ٥٧ ق.م الذى يوافق العام الخامس والعشرين من حكم بطلميوس الثانى عشر نهاية أعمال الزينة ووضع الأبواب فى أماكنها .

١٦- زيـــنة الصـــرح ، وضع أساسه بطلميوس الثامن فى العام ١١٦ ق.م وكل الجدران تحمل اسم بطلميوس الثانى عشر .

١٧- المامـــيزى ، مـــن عصر بطلميوس الرابع والثامن وأكلمه بطلميوس التاسع (سوتر الثانى) .(١)

معـــبد دنـــدرة لعبادة حتحور ، وقد بدأ فيه الملك نختنبو الأول وزينه أوائل البطالمة وأضاف إليه بطلميوس الخامس عشر وكليوباترا السابعة .

معـــبد اسنا لعبادة خنوم ونيت الذى شيد فى عصر الدولة الحديثة ورمم فى الأسرة السادسة والعشرين . ثم أعيد تشييده فى عهد الملك بطلميوس السادس والثامن وأضـــيف إلـــيه فـــى العصر الرومانى بهو الأعمدة الضخم ،وهو من أيام الأباطرة كلوديوس وفسباسيان .

معـــبد فيله لعبادة خنوم وإيزيس ومعبودات أخرى – بناه فى الأصل نختنبو الأول لعـــبادة حـــتحور وإيزيس ولكن الأساس يرجع إلى عهد طهرقا ، وفى الطرف الجـــنوبى فـــى الرواق الشرقى معبد صغير للمعبود ارسينوفيس ، يرجع إلى العصر البطلمى ، وفى طرفه الشمالى معبد آخر صغير لعبادة ايموحتب ، ويلى الفناء المعبد الكبير الذى بدأ ببناء بوابته بطلميوس الثانى فيلادلفوس وذلك لعبادة إيزيس . وأكمله

---

(١) C. De wit, CdE 36 (1961), p. 56-97; Cauville-Devauchelle, RdE 35 (1984), p. 32-44 (1-17). حيـــث نجـــد فى هذا المقال تطور هذه المـــراحل بـــتواريخها . ونشـــر : Egbrets, RdE 38 (1987), p. 55-61. ملاحظـــات عما جاء فى مقال Cauville-Devauchelle وخاصة فى مساهمة بطلميوس التاسع والعاشر فى تكملة المعبد .

مــن جاء بعده من الملوك البطالمة ، ويحتل الجانب الغربى منه المعبد الصغير الذى يعرف باسم معبد بيت الولاة " الماميزى " وإلى الشرق من المعبد مجموعة من الأبنية أهمهــا مقياس النيل ، وفى الجنوب الشرقى للجزيرة شيدت المقصورة المعروفة باسم كشك تراجان .(١)

وفـــى جزيـــرة الفنتين بقايا معبد لامنحتب الثالث وأكمله تحوتمس الثالث ، ومــن المعـــابد البطلمية والرومانية أيضا معبد كوم أمبو لعبادة سبك الذى كان أصلا بوابة من عصر الأسرة الثامنة عشرة . وأول من عمل بهذا المعبد بطلميوس السادس والثانى عشر . وكذلك معابد كلابشة ، معبد أوبت ، معبد دوش ، معبد مدامود ، معبد قصر العجوز .

(٢) معابد الولادة (أو المايزى) :

ســجل علـــى جدران بعض المعابد من عصر الدولة الحديثة حتى العصر الــبطلمى – الرومانى مناظر تمثل الميلاد المقدس للملك الحاكم : مثل مناظر الميلاد المقــدس للملكـــة حاتشبسوت ، التى تمثل هذا الميلاد على عدة مراحل على جدران معــبد الدير البحرى ، وكذلك مناظر تمثيل الميلاد المقدس لأمنحتب الثالث فى معبد الأقصـــر . وهـــناك بعض الإشارات إلى الميلاد المقدس للملك رمسيس الثانى نجدها علـــى كـــتلة حجـــرية عثر عليها فى معبد مدينة هابو ، وأيضا فى نقوش المقصورة الشـــمالية لفـــناء رمسيس الثانى فى معبد الأقصر ، ونقوش المقصورة التى تقع إلى الجـــنوب مـــن معبد أبو سمبل ، والحجرات الجنوبية لمعبد حتحور فى دير المدينة ، والمعـــبد الـــذى يقع شمال شرق الحائط الخارجى لمعبد موت فى الكرنك من عصر رمسيس الثانى ، حيث نجد هذه الإشارة فى نقوش الفناء الأول والحائط الشمالى .

---

(١) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 72. 74, 81, 112 .

ونجـد هذه المناظر فى العصر الفارسى فى معبد هيبس بالخارجة (القاعة ل ، الجـدار الغربى الجنوبى) .[١] كما أننا نجد هذه النوعية من المناظر فى عصر الملـك نختنـبو الأول فـى الأسـرة الثلاثيـن ولكنها كثرت فى العصر البطلمى – الـرومانى ، محاولـة مـن الملـوك الـبطالمة والرومان بأنهم من نسل المعبودات المصرية ، ونجد هذه المناظر موزعة كالآتى :

- ماميزى معبد (دندرة من عصر نختنبو الأول والعصر الرومانى)
- ماميزى معبد فيله (الصرح الأول ، معبد حتحور)
- ماميزى معبد كوم أمبو (بطلميوس السابع)
- ماميزى معبد أدفو (بطلميوس السابع)
- ماميزى معبد ارمنت (بطلميوس الحادى عشر)
- ماميزى معبد كلابشه (العصر الرومانى)[٢]

كما أن هناك معابد صغيرة مثل :

- المعـبد الـذى ولدت فيه إيزيس من أمها نوت ويقع إلى غرب معبد حتحور فى دندرة
- ماميزى الكاب من عصر لاحق لنختنبو الأول .[٣]
- المعبد الذى ولد فيه أوزير من أمه ابيت بالكرنك
- ماميزى حور بارع بطول معبد مونتو بالكرنك
- ماميزى فى مواجهة سوهاج (بطلميوس – قيصر)

---

(١) Daumas, les Mammisis des temples Égyptiens, p. 29, 41, 43 – 45, 61 .

(٢) Id., op . cit., p. 22, 60, 81, 87, 91 – 92, 97-98, 117

(٣) Id., op. cit., p. 29 , 54 – 56, 59 .

- معابد ماميزى اختفت مثل ماميزى اسنا وقفط [١].

(٣) المعابد الصخرية :

من ملوك الدولة الحديثة من حفر فى الصخر فى بلاد النوبة أكثر من معبد ومن هذه المعابد :

معـــبد أبـــو عـــوده ، وهـــو معبد صغير للملك حور محب شيده آمون رع وتحوتى ، كان يقع فى الشاطئ الشرقى للنيل ، جنوبى معبدى أبو سمبل بقليل . وفى العصـــر المسيحى تحول المعبد إلى كنيسة ، ولم يتيسر نقل هذا المعبد بكامله واكتفى بإنقاذ أهم أجزائه المنقوشة . وشيد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة خمسة معابد :

معـــبد بيت الوالي ، وقد نقل إلى جنوبى السد العالى مباشرة ، وكان لعبادة آمون رع وخنوم وعنقت .

جـــرف حســـين ، لـــم يـــنقذ بأكلمه ، واكتفى بإنقاذ بعض أجزائه ، وكان مخصصا لعبادة المعبود بتاح . وكان بعضه مبنيا وبعضه محفورا فى الصخر .

وادي الســـبوع ، نقل من مكانه إلى مكان منرتفع خلف مكانه القديم جنوبى أســـوان ، وكـــان لعـــبادة آمون رع ورع حور آختى ورمسيس الثانى . ويشبه فى تخطيطه كثيرا معبد جرف حسين .

معبد الدر : يبعد عن أسوان بنحو ٢٠٠ كيلو مترا ، وقد خصصه رمسيس لعبادة بتاح وآمون رع ورمسيس مؤله ورع حور آختى . [٢]

معبدي أبو سمبل : جنوب أسوان بنحو ٢٨٠ كيلو مترا ، وقد نقلا إلى مكان وتقـــع خلف مكانهما الأصلى بنحو ٢٠٠ مترا . وهما من أجمل المعابد الصخرية . نحـــتهما رمسيس الثانى فى جبل مرتفع من الحجر الرملى . وخصص المعبد الكبير

---

(١) Id., op. cit., p. 60 .
(٢) د. أنـــور شـــكرى : المـــرجع السابق ، ص ٢٠٩ – ٢٢٧ شكل ٨٠ – ٨٥ ، ص ٢٣٠ – ٢٤١ شكل ٨٩ ، ٩٢ –٩٣ ، ٩٥ – ٩٧ .

لعبادة بتاح آمون ورع ورمسيس ورع حور آختي . وخصص المعبد الصغير لعبادة حتحور . [١]

وهناك معابد أقل حجما منحوتة في الصخر في أماكن أخرى في مصر مثل المعـبد المـنحوت فـي الصخر جنوبي مقابر بني حسن على الضفة الشرقية للنيل (إصطبل عنتر) ويرجع تاريخه إلى عهد حاتشبسوت وتحوتمس الثالث وقام بترميمه الملـك سـيتي الأول وتحطمت نقوشه أيام ثورة إخناتون الدينية ، وأهم نقش فيه ذلك الـنقش الـذى تـتحدث فيه حاتشبسوت عن الهكسوس وتخريبهم للبلاد . وفي داخله مـناظر مـتعددة تمثل تقديم القرابين للمعبودات وأهمها بخت ، وقد قارنها اليونانيون بالمعبودة ارتيمس ، وسموا هذا المعبد " سبيوس ارتميدوس " أى كهف ارتيمس [٢] .

وهـياكل ابريم من عصر حور محب ، ومعبد سيتي الأول في وادى عباد شرقي أدفو .[٣]

(٤) المقاصير :

مـن المقاصـير الجميلة مقصورة صغيرة أقامها تحوتمس الثالث للمعبودة حـتحور فـي غربي طيبة جنوبي معبد الدير البحرى ، تحلى جدرانها صور ملونة بديعـة ، وسـقفها قبو تحليه نجوم صفراء في قاعدة بلون أزرق . وقد أقام فيها ابنه أمنحتـب الثاني تمثالا للمعبودة يمثلها في شكل بقرة بحجم طبيعي وبين قرنيها قرص الشمس ، وكأنها تخرج من غيضة بردى .[٤]

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤١ – ٢٤٧ شكل ٩٨ – ١٠١ .

(٢) تـاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٩٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ شكل ٩٠ – ٩١ .

(٤) المـرجع السـابق ، ص ١٩١ ، ص ٤٨٠ صـورة ١٩ ؛ وأيضا : Saleh-Sourouzian, op. cit., p. no. 138.

وفى معبد الكرنك ومدينة هابو مقاصير شيدتها العابدات المقدسات لآمون أو الحرم المقدس لآمون من العصر المتأخر .[١]

(٥) جواسق اليوبيل :

يـــرجع بـــناء جوسق اليوبيل الملكى إلى الأسرة الأولى على الأقل ، إذ من نقـــوش الملـــك نعرمـــر ما يمثله جالسا بتاج الوجه البحرى فى جوسق فوق منصة عالية . وهناك منصة جسر فى الطرف الجنوبى من فناء معبد اليوبيل فى مبانيه فى سقارة . وجوسق الملك بيبى الأول .

وفى الصرح الثالث فى الكرنك عثر على أحجار جوسق لسنوسرت الأول ، وقـــد أمكن إعادة بنائه . وكشف فى مدامود فى اساس معبد من العصر البطلمى عن بقايا أساطين وأبواب وعتب من الحجر لمعبد أقامه فيما يظن سنوسرت الثالث بمناسبة يوبيله .

وفى طود ، جنوبى الأقصر ، كشف عن بعض أحجار معبد من عهد الأسرة الحاديـــة عشرة ، عليها نقوش تشير إلى أنه بنى بمناسبة الاحتفال بيوبيل أحد الملوك من الدولة الحديثة ، وأمكن جمع أحجار جوسق من المرمر للملك أمنحتب الأول من الصـــرح الثالـــث فى الكرنك . وهو يختلف فى طرازه عن طراز جوسق سنوسرت الأول ويشـــبه المقصـــورة فـــى كـــل مـــن معبدى طود ونجع المدامود . وجوسق حاتشبســـوت فى معبد مدينة هابو . وقد ادخل فيه تحوتمس الثالث بعض التعديلات ، على أن ذلك لم يغير من طرازه . [٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ – ١٨٦ شكل ٦٢ – ٦٥ ، ٦٧ ؛ ص ٢٨٠ شكل ١١٣ .

وفي بوهن أقامت حاتشبسوت جوسقا ، وفيما بين الصرحين السابع والثامن بالقـــرب مـــن البحيرة المقدسة فى الكرنك أقام تحوتمس الثالث بمناسبة يوبيله جوسقا صـــغيرا . وأقـــام أمنحتب الثانى بين صرحى الكرنك التاسع والعاشر بمناسبة يوبيله جوســـقا كان يؤدى إليه درجان متقابلان وتتقدمه صفة ذات اثنى عشر عمودا . وقد هدمه اخناتون ثم أعاد سيتى الأول بناءه لعبادة آمون .

وكان من أجمل المعابد المحاطة بالأعمدة ، جوسق شيده أمنحتب الثالث في جزيرة الفنتين ، ولكنه هدم فى القرن التاسع عشر . وعثر فى مقبرة ابوى على تمثيل لواجهة جوسق يتوجها الكورنيش المصرى [١] . وجوسق طهرقا فى الفناء الأول فى الكرنك ، وكان فى حقيقة الأمر جوسقا يستقر على قاعدة فى وسطه الزورق المقدس ابـــان الاحتفالات . وكان يتألف من صفين من الأساطين . وقد تهدمت ولم يبق منها غير اسطون واحد فى نهاية الصف الأيمن .[٢]

ثالثا – العمارة الجنائزية :

(١) المعابد الجنائزية :

كـــان هناك معابد جنائزية منذ عصر الدولتين القديمة والوسطى مثل معابد حونـــى وســـنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع وجدف رع وشبسسكاف وسركاف ونى اوســـر رع وتيتى وبيبى الثانى ومنتوحتب الثانى إلى الجنوب من معبد الدير البحرى وامنمحات الأول فى اللشت وسنوسرت الأول فى اللشت وأمنمحات الثانى فى دهشور وسنوســـرت الـــثانى فى اللاهون وسنوسرت الثالث فى دهشور وأمنمحات الثالث فى

---

(١) د. أنـــور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٩-١٨٦ شكل ٦٢-٦٥ ، ٦٧؛ ص ٢٨٠ شكل ١١٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٢٨-٢٢٩ ، ص ٤٨٧ صور ٢٧ .

هــواره [١] . تقع المعابد الجنائزية لملوك الدولة الحديثة على حافة الصحراء بالقرب مــن الحقول فى الغرب من طيبة ، وكان كل منها يقع بجانب الآخر فى صف طويل مــن الشمال الشرقى إلى الجنوبى الغربى فى مسافة طولها نحو ثلاثة كيلو مترات . وأقدمهــا معبد أمنحتب الأول الذى شيده فى مكان يقع بازاء معبد الكرنك . ثم استمر ملوك الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة يبنون معابدهم الجنائزية كل منها فــى جنوب الآخر . ولم تكن المعابد الجنائزية لعبادة من أنشأها فحسب ، وإنما منها مــا خصصــت فيه مقصورة أو أكثر لعبادة روح ملك سابق ، كما أنه كان يعبد فيها جمــيعا معبود الدولة وملك المعبودات آمون رع وبعض المعبودات الكبرى وخاصة رع حور آختى واوزير وحتحور وأهم هذه المعابد :

معــبد تحوتمس الثانى فى البر الغربى ومعبد حاتشبسوت (الدير البحرى)
كان من أوائل المعابد الجنائزية فى الدولة الحديثة ، والذى شيده سنموت على طراز معبد منتوحتب الثانى ، على ثلاثة مسطحات كبيرة يعلو أحدها الآخر ويليه ، واستبعد مــنه فكــرة الهــرم فجاء متناسقا . وألحقت أجزاء المعبد بهياكل للمعبود أنوبيس ، وللمعــبودة حــتحور ، وللمعبود رع حور آختى وللمعبود آمون مين ، ومقصورتان لــتحوتمس الأول وحاتشبسوت . وهكذا خصص المعبد لعبادة اكثر من معبود أيضا . ومعظم المعبد من الحجر الجيرى الجيد ، وتحلى جميع جدرانه نقوش دينية وتاريخية لا يزيد بروزها عن ملليمتر أو ملليمترين ، ومن أهمها ما يمثل نقل مسلتين فى النيل مــن أســوان إلى طيبة ، ومناظر البعثة التى أرسلتها الملكة إلى بلاد بونت فى العام التاســع من حكمها ، ومنها ما يصور الميلاد المقدس لحاتشبسوت وادعاءها إنها ابنة آمون رع ومن نسله .[٢]

ومعبد تحوتمس الثالث الجنائزى فى الشمال من الرمسيوم ، ومعبد أمنحتب الــثانى ومعــبد تحوتمــس الرابع فى جنوبه وقد تهدمت ولم يبق منها غير آثار قليلة

---

(١) Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 6-193.

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ – ٤١٥ شكل ١٨٣ .

تــدل علــيها . ومــنها يتضـــح أن كل منها كان على ثلاثة مسطحات يتلو كل منها الآخر[١] وكان معبد أمنحتب الثالث من أعظم المعابد الجنائزية وأفخمها ، بيد أنه تهدم ولــم يبق منه قائما فى مكانه غير تمثالين ضخمين من حجر الكوارتزيت ، كانا أمام الصرح ، ويمثلانه جالسا بارتفاع اكثر من عشرين مترا ، ويزن كل منهما أكثر من ســبعمائة طــن . وما من ريب فى أن قطع هذين التمثالين من محجرهما فى الجبل الأحمــر ، ونحتها بأدوات بسيطة ، ونقلهما مسافة تزيد على ٤٣٥ ميلا إلى طيبة ، واقامــتهما أمــام المعبد ، ما يدل على قدرة فائقة ومهارة ممتازة . وقد منح أمنحتب الثالث مهندسه أمنحتب بن حابو امتيازا لم يمنح لغيره فقد سمح له بان يبنى لنفسه فى الغــرب من معبد مليكه الجنائزى معبدا من اللبن والحجر[٢] وكان يتألف من صرح وفــناء كبير مستطيل. وكان هناك صرح ثانى ، يؤدى مدخله إلى فناء ثان صغير . وفــى مؤخــرة المعــبد ردهة وثلاث مقصورات .[٣] وكان هناك معبد جنائزى لآى وحــور محب وكان لسيتى الأول معبد صغير فى الشمال من الرمسيوم ، بناه قبل أن يبــنى معــبده الجــنائزى فــى القرنة ، وفى هذا المعبد الثانى شيدت ثلاث مقاصير خصصت لعبادة رمسيس الأول وآمون رع وسيتى الأول .

شــيد رمســيس الثانى معبده الجنائزى " الرمسيوم " بحذاء المعبد الصغير لسيتى الأول وكان يحيط به سور ضخم من اللبن طوله ٢٦٠ مترا تقريبا ، وعرضه نحــو ١٧٠ مترا ، ويغلب على الظن انه كانت تتقدمه شرفة تطل على مرسى على قــناة تتصل بالنيل ، ثم بوابة ضخمة تؤدى إلى فناء فسيح أمام الصرح الأول المهدم الآن . وكان الصرح بناء ضخما عرضه نحو سبعين مترا ، وتحلى واجهته الداخلية مــناظر موقعــة قــادش الشهيرة . والصرح الثانى أصغر قليلا من الصرح الأول ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٦ – ٤١٧ .

(٢) Robichon – Varille, le Temple du Scribe Royal Amenhotep fils de Hapou, le Caire 1936 .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ – ٤٤٣٦ شكل ١٩٩ .

وتحلـــي واجهته الداخلية مناظر قتال مع الحيثيين ، ومشاهد مختلفة من عيد المعبود ميـــن . وقد شاع طراز الأعمدة الأوزيرية في عهد الرعامسة في الأفنية المكشوفة ، الـــتى نجدها هنا فى الرواق الأمامى والخلفى . وتحيط بالمعبد دهاليز ومخازن عديدة مـــن اللبـــن بســـقوف مقبية ، كانت مخازن للحبوب والزيوت ولقدور النبيذ والجعة والثياب والجلود وغيرها مما كان يحتاج إليه فى تقديم القرابين .(١) وكان هناك معبد لمرنبـــتاح فـــى البر الغربى . ومعبد رمسيس الثالث الجنائزى ، مدينة هابو ، وهو أكبر ما حفظ من المعابد الجنائزية ، كما أنه المعبد الوحيد المحصن ، وتبلغ مساحته نحـــو ٦٤ ألـــف مـــتر مربع وقد شيد على مرتين ، ثم فى الفترة الأولى بناء المعبد وملحقاتـــه والســـور الداخلـــى ، وفى الفترة الثانية تم بناء السور الخارجى ببوابتيه الضـــخمتين المحصـــنتين فـــى الشـــرق والغرب ، ومساكن الكهنة والموظفين بين الســـوريين فـــى الشـــمال والجنوب ، والمرسى أمام البوابة الشرقية . وتسجل نقوش جدران الفناء الثانى حروب رمسيس مع الليبيين وشعوب البحر فى السنوات الخامسة والثامـــنة والحاديـــة عشرة من حكمه . وبعض المناظر الدينية ، ومنها موكب أعياد المعـــبود مين . ويلى الفناء الثانى ثلاثة أبهاء ذات أساطين ومن ورائها جميعا قدس الأقـــداس ، كان يودع فيه قارب آمون المقدس . ومنها ما كان هياكل لعبادة رمسيس الـــثانى ورمســـيس الثالـــث واوزير وبتاح ورع حور آختي ومونتو وبتاح – سوكر وتحوتـــي ، وتـــزدان سطوح الصرح الثانى من الخارج ومن الداخل بمناظر حروب رمســـيس الثالث مع الليبيين وشعوب البحر ، ومنها ما يصور صيد الثيران البرية ، وزينـــت الجدران الداخلية للفناء الثانى بمناظر الأعياد التى كان يحتفى بها سنويا فى المعبد بمتوسط عيد كل ثلاثة أيام ، ومنها عيد التتويج وكان يستغرق عشرين يوما ، وكلها نقوش غائرة على نحو نقوش معظم المعابد فى عصر الرعامسة . وكان هناك معابد لرمسيس الأول وسيتى الأول ورمسيس الثانى فى أبيدوس .(٢)

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٧ – ٤٢٢ شكل ١٨٤ .

(٢) Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 664 – 782 .

(٢) سراديب مومياوات الحيوانات والطيور المقدسة :

لـم تقتصـر بـراعة المعمارى المصرى القديم على ما أنجزه من عمائر متـنوعة فـوق سطح الأرض ولكنه برع أيضا فى حفر وإعداد سراديب تحت سطح الأرض على بعد مسافات متعددة وبأعماق مختلفة فى باطن الأرض . فلدينا سراديب سـرابيوم سقارة الذى يحوى مقابر العجل " أبيس " المنحوتة فى الصخر على جانبى دهاليز ، وكانت كل مقبرة منها عبارة عن حجرة مستطيلة تتسع للتابوت الضخم الذى يـبلغ طوله حوالى ١٣ قدما وارتفاع حوالى ١١ قدما وعرضه حوالى ٧ أقدام ووزن الحجـر منه لا يقل عن ٥٦ طنا . وكانت تلك الحجرات تسد ببناء من الحجر عندما يتم وضع مومياء العجل فى التابوت الخاص به . وقد بدأت إقامة تلك المدافن بنحتها فى الصخر على جانبى دهليز طوله مائة ياردة من عصر الملك رمسيس الثانى ، ثم أقـيم دهليز آخر فى عهد بسماتيك الأول فى بداية الأسرة السادسة والعشرين . وفى عهـد الملك نختنبو الثانى فى الأسرة الثلاثين أقيم للمعبود أبيس معبد عظم شأنه بعد ذلـك فـى عصر البطالمة الذين جعلوا منه معبودا رسميا للمصريين واليونان على السـواء باسـم " سـرابيس " ، إذ هو يجمع بين أوزير والعجل ابيس . وقد صنعت توابيـت العجل أبيس من الحجر أيام الملك أمازيس حوالى سنة ٥٥٠ ق.م . وكانت تصنع من قبل ذلك من الخشب .(١)

وهـناك السـراديب المخصصـة لمومياوات الأبقار وأمهات العجل أبيس والصـقور المقدسة والتى اكتشفها امرى فى الشمال الغربى من سقارة عام ١٩٦٤(٢) وهناك السراديب الثلاثة التى اكتشفها الأثرى المصرى د. سامى جبره فى تونا الجبل والتى خصصت لمومياوات الطائر المقدس لتحوتى الأيبس ومومياوات البابون والتى

---

(١) Emery, JEA 56 (1970), p. 1-5; Id., in JEA 57 (1971), p. 9013.

(٢) موسـوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٣٢٦ .

اكتشفها فى الفترة من ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٨. [١] وعثر فى تونا الجبل على أربعة سراديب :

السرداب الأول كان مخصصا لدفن طائر الأيبس المقدس ، وتخطيطه عبارة عـن شـارع رئيسى يتجه من الشمال إلى الجنوب يتقاطع معه عند المنتصف شارع آخـر يـتجه مـن الشرق إلى الغرب ، وتوجد على جانبيه قاعات واسعة خصصت لاسـتقبال الزوار الذين يحضرون معهم طائر الأيبس المقدس المحنط لدفنه فى أوانى وربما كان يتقدم السرداب مذبح وهيكل .

أمـا السرداب الثانى فهو يمثل شبكة من الدهاليز تتقاطع مع بعضها البعض وتتفـتح علـيها من الجانبين حجرات ومشكاوات . ويتصل هذا السرداب بالسرداب الأول عن طريق فتحة فى أرضيته .

والسـرداب الثالـث كـان به كميات كبيرة من الآثار ومومياوات للبابون والأيبس . ويوجد فى هذا السرداب تصوير للملك بطلميوس الأول يتعبد إلى المعبود تحوتى فى صورة بابون .

أما السرداب الرابع فنصل إليه عن طريق السرداب الثالث عن طريق شارع طويل يبلغ طوله ١٢٠ مترا ، ويقع مدخل هذا السرداب فى اقصى الغرب . وفى هذا السرداب عثر على غرفة لدفن كبير كهنة تحوتى " عنخ حور " .[٢]

وتـدل بقايا الزخارف فى هذه السراديب على مدى العناية التى كانت تلقاها هـذه السـراديب وتلقـى الضوء على طراز خاص من العمارة الدينية المحفورة فى الصخر .[٣]

---

(١) R.el Sayed, Tounah el Gebel, Collogues Internationaux du CNRS no 595 (1982), p. 272 – 278 .

(٢) د. إبراهـيم سـعد : تونا الجبل ، درة فى صحراء دروه ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٩٩ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

وكل هذه السراديب وغيرها التى لم يكشف عنها معول الأثرى ، تبين مدى بــراعة المعمارى المصرى القديم فى حفر مثل هذه السراديب على أبعاد متفاوتة فى باطن الأرض لمسافات طويلة وممتدة فى اتجاهات متعددة(١) .

أهمية عمارة المقابر :

اهــتم المصريون القدماء بإعداد المقابر والاهتمام بتشييدها كبيت للأبدية ، منذ أقدم العصور . وذلك لحماية جثث موتاهم ، ومر طراز المقبرة بتطورات عديدة خلال العصور التاريخية الطويلة من مجرد حفرة بسيطة فى باطن إلى مقبرة متكاملة البــناء أو الحفر يحلى جدرانها النقوش والمناظر الدينية المختلفة . وأشرنا إلى أهمية وجــود المقبرة بالنسبة للمتوفى عند حديثنا عن الحياة الدينية ، وذلك رغبة منهم فى تهيئة سبل البعث والحياة بعد الموت . (٢)

(٣) مقابر الحكام والمقابر الملكية :

فى عصور ما قبل الأسرات :

كان المصريون يدفنون موتاهم فى أوائل العصر الحجرى الحديث فى حفر صَــغيرة غير عميقة ، بيضاوية أو مستدير الشكل بجوار مساكنهم أو بعيدا عنها فى

---

(١) الــن زيفــى : مقبرة عبريا ، كشف فى سقارة (ترجمة عماد عدلى) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٥ ، ص ٥٣ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٦ .

جـبانات مستقلة كما رأينا فى حضارة مرمدة بنى سلامة أو البدارى وغيرها . وكان المتوفى يوضع على جانبه فى وضع القرفصاء كالنائم الذى يضم فخذيه على بطنه ، وكان يلف فى حصير أو فراء ، أو يوضع فى وعاء من خوص ، ثم أصبح يدفن فى تابوت صغير من صلصال أو فخار أو خشب . (١)

وفى نهاية عصر ما قبل الأسرات ظهر الطوب اللبن فى البناء وتطور تبعا لذلك بناء المقبرة ، فلم تصبح حفرة بيضاوية أو مستطيلة تقليدا للمساكن ، بل تعد ذلك إلـى ما يسمى ببداية العمارة الحقيقية . فأصبحت الحفرة مكسوة من الداخل بالطوب الجـاف ، فمنها ما أصبح مستطيلا بجدران مستقيمة يغطيها الحصير ، ومنها ما كان يسقف بفروع الشجر ، ومنها ما كان له كوة فى نهايته يدفن فيها المتوفى ، ومنها ما كـان يقسم بحاجز من مضفور أعواد النبات ، إلى قسمين ، يخصص أحدهما للمتاع الجنائزى .

وبعد ذلك أعدت حجرات صغير على الجانبين كانت تستخدم كمخازن للمواد الغذائية والمتاع الجنائزى الذى اصبح أكثر غنا ، فقد عثر على أدوات للصيد وأدوات للزيـنة من أمشاط ودبابيس وعقود من خرز وأساور من العاج وصلايات من حجر الشسـت وأوانـى فخاريـة مختلفة الأحجام وأدوات أخرى منها سكاكين ومنال من الظران ورؤوس حراب وغيرها .

وقـد أتلفـت عوامـل الـتعرية الجزء الذى كان يعلو المقبرة فوق سطح الأرض ، ربما كان هناك مكان أعد ليقدم عنده أنواع القرابين للمتوفى . وفى البداية كان يوضع فوق سطح الأرض ركام من حصى وحجر كعلامة يسترشد بها عن مكان المقبرة .

وعـثر فـى هيراقونبوليس (الكوم الأحمر) على مقبرة لزعيم أو لحاكم ، وهـى تحـتوى على قاعتين ، وعلى جدرانها رسمت صور لستة مراكب فى صفين

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

تحيط بها صور مختلفة لأشخاص وحيوان ، وقد استخدام الفنان فيها عدة ألوان . (١)

فى عصر بداية الأسرات :

زاد الثراء المادى فى بداية الأسرات ، وما لاقاه البناؤون والصناع والعمال من تشجيع ملوكهم كان له أثر كبير فى التقدم فى بناء مقابر الملوك وكبار رجال الدولة (٢) . وهنا يجب أن نشير إلى الحفائر التى قام بها الفرنسى اميلينو والانجليزى بترى فى نهاية القرن الماضى فى ابيدوس فى منطقة تسمى أم الجعاب ، وهى التى جعلتنا نتعرف على جبانة ملكية من تلك الفترة . ويرى بعض العلماء أن الملوك الأوائل قد دفنوا هنا بالقرب من عاصمتهم ثينى التى لم يتعرف على مكانها حتى الآن ، ولكنها ليست بعيدة عن جرجا الحالية . وعثر كذلك على مقابر كبيرة فى سقارة من هذا العصر وهى تخص ملوك وكبار الشخصيات والوزراء . (٣)

وأجريت حفائر كذلك فى نقادة وهيراقونبوليس وحلوان (٤) ، وطرخان وغيرها وغيرها ، وأمام هذا العدد الكبير من المقابر كان لزاما علينا أن نتساءل كيف أن أشخاصا من الطبقة المتوسطة أصبحوا وزراء ؟ وهل مقابر أبيدوس مقابر فعلية أو رمزية ؟ وافترض بعضهم أن الجسد كان يدفن فى سقارة غرب منف ، على حين كانت الأحشاء توضع فى أوانى وتدفن فى أبيدوس . ومهما تكن صحة هذه

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ شكل ١٠١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧٢ ؛ Quibell, Hierakonpolis II p1. 75.

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦١ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٧٧ ؛ Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 57.

(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٧ – ٨ .

النظرية [١] ، فإن مقابر الملوك وكبار الشخصيات كانت تنقسم إلى جزءين :

أحدهمـــا تحت سطح الأرض خصص لوضع المتوفى ، والآخر فوق سطح الأرض أعـــد لاســتقبال الــزوار لــتأدية الطقوس الجنائزية ويشبه فى شكله شكل المصطبة . والمصطبة هو لفظ العمال المصريون أيام ماريت على المبنى المستطيل المصـــمت الـــذى يعلـــو مقابر الدولة القديمة للشبه بينه وبين مصاطب الفلاحين أمام بيوتهم فى القرى .[٢]

وفى أبيدوس نجد أن حالة الموقع كانت سيئة لذلك فإن الحفائر الأولية التى نفــذت كانـــت غير متقنة ولذلك اختفت كل الأجزاء العليا من المقابر ، بيد أنه يغلب على الظن أنه كان على شكل مصطبة كبيرة من اللبن سطحها مقبى يحيط بها سور . أما عن الجزء الذى تحت سطح الأرض فى المقابر الملكية فى أبيدوس كان فى بداية الأمر عبارة عن غرفة كبيرة مستطيلة بجدران سميكة من اللبن تحت سطح الأرض ، تحـــتوى علـــى غرفة أخرى من الخشب لها سقف من الخشب أيضا . ولم تلبث أن أخـــذت تـــزداد اتساعا ويزداد سمك جدرانها . وما لبث أن صار للمقبرة درج يؤدى إلـــى حجـــرة الدفـــن مـــن الشمال . وقد رصفت أرضية مقبرة الملك وديمو بحجر الجرانيـــت .[٣] وفـــى نهايـــة الأسرة بلغت مساحة القبر الملكى فى أبيدوس أكثر من عشرة أمثال مساحة أقدم مقبرة ملكية فيها .

ومـــن أهـــم مـــا تبقى من مقابر أبيدوس ألواح طويلة من الحجر الجيرى ، تعرف بأسم " نصب أبيدوس " وهى مقوسة فى أعلاها ، ومنقوش على وجه كل منها

----

(١) د. عـــبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٨٥ ؛ Daumas, op. cit., p. 58 .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٣) بالنســـبة للمقابـــر الملكـــية فى عصر بداية الأسرات وأنواعها وطرزها بوجه عام ، راجع : Vandier, Manuel d`archéologie I, p. 613-714.

بخط كبير أسم الملك من داخل مستطيل فوق ما يعرف بواجهة القصر الملكى التى تعلوها صورة الصقر حورس . ويعتقد أنه كان لكل مقبرة ملكية لوحان من هذا الشكل . وكانت هذه النصب تثبت فى واجهات المصاطب من اللبن ، التى كانت تعلو المقابر الملكية . وتدل هذه النصب على المكان الذى يجب تقديم القرابين والطقوس الدينية أمامه ، وتدل على اسم صاحب المقبرة ، وهى أيضا عبارة عن الباب الذى يرشد الروح إلى مكان دخول المقبرة .(١)

ومن المصاطب الملكية الهامة فى أبيدوس مصطبة الملكة مرت نيت . وخع سخموى إلى كانت تحتوى على أكثر من خمسين غرفة صغيرة فى صفوف متتالية تتوسطها جميعا غرفة الدفن التى كسيت جدرانها بأحجار صغيرة منحوتة من حجر جيرى (٢) . مما يعد فاتحة لعهد جديد فى البناء .

وفى نقادة تقع أعظم مقابر عصر بداية الأسرات ، وقد تهدم الجزء العلوى منها أيضا ، وعثر على مصطبة ضخمة مستطيلة من اللبن محورها من الشمال إلى الجنوب ، وتشغل مساحة قدرها ١٤٢٥,٧٨ من المتر المربع وتميل سطوح جدرانها إلى الداخل قليلا من اسفل إلى أعلى على أبعاد منتظمة ، وكل مشكاة تماثل غيرها تماما . وكان لهذا الطراز أثره أيضا فى طراز كثير من التوابيت .

وتتميز مصطبة نقادة بأنها تشتمل على خمس غرف فى صف واحد فى طول البناء فوق سطح الأرض ، وكانت الغرفة الوسطى غرفة للدفن ، ويذهب الظن إلى أنها مقبرة الملكة نيت حتب زوجة نعرمر – منى وكان يحيط بالمصطبة سور كبير من اللبن . (٣)

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ شكل ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ شكل ١٠٩ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ شكل ١٠٦ ، ٢٦٨ – ٢٧٠ .

وفى شمال شرقى سقارة (١) ، كشف عن كثير من المقابر الملكية من عصر الأسـرة الأولـى ، وهـى أكبر وأفخم كثيرا من المقابر الملكية فى أبيدوس ونقادة . وغرف الدفن فى مقابر سقارة أكثر عمقا واتساعا عنها فى مقابر أبيدوس ، وبعضها منحوت فـى الصخر لقربه من سطح الأرض ، مما أكسب النحات مهارة فى حفر الصخر منذ وقـت مبكر . ومن هذه المقابر ما يشتمل على سبع غرف فى صف واحـد . ومـن غـرف الدفن ما كانت جدرانها تؤزر بالخشب ومنها ما كان يلصق بجدرانـه حصير ملون دقيق الصنع ، أو تثبت فى جدرانها قراميد من القيشانى تمثل الحصير ، كما أن منها كذلك ما غطيت أرضيتها بألواح رفيعة من الخشب . ومنها ما تحـتوى فـى داخلهـا على عدد كبير من المخازن عثر فيها على أوانى من المرمر والشسـت والصـخر الـبللورى وأدوات ومعـدات وأسلحة . ومنها كذلك ما كشف بجوارهـا عن بناء باللبن فى الأرض فى شكل مركب كبير كان يحتوى على مركب مفكك كان يستخدمه الملك فى حياته الدنيا .

ومـنذ أواسط الأسرة الأولى كانت المقابر الملكية فى سقارة تزود على نحو مقابر أبيدوس بدرج يؤدى إلى غرفة الدفن . وكانت تعلو كل مقبرة مصطبة ضخمة مـن اللبن تتخلل سطوحها الخارجية مشكاوات عديدة . ومن المصاطب ما كشف فى داخلها عن مبنى مدرج ، ومنها وجدت بها مخازن وشون ، ومنها ما كشف بجوارها عن بناء باللبن فى الأرض فى شكل مركب كبير . وعثر فى سقارة على مقبرة حور – عحا (٢) ، وجت (أو واجى) ، عج ايب وقاع آخر ملوك الأسرة الأولى . ويوجد حولهم مقابر كبار موظفيهم . وقد عثر من داخل سور مقبرة قاع على بناء من اللبن ربمـا كـان معـبدا جنائزيا للملك ، وهو يحتوى على دهاليز وغرف عديدة . وفى

---

(١) نسبة إلى معبود الجبانة " سوكر " الذى ظهر عبادته فى منف منذ الأسرة الثانية ، راجع : Brovorski, in LAV, p. 1055-1074

(٢) أنظـر الرسم التخطيطى لمقبرة حور – عحا فى سقارة فى : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ ، ص ١٠ ، شكل ٢ .

الشـــرق مـــن هـــرم ونيس كشف عن مقبرتين ملكيتين تنسبان لأوائل ملوك الأسرة الثانية . وتحتوى كل منهما على قاعات عديدة محفورة فى الصخر .

فى عصر الدولة القديمة :

أخـــذ ملوك الدولة القديمة يقيمون أهراما لهم على حافة الهضبة الغربية بعد أن تطـــورت فكرة المقبرة الملكية من مجرد مصطبة ضخمة إلى هرم مدرج ثم هرم منكسر الأضلاع أو منحنى ثم هرم كامل . واكتشف علماء الآثار فى مصر حتى الآن حوالى سبعين هرما [١] ، ومن الصعب تقدير عدد الأهرام التى يمكن أن تكون مدفونة تحت الرمل لم يصل إليها معول الحفار بعد .

الأسرة الثالثة :

مجموعة الملك جسر الجنائزية فى سقارة :

وهـــى أقـــدم المبانى الكبيرة من الحجر ، وتعد إضافة فصل جديد هام عن معرفتنا عن العمارة المصرية القديمة وتعد هذه المبانى التى شيدت منذ أكثر من سبعة وأربعيـــن قرنا أول عمارة ضخمة من الحجر ظهرت لأول مرة فى حضارات العالم القديـــم . وقـــد حاول الفنان المصرى فيها تقليد خصائص المنشآت من اللبن وأعواد النـــباتات علـــى نحـــو ما حاكى الإغريق بعد ذلك بعدة قرون فى مبانيهم الأولى من الحجـــر كثـــيرا من خصائص المنشآت الخشبية . ويرجع تحقيق كل هذه المنجزات المعماريـــة إلـــى رئـــيس معمارى الهرم المدرج ومجموعته المعمارية ، ايمحوتب . ونرى أسمه مكتوبا على قاعدة أحد تماثيل الملك جسر ، ويذكر ألقابه ، ومنها أنه كان يشرف على بيت المال فى الشمال ، وأنه أول رجل بعد الملك ، والمشرف على إدارة البيـــت العظيم (القصر) . والنبيل الوراثى ، وكبير كهنة أيونو ، ورئيس المثالين ،

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٦ .

ورئـــيس النجارين . وفى وثائق أخرى كان يلقب بلقب وزير ، ومدير أعمال الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على المدينة (الهرمية) .

احـــترم المصريون القدماء فى أيام الدولة الوسطى ذكرى ايمحوتب احتراما كبـــيرا ، وكان الكتبة فى عصر الدولة الحديثة يعتبرونه حاميا لهم ، وقبل أن يخطوا كلمة واحدة فى قراطيس البردى كانوا يريقون بعض قطرات من الماء من آنية قرابنا له . وأصبح مقدسا بعد ذلك وشيدت المقاصير تكريما له . وقدسه المصريون كساحر نبغ فى رقى السحر وكمخترع لاستخدام الحجر فى البناء ، ورأوا فيه الطبيب الحكيم الذى حوت وصفاته جميع أسرار الطب . وكانت مقاصير ايمحوتب من الأماكن التى يقوم بزيارتها المرضى ليكتب لهم الشفاء [١] . وفى نقش تركه أحد المعمارين واسمه خنوم ايب رع من الأسرة السابعة والعشرين ، وفى وادى الحمامات ، سجل فيه ذهابه إلـــى تلـــك المنطقة ليقطع منها بعض الحجار . وذكر سلسلة من أسماء أسلافه وكان الكثـــيرون مـــنهم مهندسين معماريين ، وأقدمهم يسمى " كا – نفر " الذى كان مديرا للأعمـــال فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، ثم يتلوه ابنه ايمحوتب [٢] ومما لا شك فـــيه أن هـــؤلاء المهندســـين كـــانوا يقومون بإعداد رسم تخطيطى لكل بناية يكلفون بتشـــييدها ســـواء أكانت مقبرة أو معبدا ، ومما لا شك فيه أيضا أن هذه الرسومات كانـــت عرضة للتغير والإضافة وكان هناك أكثر من رسم ، وكل ذلك كان يتم على أوراق البردى وأحيانا على قطع صغيرة من الحجر الجيرى . وللأسف الشديد فقدت معظم هذه الرسومات المعمارية على أوراق البردى ، وبقى ما هو مرسوم على قطع حجـــارة مثل العثور على رسم لمقبرة رمسيس التاسع على قطعة صغيرة من الحجر الجيرى محفوظة الآن بالمتحف المصرى[٣] ، كان يسترشد به ممن قاموا بتنفيذ حفر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢ – ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٥ شكل ١٨١ .

المقــبرة ، وتشــتمل هــذه المجموعــة المعماريــة للملك جسر على تسعة عناصر هى : (١)

١- الهرم المدرج :

يــرجع تاريخــه إلى حوالى عام ٢٧٨٠ ق.م وتم تشييد الهرم المدرج بعدة مــراحل فقبل أن يشيد العمال المصطبة الأولى ، حفروا بئرا فى الصخر عمقها ٢٨ مــترا وطول كل جانب من جوانبها سبعة أمتار . وفى أسفل البئر شيدوا حجرة دفن مســتطيلة الشكل من أحجار الجرانيت ، كما فتحوا نفقا يتجه نحو الشمال يزيد طوله قليلا على العشرين مترا بحيث يكون مدخل هذا النفق خارج مبنى المصطبة الأولى . وحجرة الدفن نفسها لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق فتحة مستدير فى سقف تلك الحجــرة . وكانــت الفــتحة مسدودة بسدادة كبيرة من الجرانيت تزن أكثر من ثلاثة أطنان وارتفاعها متران .

وقطعــوا فــى الصــخر ، حــول حجرة الدفن أربعة دهاليز ، كلها تتصل بممــرات ، وقد أعدت ليوضع فيها المتاع الجنائزى والأوانى الكثيرة التى كانت تدفن مع الملك . كانت المصطبة الأولى من مبنى الهرم المدرج أول مقبرة ملكية مربعة ، وكــان طــول كل ضلع منها حوالى ٦٣ مترا ارتفاعها ثمانية أمتار ، وقد شيدت من الحجر المحلى الذى قطعوه من محاجر سقارة . وأدخل أكثر من تعديل على بناء بدن الهرم ، وهذا التعديل هو امتداد بدن الهرم فى الناحيتين الشمالية والغربية وزيادة عدد المصــاطب مــن أربع إلى ست . وأصبح طول قاعدة الهرم حوالى ١٤٠ مترا من

---

(١) أحمــد فخــرى : المرجع السابق ، ص ٣٥ – ٦٤ أشكال ٩ – ١٧ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٩٧ أشكال ١١٣ – ١٢٢ ؛ د. رمضان الســيد : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية رقم ١٦ ، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٨ ، ص ١٨٦ – ١٩٠ .

الشـرق إلى الغرب ، وحوالى ١١٨ مترا من الشمال إلى الجنوب ، وأصبح ارتفاعه حوالى ٦٠ مترا [١] . أما الكساء الخارجى فقد كان من الحجر الجيرى الجيد الأبيض الذى حصلوا عليه من محاجر طره .

وأول مـن دخـل الهـرم هو القنصل الألمانى فون مينو تولى عام ١٨٢١ ووصـل إلـى الدهالـيز التى فى أسفل الهرم واكتشف عدة أشياء هنا أهمها إحدى الحجـرات التى كسيت جدرانها بقوالب صغيرة من القرميد الأزرق اللون وعثر على أجـزاء مـن مومياء الملك جسر نفسه ، واستمرت الحفائر فى داخل الهرم حتى عام ١٩٢٤ حيـث عثر فيرث على دهاليز أخرى أسفل الهرم مليئ بأوانى مكدسة بعضها فـوق بعـض قـدر عددهـا بمـا لا يقل عن ٣٦ ألف إناء من المرمر والجرانيت والديوريت والبرشا والشست (الاردواز) وغير ذلك من أصناف الحجر [٢] . ونقش علـى بعضـها أسماء بعض ملوك الأسرتين الأولى والثانية وبعضها اعتبره صاحب الهرم ميراثا له وبعضها الآخر ربما كانت هدايا باسم حكام أقاليمه وكبار موظفيه .

وهناك دهليز رابع يؤدى إلى عدة قاعات ، منها أربع قاعات تكسو جدرانها قراميد صغيرة من القيشانى الأزرق الجميل . والتى كانت تثبت بثقبين صغيرين يمر فـيهما خيط من الكتان أو الجلد لتربطهما فى مكانها حتى يجف الملاط . وكانت هذه القرامـيد تقلد شكل الحصير الفاخر المجدول الذى كانوا يتخذونه فى البيوت ستارا . وفى إحدى الجدران ثلاثة أبواب وهمية تواجه الشرق وتحليها نقوش غاية فى الدقة ، تمثل جسرا يؤدى فيه بعض طقوس عيد سيد .

٢- المعبد الجنائزى أو معبد الشعائر :

فـى الجهة الشمالية من الهرم نجد بقايا معبد ، وإلى الشرق منه نجد حجرة صـغيرة ملاصـقة لمبنى الهرم نفسه ، ويطلق عليها أسم " السرداب " عثر فيه على

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٠ – ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ – ٣٩ .

تمــثال للملك جسر يوجد الآن بالمتحف المصرى ، وضع مكانه نموذجا ليراه زائرو المعــبد فــى سقارة وكان هذا المعبد مكونا من قسمين متماثلين ، وفيه حمامان لكل مــنهما حوض فى أرضيته مزود بفتحات ومتصل بقنوات صغيرة لتصريف المياه . وهــناك رأى بــأن هذا المبنى المشيد بالحجر إنما يمثل جزءا مشابها له فى القصر الملكــى كانــت تقام فيه بعض الاحتفالات الهامة [١] . ورأى بعض العلماء أن وجود تمــثال الملــك فى سردابه لم يكن أكثر من هاد لروح صاحبه عندما تهبط من الركن الشمالى فى السماء ثم تتجه إلى معبد الشعائر لتنعم بالقرابين والطقوس المقدمة فيه .

٣- بيتا الشمال والجنوب :

وهمــا بــناءان مصمتان إلى حد كبير ، يشبه أحدهما الآخر ، ولكل منهما واجهة من حجر جيرى جيد أملس ، ويكتنفها سندان بينهما أربعة أساطين مقناة ويعلو المدخل إفريز من الزخرفة ، وكانت الواجهة مقوسة فى أعلاها . وفى كل بيت دهليز ضــيق يــؤدى إلى مقصورة فى جدرانها مشكوات صغيرة ، وغلى يمين كل منهما جدار كان يحلى واجهته فى بيت الجنوب اسطون صغير فى شكل نبات اللوتس [٢] ، وتحلــى الجــدار الجانــبى لواجهة بيت الشمال ثلاثة أساطين جميلة فى شكل غصن الــبردى . ويعتقد أن هذين البيتين إنما يمثلان قاعتى عرش كان الملك فى العصور السالفة يقضى فيهما بعض الوقت ويدير شئون البلاد منهما ؟

وعــثر علــى جدران هذا المبنيان على عدة كتابات بالهيراطيقية منها نص لشــخص يدعــى ثــاى عاش فى عهد الملك توت عنخ آمون . وجاء كاتب آخر من الأسرة الثامنة عشرة ويدعى أحمس بن بتاح وذكر أنه جاء إلى هذا المكان ليرى معبد الملك جسر ووجده كأنما السماء قد حلت فيه وأن المعبود رع يشرق فيه .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

٤- فناء عيد سد :

عبارة عن فناء رحب واسع حفت بجانبيه مقاصير ضخمة ، شيدت الغربية منها بأسماء معبودات الوجه القبلى ، وشيدت الشرقية منها بأسماء معبودات الوجه البحرى . وتتصدر الفناء منصة حجرية متسعة ترتفع عن الأرض بنحو المتر . ويؤدى إلى سطحها درجان فى واجهتها الشرقية . وكانت تعلوها مظلتان تضم إحداهما عرش الوجه القبلى وتضم الأخرى عرش الوجه البحرى . ولم يتبق من قاصير هذا الفناء غير أطلال تنم عن مهارة صانعيها . وكانت تتصدر واجهاتها أساطين محدبة المقطع تحليها فى أعلاها دلايات مشكلة فى الحجر على هيئة أوراق الشجر . وأقيم للملك تمثالان كبيران على منصتين مرتفعتين فى مقدمة المقاصير . وربما كان له كذلك تمثال صغير فى كل مقصورة مع تمثال المعبود ، وفى المقصورة الأخيرة الغربية لفناء عيد سد ، عثر على أربعة أزواج من الأقدام ربما كانت تمثل الملك مع زوجته وابنتيه . (١)

٥- الجوسق الملكى الصغير :

عبارة عن قصر صغير أو استراحة تقع فى جنوب فناء عيد سد ، كان يستريح فيها الملك بعد كل طقس يؤديه . ويبدو أنه كان استراحة للملك يستبدل فيها ملابسه وشاراته خلال أداء الطقوس الدينية أو انه كانت تؤدى فيه بعض الطقوس أثناء الاحتفال بشعائر عيد سد . ويحتوى هذا القصر على ردهة ذات ثلاثة أساطين قضاه غير مستقلة تعتمد على جدران ساندة من ورائها ، ولكل اسطون قاعدة مستديرة ، وتعلوه ركيزة . ويصل بين الفناء الجنوبى والقصر أو الجوسق قاعدة طريق قصير ستدير نهاية جدارة الأيمن فى شكل ربع دائرة محكمة الاستدارة ليس لها مثيل فى العمارة المصرية وذلك لإعطاء الملك حرية كاملة فى تنقلاته .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ – ٥٧ .

٦- السور الخارجى :

كان يحيط بالهرم والمبانى الملحقة به سور من الحجر الجيرى الأبيض كان ارتفاعه ١٠,٤٠ مترا وطوله من الشمال إلى الجنوب ٥٤٥ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٢٧٧ مترا ويبغ سمكه فى بعض مواضعه نحو ستة أمتار ، وله ثلاث عشرة بوابة رمزية ، أى مرسومة فقط على السور ، واستخدام أيمحوتب فى تشييد هذا السور كتلا من الحجر الجيرى الصغيرة [١] وشادوا فيه دخلات رأسية متعاقبة أى مشكوات وزخرفوا الجزاء العليا من واجهة السور بمربعات صغيرة محفورة قليلة العمق وفى أعلاها إفريز من الصلال (أى الحيات) المقدسة ، ورسموا فى جوانب السور شكل البوابات أو الأبراج يبلغ عددها أربعة عشر .

٧- مدخل المجموعة :

يوجد مدخل المجموعة فى الركن الشرقى الجنوبى وكان مفتوحا دائما ، ويقود المخل إلى بهو طويل تبرز من جانبيه عشرون ركيزة متصلة بالجدار ارتفاع كل منهما ٦,٦٠ مترا وفى نهاية كل ركيزة عمود . والسقف عبارة عن تقليد لافلاق النخل [٢] . وعلى مقربة من نهاية هذا البهو ، وفى الناحية الغربية منه ، نرى قاعة صغيرة مستطيلة يحمل سقفها ثمانى ركائز من طراز خاص . وفى نهاية البهو ممر ضيق فى نهايته ما يمثل بابا نصف مفتوح . وعلى اليمين من المدخل مجموعة من المبانى المهدمة ، ربما كانت مجموعة من المخازن أو مساكن للكهنة والحراس القائمين على الخدمة فى هذه المجموعة المعمارية وملحقاتها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

٨- فناء واسع إلى الجنوب من الهرم :

ولسـنا نـدرى تفاصـيل ما كان يتم فيه ولكن ليس من المستبعد انه ارتبط بصورة ما بما يسمى عيد سد .

٩- المقبرة الجنوبية :

كشف عنها عام ١٩٢٨ ، ونصل إليها عن طريق بئر مربعة طول كل ضلع مـن أضلاعها سبعة أمتار وعمقها ثمانية وعشرون مترا ، وفى قاع هذه البئر حجر مشيدة من كتل مربعة من الجرانيت طول كل منها ١,٦٠ مترا . وفى هذا البناء عدة دهالـيز وممرات جدرانها مزينة بقوالب من الفيانس أو القيشانى ونرى أحد الجدران وقد زين بثلاثة أبواب وهمية عليها نقش يمثل الملك جسر .[١]

وقـد دفنـت أسرة جسر على مقربة من هرمه ، إذ نجد أحد عشر بئرا فى الناحية الشرقية من الهرم ، وعمق كل منها يزيد على ٣٢ مترا ، وعند أسفل كل بئر مـنها يمتد دهليز يتجه نحو الغرب تحت المصطبة الأصلية طوله عشرون مترا [٢] . وقـد وصل اللصوص إلى هذه المقبرة الإحدى عشرة ونهبوها ولكن عثر فى واحدة منها على تابوتين من المرمر حوى أحدهما مومياء طفل صغير .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢) الجميع عناصر المجموعة المعمارية للملك جسر ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie I, p. 874-938.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ .

هرم سخم خت :

كشف عنه زكريا غنيم عام ١٩٥٤ فى جنوب غربى هرم جسر ويعتقد أنه لو تم بناؤه لأتخذ شكل الهرم المدرج المكون من سبع درجات . وكشف عن جزء من السور الخارجى الذى لم يتم العمل فيه . وفى مبنى الهرم نفسه كشفت الحفائر عن بقايا مقطوعة فى مصطبتين احتوت على بقايا ثور وبعض الطيور والحيوانات الأخرى وأيضا اثنتان وستون قطعة صغيرة من البردى المكتوب بالديموطيقية . كما كشف عن مدخل الهرم والدهليز وحجرة الدفن التى عثر بها على تابوت المرمر فارغ .[(١)]

ويرى بعض العلماء أنه من المحتمل أن يكون هذا الهرم ضريحا فقط ، أو ربما كان هو الهرم الذى شيده صاحبه ليدفن ولكنه لم يتمه ، ولم يستخدم للدفن فى أى وقت من الأوقات ، وعلى أى حال فإن أعمال الحفر فى هذا الهرم لم تستكمل حتى الآن . كما أنه لم تحدث أى حفائر فى الأجزاء الأخرى داخل السور الذى يحيط بالمكان .

هرمى زاوية العريان :

تقع بين الجيزة وأبو صير وبها أول هرم بها يسمى بالهرم الطبقى أو الهرم ذى الطبقات ويظن أنه لو تم بناؤه لكان من ست أو سبع درجات . وينسب إلى الملك خع – با رابع ملوك الأسرة الثالثة [(٢)]. والهرم الثانى يسمى الهرم الناقص وينسب إلى الملك نب كا خامس ملوك الأسرة الثالثة .[(٣)]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٥ – ٧٦ أشكال ١٨ – ٢٤ ؛ د. رمضان السيد : مصر القديمة ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٦ – ٨٣ شكل ٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٤ – ٩٠ أشكال ٢٧ – ٣٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ – ٣٠٥ شكل ١٢٦ ؛ د. رمضان السيد : مصر القديمة ، ص ١٩٤ .

أهرام سيلا وزاوية الأموات وكوله :

وهـــى ثلاثـــة أهرام غير كاملة تقع فى سيلا بالفيوم وزاوية الأموات بالمنيا وكوـــله أمام مدينة الكاب ، وهى أهرام لم تدرس وتنسب إلى الأسرة الثالثة أو ربما إلى عصر لاحق من عصور الدولة القديمة .(١)

هرم حونى فى ميدوم :

يمثل المرحلة النهائية فى تطور طراز الهرم المدرج وهو يخص آخر ملوك الأســـرة الثالـــثة . وكـــان مـــن بين الأهرام التى عنى بفحصها برنج وفيس فى عام ١٨٣٩ . شـــيد الهـــرم على حافة الهضبة ويحيط به سور خارجى مهدم الآن . وفى الجهـــة الشرقية كان يوجد طريق صاعد وفى نهاية الطريق الصاعد كان يوجد معبد للوادى ، ولكنه موجود الآن تحت الزراعة تحت منسوب المياه الجوفية فى الحقول . وفـــى الجهـــة الجنوبـــية من الهرم بقايا هرم صغير . وفى الجهة الشرقية منه معبد جـــنائزى صغير له سور خارجى ، ويبلغ ارتفاع الهرم ٩٢ مترا وطول ضلعه ١٤٤ مترا .

هرمى سنفرو فى دهشور :

شيدأول ملوك الأسرة الرابعة هرمين فى دهشور ، أولهما عرف باسم الهرم الجـــنوبى أو الهـــرم المنكسر الأضلاع أو المنحنى ، فقد شيد بزاوية حادة أدت إلى تغيير تصميمه فى منتصف المرحلة . ويعد هذا الهرم بأنه وحده من بين أهرام مصر الـــذى له مدخلان فى الواجهتين الشمالية والغربية . وقد احتفظ هذا الهرم بالكثير من أحجـــار كسائه الخارجى لصعوبة قلعها . ويبلغ ارتفاعه الأصلى ١٠٥ مترا وأصبح

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٩٠ – ٩٨ شكل ٣٢ .

الآن ١٠١,١٥ مــترا ، وزاويــة ميله الأولى هى ٤٥,٣١ أدت إلى ارتفاع ٤٩,٠٠٧ مــترا ثم زاوية ميل ثانية هى ٤٣,٢١ أدت إلى ارتفاع ٥١,٠٨ مترا . وفى الجانب الشــرقى شــيد الملــك معبدا جنائزيا ، وهناك طريق صاعد يربط بين المعبد ومعبد الوادى الذى كشف عنه د. فخرى . وإلى الشمال شيد الملك هرما آخر ، ويعتبر أول بـناء يـتخذ شكل الهرم الحقيقى فى تاريخ العمارة المصرية القديمة . ويبلغ ارتفاعه الأصلى ١٠٤ مترا وأصبح الآن ٩٩ مترا ويسمى أيضا بالهرم الأحمر لأن الأحجار الـتى شيد منها تميل إلى الحمرة[١] . وإلى الشرق من الهرم الشمالى انتشرت مقابر عائلة سنفرو ، ومن بينهم بعض أبنائه وبناته . ولم يتم الحفر فى المنطقة حول الهرم الشمالى حتى نستطيع القول أن كان له هو الآخر معبد جنائزى إلى الشرق وطريق صاعد ومعبد للوادى . [٢]

ارتقــى خوفــو العرش وكان ابنا لسنفرو من زوجته حتب حرس ، وطبقا للنصــوص التى وصلت إلينا فقط كان خوفو رجلا تقيا فيما يخص الديانة وكان يميل إلــى ديانة معبود الشمس رع – ربما – على حساب المعبودات الأخرى لأن مانيتون يقول عنه : " أنه كان مبتكرا تجاه المعبودات ، ولكنه على الرغم من ذلك كتب كتابا مقدسا ، اعتبره المصريون من أهم الأعمال " .[٣]

ويذكر هيرودوت الذى زار مصر فى حوالى عام ٤٤٨ ق.م : أنه قد أغلق كل المعابد وحرم على المصريين تقديم قرابينهم[٤] ، ولكن ربما كان كل ذلك تفسيرا

---

(١) نعلم أن سنفرو حكم حوالى ٢٤ عاما (من ٢٥٧٥ إلى ٢٥٥١ ق.م) وأن بناء الهــرم الجــنوبى وملحقاتــه استغرق ثمانية عشر عاما فهل استغرق بناء الهرم الشــمالى ســت ســنوات ؟ ربمــا شيد الهرمين فى وقت واحد ، والسؤال لماذا هرمين ؟

(٢) د. أحمــد فخــرى : الأهــرامات المصرية ، ص ١٠٩ – ١٤٣ أشكال ٥٩ ؛ د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، ص ١٩٧ – ١٩٨ . بالنســبة لأهــرام الأســرة الرابعة والخامسة والسادسة والأسرة الثانية عشرة وملحقاتهــا ، راجع بوجه عام : Vandier, Manuel d`archéologie II, p. 6-200.

(٣) Vercoutter, L`Égypte Ancienne, p. 61; Beckerath, LAI, p. 932-933.

(٤) Herodote-Thucydide, Oeuvres Completes, Texte Presenté traduit par A. Barguet, Paris 1964, p. 192-193.

خاطـئا لـبعض الأوضـاع التى أراد أن يطبقها خوفو بالنسبة لمقاصير القربان فى مصـاطب كـبار الشخصـيات . ولكـن كما أن ذكراه قد خلدت على مدى الأجيال اللاحقـة ، وعـبادة روحه قد استمرت أكثر من ألفى عام فيما بعد (١) ، فأنه يبدو أن عـدم التسامح الدينى قد جاء نتيجة لحرصه الشديد على التمسك بأداء الطقوس وليس نتيجة لتعصب أو كبرياء ، ومن أهم أعماله هو تشييده لهرمه الشهير الذى شرع فيه فـى بداية حكمه الذى كان يعد بالأمس واحد من عجائب الدنيا السبع ولكنه يعد اليوم عجيـبة العجائب لأن جميعها قد زالت واختفت معظم معالمها وبقى وحده شامخا فى مكانه .(٢)

---

(١) ذكر اسمه على العديد من الآثار ، راجع : Gauthier, Livre des Rois, I, p. 72-83.

(٢) الذى كان يعتبر من أهم عجائب الدنيا السبع القديمة إلى جانب حدائق بابل وتمثال كبـير معبودات اليونان (زيوس) فى آثينا وضريح الملك مرزولوس وزوجته ارتمـيزيا فى هاليكارنس بآسيا الصغرى (الموزيليوم) ومعبد ارتميس معبودة الصيد عن اليونانيين أو كما يسمى (ديانا) وكان مشيدا فى مدينة افيسوس على بعـد ٦٠ كم من مدينة أزمير ، وتمثال هليوس معبود الشمس فى جزيرة رودس وكـان مصـنوعا من البرونز بارتفاع يزيد على الثلاثين مترا ليرشد السفن إلى مـيناء الجزيـرة ، وآخر هذه العجائب السبع منارة الإسكندرية ، أنظر : د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٠٨ حاشية (١) ؛ د. أحمـد فخـرى : مصر الفرعونية ، ص ١٠٨ حاشية (١) . وبالنسبة لمنارة الإسـكندرية فـنعرف أن الذى شيدها هو المهندس المعمارى سوستراتوس من جزيـرة كيـندوس وقد بدأها فى عصر الملك بطلميوس الأول وتم افتتاحها فى عصر بطلميوس الثانى (حوالى عام ٢٨٥ ق.م) واستخدم فيها الحجر الجيرى والـرخام والجرانيت وكانت مكونة من ثلاثة طوابق يبلغ ارتفاعها ١٢٠ مترا . وشـيد الطابق الأول على شكل مربع وكان يحتوى على ٣٠٠ حجرة استخدمت كمخازن للمعدات ومساكن للعمال . ويبلغ ارتفاعه ٦٠ مترا ===

وكـــان أول شاغل لكل ملك فى بداية حكمه وعند صعوده على العرش هو إعـــداد مقبرته ومتاعه الجنائزى ، وقد اختار الملك خوفو هضبة الجيزة لبناء هرمه فوق مربع طول ضلعه ٢٣٠ مترا فى الأصل وحاليا ٢٢٧ مترا ، ومجموع مساحته

== والثانى له شكل مستدير قام على عدة أعمدة من الجرانيت وتعلوها قبة وتحتها كل يوجد مرآة كبيرة مقعرة تقاد أمامها النيران ويصل ضوئها المنعكس على بعد ١٠٠ مـــيل ويـــبلغ ارتفـــاع هـــذا الجزء ١٥ مترا . وكان يعلو هذه القبة تمثال للمعبود " بوزيـــدون " إله البحار ويبلغ ارتفاع القبة والتمثال معا ١٥ مترا . وظلت المنارة مستخدمة حتى الفتح العربى عام ٦٤٢م . ولكنها تعرضت لكارثتين : أولهما حدثت عام ٧٠٠ عندما سقط الجزء الذى يحتوى على المرآة فى البحر . وفى عهد أحمد بـــن طولـــون عـــام ٨٨٠م تعرض الطباق الثانى للهدم بدعوى أنه كان يوجد كنز للإسكندر الأكبر تحت القبة ولكن حدثت عملية ترميم لهذا الجزء عام٩٨٠م وزار آبو الحجاج الأندلسى بقايا هذا الجزء وأخذ أبعاده بدقة متناهية عام ١١٦٦م . وحدثـــت الكارثـــة الثانـــية فى ٨ أغسطس عام ١٣٠٣م عندما تعرض ما بقى من المـــنارة لزلـــزال قوى أدى إلى سقوط بقية أجزائها وسجل تاريخ هدم المنارة فى سجل كنيسة فى مونبليه . وقام لوصف هذه البقايا المعمارية ابن بطوطة فى إبريل عـــام ١٣٢٦ . وفـــى عـــام ١٤٨٠ شيد السلطان قيتباى قلعة مكان المنارة . وتم اســـتخدام ما بقى من المنارة من قطع حجرية من الجرانيت فى بناء البرج الرئيسى للقلعة مستخدمين فى ذلك أساسات المنارة القديمة اعتقادا منهم أنها بنيت منذ آلاف الســـنين لذلك تعد أصلح أساسات للبرج الرئيسى لهذه القلعة ، كما استخدمت بعض الأعمـــدة الجرانيتـــية فـــى صـــلب بناء جدران هذا البرج ويمكن مشاهدتها بالعين المجـــردة وكذلك فى بوابة القلعة . وكانت أبعاد الطابق الأول للمنارة الأصلية تبلغ ٣٠ × ٣٠ وهذا ما يتفق تماما مع أضلاع البرج الرئيسى للقلعة ، راجع :

A. Bernand, Alexandrie la Grande; Hachette (Paris) 1996, p. 103-111; Sur le Phare en général cf. la Bibliographie., p. 340-341; Breccia, Alexandrea and Agypyum, Bergamo, 1922, p. 107-110.

==

تبلغ حوالى ٥٤ ألف متر مربع ، وعلى هذه القاعدة شيد الهرم الذى بلغ ارتفاعه الأصلى ١٤٦ مترا ، ويبلغ ارتفاعه اليوم ١٣٧ مترا فقط واستخدم بنائه مليونين وثلثمائة من كتل الأحجار الجيرية ويشمل ذلك أحجار الكساء الخارجى ، وفى الطبقات السفلى من البناء نجد أن أغلب الكتل تزن حوالى طنين أو أكثر ، وتم نقل بعض هذه الكتل عبر النيل من المحاجر التى تقع على الجانب الشرقى فى طره ، وذلك فترة الفيضانات عندما يصبح الوادى شبه بحيرة ، ثم تنقل على زحافات على الهضبة وتوضع فى أكوام متراصة لاستخدامها فى البناء استخدمت فى عملية البناء ستة ملايين طن من الحجارة .

ونقرأ هنا وهناك عن قسوة بعض ملوك مصر القديمة ، وإجبارهم أفراد الشعب الذين سخروا للعمل تحت نير السوط لتشييد الأهرام[1] ، ولكن كل من يقرأ المزيد عن الحضارة المصرية سوف يوقن تماما أنهم كانوا أكثر إنسانية وأكثر احتراما للحياة الإنسانية من أى بلد آخر فى الشرق القديم ، وفى كل البلاد التى وجدت فيها قسوة ينعكس ذلك فى رسوماتها ونقوشها ، ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لتلك القسوة ؛ فكل شئ مصور بطريقة ملائمة ومناسبة – بل ومحببة .

يمثل بناء الأهرام قمة ما وصل إليه الإنسان المصرى القديم من فكر وعلم ، ولا يمكن أن يكون هذا الإنجاز المعمارى الفريد والدقة المتناهية فى البناء ، قد تم

=== مرجع أمدنا به د. فوزى الفخرانى Riad, Alexandrie, guide archéologique de la Ville, p. 19-22 Fig.2

د. هنرى رياض : فى تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور ، محافظة الإسكندرية ١٩٦٣ ، ص ١٣٦ – ١٣٩ .

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١١٢– ١١٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٥ – ١١١ .

بالســـخرة ، ولكـــنه عمل جماعى علمى وفنى وثقافى (١) ، ولا مكان فيه للمعبودات والاضـــطهاد ، فالسخرة ، لا تبنى أهراما ولا تحقق المعجزات بهذه الصور المتكاملة مجموعة من عوامل تتمثل فيما يأتى :

- محاولة إبراز الولاء للملك فى شكل عمل معمارى ضخم محسوس

- وضـــع خطـــة هندسية محكمة التصميم لابد وأنه تم اختيارها .. من بين خطط أخرى عديدة درست بعناية .

- تنفـــيذ هـــذه الخطة عن طريق إنشاء أجهزة فنية وإدارية وتوفير الأيدى العاملة الماهرة ،ومكافأتها على ذلك ورعايتها وتوفير أسباب الأمن لها وتحقيق العدالة الاجتماعية لها .

- إتقـــان إخـــراج هذا العمل الضخم بصورته النهائية التى تتحدى القرون وليس الأعـــوام ، وتـــتحدى أيضا عوامل الزمن التى لم تؤثر فى شموخها وعظمتها كعمل جماعى متكامل على ذكاء الإنسان المصرى .

ولا يمكـــن أن يحـــدث هـــذا كله فى ظل نظام يدعى البعض أنه استخدم " الســـخرة " أو إجبار الفلاحين والعمال المصريين على العمل لأن الإنسان المجبر لا يمكـــنه أن يـــنجز عمـــلا رائعـــا وإذا أنجزه فإنه لا يمكن أن يخرجه بمثل هذه الدقة والإتقـــان(٢) . لقد حقق المصرى القديم هذه المعجزة المعمارية بأبسط الوسائل لقطع

---

(١) ويذكـــر د. ســـليمان حزيـــن فى مؤلفه " مستقبل الثقافة فى مصر العربية ، دار الشروق ، ص ٢٤ > ان بناة الهرم الأكبر وأمثاله من اثار هذا الشعب الخالد إنما كان من عمل مهندسين وفنانين وعمال يفهمون حقا ما يفعلون . ويحبون حقا ما يفعلـــون ... كانوا جميعا أهل ثقافة ، وكان عملهم عملا فنيا وثقافيا قبل أن يكون مشروعا إنشائيا عاديا " .

(٢) فـــى الفصـــل رقم ١٢٥ من فصول كتاب الموتى الخاص بإعترافات المتوفى ، يقـــرر المتوفى فى الفقرة رقم ٦ " أنا لم أجبر الناس على عمل (ما هو) فوق طاقـــتهم فـــى أى يـــوم " ارجع ببير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٤٨٤ حاشية (٥٣) .

الأحجـار وصـقلها ورفعهـا لأن " البكرة " لم تكن معروفة فى مصر قبل العصر الرومانى .[١]

ولا يمكـن أن يـتم مثل هذا العمل المعمارى الضخم بكل الكمال والجلال والعظمـة بغير حب ، هذا الحب والتفانى تشعر به . ويحدثك ببديع صنع الصانعين الذيـن أعطـوا الحجـر الحب فأصبح ناطقا بالحياة لأنهم اعطوه حياتهم وقبسا من عشقهم ، وكل حبهم وصاروا مبدعين ، فالحرفيون خلدوا حرفتهم فى هذا البناء .

إن سمة الكمال هى السمة التى تتسم بها كبرى المنجزات المعمارية فوضع أحجار الهرم الأكبر بلغ درجة من الإتقان لدرجة أنه صار من المستحيل على المرء أن يدخل بينهما نصل سكين .[٢]

وإذا وضعنا كل هذه العوامل فى الاعتبار فمن السهل علينا أن نفهم أنه فى خـلال ثلاثة أشهر من فصل الفيضان السنوى ، لا يستطيع المزارع المصرى القديم أن يعمل فى الحقل ، وفى أثناء هذه الفترة أيضا ، كانت هناك أعداد كبيرة من العمال يمكن استخدامهم فى البناء دون أن يؤثر ذلك على رخاء البلاد واقتصادها . فهناك فى الواقـع ، الـتقارير المسجلة التى تدل على أنه كان يستخدم للعمل مئات الآلاف من العمـال كـل عام خلال الثلاثة شهور هذه ، وقد انتهى من العمل فى بناء الهرم بعد عشـرين عامـا ، ويذكـر هيرودوت أن الهرم الأكبر بنى أولا على هيئة سلالم أى مدرجات وأن الأحجار الأخرى رفعت بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة [٣] .

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٢) فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتى) ص ٣٣٦.

(٣) عـن التشـابه بين هذه الألواح الخشبية التى ذكرها هيرودوت وفعل " يرفع إلى أعلى " (wts / tsy) ، راجع : الدراسة التى قام بها حديثا : Deaton, in DE (1989), p. 5-7.

وعن استخدام الحبال فى بناء الهرم الأكبر ، راجع :

Hansen, Akten, Munchen 1985, p. 45-52.

ويذكر هيرودوت بهذا الخصوص (11, 124-125) :

" جلس على العرش خيبوس الذى انغمس فى جميع وسائل الشرور ، فأغلق المعـابد ومـنع المصريين من تقديم القرابين فارضا عليهم جميعا العمل من أجله ، وكـان يفـرض على بعضهم جر كتل من الأحجار من المحاجر فى سلسلة من تلال الصـحراء الشـرقية حتى شاطئ النيل .. وكان يقوم بهذا العمل بصفة مستمرة مائة ألف شخص يعملون لمدة ثلاثة أشهر ثم يحل مكانهم غيرهم ، وقد احتاج بناء الطريق الصاعد الذى استخدموه فى نقل الأحجار إلى عشرة أعوام من ظلم الناس ، وهم عمل لا يقل فى رأى عن بناء الهرم نفسه ، وقد استغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما "

واسـتمر قـائلا : " هـناك نقش على جدران الهرم كتب بالمصرية كميات الفجـل والبصل والثوم التى استهلكها العمال الذين شيدوه ، واذكر جيدا أن المترجم الذى قرأ له هذه الكتابة قال : أن المال الذى صرف فى هذا السبيل كان ١٥٠٠ تالنت وزنة من الفضة ".[١]

ويـبدو أن هيرودوت قد اصطحب معه فى جولته أحد التراجمة المصريين الذى كان يجيد الحديث باليونانية ولكن لا نعرف مدى ثقافته أو معلوماته .

وكـان الحجـر الجيرى يسوى بأزاميل من نحاس يطرق عليها بمداق من الخشب السميك ، وإذا كان الحجر الجيرى شديدا فقد كان يستعان فى صقله بمصاقل مـن حجر شديدة الصلابة من الظران (الصوان) أو بأدوات من الحديد أيضا [٢] ، وكانـت الأحجار الصلبة تسوى بسحقها بكرات من الكوارتزيت وتصقل بمصاقل من حجر الجرانيت أو البازلت أو الكوارتزيت .[٣]

---

(١) د. عـبد الحمـيد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٧ – ١٩٨ ؛ د. أحمدفخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ وأيضا :

Guides Bleus : Égypte, p. 159; Herodote-Thucydide, op. cit., p. 193-194.

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

وكانــت هذه الكتل ترفع بعد صقلها على زحافات بطول منحدرات ملتوية ، شيدت مؤقتا من الطوب المجفف على الأوجه الأربعة الخارجية للهرم .[١]

ويذكــر ديودور الصقلي الذى زار مصر فى عام ٥٩ ق.م . أن بناة الهرم كان يتم بإقامة تلال من التراب ، ويبدوا أن المقصود من ذلك هى الجسور التى كانتا تنقل عليها الأحجار ، وكان وضع العقل يساعد فى إنزال الأحجار من الزلاقات وفى تحــريكها إلــى الأماكــن الــتى يراد وضعها فيها ، وتدل على ذلك نقر صغيرة فى الأحجــار الكبــيرة كانت تعد لتستقر فيها أطراف العقل [٢] ، وكانت كل كتلة تستلزم بدون شك مجهود ثلاثين عاملا ، وإذا كان يوضع بمعدل ١٢٠٠ كتلة فى اليوم ، لذا فــإن العمــل كــان يحتاج إلى ٣٦ ألف عامل يوميا لكل واجهة من الأوجه الأربعة للهرم ، أى للأوجه كلها يحتاج العمل إلى حوالى ١٤٤ ألف عامل .

وإذا صدقنا هذه الأعداد من العمال فكان من المفروض أن يضعوا كتلة كل يــوم ، وربمــا كــان هناك ما بين ١٤ ، ٢٠ منحدرا ملتويا على كل واجهة ، وكان يتناوب العمل حوالى ثلاث مجموعات تلى إحداها الأخرى على الممر المنحدر وكانت كل كتلة توضع على زحافة أو زلاقة من الخشب ذات جذوع متحركة من تحتها سهلة الشــد أو الجــذب ، وذلــك بسبب صب الماء أمامها مما يساعد على عملية الدفع و الجــذب [٣] ، وكــان قطــع الكتل مستمرا طوال العام ، وكان يستخدم فى كل فصل حوالــى ١٠٠ ألف كتلة ، لذلك كان لابد من استخراج ٢١٠٠ كتلة فى الأسبوع أى حوالى ٣٠٠ كتلة كل يوم ، وهو ما كان يقوم به المئات من عمال المحاجر أيضا .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ شكل ٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

(٣) عــثر بالقرب من هرم سنوسرت الثانى فى اللاهون وهرم سنوسرت الثالث فى دهشــور علــى ما يدل على استخدام هذه الزلاقات ، راجع : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٢٦ شكل (٤) .

ويبدو أن الهرم كان يبنى من نواة وسطى تتضمن الغرف الداخلية ، تضاف إلـيها فى جوانبها الأربعة إضافات جانبية تميل بزاوية قدرها ٧٠ درجة ويعتقد أيضا أنـه كان يتم بناء دهاليز والحجرات الداخلية قبل بناء المداميك التى تحيط بها ، وأن الـتابوت والمـتاريس الـتى تسد حجرة الدفن كانت تأخذ مكانها قبل أن يتم جدران الأماكن التى كانت توضع فيها .(١)

وتظهـر بـراعة الـنحات المصرى والبناء كذلك فى بناء الدهليز العظيم والممـرات الداخلية والحجرات الداخلية التى تدل على قدرة وحسن تصرف لا يمكن قياسه لأن تلك الكتل موضوعة وملصقة بطريقة غاية فى الإتقان والبراعة .(٢)

وقد بلغت دقة القياس فى البناء أقصى حد فى الهرم ولا سيما تحقيق النسب فى تخطيط البهو العظيم الذى يؤدى إلى حجرة الدفن .(٣)

ويعـتقد علماء الآثار أن التصميم الأول للهرم كان أصغر من ذلك ، فقد بدأ البناء بحفر حجرة دفن تحت الهرم وهى حجرة صغيرة ، ومنحوتة فى الصخر بطول حوالـى ٣٠ مترا ولم يكتمل بناؤها ويبلغ أبعادها ٨,٢٨ × ٥,٣ مترا ، ثم عدل عن ذلك وشيدت حجرة أخرى تسمى حاليا حجرة الملك ذات سقف مسطح ويتكون سقف هـذه الحجرة من أحجار جرانيتية طويلة موضوعة أفقيا فى الاتجاه الشمالى الجنوبى وتـزن إحـدى هـذه الكتل ٤٠,٧٨ طنا (٤) ويبلغ ارتفاعها ١٥ مترا ، وفى كل من

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٤ – ٣١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٢ – ٣٢٠ .

(٣) د. أنـور شـكرى ، ص ٤٦٥ ، شكل ٥١ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٤٥ – ١٨١ شكل ٦١ .

وعن المقاسات والأبعاد فى الهرم راجع الدراسة الحديثة التى قام بها :
Legon, in DE 17 (1990), p. 25-34.

(٤) د. زاهـى حـواس : معجـزة الهرم الأكبر ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٣ ، ٦٨ .

حائطهـــا الشـــمالى والجنوبى فتحة توصل كل منها إلى مسلكين غير منتهيين ، وفى جدار الحجرة الشرقى كوة كبيرة لها سقف متدرج ، ثم عدل عن هذا التصميم الثانى إلـــى آخر وهو الأخير ، فبنيت حجرة ثالثة أعلى من الحجرتين السابقتين والخاصتين بالمشـــروع الأول والـــثانى التى تسمى خطأ بحجرة الملكة ، ويصل الزائر إلى هذه الحجرة عن طريق ممر طويل يبلغ طوله ٤٧ مترا وارتفاعه ٨,٥٠ متر ، وقد غطى بســـقف متدرج ، وبالطريق العلوى للمر فتحة تؤدى على حجرات خمس شيدت فوق بعضـــها لتخفف الضغط على حجرة الدفن ، واكتشفت هذه الحجرات عامى ١٨٣٧ و ١٨٣٨ ، وارتفـــاع كـــل حجرة من هذه الحجرات مترا واحدا ، وقد غطى سقف كل منها بكتل من الجرانيت ، وعثر فى أحد هذه الحجرات على نص مكتوب ، جاء فيه ذكـــر السنة السابعة عشرة من حكم خوفو ، وهى كل ما أمكن معرفته حتى الآن من نصـــوص هيروغليفية فى هذا الهرم . وينتهى بعد ذلك هذا الممر الصاعد بممر أفقى بنى من الجرانيت الأحمر على شكل ألواح والتى يغلق بها الممر الذى ينتهى بحجرة الدفـــن الخاصـــة بـــالملك الـــتى كسيت حوائطها وسقفها بالجرانيت الأحمر وأبعادها ٥,٢٠ × ١٠,٨٠ متر .

ويقع التابوت من الجرانيت فى الجزء الغربى من الحجرة بدون غطاء وخال من أى نقش وبدون شك أنه كان يحوى تابوتا آخر من الخشب ويقع هذا التابوت على بعد ٢,٥٠ متر من فتحة البهو العظيم مما يؤكد أنه وضع فى مكانه قبل تشييد جدران حجـــرة الدفـــن .[١] ، وبكل من الحائط الشمالى والجنوبى للحجرة فتحة صغيرة تمر وســـط بـــناء الهرم حتى تصل إلى سطحه الخارجى من ناحيته الشمالية والجنوبية ، ويســـتطيع الزائر أن يشعر بالهواء المتجدد رالداخل من هذه الفتحة [٢] ، والتى يبلغ

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٩ شكل (٦) .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧ ؛ وقبل وضع الأحجار فى أماكنها التى أعدت لها كانت تتعرض لعدة ترتيبات ، راجع :
Varene, Sur la Taille de la Pierre antique, medievale et moderne, Centre de Recherches sur les Techniques Greco-Romaines, Université de Dijon, no 13 Dijon, 1974, p. 5.

اتساعها ٢٠ × ٢٠ سم واكتشفت هذه الفتحات للتهوية عام ١٨٩٨ .

ويقـــع المدخـــل فى الجانب الشمالى للهرم على مستوى مرتفع قليلا ، وبعد عملية الدفن كان هذا المدخل يغطى بالكساء الخارجى حتى لا يظهر مكانه على الوجه المصـــقول له والذى لا يمكن تسلقه ، وهذا المدخل غير مستعمل حاليا ، أما المدخل الذى يدخل منه الزوار فهو الذى يعرف بمدخل الخليفة المأمون ، إذ أنها فتحة قام بها عمال الخليفة فى القرن التاسع الميلادى فى عام ٨٢٠م (١) . وفى المدماك السادس ، وبعد مسافة ٢٦ مترا تتصل هذه الفتحة بالممر الأصلى وبقية الممرات الأخرى .

وقـــد غطيـــت الأوجه الخارجية للهرم بكساء خارجى من كتل محددة بدقة وملصـــقة بمهـــارة ، وكـــان هذا الكساء الخارجى من الحجر الأبيض الجيد ويعنى البناءون بتسوية سطحه الظاهر من أعلى إلى أسفل .(٢)

وكـــان يحـــيط بالهرم سور عظيم من الحجر الجيرى (٣) . والشكل الهرمى للمقـــبرة الملكية ، وإن كان نتيجة تطور معمارى منذ عهد جسر ، إلا أنه اقترن فى تصـــور المصريين القدماء بالحجر المقدس بنبن ، الذى كان يرمز إلى الأكمة الأولى الـــتى استقر عليها معبود الشمس ، وهكذا يكون الملك المتوفى قد دفن فى أبرز مكان

---

(١) يذكـــر المقريزى أن الخليفة المأمون بن هارون الرشيد هو الذى أمر بفتح الهرم فى الجيزة ظنا أنه يضم كنوزا دفينة ، راجع : د. محمد بكر : صفحات مشرقة مـــن تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ٩-١٠ ؛ بيل شول وإديتيت : سر قوة الهرم الأكبر (ترجمة أمين سلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣ ، ص ٣٧ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٦٩ ؛ وأيضا : Guides Bleus: Egypte, p. 160.

(٢) د. أنـــور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، كان يطلق على الهرم لفظ مر منذ عصر الدولة القديمة (Wb 11, 94, 14) وعلى هضبة الجيزة أسم حرى . (Wb 111, 143, 12)

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

على الأرض ، ويرى العلماء أن جوانب الهرم المائلة تشبه أشعة الشمس المائلة والتى بفضلها يرقى الملك المتوفى أو روحه إلى عالم السماء (١) . وكان هرم خوفو يسمى " آخت خوفو " أى أفق خوفو (٢) . وتكوين وبناء هذا الكم من الأحجار يعتبر معجزة فـــى التنظــيم والترتيب يدل على قدرة وصبر ومهارة العامل المصرى ، وكان لابد لعمـــال لهـــم ، كان هناك فريق خاص من العمال لإعداد الطعام ، وفريق آخر لجلب الماء اللازم للشرب أو الاغتسال . كما كانت تصرف لهم الملابس والأدوات اللازمة للعمل من مخازن الملك . (٣)

وربما استخدموا فى إقامة مثل هذه الأهرام وسائل أخرى علمية لم يتوصل علماء المصريات بعد إلى الكشف عن أسرارها .(٤)

وممـــا قالـــه ديودور الصقلى فى القرن الأول ق.م عن الأهرام المصرية : " واتفقـــت الآراء علـــى أن الأهرام لم تحظ فى مصر بذلك المركز الممتاز لضخامة بـــنائها وبـــاهظ تكالـــيفها فحســـب ، بل لقدة بنائها أيضا ، ومهندسو المشروع أولى بالإعجاب فيما يقال عن الملوك الذين دبروا المال لإنجازه ، لأن المهندسين استنفذوا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ – ٣١٩ ؛ وأيضا :
Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 140.

(٢) Gauthier, Livre des Rois I, p. 72; Helck, in LAV, p. 5.

(٣) د . أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٥ – ٢٦ ؛ وأيضا :
Hoelscher, Das Grabdenkamal des konigs Chephren, Leipzig 1912, p. 15; Vandier, Manuel d`archèologie II, p. 28-86; Weigall, Histoire de L`Égypte Ancienne, p. 37-39; Stadelmann, in LAIV, p. 1227-1231.

(٤) عـــن مختلف الآراء بالنسبة لكيفية تشييد الهرم الأكبر ، راجع ما كتبه وما جمعه حديثا د. زاهى حواس فى مؤلفه : معجزة الهرم الأكبر ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ ، ص ٤١ – ٥٧ .

فـــى إنجـــاز المشروع أرواحهم وهممهم ، بينما استغل الملوك الأموال التى ورثوها ومجهودات الآخرين " .(١)

وقـــد يتســـاءل الـــبعض ألم يكن أولى بملوك الدولة القديمة أن يعملوا على توجيه الجهود التى بذلها رعاياهم ومهندسيهم ورؤساء عمالهم في تشييد أهرامهم إلى نواح عمرانية أخرى أو مشاريع أخرى يعم نفعها على الناس ؟

لـــيس لنا أن نحكم بمنطقنا الحالى على مثل هذه المشروعات . فالواقع أنه كان لكل طائفة من الحاكم ميول . منها النافع ومنها الضار . فقد عرف عن الأباطرة الـــرومان حب البطش والجبروت . وعرف عن ملوك وأمراء العصور الوسطى بذل جانـــب مـــن موارد بلادهم فى بناء القصور . وكانت رغبة ملوك الدولة القديمة هو توجيه جانبا كبيرا من موارد بلادهم إلى بناء الأهرام الضخمة فى الجيزة وأبو صير وســـقارة ودهشور والفيوم . وقد ابتغوا من وراء ذلك نعيم الدنيا وحب الآخرة . وقد يكون من وراء هذا الصرح المعمارى أغراض أخرى نجهل أهدافها حتى الآن .

وحـــول الهـــرم كانـــت هناك مدينة حقيقية للموتى . فقد خصصت الناحية الشرقية من الهرم لأفراد عائلته . فنرى فى أول صف قريب من ضلع الهرم الشرقى وثلاثـــة أهرام صغيرة لأم خوفو وزوجتين من زوجاته ثم نرى مقابر أبنائه وأخوته وغـــيرهم من عائلته فى صفوف مترامية ، وكان لكل هرم صغير مقصورة بها باب وهمى .(٢)

أما فى الناحية الغربية من الهرم فقد دفن عدد كبير من الأشراف ، والنبلاء ورجال البلاط وكبار رجال الدولة من وظفين وإداريين وكهنة فى مقابر أو مصاطب

---

(١) تـــرجمة د. عـــبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٧ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٢) أنـــور شـــكرى : المـــرجع السابق ، ص ٣٢١ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٦٢ شكل ٦٥ – ٦٧ .

فى صفوف بينها طرقات مستقيمة . وكان لكل مقبرة مقصورتها الجنائزية ، ومن بين هذه المصاطب مقبرة " حم ايونو " الذى كان مشرفا على بناء الهرم والذى ربما كان يمت بصلة قرابة للملك خوفو . (١)

وعــثر فــى مقبرة أو مصطبة حم ايونو على جزء أعلى من تمثاله موجود الآن فى متحف هيلدزهيم بألمانيا الغربية .(٢)

وقد بدأت دراسة موقع الأهرام بالجيزة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ومن بين المكتشفين الأوائل كان كافيجليا Caviglia وبلزونى Belzoni الذى دخل الهرم الثانى عام ١٨٢٠ وفيس Vyse عام ١٨٣٧ وبرينج Perring ولبسيوس Lepsius وأعضـــاء البعثة الروسية التى عملت هناك فى بداية عام ١٨٤٠ . وقامت بكــتابة نقــش بالهيروغليفية فوق المدخل الرئيسى للهرم وذلك بمناسبة الذكرى لعيد الجلــوس لملك بروسيا فيلهلم الرابع . وقد قلد لبسيوس أسلوب البروتوكول المصرى القديم فسمى ملك بروسيا " ملك مصر العليا والوجه البحرى "(٣) وهو نقش مقلد وليس قديمـــا بالطبع حتى لا يخدع البعض فى حقيقة أمره . كما عمل ماريت وبترى بنشاط فى الموقع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن .(٤)

---

(١) يعــتقد يونكــر وريزنر أنه هو مهندس الهرم الأكبر ، وهو ابن أخ خوفو أو ابن عمه ، وتلقب بألقاب " المهندس الملكى ومدير المنشآت المقدسة كلها " ، راجع : د. أنــور شــكرى : المــرجع السابق ، ص ٦١ ، ص ٣٦٤ – ٣٦٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٨٢ ، ص ١١٣ حاشية (١) ؛ Helck, in LA 11, p. 1117.

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١١٥ ، ١٩٧ شكل ٨ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٦ ؛ د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية ، ١٩٩ ، ص ١١٤ .

(٤) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 156.

وقـد تـم عمـل حفائر فى مصاطب الجانبين الشرقى والغربى على يدى أعضـاء بعـثة جامعة هارفارد – بوسطن برئاسة ريزنر وأكاديمية العلوم فى فيينا برئاسـة يونكـر وبعـثة جامعة القاهرة عام ١٩٢٩ فى المنطقة الواقعة إلى جنوب الطريق الصاعد للملك خفرع برئاسة د. سليم حسن . ونشروا مؤلفاتهم عن نتاج هذه الحفائـر . كما قام د. أبو بكر بعمل حفائر فى المنطقة نفسها على نطاق ضيق ونشر مؤلفه عنها .

وكان للهرم معبد جنائزى كبير فى الناحية الشرقية منه مازالت بقايا أرضيته من حجر الديوريت الأسود المقطوعة من محاجر فى شمال بحيرة قارون بالفيوم . (١) وفـى الناحية الشرقية من المعبد شيدوا طريقا ضخما يصل إلى معبد الوادى الذى لم يكشـف مكانـه حـتى الآن ولا تزال أطلال هذا المعبد مطمورة تحت منازل قرية السـمان (٢) . وعلـى بعد حوالى ٤٠٠ مترا تقريبا من مكان معبد الوادى من الجهة الشـرقية عثر على بطريق الصدفة أثناء حفر أساسات أبراج سكانية بواسطة إحدى شركات الاستثمار فى منطقة نزلة السيسى شرق نزلة السمان على رصيف أثرى هو جـزء مـن الرصـيف الذى كان يطل على الفرع الثانى للنيل القديم المعروف باسم " النيل الليبى " (نهر قديم لأصله بينه وبين النيل الحالى) ويتقدم معبد الوادى للملك خوفـو . وهـذا الرصيف الأثرى مكون من كتل أحجار جيرية مغطى بكتل البازلت الأسـود الـذى كان يغطى أرضية المعبد الجنائزى لملك خوفو . ويقع هذا الرصيف على عمق مترين فى الأرض الطينية ويمتد يمينا وشمالا بالأرض التى تملكها الشركة الـتى تقـوم بالبناء . وقمت بمعاينة هذا الرصيف ضمن لجنة شكلت من قبل اللجنة الدائمـة للآثـار المصرية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٩٤ . ولكن ضاعت معظم معالمه

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٠٦ – ٣٢٤ .
(٢) د. أحمـد فخـرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

تحـــت أساســـات الأبـــراج السكنية .[١] بسبب عدم وجود الوعى الأثرى الكافى لدى مهندس المشروع الذى فضل إخفاء أمر العثور على هذا الميناء حتى لا تتعطل أعماله وفضل التضحية بهذا الموقع الهام وما عثر عليه فيه وللأسف الشديد أيضا قام مسئول الآثـــار فـــى ذلك الوقت بالتفريط فى هذا الموقع الهام ، واستمرت أعمال البناء حتى قـــررت اللجـــنة الدائمة للآثار المصرية التحفظ على ما بقى من سور مدخل الميناء والسماح للشركة باستكمال بناء الثلاث عمائر .[٢]

وقـــد وصف هيرودوت الطريق الصاعد وقال بأنه عمل لا يقل فى أهميته عـــن بـــناء الهـــرم وحفروا من تحت الطريق الصاعد نفقا ، كان يصل بين الشمال والجنوب من الجبانة دون الاضطرار إلى الالتفاف من وراء الهرم .[٣]

---

(١) أخـــيرا نشر خبر هذا الكشف الأثرى العام فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ / ٢ / ١٩٩٧ ، وص ١٣ تحـــت عنوان : " جريمة أثرية في الهرم . شركة مقاولات تقيم أبراجا سكنية فوق كشف أثرى معروف بالهرم .

وتحدث د. حواس عن هذا الكشف فى مقال ظهر حديثا تحت عنوان :
Z. Hawass, The Discovery of the Harbors of Khufu and Khafre at Giza, in Etudes sur L`Ancien Empire et la Necropole de Saqqara, Montpellier 1997, p. 245-26.

وتأكيدا لوجود هذا الرصيف كان د. فخرى قد أشار إلى وجود رصيف ميناء عند المدخل الأصلى لمعبد الوادى للملك سنفرو بدهشور ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٢١ .

(٢) د. زاهى حواس : معجزة الهرم الأكبر ، ص ١١٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ . وقد نجح د. حواس فى تحديـــد طول الطريق الصاعد لهرم خوفو بحوالى ٨١٠ مترا . وعثر فى نهايته علـــى باقيا أرضية معبد الوادى التى كانت من البازلت الأسود والتى يبلغ طولها ٥٦ مـــترا ، راجـــع : Siliotti – Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 56.

وكان هناك هرم صغير للطقوس فى الناحية الجنوبية من هرم خوفو [1] هدم وزالـت أحجـاره منذ عهد بعيد . وقد كشفت الحفائر منذ وقت بعيد عن ثلاثة حفر كانـت معبدة للمراكب الجنائزية فى الناحية الشرقية من الهرم [2] ، اثنتين فى الناحية الشـرقية والثالثة إلى جانب الطريق الموصل إلى معبد الوادى . وعثر فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ على أماكن اثنتين أخريين فى الناحية الغربية [3] ، تم افتتاح إحداهما واتضح أنهـا تحتوى أجزاء مفككة عددها ١٢٢٤ قطعة خشبية لمركب ضخم ، وبعد أن تمت معالجـتها بـالمواد الكـيماوية ، رسـمت أجـزاؤها وأعيد بنائها وتركيبها (بفضل مجهـودات المرمم الكبير أحمد يوسف الذى أمضى أكثر من عشر سنوات ففى إعادة تركيـبها حتى عام ١٩٦٨ . وتبين أنها مركب طوله ٤٣,٤ مترا وأقصى عرض له سـبعة أمـتار وارتفاع مقدمته خمسة أمتار ومؤخرته سبعة أمتار . وهو من خشب

---

(١) وعثر د. حواس على بقايا هذا الهرم الصغير الذى كان يتخذ شكل حرف T فى الركـن الجنوبى الشرقى للهرم وكان قد عثر عليه بترى عام ١٨٨١ . كما كان يوجـد هرم صغير بهذا الشكل فى الجانب لهرم خفرع ، وعلى بعد من الجانب الجـنوبى لهرم الطقوس عثر حواس على ما يسمى بهريم الملك خوفو ، راجع : Siliotti-Hawass, op. cit., p. 56-57.

(٢) قـام ريزنـر بتنظيف حفرات هذه المراكب شرقى الهرم عام ١٩٢٠ وعثر فى واحـد مـنها على قطع من الخشب المذهب وبعض بقايا حبال ، راجع د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٥٦ .

(٣) د. أنـور شـكرى : المـرجع السـابق ، ص ٣٢٠ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١١٠ – ١١١ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ١٥٦ – ١٦١ شكل ٦٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصـر والعـراق ، ١٩٧٩ ، ص ١١١ – ١١٢ ؛ د. محمـد بكـر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ١٩٨٤ ، ص ٩٣ – ٩٤ ، وعن مركب خوفو ، راجع الدراسة الحديثة : Lipke, The Royal ship of Cheops, Oxford, 1984; Siliotti- Hawass, op. cit., p. 54-55.

الأرز وله اثنى عشر مجدافا . وعثر مع المركب على كمية كبيرة من الحبال التى كانت تستخدم لربط قطع الأخشاب بدلا من المسامير وقطع الجديد ، وتركت الحفرة الأخرى التى تضم المركب الثانى كما هى حتى تم الانتهاء من العمل فى إعادة تركيب المركب الأول وإعداد المتحف الخاص به[١] . وكان هذا المركب يعد جزءا من أثاث الملك الجنائزى[٢] ، وهى مركب رمزى كان من المفروض أن يستخدمه الملك فى تنقلاته فى عالم الآخرة ولم يثبت إنها أنزلت إلى مياه النيل ، وبالتالى لم يستخدم هذا المركب كما هو معتقد فى نقل المتاع الجنائزى وتابوت الملك بعد الوفاة ، ثم يوضع مفككا فى حفرة أو حفرتين بجوار الهرم[٣] . وقد كان معروفا من قبل ثلاثة

---

(١) ولكن تم تصويره بواسطة مختبر خاص بالتعاون مع الجمعية الجغرافية العالمية عام ١٩٨٧ واتضح انه مركب مشابه للأول ، راجع : Siliotti-Hawass, op. cit., p. 55.

(٢) تسمية هذه المركب بمركب الشمس ، هى فى الواقع تسمية غير دقيقة لأن مركب الشمس هى من خيال المصريين القدماء ، فقد تخيلوا أن معبود الشمس رع يعبر محيط السماء فى النهار من الشرق إلى الغرب فى مركب تسمى " معنجت " . ثم يجوب عباب العالم السفلى أثناء ساعات الليل فى مركب أخرى تسمى " مسكتت " وبعض هذه المراكب كان يستخدم رمزيا فى رحلات أخرى جنائزية (راجع : Kitchen, in LAI, p. 619) والبعض ربما كان مراكب حقيقية تستخدم فى نقل تابوت الملك ومتاعه الجنائزى من مقر إقامته ثم توضع فى حفرة أو حفرتين بجوار الهرم لتكون جزءا من متاعه الجنائزى ، راجع د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ١٩٥ ، وفى هذه الحالة يمكن اعتبار مراكب خوفو مراكب رمزية كاملة العناصر والمعدات ولكن لم يثبت أنها استخدمت على سطح المياه بالفعل .

(٣) كانت الحفرة الاولى جنوب الهرم منحوتة فى الصخر وتبعد ١٧,٨٥ مترا عن قاعدة الهرم ، وطولها ٣١,٢٠ مترا وعرضها ٢,٦٠ متر وعمقها ٣,٥٠ متر . وكانت مسقوفة بإحدى وأربعين كتلة كبيرة من الحجر الجيرى . وطول كل كتلة ٤,٨٠ متر وعرضها ١,٦٠ متر وسمكها ٨٥ سم ومتوسط الوزن ستة عشر طنا . وكانت أطرافها مرتكزة على شفة خاصة على كل من جانبى الحفرة ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٥٧ .

أماكـــن للمراكب فى الناحية الشرقية من الهرم وإلى جانب الطريق الصاعد الموصل إلى معبد الوادى . .

ولا يـزال الهــرم الأكبر أكبر لغز معمارى فى تاريخ الحضارات القديمة لمعــرفة حقيقة دوره والغرض من بنائه . فكما تعلمنا وكما تكتب ويكتب أغلب علماء الدراســات المصــرية القديمـــة بـــأن الهرم الأكبر وبقية الأهرام كانت بمثابة مقابر للملــوك . ولكن يستبعد البعض أن يكون هذا البناء الضخم مقبرة فحسب ، منهم من رأى أنـــه كان بمثابة مخزن كبير لتخزين الحبوب بداخله ، ومنهم من راى أنه ساعة شمســية عملاقـــة ، وأنه يستغل لدراسة الفلك وأنه يمثل خلاصة المعارف المصرية القديمة . (١)

وهــناك رأى آخــر يعتقد أن الأهرام تعتبر كنقطة ثابتة التى تتحدد وتقاس وترصـــد منها الارتفاعات والمسافات بالإضافة إلى الاستخدامات الحضارية الأخرى

----

(١) راجع : بيل يول وإد بتيت : سر قوة الهرم الأكبر (ترجمة أمين سلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣ ، اللذان تحدثا عن استخدام الهرم فى عدة مجالات : الهــرم صـــانع المعجــزات ، القديم والجديد (ص ٢١ – ٣٤) اللغز التاريخى (ص ٣٥ – ٥٦) الهــرم كمجال للطاقة الغربية (ص ٥٩ – ٧٣) ، الأهرام وقــوة النبات (ص ٧٧ – ١٠٧) ، الهرم والتأثير فى السوائل (ص ١١١ – ١٢٧) ، الهــرم والتأثــير فـــى الجسام الصلبة (ص ١٣١ – ١٤٩) والهرم والقوى الشافية (ص ١٦٩ – ١٨٩) ، والهرم والتأثير فى إعادة الشباب (ص ١٩٣ – ٢٠٩) ، وتحدثنا عن صوت الهرم أو الذبذبات المفيدة فيه (ص ٢١٣ – ١٣١) الهــرم وحـــالات الوعـــى المغيرة (ص ٢٣٥ – ٢٥٥) ، والهرم والهندســة الخفية وشبكات الطاقة (ص ٢٥٩ – ٢٧٥) ، وأخيرا الهرم كنافذة علـــى الكـــون (ص ٢٩٣ – ٣٠١) ؛ وأيضـــا ما جاء من آراء عند د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

كالبوصلة والمنارة فضلا عن الوظيفة العلمية المتعلقة بالفلك والتقويم ، فهى فى رأى البعض أماكن لخزن المعارف وليست أبنية استخدمت كمقابر .

وقــد جــرت محــاولات كثيرة للوصول إلى حقيقة هذا اللغز بفضل التقدم العلمــى والتكــنولوجى . ففــى عــام ١٩٦٦ قامت مجموعة من العلماء الأمريكيين والمصــريين بتصوير داخل الهرم الأكبر بالأشعة الكونية لتحديد دور الفراغات وما يوجد خلف الممرات الداخلية .

وفى عام ١٩٨٥ قامت مجموعة من غير المتخصصين والمغامرين فى علم المصــريات مــن فرنسا بثقب بعض أحجار الممر الصاعد داخل الهرم بطريقة فنية للوصول إلى سر اللغز .

وفى عام ١٩٨٧ شك اليابانيون فى وجود حجرة سرية أو أكثر داخل الهرم الأكــبر فاستخدموا السونار واستخدمت الكاميرات والأجهزة الدقيقة التى صنعت فى ألمانيا وسويسرا .

وفــى عام ١٩٩١ اكتشف أحد المهندسين الألمان [١] وجود ممر طوله ٦٥ مــترا مــتفرع من حجرة الملكة فى وسط الهرم على ارتفاع نحو ستين مترا متفرع ضــيق مثل فتحات التهوية يبلغ اتساعه ٢٢ × ٢٢ سم ويستحيل دخول جسم الإنسان فيه ولذلك أدخل المهندس الألمانى فيديو بإنسان آلى صغير الحجم [٢] . واكتشف فى نهايــة الممر الضيق باب مستطيل له مقابض نحاسية طولها ٤ بوصات [٣] وهى أول

---

(١) يدعى رودلف جانتبرينك Rudolf Gantendrink ، راجع Kerisel, RdE 44 (1993), p. 35-37.

(٢) أطلق عليه المهندس الألمانى اسم وبواووت ٢ ، راجع : Kerisel, op. cit., p. 36 fig (2).

(٣) Kerisel, op. cit., p. 36 Fig (3) .

ويذكــرنا ذلك بما ذكره د. فخرى بالنسبة لهرم سنفرو الجنوبى بدهشور بأنه لابــد من وجود اتصال بين إحدى حجرات الهرم وخارج الهرم عن طريق أحد الممــرات الــتى تدخل تيار من الهواء الشديد أحيانا ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٣٨ .

قطـــع نحاســـية توجد داخل الهرم . ولابد أنها ليست للزينة لفتح الباب الذى لابد من وجـــود شـــئ خلفـــه فالباب له هدف ولابد من البحث وراء هذا الباب والكشف عن أسراره .

وكانت هناك مخاوف من عدم قدرة الكاميرا الصغيرة على الارتفاع ولكنها ارتفعت بعد إدخالها من فتحة الحجرة المعروفة خطأ باسم حجرة الملكة توازى فتحة التهوية فى حجرة الملك ، والتى اكتشفت عام ١٨٩٨ والتى تنتهى فى الجانب الجنوبى للسطح الخارجى للهرم . وكان ديكسون Dixon قد اكتشف عام ١٨٢٨ أنه يوجد فى هذه الحجرة التى تسمى خطأ بحجرة الملكة قناتان للتهوية تنتهيان فى الجانب الجنوبى والشـــمالى للهرم وكانت مغطيتان وهما يشبهان قناتى التهوية فى حجرة الملك وهما يقعان على ارتفاع ١,٤٠ متر من أرضية الحجرة وهما يبدأن أفقيا بطول مترين وبعد ذلك ينحدران . ويبلغ اتساع الواحدة ٢٢ سم تقريبا وبعد ذلك بفترة قام بترى بفحص نهايـــة القـــناة الجنوبـــية بواسطة منظار ولكن لم يحاول اكتشافها حتى جاء المهندس الألمـــانى جانتبرنيك عام ١٩٩١ [١] ففى مؤلفه الحديث عن "معجزة الهرم الأكبر" يذكر لنا د. زاهى حواس مختلف الآراء التى قيلت بخصوص كيفية بناء الهرم الأكبر كما يذكر لنا فى مؤلفه ما قان به من أعمال داخل وخارج الهرم الأكبر . فحدثنا عن الحجرة الصغيرة المنحوتة فى الصخر بطول ٣٠ مترا أسفل الهرم ، كما تحدث عن المدخـــل والـــبهو العظيم وحجرة الدفن الخاصة بالملك وحجرة الدفن الثانية العلوية المعـــروفة خطأ بباسم حجرة الملكة ، وما بداخل الحجرات الخمس الصغيرة الضيقة الـــتى تعلـــو حجـــرة الدفن الثانية . كما تحدث عن الفتحات الصغيرة الموجودة فى الجانبيـــن الشمالى والجنوبى لحجرة الدفن العلوية ، كما تحدثنا أيضا عن أربعة عشر عنصـــرا معماريا تمثل المجموعة الهرمية للملك خوفو : الهرم ، السور الخارجى ، المعبد الجنائزى ، الأهرام الثلاثة التى تقع إلى الجنوب الشرقى من المعبد الجنائزى ، هـــريم صـــغير كان يعلو هرم الطقوس أو الشعائر ، كما تحدث عن أماكن الخمسة

---

(١) Kerisel, op. cit., p. 33.

مراكب التى عثر عليها فى جنوب وشرق الهرم ، الورشة أو مكان التطهير ، الطريق الصاعد ، معبد الوادى ، مدينة الهرم التى كان يعيش فيها الكهنة وبقية المسئولين ، الميناء الذى يقع عند نزلة السيسى ، فم البحيرة وهو العنصر الثالث عشر . وأخيرًا تحدث عن القرية التى سكنها العمال ودفناتهم الفقيرة وما عثر بها من بقايا عظمية . [١]

ويرى د. حواس أن الأهرام الثلاثة الصغيرة التى تقع إلى الشرق من الهرم الأكبر خصصت لعائلة الملك . ففى الهرم الصغير الواقع إلى أقصى الشمال دفنت امه حتب حرس ويظهر أن الهرم الشمالى قد وضع تصميمه ليبنى فى مكان يبعد بضعة أمتار إلى الشرق من مكانه الحالى . فقد مهدوا الصخر وبدأوا فى عمل الجزء المنحوت تحت سطح الأرض ، ولكن أتضح أن ذلك يتعارض مع تصميم البئر الذى أرادوا أن يعدوها لإعادة دفن المتاع الجنائزى للمكلة حتب حرس ولهذا غيروا مكان بناء الهرم قليلا نحو الغرب . وربما لهذا السبب ينسب د. حواس هذا الهرم للملكة حتب حرس . أما الهرم الأوسط فقد دفنت فيه زوجته الرئيسة مريت ايت إس ، أما الهرم الثالث الصغير فقد رممت مقصورته فى أيام الأسرة الحادية والعشرين وأصبحت معبدا للمعبودة إيسه (إيزيس) ودفنت فيه الملكة حنوت سن الزوجة الثانية لخوفو[٢] وتذكر بردية تورين أنه حكم ٢٣ عاما. ويذكر مانيتون أنه حكم٦٣ عاما [٣]

---

(١) د. زاهى حواس : معجزة الهرم الأكبر ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ ، ص ٤١ – ٥٧ ، ٦١ – ١٠٩ ، ١١١ – ١٢٣ .

(٢) راجع : Vandier, Manuel d`Archéologie II, p. 75-79; Siliotti-Hawass, Guide to Pyramids of Egypt, p. 56. ، وأيضا : د.عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠٣ ، د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٤٥ – ١٨١ أشكال ٦٠ – ٧٠ ؛ ١٦٢ – ١٦٦ أشكال ٦٥ – ٦٦ .

(٣) Gauthier, LRI, p. 72 (2) n. 2-3.

ولكنه حكم تقريبا ٣٢ عاما [١] ، وهكذا شهد إتمام بناء هرمه .

بقايا هرم جدف رع

إن ترتيــب تتابع ملوك هذه الأسرة غير مؤكد ، فلا نعرف مثلا حتى الآن أيــن يوضــع الملك جدف رع ، الابن الثانى لخوفو ، الذى سلب العرش بعد أن دبر مقتل أخيه كاوعب[٢] ، وربما قتل نفسه بعد ذلك . وقد وجد اسمه على الكتل الحجرية التى كانت تغطى المركب الكبير التى عثر عليها جنوب الهرم الأكبر ، مما يدل على أنه أشرف على دفن أبيه [٣] . وقد شيد لنفسه هرما أصغر حجما على بعد بضعة كيلو متر إلــى الشمال بالقرب من أبى رواش وكان يحمل اسم " سحدو جدف رع " أى مضئ جدف رع [٤] ولا يزيد ارتفاعه الحالى عن اثنى عشر مترا ، وللهرم معبدان ،

---

(١) وذلــك اعتمادا على نص لوحة عثر عليها فى الواحات وهى تخص الملك خوفو ومؤرخة بالعام ٢٧ من حكمه . وقد عرض د. زاهى صورة هذه اللوحة ولوحة أخــرى للملــك نفسه عثر عليها فى الواحات أيضا ومثل عليها الملك وهو يقوم بتأديب أسير . واعتمادا على هاتين اللوحتين يرى د. زاهى أن الملك خوفو حكم مــن ٣٠ إلــى ٣٢ عام . وقد أشار إلى هذا فى المحاضرة التى ألقاها فى ندوة الموســم الثقافى للاتحاد العام للأثريين العرب فى ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٤ والتى كانت بعنوان : " المجموعة الهرمية للملك خوفو " .

(٢) Martin-Pardey, in LA 111, p. 378-379

(٣) وقد كتب على هذه الكتلة السنة الحادية والعشرين وهذا يدفعنا إلى اعتقاد أنها كانت قــد قطعت فى هذه السنة أو أنها جهزت فى مكانها سنة أو سنتين قبل وفاة خوفو ، راجــع : د. عــبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠٦ ، وأيضا : Baines-Malek, op. cit., p. 140 .

(٤) يعطــى جوتيــيه اســما آخــر هرم جدف رع هو : حرمر أى الهرم العلوى " ، راجــع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨٦ – ١٩١ شكل ٧٢ ؛ Gauthier, Livre des Rois I, p. 83 (3); LA IV, p. 1231-1232; Helck, in LAV, p. 5.

وتوجــد حفرة على هيئة مركب منحوتة فى الصخر تقع إلى الشرق من الهرم طولها ٣٥ مترا وأكبر عرض لها ٣,٧٥ متر وعمقها ٩,٣٠ متر ، وقد عثر فيها على ثلاثة رؤوس لتماثــيل الملــك فى المتحف المصرى واثنين فى متحف اللوفر بباريس (١) . وتذكر بردية تورين أنه حكم ثمانية أعوام .(٢)

المجموعة الهرمية للملك خفرع :

تولــى من بعد جدف رع وحكم خمسة وعشرين عاما أو أكثر (٣) ، وقرر أن يشــيد لنفسه هرما كبيرا مثل هرم خوفو ، وقد اختار نفس الهضبة المرتفعة قليلا إلــى جوار هرم أبيه ، وعلى الرغم من أن الارتفاع الحقيقى لهرم خوفو هو أقل من الهــرم الأكــبر بحوالــى ثلاثة أمتار أى بحوالى ١٤٣,٥ مترا وطول ضلع قاعدته المــربعة ٢١٥,٥ مــترا . وزاوية ميله هى ٥٣,١٠ درجة إلا أنه يبدو أكثر ارتفاعا وكــان من المفروض أن يكون الكساء الخارجي من الجرانيت ولكن قبل الانتهاء من العمل توفى الملك . ويسمى هذا الهرم " ور خفرع " أى عظيم خفرع .(٤)

ونستطيع أن نرى بقايا معبده الجنائزى ، ومعبد الوادى الذى يمتاز باستقامة خطوطه وجودة صقل سطوحه الخارجية (٥) وكانت تماثيل خفرع منتشرة فى أرجاء

---

(١) عــثر علــيها الفرنســى شاسينا فى حفائر بالمنطقة عام ١٩٠٠ – ١٩٠١ ويبلغ ارتفــاع الرأس ٢٨ سم ، راجع : Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 165.

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٣ . Gauthier, op. cit., I, p. 83 (3)n. (2).

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٨ ؛ Beckerath, LAI, p. 933.

(٤) د. أحمــد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٩٢ – ٢٠٣ شكل ٧٥ – ٧٧ ؛ Baines-Malek, op. cit., p. 140; Gauthier, op. cit., I, p, 86 (4); LAIV, p. 1232-1234; Helck, in LAV, p. 5 .

(٥) أنور شكرى العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٢٥ – ٣٣٢ ، ص ٤٦٥ ، شكل ٥٢ ، ٥٣ .

هذا المعبد وبعضها من حجر الديوريت ، ومن بينها تمثاله الشهير الذى يعتبر آية من آيات الفن المصرى ، ومن أجمل تحف المتحف المصرى ، ويمثل الملك وهو جالس على عرشه ووقف المعبود حورس على شكل صقر خلفه رأسه ليحميه ، ونرى مدى نجـــاح الفنان أو النحات المصرى فى إظهار التعبيرات على وجهه ودقته فى إظهار عضلات الجسم .(١)

وكان ماريت قد عثر على هذا التمثال عام ١٨٦٠ ويبلغ ارتفاعه ١٦٨ سم وعرضـــه ٥٧ ســم ويحمل رقمCG14 بالمتحف المصرى (٢) . وكان لمعبد الوادى مرسى فى الجهة الشرقية . ويبلغ طول الطريق الصاعد الموصل بين المعبدين حوالى ٥٠٠ مترا . ونرى أيضا الحفر التى كانت معدة للمراكب حول الهرم وعثر منها على خمســة مراكــب جنائزية (٣) . وهناك أيضا بقايا مدينة العمال فى الجهة الغربية من الهــرم وكانــت مقســمة إلى حوالى ١١٠ قاعة وكانت معدة لإيواء أكثر من ٣٥٠٠ عاملا . (٤)

ومــن أشهر المقابر الصخرية التى تقع فى الشرق من الهرم الأكبر ، مقبرة الملكة مرس عنخ الثالثة زوجة خفرع .(٥)

---

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٢٠ – ١٢١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المــرجع الســابق ، ص ١١٥ ؛ وأيضا : Daumas, La Civilisation de L`Égypte Pharaonique, p. 96 fig, 26.

(٢) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 31.

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٤ – ١١٥ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٥) د. أنــور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ ، صورة ٥٩ ؛ Simpson, in LAIV, p. 78.

تمـــثال أبو الهول كجزء من المجموعة المعمارية لخفرع وما تشير إليه لوحة الحلم الخاصة بالملك تحوتمس الرابع :

سوف نتحدث عن هذا التمثال فى محورين :

الأول : أبو الهول كتمثال لحور آختى :

مـــن المعتقد بوجه عام أن تمثال أبى الهول الشهير مؤرخ من حكم خفرع ، وقد نحت تمثال أبى الهول فى وسط مكان منخفض . وليس هذا المنخفض فى حقيقة الأمـــر إلا محجـــرا كبيرا من المحاجر التى قطع منها العمال الأحجار اللازمة لبناء المجموعـــة الهرمـــية وكـــان فى الأصل عبارة عن كتلة صخرية تعترض الطريق الصـــاعد بيـــن المعبد الجنائزى ومعبد الوادى وهنا واجه البناؤون مشكلة وجود هذه الكـــتلة وفكـــروا فى تغيير شكلها ، وقد حولت هذه الصخرة إلى تمثال له جسد أسد ضـــخم رابض رمزا للملكية ورأس آدمية تحمل غطاء الرأس الملكى المعروف باسم " نمس " ويمثل وجهه الملك خفرع نفسه ويبلغ طول الجسم حوالى ٥٧ مترا وارتفاع الرأس من فوق مستوى الأرض ٢٠ مترا ، وارتفع الأذن ١,٣٧ متر ، وارتفع الأنف ١,٧٠ مـــتر . ويـــبلغ اتساع فتحة الأنف ٢,٣٢ متر . ويبلغ أقصى عرض الوجه ٥ متر .[(١)]

ويمكنـــنا أن نلاحظ عن قرب بقايا اللون البرتقالى أعلى الوجه وكذلك على غطاء الرأس النمس وبقايا الصل المقدس فى الجبهة [(٢)] ولا نعرف هل هذا كان اللون الأصـــلى لوجـــه التمـــثال أو أنه تغير نتيجة عوامل التعرية وطول الزمن أما اللحية المســـتعارة فقد سقطت وعثر عليها كافيجليا عام ١٨١٨ وجزء منها موجود بالمتحف

---

(١) د. عـــبد الحمـــيد زايـــد : مصر الخالدة ، ص ٢١١ ؛ Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 60 n. 2; les Guides Bleus: Egypte, p. 167.

(٢) نجـــد بقايـــا هذه الألوان فى الصور التى يعطينا إياها : Silliotte-Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 69 (c).

البريطانى والآخر بالمتحف المصرى [١] . ولم يحدث أن ملكا من ملوك الدولة القديمة أو غيرها حاول تقليد هذا التمثال الضخم . قد وجد اليونانيون فيه شبها من " أبى الهول المقدس " الذى يمثل عندهم أنثى الأسد برأس امرأة الذى كان يسبب الرعب فى مدينة طيبة " بوتى – Beoti " طبقا للأسطورة . لذلك أعطوه هذا الاسم الذى يطلق عليه خطأ حتى الآن .

وعند الحديث عن تمثال أبى الهول يخلط الناس بين عقيدتين مختلفتين : أبو الهول اليونانى الذى كان عبارة عن أنثى الأسد ذات جناحين ورأس امرأة وهى تلك الصورة المتخيلة فى أسطورة " أوديب " ، والأخرى وهى الأسود المقدسة الشهيرة المعروفة فى مصر والتى أسماها الإغريق أنفسهم " أبا الهول "[٢] ، ولكنها أسود برأس ملك وهى مذكرة ، كما ذكر هيرودوت . وهناك تشابه بين الكلمة اليونانية " Sphinx " والتعبير المصرى " Shespankh " (أى تمثال حى أو الصورة الحية [٣]) و الذى استخدمه المصريون للتعبير عن الأسود الرابضة وابتداء من هذه التسمية اقترح بعضهم أن اسم أبى الهول اليونانى وشكله ما هى إلا تقليد فنى نقل إلى

---

(١) Id., op. cit., p. 66-67 (E).

(٢) فضلنا استخدام اسم " أبو الهول " اسما مبنيا كما استخدمه د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١١٧ (٤٦) ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٢٧ – ٢٤٠ ؛شكل ٩٣ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ٩٠ – ٩١ (١) ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٣٢ – ٣٣٤ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١١١ .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الدنى القديم ، ص ١١١ . لكلمة ssp راجع . Meeks, Alex. I, p. 379. وحتى كلمة šsp وحدها تعنى " أبو الهول " (Id., p. 379); Chr. Zivie, in LAV, p. 1140; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 82.

الإغريق عن طريق سوريا وقد ثبت صحة هذا الأمر . فأبو الهول أو الأسد يمثل قوة الملك ، الذى يقسو على المتمردين ويحمى الخيرين . بوجهه الإنسانى ذى اللحية فهو ملك ، وبجسمه الحيوانى فهو أسد ضار لا يمكن مقاومته أثناء القتال .

ونرى تماثيل أبى الهول موضوعة فى صفين يزدان بهما طريق المعبد فيما بعــد ، ويزيد الملك من إعداد تماثيل أبى الهول لكى يدعم حماية المعبد ، وهو يندمج مــع روح أبــى الهــول (أو روح الأسد) حارس الأفقين ، وأحيانا نجد أن المعبود نفســه هــو الذى يتمثل فى الحيوانات الضارية لكى يدافع عن مسكنه ، وأبو الهول بالجيزة له شهرة كبيرة ، فهو أكبر تماثيل أبى الهول الموجودة لدينا ، وأقدمها ، وقد نحــتها عمال خفرع على شكل أسد رابض حارس لجبانة الموتى الغربية حيث تغرب فيها الشمس ويسكنها الموتى .

وفى عصر الدولة الحديثة تغيرت فكرة المصريين عن " أبى الهول " فقد أصبح يمثل معبود الشمس وأصبحت له عبادة خاصة فى المنطقة ، وكان يطلق عليه حور آختى أى " حــورس المنــتمى إلــى الأفقين "[١] وكانت الصحراء التى حول الأهرام تعج بحــيوانات الصــيد ، وفى هذه الفترة كان أبو الهول مغطى بالرمال . وكان الملوك والأمــراء يــأتون للصيد وزيارة هذا المكان وقد حدث أن جاء الأمير تحوتمس إلى المكان القريب من أبى الهول لكى يستريح فى ظل رأسه . وعندما أخذت الأمير سنة من النوم رأى فى الحلم أن هذا المعبود يتحدث إليه ويشكو إليه مما تعرض له جسده من انهيار فأصبح كالمريض وأن رمال الصحراء تقترب منه . وبشر المعبود الأمير بأنــه سيصبح ملكا على مصر . ونقرأ تفاصيل قصة حلم تحوتمس الرابع على لوحة أمــر بإقامتها هناك أمام صدر أبى الهول عثر عليها كافيجليا عام ١٨١٨ [٢] . وفى

---

(١) Muller-Winkles, in LAV, p. 1139-1147; Assmann, in LA 11, p. 992-996.

(٢) Chr, Zivie, Giza au Deuxiéme Millénaire, BdE 70 (1976), p. 125-145 (Doc, 14); Id., in LA11, p. 604, 606-607; Id., in LAV, p. 1140-1141; Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 111, p. 307.
تــرك تحوتمس الرابع حوالى ١٧ لوحة فى منطقة الجيزة مخصصة للمعبودات تحوتــى وحــورس وأتوم وسوكر وأمون رع وبتاح وسشات وحتحور وإيزيس وموت ، راجع : Chr. Zivie, op. cit., p. 154-159.

السطر ١٣ نقرأ : " تمثال (snn) ... خفرع الشبيه (twt) الذى خلفه آتوم – حور ام آخت "(١)وعثر فى حفائر عام ١٩٣٦ لوحات كثيرة هامة تدل على أن " أبا الهول " كان موضع تكريم فى الدولة الحديثة .(٢)

وقد عثر على معبد صغير شيده الملك أمنحتب الثانى تكريما لأبى الهول ، وقام الملك بوضع لوحة فى ذلك المعبد تكريما للمعبود يقص فيها زيارته للمنطقة .(٣)

وقام الملك سيتى بتكريس لوحة من الحجر الجيرى وأضاف إلى البوابة الخارجية لهذا المعبد .(٤)

ولم يقتصر الأمر على اللوحات التى أمر الملوك بإقامتها ، بل كشفت الحفائر أيضا عن وجود عدد كبير من اللوحات التى أقامها رعاياهم (٥). وقد وفد على

---

(١) Chr. Zivie op. cit., p. 129 .

راجع حديثا : د. رمضان عبده : أضواء جديدة على لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع (دراسة أثرية ولغوية وتحليلية) ، نشر فى المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة المنيا ، العدد السابق والأربعون ، يناير ٢٠٠٣ ، ص ٣٤٩–٤٤٥.

(٢) Id., op. cit., p. 160-203.

(٣) Id., op. cit., p. 64-84.

حرفيا " مهبط حور أم آخت " أو " مهبط خوفو وخفرع " أى المنطقة التى تشمل تمثال أبو الهول ومعبد أبو الهول الذى يقع أمامه مباشرة وكان مندثرا تحت الرمال ، عصر الدولة الحديثة ، وأراد أن يشيد معبدا شبيها لمعبد أبو الهول المخصص لحورون – حور أم آخت ، راجع د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ – ٣٦٦ حاشية (٤) .

(٤) Id., op. cit., p. 184-189.

(٥) Id., op. cit., p. 207-249.

مصـــر فـــى عصر الدولة الحديثة الكثير من الآسيويين الذين جاءوا بعبادة معبوداتهم الآســـيوية معهم وحاولوا التقريب بينها وبين المعبودات المصرية ، وقد استقرت فى هـــذه المـــنطقة مجموعـــة الـــرواد الآســـيويين كانوا يتعبدون إلى معبودهم المسمى " حـــورون "[١] ورأوا فى " أبى الهول " المصرى شبيها لمعبودهم وقدسوه بهذا الاسم وأطلقـــوا على المكان الذى يحيط به " بوحولى " ولما جاء العرب حرفوا الكلمة إلى أبـــى الهول[٢] ، وذلك بعد إضافة حرف الألف إلى كلمة "أبو " وهى مأخوذة من لفظ مصرى قديم " بو " بمعنى مكان .

وقـــد تعرض تمثال أبى الهول لكثير من عمليات الردم بواسطة الرمال التى تحـــيط بـــه . وفـــى العصر البطلمى حاول البناءون ترميم التمثال باستخدام أحجار صغيرة الحجم ، ووضعوا بين قدميه مائدة للقرابين من الجرانيت الأحمر ما زال فى مكانـــه حتى الآن . وكانت منطقة أبى الهول من المناطق التى كان يقبل عليها الناس فـــى العصـــر الرومانى . وكان الزوار ينقشون أسماءهم وتعليقاتهم على ذراعى أبى الهول وعلى لوحات تركوها على مقربة من هذا المكان وقد شوه أنفه وتحطمت اللحية والصل المقدس وأصاب النحر العنق وضاعت بعض ألوانه الأصلية .

ولـــم يقـــم جنود بونابرت بتحطيم أنف أبو الهول كما يقال . ولكن طبقا لما رواه المقريـــزى عام ١٤٣٦ ميلادية ، أنه كان يعيش فى القرن التاسع رجل صوفى يدعى " صائم الدهر " هو الذى ذهب إلى منطقة الأهرام وشوه وجه أبى الهول ليثبت أنه مجرد تمثال من الحجر وليس شيئا مقدسا كما يعتقد البعض .[٣]

---

(١) Id., op. cit., p. 311-313.

(٢) S. Hassan, The Great Sphinx and its Secrets (1958), p. 52-122; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 271-272; Chr. Zivie, Giza du Deuxiéme Millénaire (BdE 70), (1967), p. 310-315.

(٣) Z. Hawass, The Pyramids of Egypt, p. 35.

المحـــور الـــثانى : مـــا تشير إليه الدراسة التحليلية التى قمنا بها للوحة تحوتمس الرابع :

عـــندما تولـــى تحوتمـــس الرابع العرش أظهر نشاطا كبيرا بالنسبة لمنطقة الجيزة ومقدساتها . ومن بين ما قام به من أعمال هو إقامة لوحة بين قدمى أبو الهول أطلـــق عليها العلماء " لوحة الحلم " وسرد لنا على هذه اللوحة قصة حلمه وكيف أن المعبود حور أم آخت تحدث إليه فى حلمه وشكى إليه من اقتراب رمال الصحراء منه والحالـــة الـــتى وصل إليها جسده وأصبح كالشخص المريض الذى أصابه انهيار . وللأسف الشديد أن نهاية النص مفقودة وتحطمت ولهذا لا نعرف على وجه التحديد ما قام به الملك لتمثال أبيه حور أم آخت من حسن أعمال لإنقاذه من الرمال وإنقاذ جسده مـــن الانهـــيار . ونظرا لأهمية النص وأهمية المنظر المزدوج أعلى اللوحة ومنظر القاعدة التى يربط عليها تمثال حور أم آخت آثرنا أن ندرس هذه اللوحة بالتفصيل (١) وسوف نذكر بعض المقتطفات مما جاء فى هذا المقال وما تشير إليه نصوصها :

السـطر ٨ : حـــدث أن ذهـــب الأمير تحوتمس لكى يتنزه وقت الظهيرة ، وجلس فى ظل هذا المعبود العظيم ، فغشيه النعاس وحلم فى لحظة كانت الشمس فى كبد السماء .

السـطر ٩ : وأتضـــح له أن جلالـــه هـــذا المعبود المبجل يتحدث من فمه شخصـــيا مثال الوالد الذى يتحدث إلى ابنه : تأملنى وأنظر إلى يا بنى : تحوتمس أنه أنا ، أبوك حور أم آخت خبرى رع آتوم ، سوف أعطيك مملكتى على الأرض .

السـطر ١٠ : علـــى رأس الأحـــياء ، وسوف تحمل التاج الأبيض والتاج الأحمـــر علـــى عرش جب الوريث ، وسوف تخضع لك البلاد فى طولها وعرضها وأيضـــا كل ما يضئ عينى سيد الكون ، وخيرات من داخل الأرضين سوف تصبح لـــك ، (وأيضا) منتجات كل بلد أجنبى بوفرة ، مع حياة طويلة غنية بالسنين ، أن

---

(١) د. رمضـــان عبده : أضواء جديدة على لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع (دراسة أثرية ولغوية وتحليلية) مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٤ حاشية (٢) .

وجهى لك وقلبى لك (طالما) أنت لى .

السطر ١١ : (أنظر) إلى حالى مثل من يعانى ، (لأن) كل جسدى أصبح منهارا (لأن) رمال الصحراء التى أقوم عليها تقترب منى ، ولهذا أسرعت لكى أجعلك تحقق ما فى قلبى ، أننى أعرف ما هو آت ، أنك ابنى ، وحامى ، أقترب أنت ، أنظر أننى معك ، أننى .

السطر ١٢ : مرشدك ، وبمجرد أن انتهى من نطق هذه الكلمات استيقظ هذا الأبن الملكى عند سماعه هذه ... (وعندئذ) فهم كلمات هذا المعبود واحتفظ بالصمت فى قلبه وقال ... تعالوا فلنسرع إلى ضيعتنا (أو مقرنا) بالمدينة (أى منف) ونخصص القرابين .

السطر ١٣ : لهذا المعبود ونحضر له الماشية وكل الخضروات الغضة والطازجة .[١]

وبعد ذلك قمنا بتحليل المنظر المزدوج فى أعلى اللوحة واتضح لنا :

أولا : أن الملك يقوم بتقديم البخور ويصب ماء التطهير وفى المنظر المقابل يقوم بتقديم الآنية نمست بكلتا يديه لتمثال حور أم آخت أى أنه يقوم بأداء طقوس دينية أمام تمثال المعبود .[٢]

ثانيا : أن صورة تمثال حور أم آخت الذى ظهر فى المنظر المزدوج ليست صورة التمثال الكبير الفعلى ولكن صورة لتمثال فعلى مصغر كان موضوعا فى مقصورة من عصر الملك تحوتمس الرابع خصصها لتمثال حور أم آخت .[٣]

---

(١) المقال نفسه ، ص ٣٧٠ – ٣٧٣ .
(٢) المقال السابق ، ص ٣٧٧ – ٣٨٠ .
(٣) المقال السابق ، ص ٣٨٠ – ٣٨٢ .

ثالثا : تحدثت عما أثاره شكل القاعدة التى يربض عليها تمثال حور أم آخت من جدل وقمت بمقارنة شكل هذه القاعدة فى مناظر اللوحات الأخرى التى عثر عليها فى منطقة أبو الهول [١] . وذكرت ١٧ مثالا [٢] من بينها كتلتين موجودتان الآن بمــتحف اللوفر تحت رقمى ١٨ – ١٩ب للملك رمسيس الثانى عليهما شــكل القاعدة نفسه [٣] . وبناء على كل هذا أتضح لنا أن شكل هذه القاعدة يــتخذ شكل السرخ الملكى . وهذا السرخ يمثل في رأينا واجهة المقصورة التي شيدها الملك تحوتمس الرابع في مكان ما بمنطقة أبو الهول . وانه قام بتأدية الطقوس أمام تمثال المعبود حور أم آخت فى هذه المقصورة [٤] وهى المقصــورة نفســها إلى قام الملك رمسيس الثانى بأداء الطقوس نفسها أمام التمــثال نفســه .[٥] والســؤال : هل شيدت هذه المقصورة فى مكان ما فى مــنخفض أبو الهول نفسه ، وأنها كانت ما تزال قائمة حتى عصر رمسيس الثانى وعندما غطت الرمال هذا المنخفض هدمت أثناء عمليات إزالة الرمال المتراكمة ؟

هرم منكاورع :

جــاء من بعده جدف حور [٦] وباواف رع [٧] اللذان جاء ذكرهما فى بردية وستكار .ولكننا لا نعرف عن حكمها أى شئ . وتولى العرش بعد ذلك منكاورع الذى

---

(١) المقال السابق ، ص ٣٨٣ – ٣٨٨ .

(٢) المقال السابق ، ص ٣٨٨ – ٤١٨ .

(٣) المقال السابق ، ص ٤٠١ – ٤٠٣ (١٤) .

(٤) المقال السابق ، ص ٤١٨ – ٤٢٠ .

(٥) المقال السابق ، ص ٤٢٠ .

(٦) Beckerath, in LAI, p. 1099-1100.

(٧) Beckerath, in LAI, p. 600 .

شـــيد هرمه على الهضبة نفسها ، ويبلغ ارتفاعه ٦٥,٥ مترا وطول الضلع ١٠٨,٥٠ مترا . وقد اكتشفه " برينج Berring " عام ١٨٣٩ ، وقد شيد بحجم صغير دون أن يصـــل إلـــى ارتفاعات أهرام سابقيه ، فهذا الهرم لا يصل إلا إلى منتصف الأهرام الأخـــرى ، ممـــا يـــدل على ضعف الإمكانيات المادية فى عصره[١]. وعندما دخل " بريـــنج " حجرة الدفن فى الهرم عثر على بقايا مومياء الملك فى تابوته والذى كتب عليه النص الآتى :

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ، منكاورع ، الحى أبدا ، ولد من نوت ، وأنجبـــته معبودة السماء نوت ، ووريث المعبود جب المفضل لديه ، أمك نوت تبسط ذراعـــيها عليك باسمها " سر السماء " وتمنحك الحياة كمعبود بدون أعداء[٢] " . وقد عـــثر أيضـــا على التابوت الخارجى من البازلت ، الذى كان فى طريقه إلى انجلترا ولكـــن الـــباخرة الـــتى نقلته غرقت فى البحر المتوسط أمام شواطئ أسبانيا . ويرقد الـــتابوت الآن فـــى أعماق البحر ، وقد أجريت عدة حفائر فى معبد الوادى عثر فيه على بعض التماثيل الجميلة التى تمثل الملك وعن يمينه المعبودة حتحور وتمثال آخر علـــى هيـــئة امرأة يمثل أحد الأقاليم المصرية ، وقد عثر على أربعة تماثيل من هذا النوع ، وهى من الشست ، وهى موجودة بالمتحف المصرى ويحمل رقم JE.40679 ويـــبلغ ارتفاعهـــا ٩٢,٥ سم وعرضها ٤٦,٥ سم . وقد عثرت عليها بعثة هارفارد بوسطن عام ١٩٠٨ ولم ينته البناء فى المعبد عندما توفى الملك ، فأكمله ابنه وخليفته شبسســـكاف (٢٤٧١ – ٢٤٦٧ ق.م)[٣] وأتم معبد الوادى بمواد بسيطة من الطوب

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٢) Weigall, Histoire de L`Égypte Ancienne, p. 41-42.

د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢١٤ – ٢١٩ .

(٣) Saleh-Sourouzian, op. cit., no.33.

اللبن[١] ، أما الطريق الصاعد فبنى من الحجر الجيرى المحلى .[٢]

ويقال أنه فى نهاية حكمه عرف منكاورع الصعاب المالية ، وفرغت خزائنه " فقد أقام الكثير من الأعياد وكان يتمتع بالنهار والليل دون انقطاع " . وعاش ابنه فى تلك الصعاب المالية ، وعلى الرغم من أنه حكم حوالى ثمانية عشر عاما[٣] إلا أنه ترك فى النصوص المصرية ذكرى طيبة كرجل متسامح .

جاء من بعده شبسسكاف الذى لم يحكم سوى أربع سنوات . ويذكر مانيتون أنه حكم سبع سنوات [٤]، وشيد لنفسه فى الناحية الجنوبية من سقارة ، مقبرة على هيئة مصطبة كبيرة سميت الآن بمصطبة فرعون .[٥] وتبلغ ١٠٠ مترا × ٧٢ مترا × ١٨ مترا فى الارتفاع ، وأضاف إليها معبدا جنائزيا ومعبد للوادى وطريقا يوصل بينهما وكانت المقبرة تحمل اسم " كبحو شبسسكاف " طاهر شبسسكاف .[٦]

---

(١) Baines-Malek, op. cit., p. 36.

(٢) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ – ٣٣٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢١٦ .

(٣) يذكر د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٢٣ أنه حكم أكثر من واحد وعشرين عاما . ويذكر مانيتون أنه حكم ٦٣ عاما ، راجع : Gauthier, Livre Rois I, p. 95 (5) n. (2) .

(٤) Gauthier, op. cit., I, p. 101 (6) n. (2); Beckerath, in LAV, p. 582-583.

(٥) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢١٩ – ٢٢٣ شكل ٨٨ – ٩٠ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ١٢٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٦) Baines-Malek, op. cit., p. 140; Gauthier, op. cit. I, p. 101 (6); Stadelmann, in LAIV, p. 1239-1241; Helck, in LAV, p. 5.

أما عن خنتكاوس فيثار الجدل بشأنها ويتجه الرأى الآن إلى أنها كانت ابنة منكاورع وأختا لشبسسكاف وأنها تزوجت من بعده أحد الخواص وهو وسركاف فأيدت حقه فى اعتلاء العرش ، وشيدت لنفسها مقبرة فى الجيزة على هيئة مصطبة كبيرة أو تابوت كبير ، فوق قاعدة من الصخر كستها بحجر جيرى جيد وشيدت كذلك معبدا جنائزيا صغيرا .(١)

وعلى بعد حوالى كيلو متر إى الجنوب الشرقى من أهرام الجيزة عثر د. حواس على حوالى ٣٠ مقبرة كبيرة و٦٠ مقبرة صغيرة واستخدمت لدفن الفنانين ورؤساء العمال والعمال الذين ساهموا فى بناء الأهرام وملحقاتها وهى مقابر بسيطة جدا شيدت بكتل صغيرة من الحجارة على سطح الأرض (٢) . ويبدو أنها مقابر العمال الذين توفوا أثناء العمل ولا تقارن بمقابر العمال فى دير المدينة مثلا وسوف نتحدث عنها فيما بعد (ص ١٧٠ ، ١٧١) .

أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة :

كانت أقل حجما وشيدت فى سقارة وأبو صير وملحق بها المعابد الجنائزية ومعابد الوادى وتتميز معابد الوادى للأسرتين الخامسة والسادسة بكثرة ما يحليها من مناظر منقوشة . ويسود فى معابد أهرام الأسرة السادسة استخدام المرمر المصرى بدلا من حجر البازلت والجرانيت .

شيد الملك وسركاف أول ملوك الأسرة الخامسة هرمه فى سقارة ، ويسمى الآن " الهرم المخربش " (٣) وشيد ساحورع هرما فى أبو صير وله معبد جنائزى

---

(١) د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٢٣ – ٢٢٦ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ١٢٥ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ ؛
Otto, in LAI, p. 930-931; Stadelmann, in LAIV, p. 1241-1243.

(٢) Siliotti-Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 86-87.

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ – ٢٤٧ شكل ٩٤ .

وطــريق صـــاعد [١] وشـــيد الملك نفر اركارع مجموعة هرمية فى ابو صير تشبه مجموعــة الملــك ساحورع [٢] . وشيد الملك نفر إف رع هرمه جنوبى غرب الهرم السابق فى ابو صير [٣] . كما شيد الملك نى أوسر رع هرمه فى منطقة أبو صير [٤] كمــا شــيد جــد كارع اسيسى هرمه فى سقارة [٥] . وكذلك الملك ونيس آخر ملوك الأسرة [٦] .

ومــنذ عصـــر الملـــك ونيس كانت جدران غرفة الدفن ، فيما عدا الجدار الغــربى ، وفى كثير من الأحيان جدران الدهليز المستقيم ، نقشت نصوص ما عرف بمتون الأهرام فى سطور راسية بخط هيروغليفى بلون أزرق مائل للاخضرار .

وفى الأسرة السادسة شيد الملك تيتى أول ملوك الأسرة هرمه فى سقارة [٧] كمــا عــثر علــى هــرم زوجــته ايبوت[٨] . كما شيد بيبى الأول هرمه فى سقارة الجنوبــية [٩] وشيد مرى إن رع هرمه فى سقارة [١٠] . وشيد بيبى الثانى هرمه فى سقارة[١١] . وشيد خارج السور الخارجى لهرم الملك بيبى الثانى ثلاثة أهرام صغيرة لثلاث ملكات منهن الملكة نيت[١٢] . وكان لكل هرم معبد جنائزى .

---

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ – ٢٥٢ شكل ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ – ٢٥٥ شكل ٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٦ – ٢٥٨ شكل ١٠٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ – ٢٦٠ شكل ١٠٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٦١ – ٢٦٦ شكل ١٠٣ – ١٠٤ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ – ٢٧٢ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ – ٢٧٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ – ٢٧٧ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ – ٢٨٣ شكل ١٠٦ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٥ .

فى العصر الوسيط الأول :

لا نعرف أى شئ ذو أهمية عن العمارة الجنائزية فى هذه الفترة ، غير هرم الملـك ايبى ، أحد ملوك الأسرة الثامنة فى سقارة الجنوبية [١] . وهو هرم صغير لم يكمـل بناؤه وتنقصه المبانى الملحقة بأهرام الدولة القديمة . وكان يتألف من نواة من مـن حجر صغير الحجم ، يحيط بها جدار من حجر مبنى ، وربما كان يكسوه كساء مـن حجـر جـيرى . وكان مدخله إلى الشمال ، وتغطى جدران حجرة الدفن متون الأهـرام . وهـو هـرم صغير لا يزيد حجمه على حجم هرم الملكة نيت . ويذكر د. فخرى هرم خوى فى سقارة من العصر الوسيط الأول .[٢]

فى عصر الدولة الوسطى :

شـيد ملوك الدولة الوسطى العديد من الأهرام والمقابر والمعابد الجنائزية ، فقد شيد الملك انيوتف الأول من الأسرة الحادية عشرة مقبرة له فى الطارف فى البر الغـربى فـى طيبة . وكذلك انيوتف الثانى شيد مقبرة كبيرة كان يعلوها هرم وأيضا انـيوتف الثالـث . وشيد منتوحتب الأول مقبرة له فى البر الغربى ولكنه لم يتمها . وشيد منتوحتب الثانى مقبرة ومعبدا جنائزيا بالقرب من الدير البحرى فى غرب طيبة فى بناء واحد من مسطحين كبيرين يلى أحدهما الآخر . وقد شيد هذا المعبد فى مكان يشـرف عليه جبل عال مما دعا إلى بنائه على طراز مبتكر ، يدل على حسن تفكير وذوق فـنى عـال . ونلاحظ أنه كان يتوسط المسطح الثانى قاعدة مرتفعة كان يقوم فوقها هرم مسمط .[٣]

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ – ٢٩٢ شكل ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٢٩ – ٢٩٤ شكل ١٠٨ .

(٣) د. أنـور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ – ٣٧٨ شكل ١٥٥ – ١٥٧ ؛ وأيضا د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٩٦ – ٣٠١ شكل ١٠٩ .

وشـــيد الملـــك امنمحات الأول هرمه فى منطقة اللشت [١] ، وكذلك الملك سنوســـرت الأول [٢] . ويشتمل هرم كل من امنمحات الأول وسنوسرت الأول على دهلـــيز مـــنحدر يؤدى إلى بئر تؤدى بدورها إلى غرفة الدفن ، وقد سد مدخل دهليز هـــرم سنوسرت الأول بحجرتين من الجرانيت طولهما أحد عشر مترا وعشرة أمتار علـــى الـــتوالى . وكـــان يؤدى إلى المعبد الجنائزى لهرم الملك سنوسرت الأول فى اللشـــت طـــريق مســـقوف . وعـــثر فـــى هذا المعبد على عشرة تماثيل تمثل الملك جالسا .[٣]

وشـــيد الملـــك امنمحات الثاني هرمه فى دهشور [٤] وشيد سنوسرت الثاني هـــرمه فى منطقة اللاهون [٥] ، وأصبح مدخل الهرم فى عهد ذلك الملك فى الجانب الجنوبى للهرم . ويلاحظ أن أهرام الأسرة الثانية عشرة كانت أكبر من أهرام النصف الثانى من الدولة القديمة . ولا يعرف شئ ذو قيمة عن معبد الوادى والطريق الصاعد لأغلب أهرام الأسرة الثانية عشرة .

وشيد سنوسرت الثالث هرمه فى دهشور [٦] ، وكانت نواة الهرم تبنى بأكملها بمداميك أفقية من اللبن دون استخدام جدران مساندة . وكان يعلو الهرم هريم أو هرم رمـــزى مـــن كلتة واحدة من حجر مصقول من الجرانيت أو البازلت . وقد شيد هذا الهرم من الطوب اللبن وكساه من الخارج بالحجر الجيرى .

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٠٣ – ٣٠٧ شكل ١١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٧ – ٣١١ شكل ١١١ .
(٣) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 87.
(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣١١ – ٣١٢ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٣ – ٣١٧ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣١٧ – ٣٢١ شكل ١١٢ .

وشــيد امــنمحات الثالث هرمه فى هواره [١] . ولجأ فيه مهندسه إلى حيل مخــتلفة لتضـــليل اللصوص ، منها كثرة الدهاليز والغرف . وفى المتحف المصرى هريم لامنمحات الثالث من جرانيت اشهب ، وقد زال الكساء الخارجى لأهرام الدولة الوســطى . وتقــع المعــابد الجــنائزية فى الجهة الشرقية فيما عدا المعبد الجنائزى لامــنمحات الثالــث ، إذ يقــع فــى جــنوب الهــرم ، وهو ما أطلق عليه الإغريق " اللابيرانث " وقد عده الإغريق من عجائب مصر ، على أن أحجاره انتزعت منه ، ولم يبق منها سوى أكداس من الأنقاض تغطى الأرض . وقد زاره هيرودوت ووصفه ديودور الصقلى وذكره سترابون وقال أنه يضارع الهرم ، وأنه قصر كبير مؤلف من قصور كثيرة بعدد أقاليم مصر .[٢]

شــيد امــنمحات الثالث هرما آخر فى دهشور وهو مشيد بين هرم سنفرو المنحنى وبين منطقة دهشور قريبا من حافة الأراضى الزراعية ، وهو آخر مجموعة أهــرام دهشــور فى الجهة الجنوبية . ولم يقم أحد حتى الآن بحفر معبد الوادى لهذا الهرم بالرغم من أن مكانه واضح ، ويدل عليه طريق صاعد طويل .[٣]

فى العصر الوسيط الثانى :

أن الأعمال الفنية الباقية من هذا العصر تكاد تكون نادرة جدا ، لكى ندرك بســهولة أن هذه الفترة لم تكن ملائمة للإبداع الفنى ، وغذا كانت التحف الفنية نادرة فهذا مرجعه إلى أن الإنتاج الفنى نفسه قد قل إلى حد كبير ، ويلاحظ فى بعض تحف هذا العصر افتقاد فنانيها للأصالة والابتكار هذا إلى جانب عدم الاتقان .

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢١ – ٣٢٦ شكل ١١٣ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨١ – ٣٨٥ شكل ١٦٠ – ١٦٢ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ – ٣٢٩ شكل ١١٤ ؛ وعن أهرام الدولة الوسطى بوجه عام من حيث التخطيط وأهم عناصرها ، راجع :
Arnold, in LA 1V, p. 1263 – 1271.

ومن العصر الوسيط الثانى كشف حديثا فى سقارة عن بقايا هرمين ملكيين أحدهما كان مخصصا للملك وسر كارع خنجر الثانى من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . فى سقارة الجنوبية بالقرب من " مصطبة فرعون " وهو مبنى باللبن فى مداميك أفقية ، وكان يكسوه كساء من الحجر الجيرى الجيد [1] ، وإلى الغرب من هرم خنجر هرم آخر لا يعرف اسم صاحبه ، وتشبه دهاليزه وغرفه دهاليز وغرف هرم خنجر ، وغرفة الدفن فيه من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت تزن حوالى ١٥٠ طنا [2] ، ولم يتم العمل فيه ، طول ضلعه ٩٥ مترا ولكن ارتفاعه لا يزيد إلا قليلا على ثلاثة أمتار . ويسميه د. فخرى " الهرم الناقص " [3] . وفى مزعونة ، بين دهشور واللشت ، عثر على هرمين مهدمين إلى حد كبير ينسبان عادة إلى الدولة الوسطى ، إلى الملك امنمحات الرابع وسبك نفرو . ولكن د. فخرى يفضل نسبتهما إلى الأسرة الثالثة عشرة [4] . وهذه الأهرام نسخة طبق الأصل من أهرام الأسرة الثانية عشرة فى دهشور ، كما عثر على عدد كبير من الأهرام فى السودان بين نباتا عند الجندل الثالث ومروى شمال الجندل السادس ، وهى أهرام كورو الخاصة ببعنخى وأفراد أسرته ، وأهرام جبل برقل ، وأهرام نورى ، وأهرام مروى .[5] وبالنسبة للجبانة الملكية فى دراع أبو النجا فقد تهدمت بأكملها ، ولكن من الأطلال الباقية يمكننا أن نتخيل تكوين كل مقبرة فكل منها كانت عبارة عن هرم من الطوب اللبن يرتفع فوق قاعدة عالية إلى حد ما أمام مقصورة محفورة فى الصخر ، وأمام كل هرم توجد مسلتان عثر على بقايا منها . وعثر على بعض مقابر أشراف هذا العصر ، وهى مقابر الكاب ، فقد حفر حكام هذا الإقليم الأقوياء وأفراد عائلتهم مقابر

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٣٠ – ٣٣٣ شكل ١١٥ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٣ – ٣٩٦ شكل ١٦٨ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ٣٣٣ – ٣٣٦ شكل ١١٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ – ٣٦٢ أشكال ١٢٠ – ١٢٤ .

فى الصخر ولكن مما حفر يؤسف له أن هذه المقابر قد تهدمت إلى حد كبير ، ويبدو أن جدرانهـا كانـت مغطاة بالمناظر التقليدية ، ونظرا لأن كل ما تركوه قد تعرض للهدم والتخريب فمن الصعب أحيانا تكوين حكم عادل على فنهم .(١)

فى عصر الدولة الحديثة :

تعرضت مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة فى دراع أبو النجا غربى طيبة للنهـب والسلب ، ويبدو أنها كانت أهرام صغيرة مصمتة من الطوب اللبن ، وكانت مقصورة القرابين محفورة فى الصخر أسفل الهرم أو مبنية عند الجانب الشرقى منه ، ويؤدى منها درج إلى غرفة الدفن . ولا يعرف مكان مقبرة أحمس الأول ، أول ملوك الدولـة الحديـثة وأن كان يغلب على الظن أنها لابد أن تكون قريبة من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وربما كان يعلوها هرم على شاكلة هذه المقابر .

وتقع مقبرة أمنحتب الأول فى دراع أبو النجا فى غربى طيبة ، وتتألف من بئر محفورة فى الصخر ، تؤدى فى جانب منها إلى دهليز ينتهى بحجرة دفن كبيرة ، يتوسطها عمودان .

غـير بقـية ملـوك الأسرة الثامنة عشرة بعد ذلك من شكل المقبرة الملكية وإخفـاء معالمهـا وفصـل المقبرة عن المعبد الجنائزى وحفرها فى مكان خفى بعيد ومـنعزل ، خلف الجبل المطل على النيل فى غربى طيبة ، حيث يشرف جبل عال تبدو قمته كأنها هرم صغير طبيعى .

كـان تحوتمـس الأول هـو أول من اختار لمقبرته هذا الوادى . ويحدثنا مهندسه انينى الذى حفر مقبرة الملك الرغبة فى إخفاء المقبرة بقوله : " أشرفت على حفر المقبرة المنعزلة لجلالة الملك دون أن يسمع أو يرى أحد " واستخدم هذا الوادى

---

(١) Drioton-Vandier, L'Égypte (éd. 1952), p. 308-311.

بعـد ذلك الملوك تحوتمس الثالث وأمنحتب الثانى وتحوتمس الرابع وأمنحتب الثالث وإخـناتون وتـوت عنخ آمون وآى وحور محب وسيتى الأول وأغلب ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

وتـتكون المقبرة الملكية من مدخل فى سطح الجبل ويتألف من درج واحد وردهة يخرج منها على زاوية منفرجة درج إلى غرفة دفن بيضاوية الشكل يتوسطها عمود من الصخر ولها غرفة جانبية . ولم يلبث أن استطال الجزء الأول من المقبرة وأصـبح يـتألف فى مقبرة تحوتمس الثالث من درج ودهليز ثم درج ودهليز آخرين يؤديان إلى بئر عميق لتضليل اللصوص . وأصبح الجزء الثانى على زاوية قائمة من الجزء الأول ، ويشتمل على ردهة ودرج وحجرة للدفن .(١)

وفـى عهـد أمنحتب الثانى أصبحت الغرف مستطيلة وأضيفت إلى قاع البئر غرفة إمعانـا فى تضليل اللصوص (٢) . وهو يعد أول قبر ملكى فخم . وفى عهد كل من تحوتمـس الـرابع وأمنحتب الثالث أصبح محور المقبرة ينحرف مرتين وتتألف من درج وأخدود وردهة وغرفة دفن وغرفة ملحقة جانبية . وكذلك مقبرة إخناتون .(٣)

وتعد مقبرة توت عنخ آمون أصغر المقابر الملكية وتتألف من درج واحدور وردهـة فى شمالها غرفة التابوت ، ولكل من الردهة وغرفة التابوت غرفة جانبية . وأصبحت المقبرة فى عهد الملك أي وفي معظم مقابر عصر الرعامسة على استقامة واحدة مثل مقبرة حور محب وسيتى الأول التى تمتد فى جوف الصخر نحو مائة متر ورمسيس الثالث ، ورمسيس التاسع .

وأصبحت المقابر الملكية فى هذا الوادى تتكون من غرف ودهاليز وممرات مستقيمة تارة وملتوية فى النهاية إلى حجرة الفن ونقشت ورسمت مناظر عديدة على

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٦ – ٣٩٩ شكل ١٧٠ – ١٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٩ – ٤٠٥ شكل ١٨٢ – ١٨١ .
(٣) تـاريخ مصـر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٤٢٨ .

جـدران هذه المقابر الملكية منها مناظر تظهر الملك واقفا أمام معبودات عالم الآخرة مثل أوزير وأنوبيس وحتحور وامنتت وفصول من كتاب الموتى وكتاب ما يوجد فى عـالم الآخـرة وكتاب البوابات وكتاب الكهوف وكتاب الأرض وغيرها من مناظر الطقوس ونصوص الأساطير الدينية .[١] وقد كشف من هذه المقابر الملكية حتى الآن أربع وستون مقبرة . ولكن لا يصلح لأن يزار منها سوى تسع عشرة مقبرة فقط [٢] . وبالمـتحف المصـرى شظية من الحجر الجيرى ، عليها رسم تقريبى لمقبرة ملكية بـوادى الملـوك ، تشمل سلسلة دهاليز على جوانبها حجرات صغيرة رسمت أبوابها مسـطحة وملونـة باللون الأصفر . ولابد أن ملاحظى العمال كانوا يسترشدون بهذا الرسـم التخطـيطى ، وقد أدخلت عليه ملاحظات عن المقاييس بالمداد الأسود ، من الأسرة العشرين .[٣]

مقابر أفراد الأسرة الملكية :

حفرت مقابر الملكات والأميرات والأمراء فى واد خلف معبد مدينة هابو ، وكان يسمى " المكان الجميل " ويطلق عليه الآن وادى الملكات ، ومن هذه المقابر ما يرجع إلى أواخر الأسرة السابعة عشرة إلا أن أهمها جميعا مقابر عصر الرعامسة . وهـى تـتألف عادة من ردهة وغرفة الدفن ، وتخلو فى الغالب من الدهاليز الطويلة

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة: الأقصر، ص ٣٢٩ – ٣٤٢ . تحدثـنا عن هذه الكتب وتسجيلها فى المقابر الملكية فى عصر الدولة الحديثة فى مؤلفنا عن : حضارة مصر القديمة ، الجزء الثانى ، الباب السابع ، ص ٣٥١ – ٣٥٦ .

(٢) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ .

(٣) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١١٢ (٤٣٧١) .

الـــتى تشتمل عليها مقابر الملوك ولابد من أنه كان لكل مقبرة مقصورة فى مكان ما فـــوق سطح الأرض ، تؤدى فيها طقوس القرابين (١) . وهناك سبعون مقبرة للملكات فـــى هـــذا الوادى ، وأهم جميع هذه المقابر مقبرة الملكة نفرتارى ، زوجة رمسيس الـــثانى ، وهى تحمل رقم ٦٦ فى هذا الوادى ، وهى بلا شك من أجمل وأبدع مقابر طيـــبة جمـــيعا ، وتمتاز بنقوش جدرانها ذات الألوان الجميلة ، ولكنها فى حالة سيئة بســـبب تأثـــير تجمـــع الأملاح على جدرانها ، وتسبب وجود هذه الأملاح فى سقوط أجـــزاء متعددة منها . وقد دفن رمسيس الثانى ثلاثة من بناته أيضا فى هذا الوادى . ومـــن المقابـــر الهامة فى هذا الوادى المقبرة رقم ٥٥ للأمير آمون حر خبشف أبن رمســـيس الثالـــث ، والمقبرة رقم ٥٢ للملكة تى وهى من أواخر عصر الرعامسة ، والمقبرة رقم ٥١ للملكة إيزيس زوجة رمسيس الثالث .(٢)

شيد بعض ملوك الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين مقابرهم فى حـــرم المعبد فى تانيس . وكان قبر بسوسينس الأول يتألف من دهليز وردهة وثلاث قاعـــات وجـــد فـــى إحداهـــا التابوت ، ويظن أنه كان يعلو المقبرة بناء فوق سطح الأرض . شـــيد أغلـــب ملـــوك الأسرة السادسة والعشرين مقابرهم فى ساحة معبد المعبودة نيت فى سايس ، وأنها رواق كبير من الحجر مزدان باساطين تحاكى النخيل وبضروب أخرى من الزينة ، وبداخل هذا الرواق بابان بينهما التابوت .

(٤) المقابر الرمزية :

شـــيد الملـــك سنوسرت الثالث لنفسه مقبرة رمزية فى أبيدوس (٣) كما شيد الملـــك أحمـــس الأول لنفســـه مقـــبرة رمـــزية أيضـــا فى أبيدوس فى شكل هرم ،

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ – ٤٣٠ شكل ١٨٦ – ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٦٦٨ حاشية (٦) =
Petrie, Abydos, Vol. 111, p. 11.

وأخــرى لجدته تيتى شرى التى كان لها مقبرة أصلية فى طيبة [١] . وعثر على لوحة فى أبيدوس تقص علينا نقوشها بر الملك أحمس بجدته تيتى شرى . وقد سجل أحمس الأول فــى حديــثه مــع الملكــة أحمس نفرتارى أنه يرغب فى أن يبنى لجدته هرما ومقصــورة فــى أبيدوس بجوار معبده الجنائزى ، وأن تحفر بركتها وتزرع أشجارها وتقدم فيها القرابين من الخبز ويقوم الكهنة على رعايتها وإدارة الطقوس فيها .

وشيد سيتى الأول قبرا رمزيا فى أبيدوس يعد من العمال الفريدة فى العمارة المصــرية . وكانــت تحيط به الشجار ، ويشتمل على دهليز طويل منحدر يبلغ طوله نحو ١١٠ مترا ، وسقفه مقبى ، وجدرانه منقوشة بنصوص دينية . ويؤدى الدهليز بعد أن ينحرف إلى زاوية قائمة إلى ردهة مستعرضة ثم إلى بهو يتوسطه مسطح مرتفع ، يؤدى إليه درجان متقابلان ، وتحيط به قناة ، وكأنه بذلك جزيرة وسط الماء . وتكتنف المســطح أعمــدة ضــخمة من حجر الجرانيت . ويخلو البهو من النقوش والصور ، وتتخل جدرانه عدة مشكاوات ، ومن ورائه قاعة كبيرة لم يكن لها مدخل يؤدى إليها ، وهى أشبه بتابوت ضخم ، وسقفها مقبى ولا يزال يحتفظ بمناظره الدينية .[٢]

(٥) مقابر كبار الشخصيات :

فى عصر بداية الأسرات :

فــى سقارة كانت مقابر كبار رجال الدولة من الأسرة الأولى حفرا مكشوفة مــنحوتة فــى الصخر . وكانت تسقف بالخشب أو بالحجر وتعلوها مصاطب تحلى ســطوحها الخارجــية مشكاوات على غرار المصاطب الملكية . وفى المقابر الكبيرة يتألف الجزء المحفور فى الصخر من دهليز طويل يكتنفه عدد كبير من الغرف ، قد

---

(١) د. أنــور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ؛ Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 118.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ شكل ١٨٢ .

تبلغ فى بعض الأحيان ثمانى عشرة غرفة منها ما كان يستخدم كمخازن .

وفى الأسرة الثانية كان من المشكاوات ما يعلوه لوح من حجر الجير نقشت عليه صورة صاحب المقبرة جالسا أمام مائدة من القرابين[١] . وأحيانا تصحبه زوجته ، ومن المقابر الهامة فى سقارة مقبرة حماكا وزير الملك وديمو التى عثر فيها على جراب مستدير من الخشب يحتوى على عدد من البرديات غير المكتوبة .

وكشفت الحفائر التى قام بها زكى سعد إلى الشمال من عزبة الوالدة بحلوان فى الفترة من عام ١٩٤٢ إلى ١٩٥١ عن ٩٥٣١ مقبرة من عصر بداية الأسرات[٢] وعثر فى هذه الجبانة الهامة على مقابر ضخمة تخص بعض الأمراء والأميرات وكبار الموظفين ومقابر أخرى صغيرة عبارة عن حفر بسيطة لخدم وعمال [٣] . وكانت المقابر الكبيرة أما حفرة مستطيلة أو بيضاوية وتبنى بالطوب اللبن . ولها سلم يبدأ من الجهة الغربية وينتهى بدرجة كبيرة ثم ينحدر إلى الجنوب وينتهى الدرج بدهليز به باب فى الجهة الشرقية يوصل إلى مخزن وجد مليئا بصوامع كبيرة من الفخار وينتهى الدهليز من الجهة الجنوبية بباب يصل إلى حجرة الدفن ، أغلق هذا الباب بكتلة ضخمة من الحجر الجيرى .[٤]

وكان المتوفى يوضع فيها على شكل الجنين فى بطن أمه ، وتوضع الجثة على الجنب الأيسر فى أغلب الأحيان ويكون اتجاه الرأس إما إلى الشمال وإما إلى الجنوب[٥] وتحتوى المقبرة على مخزن واحد أما فى الجنوب أو فى الشمال . كانت

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ – ٢٧٣ شكل ١٠٨ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٧ – ٨ ، ٢٢ – ٤١ ؛ Z. Saad, Fouilles de Helouan, les Grandes Decouvertes Archéologiques de 1954 (Revue du Caire); Id., ASAE 41 (1942), p. 405-409.

(٣) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢ (صور ٢ ، ٣ ، ٨ ، ٩) .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٤ (صور ١١٤ – ١١٥) .

توضــع فيه أوان من الفخار تحتوى على أنواع من الطعام والشراب[١] . أما الجزء العلــوى مــن المقبرة فقد وجد مهدما وكان مشيدا من الطوب اللبن واحتفظت بعض المقابر بأجزائها العليا .[٢]

وكانت المقبرة مخصصة لشخص واحد . والجثة لا توضع على الأرض بل كانــت توضع داخل توابيت بعد لفها بالقماش . وكانت هذه التوابيت أمام من الخشب أو مــن الفخار أو من القش المجدول .[٣] وعثر على عدد من المقابر بنيت حجرات الدفــن فــيها ومخازنها والسلالم الموصلة إليها بكتل كبيرة من الحجر الجيرى ، وقد محتــت وصــقلت بدقة متناهية .[٤] وهذا يدل على أن المصريين القدماء استخدموا الأحجار فى البناء فى بداية الأسرات .[٥]

وكانــت الحــيوانات الأليفة كالحمير والطيور المحببة إليهم تدفن إلى جوار مقابــرهم ، فقــد عــثر فى ثلاث مقابر كبيرة على جثث لحمير كانت تستخدم لحمل الأثقــال وكوسيلة للانتقال .[٦] وعثر على كثير من جثث الكلاب مدفونة فى توابيت مــن الخشــب وبعــض جثث الطيور فى توابيت صغيرة من الخشب أيضا .[٧] وفى بعــض مناطق الصعَيد كانت مقابر الأفراد تحفر فى الأرض الطينية ومنها ما كانت جدرانه تكسى باللبن وله غرفة أو غرفتان فى أحد طرفيه وذلك عدا غرفة الدفن .[٨]

---

(١) زكى سعد : المرجع السابق ، صورة ١١٧ .
(٢) المرجع السابق ، صور ١٢ – ١٢ .
(٣) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٩٥ صور ٢٤ – ٢٥ ، ١١٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠ – ٣١ ، ٣٧ – ٣٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٨٣ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٩٦ ، صور ٦٤ – ٦٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .
(٨) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٧٤ .

فى عصر الدولة القديمة :

كـــان كــبار الشخصيات يفضلون أن يدفنوا فى الجبانة الملكية . فمثلا كان يحـــيط بالهـــرم الأكبر من الشرق والغرب والجنوب عدد كبير من المصاطب لأفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة . ومن بين هؤلاء الأفراد أميرات وأمراء ووزراء وقضـــاة وقـــواد وكهـــنة ومهندسون وفنانون وكتبة . وكذلك الوضع نفسه فى جبانة ســقارة ، وذلك ليكونوا فى صحبة وخدمة مليكهم فى الآخرة كما كانوا يخدمونه فى الحياة الدنيا .

ظلت مقابر الأفراد فى الأسرة الثالثة مصاطب تبنى باللبن . ومن المصاطب مـــا كانـــت تحلى جوانبها الأربعة مشكوات على شكل واجهة القصر ، وكان المكان الرئيسى لتقديم القرابين أمام المشكاة الجنوبية . واشهر مقابر الأفراد فى الأسرة الثالثة مقبرة حسى رع فى سقارة من عهد الملك جسر ، وواجهتها الأصلية ذات مشكوات ، وكانت تحليها رسوم هندسية تمثل حصيرا من ألوان مختلفة معلقا على الجدار . وكان فـــى ظهـــر كل مشكاة لوح من خشب منقوش بصورة صاحب المقبرة واقفا [١] ، أو جالسا أمام مائدة القربان فى نقش بديع دقيق .

ومن أشهر مصاطب سقارة من أواخر الأسرة الثالثة وعهد سنفرو مصطبة خـــع باوسكر وزوجته ، ويكسو الحجر الجزء الداخلى من مشكاتى الزوج والزوجة ، أمـــا بقيـــتهما فمن اللبن ، وكان فى جنوب مقصورة القربان الرئيسية سرداب ، فى جداره الأمامى شق يدخل منه عبير البخور البخور إلى التمثال [٢] . وكانت مصطبة

---

(١) وصـــور علـــيها وهـــو ممسك بأدوات الكتابة ورمز سخم ، وهى موجودة الآن بالمتحف المصرى : Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 21

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢١ ، ٣٤٠ – ٣٥٨ ، ٣٦٠ – ٣٦١ شكل ١٣٧ – ١٥٠ .

متـــن تشمل على مقصورة مشيدة بأكملها من الحجر ، وهى الآن فى متحف برلين ، ويتوسط جدارها الغربى الباب الوهمى يعلوه منظر مائدة القربان ، وسقفها من الحجر يحــاكى جــذوع النخل . وكان فى شمال المقصورة سرداب وجد فيه تمثال صاحب المقبرة من حجر الجرانيت .

ومــن الأســرة الــرابعة أيضا مصطبة الأمير نفر ماعت ابن الملك سنفرو ومصــطبة رع حتــب وزوجته نفرت . وكانت مقصورة القربان فى كل منهما على شــكل صــليب ومكسوة بالحجر ، وفى الجدار الغربى منها باب وهمى . وفى عهد خوفــو بنيت مصاطب أفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة من حول هرم مليكهم لــيكونوا فــى صحبته وخدمته فى الآخرة كما كانوا فى الحياة الدنيا ويتميز كل منها بانها بناء ضخم مستطيل مشيد بأحجار كبيرة من الحجر الجيرى ، تميل جدرانها قليلا إلى الداخل ، وتخلو من المشكاوات . وكانت الطقوس الدينية تؤدى فى مبنى من اللبن مغطى بطلاء أبيض ، يقوم أمام الجزء الجنوبى من واجهة المصطبة .

وكانت فى الجدار الغربى من المقصورة لوحة منقوش عليها صورة صاحب المقــبرة جالســا أمــام مائدة القربان ، ومن أمامها كانت تؤدى الشعائر الجنائزية . وتــؤدى من سطح المصطبة بئر عمودية إلى غرفة الدفن ، حفرت فى الصخر على عمــق كبــير ، ويكســو جدرانها حجر جيرى جيد مرقط بما يحاكى حجر الجرانيت الــوردى . وفى الزاوية الجنوبية الشرقية من غرفة الدفن حفرة فى شكل صندوق ، كانت تحفظ فيها أحشاء المتوفى .

وقــد بنيت المصاطب فى شرق الهرم وجنوبه وغربه فى صفوف منتظمة تفصلها شوارع توازى قاعدة الهرم وتتعامد عليها . ومن المصاطب الهامة فى شرقى الهــرم الأكــبر مصــطبة حم ايونو ، وهى مصطبة عظيمة تزيد مساحتها على ثلث فدان . وفى عهد منكاورع أصبحت غرفة القربان تبنى من جديد فى بناء المصطبة ، وفى جدارها الغربى باب أو بابان وهميان ، وغدت جدرانها تنقش بالمناظر .(١)

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ – ٣٦٥ شكل ١٥١ .

وحفر كثير من أفراد الأسرة المالكة مقابرهم فى الصخر فى هضبة الجيزة بالقرب من الأهرام الثلاثة . وكانت واجهة المقبرة الصخرية تسوى بحيث تميل قليلا إلـــى الداخـــل ، ومـــن الواجهات ما كانت تكسى بالحجر الجيرى . وتتألف المقبرة الصـــخرية عادة من غرفة أو أكثر ومقصورة القربان ، وكلها محفورة فى الصخر ، ومـــنها مـــا نحتت فى جدرانه التماثيل . وكانت الجدران تحلى بالنقوش فى كثير من الأحـــيان . ومن أشهر المقابر الصخرية مقبرة الملكة مرس عنخ الثالثة زوجة الملك خفرع ، وتقع إلى الشرق من الهرم الأكبر .

ومـــذ أواخر الأسرة الرابعة أخذ حكام الأقاليم وكبار الشخصيات فى الوجه القبلى يحفرون مقابرهم فى الجبل فى أقاليمهم وذلك لندرة المساحات المسطحة . وقد اتخذت هذه المقابر فى بداية الأمر الشكل الخارجى للمصاطب المبنية .

وفى الأسرة الخامسة زاد عدد الحجرات التى كانت تبنى داخل المصطبة ، وســـاعد ذلك على كثرة المناظر الملونة التى تحلى الجدران . ومنها مقبرة انسد جر كـــاى فـــى غرب الهرم الأكبر ، وبتاح شبسس فى أبو صير . وفى سقارة مقبرة تى وآخت حتب ووالده الوزير بتاح حتب . وتتقدم مقبرة تى صفة صغيرة تؤدى إلى فناء كبير محاط بالأعمدة . وفى منطقة أهرام الجيزة مقبرة رع ور التى تحتوى على مالا يقـــل عـــن خمسة وعشرين سردابا . وكان رع ور أحد كبار رجال الدولة فى عهد الملـــك نفـــر اركارع . وهناك مقبرة سنب غربى الهرم الأكبر ، وهى بناء مربع من اللبن تعلوه قبة هى أقدم قبة معروفة فى مصر .

وفـــى الأسرة السادسة كثرت القاعات فى الجزء العلوى من المقبرة ، منها مقـــبرة مـــرى روكـــا فى سقارة التى كانت تشتمل على ٢١ غرفة للزوج و٦ غرف للـــزوجة و٥ غرف للابن [١] . ومقبرة كايجمنى ونفر سشم رع وعنخ حاحور ونفر سشم بتاح ومقبرة " بيبى عنخ " الملقب باسم " سنو " الذى امتازت مقبرته إلى الشرق

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ – ٣٦٨ شكل ١٥٣ – ١٥٤ .

من معبد اسيسى بمناظر القرابين والأوانى المختلفة الجميلة .[١]

ومـــنذ بدايـــة الأسرة الرابعة كانت جدران مقصورة القربان تحلى بالمناظر الملونـــة ، منها ما يمثل صاحب المقبرة وهو يشرف أحيانا على حقوله أو يجلس بين أفـــراد أســـرته وأصدقائه يستمع إلى عزف الموسيقى وغناء المغنيين ويشاهد رقص الراقصـــات . ومـــنها مـــا يمثل حرث الأرض وصيد الأسماك والطيور وحيوانات الصـــحراء . ونرى الصناع وهم يعملون فى الحرف المختلفة فهنا النجارون وصناع القوارب والمراكب وهناك الصياغ وعلى مقربة منهم صانعوا الأوانى ، وعلى مسافة قريبة منهم نرى الاتباع وهم يحضرون الأزهار والهدايا ويقدمون القرابين من شراب وطعـــام ونرى الكهنة وهم يقومون ببعض الطقوس الدينية . وكل هذه المناظر تجعلنا نعيش معهم ونرى ملابسهم وحليهم وطعامهم وشرابهم ونتأمل فى محصولات حقولهم وأشـــجار حدائقهـــم ونـــنظر إلى الطيور والحيوانات التى كانوا يربونها ونقف أمام الأســـماك الســـابحة فـــى النهار وما يشبه الحقول فى غدوها ورواحها والطيور فوق الأغصـــان . ومن أبدع ما حفظ من هذه الرسوم ست أوزات من نوعين مختلفين من مقبرة نفر ماعت فى ميدوم .

وفـــى الأسرتين الخامسة والسادسة أخذت المناظر تكثر وتتنوع وتتابع جنبا إلـــى جنـــب ، تمـــثل صاحب المقبرة يتناول قرابينه وهو يستمع للموسيقى والرقص والغـــناء ، أو وهـــو يصـــيد الحيوان أو الطير أو الأسماك ، أو وهو يشرف على ما يـــؤدى أمامـــه مـــن أعمال مختلفة ، منها ما يصور الزراع والمثالين وصناع الحلى والنجاريـــن . ومـــن المقابـــر الصـــخرية فى اسوان من عصر الأسرة السادسة ما ســـوى الجـــبل من أمامه فى شكل مسطح مسور يؤدى إليه درج ، ومن أهمها مقبرة سابنى .[٢]

---

(١) د. احمد فخر د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

(٢) ى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٩٨ شكل ١٠ ، ١١ .

ومــن أهــم العناصــر المعمارية فى مقابر الدولة القديمة ما يعرف بالباب الوهمــى ، وهو نقش بارز فى لحجر أو الخشب لباب حقيقى ، كان واسطة الاتصال بين الجزء العلوى من المقبرة ، حيث كانت تقدم القرابين أمامه على مائدة قرابين من الحجر وتؤدى الطقوس الجنائزية ، وبين غرفة الدفن ، حيث ترقد مومياء المتوفى . وقـد يثبت هذا الباب فى واجهة المصطبة أو فى الجدار الغربى لمقصورة القرابين . وكان ينقش عليه صورة المتوفى مع زوجته فى كثير من الأحيان أمام مائدة القرابين التى توضع عليها أطعمة مختلفة أو أنواع من الخبز . وقد نقش على الجانبين صور بعض أفراد الأسرة وحملة القاربين مقبلين لزيارة المتوفى وتقديم القرابين له . وأغلب هـذه الأبواب الوهمية من الحجر الجيرى ، ومنها ما هو من حجر الجرانيت ، ومنها مـا هـو ألواح من الخشب وعثر على أبواب وهمية من الأسرتين الرابعة والخامسة فاخرة ومحلاة على طراز واجهة القصر الملكى . ويعتبر فانديه أن الأبواب الوهمية واللوحات بأنواعها وأشكالها فى المقابر وموائد القرابين فى المعابد والمقاصير جزءا من العمارة الدينية والجنائزية معا .(١)

ومن أهم أجزاء الأثاث فى المقبرة هو " التابوت " الذى يحتوى على مومياء المتوفى ، وكان يطلق عليه اسم " مالك الحياة أو سيد الحياة " ما يعبر عن الرغبة فى أن يحيى من يرقد فيه وأن يعيش إلى الأبد . وكان من الخشب من داخل تابوت آخر مــن الجرانيــت أو البازلــت . وبجانب التابوت كان يوضع صندوق الأحشاء الذى يحتوى على أوانى الأحشاء الخاصة بالمتوفى .

فى عصر الدولة الوسطى :

تقــع مقابر موظفى عصر الدولة الوسطى من عصر الملك منتوحتب الثانى فى شمال وجنوب مقبرة مليكهم فى غربى طيبة ، من هذه المقابر حجرة دفن " حور حتــب " الجمــيلة ، التى أمكن نقلها إلى المتحف المصرى ، ومن هذه المقابر أيضا مقبرة " مكت رع " المشرف على قصر الملك منتوحتب الثانى .

(١) Vandier, Mannel d'archéologie II, p. 389-534.

ولا يختلف طراز مقابر الأفراد حول هرمى امنمحات الأول وسنوسرت الأول فى اللشت وحول هرم امنمحات الثانى فى دهشور عن طراز المصطبة فى أوائل عصر الدولة القديمة . ومن أهم المقابر بجوار هرم سنوسرت الأول مصطبة سنوسرت عنخ ، مثال الملك وبناته .

وبلغت أقاليم الصعيد غاية ازدهارها فى النصف الأول من الأسرة الثانية عشرة ، وقد حفر حكامها مقابرهم فى أماكن ممتازة فى سطح الهضبة ومن اشهر مقابر ذلك العهد مقابر بنى حسن ، دير البرشا ، دير ريفا ، قاو الكبير ، وأسوان ، ومقابر مير مركز القوصية بمحافظة أسيوط . وكان يؤدى إلى مقابر بنى حسن طريق صاعد ، ويتقدم المقبرة فناء ، بعضه مبنى وبعضه محفور فى وجه الجبل . وكانت مقابر حكام " قاو الكبير " من طراز مبدع إذ كانت تتألف مما يقابل معبد الوادى والطريق الصاعد والمعبد الجنائزى ، مثل مقبرة واح كا الأول . ومن مقابر أسوان ما يعد بحق من أفخم المقابر المصرية على وجه الإطلاق إذ تمتاز بجمال موقعها ووضح أجزائها المعمارية ، وحسن تنظيمها ، وعلى رأسها جميعا مقبرة سارنبوت الثانى .(١)

وأهم ما فى تلك المقابر مناظرها ، فمثلا فى مقابر دير البرشا منظر للمصارعة الذى يبين أنه كان هناك حكم يقوم بمراقبة المصراعين . اما فى مقابر بنى حسن فكانت مناظر المصارعة مقسمة إلى مجموعات مختلفة وتتكون كل مجموعة من ٢١٩ شخصا وأخرى من ١٢٢ شخصا وأخرى من ٥٩ ليس معهم حكم وتتميز كل مجموعة بزى ملون ، وغير مناظر المصارعة هناك مناظر حمل الأثقال والقفز وتمارين تشبه لعبة الملاكمة والجمباز الحالية . ومنها ما يصور الفتيات بالكرات الصغيرة . وحرصوا أيضا على ممارسة رياضة السباحة ، ومن ألوان الرياضة الأخرى كانوا يعرفون المبارزة بالعصى والعدو والتسلق والتجديف

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ – ٣٨٩ ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ ، شكل ١٦٤ ، ١٦٦ – ١٦٧ .

والفروســية والرماية [١] . وغير هذه المناظر الرياضية هناك مناظر الرقص الدينى أثناء عملية نقل تمثال المتوفى إلى المقبرة ، ومناظر للتسلية مثل لعبة الداما ومناظر الصيد فى الصحراء .[٢]

وهناك مقابر كبار الشخصيات من العصر الأهناسى والدولة الوسطى نجدها أيضــا فــى زاويــة الأمــوات وأسيوط ودير الجبراوى والهجارسة وأخميم ودندرة وجبليــن [٣] . وعــثر فى مقبرة لحاكم أسيوط على مجموعتين من التماثيل الخشبية تتألف من أربعين جنديا .[٤]

فى عصر الدولة الحديثة :

عنى كبار الأفراد فى الدولة الحديثة بمقابرهم وقد حفروها فى وجه الجبل . بالقــرب مــن معــابد ملوكهــم الجنائزية ، وتتألف بصفة عامة من فناء تليه ردهة مستعرضة ، تؤدى إلى دهليز طويل ، يؤدى إلى مقصورة فى جدارها الخلفى مشكاة لتمــثال صاحب المقبرة وحده أو مع بعض أفراد أسرته . وتقع جميع أجزاء المقبرة على محور واحد . وكان يعلوها هرم من اللبن فى واجهته مشكاة لنصب أو لتمثال . وكــان العمل يبدأ بحفر وإعداد الفناء الخارجى ، ثم حفر واجهة المقبرة ، ثم الصالة العرضــية وصــقل جدرانها ، وبعد ذلك الصالة الطولية . وعندما يبدأ النحاتون فى العمــل فى نحت الصالة الطولية يقوم النقاشون برسم المناظر ونقشها ثم تلوينها على

---

(١) د. احمــد بــدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢١٢ – ٢١٣ حاشــية رقــم (١) وأشكال ٥٨ – ٦٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) Newberry, Beni-Hassan 11, p1. 16-32.

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٨٢ .

(٤) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٧٤ .

جدران الصالة العرضية .[١]

ومـــن المقابر ماله فى مؤخرة الفناء صفة تحمى النقوش من أشعة الشمس ويستظل من تحتها وقت أداء الطقوس الجنائزية عند دفن المتوفى . ومن هذه المقابر مقـــبرة انيني ، وبويمرع ، ورخمي رع ، وسنوفر . ومن أفخم المقابر مقبرة الوزير رع موســـي مـــن عهد أمنحتب الثالث وإخناتون ، وتحتوى على الردهة المستعرضة علـــى اثنين وثلاثين أسطونا فى مجموعتين تكتنفان محور المقبرة ، ويشتمل الدهليز الطويل على ثمانية أساطين ، على شكل حزمة البردى فى صفين .

وتعد مقبرة امنمحات سرر من عهد أمنحتب الثالث أعظم المقابر فخامة بما فيها من أساطين على شكل حزمة البردى [٢] . وتحلى الجدران المقابر مناظر منقوشة أو مرسومة بألوان جميلة ، منها ما يمثل صاحب المقبرة يحيى الشمس عند شروقها ، ومنها ما يصور موضوعات تشير إلى وظائف صاحب المقبرة أو منها ما يمثل الملك علـــى العرش يقدم إليه صاحب المقبرة تقريرا عن أعماله أو ما جمعه من ضرائب أو حصـــل علـــى من جزى الشعوب الأجنبية . ومنها ما يمثل استعراض الجند وتوزيع المؤن عليهم ، أو يصور مسح الأرض وحرثها وحصاد الزرع ودرس الحب وتذريته ثـــم كـــيله . ومنها ما يصور المثالين والرسامين والنجارين والخبازين وصناع الجعة والـــنعال والحلى يقومون بأعمالهم المختلفة . ومنها كذلك صور مآدب فخمة ، اجتمع فـــيها الأهـــل والأصدقاء يستمتعون بسماع الموسيقى ورقص الراقصات ، ويقوم على خدمـــتهم الخادمات . ومنها ما يصور صيد الطيور والأسماك وفرس النهر ، ومنها ما يمـــثل تحلـــيق الطيور وجمال الزهور فى الطبيعة ، ومنها ما يمثل الاتباع والجوارى والنادبات والمشيعين ، ومنها ما يصور صاحب المقبرة وزوجته بزيهم الرقيق وحليهم المتـــنوعة وشـــعورهم الجميلة المعطرة ، ومنها ما يمثل مناظر جنائزية مختلفة مثل طقـــوس فتح الفم ، ومراسيم الدفن ، وتقديم القرابين ، ومنها ما يمثل معبودات الجبانة

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٣٥١ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٠ – ٤٣٥ شكل ١٩١ – ١٩٨ .

ومحاكمـــة الموتـــى أمام أوزير . ومنها ما يمثل الزيارة إلى المدن المقدسة أبيدوس وايونو وسايس .(١)

ومـــن النصوص والمناظر ما يدل على أن بعض مقابر الأشراف فى الدولة الحديثة تلحق بها حديقة كان المتوفى يرجو أن ينعم فيها بالهواء المنعش تحت أشجار الجمـــيز ، علـــى أن مـــثل هـــذه الحدائق لابد وأنها كانت قليلة وضئيلة المساحة . وأصـــبحت مقابر الأفراد فى البر الغربى فى طيبة ولاسيما فى عهد تحوتمس الثالث ســـجلا جامعـــا لتصـــوير شـــعوب بلاد الشرق القديم فى منتصف الألف الثانية قبل المـــيلاد ، إذ ســـجل الفنانون المصريون خصائص الوفود الأجنبية حين كانوا يفدون علـــى مصـــر بملابســـهم الوطنية وما كانوا يحملونه من منتجات بلادهم ومحاصيلها وأنـــواع الجـــزية والهدايا فى مقابر سنموت ورخمى رع ومن خبر رع وأمنحتب . وكان موظفو الخزانة هم المسئولون عن تسلم هذه الهدايا (٢) . واختفت مناظر الحياة اليومية فى مقابر الرعامسة وسادت مناظر عالم الآخرة والمناظر الجنائزية .

وفـــى الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين كان لبعض المقابر الكبيرة فى البر الغربى مبنى ضخم من اللبن فوق سطح الأرض يتألف من صرح أو أكـــثر ، وفـــناء أو أكثر ، وعدد من الدهاليز والأبهاء ولقاعات المحفورة فى الصخر تحلـــى جدرانهـــا النقوش . ومن أبرز أمثلة هذه المقابر مقبرة باباس فى العساسيف وتـــتألف مـــن مبـــنى ضخم فوق سطح الأرض تحلى جداره الخارجى مشكاوات . ويشتمل على صرح من اللبن فى الشرق يؤدى إلى فناء يليه فناء آخر . وفى ارضيته بـــئر محفورة فى الصخر تؤدى إلى فناء القربان تحت سطح الأرض . وفى الشمال صـــرح ثـــانى يؤدى منه احدور ثم درج إلى قاعات محفورة فى الصخر تحت سطح

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ – ٤٣٨ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٥ .

الأرض [١] . ونجـد الطـراز نفسه فى مقبرة بادى حور رسنت رقم ١٩٦ فى البر الغـربى فى طيبة [٢] . وفى العصر الفارسى حفر الأشراف مقابرهم فى اسفل آبار واسـعة . وتتألف من غرف مبنية بالحجر الجيرى بسقوف مقببة . وكانت البئر تردم برمل نظيف وبجانبها بئر صغير تتصل بغرفة الدفن بدهليز صغير ، وكانت تفتح فى السقف بعد الدفن فتحات تسمح بدخول الرمال من خلالها فيملأ الرمل المدخل . ومثال ذلـك مقـبرة بـادى أمنحتب فى البر الغربى . وهناك أكثر من ثلثمائة مقبرة للنبلاء وكـبار رجـال الدولـة موزعة بين جبانة دراع أبو النجا والعساسيف ، وشيخ عبد القرنة ، وقرنة مرعى ، الحوزة ، والخوخة ، والدير البحرى .

ولا تختلف مقابر الأشراف فى تل العمارنة كثيرا عن مقابر البر الغربى فى طيـبة ، إذ تتألف من فناء وبهو كبير ، نحتت أساطينها البردية من الصخر ذاته ، ثم نجد مقصورة فى نهايتها مشكاة فيها تمثال صاحب المقبرة . وأكثر ما يحلى الجدران مـن مـناظر إنما يصور الأسرة المالكة وعبادة آتون ، ومنها ما يمثل الملك والملكة والأميرات فى نافذة التجلى يمنحون المخلصين من رعاياهم واتباعهم هدايا الذهب [٣] أو نـرى الملكـة والملك فى مركبتهما ، كما أن منها ما يصور معبد آتون والقصر الملكى والملحقات . وأهم هذه المقابر مقبرة مرى رع .

وهكـذا اختفت الصور التي كانت تمثل أعمال صاحب المقبرة ونشاطه فى حياته الدنيا ومناظر أنشطته المختلفة والمناظر التي لها صلة بالطقوس الجنائزية .[٤]

---

(١) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٢ – ٤٤٤ شكل ٢٠٣ .

(٢) De Meulenaere, BSFE 66 (mars 1973), p. 10.

(٣) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 26.

(٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٢١ شكل ٣٠ – ٣٢ .

(٦) دفنات ومقابر العمال :

من المنطقى أن تكون مقابر العمال قريبة من مكان ايوائهم فيذكر د. فخرى بخصوص المجموعة الهرمية للملك خفرع أنه نستطيع أن نرى بقايا مدينة العمال فى الجهة الغربية منها وهى مقسمة إلى ١١٠ قاعة وتتسع لإيواء عدد يتراوح بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ عاملا .[١] ولهذا عثر على بعد كيلو متر واحد جنوبى شرقى أهرام الجيزة علـــى جبانة لطبقة العمال ، حفرت وشيدت مقابرها على مستويين : المستوى الأعلى ويحتوى على مقابر رؤساء العمال والنحاتين وقاطعى الأحجار وصقلها ووضعها فى أماكـــنها . وقـــد عـــثر فى هذا المستوى على ثلاثين مقبرة كبيرة إلى حد ما يساهم أصـــحابها فى بناء الأهرام الثلاثة وملحقاتها ، وهى مؤرخة من الأسرة الرابعة .[٢] المستوى المنخفض ويحتوى على دفنات للعمال والمزارعين البسطاء الذين جاءوا من جميع أقاليم مصر للمساهمة فى بناء هذه المجموعة الهرمية ، وهم الطبقة التى كانت تســـاهم فى جذب كتل الأحجار ووضعها فى أماكنها أو من عمال المناجم وحملة مياه الشرب وغيرها من مؤن . وعثر فى هذا المستوى على حوالى ٦٠٠ دفنة وهى ليست مقابر بالمعنى الفعلى[٣] ، وهى عبارة عن حفر بسيطة وسدت بداخلها أجساد المتوفين ويعلوهـــا كومـــة من الأحجار الصغيرة ، مما يدل على بساطة مستوى هؤلاء العمال وهـــذا يعـــنى أيضـــا أنهـــم لم يكونوا أصلا من سكان المنطقة . وعثر د. زاهى فى

---

(١) د. أحمـــد فخـــرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١١٩ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٥٤٠ حاشية (٤) .

(٢) Siliotti-Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 86-87 (A).

(٣) يعطيـــنا المؤلفـــان (المرجع السابق) فى هاتين الصفحتين صورة جميلة (A) لموقع هذه الدفنات .

هـــذه الدفـــنات تشبه إلى حد كبير الحفر البسيطة التى عثر عليها زكى سعد فى حفائـــر عـــزبة الوالدة بحلوان وكانت مخصصة للخدم والعمال من عصر بداية الأسرات ، راجع فيما سبق ، ص ١٥٨ .

المستوى الأعلى على مقبرة كبيرة كان بداخلها تابوت سليم لم تمسسه أيدى اللصوص .(١) ومقابر هذا المستوى لا ترقى إلى مستوى مقابر العمال فى دير المدينة(٢) من حيث التصميم والحجم ونقش ورسم المناظر بها فأغلبها شيد فوق سطح الأرض بكتل حجرية صغيرة ، وتختلف مقابر رؤساء العمال والفنانين والصناع والخدم فى دار العدالة فى دير المدينة من عصر الرعامسة والتى تقع بالقرب من وادى الملكات كثيرا من مقابر النبلاء وكبار رجال الدولة فى عصر الدولة الحديثة(٣) ، وشيدت هذه المقابر على أرض مسطحة ، وتتألف من مدخل فى شكل صرح صغير يؤدى إلى فناء تحيط به جدران من الطوب اللبن ، كانت فيه حديقة صغيرة وأشجار وزهور تنعم بها روح المتوفى ، وفى مؤخرة الفناء هرم أجوف من اللبن على قاعدة منخفضة من اللبن أو الحجر . وفى واجهة الهرم مشكاة كانت تحتوى على تمثال المتوفى ، الذى يمثله فى بعض الأحيان راكعا وبين يديه نصب . ويؤدى إلى حجرة الدفن بئر محفورة فى الفناء أو فى مقصورة القربان ، ويتألف هذا الجزء عادة من غرفتين أو ثلاث محفورة فى الصخر . وتكسو جوانب غرفة الدفن جدران من الطوب اللبن مغطاة بجص أو طين وعليها مناظر جنائزية ملونة ، وسقفها فى الغالب على شكل قبو من اللبن محلى بالرسومات .

ومن مقابرهم ما أقيم على سفح الجبل مما أدى إلى حفر مقصورتها فى الصخر . وهى تتألف عادة من مدخل فى هيئة صرح يؤدى إلى فناء نحتت بعض جدرانه فى الصخر . وفى مؤخرته صفة صغيرة تظل تمثالا أو أكثر ، وفى جدارها

---

(١) د. زاهى حواس : معجزة الهرم الأكبر ، ص ١٢٠ – ١٢١ .
(٢) تحدثنا فيما سبق ، ص ص ٥٩ – ٦٠ عن مدينة العمال التى شيدها الملك سنوسرت الثانى بالقرب من هرمه فى اللاهون ، ومدينة العمال فى تل العمارنة التى كانت تحتوى على أربعة وسبعين منزلا ، وكان من المفروض أن نعثر على مقابر هؤلاء العمال بالقرب من هاتين المدينتين .
(٣) كانت طبقة العمال فى دير المدينة لا تتلقى فقط رواتبها فى شكل مؤن ولكن أفرادها كانوا يمنحون أيضا مكانا لحفر مقابرهم فى جبانة دير المدينة . راجع : Lalouette, Thébes ou la naissauce d'un Empire, p. 471.

الخلفــى مدخل يؤدى على دهليز قصير فقاعة ثم مقصورة فى جدارها الخلفى مشكاة فــيها تمــثال المتوفى (١) . وهناك حوالى أربع وخمسين مقبرة للعمال فى جبانة دير المديــنة ، وهــؤلاء العمــال هم الذين اشرفوا على تشييد وحفر ونحت ونقش ورسم وتلويــن معــابد الــبر الشرقى والغربى ومقابر الملوك والملكات وكبار الشخصيات ومقابرهم الشخصية فى البر الغربى . وقد تطورت هذه المقابر أيام الأسرة العشرين حــتى أصــبحت مقابر عائلية يدفن فيها أفراد العائلة الواحدة . ومن أهم هذه المقابر ثــلاث هــى : مقبرة سن نجم (رقم ١) الذى كان خادما فى دار العدالة من الأسرة التاســعة عشرة ، ومقبرة باشد (رقم ٣) من عصر الرعامسة ، ومقبرة إن حرخع (رقم ٣٥٩) الذى عاصر كل من رمسيس الثالث ورمسيس الرابع .(٢)

ثانيا – الفنون التعبيرية :

(١) الموسيقى :

عــرف المصريون القدماء بحبهم الشديد للموسيقى ، وشغفوا بالنغمة العذبة واللحــن الجمــيل . ففى أسطورة انوريس ما يدل على اعتقاد المصريين القدماء بأن الموسيقى تساعد على تهذيب المشاعر وترقية الأحاسيس . وليس أدل على اهتمامهم بالموســيقى من اختيارهم للمعبود احى (أو إهى) معبودا للموسيقى ، والذى يصور قابضــا علــى شخشيخة يهزها وهو يتقدم الطقوس الدينية التى تؤدى لأمه المعبودة حتحور .(٣)

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ – ٤٤٢ ، شكل ٢٠١ – ٢٠٢ .

(٢) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٤٢٥ – ٤٣٦ أشكال ٩٧ – ١٠٣ أ ب .

(٣) تــاريخ مصــر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٨٣ – ٨٤ ؛ Hickmann, Quarante – cinq siécles de musique dans L'Égypte, Paris 1956 .

وهـناك أيضا المعبود بس الذى نراه يلعب على إحدى الآلات الموسيقية [(١)] والمعبودتان مرتى (للجنوب وللشمال) اللتان تشتركان فى الطقوس الدينية .

وقـد أهتم المصريون القدماء بضبط الإيقاع اهتماما كبيرا ، مما ساعد على توقيت النغم وتنظيم حركات التوقف وانتقال اللحن من مقطع لآخر .[(٢)]

ويكفـى أن نذكـر أن المصريين القدماء كانوا أول من وضع أصول النوتة والسـلم الموسـيقى [(٣)] . ويقال أن اليونانيين تعلموا النوتة من المصريين فمثلا " بيثا جوراس " قد تعلمها فى مصر . وأن المهاجرين من المصريين إلى بلاد اليونان كانوا يعلمـون أصـول الموسـيقى والعزف على الآلات المختلفة لليونانيين عندما قام أحد الملوك البطالمة باضطهادهم فى الإسكندرية ونفاهم منها .[(٤)]

وقد استخدم المصريون القدماء آلات موسيقية متنوعة منذ أقدم عصورهم . وكانـت هذه الآلات مصرية صميمة ولكن بعد إن أزداد اتصال المصريين بالشعوب الآسيوية المجاورة تطورت هذه الآلات تطورا كبيرا .

ومن تجربة جرت حديثا وهى العزف على ناى أثرى تمكن استخراج السلم الموسـيقى خماسـيا (الموسـيقى الأولية) وسباعيا (المتطورة والمتداولة حاليا) وتوصـلت مجموعة من البحث المصرية الأمريكية إلى أن النتائج إلى أجريت على أصوات الناى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى والدولة الحديثة عثر على أحدهما فى بـنى حسـن والآخر فى سقارة . فقد أعطى أحدهما ٤٣٩ ذبذبة والثانى ٤٤٠ ذبذبة والـنغمات الصـادرة عنهما متوافقة إلى حد كبير . وهذا يؤكد أن المصريين القدماء كـان لديهـم مصدر قياسى للذبذبات ليضبطوا عليها هذه الآلات . ومن الغريب أن

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها : المرجع السابق ، شكل ١٠ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٦ .

(٣) Manniche, Ancient Egyptian Musical Instruments (MAS 34) (1975), p. 24-25; Hickmann, Instruments de musique dans CGC, le Caire 1949, p. 5.

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٦ .

الــثقوب الــثلاثة فـــى كل من النايين تدل على تفهم المصريين القدماء لأبعاد السلم الموســيقى وأن المقامـــات العربـــية (السيكا والنهاوند) ذات أصل مصرى قديم ، وليســت كما قيل عنها أنها من أصل فارسى قديم . وهناك عدد من النايات المصرية القديمـــة فـــى متاحف اللوفر والمتروبوليتان لابد أن دراستها سوف يكشف معارفهم العميقة فى مجال السلم الموسيقى الذى نقله الإغريق إلى اليونان ومنها إلى أوروبا .

وتنقســم آلات الموســيقى إلى ثلاث مجموعات رئيسية : الآلات الوترية ، آلات النفخ ، ثم آلات الإيقاع (١) . ويعد الجنك أقدم الآلات الوترية وأكثرها شيوعا . وهــو عــبارة عــن صــندوق خشبى للصوت يخرج منه عدد من الأوتار العمودية الاتجــاه ، والمثبــتة فـــى طــرف الآلة . وقد تعددت أنواع الجنك واختلفت أحجامه وتطورت أشكاله .

أما الكنارة فهى آلة خشبية آسيوية الأصل . تمتد أوتارها ، التى تبلغ خمسة فى العادة ، متوازية بين صندوق الصوت والإطار الخشبى .

الطنبور ، وهو آلة بيضاوية الشكل ، تمتد منه رقبة طويلة ، قد تقتصر فى بعــض الأحيان ، حتى ليشبه شكل آلة العود الحالى . وكانت تحمل على الصدر فى وضع أفقى كما يستخدم الكمان الآن أو فى وضع رأسى كما تحمل الربابة . ويستخدم العازف على الطنبور ريشة يلعب بها على أوتاره الثلاثة أو الأربعة .

أمـــا آلات الــنفخ ، فأهمها المزمار الذى تعددت أنواعه . ثم ظهر بعد ذلك المزمار المزدوج .

---

(١) Manniche, op. cit., p. 12-20.

لوريــه : ملاحظـــة عن الآلات الموسيقية فى مصر القديمة فى دائرة معارف الموســيقى ، لوميناك – باريس ١٩١٣ ، ص ١ – ٣٤ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٥ .

وتعد آلات الإيقاع من أقدم الآلات الموسيقية فى مصر . ومن أهم أنواعها : المصفقات أو الصاجات المعدنية والخشبية إلى تحدث صوتا عند قرع بعضها ببعض كالصنوج والمقارع والعصى المصفقة .

أمـا الدفـوف فكانت تتكون من إطارات خشبية مستطيلة الشكل فى الغالب تغطـيها جلود رقيقة أسطوانية الشكل ومن الخشب أو المعدن تعلق على الكتف حين الضرب عليها .

واسـتخدم المصريون القدماء أيضا الصلاصل ، وهى مصنوعة من المعدن علـى هيـئة حـدوة حصان تخترقه بعض القضبان الرفيعة ، التى تحدث رنينا عند تحريكها . وكان استخدامها مقصورا على النساء وللأغراض الدينية .(١)

ويلاحـظ أن الموسـيقى المصـرية القديمة ارتبطت بالحياة الدينية . فكان للموسيقى مكانتها فى المعبد ، عند إقامة الشعائر الدينية ، وكذا مراسيم الدفن والأعياد الدينـية للمعبودات والأعياد الرسمية والحفلات العامة والمراسيم (٢) . ويلاحظ على الموسـيقى ارتباطها القوى والمنطقى فى الوقت نفسه بالغناء والرقص وكان للقصر الملكـى فـرقة موسيقية خاصة به ، كما ولع المصريون بتناول الطعام على نغمات الموسـيقى ، كمـا انتشـرت عادة إحضار فرقة موسيقية كاملة ، لتعزف للضيوف وتساهم فى الغناء والرقص أثناء الحفلات والولائم الكبيرة .

وشـكلت الفـرق الموسيقية فى الدولة القديمة من واحد أو أكثر من عازف للجنك ونافخ للمزمار وضابطى الإيقاع والمغنيين . أما فى الدولة الحديثة فقد أضيف إلـيهم ضـاربوا الدفـوف والعـازفون على الطنبور والكنارة وكان بين الموسيقيين والمغنيين ، وخاصة عازفى الجنك عدد كبير من مكفوفى البصر .(٣)

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ شكل ٣٠ .

ومع ذلك فلم يكن كل الموسيقيين محترفين ، فقد هوى الكثير من المصريين العزف على الآلات الموسيقية .

وتمتلئ نقوش المقابر منذ الدوة القديمة بمناظر عازفى الآلات الموسيقية ففى منظر بمقبرة مرى روكا أحد نبلاء الأسرة السادسة نراه وقد جلس جلسة هادئة مسترخية ، يستمع إلى غناء زوجته وعزفها على الجنك .[١]

وهناك منظر بالمتحف المصرى من مقبرة نن خفت كا من الأسرة الخامسة بسقارة ، ينقسم هذا المنظر الذى يوجد على كتلة من الحجر الجيرى ، على قسمين فى أعلى نرى فرقة موسيقية من الرجال ، نرى فيها موسيقيا يعزف على الجنك ، وأخرين ينفحان فى مزمارين ، ومغن رفع صوته بالغناء ، بينما يتابع ثلاثة رجال النغم بأصوات يخرجونها من أطراف أصابعهم . وفى اسفل نرى مجموعة من خمس فتيات يرقصن تحت إشراف مدربتين اللتين يصفقن لضبط إيقاع الرقص .[٢]

وفى منظر آخر من مقبرة رخمى رع من الدولة الحديثة ، نرى منظر وليمة ، يوجد خلالها اثنتان من العازفات تلعبن بآلتين موسيقيتين :

الجنك والطنبور [٣]. ومنظر من مقبرة نب آمون من الدولة الحديثة فى المتحف البريطانى يمثل امرأة تنفخ فى مزمار مزدوج واثنتان يصفقن وأمامهن فتاتين صغيرتين يرقصن .[٤]

وهناك منظر رسم على قطعة من الحجر الجيرى يمثل امرأة تعزف على آلة موسيقية ، وهذه القطعة موجودة الآن فى متحف استاتليش ببرلين الشرقية سابقا

---

(١) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London 1958, p. 205.

(٢) Saleh-Sourouzian, Official Catalogue: The Egyptian Museum Caire, no 61; Vandier, Manuel d`archéologie IV, p. 364-417; PM 111, p. 580-581. ؛ وأيضا : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٥ .

(٣) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 15 .

(٤) Id., op. cit., p. 128.

وعثر عليها فى دير المدينة وهى من الأسرة التاسعة عشرة [١] . وجزء من نقش من مقــبرة من الدولة الحديثة ، موجودة الآن فى متحف ليدن ، يمثل ضرير يعزف على الجنك ومن خلفه نافخ المزمار .[٢]

(٢) **الغناء بأنواعه :**

لازم الغناء الموسيقى فى كثير من الأحيان . وكان المصرى القديم يغنى فى البيت وفى أثناء العمل وفى الطريق .

وقــد دونت أغانى كثيرة على البردى أو نقشت على جدران المقابر . وكان مــنها ما يتصل بجمال الطبيعة ومباهج الحياة وبالحب والغرام ، ويتغنى فيه العاشق بجمــال محبوبته وحسنها . وقد ترك لنا المصريون الكثير من أغانى الحب والغزل والأغانى المتنوعة التى تدل على حس مرهف وشعور رقيق . وقد صوروا لنا قسوة الفراق ، والسعادة فى الوصال . وقد رموزا فى تلك الأغانى على الحبيبة أو الزوجة بلفــظ " اخــت " وفى هذا التعبير سمو فى المعنى ، يرتفع بعاطفة الحب إلى مستوى عاطفة الأخوة من حيث الطهارة والنقاء . وهناك الغناء الشعبى الذى يتصل بالعمل ، يغنيه المزارع والراعى والعامل أثناء مزاولته لعمله الشاق . فكان هناك أغان خاصة بالحــرث والحصــاد والــدرس ، وعصر النبيذ ، ورعى الأغنام ، والتجديف وصيد الأســماك . ومــنها ما يتصل بالمراسيم الجنائزية والطقوس الدينية فى المعابد أو فى مناسبات الأعياد وفى مواكب النصر .[٣]

وكان هناك المغنيون الملحقين بالقصر الملكى من رجال ونساء ، والمغنيون فــى المناســبات والحفلات أو المغنيون فى المعابد ، والمغنيون المرتبطين بالطقوس الجــنائزية التى تؤدى للملك المتوفى ، وكان لطبقة المغنيين رئيس ، يسمى " رئيس المغنيين " .

---

(١) Id., op. cit., p. 16 .

(٢) Id., op. cit., p. 73 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٧ .

وهـناك مـنظر فـى مقـبرة انحرخع فى دير المدينة من الأسرة التاسعة عشـر ، يمـثل مغـنى يعزف على القيثارة وأمامه صاحب المقبرة وزوجته وترفع الزوجة يدها اليسرى تحية له .(١)

(٣) الرقص بأنواعه :

لعـب الـرقص دورا هاما فى حياة المجتمع المصرى القديم ، فهم لم يقبلوا علـيه رغبة فى اللهو أو التسلية والترفيه فحسب ، بل اخذوا منه أيضا سبيلا للتقرب إلـى المعبود . وكان عبارة عن حركات معبرة وإيماءات رشيقة . وقد تنوع الرقص وفقـا للمناسبات والأغراض . ويمكن تضنيف الرقصات المصرية القديمة إلى أنواع كثيرة ، منها ما يأتي :

الـرقص الديـنى : يؤدى فى المعابد ويؤدى أمام تماثيل بعض المعبودات لأنهـم يبتهجون بالرقصات الجميلة كما يبتهج لها البشر . وكانت النسوة المشتركات فـى الرقصـات التى تحيط بموكب المعبودات يقرعن الطبول ويلوحن بالأغصان ، ويهدفن بذلك طرد الأرواح الشريرة التى قد تعوق سير موكب المعبود المقدس .(٢)

الـرقص الجـنائزى : كـان الجـنائزى يشكل جزءا من الطقوس الدينية الجنائزية . وكان الهدف منها أدخال السرور على روح المتوفى ، وإلى طرد الأرواح الشـريرة إلـى قـد تؤذيها . ومن اشهر الرقصات الجنائزية تلك التى صورت فيها الراقصات يتمايلن فى حركات وفقا لضربات الدفوف والراقصات " مو " أثناء الجنازة وأثناء زيارة جثة المتوفى لمدن المزارات مثل أبيدوس وسايس وبوتو وإيونو . وهناك مـنظر بالمـتحف المصـرى مـن الأسرة التاسعة عشرة ، من مقبرة بسقارة يمثل

---

(١) Allam, op. cit., p. 119.

(٢) تـاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٤٧ – ٢٤٩ .

رقــص جــنائزى يشترك فيه ثلاث فتيات بالطبول وفتاتين صغيرتان تمسكان بعصا الكلاكيت ، ويشترك معهم مجموعة من الرجال يرفعون أيديهم إلى أعلى .(١)

رقصات ذات طابع عسكرى : التى يمثل فيها الكر والفر والقفز والمبارزة ، وكــان يمارســه بوجه خاص الجنود المرتزقة من ليبيين ونوبيين وغيرهم ، وكانت بمثابة وسيلة لبث روح القتال وللترفيه عن الجنود فى أوقات الراحة .

رقــص التشــكيلات الرياضــية : الــذى يمكن أن نسميه تجاوزا بالرقص الرياضـــى أو الأكــروبات . ويتطلب هذا الرقص مرونة جسمانية كبيرة وتحتاج إلى تدريب طويل شاق . كأن تقف الراقصة على ساق واحدة وقد رفعت الثانية إلى أعلى أو أن يصـــور راقــص فوق أكتاف زملائه مكونا شكلا هرميا أو تنثنى الفتيات إلى الخلــف بأجسامهن حتى يلمسن الأرض بأطراف أيديهن (٢) وذا الرقص يتطلب جرأة ومهارة .

ففـــى مــنظر لعيد المعبودة حتحور ، ربما عيد موسم الحصاد ، نرى فتى وفــتاة يــتخذان وضعا فى غاية البراعة يرتكز فيه كل منهما بأسفل بطنه وكفيه على الأرض ويرجع ساقيه إلى أعلى فوق ظهره ، حتى يكدان تبلغان مؤخرة رأسه .(٣)

رقص المحاكاة : الذى يحاكى الراقصون فيه حركات الحيوانات أو الظواهر الطبيعية . ومن خير أمثلة هذا النوع من الرقص ذلك المنظر الذى مثل على جدران إحدى مقابر بنى حسن حيث رمزت فتاة واقفة باسطة ذراعيها إلى حركة الريح بينما ترمز الفتاتان الماثلتان أمامها بانثناءاتهما إلى النباتات المتمايلة بفعل الريح .(٤)

---

(١) المــرجع الســابق ، شــكل ٣٦٥ ؛ Allam, op. cit., p. 25; Saleh-Sourouzian, op. cit., no 214; PM 111 (2), p. 754.

(٢) ألفــه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ، ص ١٦٦ ، ص ٣٥٥ شكل ٧٤ – ٧٥ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ١٧٩ شكل ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، ١٦٦ .

<u>الــرقص التمثيلي</u> : ويهدف إلى تمثيل الحوادث التاريخية أو قصص الحياة ومظاهرها المختلفة . ومن أمثلة هذا النوع تلك الرقصة التى يمثل فيها أحد الراقصين الملك وهو يقبض بيده اليسرى على ناصية عدو راكع أمامه بينما ارتفعت يده اليمنى لتحطم رأس العدو .

<u>الــرقص الموســيقى</u> : وهــو الرقص المصاحب بالفرق الموسيقية . وكان الجــنك والمزمار يؤلفان المصاحبة الموسيقية (١) ، وهو نوع من رقص السمر الذى تــتمايل فــيه الفتيات فى رشاقة ودلال ، وهن يقمن بحركات بارعة بالأذرع والجذع والســيقان ، فــى حين تصفق أخريات مع وقع أقدام الراقصات وكان هذا اللون من الرقص يمارس عادة فى المآدب والحفلات لتسلية الضيوف . (٢)

وفــى مقــبرة <u>نخت</u> رقم ٥٢ بالبر الغربى من عصر تحوتمس الرابع (٣) ، نــرى مأدبــة نرى فيها الضيوف يتمتعون بمشاهدة الرقص وسماع الموسيقى . ومن مقبرة نب آمون رقم ٦٥ بالبر الغربى من عصر الملكة حاتشبسوت (٤) ، نرى رقص وموســيقى تقومان بهما فتاتان . ورقص وموسيقى تقوم به مجموعة من الفتيات فى مقــبرة أخــرى مــن مقابر البر الغربى فى طيبة ، وهناك رقص مع أحداث صوت بفرقعة أصابع اليد .

وهناك الرقصات التى تؤدى فى المناسبات ، مثل تتويج الملك ، أو انتصاره وعودتــه مظفرا ، أو الرقصات أثناء الاحتفالات بالأعياد الكبرى مثل عيد أوبت فى الأقصر . وهناك منظر فى مقبرة خرواف رقم ١٩٢ بالبر الغربى من عصر الملكين أمنحتــب الثالث والرابع يمثل فتاتان أجنبيتان وهن يرقصن وهن يتمايلن إلى الخلف

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٦ .

(٣) Les Guide Bleus: Egypte, p. 389.

(٤) Id., op. cit., p. 390-391.

وشعورهن الطويلة مدلاة إلى الخلف [١] . وهذه الرقصة تشبه إلى حد كبير الرقصات الحديثة التى تقمن بها فتيات الخليج .

ونــرى فى مقبرة حور محب بالبر الغربى منظر يمثل راقصة نوبية [٢] . وهــناك أخــيرا الرقص الأكروباتي الذى نراه فى بعض مقابر بنى حسن من الدولة الوســطى . وهــناك رسم على اوستراكا من دير المدينة من الأسرة التاسعة عشرة بمــتحف توريــن ، يمــثل امرأة ترقص الأكروبات ورفعت وسطها إلى أعلى بينما تلامس بشعرها ويديها الأرض .[٣]

(٤) محاكاة فن المسرح :

كمــا ذكــرنا من قبل فى الباب السابع أن أسطورة أوزير أصبحت من أهم القطــع المسرحية والمفضلة عند المصريين القدماء ، تبناها معبد أوزير فى ابيدوس مــنذ عهــد الدولــة الوسطى ، واحتفظت بها بعض البرديات من العصر المتأخر ، وكانــت مــثل هذه الأساطير تمثل داخل المعابد ، أما فى الأفنية أو أمام الصروح أو على حافة البحيرات المقدسة فى المعابد .[٤]

وقد تحدثنا عن نصوص أحد كبار موظفى الخزانة فى عهد سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة ، ويدعى " آخر نفر " أن الرواية كانت تمثل فى احتفال كبير فى معبد أوزير فى أبيدوس . وأن تمثيلها كان يستغرق عدة أيام قد تصل إلى ثمانية ،

---

(١) Allam, op. cit., p. 32; Les Guides Bleus: Egypts, p. 396-397.

(٢) تــاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٣٦٣ – ٣٦٤ ، ٣٦٦ – ٣٦٩ .

(٣) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 204.

(٤) بيــير مونتــيه : الحــياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ١٩٦٥ ، ص ٤٠٠ – ٤٠٤ ، ٤٠٥ حاشية ٤٤ .

وكـــان يشارك فى هذه الاحتفالات جمهور كبير من زوار المعبد ، وأن الرواية كانت ذات فصول ثمانية .

وفى العصر البطلمى كانت تؤدى فصولا من هذه الأسطورة فى معبد إدفو ، المركـز الرئيســى لعــبادة حورس . ويبدو أن اليونانيين لجأوا إلى إعادة تمثيل هذه القطعــة الأســطورية فى معبد إدفو نظرا لأن جميع جدران هذا المعبد تحمل نقوشا وصــورا لمــراحل الصـــراع بين حورس وست ، ولهذا كانت هذه الجدران بمثابة الديكــور الخلفى ، والديكور الدائم ، والديكور الطبيعى الذى يناسب الأحداث فى هذا المكان المقدس .

ولابــد أن الذيــن كانوا يقومون بتمثيل هذه المشاهد ، مجموعة من الكهنة والكهنة المساعدين . وهى عبارة عن مشاهد كانت تمثل أو تقلد بدون أصوات ، كما كـــان يحـــدث فى احتفالات اليوم السابع لأعياد المعبود ماردوك فى بابل . فقد كانت هـــناك مشـــاهد تعــبر عن موت وبعث ماردوك تتم بالصورة نفسها كما كان يحدث لأوزير .

ويمكـــن القول بأن فن محاكاة المسرح فى مصر القديمة بقى داخل جدران المعـــابد المصرية ولم يخرج خارجها إلى المجتمع وكان قاصرا على فكرة الصراع بيـــن الخير والشر . ولكن فن المسرح اليونانى خرج عن هذا النطاق وكان يعرض فقـــرات مسرحية تعالج مشاكل المجتمع اليونانى وما أكثرها والتى لم يعرفها المجتمع المصـــرى القديم الذى كان متمسكا بقيمه ومبادئه . كما كان هناك الرقص التمثيلى ، ويهدف إلى تمثيل الحوادث التاريخية ، مثل تلك التى يمثل فيها أحد الراقصين الملك وهو يقبض بيده اليسرى على ناصية عدو راكع أمامه ويقوم بمعاقبته .

(٥) **محاكاة فن الكاريكاتير :**

أبدع الفنان المصرى القديم فى رسم مناظر الحيوان الهزلية والفكاهية وعثر على الكثير منها مرسوما على قطع الاوستراكا من دير المدينة وعلى بعض البرديات

الأخرى . وفى هذه الرسوم نرى الحيوانات التى لها صلة عداء بغيرها تقوم بأعمال مع هذه الحيوانات أو تقوم بأعمال يقوم بها البشر ، ومنها :

- رسـم على اوستراكا من عصر الدولة الوسطى ، نرى فيه قطا يرعى سربا من الأوز وممسكا بعصا طويلة .(١)

- رسـم ملـون على قطعة اوستراكا من الحجر الجيرى من الدولة الحديثة ، عثر علـيها فـى جـبانة (دير المدينة) وموجودة الآن فى متحف برلين تحت رقم ٢١٤٤٣ نرى عليها قط متوحش يهدد قردا جالسا فى سكون وهدوء .(٢)

- رسـم ملـون علـى القطعة من الحجر الجيرى عن الدولة الحديثة ، فى متحف هيلدزهـيم فـى ألمانيا ، نرى عليها فارا جالسا مرتديا النقبة وممسكا بزهرة فى يديه وأمامه بطة مطهية وموضوعه على مائدة ، ويستعد لالتهامها ، وأمامه قطة واقفة تقوم بالتهوية له بمروحة كبيرة فى يدها .(٣)

- رسم على اوستراكا من الدولة الحديثة ، فى متحف ميونخ ، نرى عليها فار كبير جـالس مرتديا النقبة ممسكا بيده اليمنى بزهرة كبيرة فى شكل المروحة ويشرب عـن طريق بوصة طويلة ممسكا بها بيده اليسرى النبيذ من إناء موضوع على حـامل خفيف . وأمامه قطة كبيرة تزيد من كمية النبيذ فى الإناء ، وأمامها قطة أخـرى صغيرة . ومن خلفه قطة كبيرة تحاول أن تنظف له النعق من الخلف ، ربما لتجفيف العرق الذى يتصبب منه ، ومن أمام هذه القطة بطة صغيرة .(٤)

---

(١) ولـيم نظـير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ١٩٦٥ ، ص ٢٢٣ شكل ١٢٨ ؛ دلـيل المـتحف المصـرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٧٣ (٣٩ ، ٦) .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 119.

(٣) Id., op. cit., p. 93 .

(٤) Id., op. cit., p. 77 .

- رســم علي بردية من عصر الدولة الحديثة في المتحف البريطاني ، نرى عليها أسد وكبش جالسين على كراسى بسيطة ويلعبان معا رياضة العقل ، لعبة الضامة وأمامهما طاولة اللعب موضوعة على مائدة منخفضة .(١)

- رســم علي بردية من عصر الدولة الحديثة في المتحف البريطاني ، نرى عليها فــي الــبداية قطة تقود سربا من البط وخلفها ذئبان يلعبان دور رعاة الماعز . ويمســك كــل منهما بعضا الرعاة ويحمل على كتفه سلة بها طعام معلقة بعصا طويلة .(٢)

- رســم علي بردية من عصر الدولة الحديثة ، يمثل ثلاث قطط يرعون سربا من الإوز ، وفى البداية نرى قطتين أحدهما ممسكا بآنية مقلوبة والآخر القت إحدى الإوزات به أرضا وتقوم بعضه من ذراعه ، وفى الخلف قط آخر ممسكا بعصا ويحمل على كتفه صرة بها طعام معلقة بعصا طويلة مثل الرعاة .(٣)

- رسم علي بردية من عصر الدولة الحديثة في متحف تورين ، يمثل فرس النهر بحجمــه الضخم فوق شجرة تين واستقر بين أغصانها بينما أخذ نسر يسعى إليه على سلم من خشب .(٤)

لعبة غريبة من الحجر الملون ، تمثل ثلاثة قردة تلعب دور الخونذية والخيل ، فى مركبة ذات عجلات من الأسرة الثامنة عشرة ، من تل العمارنة .(٥)

---

(١) ولــيم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ شكل ١٢٧ ؛ وأيضا : Allam, op. cit., p. 83.

(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ شكل ١٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ شكل ١٣٠ .

(٤) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٥١ ؛ وأيضا : وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ؛ Allam, op. cit., p. 68.

(٥) دلــيل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٥٨ (٦١٥٥) .

- رسـم علـى بردية من عصر الدولة الحديثة موجودة فى متحف تورين ، نرى عليها مجموعة من الحيوانات تقوم بالعزف على آلات موسيقية مختلفة ، فيجعل القيـثار بـيد الحمار ثم يطلق صوته بالغناء ، ويجعل العود بيد أسد وأخذ يردد النغم من ورائه ، ويجعل الرباب بيد التمساح ، والمزمار المزدوج بفم القرد .(١)

- رسم على اوستراكا من الأسرة التاسعة عشرة ، فى متحف بروكسل نرى عليها قـردة كبـيرة تحمل صغيرها على كتفيها ، وتحمل على ظهرها عصا مستطيلة معلق بها آنيتين كبيرتين بهما ماء وذلك لرى حديقة أشجار . (٢)

- رسـم على بردية من عصر الأسرة العشرين موجودة بالمتحف المصرى عليها رسـمان يمثلان فأرة يقمن على خدمتها أربع قطط ، والآخر يمثل ثعلبان يؤديان دور الراعى . ويحملا الماء لبقرة .(٣)

رسم على جدار من دير باويط (ديروط) مـن القرن السادس الميلادى ، وهو موجـود الآن فـى المتحف القبطى ، يمثل وفدا من الفئران يتقدم نحو قط طالبا السلام وقد رفع أحد الفئران علما رمزا للتسليم .(٤)

---

(١) د. محمـد بكـر : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ وأيضا : وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ؛ Allam, op. cit., p. 76.
يبدو أن فن الفكاهة كان أقدم فى بلاد النهرين . فقد عثر على نقش من اور نقش علـى صندوق عثر عليه فى المقبرة رقم ٧٨٩ من النصف الأول للألف الثالثة ق.م نرى عليه حمارا يعزف القيثارة وهناك ثور رابض وأمامه حيوان يقرع آلة مستطيلة وأمامه حيوان صغير يمسك بآلة موسيقية لها أوتار رأسية ، ويوجد هذا النقش بمتحف فيلادلفيا ، راجع : Parrot, Sumer, Paris (1960), p. 300, 379, fig . 372 (A).

(٢) Allam, op. cit., p. 76.

(٣) Saleh-Sourouzian, Offical Catalogue: The Egyptian Museum Cairo, No. 232.

(٤) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١١١ شكل ٥٣ ، ص ٢٢٤ .

- وهناك منظر لملاح محفورا في الخشب والملاح يداعب تمساحا بيده من العصر القبطى .[١]

تعبر هذه الرسومات عن روح الفكاهة التى كان يتمتع بها المصرى القديم ، وربمـا أراد من وراء هذه الرسومات هو التعبير عن سخريته عن أوضاع اجتماعية معينة سادت فى أواخر عصر الدولة الحديثة [٢] ، والعصور التى تلت .

وقـد أراد الفنان الساخر أن يشير إلى أن الحيوانات الضارة أو النافعة مثل الأقوياء والضعفاء من الناس أو الأغنياء أو الفقراء لهم نفس الشعور ونفس الأحاسيس ويمكـن لأى إنسـان أو كائن من هذه الفئة أن يستمتع بمباهج الحياة ويستمتع بالنغم الحلـو . مـثل الثعـبان الذى يتراقص على أنغام الموسيقى ، والحيوانات التى تتأثر بصوت الموسيقى .

والفكـرة الأخـرى التى أراد أن يشير إليها الفنان هو نموذج لفكرة إنسانية كانت ترى ضرورة تصالح الكائنات الأعداء بعضها مع البعض وبالتالى يمكن إسقاط ذلـك علـى مـا يحـدث بين البشر . فالأعداء يمكن أن يصبحوا أصدقاء مسالمين ويصبحوا حماة للضعفاء ويجمعهم سامر واحد أو تسلية واحدة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

الباب الحادى عشر

أساليب التربية ونظم التعليم

أولا : مفهوم التربية والتعليم :

كان المصريون القدماء يؤمنون بأن التربية والسلوك والقيم الخلقية والتعليم هــى الأسلحة الضرورية التى يشق بها الإنسان السبل دائما إلى حياة أفضل ، وهى أسمى ما يمكن أن يصل إليه المرء فى حياته ، كما كانت إحدى السبل لتحقيق الخلود بعــد وفاتــه ، وأن الفضــيلة والمعرفة توأمان يجب على كل إنسان أن يتحلى بهما ويتمسك بهما .

ولــيس أدل علــى اهــتمام المصريين القدماء بالاتجاهات التربوية وآداب السلوك والقيم الخلقية من ان هذه المعانى قد صيغت فى شكل نصائح ووصايا وتعاليم وحكــم يــزود بهــا الآباء ابناءهم منذ الصغر ، ففيها ذخيرة من تجارب الحياة التى عــركها الآباء بحلوها ومرها ، وفيها ما ينير سبل الحياة للأبناء فى المستقبل ، وفيها مــا ينمى مداركهم وملكاتهم ، وفيها ما يعودهم على كل ما هو جاد ونافع وضرورى فى حياتهم ومستقبلهم ، وفيها نماذج من الفضائل الخلقية يجدر بالأبناء أن يتمسكوا بها ويحــافظوا عليها[١]. ولهذا أطلقوا على " التربية والتهذيب والتعليم " لفظ " سباو " أى بمعنى " توجيه وارشاد وتعليم " . وأطلقوا على التلميذ لفظ " سباتى " أى " الذى يتلقى الإرشــاد " . وعلــى المدرســة " عت – سبا " أى " مكان الإرشاد والتعليم والحكم

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ،ص ١٣٩ .

والوصايا لفظ " سبايت " .[١]

وكــان المصريون القدماء يميلون إلى التعليم ويعرفون ما يجنيه المتعلم من ثمــار التعليم ، وكانوا ينفرون من الجهل ، ويعدونه قذارة تصيب جسد الإنسان ولابد من التخلص منها بفضل التحصيل والتعلم .

وأن العلــم فــي اعتقادهم مرجعه إلى السماء ، جاءهم به رسل من حكماء الماضــي ، لا ينــبغي أن يتغير أو يتبدل ، بل هو مدخر في قراطيس البردى يتناقله الناس جيلا بعد جيل ، ثم هو يزداد جلالا وتعلو قيمته كلما أوغلت أصوله في أغوار الماضي ، أي أنه علم مدون منذ القدم [٢] . ومن هنا جاءت أهمية الكتابة التي كانت أولى خطوات التعلم .

ومما لاشك فيه في أن الاتجاهات التربوية والتعليمية بمفاهيمها الحديثة إنما تختلف في صورها وأغراضها وأهدافها عن تلك التي كانت سائدة في حضارة مصر القديمــة [٣] . ولكن على الرغم من ذلك قد نجد في آداب السلوك والقيم الخلقية التي نــادى بها حكماء مصر القديمة ما يماثلها في أغراضها وفلسفتها عند كبار السن من المصــريين الحاليين الذي يعيشون في قرى صعيد مصر والوجه البحري لأنهم أكثر الــناس حرصا على التمسك بتقاليدهم وآداب السلوك والقيم الخلقية التي توارثوها من التعاليم الإسلامية .

---

(١) د. أحمــد بــدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٢١٦ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ .

ثانيا : مصادر دراسة نظم التربية والتعليم :

نعتمد فى دراستنا هذه على مصدرين أساسيين :

أولهما : الآثار المصرية نفسها ، فنجد أن هذه المادة الأثرية بأنواعها وبما تحملـه مـن نصـوص ونقوش متعددة تعطينا مادة علمية غزيرة عن دوافع التربية وأساليبها وأهدافها وفلسفتها ، وآداب السلوك والمثل الخلقية التى يجب على كل إنسان أن يـتحلى بهـا . بيـنما لم تقدم لنا هذه المادة الأثرية صورا مفصلة عن الأساليب التعليمـية ولـم تقـدم لنا وثائق واضحة وكاملة تصف لنا المدرسة المصرية القديمة ونظامها ومراحلها ومناهجها وطريقة إعداد الطالب فى مراحلها الدراسية المختلفة . وكـل ما تمدنا به الآثار عبارة عن نصوص لمواضيع دراسية نعتمد عليها فى معرفة الأسـاليب التعليمـية . وتنقسـم هذه النصوص والنقوش والكتابات التى نجدها على المصادر الأثرية المختلفة إلى أربعة أنواع ، هي :

(١) نصـوص تمثل المناهج الدراسية أو التمارين المدرسية التى تركت مكتوبة على قطع الاوستراكا . ونلاحظ أن بها أحيانا تلك التصحيحات التى أجراها المدرسون بـالمداد الأحمـر . أو التمارين التى كتبت على ألواح من الخشب أو سجلت فى كتـب أو كراسـات أى بـرديات بالخط الهيروغليفى أو الهيراطيقى . ومن هذه النصـوص التى تتناول موضوعات تعليمية بردية انستاسى رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ بالمـتحف الـبريطانى تحت رقم ١٠٢٤٣ ، ١٠٢٤٤ ، ١٠٢٤٦ ، ١٠٢٤٩ ؛ وبـردية سـالييه رقـم (١) تحـت رقم ١٠١٨٥ ؛ وبردية لانسينج تحت رقم ٩٩٩٤ (١) وبولونا رقم ١٠٤٩ وتورين رقم ١ .[١]

ولدينا نصين أحدهما فـى متحف ميونخ والثانى فـى متحف بروكسل ذكر

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 96.

وأيضا : د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١١١ .

فــيهما " كــتاب " كـــان المصـــريون القدماء يعرفونه باسم " كميت " [١] ، أى " الكـــامل " أو بلغتـــنا الحديثة " النموذجى " . وهو أول كتاب مدرسى يضم من القواعد والأصول ما ينبغى للمبتدئ الإلمام به من أصول المعرفة ، كما أنه أول مؤلـــف من نوعه عرفه تاريخ الإنسانية ، وهو يحتوى أيضا على مجموعة من الوســائل التى ينبغى على الطالب أن يستوعبها حتى يسلك طريق المعرفة . وقد اخـــتار مؤلفه لكتابه أحسن الكلام وأجمل أسلوب ويرجع هذا الكتاب إلى أواخر الأسرة الحادية عشرة .

وهـــناك أيضا البردية المسماه " انوما ستيكا " وهى عبارة عن مجموعة من المســميات وخاصة الجغرافية جالت بخاطر كاتبها وأزدحم بها صدره ، فسجلها تســجيلا وجعلها من مصادر المعرفة فى عصر الدولة الحديثة [٢] . كما وصلت إلينا مجموعة كبيرة من الاوستراكا كلها من مخلفات المدارس ودور التعليم على اخـــتلاف أنواعهـــا . وهى من عصر الدولة الحديثة . وقد عثر على أغلب هذه الاوســـتراكا فى مكانين فى جبانة البر الغربى فى طيبة بين أنقاض منازل قرية عمال دير المدينة وأنقاض ملحقات معبد الرمسيوم .

ويضاف إلى كل هذا ما كان يدرس من تراث قديم من عصر الدولة القديمة وعصـــر الدولـــة الوســـطى وعصر الدولة الحديثة أى مختارات من النصوص الأدبـــية . وكمـــا مجـــد المصـــريون القدماء المشاهير من أهل الفكر والمعرفة والنصـــائح والتعالـــيم والحكـــم . نجـــد أنهـــم مجدوا أيضا أصحاب البطولات والشجاعة . كما نرى ذلك على برديـــة تعليمية مـــن القرن الثالث عشر ق.م .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٦ – ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ . عثر عليها كوبيل ضمن مجموعة هامة من أوراق الـــبردى اسفل أحد المخازن الخلفية الملحقة بمعبد الرمسيوم ، راجع : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٦٥ .

كتــبها طالب يدعى " بنتاؤره " وهى تحتوى على تاريخ بداية الصراع بين الملك المصـــرى سقنن رع وبين ملك الهكسوس بعد ثلاثة قرون من حدوثه . وتضمن لـــوح مدرســـى صـــغير من القرن السادس عشر ق.م . موضوعا تكميليا عن مواصـــلة ابـــن سقنن رع ، كامس الجهاد ضد أعداء البلاد . وهناك من قصيدة بنـــتاؤره عـــن معركة قادش الشهير التى صورت انتصار الملك رمسيس الثانى على الحيثيين ، وجاء فى نصوصها الكثير من المبالغة والحماس . وكان الطالب يكرر أجزاء منها لحفاظها فى المدارس كجزء من التاريخ القومى .

(٢) نصوص تمثل الأدب التهذيبى والتعليمى وهى عبارة عن نصائح ووصايا وتعاليم وحكم الحكماء وكبار رجال الدولة من كتبة ووزراء وممن شغلوا أكبر المناصب فـــى عهودهم وتشمل هذه النصائح ما كتبه بعض الملوك لابنائهم . وكانت أغلب هذه النصائح والتعاليم مسطرة على برديات أو على جدران بعض المقابر . وهى تعكـــس صورا صادقة عن حياة من كتبوها أو سجلت على لسانهم ، وتعبر عن تجاربهم الطويلة فى الحياة ، ورأو أنه من الحكمة ان تدون هذه النصائح والتعاليم لمـــا فيها من فائدة ونفع لابنائهم أولا وما يفيد النشئ من أبناء وطنهم بعد ذلك . وبعـــد وفـــاتهم أصبحت هذه النصائح والتعاليم تراثا أدبيا تهذيبيا وتعليميا تتناقله الأجيال ويدرس فى المدارس لكى يتعرف عليه النشئ يلتمسون فيه منفعة تفيدهم فى علاقاتهم بأفراد أسرهم وفى حياتهم الدنيا ومستقبلهم مع أصدقائهم ورؤسائهم ومرؤوسيهم وأفراد مجتمعهم ، وما يكفل لهم العيش دائما فى رضا المعبودات .

ومـــن هذه النصائح والتعاليم ما كتبه والد كايجمنى ويدعى كاراس ، وهى تعاليم موجهة لأولاده ، وعلى الأخص لولده الأكبر كايجمنى . وقد عاش كاراس فـــى بدايـــة الأســـرة الرابعة . وما قام بتأليفه الوزير بتاح حتب الذى عاش فى الأســـرة الخامسة ، وقام بتأليف كتاب عن التعاليم والحكم القديمة وجهها لولده . وما كتبه الملك خيتى الثالث (أو الرابع) الذى حكم فى الأسرة العاشرة ، وكتب نصـــائحه وتعاليمه إلى ابنه ووريثه مريكارع فى وثيقة طويلة ، ولحسن الحظ ، نملك منها نسخة محفوظة حفظا جيدا .

ومـا تـركه الملك امنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول من تعاليم . ومن تـراث الدولة الوسطى أيضا نصان متشابهان ، أولهما تعاليم منسوبة إلى سحتب ايـب رع (مسجلة على بردية شستر بيتى) ، وثانيهما ما يعرف تحت عنوان : " تعالـيم رجـل إلى ولده " وهو تراث لرجل لا نعرف اسمه والخطاب فى كلا النصـين موجـه إلـى الصـبية الناشـئين الذيـن يتعلمون تحت إشراف كبار الموظفين .(١)

وهـناك تعالـيم كان كاتبها رجلا عاديا من عامة الناس المثقفين ، ولم يكن وزيـرا أو صاحب منصب كبير ، اسمه خيتي بن دواواف كتبها لينصح بها ابنه المسـمى " بيـبى " عندما عزم على إرساله إلى العاصمة ليدخل المدرسة ليتلقى العلـم مـع أبناء الموظفين . ويبين له فيها فائدة التعلم وأهمية مهنة الكاتب وما تتـيحه لصـاحبها مـن تولى المناصب الهامة ، كما بين له مصاعب ومتاعب أصحاب المهن والحرف الأخرى . وترجع هذه التعاليم إلى عصر يقع بين أواخر عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى ، وكانت من أحب القطع الأدبية إلى قلوب مدرسى المدارس فى عصر الدولة الحديثة .

ومـن عصر الدولة الحديثة لدينا تعاليم الملك تحوتمس الثالث لوزيره رخمى رع ، وسجل الوزير هذه التعاليم فى نقوش مقبرته بالبر الغربى فى طيبة . وهى تعالـيم خاصة بما ينبغى أن يتحلى به المسئول خلال قيامه بمهمة الوزير . وهى تعـبر عن خبرة الملك وتجاربه وحصافته ، ويمكن أن تعتبر فى مجملها دستورا لعلاقة الحكام برعاياهم خلال الدولة الحديثة .

وهـناك نصـائح آنـى الـذى كـان يعمل كاتبا فى المعبد الجنائزى للملكة نفـرتارى . وفـيها يحث آني ولده على مجموعة من الآداب والفضائل وأهمية تكويـن أسـرة . وتـرجع هذه النصائح إلى الأسرة الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين .

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

ونصائح امنموْيت الذى كان يشغل وظيفة " الناظر على شون الحبوب فى إقلـيم أبيدوس " ، وكتبها لابنه حور ام ماع خرو ويرشده فيها على سبل السعادة فى الحياة وإلى ما يجب اتباعه من آداب السلوك وترجع هذه النصائح إلى الأسرة الثانية والعشرين أو بعد ذلك .

ونصـائح عـنخ شاشنقي الذى كان يعمل ككاهن فى ايونو ، وكتب هذه النصـائح لابـنه تاشـاى نفر ، ويحدثه فيها عن السلوك العام والآداب العامة ، وترجع هذه النصائح إلى القرن الأول ق.م .

(٣) نصـوص تمثل التراث الأدبى وخاصة أدب القصة ، ومن هذه القصص ما كان يـدرس فـى المدارس أيضا نظرا لما فيها من صور صادقة لمغامرات مستحبة وصور خيالية جميلة وأعمال سحرية تجذب السمع ، هذا بالإضافة إلى أنها كتبت بأسـلوب جميل فيه الجودة والبلاغة وبراعة التصوير واستخدام قواعد اللغة من مجـاز وتشـبيه وكناية وتورية وبيان وبديع . وما فى كل ذلك من نفع لمعرفة الطالب لفن الكتابة واللغة السليمة . ومن هذه القصص ما كان يتداول لعدة أجيال . ومنها قصص أبناء الملك خوفو الأسرة الرابعة ولكنها كتبت فى عصر لاحق . وقصـة سـنوهي مـن الأسرة الثانية عشرة ، وقصة ملاح السفينة الغارقة من الأسرة نفسها . ومن أدب النقد نذكر قصة القروى الفصيح من الأسرة العاشرة ، وتنبؤات نفر روهو (نفرتى) من الأسرة الثانية عشرة . وتأملات خع خبر رع سنب ويرجع أصلها إلى الأسرة نفسها .

(٤) نصـوص تمـثل الـتراجم الشخصية التي تركها كبار الشخصيات على جدران مقابرهم أو سطروها على أوراق البردى ، وصوروا فيها أيام صباهم وخاصة ما يتصـل مـنها بأسـاليب التربية والسلوك . ولم تسجل هذه السير والتراجم على جدران المقابر أو اللوحات بغية الزهو والفخر كما يخيل للقارئ من أول وهلة ، وإنمـا كانـت وسـيلة للنصح والإرشاد للأجيال القادمة ولكى تتعلم منها أجيال المستقبل المتعاقبة وتصبح قدوة لهم . ونذكر على سبيل المثال النصوص الخاصة

بتاح شبسسي الذى عاش فى أيام الأسرة الخامسة ويحدثنا فيها كيف أنه تربى فى القصر مع أبناء الملك .(١)

ويحدثنا خيتي احد حكام أسيوط فى العصر الأهناسى عن تربيته فى الصغر فى القصر الملكى فى اهناسيا ، حتى قال عنه أهالى مصر الوسطى والوجه البحرى : " أنه تربى حقا تربية ملكية " .

ويذكر جعبي جفاي الذى كان حاكما على كرما فى السودان والذى عاش فى عهد الملك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة ، كيف أنه كان " فصيح اللسان لبق الكلام ... اهتدى بعقله إلى سبيل الحسنى ، وعرف دائما كيف يقدر خطواته ... "

وهناك نص من عهد امنحتب الأول يحدثنا عما قامت به جدته الملكة المسنة اعح حتب لرئيس ديوانها كارس نظرا لما كان عليه هذا الموظف من خلق فهى تقول عنه :

" حسن الكلمة ، متحفظ النفس ، الذى يدير القصر ، ممسك اللسان عما يسمعه فيه ، لا يمنح لنفسه أية تسلية بالليل أو بالنهار وأنه الرجل الذى يحب الحقيقة ، أمين للغاية ، حكيم فى قراراته ... " .

ووصف حاجب الملك تحوتمس الثالث ويدعى انتف على انه : " الحكيم صاحب المعرفة ، المؤتمن حقا ... وأنه مكتمل العقل للغاية ، ذكى الفؤاد ، يدرك النوايا قبل أن تفصح عنها الشفاه ، يتكلم عن بصيرة وبوحى رأيه الخاص ".

وتعتبر كل هذه النوعية من النصوص والنقوش والكتابات على الآثار ذات أهمية كبيرة لأنها تعتبر المصدر الرئيسى الذى يصور لنا الحياة المدرسية بكل ما فيها من دور للعلم وحياة الطالب أو حياة المعلم ، ثم ما يصور مناهج الدراسة وطرق

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

الـتدريس للغة والآداب الدينية والتربية الأخلاقية والمثل العليا والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والرسم والتربية الرياضية ، ووسائل التقويم .

ثانيهما : ما خلفه المؤرخون والكتاب القدماء من الإغريق والرومان من كتابات عن المناهج التعليمية فى مصر : [١]

فقـد زار مصـر ما بين القرنين الخامس قبل الميلاد والثانى الميلادى عدد معيـن من المؤرخين والرحالة اليونان والرومان ، منهم هيرودوت وديودور الصقلى وسـترابون وبلوتـارخ ، وزارها كذلك عدد كبير من محبى العلم والمعرفة والفلسفة وعشـاق الفـنون من بلاد الإغريق . وسجل كل هؤلاء وأولئك معارفهم ومشاهداتهم وملاحظـاتهم عـن بعـض الآداب والعلـوم وبعض الاتجاهات والأساليب التربوية والتعليمية التى كانت سائدة فى الأزمنة التى زاروا فيها مصر والتى سمعوا عنها من الكهـنة المصـريين أو من أهل المعارف الذين تقابلوا معهم عند زيارتهم لدور العلم التى كانت ملحقة بالمعابد الكبرى فى ايونو وسايس ومنف وطيبة وغيرها .

ثالثا : أهمية العلم والتعلم :

اعـتقد المصـريون القدماء أن العلم يساعد على ان يسموا معنويا وروحيا وماديا . وأن الهدف من التعليم اسمى من أن يكون ماديا ، فكان له هدف روحى وهو بلـوغ السـعادة فـى الدنيا . فالعلم ضرورة ملحة لفهم الديانة وتعاليمها حتى يحقق الإنسان سعادته فى الدنيا ويعيش فى رضى المعبودات . وكان التعليم عندهم ضرورة مـن ضروريات الحياة . وقد حاول بعض أصحاب التعاليم إظهار قيمة العلم وربطوه بـبعض القـيم الأخـرى فى الحياة ، وعبروا عن لفظ علم فى كتاباتهم بلفظ الكتب والكـتابة . ونظرا للمكانة الخاصة التى كان يحتلها العلم والكتابة فى حياة المصريين القدماء فقد اتخذوا لهما معبودين :

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٩٧ .

أحدهمـــا : ذكـــر ، كـــانوا يعـــبدونه تحت اسم تحوتى ، وكان يرمز إليه برمزين : بطائر ابى منجل نظرا لاستقامة خطوط جسمه ووقفته الثابتة . والذى يسير ويـــتهادى فـــى تؤدة وتثاقل ووقار وهدوء ، ويبحث بمنقاره عن ديدان الأرض أثناء حـــرثه ليخلصـــها من الشوائب ، مثل الباحث فى باطن المعرفة الذى يواصل البحث بصـــفة دائمة حتى يصل إلى المعرفة الخالصة التى لا تشوبها أية شائبة ، فهو الرمز الحى للرصانة والصبر والبحث الدائم .

الثانى حيوان البابون الذى كان يمتاز بالذكاء والفطنة وهو ينظر دائما نظرة المتأمل ، فهو الرمز الحى للتأمل والفهم السريع . وكان يصور فى المناظر المتعددة بأحد هذين الرمزين . وأما يصور بجسم إنسان ورأس طائر أبو منجل ، أى جمع بين ذكاء الإنسان ووقار الطائر ، والذكاء والوقار هما من صفات الإنسان – العارف .(١)

ولهـــذا اعتبر تحوتى معبودا للحكمة ، وهو الذى اخترع اللغة ، ويهب العلم والمعـــرفة واخـــترع أيضا الكتابة ، ووضع كتابا فى السحر ، وهو المنظم للوقت ، فتحوتى هو ملهم الحكمة ، فكان يوازى عند الإغريق معبودهم " هرمز " وقد ترجموا لـــه وصفا مصريا يعنى " على الدوام عظيم جدا " وسموه تريسمجستر " ثلاث مرات عظـــيم جـــدا " . ولقد وصلت إلينا باسمه مجموعة كاملة من البحوث الفلسفية يطلق علـــيها " الهرمـــزية – Hermetiques " مكتوبة بالإغريقية ومصطبغة بصبغة من الأفلاطونية الحديثة . وأن تضمنت قدرا كبيرا من الآراء المصرية القديمة ، إلى حد دفـــع الـــبعض إلى أن يروا فيها ترجمة خالصة وبسيطة لكتب فلسفية مصرية تحدث عنها كلمنت السكندرى ، خلال حديثه عن المعارف التى يجب أن يلم بها الكهنة (٢) . وهـــو أيضـــا الذى ابتدع اللغات التى تعبر بها الشعوب الأخرى عن ذوات نفوسها ،

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءة ، الحضارة المصرية ، ص ٣١٣ – ٣١٥ .

(٢) فرانســـوا دومـــا : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) ، الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٦٩ .

وهـــو الذى هدى الناس إلى أسلوب الكلام وأسلوب الخط وفن إجادة الوصف وإجادة الكتابة وهو الفن الضرورى للإقناع [١] ، وهو الذى يهب المعرفة لأهل العلم ، ولهذا كـــان يبـــتهل إليه المعلمون ويتضرع إليه طلاب العلم والمعرفة والكتبة أن يتولاهم برعايـــته ويلهمهم العلم والمعرفة ، ولنستمع إلى واحد من طلاب المعرفة يبتهل إليه بالدعاء فيقول :

" أن فـــنونك [٢] لتفضـــل كـــل حقـــيقة (فـــى الوجود) ؛ فهى التى تسمو بالإنسان ، ومن حذقها كان أهلا للمشورة " .[٣]

ويذهب الظن إلى أنه كان يقرأ قصة حورس وست بما أنه كان الوحيد بين المعـــبودات الذى يعرف الكتابة . ولهذا كان يعد " كاتب معبود الخليقة آتوم ، وكاتب التاســـوع المقدس ، ذو الأنامل الماهرة "[٤] . وكان يرأس " بيت الحياة " الذى كانت تنســـخ فيه وتصنف وتدرس جميع البرديات اللازمة للحفاظ على الحياة ماديا ومعنويا ويتمـــثل ذلـــك فى البرديات الطبية بالنسبة للناس ، وبرديات الطقوس الدينية بالنسبة للمعبودات .

أن تلـــك المعـــرفة بالكـــتابة تضفى على تحوتى قدرات رهيبة . أنه ساحر ووضـــع كـــتابا فى السحر كتبه بيده ، ومن يتلو صيغا من هذا الكتاب بصوت مرتفع يكتسب قدرات خارقة العادة ، ويستطيع أن يسحر ما فى السماء والأرض وعالم الليل والجبال والمياه . [٥]

---

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(٢) يقصد بالفنون هنا " العلم والتحصيل والمعرفة والحكمة والكتابة " .
(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .
(٤) د. عـــبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ ؛ فرانسوا دوماس : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(٥) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

ونجد أن المناظر الفلكية المتأخرة تربطه بوجوه القمر . ولعله يدين بصفته كحاسب للمواقيت لارتباطه بذلك الكوكب ، فهو الذى يقسم الزمن إلى شهور وهو الذى ينظمها ويفصل فى القضاء . وهو الذى كان يقوم أيضا بنقش أعوام الملك ، خلال الأعياد الملكية ، على ساق نخلة انتزعت غصونها ، أو أنه يكتب على فاكهة شجرة اللبخ (البرساء) المقدسة اسم الملك الذى يجب أن يصبح وفقا لهذا يانع الحضرة إلى الأبد .[١]

وعرف المصريون القدماء إلى جانب تحوتى معبودة للكتابة والتسطير سموها سشات أى الكتابة . وكانت موكلة بالتسطير والتسجيل والحساب ، كما أنها كانت " سيدة دور الوثائق الدينية " .[٢]

وبلغ من حب المصريين القدماء للعلم أنهم قدسوا أدوات الكتابة ، فهذه سيدة تتعبد أدوات الكتابة من قلم ودواه [٣] . وها هى الدواة مرفوعة إلى السماء بأيدى اثنتين من المعبودات ، ومن حولها أركان الدنيا الأربعة تتعبد إليها [٤] . وهناك تمثالان يمثلان كاتبان يقدسان الكتابة والقراءة أمام تمثالين يرمزان إلى راعى الكتابة

---

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٥ – ٦٦ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٠ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) أطلق المصريون القدماء على المقلمة أى أداة الكتابة والدواة اسمى جستى ، ومنهج (mnhd) ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 409; Wb 11, 83, 3. ؛ د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٩٩ ، ٢٦٩ ، وعلى اليراع أو القلم اسم هدن (راجع ص ١٤٨) وعلى لوح الكتابة اسم عن (راجع ص ٣٧) .

(٤) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٤٣ .

تحوتى .[١]

وكـــان لقب " كاتب " من أحب الألقاب إلى نفوس المصريين القدماء . ومن تـــدرج من طبقة المثقفين فى الوظائف الحكومية وأصبح وزيرا معروفا أو قائدا كبيرا او مهندسا معماريا مشهورا ، أو رئيسا للكهنة ،نجد أنهم كانوا يحرصون جميعا على وضع لقب " كاتب " فى مقدمة ألقابهم .

وحـــرص بعـــض الكتبة أن يظهروا فى مناظر مقابرهم وفى أيديهم أدوات الكتابة والمحبرة والقلم كما هو الحال بالنسبة لحسى رع " رئيس الكتبة الملكيين " من عصر الأسرة الثالثة ، اعتزازا منه بحملها لعلو شأنها .

وكان من أحب قطع الأثاث الجنائزى التى يرغب الكاتب أو رئيس الكتبة أن توضع معه فى المقبرة بعد وفاته هى لوحة الكتابة والمحبرة والأقلام . فقد عثر على أدوات الكـــتابة الخاصـــة برئيس الكتبة كاورع من عهد الملك ببيى الأول . كما عثر علـــى هذه الأدوات فى مقابر بعض الأمراء والملوك أمثال توت عنخ آمون [٢] . ولم يـــتردد بعض الملوك أمثال حور محب ورمسيس الأول والثانى وغيرهم فى الظهور فـــى بعـــض صـــورهم أو تماثـــيلهم على هيئة كاتب يحمل على كتفيه لوحة الكتابة والمحبرة والأقلام .

وجـــرى ابـــناؤهم الأمـــراء على مذهبهم وظهر بعضهم فى تماثيله على هيئة الكاتب الجـــالس . وكان بعض كبار الشخصيات كالمهندس المعمارى المعروف أمنحتب بن حـــابو [٣] ، والوزير بارع وغيرهم يقيمون لأنفسهم تماثيل فى مقابرهم أو فى معابد

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٠ شكل (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨١ شكل (٢) .

(٣) هناك مثلا تمثال الكاتب الشهير بالمتحف المصرى ، من الأسرة الخامسة ، من حفائـــر مصـــلحة الآثار بسقارة عام ١٩٨٣ ، وهو من الحجر الجيرى الملون ، ويحمل رقم CG36 ، راجع : Saleh-Sourouzian: Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 148 .

معـــبوداتهم ، يمثلونهم جالسين فى وضع الكاتب الذى نشر بردية مكتوبة على فخذيه كأنه يكتب عليها أو يقرأ ما سطر عليها . ومن بين تراث المصريين أو من بين بقايا فن النحت العديد من التماثيل التى تصور الكتبة الحرفيين وقراطيس البردى منشورة بيـــن أيديهم [١] ، يسطرون عليها . وقد ظهر هذا الوضع للكاتب الجالس منذ عصر الملك خوفو حتى العصر المتأخر [٢] . ولهذا كان الميل إلى التعليم والرغبة فيه كانتا دائما فى نفوس الناس وأولياء الأمور ، وكانوا يكرهون الجهل وينفرون منه .

وعـــبر المصـــريون القدماء على لسان أصحاب النصائح والتعاليم والحكم والمعلميـــن فى المدارس عن تقديرهم للعلم وللدور الذى يقوم به الكاتب ونفورهم من الجهل والجهال فى فقرات عديدة لا يكاد يحصيها العد . واظهروا فى هذه الفقرات ما للعلـــم مـــن فوائد ، فربطوا العلم بمكانة الأم ، وأن العلم مصدر السعادة ، وأن للعلم نشـــوة الشـــراب ، وأن العلم أنفع من الميراث ومن منزل مشيد ، ومن نصب يخلد ، ومن ضريح ومن مقصورة تشيد فى عالم الغرب .

فهـــا هـــو خيـــتى بـــن دواواف ينصح ابنه بيبى بالإقبال على العلم والتعلم وتحصـــيل ما فى الكتب ، ويقول له : " ضع قلبك فى الكتب " ويقول أيضا : " أحبب الكتب مثل حبك أمك فليس فى الحياة ما هو أغلى منها " أى أنه يعبر فى هذه الأقوال عـــن قـــيمة التعليم بإغراء ولده بأن يضع انتباهه فى الكتب ، وأن هذه القيمة تعادل مكانـــة الأم ، ويقـــول له كذلك : " أعمل وصر كاتبا لأنك بذلك (تستطيع) أن تقود جميع الناس " .[٣]

ويقـــول الملـــك امنمحات فى نصائحه لابنه مريكارع : " اسلك سبيل آبائك وأســـلافك ، فـــأن أقوالهم مسطرة وباقية فى الصحف (أى البردى) فانشرها (بين يديك) وأقرأ وأنشد الحكمة فيها " .[٤]

---

(١) Id., op. cit., no 43.

(٢) Id., op. cit., no 43.

(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

ويوصـــى المعلـــم تلميذه ، فيقول : " سطر بيدك ، واتل بفمك ، وأفعل ما آمـــرك به ، حتى لا يضيق صدرى بتعليمك ، ولسوف تجد فى ثمرات التعليم ما هو أغـــنى مـــن حياة موفرة بالطعام والشراب . تفوق على زملائك حتى يمكن تعيينك ، اقـــبل علــى الدرس وأهجر الرقص لتصبح موظفا يقظا ، اترك المصائد ، واستدبر عصـــا الرماية [١] . أكتب بالنهار واقرأ بالليل وآخى القرطاس والدواة ، فأن فى ذلك نشوة ألذ من نشوة الشراب ... " .[٢]

ويقـــول آخـــر : " ولســـوف أقول لك طوال النهار أكتب "[٣] . وكان هناك بعض المدرسين الذين يعلنون لمريديهم وتلاميذهم أن : " الكتابة أعز عنده من ميراث فى أرض مصر ، وأعز من ضريح فى عالم الغرب (أى عالم الموتى) " .

ويقـــول أيضا : " الكتابة أعز قيمة من دار لبانيها ، وأعز من ضريح يبنيه صاحبه فى عالم الغرب ، وامتع من قصر مشيد ، وأنفع من أثر يخلد (اسم صاحبه) فى ساحة المعبد " .[٤]

وكـــان الكاتب آمن – مس يهيب بتلاميذه ، قائلا : " اكتب بيديك وناقش من هم أعلم منك ... ولا تنس أن المناقشة تدفع إلى التقدم ، لا تهمل الكتابة . أجعل قلبك ينصت إلى أحاديثى فستجدها نافعة لك " .[٥]

---

(١) أى ينصحه بترك وسائل اللهو والتسلية .

(٢) ألفـــه نخـــبة مـــن العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٨ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ، ٢٣٩ .

(٣) ألفـــه نخـــبة مـــن العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٨ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨١ .

(٥) بيـــير مونتـــيه : الحـــياة اليومـــية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٣٤٥ .

تعاليم امن نخت بن ابوى لتلميذه حورى – مين :

ولد امن – نخت فى دير المدينة وعاش فيها وأصبح كاتبا بارزا فى عصر رمسيس الثالث .[١] وهى تعاليم تربوية كانت معروفة وكان أول من أشار إليها بوزنر عــام ١٩٥٥ وكتبــت على مجموعة من الاوستراكا عثر عليها فى دير المدينة .[٢]
ونقرأ فى بدايتها : " بداية التعاليم التربوية :

قصــائد للســلوك فى الحياة التى ألفها الكاتب امن – نخت من أجل تلميذه حورى – مين :

أنــت رجل جدير بالاستماع إلى الحديث للتمييز بين الحسن والسئ ، إنتبه ، إصــغ إلى حديثى ولا تهمل ما سوف أقوله لك : انه من المناسب جدا مقابلة الــرجل الكفء فى كل المجالات، واجعل ذهنك قويا أكثر من جسر تتحطم علــيه اعــتى الأمواج ، تقبل كلمتى بكل ما تحتويه ولا تغضب (أو تتأثر) لدرجــة الاغتــياب ، انظر بعينيك لكل المهن وكل ما تحقق بالكتابة ، سوف تفهم هذا ، وما هو صالح (هى) الكلمات التى سوف أجعلك تأخذ بها . لا تــتحول عــن حديث قيم ، لأن الاعتراض لن يصبح فى محله . اجعل قلبك يتباطئ فى سرعته . لا تتحدث إلا بعد أن تكون قد دعيت . فهل تستطيع أن تصــبح كاتــبا وتــرتاد بيــت الحياة . (دون أن تصبح) شبيها بصندوق المخطوطات [٣] أى مليئا بالعلم .

---

(١) Bickel- Mathiew, BIFAO 93 (1993), p. 31- 33, 35 – 38 .
(٢) Id., op. cit., p. 35.
(٣) Id., op. cit., p. 35, 38 (1 – 5) .

تعاليم حورى يحث فيها ابنه على الكتابة (اوستراكا جاردنر) :

حـــورى هـــو كاتب المقبرة عاش بين الأعوام ٢٩ من حكم رمسيس الثالث والعام ١٧ من حكم رمسيس العاشر .[١]

ويـــرى الـــبعض أن حورى عاش بعد وفاة زميله امن – نخت وألف تعاليم تربوية إلى أحد أبنائه ربما هو حورى – شرى[٢] وفيها نقرأ [٣] :

" بداية التعاليم التربوية

التى ألفها الكاتب حورى :

عود نفسك على الكتابات بجد :

إنها مهنة مفيدة لمن يمارسها

كان أبوك ضليعا فى الهيروغليفية

كان محترما فى الشارع ،

كان يتمتع بصحة جيدة

وسنواته كانت مثل حبات الرمل

وكان فى رغدة طول حياته على الأرض

حتى وصل إلى الجبانة .

كن كاتبا ، وسوف تصبح بدون مساو (أو ند)

---

(١) Id., op. cit., p. 49.

(٢) Id., op. cit., p. 51.

(٣) Id., op. cit., p. 50.

وسوف تزيد من ثروات منزلك

لعلك تسير ؟ ....

ولعلك سمعتك تصبح معادلة لشخصك

لعلك تتسلم وظيفة أبيك دون ...

وسوف تصبح سعيدا على الأرض "

وكـــان أصــــحاب التعاليم يحثون الأبناء بصفة دائمة وأجيال المستقبل على قراءة تعاليمهم ، ولنستمع إلى ما جاء فى أقوال الحكيم أمنؤبت حين أخذ يتحدث عما ضم كتابه فى التعاليم من فصول بلغ عددها ثلاثين ، فينصح القارئ قائلا :

" طالع هذه الفصول الثلاثين

أنها لتتحدث ، وإنها لتعلم

أنها تجمع بين ...

أنها لتجعل الجاهل عالما

وأنه ليتطهر بها

املأ بها نفسك واقرها فى صدرك

لتصبح رجلا يقدر على شرحها

فتشرحها كمعلم ".(١)

ويقولــون فـــى بـــردية ديموطيقـــية : " من لم يعلمه أبوه أصبح تمثالا من حجر ".(٢)

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

ويقال للصبى : " لا تكن بغير لب كمن لم يتعلم " .[(١)]

وقـد وضـع عامة الشعب أهل الفكر والمعرفة فى المكان الأول فى دنياهم وأخـراهم . وكانوا يحيطون الكتبة بجو من الاحترام والتقدير فى حياتهم . وقد رفع المصـريون بعـض الكتبة وجعلوهم فوق مراتب البشر حتى أصبحوا من الخالدين . ومجدوا المشاهير من أهل الفكر والمعرفة وأصحاب الحكم والتعاليم أمثال : كالرس ، بـتاح حتـب ، آنى ، وامنمؤبت . وكانوا يعتبرون ما تركوه من تراث فكرى يجب المحافظة عليه وإطالة النظر فيه دون تغيير أو تبديل .

رابعا : الأهداف من وراء العلم والتعلم :

كان هناك أربعة أهداف :

- بناء الإنسان الصالح المجتمع ، الصالح تربويا وعلميا وعمليا .
- هدف روحى يقصد به السعادة فى الدنيا والآخرة .
- المحافظة على تراث أهل الفكر والمعرفة والحكمة .
- الاستفادة المادية من الدرس والتحصيل لتولى وظيفة هامة فى المستقبل .

وإذا تحدثنا عن هذه الأهداف الأربعة بشئ من التفصيل ، نقول :

أولا : حـرص الآباء على تهذيب أخلاق الأبناء فى الصغر قبل أن يغادروا المنزل ، وعلـى تدريبهم على حسن المعاملة وآداب السلوك وتعليمهم كيف يعيشون مع الآخرين فى جو تشيع فيه المحبة والألفة بين الناس . وبفضل هذه المبادئ التى كـان يـتلقاها النشئ فى المنزل منذ الصغر ، نستطيع أن نؤكد أن التربية فى مصـر قد نشأت أول أمرها فى مجتمع الأسرة الصغير ، حيث تقوم الأم ومن بعدها الابن على تربية طفلهما . وبالإضافة إلى التنشئة الخلقية كـان الصبية

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

يـتعلمون القــراءة والكتابة أحيانا على أيدى آبائهم فى المنازل قبل دخولهم المدرسة .

ويقول الحكيم آنى :

" أنــه ذهب إلى المدرسة بعد أن تعلم الكتابة فى دار أبيه "(١) . وأثناء تعليم الأولاد مــبادئ الخط والقراءة فى المنزل كان الأب يقوم بإسداء النصائح الخلقية له وذكر بعض أقوال الحكماء وتعاليمهم . حتى بعد دخول الصبى المدرسة كان الأب لا يتوقف عن توجيه وإسداء النصح إليه كلما استطاع إلى ذلك سبيلا ووجد استجابة من الابــن ، حــتى إذا ما كبر ونما أدرك بما يقوم بتحصيله فى المدرسة معانى وأهداف هذه المبادئ .

وقــد آمن المصريون بكل هذه المبادئ التربوية وأكدوا إيمانهم بها على مر العصــور لتكويــن الإنســان الصالح للمجتمع . وحث الأبناء على الفضيلة والتسلح بالإيمــان والــتقوى والــتحلى بالمــثل الخلقية السائدة كالبر بالوالدين وحين معاملة الــزوجة ، واحترام الغير ، والتسامح والتواضع والاستقامة والعدل ، والعطف على الآخرين ، وحفظ السر والأمانة ، والإخلاص فى العمل ، والصبر والمثابرة ، وحسن اختــيار الأصــدقاء . وغــير ذلك من القيم والآداب العامة مثل احترام كبر السن ، والامتناع عن شرب الخمر ، والبعد عن النميمة والكذب ، وعدم الاعتداء على حقوق الغير ، ومراعاة الآداب العامة عند الجلوس على المائدة وآداب دخول المنازل وآداب الحديث أو الكلام والصمت . ونلاحظ أن جميعها عبارة عن مبادئ تنظم العلاقات بين الأفــراد فــى أســرة واحــدة وعائلة واحدة ، وبين أفراد هذه الأسرة والآخرين فى المجتمع ، أو بين أفراد المجتمع ككل .

ونقــرأ عن تأثير هذه التربية فى أقوال أحد الكهنة : " أقول هذا لتسمعوا ما وقــع لــى مــنذ أيــامى الأولى ومنذ أن نزلت من حجر أمى ، حتى أصبحت كاهنا

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

مطهرا ، فكنت لأبى عكاز للشيخوخة ما امتدت به الحياة على الأرض " .(١)

وكـــان التعليم ينمى معانى وأهداف هذه المبادئ فى فكر الإنسان ، وبفضل هذه المبادئ والتمسك بها وتطبيقها ، وبفضل التعليم والتحصيل ينشأ الإنسان الصالح للمجـتمع الــذى يساهم فى بناء صرح مجتمعه ويشترك فى ازدهاره وتماسكه على أســاس ثابت من القيم والسلوك القويم . ولهذا كان الآباء يحضون أبناءهم على طلب المـــزيد مـــن العلم . وكان الميل إلى التعليم والرغبة فيه كائنا دائما فى نفوس أغلب الصـــبية ، فـــبالعلم شـــيد المصـــريون القدماء حضارتهم وبالتعاليم والحكم والمبادئ أحاطوهـــا بســـياج متيـــن ممـــا زادها تماسكا وازدهارا ، فخرجت حضارة متكاملة متجانسة بفضل أهلها .

ثانـــيا : كـــان الهـــدف الثانى من التعليم هو هدف روحى يقصد به السعادة فى الدنيا والآخـــرة ، فالعلم ضرورة ملحة لفهم الديانة وتعاليمها الفهم الصحيح حتى يحقـــق الإنســـان سعادة الدنيا والآخرة ولهذا ربطوا بين حب الكتب وبعض القـــيم الروحية . فيقول أحد الحكماء : " أعلم أن مهنة الكتابة ... هى أجلب للسعادة من ميراث الدنيا (المادى) " .(٢)

فكـــان العلـــم مرجعه إلى السماء ، جاء به رسل من حكماء الماضى ، ولا ينـــبغى أن يتغـــير أو يتـــبدل ، بـــل هو مدخر فى القراطيس يتناقله الناس جيلا بعد جيل .(٣)

وطـــبقا لعقـــيدة المصـــريين فإن المعبود أوزير هو الذى علم الناس الزرع وشـــرع لهم الأحكام والقوانين وطاف فى أقاليم الدنيا وأقطارها يبشر بالعدل والخير فعلـــم الناس وخطط لهم القرى والمدائن (٤) . وعلى ذلك لم يكن كافيا – لكى يتحول

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
(٢) د. أحمد بدوى د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

المــرء إلــى أوزير فى عالم الآخرة – أن يتلقن الشعائر المملوءة بالأسرار ويمارس الطقــوس وإنمــا كــان من الواجب أن يسير وفق المثل اعلى والمبادئ عند المعبود أوزيــر الــذى قدم للناس الحضارة ، لقد كان أوزير معبودا للخير . وعلى هذا كان واجبا على الإنسان الذى يريد التمثل به ، أن يعمل كل ما هو خير .(١)

فمبدأ العلم هو مبدأ مقدس تمسك به الناس نقلا عما أنجزه المعبود أوزير ، كما أن العلم هو الذى حبب إلى قلوب المصريين السلام يقدرونه ويعملون على نشره لتصــفية حياة البشر من الشر . هذا بالإضافة إلى أن المتعلم كان قدوة لعامة الناس ، ولــيس أدل على ذلك مما جاء فى تعاليم خيتى بن دواواف لابنه : " المتعلم هو الذى يقود الناس جميعا " . فيقول خيتى بن دواواف لابنه عندما كان يصطحبه إلى المدرسة : " أحبــب الكتب كحبك أمك فليس فى الحياة ما هو أغلى منها " . وأكثر من هذا فقد ربــط المصـــريون بيــن العلم وبين منزلة الإنسان فى الآخرة . فتصوروا أن معبود الآخرة أوزير يغضب إذا وفد عليه شخص جاهل ، ويقول لمن أحضره : " اتأتى إلى برجل جاهل لا يعرف كيف يعد أصابعه ؟ " .(٢)

وتصــوروا أيضا أن احدهم لن يقترب من المعبود تحوتى ، معبود الحساب فــى دنيا الآخرة ، ما لم يؤكد لحراس بوابات عالم الآخرة ، أنه كان من أهل الكتاب ومــن أهــل المعــرفة (٣) . وترتب على هذه التصورات وأمثالها ، أن الكهنة كانوا

---

(١) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢ .

(٢) راجــع الــباب السابع ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ ؛ كانت الرحلات طلبا للعلم من أهم دوافــع المســلمين لترك أوطانهم يدفعهم إليها تشجيع سيدنا رسول الله صلى الله علــيه وســلم إذ قال : " من سلك طريقا يطلب فيها علما سهل الله له طريقا إلى الجــنة " راجــع : جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢ ، ص ٣٥ حاشية (١٥) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨١ .

يتمــنون للملك فى نصوصهم الدينية ، منزلة الكتبة والعلماء فى أخراهم ، كما دعوا لكبار الشخصيات بمنزلة الكتبة والمفسرين فى عالم الآخرة أيضا .(١)

ثالثا : كان من أهداف التعليم هو المحافظة على تراث السلف وإطالة النظر فيه دون تغيــير أو تــبديل لإيمــانهم بفائدة ما تركته الأجيال السابقة من تراث أدبى وثقــافى وحرصــهم الشــديد على أن ينقل هذا التراث إلى الأبناء الصغار وأجــيال المســتقبل . ولهذا حفظ المصريون القدماء ما يسمى بتراث أدب التهذيب أو التعاليم لأهل الفكر والمعرفة . وكانوا يذكرون ويدرسون فقرات مــن تعالــيم ايمحوتــب وكــاارس وبتاح وحتب وامنحتب بن حابو وآنى وامنمؤبــت . وظلت أعمالهم مجالا للدراسة والتعلم حتى نهاية تاريخ مصر القديم ، نظرا لقيمة ما جاء فى تعاليمهم وما أثروا به فكر الإنسان المصرى القديم . وهذا هو أحد الملوك يوصى ولى عهده قائلا :

" اســلك ســبيل آبائك وأسلافك ، فأن أقوالهم مسطورة وباقية فى الصحف (أى الــبردى) فانشرها (بين يديك) وأقرأ وأنشد الحكمة فيها "(٢) . وما جاء أيضا فى أقوال الحكماء بأن كلمات الحكم والتعاليم فيها تطهر النفس ويقول الحكيم امنؤبت لقارئ تعاليمه : " أنها لتتحدث ، وإنها لتعلم ... أنها لتجعل الجاهل عالما وأنه ليتطهر بها " .(٣)

رابعا : أخيرا كان من أهداف التعليم والتحصيل من وجهة نظر بعض الناس المثقفين هــو الحصــول علــى مــزايا مادية كبيرة فى النهاية والتى تتحقق عن طريق تولى المناصب وخاصة عندما يصبح الإنسان كاتبا ، ولم يفت المربين المصريين أن يغروا تلاميذهم بمستقبل باهر إن هم حرصوا على الاستفادة من الدرس والتحصيل والتعليم ويحذرونهم فى الوقت نفسه من الجهل والكسل وعواقبهما ومستقبل الجاهل ومصيره

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٨

الملئ بالمتاعب . ولهذا لجأ المعلمون إلى تدريس القطع الأدبية التى تحث على التعلم والإعــلاء من شأن العلم ووظيفة الكاتب ، مثل ما جاء فى نصائح خيتى بن دواوإف لأبــنه بيــبى التى وجهها إليه عندما عزم على إرساله إلى العاصمة ليدخل المدرسة ليتلقى العلم مع أبناء الموظفين ، ومن أهم وصاياه لابنه هى :

" ضـــع قلبك (أى عقلك) فى الكتب " ، " وتفوق على زملائك حتى يمكن تعييــنك فى وظيفة ما " [١] ويذكر له متاعب أصحاب المهن والحرف الأخرى ومدى ما يعانونه من صعاب فى سبيل تحصيل أقواتهم . أما الكاتب فتتفتح أمامه كل فرص الـــترقى بيـــن الموظفين ، ويقول له فى النهاية : " إن الكاتب هو الذى يرأس أعمال الناس جميعا ، وهو معفى من الضرائب لأنه يؤديها عملا عن طريق معرفته " .

ويحـــذرون فى الوقت نفسه من عدم التعلم ويقولون فى بردية ديموطيقية : " من لم يعلمه أبوه أصبح تمثالا من حجر " . ويقولون فى نص آخر : " لا تكن بغير لب (أى عقل) كمن لم يتعلم " .

خامسا : دور المعلم ووسائله التعليمية :

تختلف ثقافة المعلم طبقا للمرحلة الدراسية التى يقوم بالتدريس فيها ، وطبقا لطبيعة المدرسة أو المعهد أو المركز الملحق به .

ويبدو أن الطفل المصرى القديم منذ الصغر كان ينشأ ويتربى على يد معلم محترف متواضع الثقافة . وكان هذا المعلم يجمع فى بعض الأحيان بين التعليم وبين مهـــنة أخرى ، كأن يشتغل كاهنا فى معبد صغير فى المدن الصغيرة أو فى الأقاليم ، ثـــم ينتفع بأوقات فراغه من الواجبات الدينية بتعليم أبناء قريته ، نظير أجر يسير أو مكافأة بسيطة ، تماما كما يفعل بعض الشيوخ فى مساجد القرى وصغار الرهبان فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

الكنائس حتى عهد قريب [١] . وبحكم طبيعة عمله كان يعمل أيضا رساما وخطاطا ، يخـط النصوص الدينية على جدران المعابد والمقاصير والمقابر . وكان يستعين فى عملـه هذه بعدة صبيان ، يعلمهم أسلوب الخط الجميل وفى الوقت نفسه يعودهم على حفـظ فقرات وصيغ متعددة من هذه النصوص الدينية الضرورية لتكوين الصبى فى الصغر .

ومما يؤسف له ليس لدينا فى النقوش ورسوم الآثار ما يصور لنا طبيعة هذا المربى وهو يدرس ، أكان يفعل ذلك جالسا أم واقفا . وإن كان من بين النصوص ما يشير إلى أنه كان يدرس وهو جالس على حصير [٢] . ولكن نرى فى بعض المناظر معلمـا واقفـا يملـى على تلميذين جالسين وهما يكتبان بريشة من البوص وأمامهما صندوقان مملوءان بالبردى أو نرى كاتبا يتبعه تلميذه ويمسك له بالمحبرة [٣] . وكان المتقدمون من التلاميذ ، يعينون مساعدين فى المدارس ، ويصبحون عونا لمعلميهم .

وعندما ينتقل التلميذ إلى مرحلة أخرى من مراحل الدراسة لكى يصبح أحد الكتـبة الصـغار فى دواوين الحكومة ومختلف مرافق الدولة ، أو يصبح أحد الكتبة الصغار الذين كانوا يعملون فى الضياع الزراعية . ففى هذه الحالة كان يعهد به إلى كاتـب قديـر وذو خبرة فى ديوان من الدواوين يأخذ عنه ويتتلمذ عليه ليصبح كاتبا (أى موظفا) ذا علم ومعرفة ودراية وخبرة .

وكان الصبى يرافق معلمه إلى الديوان أو مكان العمل ، ويقضى فيه شهورا يـنقل وينسخ خلالها الخطابات والوثائق والحسابات ، ويعيد كتابتها ونسخها اكثر من مرة حتى يتقن هذا العمل . ولا يتركه الكاتب – المعلم إلا حين يصبح قادرا على أداء العمـل فى الميدان الذى يعمل فيه الكاتب – المعلم أصلا . أو أن الشاب كان يتدرب

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٢ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٢ – ١٨٣ شكل ٣ – ٤ .

على أيدى أحد قدماء الموظفين فى الإدارات التى يلتحقون بها .(١)

وكانــت هناك مجموعة من العلماء والكهنة ذوى الخبرة ، الملحقين بالمعابد الكــبرى وبــدور الحياة وهو أشبه بمعاهد علمية ، يلتقى فيها الكبار من الكتبة واكثر المعلميــن علمــا وأغــناهم معرفة وأوسعهم ثقافة وفى رحابها يلتقى أيضا الجادون والراشــدون من طلاب العلم المعرفة ينشدون مختلف المعارف والثقافات على أيدى ذوى الخــبرة . ولــيس أدل على مدى اهتمام المصريين بالتربية من شهادة ديودور الصقلى فيقول :

" أن ممــا يمــيز حــياة المصريين أن الطفل عندهم يلقى حظه الكامل من التربية والرعاية " .(٢)

ويقول سترابون : " من التقاليد التى كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " .(٣)

وكمــا شهد المؤرخون اليونان للمصريين فى مجال التربية ، فقد شهدوا لهم أيضــا فــى مجال المعارف والعلوم وما كان يدرس منها فى مدارسهم أو فى المعابد علــى يــدى الكهنة المصريين وأهل العلم والمعرفة فيها ، ومن العلوم التى تأثر بها

---

(١) هــناك تمثال بالمتحف المصرى ، وهو يحمل رقم CG241 عثر عليه فى مقبرة نــى – عــنخ – بيبى فى منطقة مير فى عام ١٨٩٤ ، وهو من الخشب الملون ومؤرخ من الأسرة السادسة ، ويرى العلماء أنه تمثال لحامل القرابين ، ولكن فى رأينا الشخصى أنه يمثل دارس أو متعلم نظرا لوجود حقيبته الدراسية فوق ظهره ويمسك بيده اليسرى الحقيبة المعلقة خلف ظهره ، وعلى يده اليمنى وضعت سلة يمكن القول عنها سلة خفيفة للطعام ، راجع : Saleh-Sourouzian : Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no 65.

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٣٠ .

فلاســفة الــيونان ومؤرخوهــا ، الرياضة المصرية ، التي اعتبروها أصلا لبعض نظرياتهم وقوانينهم الرياضية . وتذكر المصادر اليونانية أن طاليس كان من اقدم من نقوا أصول الهندسة المصرية إلى اليونان . وقد نصح طاليس تلميذه " بيتا جوراس " أن يــتم دراســته مع الكهنة المصريين فقضى فى مصر اثنتين وعشرين عاما يتعلم الهندسة والفلك فى معابدها .[١]

ووصف أفلاطون فى كتابه " القوانين " بعض أساليب المصرية لتعليم النشئ عملــيات الحساب ، ودعا أبناء قومه إلى أني يتعلموا ما يتعلمه الناشئ المصرى من فــروع المعرفة . وروى لهم أن مصر جعلت من تعليم الحساب متعة . وكان المعلم يــوزع علــى تلاميذه ثمارا وأزهارا ، لتعليمهم العد الصحيح . وبهذه الوسائل ، كما روى أفلاطون ، كان الطالب المصرى يكتسب خبرة حسابية كافية ، يعتمد عليها فى حــياته العملــية .[٢] ويقــال أن أفلاطون حضر إلى مصر مرتين مع تلميذه الفلكى ايدوكــس وتعلــم فــى مدرسة ايونو ، واستقر هناك لمدة عامين كاملين . كما تأثر أفلاطــون فى آخر مؤلفاته Le Timée بالديانة المصرية وشبه المعبودة نيت معبودة سايس بالمعبودة اثينا وخاصة فى الفقرة ٢٣ .

وعندما أصبحت سايس عاصمة البلاد فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ضــاعف مــن أهميــتها وجــود مجمع من الكهنة الذين كانوا بلا شك علماء كثيرى النشاط . ولقد أقام فيها أفلاطون حينا من الزمن ومن المرجح أنه هو الذى وجه إليه أحد الكهنة الكلمة ذائعة الصيت والتى قيل أنها قيلت لسولون :

" أيها الإغريق ، أنكم على الدوام أطفال ، والإغريقى الذى يكون مسنا ، لا

---

(١) د. عــبد العزيــز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦ ، ص ٣٥١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٥ – ٥٩٧ ويتضح مما ذكره أفلاطون أن المعلم المصرى كان يتبع أبسط الوسائل التعليمية .

وجـــود له "[١] . ويحدثـــنا ديـــودور الصـــقلى عن مناهج التعليم فى مدارس المعابد المصــــرية فقـــال : " كان الكهنة يعلمون أبناءهم نوعين من الكتابة : الهيروغليفية ثم الكـــتابة العاديـــة (أى الهيراطيقـــية) ، كما كانوا يعنون بتعليمهم الحساب وهندسة المساحة ".[٢]

وغـــير هـــؤلاء وفـــد على مصر من بلاد اليونان الكثيرين يلتمسون العلم والمعـــرفة فى مدارسها . وحفظت لنا المصادر اليونانية أسماء هؤلاء الذين حضروا إلـــى مصـــر من أهل اليونان ، ولكنها لم تحتفظ للأسف باسم واحد من أولئك الكهنة المصريين والعلماء الذين تقابلوا معهم ، ومن أولئك اليونان الذين حضروا إلى مصر وأفادوا علم من علمائها فى المعابد وغيرها من دور العلم : [٣]

- سولون وليكورج من المشرعين .
- فيثاغورس من الرياضيين .
- ميلاميوس من الأطباء .
- انوبيدز من الشعراء .
- اورفى من الموسيقيين .

وان هـــناك بعـــض الطلاب الذين جاءوا من اليونان طلبا للعلم والمعرفة . وعـــثر بين قراطيس البردى المكتوبة باليونانية على رسالة من أن يونانية إلى ولدها الذى يقيم فى مصر ، جاء فيها :

---

(١) فرانســـوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) ، الألف كتاب (الثانى) ، ص ٩٥ – ٩٦ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

" وعـــندما بلغـــنى أنك تتعلم الكتابة المصرية فرحت لك ... " [١] . وفى ذلك ما يدل على أن بعض اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر كانوا يرون إن الإفادة العلمية لن تتم دون تعلـــم لغة البلاد أى اللغة المصرية القديمة . ومع دخول الإسكندر أسست مدينة الإسكندرية التى أصبحت مدينة الحكماء والشعراء وغدت مقرا يأتى إليه طلاب العلم والـــثقافة مـــن كـــل مكان .[٢] ويبدأ تاريخ المكتبات فى العصر البطلمى – الرومانى بتأســـيس دار العلم (الموسيون) والمكتبة الكبرى فى الإسكندرية فى عهد بطلميوس الأول (٣٢٣ – ٢٨٥ ق.م) ، الذى أزاد من وفود العديد من الطبقة المثقفة اليونانية إلى الإسكندرية والإفادة من دار العلم والمكتبة بها .[٣]

سادسا : مراحل التعليم وتدرجها :

آمـــن المصريون القدماء بان المدرسة من أهم وسائل التربية . وأن التربية عـــندهم هـــى الحارس للثقافة ، أى هى الحافظة للقيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والعلوم والمعارف والفنون المتوارثة جيلا بعد جيل . ولهذا كان التعليم حقا للجميع . فكان من حق الفقير أن يسعى إلى المدرسة ليأخذ فيها نصيبه من المعرفة . ففى العلم لا تمييز بين الطبقات .

ولم يضع المصريون القدماء فواصل بين مراحل التعليم المختلفة على نحو ما هو موجود فى عصرنا الحاضر . ولكن أخذوا بمبدأ التدرج حسب ظروف وميول

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٢) د. عـــبد اللطـــيف علـــى : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٥٨ – ١٥٩ حاشية (١) .

(٣) كانـــت أول مكتـــبة عامة كبيرة بعد مكتبات الشرق القديم التى قامت فى نينوى عاصمة الآشوريين ، ومكتبة اوجاريت (رأس الشمرا) التى كشفت عن معالمها شـــيفر والـــتى يـــرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر إلى الثالث عشر ق.م ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٥٩ حاشية (١) .

واســتعداد كـل تلميذ . ولكن من واقع ما لدينا من وثائق نستطيع أن نقول أنه كانت عندهم ثمانية أنواع من المدارس :

(١) كان يوجد في العواصم والمدن (١) والأقاليم ما أطلق عليه المصريون القدماء اسم " عت سبا " أي " قاعة الدرس " أي المدرسة التقليدية . وهي مدارس نشأ بعضها داخـل أبنــية مســتقلة فــي داخل المدن ونشأة بعضها الآخر في أبنية المعابد وملحقاتها .

عــثر على آثار مدرسة حول معبد الرمسيوم . وأخرى بقرية دير المدينة ، وبيــن أنقــاض كـل مــنهما ألواح لبعض من كانوا يتعلمون فيها من التلاميذ ، ومازالت محتفظة ببعض ما كانوا يقومون به من واجبات مدرسية ، وتشمل هذه الواجبات من أخطاء وما عليها من تصويبات .(٢)

وفــي قصـــة سا أوزير التي نسخت في القرن الأول الميلادي أو قبل ذلك ، يشير النص إلى وجود مدرسة في أحد المعابد كان يديرها أحد المعلمين .(٣)

وأخــذت بعض هذه المدارس بطريقة اليوم الدراسي بمعنى أنها تتعهد بالتلميذ طوال يومه . وكان تلاميذها يخرجون من قاعات الدرس في منتصف النهار في فسحة طويلة ، ليتناولوا طعامهم ويلعبوا في ملحقات المدرسة وكانت الدراسة تبدأ مــع الصباح الباكر ، وتنتهي عند منتصف النهار وبعد أن يتناول التلاميذ وجبة الغذاء .(٤)

(٢) وكان الصبي الصغير يذهب إلى المدرسة في المرحلة الأولية في سن السادسة أو السابعة . وكانت مدة التعليم في تلك المرحلة تتراوح غالبا بين أربع وخمس

---

(١) د. أحمد بدوي – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٧١ .
(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .
(٣) د. أحمد بدوي – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١١٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

ســـنوات . أى يبقى فى هذه المرحلة حتى يبلغ سن العاشرة أو الثانية عشرة من عمـــره [١] . ويستمر الصبى فى مرحلته الأولية هذه حتى يتعلم القراءة والكتابة والنســـخ ، فيـــتعلم مـــبادئ اللغـــة وقواعدها ويتمرن على رسم ونسخ مفرداتها وحـــروفها وأشـــكال كـــتاباتها ، ويـــتلو ويحفظ وينسخ بعض النصوص الأدبية القصـــيرة عـــن قصص وتراث الأقدمين من نصائح وتعاليم وحكم ويتعلم أيضا التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، ومبادئ الرياضيات والهندسة ، وموضوعات من التاريخ والسير والعديد من المعلومات الجغرافية والرسم والتلوين والرياضة البدنية .

(٢) ظهـــر فـــى عصـــر الدولة القديمة نظام تعليمى ثانى ، يجمع فيه الطالب بين الدراســـة النظرية والدراسة التطبيقية فى الوظائف العامة . فكان الغالب أما أن يكتفى بدراسته الأولية وأما أن يستمر فى دراسته ليصبح أحد الكتبة الصغار فى دواوين الحكومة ، أو أحد الكتبة الصغار الذين كانوا يعملون فى ضياع الأثرياء والنـــبلاء . وتكلفـــت بهـــذا النظام دواوين الحكومة وإدارات الجيش والمعابد ، ويجمع الشاب فى هذه المرحلة بين المعرفة النظرية وبين التدريب فى الوظائف الصغيرة ، على أيدى قدماء الموظفين فى الإدارات التى يلتحقون بها . ويعلمون تحـــت أيديهـــم باعتـــبارهم مساعدين مهنيين وتلاميذ لهم فى آن واحد . أو يعهد بالشاب إلى كاتب قدير فى ديوان من الدواوين يأخذ عنه ويتتلمذ على يديه ليصبح كاتـــبا ذا علم ومعرفة وخبرة . وكان الصبى يرافق معلمه إلى الديوان أو مكان العمـــل ، ويقضـــى فـــيه عـــدة شهور تحت التمرين ويقوم بنسخ مجموعة من الخطابـــات الإداريـــة والوثائق والحسابات حتى يتقن هذا العمل ، كما كان يقوم بقـــراءة الكتـــب أى البرديات المحفوظة فى أرشيف الديوان وغيره ، حتى يتعلم مـــنها ويتقـــن تفهم ما فيها من معلومات ، حتى إذا ما توفرت له الخبرة الكافية ألحق بوظيفة كاتب .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥١ ، د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

وكـــان يتعيـــن علـــى الطالب فى هذا النظام التعليمى أن يعرف أسماء المناصـــب الإداريـــة المختلفة ، والألقاب الشائعة والصيغ المستخدمة فى البلاط الملكـــى والإدارات الحكومـــية ووحـــدات الجيش وإدارات المعابد وبين طبقات الكهـــنة (١) . كمـــا كـــان عليه أن يتعرف على افتتاحية الرسائل أو المخاطبات الرسمية والإدارية ومضمانيها وخواتيمها التقليدية ، وأساليب الرد عليها ، وذلك لإعدادهـــم للوظـــائف الإدارية التى كانوا يرجون الالتحاق بها وهم على خبرة ودراية .

ونلاحـــظ من بعض نصوص الوثائق أنه كان يتعاقب على إدارة واحدة أو مصلحة واحدة مجموعة من الكتبة ، يتضح من أسمائهم أنهم ينتسبون جميعا إلى أسرة واحدة ، مما يدل أن هذه الوظيفة ظلت متوارثة بين أفراد هذه الأسرة وأن الابن كان يخلف أباه (٢) . ولكنت يبدو أن توريث وظيفة الكاتب كان يتم بعد أن ينتهى الشاب من نظام التدريب العملى واكتساب الخبرة اللازمة .

(٣) وظهـــر فـــى عصر الدولة القديمة أيضا نظام تعليمي ثالث ، وهو الالتحاق بما يعـــرف باســـم " بـــر – عـــنخ " أى بيت الحياة " (٣) ، وترجع هذه التسمية إلى اعـــتقادهم بـــان العلم يتناول كافة مجالات الحياة وأنها تؤهل الدارس فيها وتعده لمواجهـــة الحـــياة العملـــية . وكانت هذه الدور ملحقة بالمعابد الكبرى . وكانت موجـــودة بصفة مؤكدة فى منف وأبيدوس والعمارنة واخميم وقفط وطيبة واسنا وادفو وإيونو وسايس وغيرها .

وكانـــت دور الحـــياة هـــذه عبارة عن مؤسسات أو مراكز متخصصة مثل

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .
(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

" موسيون " الإسكندرية فى العصر البطلمى (١) . حيث كان يتلقى العلماء وأهل المعـــارف والأطباء وطلبة العلم فى بيوت الحياة هذه ليتبادلوا الآراء فيها ، على أســـاس أنها معاهد علمية تلحق بالمعابد ، ويشغل المتخرج منها منصبا مرموقا ، لأنـــه كـــان كاتبا فى دار الحياة . وهى تزود الملحقين بها من جماعة الدارسين والمثقفيـــن بثقافة عامة فى مجالات : الديانة والعقائد والطقوس ، وفنون الدب ، والعلـــوم المخـــتلفة مثل الطب والتشريح والرياضيات والهندسة وبخاصة هندسة العمارة والكيمياء والفلك والتنجيم والسحر والفنون المتعددة .

وكـــان يشرف على بيوت الحياة مجموعة من العلماء والكهنة وذوى الخبرة ، وهـــم الذيـــن يحافظون على التقاليد الدينية ، وهم الذين يحررون وينسخون أهم النصوص الدينية والدنيوية الخاصة بالعقيدة . وحوليات الملوك والألقاب والنعوت الملكية والتشريعات . ومارس بعض الملحقين بهذه الدور مهنة الطب ، فقد الحق ببيوت الحياة مدارس لدراسة الطب ، أشهرها فى معبد المعبودة نيت فى سايس ، كمـــا توفـــر للـــبعض الآخـــر من الملحقين ببيوت الحياة خبرة كبيرة فى مجال المعـــارف المخـــتلفة والعلوم ، ولهذا كانوا يسجلون النظريات العلمية وتجاربهم المختلفة . كما كان لدى البعض الآخر خبرة ومعرفة فى مجال الفنون فى وقواعد الرســـم والنقش والنحت ، وكان يتعلم على ايديهم العيد من الرسامين والحفارين والمثاليـــن ، الذين كانوا يستخدمون مواهبهم فى نقش صور المعبودات والملوك فـــى المعـــابد الكبرى ، وكذلك نقش النصوص الدينية الطويلة الهامة إلى تخص الطقـــوس للمعـــبودات . وســـجل أصـــحاب الخبرة فى الفنون فى بيوت الحياة نظرياتهم العلمية فى مجال الفنون والقواعد الفنية المختلفة .

ويـــرى بعض العلماء أن المتخرجين فيها لم يكونوا كهنة بالمعنى المفهوم ، فهـــم يهتمون بالعلم أكثر من الديانة وألقابهم تشير إلى تمسكهم بالألقاب الخاصة بالكتبة أكثر من تمسكهم بألقاب الكهنة .

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءه ، الحضارة المصرية ، ص ٤٧٢ – ٤٧٣ .

علـــى أن هناك من يذهب إلى الاعتقاد بان بيوت الحياة لا تعدو أن تكون بـــناءا مـــزدوجا من مدرسة ودار للنسخ حيث كانت النصوص القديمة تجمع وتنســـخ وتدرس ، وحيث كانت تعد المؤلفات اللازمة لأداء الطقوس الدينية ، وتـــناقش فيها المذاهب الدينية المختلفة ، وحيث كان إلى جانب الكتبة الفنانون والرسامون الذين يقومون بنقش جدران المعابد والمقابر بالنصوص والمناظر .

وكان من أبرز ألوان النشاط في بيوت الحياة هو إعداد الكتب أى البرديات الدينـــية القديمة اللازمة للعبادة ، وذلك بإعادة كتابة المخطوطات القديمة [١] ، وتصـــحيح مـــا فـــيها مـــن أخطـــاء ، وسد ما فيها من فراغ بسبب ما الحق بالقراطـــيس من تلف أو تآكل أو محو . هذا وقد أطلق اليونان على الملحقين ببـــيوت الحياة اسم " هيروجراماتس " أى المهتمين بنسخ النصوص . وقد كان بعضـــهم مـــن الكتبة البارزين . وكان الباقون من ذوى الثقافة الرفيعة ممثلين للحكمـــة والعلم في رحاب المعبد . وكان الملك يختار أحيانا من بينهم ممثليه لإيفادهم في بعثات رسمية .

وقد ذاع صيت هذه المراكز العلمية . وانتقلت سمعة دارسيها عبر البحار ، كمـــا تشير إلى ذلك الكثير من النصوص اليونانية إلى تحدثت عن حكمة وعلم هـــؤلاء الكتـــبة المقدسين ومعرفتهم الغنية . فقد كان منهم من يفهم فى الطب وعـــلاج بعـــض الأمـــراض ، وفى النباتات الطبية ، والجغرافيا ، والعلامات الممـــيزة للحـــيوانات المقدســـة ، وتـــاريخ الملوك ، والتنبؤ بالمستقبل . وأما زملاؤهـــم الكهنة المرتلون من نساخ الكتب المقدسة فقد شاركوهم هذه الشهرة العلمية المحلية .

(٤) وكانت هناك مدرسة ملحقة بالقصر الملكى ، وهى مدرسة خاصة أعدت لتربية وتنشئة الأمراء الصغار وكذلك بعض أبناء كبار رجال الدولة ورجال البلاط . وكـــان يـــتعلم فيها الأمراء إلى جانب القراءة والكتابة والثقافة العامة التدريب علـــى آداب اللياقة وتقاليد وعادات البلاط الملكى ، وذلك بتأهيلهم لما يناسبهم مـــن مناصب فى الوظائف الحكومية الكبرى كالوزارة أو حكم الأقاليم أو قيادة

الجـيش أو أن يجعلوهـم على استعداد وكفاية لخدمة البلاط الملكى . ويحدثنا نـص لأحد حكام أسيوط من الأسرة العاشرة عن كيفية تربيته فى الصغر فى القصـر الملكى فى اهناسيا ، ويقول : " سمح لى الملك بان اتولى الحكم (فى اسيوط) وكان قد رفع من منزلتى فى شبابى وسمح لى بأن أتعلم السباحة مع الأمراء " أى الرياضة مع أبناء الأمراء "

ومـنذ عصر الدولة الحديثة فى عهد الملك تحوتمس الثالث ، عندما زادت علاقـات مصـر الخارجية بجيرانها فى الشرق ، كان أبناء الأمراء والحكام الآسيويين يحضرون إلى مصر للالتحاق بهذه المدرسة ليتربوا فيها ولينالوا من معيـن الـثقافة المصرية . وكانت هذه المدرسة تدار بواسطة معلمين مهرة ، نعرف أن منهم من كان يحمل لقب " كبير معلمى القصر " . (١)

(٥) وكانـت هناك المدارس الدينية ، وكانت توجد فى العواصم الدينية الكبرى مثل ايونو ، ومنف ، والأشمونين ، وطيبة ، يتعلم فيها الكهنة الصغار كل ما يخص الديانـة وعقائد الدنيا والآخرة والمذاهب الدينية المختلفة ، ويتدربون فيها على ترديد الطقوس والشعائر الدينية المتعددة ، ويتدربون على قراءة وفهم ما كان يسطر على جدران المعابد ومقاصير العبادة من نصوص مختلفة .

(٦) إلـى جانـب هذه المدارس التقليدية نشات منذ عصر الدولة القديمة ، المدارس الفنية لتعليم الرسم والنقش والنحت والموسيقى والرقص . وكان تدريب الرسم والنقش يتم على ايدى رسامين كبار ذوى خبرة . كما أن تدريب الموسيقى كان يـتم على أيدى معلمين مهرة . وكانت الفتيات يمارسن فيها ألوانا من الرقص بيـن أيدى مدربات يجدن أسلوبه وتوقيعه . كما أن تدريس الموسيقى كان يتم علـى أيـدى معلميـن مهـرة يحذقون ألوان هذا الفن . وقد تحدث أفلاطون وديـودور الصقلى عن تعليم الموسيقى وأهمية الموسيقى فى حياة المصريين القدماء (٢) .

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٩ ، ص ٢٠٦ .

وكانت الفتيات يتعلمن ويمارسن العزف على آلات مختلفة .

(٧) وكان هناك مدارس التربية العسكرية ، مثل تلك التى أنشئت فى منف يتلقى فيها الشـباب فـنون الحـرب والرياضة العسكرية . والثقافة العامة . وكانت هناك صـرامة فـى تعليم فنون الحرب ، ونعلم أن الملك تحوتمس الثالث أرسل ابنه امنحتـب إلى منف ليتربى فى المدرسة الحربية هناك (١) . وكان يقوم بالتدريس فـى هـذه المدارس ضباط معلمين يهتمون بالتربية البدنية والمعارف والخبرات العسـكرية وكـان لهم دور كبير فى التوعية ونشر الثقافة العامة . فكانت تربية القـادة والضـباط الصـغار تتطلـب قـدرا من الثقافة العامة إلى جانب الثقافة العسكرية .(٢)

(٨) وكانـت هـناك مدارس للطب التى كانت ملحقة بالمعابد كسائر بعض المدارس ومـن أشهر مدارس الطب تلك التى كانت ملحقة بمعبد المعبودة نيت فى سايس فـى غـرب الدلتا . وفى عصر الأسرة السابعة والعشرين الفارسية نجح القائد الـبحرى وجـا حررسـنت فى إعادة بناء بيت الحياة فى سايس وعلى الأخص مدرستها الطبية .(٣)

سابعا : دور المخطوطات والمكتبات والأرشيفات :

أنشئت إلى جوار دور العلم ودور الحياة بالمعابد ما يسمى بالبرمجات التى تعـنى " بيـت الكتـب أو المخطوطـات " أى المكتبة التى تحفظ فيها وثائق المعبد

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافة الأثرية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٣) فرانسـوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سعد) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٩٥ .

ومجموعـــة من النصوص مختلفة الأغراض والتى كتبت على أوراق البردى منها ما يخـــص فـــنون الـــدب مـــن تعاليم وحكم ، ومنها ما يخص العلوم كالطب والرياضة والهندســـة والكيمياء والفلك ، ومنها ما يخص السحر ، وكذلك الفنون كالرسم والنقش والنحـــت والموســـيقى . وقـــام بكتابة هذه البرديات مجموعة كبيرة من كبار الكتبة المتخصصين (رخ – خت) .

تشـــير نصـــوص حوليات حجر بالرمو على أن معابد الدولة القديمة كانت تحتوى على مكتبة تحفظ فيها حوليات الملك [١] . ونعرف أيضا أنه كان يوجد بمعبد الكـــرنك مدرســـة ومكتبة [٢] . وكانت الكتب الموجودة فى المكتبة فى متناول أيدى الكهنة مثل مكتبة معبد ادفو التى توجد فى غرفة صغيرة ، على مقربة من مدخل بهو الأعمدة . والبعض الآخر كان يودع فى أكثر الأمكنة خفاء فى المعبد كما هى الحال فى معبد دندرة . حيث يوجد مخبأ السجلات الذى يقع مدخله على ارتفاع ثلاثة أمتار فـــى أحـــد الهياكل التى تحيط بقدس الأقداس . وكانت المكتبات المفتوحة تضم على الأخص كتب الطقوس التى كان الكهنة يحتاجونها عدة مرات كل يوم . بينما المكتبات الأخرى تغلق فى حرص شديد على البرديات الدينية أو القانونية التى تحدد امتيازات الكهنة المادية .[٣]

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) جمـــع جاردنر نحو ستين نصا تتعلق ببيوت الحياة ، راجع : Gardiner, JEA 24 (1938), p. 187-179; Volten, Demotische Traumdeutung, Copenhang 1942, p. 17 . ؛ وأيضا : د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تـــاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٨١ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصـــر فـــى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ١٩٦٥ ، ص ٤٠٤ – ٤٠٥.

فـــى الواقـــع كـــان يطلق على المكتبة لفظين : Pr n sšw " بيت الكتابات " أو " المكتبة " منذ عصر الدولة الوسطى (راجع Wb 111, 479,3) و Pr md3t " المكتـــبة " أو " بيت المخطوطات " أو " الأرشيف " منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة (راجع : Wb I, 515, 12; 11, 187, 8)

ولم تكن مكتبات بيوت الحياة قاصرة على طلاب العلم وتحصيل المعرفة ، ولكـنها كانت مباحة كذلك لسائر الناس على مختلف طبقاتهم من عشاق الثقافة (١) ، فمـنهم مـن كان يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للـتعلم والإطـلاع ، ولا شـك أنـه كان فيها ما يحتاج الناس إليه من محابر وأقلام وأوراق بردى . ولهذا لم يتردد بعض الملوك فى الذهاب إلى تلك المكتبات للإطلاع علـى ملفات البردى بحثا عن معرفة ما أو معلومة ما وسوف نشير إلى بعضهم عند الحديث عن عشاق الثقافة العامة .

إلـى جانب هذه المكتبات التى كانت ملحقة بالمعابد ، كانت هناك بدون شك ما يسمى بالمكتبات العامة والتى كانت تابعة لإحدى الإدارات أو الدواوين الحكومية ، وكانـت موجـودة فى العواصم والمدن الكبرى (٢) . وكانت هناك المكتبات الملحقة بالقصـور الملكـية مـنذ عصـر الدولة القديمة وكانت تحتوى على كتب فى الدين والطب (٣) . فيحدثنا نص من الأسرة الثامنة عشرة أن الملك أمنحتب الثالث وزوجته كانـا يمـتلكان مكتـبة خاصـة بالقصر الملكى (٤) . هذا بالإضافة إلى دور الوثائق والسـجلات والأرشـيفات الـتى كانت ملحقة بالقصور الملكية والإدارات الحكومية والمعابد ، لحفظ البرديات والوثائق الخاصة بهذه الإدارات ، مثل الأرشيف الذى كان ملحقا بمعبد الملك نفرار كارع بابى صير من الأسرة الخامسة . وأرشيف المراسلات الأجنبـية الـذى كـان ملحقا بقصر الملك إخناتون من الأسرة الثامنة عشرة . وكان يحـتوى على ألواح صغيرة من الطين المحروق كتبت بالخط المسمارى ، بلغ عددها ٣٣٧ رسالة . وتعتبر هذه اللوحات من أهم المصادر التاريخية إلى توضح العلاقات الـتى كانـت سائدة بين مصر وبلاد سورية وبابل وآشور . وتدل على أن من كتبها

---

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٩٩ حاشية (٢) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) د. عـبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٥٠ .

المصريين كانوا يعرفون قراءة وكتابة الخط المسمارى .

ومــن رســوم الدولــة الحديثة ما يمثل مينى وثائق القصر الملكى فى عهد الرعامسة . وهو يشتمل على قاعة رئيسية ، تدعم سقفها عشرة أساطين فى صفين ، وفيها مقاعد مرتفعة يجلس عليها الكتبة ، وقد نشر كل منهم بردية على مائدة أمامه . ويليها بهو تتخلله أربعة صفوف من الأساطين ، ويؤدى منه درج يتوسطه احدور إلى دهلــيز وتطــل عليه ثلاث قاعات . وفى القاعة الوسطى تمثالان للمعبود تحوتى فى شكل قرد . أما القاعتان الجانبيتان فتحتويان على صناديق تشتمل على الوثائق . (١)

وكــان يطلق على مكان الأرشيف ثلاثة أسماء هى : Pr md3t و H̬3 n sšw, وتعــنى حرفــيا " قاعة المخطوطات " منذ عصر الدولة الحديثة و Ḥnrt أى " الخزانة " .(٢)

وكــان يطلــق علــى أميــن المكتبة لقب " ساو سشو " الذى يعنى " أمين المخطوطــات " أى الراعى والحافظ لها . وكان هؤلاء الأمناء على دراية وخبرة بما تحــتويه بــرديات المكتبة من معارف مختلفة ، وكانوا يقومون بترتيبها داخل المكتبة طبقا لنوعية المعرفة . وكان على كل أمين أن يقوم بترتيب هذه البرديات وإصلاح ما يجــده تالفــا منها . وكان يحضر من وقت لآخر كمية كبيرة من لفائف أو قراطيس الــبردى ذات القــيمة الأدبــية أو العلمية حتى لا ينقص المكتبة أى فرع من فروع المعــارف المخــتلفة . واكــن لهــؤلاء الأمناء دور كبير فى التوعية ونشر الثقافة العامة .(٣)

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ شكل ٣٩ (أ) .

(٢) راجع : Wb 111, 222, 4; 296, 18; 469, 2.

(٣) ويــبدأ تــاريخ المكتبات فى مصر القديمة من العصر البطلمى بتأسيس دار العلم الــتى يطلق عليها اسم " الموسيون – Mouseion" والمكتبة الكبرى (البيليوتك – Bibliotheke) . وقــد شيدت دار العلم والمكتبة بجوار القصر الملكى الذى كان يقع شرقى الميناء . وكانت دار العلم فى الأصل معبدا لربات الفنون = =

ثامنا : مناهج التعليم والدراسة :

كانت عبارة عن دروس تعليمية مختلفة كتبها المعلمون والتلاميذ على كسر الفخار وشطفات من الحجر الجيرى الرقيق (الاوستراكا) والألواح الخشبية الصغيرة

== والعلـــوم موســا – Musae . وكان الملك بطلميوس الاول – سوتير (ومعناها المـــنقذ) ٣٢٣ – ٢٨٥ ق.م . هـــو الذى فكر فى بناء هذه الدار والمكتبة عندما عهـــد إلى المفكر والسياسى الاثينى ديمتريوس فالبريوس بمهمة تصميم وبتأسيس العلـــم أو الحكمـــة (الموسيون) والمكتبة الكبرى فى الحى الملكى بالإسكندرية (ولا يجـــوز تـــرجمة هذه الكلمة بــ Museum بمعنى متحف لأن هذا المعنى معنى حديث) .

وتعـــد دار العلم أول منشأة علمية حكومية فى العالم الإغريقى . وكانت مقرا للعلمـــاء والأدباء والباحثين وملتقى للمفكرين من كل مكان . وكانت تشبه أيضا الأكاديمية أو المعهد العالى فى لغتنا الحديثة من حيث تبعيتها للدولة فى الصرف عليها والإشراف عليها . وكان يقيم فيها على نفقة الدولة عدد من العلماء والأدباء لا تبجى منهم الضرائب تشجيعا للعلم .

وكانـــت تتشـــابه أيضـــا مع مدارس اثينا الفلسفية فى طريقة الدراسة الحرة والمناقشة . أما المكتبة الكبرى فقد زودت بعد كبير من لفائف البردى ، بلغت فى عـــام ٢٨٥ ق.م . مائـــتى ألـــف مخطوط أى لفافة من البردى ، وبلغت فى ايام بطلميوس الثانى نحو أربعمائة ألف مخطوط ، أضيف إلى ذلك ألوف أخرى من المخطوطات ، فمثلا بلغت فى عهد بطلميوس الثالث سبعمائة ألف لفافة من ورق البردى . ولكى يزيد الملك بطلميوس الثالث من حجم هذه المجموعة أصدر أمرا يقضـــى بأن كل مسافر يحل بالإسكندرية عليه أن يسلم أى كتب توجد بين متاعه لضـــمها إلى المكتبة إذا لزم الأمر ، على أن يعطى صاحبها نسخة رسمية بدلا مـــنها ، وتحـــتفظ المكتبة بالأصل ، وترسل بعض هذه النسخ إلى مراكز الثقافة اليونانية المختلفة ، وكذلك إلى روما فيما بعد . ويقال أيضا أن ===

والـــبرديات القصيرة . وكان يكتب عليها فى أغلب الحيان بالخط الهيراطيقى ، ومنها ما كتب عليه بالخط الهيروغليفى والديموطيقى واليونانى والقبطى .

== بطلمـــيوس الثالث استعارا من اثينا الأصول الرسمية لمؤلفات ايسخيلوس وسوفر كليس ويوريبيدس كى يقوم بنسخها نظير ضمان مالى .

وقـــد اقتضى هذا أن يعمل بالمكتبة عدد كبير من النساخ يعملون تحت إشراف علمـــاء بعضـــهم يعـــد للناس طبعات من الكتب القيمة ، وبعضهم يكتب تعليقات وشـــروح علـــى النصوص المنسوخة ، ومما يدل على أهمية المكتبة أن أصبح منصـــب أميـــن المكتـــبة مـــن أكبر المناصب الإدارية فى الدولة إذ أصبح من اختصاصه أن يكون معلما لولى العهد .

ويـــرى بعض العلماء أن البطالمة جمعوا لاستعمالهم الخاص فى هذه المكتبة نحـــو مـــا يقرب من نصف مليون لفافة برديه . وفى مكتبة الإسكندرية وضعت أســـس علـــم التصنيف وتطبيقاته ونقد النصوص . كما وضعت قوائم للمؤلفات اليونانية الأدبية يمكن أن يطلق عليها علم الفهرسة الوصفية . وبفضل هذه القوائم حققت وقيمت مؤلفات هوميروس . وابتكرت كذلك العلامات الصوتية وعلامات الاستفهام والتعجب فى اللغة اليونانية القديمة .

وأقيمت بالإضافة إلى المكتبة الكبرى مكتبة أخرى هى مكتبة معبد السرابيوم الـــتى أسست فى عهد بطلميوس الثانى ، وكانت ملحقة بمعبد سرابيس . وكانت هـــذه المكتـــبة فرعا من المكتبة الكبرى ، ويقال أنها كانت تحتوى على حوالى خمسين ألف مخطوط .

وقـــد ارتفـــع عـــدد كتـــب مكتبة السيرابيوم على حد قول المؤرخ اميانوس ماركيلينيوس إلى ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد فى آخر أيام كليوباترا . وهكذا أصـــبح بالإسكندرية مكتبتان عامتان تحتويان معظم تراث الإنسانية إذ شملتا كتبا أخـــرى غـــير المكـــتوبة باليونانـــية ، بعضها كتب بالخط الهيروغليفى وربما بالهيراطـــيقى والديموطـــيقى وبالعـــبرى والفينـــيقى . وظلـــت هـــذه المكتـــبة تحمل مشعل العلم والمعرفة فى الإسكندرية حتى احترق قسم كبير منها فى = =

ومن هذه الدروس المسطرة على البرديات والألواح التعليمية الباقية ، يمكن استخلاص صورة تقريبية لمناهج التعليم ومواد الدراسة وهي :

== عام ٤٨ ق.م . عندما أشعل يوليوس قيصر النيران في مراكب المصريين ، فامتدت ألسنتها إلى الأرصفة القريبة ، واحترقت المخازن الجمركية ، وامتدت بعدها إلى مخازن الكتب التابعة للمكتبة في الحي الملكي ، وقرر انطونيوس تقديم التعويض اللازم لكليوباترا بعد ذلك بإهدائها مائتي ألف مجلد من مكتبة مدينة برغامه أو برجامه الشهيرة في آسيا الصغرى . فقد قامت بيرجامون مكتبة ضخمة كانت مركزا للدراسة والبحث كمكتبة الإسكندرية ، وكان لها أثر هام في تطوير التعليم في روما نفسها التي كانت تربطها بيرجامون علاقات سياسية قوية . ويروي بلوتارخ (٤٦م – ١٢٠م) أن مكتبة برجامون كانت تضم مائتي ألف مجلد (لفافة) وظلت مزدهرة حتى جاء ماركوس انطونيوس وأهداها إلى كليوباترا . وقد استمر للمكتبة امناؤها من العلماء البارزين .

وهكذا كان لدى علماء دار العلم (الموسيون) مكتبتان احتوتا معظم المؤلفات العلمية في كافة فروع العلم والمعرفة . فأقبل العلماء على الإسكندرية خلال العصر البطلمي من كل مواطن أما للانضمام إلى عضوية الموسيون أو للدراسة والإفادة من مكتباتها الغنية . واحتضن الرومان مؤسسات الثقافة والتعليم في الإسكندرية بعد الفتح فبقي الموسيون والمكتبة يلقيان التشجيع والتأييد من الأباطرة الرومان ، وأصبح الموسيون بمثابة أكاديمية للبحث العلمي وليست جامعة للتدريس بها قاعات يجتمع فيها العلماء ويتباحثون ، وقد زار بعض الأباطرة الرومان الموسيون وشاركوا العلماء والفلاسفة هناك ندواتهم ومناقشتهم .

وأصبحت العضوية في الموسيون شرفية بالنسبة لكثير من الشخصيات البارزة مثل كبار رجال الإدارة والجيش والأبطال الرياضيين . وتعرضت المكتبة الكبرى للتبديد مرة أخرى في عام ٢٧٢ ميلادية بسبب الاضطرابات السياسية والدينية في الإسكندرية ، عندما أخمد الإمبراطور = = =

اللغة :

كانت أولى هذه المناهج هو تعليم اللغة والكتابة ، وكانت تشمل تعليم مبادئ الكتابة والقراءة والإملاء وقواعد اللغة ونماذج من القطع الأدبية .

== اوريليانوس الثورة التى أشعلها فيرموس ، وحاصر الثوار فى الحى الملكى وقضى على ثورتهم وتأثرت المكتبة من هذا الحصار .

واستمر الموسيون والمكتبة فى العصر البيزنطى فى الاحتفاظ بمكانتهما كمراكز للعلم والثقافة يقصدهما الدارسون من شتى الأقطار وكثيرا ما حضر الشباب إلى الإسكندرية لدراسة العلوم الإنسانية (أى الفلسفة وآدابها) ثم تحولوا بعد ذلك إلى المسيحية وخاصة فى القرنين الرابع والخامس . وظلت الإسكندرية تحتفظ بهذه المكتبة الكبرى حتى نهاية القرن الرابع الميلادى حتى قاد أسقف كنيسة الإسكندرية ثيوفيلوس أكبر حملة اضطهاد تعرض لها الثنيون من أجل القضاء عليهم وعلى دار العلم باعتبارها أكبر مركز للثقافة الوثنية . وقد ساعد ثيوفيلوس على تحقيق ذلك الهدف جيش الإمبراطور ثيودوسيس . ويرى بعض العلماء أن المقصود بالمكتبة هنا هى مكتبة السيرابيوم ، وعلى أية حال التى قادها ثيوفيلوس أكبر كارثة حلت بمكتبة الإسكندرية ، وكان ذلك فى عام ٣٩١ ميلادية . ومن المؤكد ان مكتبات المعابد الأخرى قد تعرضت للتخريب ولكن من الثابت أيضا أن بعض الكتب قد تم إنقاذها . ولكن يبدو أن المكتبة المشهور انتهى تاريخها وقت اضطهاد ثيوفيلوس للوثنيين ولا نسمع عن وجودها بعد ذلك .

خاض بعض المؤرخين فى مسالة إحراق مكتبة الإسكندرية ، فنسبها بعضهم إلى عمرو بن العاص ، وزعموا أن عمر بن الخطاب أمره بإحراقها . وناقش هذه المسألة كثير من علماء الغرب وبعض المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامى . وذكر اورازيوس أنه وجد رفوف مكتبة الإسكندرية خالية من الكتب عند زيارته مدينة الإسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى . مما يثبت عدم وجود هذه المكتبة قبل استيلاء العرب على الإسكندرية وعلى ذلك ==

(أ) مبادئ القراءة والكتابة :

كان النشئ يقضى وقتا طويلا فى التعرف على أشكال وصور الحروف والرموز والعلامات والمخصصات والمفردات التى تسطر بها اللغة والتمرن على إتقان رسمها لأن حسن كتابتها كان يتطلب جهدا كبيرا ومرانا كثيرا . ويبدأ المعلم أو

== فإن الكتب التى كانت بالمكتبة من عصر البطالمة لم يبق لها أثر منذ اواخر القرن الرابع الميلادى ، أى منذ عهد الإمراطور ثيودوسيس . كما أنه لم يرد لها ذكر فى الآداب فى القرنين السادس والسابع . ومن المعروف أن حالة مصر قبيل الفتح الإسلامى – أى منذ أيام دقلديانوس – كانت ، على ما سبق أن كانت عليه من حالة تأخر فى الزراعة والصناعة والعلوم والمعارف والآداب ، فمن الصعب إذن أن يهتم الناس بإعادة هذه المكتبة إلى عهدها الأول . ولو فرضنا أن هذه المكتبة بقيت إلى الفتح الإسلامى ، فأنه لم يكن ثمة ما يمنع من نقلها إلى القسطنطينية على أيدى الروم فى أثناء الهدنة فقد أجاز لهم عمرو فى عهد الصلح أن يحملوا كل ما يقدرون عليه ، وكان لديهم من الوقت ما يمكنهم من نقل مؤلفات المكتبات إلا مؤلفات مكتبة واحدة . فالقول إذن بأن إحراق مكتبة الإسكندرية كان على يد عمر بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب محض إفتراء ، لأن التعاليم الإسلامية تهدف إلى عدم التعرض للكتب الدينية – اليهودية والمسيحية – التى كانت المكتبة تحوى البعض منها .

أما دار العلم فقد استمرت كمركز للمعرفة والتعليم فى القرنين الخامس والسادس ، حتى الفتح العربى . فوصفها الرحالة العرب وغيرهم ، وسماها بنيامين التطيلى أستاذ الإسكندرية ، باسم " أكاديمية أرسطو " (عن دار العلم والمكتبة راجع : د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤ – ٣٦ ؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، مكتبة النهضة العربية ، ص ٢٤٥ – ٢٥٠ ؛ د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة ==

المـــربى عادة بإعطاء دروس بسيطة فى الخط والهجاء . وكان هذا المنهج يستغرق بعض الوقت نظرا لكثرة العلامات والرموز والحروف التى تبلغ المئات ، ونظرا لأن اللغــة المصـــرية كتبت بخطوط أربعة : الهيروغليفى ، الهيراطيقى ، الديموطيقى ، والقــبطى . ولكــن فــى هذه المرحلة الأولية كان النشئ يتعلم أصول الكتابة بالخط الهيروغلــيفى . ويــبدأ التلميذ بتعلم الحروف والرموز والمخصصات أولا ، ثم يثنى ببــناء المفــردات والكلمــات مــن تلك الحروف والرموز من ذلك إلى بناء الجملة الصحيحة .

وتعلــيم أصول الكتابة كان المعلم يبدأ بتعليم الحروف الهجائية ، ثم يبدأ بعد ذلــك فى تعليم التلميذ كيفية كتابة التاريخ اليومى . وقد عثر على قطعة صغيرة من الحجــارة علــيها درس أولــى لصـــبى صـــغير فى كيفية التاريخ بالفصل والشهر والــيوم [١] . وكـــان المعلــم يكلف التلميذ فى مرحلته التعليمية الولى بكتابة عبارات قصــيرة وهجـــاء لكماتها للتعود على تجويد الخط ، ثم يكلفه بعد ذلك بحفظها ليتعود على النطق اللغوى السليم .[٢]

== (الحضارة الإغريقية) ، ص ٢١٩ – ٢٢٢ ؛ د. مصطفى العبادى : مصر من الإســكندر الأكــبر إلى الفتح العربى ، ص ٦٢ ، ١٤٣ – ١٤٤ ، ص ٢٦٩ – ٣٥٢ ؛ د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية – بــيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٢ ؛ ايــدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية واضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٢ – ٧٣ ؛ راجع حديثا : د. شعبان خليفة : مكتــبة الإسكندرية ، الحريق والأحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٦٦ – ٧٩ ؛ د. مصــطفى العــبادى : مكتــبة الإسكندرية القديمة ومصيرها ، وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى للآثار ٢٠٠٢ ، ص ١٥٤ – ١٥٨ .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٨ شكل (١) .

(٢) عن أمثلة الواجبات المدرسية ، راجع : Collart, BIFAO 30 (1931), p. 417 – 423.

(ب) الإملاء :

كانــت الإملاء من مواد تعليم اللغة ، يدل على ذلك ما عثر عليه من ألواح التلاميذ وعليها أخطاء لغوية وهجائية . وكان الغرض من الإملاء تعويذ الناشئ على الكــتابة مــن الذاكرة ومعرفة حروف مفردات اللغة والكتابة فى صفوف أفقية تارة ، ورأسية تارة أخرى .

(ج) قواعد اللغة :

بعد تعليم الكتابة ومعرفة الإملاء ، يبدأ التلميذ بعد ذلك فى تعلم قواعد اللغة والصـــرف والـــنحو والإعـــراب . وتضمنت مجموعة البرديات التى عثر عليها فى اللاهــون علـــى تماريـــن لتعليم الإنشاء وصيغ الرسائل التى كان التلاميذ ينسخون دروسها (١) . وذلك للتعود على البلاغة والأسلوب الصحيح . ولاشك فى أن التلاميذ فـــى عصـــر الدولـــة الحديـــثة كانوا يلقون الصعاب فى سبيل تعلم الفصحى ، نظرا لصـــعوبة رســـم مفرداتها فى هذه الفترة نظرا لانتشار استخدام الخط الهيراطيقى فى الوثائق .

(د) مقتطفات من الأدب :

حـــرص المعلمـــون على تعليم الأدب القديم (أدب عصر الدولتين القديمة والوسطى) بقصصه (٢) وتعاليمه ، حرصا شديدا . واعتبروا أن دراسة الأدب القديم

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) فمثلا قصة سنوهي كانت من أحب القصص إلى قلوب المصريين القدماء ، وقد وصل إلينا كثير من أجزائها مكتوبا على البردى أو على اللخاف (الاوستراكا) ممـــا يـــدل علـــى إقبال الناس عليها ، وبخاصة المدرسين الذين كانوا يقومون بإملائها على تلاميذهم .

تراثا قوميا وينبغى أن يخلد عن طريق التعليم . مثلما نقوم به فى العصر الحالى من دراســة لــلأدب الجاهلى نظرا لما فيه من بيان وبلاغة . وإلى جانب تدريس القطع الأدبــية القديمة كانوا يفسحون المجال أيضا لتدريس آداب عصورهم . ويقوم المعلم بتدريس الآداب القديمة والمعاصرة عن طريق القراءة وشرح ما بها من بيان .

ولقــد رأى بعــض المعلميــن أنـــه لكى يتعود الطالب على تقويم الأسلوب والتمرن على الفصاحة وإتقان البلاغة ومعرفة قواعد اللغة يجب أن يقرأ التلميذ كثيرا وبتوســع التراث الأدبى القديم لكى يستمتع بالأسلوب والبيان ، كما كان يكلف بحفظ مقتطفات من أنواع هذا الأدب كما اهتم المعلمون بتدريس أدب المراسلات لكى يعودا تلامــيذهم علــى أسلوب الوصف الدقيق ، ووسائل التعبير عن الأمانى ، وعبارات الاستفســار عــن أخبار الأهل والأقارب . وكذلك لكى يتعودوا على تحرير الرسائل وبخاصة ما كان يوجه منها إلى المعلمين وكبار موظفى الدولة . وكانت وسائل تعليم اللغــة هى الاهتمام بما نسميه اليوم بالواجبات المدرسية وكانت تتميز بنقط حمراء . وكان نسخ تلك الواجبات من مقتضيات الدراسة اللغوية والأدبية .

التربية الدينية :

أحــتل الأدب الدينى نصيبا كبيرا فى مناهج الدراسة . ولم يكن قاصرا على الكهــنة فقط ، ولكنه جزءا هاما من ثقافة التلميذ . وكانوا يتلقون معارف الديانة عن طــريق غــير مباشــر ، فيدرســونه خــلال مــا يكلفون بحفظه وكتابته من أناشيد للمعبودات ، والأساطير الدينية المعروفة ، والمذاهب الدينية الرسمية والمعترف بها ، ومعــرفة العواصم الدينية ومعبوداتها ، والأسماء والرموز المقدسة ، وكذلك ما عسى أن يــنفعهم فـــى حــياتهم اليومية وأن يعرفوا آداب السلوك العامة وما يجوز وما لا يجوز ، وأن يفرقوا بين ما هو حسن وضار فى نظر المعبودات .

التربية الخلقية :

تكفــل بالتربــية الخلقــية أو التنشئة الخلقية أطراف أربعة : المعلمون فى المدارس ، الكهنة فى المعابد ، الآباء المثقفون فى المنازل ، والأدباء المحترفون فى المجــتمع . الذيــن كانوا يوجهون نصائحهم وتعاليمهم وحكمهم فى سمات الآباء تارة وســمات المعلميــن تــارة أخــرى وسمات النصاح والخبراء تارة ثالثة . وتفاوتت المستويات الاجتماعية التى ينتسب إليها أهل النصائح والحكم فكان منهم ملوك وأمراء ووزراء ، جنــبا إلــى جنــب مع أفراد من أواسط الكتبة والكهنة وكبار الشخصيات وتجارب أسلافهم وقراءتهم الشخصية وهذا هو احد الملوك ينصح ولى عهده قائلا :

" اســلك ســبيل آبائك وأسلافك ، فان أقوالهم مسطورة وباقية فى الصحف (أى قراطيس البردى) فانشرها (بين يديك) واقرأ وانشد الحكمة فيها " .[1] وسلك المعلمون فى تدريس المواضيع التربوية والتهذيبية ثلاث وجهات :

وجهــة لجأ فيها المعلمون إلى تدريس القطع الأدبية التى تحث على التعليم والإعلاء من شان العلم ووظيفة الكاتب وهجاء الحرف والمهن الأخرى ، مثل نصائح خيتى بن دواوف لابنه بيبى ، التى وجهها إليه عندما عزم على إرساله إلى العاصمة لــيدخل المدرسة ليتلقى العلم مع أبناء الموظفين . وقد ذكرنا ما جاء فى هذه البردية فــى بــاب الأدب . وينصــح دواوف أبنه بالإقبال على العلم وحب الكتب ، ويخبره بمكانة الكاتب الذى تتفتح أمامه كل فرص الترقى بين الموظفين وبهذه المكانة يكتسب ثقة الحكام ويكلفونه بالقيام ببعض المهام الرسمية . ومن أهم وصاياه لابنه هى :

" بــان يضع قلبه فى الكتب " وأن " يحبها كما يحب أمه " لن مهنة الكاتب تفــوق كل مهنة فى هذه الحياة . ويذكر له متاعب أصحاب المهن والحرف الأخرى ومدى ما يعانونه فى سبيل تحصيل أوقاتهم ، ثم يختم حديثه بقوله :

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

" بـــيد أن الكاتـــب هـــو الذى يترأس أعمال جميع الناس ، وهو معفى من الضرائب لأنه يؤديها عملا عن طريق معرفته ولن يكون مستحقا عليه أى شئ ". (١)

ويقدم لابنه بعض النصائح التى تساعده على اكتساب محبة الناس ، وأهمها القـــناعة وطاعـــة الرؤساء ، ويحذره من أحداث الضجيج عند عودته إلى المدرسة . وكـــان المعلمون يتبارون فى إملاء مقتطفات من هذه النصائح على تلاميذهم أو نسخ فقـــرات مـــنها ، ولهـــذا وصلت إلينا بعض نصوص هذه النصائح ملأى بالأخطاء . وكانت هذه القطع الأدبية من أحب القطع إلى قلوب معلمى عصر الدولة الحديثة .

وجهة أخرى لجأ فيها المعلمون إلى تدريس تعاليم ونصائح الحكماء القدماء المشـــهورين أمثال والد كايجمنى ويدعى " كا ارس " ، بتاح حتب ، آنى ، امنؤبت ، وعنخ شاشنقى (٢) ، ورغبوا من وراء تدريسها كلها أو اختيار فقرات منها أن يتعرف تلامـــيذهم على ما تضمنته من قواعد لآداب السلوك والتربية ، وأن يتعلموا منها فى الوقت نفسه ، ما جاء فى هذه النصوص من أساليب البلاغة والبيان وحسن التعبير . وكان المعلمون يقتبسون من هذه النصائح والتعاليم ما يلاءم مستوى تلاميذهم . (٣)

وركـــز المعلمون فى اختيارهم لفقرات من هذه التعاليم على العبارات التى تحـــذر التلمـــيذ أو الابن من عدة أمور منها : الغرور بسبب العلم ، وضرورة اتباع الحـــق ، والالـــتزام بآداب المائدة ، واتباع آداب الحديث والصمت ، وضرورة اتباع الأمانـــة فـــى إبـــلاغ الرسالة ، واحترام الرؤساء ، والاستماع إلى شكوى المظلوم ، والحـــث على الاستقامة والابتعاد عن الاثم والفجور ، والحث على الزواج ، وتجنب الطمع فيما يملكه الآخرون ، وعدم التفاخر بالغنى ، والتذكر بحساب الآخرة .

وللأســـف لم تصل إلينا بعض هذه الحكم والتعاليم سليمة ، وبالنسبة لتعاليم والـــد كايجمنى " كا ارس " التى تعتبر أقدم هذه التعاليم ، نجد فيها ما يشير إلى آداب

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص (ذ) المقدمة .

(٢) الباب التاسع : الفصل الثانى .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٤ ، ٤٣٢ .

السلوك العامة على المائدة وعدم التفاخر بالقوة الجسمانية ، وعدم الغرور فيقول :

" إذا جلســت (للأكل) مع أشخاص كثيرين ، فلا تقبل كثيرا على الطعام حــتى ولــو كنت تشتهيه ، ولن تحتاج إلا لحظة قصيرة لتسيطر على نفسك فانه من المخجــل أن يكــون الإنســان شرها ... أن كوبا من الماء يروى الظمأ ، وإذا ملأ الإنســان فمه من ... فإن ذلك يقوى القلب . وكما يحل الشئ الطيب محل شئ طيب آخر فإن القليل يقوم مقام الكثير . ما اتعس الرجل الذى يكون نهما من أجل بطنه " " وإذا جلســت (للأكل) مع شخص نهم فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من طعامه ... "[١]

ويقول أيضا بالنسبة لاتباع مجموعة أخرى من الآداب :

- " لا تتفاخر بقوتك بين أقرانك فى السن ، وكن على حذر من كل إنسان حتى من نفسك ، إن الإنسان لا يدرى ماذا سيحدث أو ما الذى سيفعله المعبود عندما ينزل عقابه " .[٢]

- " كــل البــيوت تفتح أبوابها لغير المتكبرين ، ولصاحب اللسان المتواضع توجد حجرات عديدة ، وهناك سيف حاد يوقف من يرغب فى أن يظهر أهميته " .[٣]

ولعل التعاليم التى تعتبر أكثر التعاليم شمولا ، هى تعاليم الوزير بتاح حتب من الأسرة الخامسة ، وهى تحتوى على اثنتى عشر نصيحة تهذيبية ، وقد عثر على مقــتطفات مــنها على ألواح بعض التلاميذ ، كانوا يقومون بنسخها وحفظها ويقولون فيها : [٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٢) د. رمضــان الســيد : معــالم تاريخ مصر القديم ، ص ١٦٣ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٦ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣١ حاشية (١) ، ص ٤٣٢ – ٤٣٤ ؛ د. احمــد بدوى– د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٤٠ – ١٤١ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى = =

(١) " لا يداخلـــنك الغـــرور بســـبب علمـــك ، ولا تتعال لأنك رجل عالم . استشر الجاهل [١] ، كما تستشير العالم لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلى آخر حدود الفن ... ... " .

(٢) " إذا كنـــت زعـــيما يحكم الناس فلا تسع إلا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة فيها . ما أعظم العدالة فإن قيمتها خالدة ولم ينل منها (أى) إنسان ... " .

(٣) " إذا كنت مدعوا إلى مائدة من هم أعظم منك فخذ ما عسى أن يعطيه لك عندما يوضع أمامك . ولا تنظر إلا ما هو أمامك ، ولا توجه نظرات عديدة إليه ؛ لأن إجـــباره على الالتفات إليك أمر تكره النفس . غض من طرفك حتى يحييك ولا تـــتكلم حتى يخاطبك . أضحك عندما يضحك فإن ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك كل ما تفعله ، إن الإنسان لا يعلم ما فى القلب " .

(٤) " إذا كنت ممن يوثق فيهم ويرسلهم أحد العظماء إلى عظيم آخر ، فكن أمينا جدا عـــندما يرسلك . بلغ الرسالة كما قاله . لا تخف شيئا مما قاله وأحذر النسيان . تمســـك بـــأهداب الصدق ولا تتخطه حتى ولو كان ما تقوله قد خلا مما يرضى (الآخرين) وأحذر من أن تشوه الكلام ... " .

(٥) " إذا كنـــت شخصـــا فقـــيرا تعمل تابعا لأحد الرجال المعروفين ... فلا تحاول معرفة شئ عن ماضيه عندما كان مغمورا . لا تجعل قلبك يتعال عليه بسبب ما تعرفه عنه فى ماضى أيامه ، احترمه لما أصبح عليه ... " .

== عهـــد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٤١٥ ؛ د. عبد الحميد زايد ، مصـــر الخالدة ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ؛ وقد ذكرنا مقتطفات من هذه النصائح عند الحديث عن الزواج فى الأسرة فى الباب الخامس .

(١) يقصد به هنا الرجل الذى لم ينل قسطا وافرا من التعليم ولكنه ذو خبرة فى أكثر من مجال .

ويقول أيضا :

" احن ظهرك لمن هو أعلى منك ، لرئيسك فى العمل وسيعمر بيتك بخيراته وتـــنال مكافـــأتك فـــى موعدهـــا المقـــدر لهـــا . ما اتعس الذى يناصب رئيسه العداء .... ".

(٦) " إذا كنـــت ممـــن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندما تستمع إلى الشـــاكى . لا تعامله إلا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه ، وينتهى من قول ما جاء بسببه ليقوله لك ... ان رفقك بالناس عند إصغائك للشكوى يفرح قلوبهم " .

(٧) " إذا أردت أن تطيل صداقتك فى بيت تزوره سيدا كنت او أخا أو صديقا فأحذر من الاقتراب من النساء فى أى مكان تدخله ... ".[١]

(٨) " إذا أردت أن يحسن خلقك وتصون نفسك من كل سوء فأحذر من الطمع ، فهو مرض عضال لا دواء له ، ولا يمكن لإنسان أن يطمئن إلى وجوده معه ، فهو يحيل الصديق حلو المودة إلى عدو مرير ، ويبعد الخادم الموثوق به عن سيده ، ويفصـــل مـــا بين الآباء والأمهات والأخوة الذين ولدتهم ام واحدة ، ويفرق بين الزوجة وزوجها ... " .

(٩) " إذا كنـــت شخصـــا عاقلا ناجحا فأحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة كما يليق لها ... " .

(١٠) " إذا عظم شانك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحت غنيا بعد أن كنت فقيرا فى بلـــدك الـــذى يعـــرفه (أهله) فلا تنس كيف كان حالك فيما مضى . ولا تغتر بثروتك التى جاءتك كهبة من المعبود ... " .

(١١) " لا تصمت تماما ولكن تحفظ وترو قبل أن ترد فى حماس مفتعل فإن الحماس المفـــتعل لابـــد وأن يخمد والحصيف كلما خطأ خطوة أعد طريقة ومهده ، وإذا أصبحت رجلا ذا مقام يحضر مجلس مولاه فاحضر ذهنك فى الخير أو أصمت

---

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

فإن الصمت خير لك .. كن عميق الفكر قليل الكلام ... " .

(١٢) وأخيرا انهى كلامه بقوله :

" عندما يأتى الموت ، فانه يصيب الطفل الرضيع المتعلق بثدى أمه ويصيب أيضا ذلك الذى أصبح هرما ، وعندما ياتى هذا الرسول (الموت) ليأخذك ، فيجب أن يجدك على استعداد له " .

ويحث الحكيم آني فى تعاليمه على مجموعة من الفضائل ، نختار منها ستا [(١)] :

(١) عدم الإكثار من الكلام والتروى عند الحديث ، فيقول :

" لا تكثر من الكلام ، فالصمت خير لك ، وكن قبل كل شئ حريصا فى كلامك ، إذ أن هلاك المرء فى لسانه ، ولا تكن ممن يحبون الخوض فى الحديث عن الناس " .

ويقول أيضا :

" أن جوف الإنسان أوسع من شونتى الغلال الملكيتين ، يتسع لكل جواب فتخير خير الحديث وتكلم صوابا ، واحتفظ بسيئه فى جوفك " .

(٢) ويحثه على آداب الدعاء ، فيقول :

" أن شر ما يحدث فى بيت المعبود (أى المعبد) هو إحداث ضجة ، أدع بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك ، يستجيب المعبود لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل قربانك " .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٤ ، د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٣ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم ، ص ١٤١ ، وأيضا :
Suys, la Sagesse d`Ani, (An. Orient. 11, 1935), p. XV111, I. 40.

(٣) ويحثه على عدم شرب الخمر ، فيقول :

" لا تـؤذ نفسـك بشرب الجعة .[١] أنك إذا أردت الكلام فان ألفاظا أخرى سـوف تخرج من فمك . وإذا سقطت وكسر أحد أعضائك فلم يمد أحد يدا إليك ويصرخ أعز أصدقائك قائلا : " احمونى من هذا الرجل عندما يشرب " وإذا ما حضـر إلـيك شخص ليبحث عنك ويوجه إليك سؤالا يجدك ملقى على الأرض (فاقد الوعى) كطفل مسكين " .

(٤) ثم أراد أن يصرفه عن نهم الطعام إلى قيمة الإحسان ، فيقول :

" لا تأكل طعاما وغيرك واقف دون أنت تحث الخطى إليه وتمد يدك بالطعام إليه ، ولسوف يعرف لك ذلك إلى أبد الآبدين " .

(٥) ثم أوصاه بمقاومة النفس الأمارة بالسوء والالتواء ، فيقول :

" إياك إلا تقاوم الالتواء فى أعماق نفسك " .

(٦) ثـم يحدثه بعد ذلك عن مكانة الأم وما تقوم به نحو أولادها من تربية ورعاية ، وحـثه علـى حبها وطاعتها ورعايتها فى كبرها ومكانتها عند المعبود إذ هى غضـبت علـيه . وقـد أشرنا إلى هذه الفقرة عند الحديث عن الأسرة وواجب الأبـناء نحـو الوالديـن . ومـن تعاليم امنمؤبت وخاصة مـا جـاء منها فى

---

(١) ظهـرت مشـارب الجعـة وفيها المغنيات والراقصات المحترفات فى طيبة فى عصـر الملك أمنحتب الثالث الذى امتاز عهده بالرفاهية والبذخ ، وكان يرتادها العمـال وغـيرهم من طبقات الشعب ، ولا نستغرب بعد ذلك أن يعم خطر هذه المشارب فنقرأ فى بردية من البرديات تحذير معلم لتلميذه من ارتيادها واصفا له ما يجرى فيها من أعمال تنافى الخلق المستقيم ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٩٩ .

الفصل التاسع ، نختار سبعا [١] :

(١) عدم مصاحبة الحمق ، فيقول :

" لا تتخذ الرجل السريع الغضب لك صاحبا . ولا تزره لكى تحادثه ".

(٢) عدم الاندفاع فى الحديث ، فيقول :

" لا تسرف فى إعطاء الحرية لنفسك عند الإجابة . ويجب ألا تناقش فى أجابتك إلا مع من يماثلكم قدرا ، واحتط لنفسك لئلا تندفع فى ذلك ... وثمة شئ آخر محبب إلى المعبود هو التروى قبل الكلام " .

(٣) وفرق بين الرجل العاطفى والرجل الصامت ، فيقول :

" أما عن الرجل العاطفى ، فهو كشجيرة تنمو فى العراء ، سرعان ما تسقط أوراقها ، ويصبح مصيرها فى دار صناعة المراكب أو فى مكان بعيد إلى حيث يصبح اللهب كفنها . أما الرجل الصامت فهو كشجرة تنمو فى بستان تقف أمام صاحبها مزدهرة مثمرة ، إن ثمارها لطيبة ، وأن ظلها لمنعش " . ويقصد أمنمؤبت بالصامت ذلك الرجل النافع الذى يسيطر على نفسه ويتحكم فى مشاعره .

(٤) ودعاه إلى احترام كبار السن ، فيقول :

" لا تسب من يكبرك سنا ، فأنه قد شاهد (نور المعبود) رع قبلك (أى ولد قبلك) ... دعه يضربك أن شاء ويدك فى خاصرتك ... ودعه يسبك أن شاء وأنت صامت ... " .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٦ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٤١ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ٣٥٣ – ٣٥٤ .

(٥) ودعاه إلى الثبات وعدم تغير كلامه والنفاق ، فيقول :

" كـن ثابـتا أمام غيرك من الناس ، فالإنسان فى مأمن فى يد المعبود والمعبود يمقت من يزور فى الكلام ، وكبر مقتا عنده النفاق " .

(٦) وحثه على ابتاع العدالة ، فيقول :

" لا تخصـص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب ، وتقبله فى الاسمال . ولا تتقـبل رشـوة من صاحب نفوذ ، أو تظلم مقصور اليد من أجله ، فالعدل هبة غالية من المعبود يهبها لمن يشاء " .

(٧) ويخبره عن مكانه الفقير عند المعبود ، فيقول :

" أن المعبود يحب إسعاد الفقير ، أكثر مما يحب تعظيم النبيل " .

وأخـيرا نجـد فى تعاليم عنخ شاشنقى لابنه ، ستة معانى تذكره بقيمة حفظ اللسـان ، وقـيمة التعلـيم بعد الأخلاق ، والتفرغ للعلم ، ونبهه إلى أدب السؤال ، والتفكير فيما تعلمه ، واختيار الصحبة الصالحة والنجدة عند الشدة ، فيقول :

- " آية الحكيم فمه " .
- " وإنما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق " .
- " لا تشـاور عالما فى أمر تافه ... ولا تستشر جاهلا (لم ينل قسطا وافرا من التعلم) فى أمر قيم ... " .
- " ومن وعى ما تعلمه تفكر فى ذلاته " .
- " رفيق الغبى غبى ، ورفيق الحصيف ، ورفيق الأبله أبله " .

ويقول أيضا :

" لا تكن ساقط الهمة حين الشدة وأفعل الخير وارمه فى سوط البحر . وإذا فعلـت معـروفا لخمسـمائة إنسـان وراعاه واحد (فقط) فحسبك أن جزاء منه لم

يضع "[١] ويلفت نظره إلى عدم إغضاب المعبود رع .

ويقول كذلك :

" إذا غضب رع على أرض رفع جهلتها وخفض عليتها

".إذا غضب رع على ارض جعل اغبياءها فوق علمائها"[٢]

وقــد وجد المعلمون فى كل هذه الأقوال من النصائح والحكم والتعاليم منهلا غنيا ينهلوا منه وجعلوا من هذه التعاليم آيات ترتل ، بعد أن مرت على وفاة أصحابها عهودا طويلة .

وجهــة ثالثة ، اتجه بعض المعلمين إلى تأليف قطعا أدبية خاصة بهم وبها عبارات تحض على الشهامة والمروءة ومعاونة الغير واحترام الجميع وقد ظهر هذا الاتجاه التهذيبى عند معلمى عصر الرعامسة ، فقد أراد أحدهم أن يزكى روح النخوة والنجدة والعون فى نفس تلميذه ، فقال له :

" إذا رجاك يتيم مسكين اضطهده آخر وود هلاكه ، فسارع إليه وقدم العون إلــيه . واجعــل نفســك مــنقذا له ، فمــن أعانه المعبود حق عليه أن يعين كثيرين غيره " .[٣]

وآخر يقول :

" حرر غيرك ان وجدته رهن القيد ، وكن حاميا للضعيف " .

" وايا ما كانت خبرتك بالكتب وكنت متعمقا فى التعاليم .. فعليك أن تحترم الغير حى تحترم ، وأحبب الناس يحبك الناس ، ولا تبالغ فى أحاديثك " .[٤]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٣) ألفــه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧ ، ص ٣٥٤ ؛ طبعة ١٩٨٤ ، ص ٣٦٢ .

(٤) المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٥٤ .

الرياضيات :

تتـناول موضوعات الرياضيات المصرية القديمة تعليم الساب وكذلك تعليم الوحـدات المسـتخدمة فـي قـياس الأطوال والمساحات والمكاييل والموازين التي اسـتخدمها المصـريون فـي حـياتهم اليومـية وفي حياتهم الاقتصادية وفي تنفيذ مشروعاتهم المعمارية المختلفة .

ولـيس بين أيدينا سوى كتابين ، واحد وضع للمتقدمين في الرياضيات ولم يوضـع للمبتدئيـن ، وهـو بردية رند من عصر الهكسوس [١] ، وهي تحتوي على خمسـة أبـواب تضم سبع وثمانين مسألة موزعة بين تلك الأبواب ، فنجد في الباب الأول طـريقة العـد وكـتابة الأرقام ، والثاني في القواعد الأرب : الجمع والطرح والضـرب والقسـمة على اثنين ، والثالث في الكسور ، والرابع في المربع والجذر التربـيعي وحل المعدلات ، والخامس في الهندسة وحساب المثلثات والمربع ومساحة الدائرة .

والكـتاب الـثاني يعرف عند علماء الدراسات المصرية القديمة باسم بردية انستاسي رقم ٤ ، ويرجع تاريخا إلى عصر متأخر ، وفيها نوع من الجدل الرياضي مثار حول مناقشة بعض المسائل الحسابية .

وقـد تولـى تعليم الرياضة فريقان : فريق المعلمين في المدارس ، وفريق الموظفيـن والمهندسين الذين يعملون في دواوين الحكومة وإدارات الجيش والمعابد . واحتفظـت البرديات والألواح التعليمية الباقية ، بمسائل وتمارين كثيرة يمكن التمييز فـيها بين مجموعة من المسائل غلبت عليها الصبغة الحسابية وتناولت مسائل الجمع والطـرح والضرب والقسمة للأعداد الصحيحة والكسور ، كما تناولت طريقة تحويل

---

(١) د. أحمـد بـدوي – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ؛ Gillain, L`Arithmétique au Moyen Empire, Bruxelles 1927.

المكايـــيل إلى مضاعفتها وإلى أجزائها الصغيرة ، وعالجت مسائل التقسيم التناسبى ، والمعادلات البسيطة .

وهـــناك مجموعـــة أخـــرى مـــن المسائل ظهرت فيا مبادئ البر ، وبعض المعـــادلات مـــن الدرجـــة الثانية ، ومسائل التتابع الرياضى . وهناك مجموعة ثالثة تناولـــت موضـــوعات الهندســـة ومشكلاتها ، وعالجت المساحات والحجوم والزوايا والارتفاعات .[١]

استخدم المعلم لتعليم الجمع والطرح والضرب والقسمة طريقتين :

- طريقة تجريبية يلتزم المبتدئ بها فى حل مسائل الحسابية أو الرياضية .
- طريقة ذهنية يستخدمها المتعلم الناضج فى حل مسائله .

فمن الوسائل التجريبية التى التزم المبتدئون بها فى عمليات الجمع والضرب والقســـمة : كـــتابة العـــد المطلوب جمعه او طرحه أو ضربه أو قسمته . ولم يجدوا صعوبة فى جمع عددين معا ومعرفة حاصل الجمع لأنهم كانوا يعرفون الأعداد من ١ إلى ١٠ ، والعداد من ١٠ إلى ١٠٠ ، والمئات والآلاف والمليون .

أمـــا الطريقة الأخرى التى جعلها بعض المعلمين مقياسا للنشاط الذهنى فى عمليات الجمع ، مسألة نظرية قصيرة ، افترض فيها المعلم أنه : " كان يوجد فى حى مـــا سبعة بيوت ، وأنه تسللت إلى كل بيت من البيوت السبعة سبع قطط ، فافترست كـــل قطة سبعة فئران ، بعد أن قرض كل فار سبع سنابل من الغلال ، كان أصحاب البيوت يستطيعون ان يزرعوها فتنتج كل سنبلة منها سبع حبات من الحبوب " .

والمطلـــوب هو حاصل جمع البيوت والقطط والفئران والسنابل والحبوب ، واســـتطاع كاتـــب المســـألة أن يدون حل مسألته بطريقتين : رصد فى إحداهما أعاد البيوت معا ، وأعداد القطط معا ، وأعداد الفئران معا ، وأعداد السنابل معا ، وأعداد الحبات معا ، ثم جمع مجاميعها فى وحدة واحدة .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٨ .

ولجــأ فـــى طريقــته الثانية إلى جمع نصيب كل بيت من القطط والفئران والسنابل جمعا ذهنيا على حدة ، ثم ضرب مجموعها فى سبعة .(١)

وبالنســبة للطرح كان على المبتدئ أن يسجل العدد المضروب ، ويضاعفه كتابة عدة مرات فى خطوط راسية متعاقبة ، إلى أن يحصل فى نهاية المسألة على ما يســاوى حاصل الضرب المطلوب . وإذا اطمأن التلميذ إلى نتيجة الضرب ، ورسم شرطة صغيرة مائلة بجانب جمع الناتج من الضرب ، مثال ذلك :

إذا أراد الطالــب أن يضـــرب ١٩ × ٦ فيكتب على لوحته أو على الشقفة الصـــغيرة الـــتى يكتب عليها ، العدد ١٩ ، ثم يضربه فى ٢ ، ويكتب العدد ٢ أمام الحاصل ٣٨ ، ويضاعف الحاصل السابق ويكتب أمامه ٧٦ ، ولما كان مجموع ٢ + ٤ = ٦ وو العـــدد ضـــربه فـــى ١٩ فإن مجموع العدد المقابل يساوى بطبية الحال حاصل الضرب ، وكان يكتبها كالآتي :

٢ × ١٩ = ٣٨

٤ × ١٩ = ٧٦

---

٦ = ١١٤

أو أن حاصل ضرب ٧ × ٧٧ = ٥٣٩ يجل بالطريقة الآتية : (٢)

١ × ٧٧ = ٧٧

٢ × ٧٧ = ١٥٤

٤ × ٧٧ = ٣٠٨

---

٧ = ٥٣٩

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٩ – ٥٩٠ .

(٢) James, An Introduction to Ancient Egypt, London 1979, p. 123.

وبالنســبة للقســمة ، فإذا أراد المبتدئ أن يقسم العدد ١١٤على ١٩ ، ابتع الطريقة نفسها خطوة خطوة ، حتى ينتهى إلى أن ١١٤ تساوى ستة أمثال العدد ١٩ .

وابتع المصريون فى جمع الكسور وضربها وقسمتها ، ما كانوا يتبعونه مع الأعداد الصحيحة . وجرت كتابة الكسور المصرية القديمة على ما جرت عليه كتابة الكســور عــن أصــحاب الحضارات القديمة ، فظل بسط الكسر عندهم لا يزيد عن الواحــد الصــحيح ، إلا فى أحوال قليلة ، استخدموا فيها كسورا مركبة مثل ٣/٢ و ٤/٣ .

وأعــد المعلمون المصريون لتيسير عمليات الكسور ، جداول جمع وضرب وقســمة ، كــان المتعلم يستطيع أن يحفظ منها ما يسهل عليه حفظه ، أو يحتفظ بهذه الجــداول معــه للاستعانة بها أثناء دروسه ويمكن الرجوع إليها ، وقام بترتيبها على النحو الآتي : [١]

٦/١ + ٦/١ تصبح ٣/١

١٠/١ + ١٠/١ تصبح ٥/١

١٨/١ + ٣٦/١ تصبح ١٢/١ وهلم جرا .

واتبع بعد ذلك جداول أكثر تعقيدا واكثر طولا .

وبالنســبة لضرب الكسور ، فكان المعلم يتدرج فيها مثل جمع الكسور من السهولة إلى الصعوبة ، وقد رتبت مسائل ضرب الكسور على النحو الآتي :

٦/١ × ٣/٢ = ٩/١

١٠/١ × ٣/٢ = ١٥/١

وتضمنت موضوعات المعادلات ، مسائل أخرى جبرية خالصة . واعتمدت بعض مسائل الجبر على التتابع . ونجد فى مسألة منها على سبيل المثال ما يأتي :

" وزع مائة رغيف على خمسة رجال (بفارق حسابى ثابت بين نصيب كل رجــل مــنهم عن الآخر) ، فإذا كان سبع نصيب الثلاثة الأوائل منهم ، وهم رؤساء

العمال ، مساويا لنصيب الاثنين الباقيين وهما من العمال ، فما مقدار نصيب كل فرد منهم ؟ .[١]

وعثر فى اللاهون على مجموعة من البرديات تحتوى على تمارين حسابية ورياضـية ، مـنها طريقة التربيع والجذر المربع والمعادلات المختلفة [٢] . وتتناول موضوعات الرياضة أيضا مسائل الهندسة ومشكلاتها ، ومعالجة المساحات والحجوم والـزوايا والارتفاعـات الـتى كانت تشغل بال المهندسين المعماريين والفنيين عند تصميم المنشآت المعمارية الضخمة .

عـرف الرياضيون المصريون القدماء مساحة المستطيل والمربع والمثلث والدائـرة والمكعب والأبعاد المختلفة الطول والعرض والارتفاع والعمق . ووصلت إلينا ستة تمارين رياضية تناولت مساحة المستطيل ومساحة المثلث ، ومساحة الدائرة من بردية هيراطيقية للكاتب أحمس من أوائل القرن السادس عشر ق.م .[٣]

وبـردية أخـرى معاصرة للبردية الأولى عليها تمرينات تتناول استخراج قـاعدة المثلـث وارتفاعـه ، واستخراج حجم المثلث الناقص [٤] . ويبدو أنهم كانوا يكـثرون من التطبيقات العملية في مجال العمارة . فكانوا يقدرون مثلا ما كان يلزم من رجال ومعدات لنقل مسلة من محاجرها والإبحار بها عبر مياه النيل ، ثم إقامتها فـى مواضـعها ، ومعرفة وزنها التقريبى [٥] . وبقيت مسائل الزوايا ، والارتفاعات

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٢ .
(٢) د. عـبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ .
(٣) المـرجع السـابق ، ص ٥٩٤ شـكل (٢) ؛ تـاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٤١٩ .
(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٦ شكل (٣) .
(٥) يعطيـنا د. محمـد عبد القادر فى مؤلفه : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمـون ، الهيـئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ، ص ٧٩ قائمة بعدد المسلات التى أقيمت فى معبد الكرنك وأوزانها الحالية .

العمودية للأهرام أكثر موضوعات الرياضة دراسة . وكان من نماذجها التعليمية ما صاغه المعلم لتلميذه على النحو الآتي:

" هرم قاعدته ١٤٠ ، وزاويته ٥ قبضات وإصبع ، فما طول ارتفاعه العمودى ؟ ".(١)

وبالنسبة لوحدة قياس الأطوال والمسافات ، نجد أن المصريين استخدموا وحدة الذراع للأطول الصغيرة . وكان عندهم الذراع الملكى الذى يساوى ٥٢,٣ سم، وذراع آخر يصغره قليلا ويستخدمه الناس فى معاملاتهم العادية . وقسموا الذراع إلى سبع قبضات متوسطة (أو ست قبضات كبيرة) تتكون كل قبضة من أربعة أصابع .

واستخدموا أيضا وحدة قياسية تبلغ مائة ذراع ، أطلقوا عليها اسم " خت " وتستخدم لقياس مساحة الأراضى ، ووحدة أخرى أكثر طولا أطلقوا عليها اسم " سثات " ويبلغ طولها ٢٧٣٥ مترا مربعا ، وأخيرا وحدة طولية للمسافات الكبيرة تبلغ نحو كيلو مترين ، أطلقوا عليها اسم " اترو ".(٢)

واستخدموا ، بالنسبة لوحدة المكاييل ، وحدة لكيل الغلال ، تسع ٢٩٢ بوصة مكعبة ، أطلقوا عليها اسم " حقات " وقسموا الحقات إلى وحدات صغيرة تسمى " هنو " ثم قسموا كل هنو إلى " رو " واستخدموا لكيل السوائل وحدات صغيرة ، تعادل نحو ٩١ جراما ، أطلقوا عليها اسم " دبن " .

ونلاحظ أن هذه الطرق الرياضية تختلف بالطبع عما هو معروف الآن من قواعد ونظريات علمية وأساليب حديثة . ولكن ذلك لا يقلل من قيمة ما توصل إليه المصريون القدماء فى شئ . فبهذه الطرق البسيطة نجحوا فى تقيم الروائع فى فن العمارة ، ولا زالت الدقة البالغة فى المنشآت المعمارية من أهرام ومعابد مشيدة أو منحوتة فى الصخر ، أو مسلات قائمة ، تؤكد أنهم كانوا يعرفون الشئ الكثير عن هندسة العمارة وأساليبها وتطبيقاتها .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٤ – ٥٩٥ .
(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٥٨٧ – ٥٨٨ .

وعــندما زار أفلاطــون مصر وزار مدارسها وترد عليها ، أعجب بمناهج التعلــيم فــى هذه المدارس وبخاصة أساليب تعليم الصغار عمليات الحساب ، فأهاب بقومــه الإغــريق أن يــتعلموا هذه الأساليب والطرق المنهجية ، ويتبعوها فى تعليم أصول الحساب فى بلادهم ، وأن يجتهدوا فى العمل على اجتذاب النشئ من أولادهم إلــى مــواد الرياضــة ، وأن يجعلوا من تلك المواد وطرق تدريسها موضع تشويق وترغيب . وروى له أن المعلمين فى مصر جعلوا من تعليم الحساب متعة . (١)

فكان المعلم يوزع على تلاميذه ثمارا وأزهارا ، لتعليمهم العد . وأوزانا من الذهــب والــنحاس والفضــة لتعلــيمهم تمارين الحساب وبهذه الوسائل ، كما روى أفلاطون ، كان التلميذ المصرى القديم يكتسب معرفة لا بأس بها فى مجال الرياضة معرفة يمكنه الاعتماد عليها فى حياته الوظيفية والعملية .(٢)

موضوعات من التاريخ والسير :

تتــناول موضوعات التاريخ ، دراسة التاريخ القومى ، وكان مصدر المعلم فــى هــذا الشــأن هــو نقوش جدران المعابد وسجلات ومحفوظات دور الحكومة ، والقصائد وأناشيد النصر ، وكانوا يتناقلونها على هيئة قصص بطولية . ومنها بردية تعليمية من القرن الثالث عشر ق.م . كتبها طالب يدعى " بنتاؤره " وهى تحتوى على تــاريخ بدايــة الصــراع بين الملك المصرى سقننرع وبين ملك الهكسوس بعد ثلاثة قــرون مــن حدوثــه . فيها يروى كيف بدأ الملك المصرى جهاده لتحرير البلاد . وتضــمن لوح مدرسى صغير من القرن السادس عشر ق.م . موضوعا تكميليا عن مواصــلة ابــن سقننرع ، كامس مراجل الجهاد ضد أعداء البلاد . ومواقف البطولة والشجاعة التى أبداها كل من سقننرع وكامس أثناء معارك التحرير .

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٥ – ٥٩٧ .

وهــناك أيضا نسخ من قصيدة عن معركة قادش الشهيرة التى صورت لنا انتصــار الملــك رمســيس الــثانى على الحيثيين ، وكتبت بعبارات فيها الكثير من المــبالغة ، كان الطالب يكرر أبياتا منها لحفظها (١) وتتناول الموضوعات التاريخية أيضــا كــتابة القوائم الملكية ، فكان التلاميذ يقومون بكتابة ونسخ هذه القوائم الملكية الــتى كانت تحتوى على أسماء العديد من الملوك ويدونون كذلك أهم ما قام به هؤلاء الملــوك مــن أعمال فى الداخل والخارج . وأمروا بتسجيلها على جدران المعابد أو علــى لوحات أو على لفائف بردى (٢) . أو سير هؤلاء الملوك والحكام وما فيها من أخبار صباهم ووصف بعض أعمالهم التى تعتبر قدوة للآخرين .

المعلومات الجغرافية :

تتــناول الموضــوعات الجغرافــية تعريف التلميذ أسماء الظواهر الطبيعية كالفيضــان والأعاصير والرياح والندى والصقيع والبرى ، وبعض المسميات الفلكية مــثل أســماء الكواكب والنجوم المعروفة والأبراج السماوية . وتتناول أيضا تدريس أســماء المــدن الكبيرة مرتبة بترتيبها الصحيح من جنوب الوادى إلى شماله ، بحيث يــبدأ من البجة وأسوان وكوم أمبو وجبل السلسلة وادفو ... وتستمر هكذا حتى تنتهى بمدن الحدود الشمالية والشمالية الشرقية . وتتناول كذلك تدريس أهم حاصلات البلاد ومنتجاتها ، وبعض أسماء حيواناتها وطيورها . ويتناول البعض الآخر تعريف أسماء الشــعوب والأقطــار الأجنبية ومدنها الرئيسية والمنتجات المشهورة فى هذه البلاد ، كــزيوت قــبرص وخيــتا وسنجار وآمور ونبيذ سوريا وتينها . وشهرة بعض مدنها بالجعــة وتطعــيم الأخشــاب ، وشهرة بلاد بونت بالبخور والتوابل ، وشهرة بعض المناطق فى أفريقيا بالعاج والأبنوس وريش النعام والحيوانات البرية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٩ .

أما الطريقة التى اتبعها المعلم فى تدريس هذه المعلومات الجغرافية ، فكان يملى على التلميذ أسماء المدن المصرية ، فى مفردات متتالية لكى يحفظها ، أو يكلفه بنسخها من بردية قديمة ، وقد يملى معلم آخر على تلميذه أسماء المنتجات المحلية فى موضـــوع أشـــبه بموضـــوع الإنشاء أو يدرس له أسماء الأقطار الخارجية ومعالمها الرئيســية فى محاورة رمزية بين شخصين يسأل أحدهما الآخر عما يعرفه عن معالم فينيقيا وما فيها من أشجار الأرز وحيوانات متوحشة .

وقــد وصــلت إلينا قطعتان من الشقافة عليهما درسان فى الجغرافيا ، على الأولـــى درس كـــرر التلمـــيذ فيه عبارة لطيفة يقول فيها : " جاء الفيضان من أجل أحـــبابه " وعلـــى الثانية حوار بين شخصين " يسأل شخص زميله عن حلب وقادش وسميرا ، ويصف له جبال لبنان " . وكلا القطعتين كتبتا بالخط الهيراطيقى .(١)

الرسم والتلوين :

كـــان علـــى التلميذ أن يتعلم قليل من الرسم . وكان الكاتب عادة ، رساما ونقاشـــا فـــى وقـــت واحد . وكان يستخدم للزخرفة فى كتابة بعض البرديات الدينية أنواعـــا من المداد المختلفة الألوان منها الأخضر والأزرق والأصفر والأبيض (٢) . ومـــن تراث الدولة القديمة عثر على لوح من ألواح أحد التلاميذ فى منطقة الجيزة ، كان صاحبه ممن يتعلمون الرسم والتلوين أيام الأسرة الخامسة .(٣)

هـــذه هى بعض المناهج إلى كانت تدرس فى المدارس المختلفة ، ولا شك فى أنه كان يوجد بجوار هذه المناهج السبعة ، مناهج أخرى لا نعرف عنها أى شئ ،

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٩ .

(٢) بيـــير مونتـــيه : الحـــياة اليومـــية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٣٤٤ .

(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

مــثل تدريس معارف ومبادئ الكيمياء والعلوم الطبيعية وما إلى ذلك . ولابد أنه كان يوجد مشرف عام على مثل هذه المناهج لاختيار أفضلها وأنسب الطرق لتدريسها فى المراحل التعليمية المختلفة .

التربية البدنية :

كــان الناشــئ فى المدرسة يتدرب على فنون الرياضة البسيطة لتربية بدنه بطــريقة سليمة . ونعلم من بردية شستر بيتى رقم ٢ التى تحتوى على " قصة الحق والبهــتان " أن الأم ألحقــت ابنها بالمدرسة لكى " يتقن الكتابة ويتعلم فنون الرياضة والنزال " .[١]

تاسعا : طرق ووسائل التقويم التعليمية :

كان المعلمون المصريون حريصين أشد الحرص على توجيه الناشئ التنشئة السليمة . فلم يحرم الطالب المصرى من حق السؤال ، فكان يعرف كيف يسأل وكيف ينصت لتلقى الإجابة ، وكيف يناقش بغية الوصول إلى المعرفة والفهم الكامل .

أمـــا عن الطرق والوسائل التى اتبعها المعلمون فى تعليم الصبية وتقويمهم وتعويدهــم على ما تقتضيه أمور التربية من ضرورة السمع والطاعة واحترام النظام وتقديــر الواجب . واختلفت ألوان التقويم باختلاف طباع المعلمين والمربين ، فمنهم مــن كــان يلجــأ إلــى إسداء النصح والنصيحة والواعظ والإرشاد والإغراء دون الإرغــام ، أو إلــى الــتحذير والتذكــير ، أو إلى التأنيب والتوبيخ ، أو إلى التهديد والوعيد ، وأخيرا إلى العقاب .[٢]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ك مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ٣٤٨ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ – ٢٢٨ .

آمن بعض المعلمين بان مهمة التربية هى التوجيه والترغيب وإسداء النصح والإرشـــاد عند ترك بعض التلاميذ لدروسهم وإهمالهم إياها وتكاسلهم عن استذكارها بوجـــه عـــام ، أو إهمـــالهم فـــى عمل الواجب ، أو أنهم هجروا الكتابة وهربوا من المدرســـة ، أو تعالوا على معلمهم وانصرفوا عن الاستماع إلى الدرس . وكان هذا التوجيه يتم عن طريق حوار مباشر ، أو رسائل متبادلة بين المعلم والطالب . وآمنوا بالنصائح الأخلاقية يوجهونها صريحة إلى تلاميذهم ، ولعل خير ما نستشهد به على سبيل المثال ، قول الحكيم أنى لتلميذه " خونسو – حتب " وهو يعظه :

" لا تـــثق بتلك الفكرة الواهية ، واخشى مما اعتقدته ، أن شكواك فى راى ليســـت بـــذات موضـــوع ، وأنـــى من أجل ذلك لموجهك ... " .[1] وكان المعلمون يوصون تلاميذهم بفتح حوار بناء حول ما سمعوا وما قرأوا فى قاعة الدرس ، ليفهم مـــن لم يكن قد فهم ، وليتعلم منهم من لم يكن قد علم وكانوا يوصونهم بذلك على أن يختاروا له الوقت المناسب .

ومنهم من كان يرغب في العلم ، فقال أحدهم لتلميذه :

" آخ القرطاس واللوحة ، فكلاهما أمتع لصاحبه من الخمر المعتقة " .[2]

أو يقول :

" ركز قلبك فى الإصغاء لكلماتى لتستفيد منها " .

أول يقول أيضا :

" كن دؤوبا على طلب النصيحة ولا تهملها " .[3]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

ونهـــج بعـــض المدرسين منهجا آخر هو الإقناع ، وكان الغرض منه تقويم التلمـــيذ الطـــائش وهدايته إلى الطريق المستقيم ، فقال أحدهم لتلميذه : " قيل لى أنك تهمل الكتابة ، وانك تمارس الرقص وتنتقل من حانة إلى أخرى ، وأن رائحة الجعة تفوح منك فى كل خطواتك . انك تشبه بالمعبد الخالى من معبوده أو البيت الذى انعدم فـــيه الخـــبز . وقد رأوك تصطدم بالجدران فيفر الناس من أمامك . فهل تستطيع أن تقتنع بأن الخمر رذيلة شنيعة ؟ ".(١)

أو يقول كذلك :

" ... ليـــتك تعلـــم أن الخمـــر شئ مكروه ، وليتك تقسم على تجنب شراب " الشـــدح " (خمر الفاكهة) وليتك لا تتجه بقلبك نحو إناء الخمر ، وتنسى شراب " الثلك " لقد علموك الغناء على نغمات الناى ، ومصاحبة ... ".(٢)

وأخيرا يقول :

" أفعـــل ما أقول وسيصبح بدنك وتصبح لا مثيل لك (حرفيا ليس هناك من هو احسن منك علما) ".(٣)

ولـــم يفـــت بعـــض المربيـــن مـــن أن يغـــروا تلامـــيذهم بمســـتقبل باهـــر أن هم حرصوا على اغتنام الفرصة للاستفادة من العلم والتحصيل . ومن أجمل ما نقرأ فى هذا الصدد ما جاء فى وصية خيتى بن دواواف لولده المدعو بيبى ، فيقول :

" أعمل وصر كاتبا لأنك بذلك (تستطيع) أن تقود الناس جميعا ".(٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٤) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

ويقول أحد المربين لتلميذه :

" ســطر بيدك ، واتل بفمك ، وافعل ما آمرك به ، حتى لا يضيق صدرى بتعلــيمك ، ولســوف تجــد فى ثمرات التعليم ما هو اغنى من حياة موفورة بالطعام والشراب . تفوق على زملائك حتى يمكن تعيينك (فى أحسن المناصب) ".(١)

أما عن أساليب التحذير والتذكير نتيجة لكسل التلميذ أو إهماله أو هروبه من المدرسة إلى حياة الرقص والشراب ، فقد لجأ بعض المربين إلى أسلوب تكرار الحث على المذاكرة ، ويقول أحدهم مخاطبا ولده أو تلميذه :

" ولســوف أقــول لك طوال النهار أكتب " . أو يكثرون من ضرب الأمثلة ومــن المقارنة بين حياة الإنسان الكريمة بالعلم وحياة الجاهل التى تشبه حياة البهائم والأنعام ، فالحياة الثانية فى حاجة إلى نور العلم وتنقيتها بالمعرفة . كما لجأ البعض الآخــر مــن المربيــن إلى إذكاء روح المنافسة بين تلاميذهم وهذا واحد منهم يقول لتلميذه :

" تفــوق على نظرائك (أى زملائك) ليبعث إليك بأمر تكليف (أى يصبح من رجال الإدارة والوظائف العليا) " (٢) ، أو التنبيه بالبعد عن اللهو فيقول أحدهم :

" أقــبل علــى الدرس وأهجر الرقص لتكون موظفا يقظا ، اترك المصائد واستدبر عصا الرماية " .(٣)

أما عن أسلوب التهديد والوعيد ، فيقول أحد المعلمين يهدد تلميذه :

" لســوف أجلدك مائة جلده ، ولسوف لا تنساها جميعا . لسوف اجعلن منك أيها العاصى الشرير إنسانا " .(٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .
(٤) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ – ٢٢٦ .

ويقول آخر :

" لا تقض يوما واحدا دون عمل وإلا فسيكون الضرب نصيبك " .(٢)

أما عن وسائل العقاب فكانت متنوعة ، أما بالضرب بالعصى والسوط على الظهر والقدمين ، وأما بالقيد ، وأما بالحبس . فكان الضرب من أوائل وسائل العقاب لـــتقويم السلوك ، وإقامة النظام وسوف نقتبس بعض الشواهد من أقوال المربين حين يقول أحدهم مخاطبا تلميذه :

- " لأعلمــــن قدمـــيك كيف تجوبان الطرق والمسالك عندما تلهبان بسوط من جلد فرس النهر " .(٣)
- " أذن الصبى فى ظهره ، فهو لا يسمع ولا يطع إلا إذا ما ألهب ظهره " .(٤)
- " للولد ضعفه ولا ينصت إلا عندما يضرب " .(٥)

" أن التلميذ لن يموت من الضرب من يد أبيه وأن الأب الذى يدفعه حب ولده إلى الإشفاق عليه من الضرب) لا ينبغى له – أن فسد ولده – أن لا يلومن إلا نفسه " .(٥) .

ويتحدث معلم إلى أم جاءت تسأله عن حال ابنها فقال لها :

" لمــا كنت صبيا فى المدرسة ، علمنى معلمى الكتابة بعد أن ألهب أطرافى من الضرب ، فتعلمت ولم أهجر – رغم ذلك – معلمى " .(٦)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٣) د. ايفــار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة شاكر إبراهيم) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٨٢ .

(٤) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

ويقول تلميذ مخاطبا معلمه :

" لقـد نشأت طفلا فى رحابك فكنت تضربنى على ظهرى ، ومن أجل ذلك بقى صدى تعاليمك فى أذنى " .(١)

وفضـلا عن الضرب بالعصى والسوط ، كان هناك التقييد بقيد . ولنستمع إلى ما جاء فى حديث معلم يخاطب تلميذه فيقول :

" بلغـنى أنـك هجرت التعليم وانغمست فى اللهو حتى طار لبك . فأصبح وجهك كوجه الحيوان المتحفز دائما للهرب ، وأنك حين توضع قدماك فى القيد تبيت عصـبيا حتى تتمكن من الإفلات لكى تتسلق الجدار (سور المدرسة) ولتقفز هاربا إلى ما تريد من مكان ... " .(٢)

وإذا لـم تنفع وسيلة الضرب أو القيد فإن المعلم يلجأ إلى وسيلة أخرى ، قد تكون الحبس ؟ فيقول أحدهم مخاطبا تلميذه :

" فإذا ما أخذتك بكافة وسائل التأديب من ضرب وقيد ، ووجدت أنك لم تطع بعـد ، فأنى لن أحجم عن أخذك بوسيلة أخرى ، أن وجدت (إلى ذلك سبيلا) حتى أحملـك علـى الطاعـة لتصبح رجلا يصلح لمهنة الكتابة " . (٣) فقد عرفوا العقاب بالحبس ، وعن ذلك يتحدث أحد المربين خطابا واحدا من تلاميذه ، فيقول :

" إذا نظـرت إلـى ، أنـا نفسى عندما كنت فى مثل سنك فقد قضيت وقتا والقـيود فى يدى ، وربطوا جسمى ، وظلت على ذلك ثلاثة أشهر مكثتها جميعا بين جـدران المعـبد ، علـى حيـن كان والدى وإخوتى فى القرية . وعندما فكو قيدى وأصـبحت يـدى حرة عوضت ما فاتنى ومهرت يدى فى الكتابة ، وأصبحت بذلك

---

(١) د. ايفار ليسنر : المرجع السابق ، ص ٨١ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

متفوقا على (كل) من كان يتقدمنى من الزملاء ، ثم أصبحت على رأسهم جميعا .(١)

كيفية التقييم :

ليس لدينا نصوصا تحدثنا صراحة عن كيفية تقييم الطالب فى نهاية كل مرحلة دراسية ويشهد له فيها بانه أتم دراسته ، فهل كان التلميذ يؤدى امتحانا تحريريا وشفهيا ، وهل كان يمنح شهادة بنجاحه أو تفوقه ، وهل كان يشار إلى رسوبه إذا حدث أنه لم يوفق فى امتحانه ، لا نعلم أى شئ عن كل هذا . ولكن يمكن القول أنه ربما كان يحصل على شهادة محررة ممن علموه أو توصية مكتوبة من معلمه إلى أصحاب المسئولية من كبار موظفى الدولة .(٢)

وربما أيضا كان هناك نظام يشبه نظام منح الشهادات ، فنعرف من وثيقة من القرن السادس أو الخامس عشر ق.م . أن ضابطا فى الجيش كان حاصلا على شهادة المرحلة الثانوية (٣) . وذلك على غرار منح الأوسمة أو النياشين من الذهب التى كانت تمنح للقادة العسكريين على ما أبدوه من شجاعة فى المعارك الحربية (٤) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٩ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٣) Allam, Every day life in Ancient Egypt, p. 33.

(٤) مثل قلادة الشجاعة التى تتكون من ثلاث ذبابات من الذهب الخالص والتى عثر عليها فى مقبرة الملكة إعح حتب والتى أعطاها إياها أبناءها كامس وأحمس ، نظرا لشجاعتها ومساندتها لزوجها سقننرع أثناء صراعه ضد الهكسوس ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم CG 52671 ، راجع : Saleh-Sourouzian : Official. Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no 120 .

وكـــان مـــن حـــق الملك ترقية من يعجب بنشاطه وكفاءته من الكهنة [١] ، فى سلم الترتيب الكهوتى ، وعلى ذلك فلابد أن يكون هناك أيضا شهادة تقييم للتلميذ المتفوق .

عاشرا : نصيب الفتاة من التعليم :

لسنا على يقين من أن التعليم فى مصر القديمة كان من نصيب الأولاد دون الفتـــيات . ولكن أظهرت بعض النصوص والوثائق ، ان من الفتيات من كن يعرفن القراءة والكتابة ، ويذكر بترى امرأتين من مثقفات الدولة القديمة ، واحدة منهن كانت تتولى كتابة رسائل الملكة ، والأخرى كانت تستطيع قراءة الخط الهيروغليفى بسهولة كبيرة . [٢]

وممـــا لا شـــك فـــيه أن بعض النسوة نلن قسطا من التعليم مما سمح لهن بالمشـــاركة فـــى أنشطة الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة . فهناك نص من عصر الدولة القديمة يدلنا على وجود طبيبة دون تحديد تخصصها الدقيق [٣] . وكانت أحيانا قاضية ووزيرة . فهل كان يتم هذا دون الحصول على قسط من التعليم ؟

وهـــناك لوحـــة بالمـــتحف المصرى تحمل رقم ١٥٧٨ من عصر الأسرة السادسة وعليها نص يخص إحدى السيدات النبيلات وتدعى " نبت " وكانت تحمل من بين ألقابها الألقاب الآتية : " الأميرة الوراثية ، ابنة جب ، النبيلة ، ابنة مرحو ، ذات الســـترة ، القاضـــية ، الوزيـــرة ابـــنة تحوتـــى ، سميرة ملك الوجه البحرى ، ابنة

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٤٦٧ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) د. رمضـــان عـــبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ١٩٩٧ ، ص ٥٩٩ حاشية (٤) ؛ Ghalioungui, BIFAO 75 (1975), p. 163.

حـــورس " (١) . فهل يشير هذا النص إلى أن هذه المناصب كانت قاصرة على بعض ســيدات الأسرة الملكية ؟ . وعندما يقال لها أنها ابنة تحوتى فهذا يدل على أنها كانت صـــاحبة ثقافـــة وعلـــم . ولو أن البعض يرى أن هذا اللقب كان شرفيا . كما تذكر النصـــوص ســيدة من القرن الحادى والعشرين ق.م . حكمت إقليم أسيوط باعتبارها وصـــية على ابنها (٢) . ومن بداية عصر الأسرة السادسة والعشرين تولت ارت راو منصـــب الكاتـــبة والتابعة الأولى للعابدة المقدسة نيتو كريس وتحمل مقبرتها فى البر الغربى رقم ٣٩٠ .(٣)

ويبدو أن كثيرا منهن كن يتلقين فى المنازل ألوانا من التربية والتعليم تكفى لتنوير أبصارهن وعقولهن . وكان هذا هو حال الفتاة فى البيوت القادرة وأهل الغنى فى مصر القديمة . فمن المؤكد أن أمر التربية والتعليم كان إلزاما للأميرات من بنات الملـــك وغيرهـــن مـــن بـــيوت الإمـــارة ، ولدينا مثال الأميرة نفرو رع ابنة الملكة حاتشبســوت والاهتمام بتربيتها وتعليمها على يد سنموت كبير رجال البلاط فى قصر أمهـــا . كمـــا عـــثر فى مقبرة توت عنخ آمون على أدوات للكتابة عبارة عن محبرة ومقلمة خاصة بالأميرة مريت آتون ابنة الملك إخناتون .(٤)

---

(١) Caire 1578 = Borchardt, Denkmaler des Alten Reiches II, p. 59 (1); Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 455 (3); Meeks, Alex 11, p. 418; Wb V, 344, 2 ؛ وأيضـــا جلال أبو بكر : أسيوط حتى نهايـــة عصـــر الدولـــة القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة المنيا ١٩٨٩ ، ص ٣٠٥ حاشية ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٥٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، ص ٧٣ .

(٣) د. ســيد توفــيق : تـــاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية طبعة ١٩٩٠ ، ص ٣٨٨ .

(٤) د. أحمـــد بـــدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٦٧ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

حادى عشر : عشاق الثقافة وما بقى من تراثهم :

نشأت إلى جانب الطبقة المثقفة التى تلقت العلم فى دور العلم المختلفة ، فئة أخرى من عشاق الثقافة العامة ، وكانت تضم بعض الملوك وكبار الشخصيات ومثقفين من أواسط الناس وعامتهم ، فئة استهدفت من وراء العلم المتعة والتذوق وحب الأدب والمعرفة وللمعرفة والعلم للعلم والثقافة للثقافة ، لا تبغى منصبا أو جاها . ولدينا العديد من نصوص التراجم الشخصية التى تدل على أن أصحابها كانوا يفخرون بأنهم علموا أنفسهم بأنفسهم إيمانا منهم بضرورة العلم والمعرفة وأنهم ربوا أنفسهم بأنفسهم فى غير المدرسة أو دور علم أخرى . ومثل هذه السير كانت مسجلة على جدران المقابر أو لوحات داخل هذه المقابر ، وكان الغرض من تسجيلها إسداء النصح للأجيال القادمة ونشرها على الملأ أمام أجيال المستقبل ولمن يقرأونها . وذلك لبناء صرح المجتمع على أساس من العلم والقيم والسلوك القويم .

على أن يعرف الناس عنهم أنهم كانوا يكتبون بأنفسهم ويقرأون بأنفسهم مثل سنفرو ، ففى قصة تنبؤات نفر روهو (أو نفرتى) ، نجد أنه عندما حضر هذا الكاهن أمام الملك ليتحدث إليه عن تنبؤاته ، مد الملك يده إلى صندوق أدوات الكتابة ليسجل بنفسه ما يتحدث به الكاهن المرتل [1] . ولم يتردد بعض الملوك فى التوجه إلى مكتبات المعابد الكبرى فى ايونو وطيبة وأبيدوس للإطلاع على المعلومات المسجلة على لفائف البردى بها .

ويتحدث أحد الموظفين ويدعى خنواردو ، والذى كان فى خدمة إحدى زوجات الملك منتوحتب الأول من الأسرة الحادية عشرة ، فى نقوش لوحته التى عثر عليها فى دندرة ، قائلا عن سيدته أنها كانت :

---

(١) د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٦٥ .

" ماهــرة فى الكتابة وبارعة فى مؤلفات العلوم التى تحتويها المكتبة الكبيرة فى الجنوب " . ويبين هذا النص أن الثقافة العامة لم تكن قاصرة على الرجال فقط . ويــتحدث عن مجموعة الكتب الخاصة التى كانت تمتلكها هذه الملكة : " لقد ضعفت المجموعــة بإحضــار كمــية كبيرة من الكتب ذات القيمة (العلمية) لدرجة أنه لا ينقصها أى شئ فى حدود معرفتى بالأمور " .

ويقول أيضا :

" لقد قمت بترتيبها ، وأصلحت ما وجدته تالفا منها ، وجمعت المخطوطات التى وجدتها ممزقة ، وأعدت تنظيم ما وجدته قد أهمل " .[١]

ويحدثــنا نــص آخر من عهد الملك خع نفر رع – سبك حتب من الأسرة الثالــثة عشــرة أن هذا الملك درس المخطوطات القديمة فى المكتبات . وهناك نص ســجل باسمه ، تحدث فيه عن رغبته فى أن يزور مكتبة معبد المعبود آتوم فى إيونو لــيطلع فــى وثائقها القديمة على الصورة الأصلية لمعبود الغرب أوزير وهيئة جسده وأطرافه [٢] ، فقال له حاشيته :

" فلتدخل جلالتكم المكتبات ولتتفضلوا بالإطلاع على النصوص الدينية ".[٣] ونعلــم من نص ثالث أن الملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة تى كانا يمتلكان مكتبة خاصة بالقصر الملكى [٤] . وكانت تحتوى على كتب أدبية وقصص .

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛ وأيضا : Weigall, Histoire de L`Égypte Ancienne, p. 66.

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ١٧٩ حاشية (٣) .

(٣) بيــير مونتــيه : الحــياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

وكشــف فــي معبد الأقصر عن قاعة كانت خزانة للكتب . ومن نصوص واجهــتها نعــرف أن رمسيس الثانى كان يحضر إلى مكتبة دور الحياة وعرف من مخطوطاتها خفايا السماء وأسرار الأرض .(١)

ويحدثــنا نص رابع عن الملك رمسيس الرابع بأنه كان يتردد بانتظام على مكتــبة دور الحــياة فى ابيدوس لكى يطلع فى وثائقها (٢) . وظهر من طبقة أواسط الناس من يحب الثقافة ويعشقها ، ويتمثل ذلك فى مجموعة من النصوص من عصر الرعامســة . وقد شاركت الفتيات الشباب فى الحصول على قسط من الثقافة ، وكن يتذوقن الأدب ويتراسلن به ، منهن فتاة تولت كتابة رسائل الملكة فى عهدها .

واحــتفظ لــنا عصر الرعامسة بأربع رسائل لإناث من أواسط الناس ، كن يتراســلن مــع بعضــهن الــبعض ، وافضن فى الدعاء والأمانى وأساليب الوصف الجمــيلة . ولعل أهم هذه الرسائل تلك التى تخص ستيى – كا وكانت تعمل كموسيقية فى معبد المعبودة حتحور . وقد وجهت رسالتها إلى صديقة لها تدعى سخمت نفرت موســيقية فــى معبد آمون فى المدينة الجنوبية : طيبة . فقد نزلت ستيى – كا منف زائرة ذات مرة ، ومن هناك كتبت إلى صديقاتها سخمت نفرت فى طيبة ، تصف لها بأســلوب طــريف جمــال مدينة منف ، وإنها غادة بيضاء ، فأسوار المدينة مرتفعة بيضــاء ومبانيها مطلاة باللون الأبيض . وكتبت لها عن فتيات منف الجميلات ، وما يؤثــرونه مــن أنواع الزهور وأكاليل النبات ، وصورت لها رخاء المدينة ، ورقى الحــياة فيها ، ومواكب الجند الذين يشقون طرقات المدينة بين تهليل الجماهير ودقات الطبول .(٣)

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ حاشية (٢) .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

(٣) ألفــه نخــبة مــن العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٨ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

ولديـــنا رسالة أخرى من العصر نفسه ، كتبتها إحدى سيدات الحريم الملكى فـــى الفيوم إلى الملك سيتى الثانى تخبره فيها بنجاحها فى تثقيف وتدريب جماعة من الفتـــيان الأجانب عهد بهم إليها ، وأغلب الظن أنه لو لم تكن هذه السيدة على درجة مـــن العلـــم والمعـــرفة بالفعل لما عهد إليها بتثقيف أولئك الفتية الأجانب باسم البلاط الملكـــى (١) . وهـــناك أيضـــا امـــرأة شاركت زوجها فيما يقرأه ويكتبه (٢) ، وهناك مجموعـــة من النصوص التى كتبها بعض المثقفين ، وتقص علينا تواريخ حياتهم أو بمعـــنى آخـــر تـــراجمهم الشخصية ما قاموا به من جليل الأعمال . وعثر على هذه النصـــوص مسجلة على جدران مقابرهم أو كتبت على لوحاتهم أو تماثيلهم ، أو على برديات تركوها لنا . وهى تنسب إلى أصحابها معارف متعددة وثقافة عامة . فهى قد تجعـــل صـــاحبها على سبيل المثال قائدا عسكريا ، وذا خبرة فى بيت المال وشئون الخـــزانة ، ومشـــرفا على مشاريع معمارية كبيرة ، وكاهنا فى معبد أو فى أكثر من معـــبد . وتنســـب إلـــيه المهـــارة فى الكتابة وبلاغة الحديث ، والدراية فى الحساب والإدارة ، والمعـــرفة بالطقوس الدينية (٣) . وقد يكون فى مثل هذه النصوص بعض المـــبالغة ، ولكنها فى مجملها كانت تعبر عن واقع صاحبها ومعرفته وثقافته ، ولدينا أمـــثلة عديدة من هذه الشخصيات منذ عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة وبعدهـــا ، وتحدثـــنا عـــن بعضهم فى فصل الأدب ، عند الحديث عن أدب التراجم الشخصية .

وتطلبـــت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من ثقافة القلم والفكر ، وتـــرجع أصول الجمع بين الثقافة العسكرية والثقافة العامة إلى الدولة القديمة ، التى جمـــع بعـــض قادتها بين لقب القائد ولقب الكاتب فى آن واحد . واستمر هذا التقليد

----

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٤ .

خــلال عصـــر الدولة الوسطى ، ثم زاد فى عصر الدولة الحديثة . وصور جوانب الـــثقافة العامة لبعض قواد الجيش فى عصر الدولة الحديثة حوار دار بين شابين من شـــباب الجيش فى عصر الرعامسة ، وهما حورى وامنمؤبت (١) . وقد تلقب الأول بلقـــب " الضابط مربى خيول الملك " ، ولقب " معلم المساعدين فى ديوان الكتابة " . وحـــرص على الافتخار باللقبين وبثقافته العسكرية والكتابية ، وتلقب زميله امنمؤبت بلقـــب " كاتـــب الأوامر الملكية للجيش المظفر " ولقب " ماهر " وهو لقب من اصل آســـيوى تلقـــب به الضباط المصريون الذين كانوا يقومون بمهام رسمية فى أراضى ســـورية وفلسطين (٢) . وراسل كل من الشابين زميله وحاوره . وبدأ حوارهما رقيقا ليـــنا ، ولكنه انقلب بعد ذلك إلى هجاء شديد وتهكم لاذع . وتعمد كل منهما أن يبين لزمـــيله فـــى رســـائله ما يعرفه وسعة ثقافته . وأراد حورى أن يتهكم من زميله ، فافترض فيه ثقافة عسكرية كاملة ، وبدأ يحاوره على هذا الاعتبار . وأخذ يسأله عن الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب والحجوم مثال ذلك مقـــدار المؤنـــة اللازمة لفرقة من المحاربين ، وما عدد الأحجار اللازمة لبناء سور معـــروفة أبعـــاده ، وعدد الرجال المطلوبين لنقل مسلة ، وكيفية إقامة تمثال ضخم ، وكيفية تنظيم حملة حربية ؟

وســـأله أيضـــا أسئلة تتعلق بجغرافية البلاد وأسماء بعض المدن الداخلية ، وسأله عن شهرتها ومنتجاتها . ثم كان من أمتع ما سأله عنه هو مدى معرفة الضابط المثقف بظروف البلاد الأجنبية مثل سوريا ، إلى كان يتعين على الضابط أن يجوس خلالهـــا ويعمـــل فيها أحيانا ، فسأله أين تقع بعض المدن الهامة فى سوريا وما هى خصائصها العامة وتضاريس أنهارها وأطوالها . (٣)

---

(١) أنظـــر بردية انستاسى رقم١ بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٢٤٧ ، راجع :
James, An Introduction toAncient Egypt, p. 117.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٥ .

(٣) وأيضـــا : James, op. cit., p. 117 .
ألفـــه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٥ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ – ٣٥٥ .

كما ظهر من طبقة عامة الناس من يحب الثقافة ويعشقها ، ويتمثل ذلك فى قصة القروى الفصيح الذى عاش فى الأسرة العاشرة ، وكتب تسع شكاوى أو فقرات يعـــبر فـــيها عما وقع عليه من ظلم واضطهاد ، وهو ينادى فى هذه الفقرات بالعدالة والحـــق . وهـــى تحتوى على كلمات قوية وتعبيرات جميلة وصور وتشبيهات نادرة وأســـلوب شائق . مما يدل على أن كاتبها كان على درجة كبيرة من فهم لقواعد اللغة ونحوها . لدرجة أن كبير أمناء القصر الملكى الذى رفعت إليه هذه الشكاوى أعجب بفصاحة القروى وقرر أن يعرضها بنفسه على الملك لكى يبين له أن من بين رعيته قـــرويا فصـــيحا يجيد التعبير . وانتهز الملك الفرصة وطلب من معاونيه أن يتركوه يتكلم حتى ينتهى من شكاياته على أن تسجل كل أحاديثه .

وخـــرج مـــن طبقة عشاق الثقافة طبقة أخرى من كبار المثقفين ، منهم من تـــدرج فى الوظائف الحكومية وأصبح من كبار رجال الدولة ومنهم من اصبح وزيرا أو موظفـــا إداريـــا كبـــيرا ، أو مهندسا معماريا معروفا ، أو رئيسا للكهنة أو كاتبا مشـــهورا . وأصـــبحوا جمـــيعا من أصحاب التعاليم والحكم والأمثال وأصبحوا هم وبعض الملوك من أعلام الثقافة فى مصر القديمة .

وقـــد ترك لنا هؤلاء الأعلام مجموعة من النصائح والوصايا هى من أدب التعالـــيم وهـــى تعكس صورا صادقة عن حياة من كتبوها أو سجلت على لسانهم ، وتعبر عن تجاربهم الطويلة فى الحياة ، ورأوا أنه من الحكمة أن تدون هذه النصائح والوصـــايا لما فيها من فائدة لأبنائهم أولا وما يفيد النشئ من أبناء وطنهم بعد ذلك . لكى يتعرف عليها النشئ يلتمسون فيها منفعة تفيدهم فى علاقاتهم بأفراد أسرهم وفى حـــياتهم العملية ومستقبلهم مع رؤسائهم ومرءوسيهم والمحيطين بهم ، وما يكفل لهم العـــيش دائما فى رضى المعبودات ، كما أن هذه التعاليم تحثهم على المحافظة على تقاليد المجتمع واحترام قوانين الدولة .

وركـــز المعلمـــون أو المربون فى اختيارهم لفقرات من هذه التعاليم على العبارات التى حث فيها الآباء الأبناء على اتباع السلوك القويم واتباع الآداب العامة . وترك بعض الملوك المثقفين مجموعة من هذه التعاليم كانت موجهة لأولادهم ، كتبت

بــأبلغ العــبارات ويجمــع فيها الملوك تجاربهم فى شئون الحكم والسياسة ونجد فيها الكثير من آداب السلوك ، ومنها :

ما كتبه خيتى الثالث (أو الرابع) لولده مريكارع من تعاليم :

وصف فيها خلاصة تجاربه فى السياسة الداخلية بأسلوب بسيط واضح مما يدل على أن الملك نفسه كان صاحب كلمات هذه التعاليم وها هو يقول بالنسبة لتأثير المتعلم أو المثقف على الناس : " استخدم اللباقة فى كلماتك ، إذا كنت تريد أن تصل إلــى أغراضــك لأنه بالنسبة للملك ، اللسان مثل السيف ، والكلمة أكثر قوة من كل الأسلحة ، ولا أحد يستطيع أن يخدع خطيب ماهر " . (١)

" ومن هو متكبر يسعى لنهايته ، ولا تكن قاسيا ، وتحكم فى نفسك فهذا شئ حسن ، وشيد لنفسك أثرا خالدا بحب رعاياك ".

ما كتبه امنمحات الأول لأبنه سنوسرت الأول من تعاليم :

وصــف فــيها المؤامــرة التى تعرض لها ، ودعاه إلى الحذر وألا يثق فى أعوانه كثيرا فمن أكل طعامه هو الذى ثار ضده ومن مد له يده هو إلى دبر المؤامرة ضــده . وحكى له كل ذلك بأسلوب مؤثر جميل ينم عن ثقافة عامة واسعة (٢) . ومن أعلام الثقافة نذكر بعضهم حسب الترتيب التاريخى :

- ماكتبه ايمحوتب ، مهندس الملك جسر (٢٧٨٠ ق.م) الذى تنسب إليه المصادر الأدبية أنه كان صاحب تعاليم وألف العديد من الكتب ، ولكن كل هذه المؤلفات لم يعــثر عليها ، ولا نعرف أين هى . لذلك ينثر الكتبة بعض النقاط من الماء قبل البدء فى كتاباتهم وذلك وفاءا لذكراه . وكان أيضا موضوع تكريم التلاميذ .

---

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٢٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

وتأتى بعد ذلك مجموعة أخرى ذكرنا أغلبها فى الفصل الخاص بالأدب :

- ما كتبه والد كايجمني كا ارس والذى ترجع تعاليمه إلى عام ٢٧٢٣ ق.م .
- ما كتبه الوزير بتاح حتب وترجع تعاليمه إلى عام ٢٥٦٣ ق.م .
- ما كتبه خيتي بن دواواف ، وكان مثقفا من عامة الناس وترجع تعاليمه إلى عام ٢٠٠٠ ق.م تقريبا .
- مـــا كتـــبه خع خبر رع سنب الذى كان كاهنا وأديبا من ايونو عام ١٨٧٨ ق.م تقريبا .
- مـــا كتبه أمنحتب بن حابو مهندس الملك أمنحتب الثالث عام ١٤٠٨ ق.م ، وكان معروفا طوال حياته بالحكمة وللأسف لم يصلنا أى شئ من حكمه وتعاليمه .
- ما كتبه آني الذى كان كاتبا فى عهد رمسيس الثانى ١٢٩٨ ق.م .
- ما كتبه امنمؤبت الذى كان رئيسا لشون الحبوب فى أبيدوس فى القرن العاشر أو التاسع ق.م (؟) .
- أخيرا ما كتبه عنخ شاشنقي الذى كان كاهنا فى ايونو فى القرن الأول ق.م .

وكما كان هؤلاء الأعلام محل تقدير كبير فى حياتهم من عامة المثقفين ومن عامة الشعب ، كانت ذكراهم محل تكريم أيضا بعد وفاتهم ، وأصبحت أعمالهم وكل مـــا كتبوه تراثا أدبيا تهذيبيا وتعليميا خالدا تتناقله وتسجله وتعيد نسخه أجيال المثقفين كبارهم وصغارهم فى دور العلم والمراكز الثقافية المختلفة لمدة مئات السنين .

وها هو بتاح حتب يقول عنهم :

" أن ذكراهم لتجرى على ألسنة الناس ، لأن أقوالهم سديدة ، كل كلمة منها تـــراث ، لا تذهـــب واحـــدة منها سدى على هذه الأرض "[1] . وقد جاء فى إحدى

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ حاشية (٣) .

الـــبرديات ، ما يدل على مدى تقدير المصريين للكتبة وأصحاب التعاليم والحكم حين تذكر عن أعمالهم :

" انهـــم لـــم يقيموا لأنفسهم أهراما من النحاس أو لوحات من المعدن ، ولم يـــتركوا أولادا كورثـــة لكى ينطقوا أسماءهم ، بل جعلوا ورثتهم تلك الكتابات وكتب التعاليم التى تركوها أكواما ... إن كتب الحكمة هى أهرامهم والعلم هو ابنهم ... وإذا كـــانوا (هـــم) قد ذهبوا فإن أسماءهم ما زالت تذكر فى كتبهم وسوف تبقى ذكراهم (خالدة) إلى الأبد ".(١)

وكان منهم من يصف الحكماء ، فيقول :

" أولئك الكتاب العلماء ... ، الذين خلدت أسماؤهم ، والذين اعتبروا الكتاب كاهـــنهم المرتل ، ولوح الكتابة ابنهم المحبوب ، وجعلوا كتب التعاليم هرمهم ، وقلم الغاب ولدهم ، وسطح الحجر (للكتابة) زوجتهم ".(٢)

ويقال أيضا :

" والذين قامت كتبهم مقام المقاصير والأهرام فى ترديد أسمائهم " .

" وبهذا أصبح الكبير والصغير (من الناس) ابتاعا لهم ".(٣)

وكـــان الكتبة الصغار ينثرون بعض النقاط من الماء قبل البدء فى كتاباتهم وذلـــك وفاءا وترحما على ذكرى هؤلاء الكتاب الكبار (٤) . كما كانت تشيد لبعضهم

---

(١) جاء هذا النص على بردية شستر بيتى رقم ٤ ، بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٦٨٤ ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 96.
وأيضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٤٣ – ٣٤٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨١ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٤) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٤٥ .

المقاصـــير وفـــاءا لذكراهم أو تقام لهم التماثيل يمثلونهم جالسين فى وضع الكاتب أو تـــنقش صـــورهم على جدران المعابد الكبرى نظرا لمكانتهم الرفيعة . وكان من بين الذين نعموا بهذه التكريمات بعد وفاتهم ايمحوتب (١) وامنحتب بن حابو (٢) .

---

(١) مثل المقاصير التى شيدت لايمحوتب فى الدير البحرى وفيله .

(٢) وهـــناك نص كتب بالهيراطيقية من عصر الأسرة الحادية والعشرين على لوحة بالمتحف البريطانى ، يحدثنا عن تخصيص مقصورة لشخص أمنحتب بن حابو ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 90 Fig. 31.

الباب الثانى عشر

مظاهر الحضارة المصرية القديمة
وانعكاساتها وتأثيرها فى مجال العلاقات الخارجية

مقدمة :

كـــان للمظاهـــر الحضارية المتعددة التى حققها الإنسان المصرى القديم ، بغض النظر عن الأهمية التى احتلها كل مظهر داخل هذا الإطار الحضارى ، سواء أكـــان ذلـــك يخص نظم الحكم والإدارة ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، والعقـــائد الدينية ، والحياة الثقافية ، والحياة العلمية ، والحياة الفنية ، وأساليب التربية ونظم التعليم ، أثرها فى مجالات العلاقات الخارجية وسياسة مصر الخارجية بالدول المحـــيطة بها أو البعيدة عنها فى بلاد الشرق الأدنى القديم : مثل بلاد فارس ، بلاد النهريـــن (ســـانجار = بابل) ، ميتانى (نهارينا)، الأناضول (خيتا)، بلاد الشام (رتـــنو العلـــيا والســـفلى)، فلســـطين (خارو)، شبه الجزيرة العربية، واليمن ، والشعوب والقبائل التى كانت تعيش فى الغرب فى الصحراء الغربية والواحات وفى شـــمال أفريقـــيا . والشـــعوب القبائل والممالك التى كانت تعيش فى الجنوب : النوبة الســـفلى أى واوات من جنوب أسوان حتى الجندل الثانى والنوبة العليا أى كوش ذلك الاسم الذى كان يطلق على المنطقة جنوب الجندل الثانى حتى الجندل السادس، وكذلك المـــناطق الأخـــرى من أفريقيا ، وأخيرا علاقاتها ببعض الشعوب والإمبراطوريات والممـــالك فى الشمال : مثل الشعوب التى أطلقت عليهم النصوص المصرية أسماء : الحاونـــبوت ، بلاد كفتيو ، الجزر التى تقع فى وسط الأخضر العظيم ومنوس واسى (قبرص) وبلاد اليونان بوجه عام واسبرطه وليديا فى الشمال الشرقى .

وكمـــا أثرت بعض هذه المظاهر الحضارية فى شعوب هذه البلاد والمناطق فقــد تأثرت الحضارة المصرية بدورها بحضارات هذه الشعوب . ولكن مجال تأثرها كان أقل فهى لم تأخذ من معالم هذه الحضارات إلا القليل ويجب القول بأن الحضارة المصـــرية لم تؤثر بكل مظاهرها الثمانية التى ذكرناها فى كل شعوب هذه المناطق ، ولكـــن قـــد يظهر هذا التأثير الحضارى واضحا فى مظهر واحد فى بلد معين أو فى مظهرين فى بلد آخر أو فى أكثر من مظهر حضارى فى بلد ثالث .

وفي الواقع أن هذا التأثير أو التأثر الحضاري كان يخضع لعاملين أساسيين هما :

١- طبـــيعة السياســـة الخارجـــية التى اتبعها بعض ملوك مصر القديمة تجاه الدول والشـــعوب المجـــاورة لحـــدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية والشعوب في المـــناطق والـــبلاد المطلة علي شواطئ البحر المتوسط في الشمال . فأحيانا هى علاقات قائمة على حسن الجوار وما يترتب على ذلك من تأثير وتأثر حضارى متـــبادل ، أو علاقات يشوبها التوتر والصراع وما ينتج عن ذلك من فتح وغزو واحتلال قد يكون له تأثيره السلبى أو الايجابى على بعض المظاهر الحضارية .

٢- الفـــترة الزمنـــية التي حدث فيها هذا الاتصال أو التأثير الحضاري ، فمصر لم تتصل بكل هذه الدول والشعوب منذ بداية تاريخها ، ولكن يمكن القول بأن الدول والشعوب المجاورة لحدودها الشرقية والغربية والجنوبية مباشرة كان لها اتصال بمصـــر بصـــفة دائمـــة مـــنذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت هذه الاتصالات بأشـــكالها المخـــتلفة حـــتى نهايـــة تاريخ الأسرات الوطنية القديمة . أما الدول والشـــعوب الأخـــرى البعيدة إلى حد ما عن حدودها الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية فلم تتصل مصر بهم أو يتصلوا بها إلا فى فترات معينة أو على فترات متقطعة طوال تاريخها القديم .

لقـــد عاشت مصر فترات استقرار وازدهار فى تاريخها السياسى القديم ، كمـــا عاشـــت فترات ضعف واضطرابات فى الداخل فى بعض عصورها ، وعانت كذلـــك مـــن فترات الاحتلال الأجنبى . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فأن تأثيرها

الحضـــاري ظل قويا ومؤثرا على كل من اتصل بها من قريب أو بعيد ، سواء أكان هذا الاتصال مباشرا أو غير مباشر .

فكانـــت مصـــر من أهم المراكز الحضارية فيما يسمى بالعالم القديم ، فقد انبعثـــت حضارتها من مقومات بيئتها ونمت على ثراها وتطورت على مر العصور بفضـــل مجهـــودات أبنائها ، لذلك تعتبر الحضارة المصرية القديمة أكثر الحضارات اكتمالا فى كثير من المجالات الحضارية وفى أكثر من مظهر .

ونظـــرا لموقع مصر المتوسط بين قارتى آسيا وأفريقيا ، فأصبحت منطقة جذب أو مطمع لشعوب الشرق والغرب والجنوب والشمال خلال عصورها التاريخية الطويلة القديمة ، وجاءتها هذه الشعوب تحت صور مختلفة :

- فجاءهـــا المســـالم الباحث عن مورد رزق وموطن استقرار فى ربوعها ودخلها بالطـــرق الشـــرعية وفضل الإقامة فيها ولم يغادرها وعاش تحت سمائها وعلى ثراها ونعم بخيراتها مع أبنائها فى خير وسلام .
- وجاءها السفير والمبعوث الرسمي والصديق باحثا عن إقامة علاقات ود وصداقة مـــع ملوكهـــا ، كمـــا جاءتهـــا الوفود الرسمية حاملين هداياهم ومنتجات بلادهم وزارت عواصمها الكبرى ومدنها المقدسة .
- وجاءها الزائر والرحالة والمؤرخ باحثا عما يشبع فضوله فى ربوعها .
- وجاءها المتعطش للعلم والمعرفة فى مدارسها ومعابدها .

فكان للحضارة المصرية القديمة تأثيرها الثقافى المباشر على شعوب البلاد المحـــيطة بها ، فكانت مثل الشعلة الوضاءة التى تضفى من نور العلم والمعرفة على كـــل من يجاورها أو يتصل بها من قريب أو بعيد . ونحن لا ننتقص من قدرة وذكاء شعوب الحضارات الأخرى المجاورة ، ولا ننكر فضلهم أيضا وما أضافوه فى مجال المعارف المختلفة فى الحضارة المصرية .[١]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٢٠ .

وإذا كانـــت مصر قد أخذت القلة القليلة من الحضارات الأخرى ، فإنها فى مقـــابل ذلـــك أعطـــت الكثـــير لأن تأثيرها الحضارى ظل قويا ومؤثرا على البلاد المجاورة .

حتى فى عصور الاحتلال الأجنبى لمصر فى أواخر عصورها التاريخية ، ونقصــــد بذلك أسرات الملوك البطالمة والرومان ، نجد أن الإسكندرية كانت من اهم مـــدن الـــبحر المتوســـط ، وأهم مراكز العلم ، وكانت مكتبتها وعلماؤها مقصد كل متعطش للعلم من جميع البلاد فى العالم القديم فى ذلك العصر .(١)

وهـــذا جـــزء مـــن رسالة مصر الحضارية على من يعيشون من حولها أو جاءوا إليها فقد بقى العامل الثقافى هو العامل المؤثر والفعال والدائم فى الشعوب التى تحيط بها والتى اتصلت بها وجاءت إليها .

- وجاءها التاجر الذى كان يسعى للكسب المشروع وفتح أسواق جديدة .
- وجاءها المرتزقة للعمل بجيشها .
- وجاءها المريض باحثا عن العلاج والشفاء .
- وجاءها الأسير الذى ساقته الأقدار إليها .
- وأخـــيرا جاءهـــا بعـــض الأنبياء والرسل من بلاد الشرق الأدنى القديم يبلغون رســـالات ربهم ومما لا شك فيه ان ما نادوا به كان له تأثير عميق فى معتقدات بعض المصرين القدماء .
- وجاءها الطامع فى خيراتها الذى لم يتوقف عن إثارة الاضطرابات على حدودها ومـــا وراءها حدودها ، ولما نجح فى غزوها كان يأمل الاستقرار فيها إلى الأبد ولكـــن هذا لم يتحقق ، فكانت مصر بموقعها وبخيراتها وبحضارتها أكثر الدول مـــن منطقتها عرضة للغزو وطمع الطامعين . وذلك نظرا لأهميتها وحضارتها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦١٨ .

ومـــا تمـــثله من ثقل ثقافى ، وهذه هى الضريبة التى كان على مصر أن تدفعها للحاقدين والطامعين فيها وفى خيراتها . وحتى هذا الحاقد أو الطامع عندما دخلها تأثــر بحضـــارتها ولــم يؤثــر فـــيها ، وحـــتى عندما ظهرت القوى الكبرى والإمبراطوريات فى آسيا وغزت مصر فى فترات ضعفها السياسى وجدت نفسها أمام حضارة عريقة ومتقدمة ، فتأثرت بها كثيرا .

- كمـــا خـــرج المصـــريون القدماء أنفسهم على مختلف طوائفهم ووظائفهم خارج حدودهــم لكى ينشروا ديانتهم ومعتقداتهم وألوان العلوم والمعارف التى اكتسبوها ولكـــى يقيموا علاقات دبلوماسية وتجارية معه البلاد المجاورة أو لكى يساهموا بخبراتهم فى البناء الحضارى فى مختلف هذه الدول .

وأى كانت صور هذه العلاقات أو الاتصالات (من قريب أو بعيد) فيمكن القول بأن الحضارة المصرية القديمة بمظاهرها الثمانية قد أثرت ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فى حضارات الشعوب فى الشرق والغرب والجنوب والشمال .

وإذا نظـــرنا إلى كل مظهر حضارى على حده لمعرفة إلى أى مدى أثرت الحضـــارة المصـــرية فـــى الشـــعوب المجاورة والبعيدة وتأثرت بهم فى مظاهرها الحضارية الثمانية، نقول :

أولا – بالنســبة لأســاليب الحكــم والنظم الإدارية وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى فى الشرق والغرب والجنوب والشمال :

نقـــول أن مـــا يهمنا فى هذه النظم هو السياسة الخارجية التى اتبعها ملوك مصـــر القديمـــة وطبـــيعة علاقـــات مصر بالدول المحيطة بها فى الشرق والغرب والجنوب والشمال منذ أقدم العصور .

ففـــى بـــلاد الشرق القديم اتخذت هذه العلاقات الخارجية صورا ثلاثة بين مصـــر وسوريا وفلسطين ، فهى علاقات ود وصداقة ، أو علاقة ترابط ومصاهرة ، أو علاقة يسودها طابع التوتر والعنف والحملات العسكرية .

(أ) وأول دليل يقابلنا ويمكن الاستناد عليه فى الحديث عن وجود علاقات ود وصداقة بين مصر وجبيل ، هو عبارة عن قطعة من الحجر عثر عليها فى جبيل وعليها اسم الملك خع سخموى آخر ملوك الأسرة الثانية . ويذكر د. الناضورى أن هذا الأثر يدل على اتساع دائرة الصلات الخارجية وازدياد نشاطها نسبيا نظرا لازدياد أعباء الحياة ومتطلباتها (١) . وعثر أيضا على آثار تحمل اسم خوفو والملكة مريت أيت اس وخفرع ومنكاورع (٢) . وعثر على بعض آثار لملوك الأسرة السادسة فى جبيل ، فقد عثر على اسم الملك بيبى الأول منقوشا على جزء من إناء لهذا الملك . (٣)

كما عثر على شقف بعض الأوانى والتى تحمل اسم الملك بيبى الثانى ، ويبدو أن هذه الآثار تمثل جزءا من الهدايا التى بعث بها بعض ملوك الأسرة السادسة إلى أمراء جبيل ، ربما كان يحملها رؤساء البعثات البحرية التى كان يرسلها هؤلاء الملوك إلى فينيقيا (٤) . وعلى الرغم من استمرار إرسال بعثات التعدين إلى سيناء خلال الدولة الوسطى ، والتى كانت تصحبها أحيانا وحدات عسكرية ، إلا أنه يلاحظ عدم وجود مناظر يظهر فيها الملك وهو يقوم بتأديب أحد رؤساء البدو . بل على العكس كان الآسيويون من سيناء أو البلاد المجاورة غالبا ما كانوا يرافقون البعثات المصرية ، وكان بعض رؤساء البدو واتباعهم ينضمون للعمل ضمن أفراد البعثات المصرية .(٥)

فعلى مسلة صغيرة من الحجر الرملى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٠٢ (٦٩٣) . وقد نقشت من جوانب ثلاثة فقط ، ونقش عليها

---

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

(٢) Montet, Byblos, p. 68 (45), 74.

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

ثلاثـــة أسماء أجنبية من رتنو . ويرى شرنى أن هؤلاء الثلاثة قد اشتركوا فى رفع المسلة وأن أسماءهم ليست مصرية . (١)

وهـــناك نقـــش آخر عن أربع بعثات ذهبت إلى سيناء فى عهد الملك امنمحات الثالث ، وقد ورد فى السطر الثلاثين من هذا النقش أن ثلاثين آسيويا اشتركوا مع هذه البعثات للتعدين ، ويظهر فى أعلى هذا النقش " خبدد " شقيق أمـــير رتنو راكبا حمارا ، وأمامه رجل يقود الحمار ومن الخلف شخص آخر هو نجل " خبدد " .(٢)

ومـــن عصـــر الملك امنمحات الثالث أيضا نقش فى سرابية الخادم يدل على أن عشرة آسيويين من رتنو كانوا ضمن أفراد بعثة بلغ عددها ٢٠٩ رجـــلا (٣) . وفى سرابيه الخادم كذلك بقايا منظر يرجع إلى عهد الملك نفسه يمـــثل رجـــلا يمتطى حمارا يقتاده رجل من الأمام ويسوقه غلام من الخلف . وفوق المنظر عبارة " ستة من رتنو " .

ولديـــنا مـــن سرابيه الخادم منظرا آخر لآسيوى يمتطى حمارا ويقتاده رجـــل يحمـــل رمحا على كتفه الأيسر كذلك ، والراكب فى يده اليسرى بلطة وفـــى يده اليمنى عصا قصيرة يحث بها الحمار على السير (٤) . وتمثيل هذين الشخصين هكذا يدل على أنهما كانا يعاونان أعضاء بعثات التعدين المصرية . وان أعـــداد منهم خدمت ضمن أفراد البعثات . مما يجعلنا نفترض وجود نوع من التقارب بين المصريين وبعض العناصر الآسيوية . ولدينا من عهد الملك امنمحات الرابع نقش بسرابية الخادم نعرف منه أن ذلك الملك قام بإرسال بعثة إلى شبه جزيرة سيناء ، وذلك فى العام السادس من حكمه ضمت ٢٠٠ عاملا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ – ٩٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٩٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

لقطع الأحجار و٢٠ خادما و٣٠ فلاحا و٢٠ رجلا من رتنو . ويبدو أن الآسـيويين الذيـن اشتركوا فى هذه الحملة قد اشتركوا فيها كخبراء لمعرفتهم الجيدة بالمنطقة وكوسطاء للاتصال بالسكان المحليين من البدو .[١]

ومـن قصـة سنوهى نعلم أنه أوشك على الموت ظمأ فى صحراء سـيناء ولكـن أحد البدو تعرف عليه فمنحه ماء أو لبنا مطبوخا وصحبه إلى قبيلته وعامله بالحسنى حتى وصل إلى جبيل وتعرف على أحد رؤساء القبائل الـبدو وحكى لرئيس القبيلة قصته ، فرحب به الرجل وزوجه من كبرى بناته ووهـبه أرضا وقطعانا من الماشية . وبعد سنين طويلة أخذ الحنين إلى وطنه يهـز شـهوره ، وتـاق إلى أن يدفن بأرض مصر فاستجاب الملك سنوسرت الأول لطلـبه [٢] . مما يدل على روح المودة إلى كانت تسود بين المصريين وبعض الحكام فى سوريا وفلسطين .

ومـن ناحـية أخـرى نشأت علاقات ودية بين ملوك الدولة الوسطى وأمـراء شرق البحر المتوسط ، فكان الملوك وبعض أفراد أسرهم ، وبعض رجـال الـبلاط يرسلون الهدايا إلى أمراء سورية . وكانت هذه الهدايا كافية لكسـب شئ من الصداقة فى تلك الدويلات الصغيرة فى آسيا ، فقد عثر على آثـار مصرية فى فلسطين وسوريا ، والتى جاءت إليها كهدايا ملكية [٣] . فقد عـثر فـى بيسان على جعل من الاماتيست يحمل اسم الملك سنوسرت الأول وفـى منطقة تل الدوير عثر على جعل من الحجر عليه اسم الملك نفسه ، كما عـثر علـى جعـل ثالـث فى تل العجول وعليه خرطوس للملك سنوسرت الأول .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩ – ١١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

ومن ناحية أخرى عثر فى قطنة شمالى حمص على تمثال صغير للأميرة عــتا ابنة الملك امنمحات الثانى وهو أقدم تمثال معروف من نوعه يمثل سيدة مصـــرية فـــى هيئة أبو الهول [١] . كما عثر فى منطقة الطود من عصر هذا الملــك علـــى بعض الآثار فى ودائع الأساس وهى عبارة عن أربعة صناديق مصـــنوعة مـــن الـــبرونز وبداخلهـــا أوانى ذهبية وفضية ذات طراز سورى وايجـــى [٢] . وفى اوجاريت (رأس الشمرا) عثر على تمثال نصفى لزوجة سنوسرت الثانى ، وكانت تدعى خنمت – نفر حجت .[٣]

وعـــثر فـــى رأس الشمرا أيضا على تمثال للوزير سنوسرت – عنخ يمثله هو وزوجته وأمه وابنته (سات آمون) ، والذى كان فيما يبدو موفدا من قـــبل الحكومـــة المصـــرية ، فـــى مأمورية فى جبيل وذهب إلى هناك ممثلا للحكومـــة المصـــرية كما يتضح من النص الذى تركه على تمثاله " المبعوث الـــذى يرضـــى الملك فى سورية وفى مصر " وعاش هناك فترة هو وأسرته ولهذا ترك هذا التمثال ضمن آثار المعبد هناك أو أنه أعطاه كهدية ليوضع بين تماثيل المعبودات الفينيقية المحلية .[٤]

ومـــن عهـــد سنوسرت الثانى نجد حاكم إقليم الوعل خنوم حتب الثانى صـــاحب المقـــبرة رقـــم ٣ فى بنى حسن ، يسجل على جدرانها من الناحية الشمالية وصول جماعة من الآسيويين فى السنة السادسة من حكم هذا الملك . ويبلغ عددهم سبعة وثلاثين شخصا ، وعلى رأسهم زعيمهم ابشاى ، والمنظر يوحـــى لـــنا بما يشبه هجرة جماعية لهذه القبيلة إذ نجدهم قد أحضروا معهم

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٣ – ١١٤ لوحة ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ ، ١١٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٣ – ١١٨ لوحة ٢٢ ، ص ١٢٢ .

نساءهم وأطفالهم [١] . ولم يكن تمثيل هذه الجماعة فى تلك المقبرة لإظهار أن الهـدف من مجيئها كان بسبب التجارة أو أنهم كانوا مارين بإقليم الوعل بحثا عن مناطق أخرى للاستقرار فى سبيل العيش ، بل نعتقد أن سبب مجيئها كان للاستقرار بالفعل فى إقليم الوعل ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) أنهم جاءوا ومعهم نسائهم وأطفالهم مما يشير لإقامة دائمة .

(٢) أنهم يرتدون جميعا الملابس الفاخرة ذات الألوان المتعددة .

(٣) كـان الـرجال يطلقـون لحاهم ومسلحين بالأقواس والسهام ربما لحماية أنفسهم أثناء عبورهم من جنوب فلسطين من التعرض لأى هجوم من بنى جنسهم أو قبائل أخرى على الحدود الشرقية لمصر .

(٤) نرى فى بداية المنظر رجلين يسوق الأول وعلا والآخر يمسك وعلا آخر مـن قرنـيه ، ممـا يدل على أنهم أحضروا بضاعة محببة إلى أهل هذا الإقلـيم الـذى اتخـذ الوعل رمزا له ، وهو حيوان كان منتشرا فى هذه المنطقة .

(٥) أن ما تحمله دوابهم كانت عبارة عن منتجات هدية لحاكم الإقليم .

(٦) إن خـنوم حتب الثانى نفسه كان فى استقبال هذه الجماعة ، وتمثيلهم فى مقبرته هو بالذات يدل على أنه كان مكلفا من قبل الملك باستقبالهم وربما كـان فـى هـذا جزءا من تنفيذ سياسة الملك سنوسرت الثانى فى حسن معاملـة رؤساء القبائل التى كانت تسكن الصحراء الشرقية وذلك لضمان صداقتهم ومساعدتهم .

---

(١) المـرجع السابق ، ص ١١٨ – ١٢٠ لوحة ٢٣ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٢٩ حاشية (١) .

(٧) أن تمثيلهم فى مقبرة خنوم حتب الثانى يدل على أنهم جاءوا لأداء مهمة معينة فى إقليم الوعل بناء على طلب خنوم حتب .

(٨) أخـيرا أن تمثـيلهم فـى هذه المقبرة يدل على الترحيب بإقامتهم فى هذا الإقليم أو ضواحيه .

ومـن شخصيات الدولة الوسطى ، نعرف شخصية تحوتى حتب الذى عاش أثناء حكم الملك سنوسرت الثالث وعثر له على تمثال نصفى فى مجدو . وقـد تساءل بعض العلماء عن سبب وجود هذا التمثال فى مجدو وخاصة وأن تحوتـى حتب كان كاهنا للمعبود تحوتى فى هرموبوليس فهل ذهب إلى هناك فى مأمورية رسمية مثل سنوسرت عنخ .(١)

ومـن المسـتعبد أن تكون إقامته هناك فى مجدو كانت بسبب علاقات تجارية وربما أن تحوتى حتب كان سفيرا لمصر هناك ، فوجود تمثال حتب فى مجدو وتمـثال سنوسـرت عـنخ فـى أوجاريـت يعطيـنا انطـباعا بقيام الملوك بتعييـن رجـال على مستوى المسئولية فى الخارج فى عصر الأسرة الثانية عشرة .

ومـن المحتمل ان العلاقات الطيبة بين مصر وجبيل قد نمت فى عهد الملـك امـنمحات الثالث إذ عثر له على صدرية فى جبيل باسمه تمثله وهو يـتغذى من البقرة حتحور . ويرى مونتيه أن هذه الصدرية الذهبية ، أرسلها ملـك مصـر كهدية من هداياه إلى أمراء جبيل ومن شدة اهتمامهم بمثل هذه الهدايـا قـاموا بإيداعها فى مقابرهم .(٢) كما عثر فى المقبرة نفسها التى عثر فـيها علـى تلك الصدرية على جعل فوق خاتم لموظف يدعى ايمحوتب كان يعمـل فى إعداد الجعة (٣) . ويبدو أيضا أن هذا الملك كان على علاقة طيبة

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ لوحة ٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

بأمـــير بيـــبلوس أبـــى شـــمو إذ أهداه الملك بآنية ذهبية جميلة عثر عليها فى مقبرته ، كما عثر على بعض الأدوات الصغيرة القيمة .(١)

وفى عصر الملك امنمحات الرابع استمرت العلاقات الطيبة بين مصر وجبيل إذ عثر فى مقبرة ابى شموا ابى أبن الأمير ابى شمو على صندوق من الـــزجاج المصـــقول والذهب . ويبدو أن الصندوق كان يحتوى على البخور وبداخل الصندوق كان يوجد عليه مطعمة بنقش يحمل اسم أمنمحات الرابع .(٢)

واستمرت هذه العلاقة الطيبة فى عصر الأسرة الثالثة عشرة ، إذ عثر علـــى نقـــش يتضمن قيام أمير جبيل " يناتن بن ريان " بتقديم فروض الطاعة والـــولاء للملـــك نفـــر حتـــب الأول مـــن ملـــوك الأسرة الثالثة عشرة (٣) .

ويذكر هيس أنه يوجد فى متحف بروكلين قطعة من ورق البردى دون على ظهرها قائمة طويلة بأسماء خدم آسيويين وعددهم خمسة وأربعون آسيويا مـــن الرجال والنساء والأطفال الحقوا بخدمة أحد الموظفين الكبار فى عصر الملك سبك حتب الثالث .(٤)

وفـــى عصـــر تحوتمس الثالث كان هناك نوع من العلاقات بين مصر والحيثيين ، ويبدو أنه كان هناك معاهدة بين تحوتمس الثالث وخوزياش الثانى والـــذى كان يحكم فى خيتا فيما بين عامى ١٤٧٠ – ١٤٦٠ ق.م . ومضمون هذه المعاهدة هو الموافقة على ترحيل عدد سكان مدينة كورو شتاما والتى تقع فى القطاع الشمالى الشرقى من مملكة خيتا إلى داخل الحدود المصرية (٥) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

ومــن عصــر أمنحتب الثاني نرى منظرا فى مقبرة نب آمون طبيب الملــك يمــثل أميرا آسيويا تصحبه زوجته ويتبعه خدمه الكثيرون ، جاء إلى مصر محملا بالهدايا لكى يعالج عند هذا الطبيب . واعتمد أمنحتب الثالث فى حكــم مــناطق نفوذه فى آسيا على صلته بملوك هذه البلاد فى الشرق . وكان يعــتقد أن تــبادل رسائل المودة بينه وبينهم وتبادل الهدايا والزواج من نبات الملــوك أو الأمــراء كان كافيا لكسب ولائهم . وعلى أية حال كان الأمن قد اســتتب فى أنحاء البلاد وفى مناطق النفوذ فى الشرق وتدفقت الجزية والهدايا إلــى مصر بانتظام وأصبحت خزائن الملك المصرى مليئة بالذهب والفضة ، وجــاءت الوفود والرسل إلى طيبة إلى أصبحت من العواصم الهامة فى العالم القديــم ، كــانوا يفدون إليها حاملين أفضل ما أنتجت بلادهم من ذهب وفضة ومعادن وأحجار كريمة ومصنوعات مختلفة .

وتعتــبر فترة حكم أمنحتب الثالث من فترات تطو العلاقات الدولية بين دول الشرق الأدنى القديم . ففى أقصى الشرق كانت هناك دويلة بابل التى دعم أمنحتــب الثالــث علاقاته بملوكها عن طريق الهدايا الذهبية التى كان يرسلها لهــم (١) . وإلى الشمال الشرقى كانت دولة ميتانى ولتوضيد علاقتها بمصر تزوج هذا الملك من ابنة الملك شوتارنا .

وإذا ألقينا نظرة على الرسائل التى كانت متبادلة بين أمنحتب الثالث وأمنحتــب الرابع (أخناتون) وملوك وأمراء غرب آسيا نستطيع أن نتعرف علــى طبــيعة العلاقــات الدولية فى هذا العصر ، ولا سيما وأنه عثر فى تل العمارنــة على نسخ من هذه الرسائل كتبت بالخط المسمارى ، وهو خط اللغة الأكديــة الــتى كانت مستخدمة كلغة دبلوماسية ، ويبلغ مجموع هذه الرسائل ٣٣٧ رســالة وهــى تبين حقيقة الأوضاع السياسية فى بلاد سوريا وفلسطين وبــابل وآشــور وميــتانى وخيــتا فى أواخر أيام أمنحتب الثالث وطيلة أيام

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

أمنحتب الرابع بل أن منها ما كان قد أرسل إلى سمنخ كارع خليفة أمنحتب الرابع .[١]

وتوضح لنا هذه الرسائل الكثير من أساليب المراسلات الدولية فى ذلك العصر . وتنقسم هذه الرسائل إلى مجموعتين منفصلتين :

الأولى : خطابات متبادلة بين ملوك مصر وأصدقائهم من ملوك وأمراء غرب آسيا .

الثانية : خطابات متبادلة بين البلاط المصرى والأمراء التابعين لمصر فى غرب آسيا .[١]

ففى المجموعة الأولى نجد خطابات تخص كاداشمان – انليل ملك بابل إلى اخناتون معبرا عن رغبته فى الحصول على الذهب .وكان أمنحتب الثالث يرسل إليه ثلاثين وزنا كل عام كهدية . وفى الواقع أن السياسة نفسها قد اتبعها أمنحتب الثالث مع توشراتا ملك ميتانى . وكتب هذا الخير بعد وفاة أمنحتب الثالث إلى ملكة مصر تى يطلب منها أن تستخدم نفوذها لدى العاهل الجديد (أمنحتب الرابع) لكى تستمر علاقة الصداقة بين البلدين .

وفى المجموعة الثانية خطابات ربعدى حاكم جبيل ومعها خطابات أخرى من حكام ارتبطت مصالحهم بدرجات متفاوتة ، بمصالحه . وكان يناصب ربعدى العداء عبد اشرتا وابنه عزيرو وحاكم امورو . وكان ربعدى يتهم أمير أمورو عبد اشرتا بأنه يسعى لتقويض النفوذ المصرى فى سوريا . وبدأت سلسلة المراسلات هذه فى عهد أمنحتب الثالث ، وكان ربعدى يحث الملك أمنحتب الثالث فيها على الدفاع عن الأخطار التى تتعرض لها جبيل ، وبينما كان الوضع فى جبيل مضطربا نجد أن أمير امورو عبد اشرتا يكتب خطابا إلى الملك امنحتب الثالث يدافع فيه عن نفسه وما نسب إليه .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

واستمرت هذه المراسلات بهذه الصيغة حية فى عصر أمنحتب الرابع وتعطينا هــذه الخطابات انطباعا بان إخناتون لم يكن مهملا للشئون وإنما كلما وصلته أخبار صحيحة ، قام على الفور بإرسال القوات اللازمة وهى عبارة عن قوات من حملة السهام .(١)

ومن أشكال تغير العلاقات من العداء إلى الصداقة ، المعاهدة التى وقعها الملك رمسيس الثانى وخاتوسيل ملك خيتا ويتضح من بنود هذه المعاهدة أن الطرفيــن قــد ســئما الحرب ورغبا فى حياة سلام بينهما وكذلك ليتفرغا لمقاومـــة شـــعوب البحر . وتضمنت بنود المعاهدة الدفاع المشترك والهجوم المشـــترك (٢) . وعادت المراسلات بين البلدين وتشير وثائق بوغاز كوى إلى التهنـــئة الـــتى كتبـــتها الـــزوجة الكـــبرى لرمسيس الثانى – نفرتارى – إلى بودوهيبات ملكة الحيثيين وتقول فيها :

" أننى فى سلام وارضى فى سلا وأننى اتمنى لك يا أختى السلام " .(٣)

وكان مرنبتاح وفيا لمعاهدة السلام هذه ، وعندما خربت هجرات شعوب الـــبحر أرض الحيثييـــن وشاعت المجاعة فيها ، قام مرنبتاح بإرسال شحنات كبيرة من الغلال عن طريق المراكب إلى بلاد خيتا . (٤)

فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة وفى تلك الأيام المضطربة التى عاشتها الـــبلاد تمكن شخص من اصل سورة اسمه ارسو من الوصول إلى العرش . وربمـــا كـــان ارسو هذا من زعماء الجنود المرتزقة الذين كانوا فى الجيش ، جمع حوله رجاله وحاول الاستيلاء على السلطة لمصلحته .(٥)

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ٢٠٦ – ٢١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ – ٢٢٥ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

(٤) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٧٠ .

(ب) وبالنســبة لعلاقات الترابط والمصاهرة ، فهى ترجع إلى عصر الدولة القديمة ففــى عهد الملك ساحورع من ملوك الأسرة الخامسة أرسلت بعثة بحرية إلى فينيقيا ، وصور الفنان جانب من هذه البعثة على جدران معبد الملك الجنائزى بــابى صـــير . وقــد ظهرت المراكب محملة بالرسل والخيرات والحيوانات وصور استقباله وحاشيته . لهذه البعثة عند عودتها . وكان من بين الشخصيات الــبارزة فوق ظهر المراكب شخصية المترجم الذى كان يؤدى دور السفير . ويــرى مونتــيه أن الغرض من هذه البعثة كان إحضار أميرة سورية لتكون زوجة لملك مصر . ويذهب إلى القول بأنها الملكة نفرت ويستند فى ذلك إلى ورود اســمها على جدران المعبد وإلى مظاهر الاحتفال التى تبدو عند رحيل الأســطول وكذا عند عودته . ويذكر د. صالح أنه إذا صح هذا الظن فإن ذلك يعــد أقــدم دليل على اتخاذ المصاهرات سبيلا إلى تدعيم العلاقات بين الدول المــتجاورة وحكامهــا (١) . ويظهر على المراكب بعض السوريين ويبدو من مظهرهم أنهم جاءوا كأصدقاء .

ويقــال أن تحوتمس الثالث قد تزوج من ثلاث أميرات سوريات . وامتلأ قصـــر ابنه أمنحتب الثانى بجوارى آسيويات من أخوات الأمراء وبناتهم كما تشــير نصوص عهده ، وليس من المستبعد أن يكون قد تزوج واحدة منهن أو أكثر من واحدة . ولكن لم تصبح واحدة منهن زوجة رئيسية له .

ورأى الملــك تحوتمــس الــرابع أن خير روابط السلم المنشود مع دولة ميتانى هو رباط المصاهرة ، فخطب لنفسه ابنة ارتاتاما ملك الميتانيين ، وقيل أن آباها جادله فى مهرها عدة مرات رغبة فى زيادة نصيبه من الهدايا قبل أن يــزفها إلــيه . وجعــل تحوتمــس زوجته المتيانية ضمن زوجاته الرئيسيات فى قصره . وأعطى لها اسما مصريا هو موت أم ويا . وتزوج امنحتب الثالث

---

(١) د. عــبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ حاشية (٦٨) .

مـــن الأميرة الميتانية جيلوهيبا ابنة شوتارنا التى وصلت ومعها ثلثمائة وسبع عشر من حريم الشرف اختيروا من بين النساء الأكثر جمالا فى الحريم الملكى وتزوجـــت من الملك . ولكنها نحيت إلى الصف الثانى بواسطة الملكة تى فيما بعـــد . وقد تزوج الملك أيضا من إحدى الأميرات البابليات ، لذلك نجد أخاها الملـــك الـــبابلى " كاداشمان – انليل " يشكو من أنها اختفت بعد الزواج وهو يجهل ما إذا كانت على قيد الحياة .(١)

ومن بين الرسائل التى عثر عليها فى تل العمارنة ، رسالة من ملك بـــابل كاليماســـين الـــذى كتبت إلى الملك أمنحتب الثالث أن ابنته التى طلبها للزواج ، قد بلغت سن الرشد ، وانه سوف يرسلها له ، ويعلن أن كمية الذهب التى أرسلها إليه كانت ضئيلة .

تـــزوج إخناتون من زوجات أخريات من بينهن أميرة ميتانية تسمى تادوهيـــبا أبـــنة أخـــت جيلوهيبا التى تزوجت من أمنحتب الثالث وبعد توقيع معـــاهدة الســـلام بين رمسيس الثانى وخاتوسيل ملك خيتا بحوالى ثلاثة عشر عامـــا ، جاء الملك الحيثى خاتوسيل فى زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا معـــه ابنـــته لتصبح زوجة لملك مصر ، ولقبت هذه الأميرة بالاسم المصرى ماعت نفرو رع .

(ج) وبالنسبة للعلاقات التى يسودها طابع التوتر والعنف والحملات العسكرية تجاه بعض بلدان الشرق ، نقول أنه كان على ملوك مصر أن يتنبهوا لما يحدث من تحركات لقبائل البدو على الحدود الشرقية والتى كانت تطمع فى التسرب عبر الحـــدود للاستقرار فى البلاد أو تقوم بالاعتداء على حملات أو بعثات التعدين التى كان يرسلها الملوك منذ أقدم العصور إلى شبه جزيرة سيناء ، التى كانت تعـــد مصـــدرا هامـــا لبعض المواد الخام التى كان من أهمها معدن النحاس

---

(١) د. رمضـــان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٢٠ ، وأيضا : Eman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 106 .

والدهـــنج والفـــيروز . وكـــان الملوك يقودون هذه الحملات بأنفسهم أو أنهم يرسلون قوادهم بدلا منهم والذين كانوا يتركون نقوشا تحدثنا عما قاموا به من أعمال .

فمـــنذ الأســـرة الأولى تحدثنا النقوش والنصوص المختلفة عن نشاط بعض الملـــوك علـــى الحـــدود الشرقية وفلسطين وسوريا وقد استمر هذا النشاط أو الطابع العســـكرى لتأميـــن حـــدود مصـــر خلال عصور بداية الأسرات حتى نهاية الأسرة العشـــرين ، وانعكست هذه السياسة الخارجية على الأوضاع السياسية فى الداخل وما نسميه بالمظاهر الحضارية .

قـــد جـــاء على حجر بالرمو ، ان الملك جر ، ثالث ملوك الأسرة الأولى ، حـــارب أو ضرب أرض الآسيويين أى العناصر البدوية التى كانت تقطن سيناء فى ذلـــك الوقت . ومن المحتمل أن يكون ذلك الملك أول من قام بعمل عسكرى ضد بدو الصـــحراء الشـــرقية أو بدو شبه جزيرة سيناء لتأمين الطريق التجارى المؤدى إلى سرابيه الخادم ووادى المغارة من أجل الحصول على الفيروز والنحاس [١] . والعثور علـــى أساور من الفيروز فى مقبرة هذا الملك فى مقبرته فى أبيدوس يؤكد استغلاله لهـــذه المناجم .[٢] ولدينا من عهد خامس ملوك الأسرة الأولى وديمو (أودن) لوحة

---

(١) كمـــا نعلـــم أن مـــناجم الفيروز كانت توجد فى منطقة سرابيه الخادم أما مناجم النحاس فكانت توجد فى وادى المغارة ، راجع :

Aufere, I`Univers mineral dans la pensée égyptienne, BdE 105/1 (1991)p. 541-543.

أطلق المصريون القدماء على شبه جزيرة سيناء اسم htyw (Wb 111, 349, 6) وذلـــك مـــنذ عصـــر الدولة القديمة . وكان يقصد بهذه التسمية "مدرجات الفيروز " . وعرفت هذه التسمية أيضا فى عصر الدولة الوسطى (Faulkner, Concise Dictionary of Middle Egyptian, p. 199) htyw Mfk3t وأطلقوا على وادى المغارة اسم dw n mfk3t " جبل الفيروز أو التركواز " منذ عصـــر الدولـــة القديمة راجع : Aufrere, op. cit., p. 501-508; Wb 11, 57,4

(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٣ – ١٤ .

مـــن العاج عثر عليها فى أبيدوس ، صور الملك عليها وهو يهوى بمقمعة قتاله على رأس أسير راكع ، ونقش خلف الأسير نص قصير :

" وأول مـــرة يضـــرب فيها الشرق " . ومن المحتمل أن منظر الملك وهو يقضى على عدد بمقمعته أصبح تقليديا رسميا منذ ذلك الحين ، يبين قوة الحاكم وعدم تهاونه مع بدو شبه جزيرة سيناء الذين يتعرضون لبعثات التعدين .(١)

ومـــع قيام الأسرة الثالثة استمر ملوك مصر فى استغلال معدن النحاس فى مـــناجم شبه جزيرة سيناء إذ عثر على منظرين يمثل أحدهما الملك جسر وهو يهوى بمقمعـــة قـــتاله على رأس أحد رؤساء البدو وذلك على صخور وادى المغارة (٢) . والثانى يمثل الملك سخم خت وهو يضرب أحد رؤساء البدو .(٣)

وقـــد صور الملك سخم خت فى هذا المنظر بحجم ضخم وهو يرتدى التاج الأبـــيض ويمسك بيده اليسرى قمة رأس أسير راكع ، ويهوى بيده اليمنى على رأسه بمقمعة القتال حج . ويعتبر هذا المنظر من العصور النادرة التى تصور لنا سخم خت وقـــد عثر للملك سخم خت على ثلاثة نقوش فى وادى المغارة بسيناء (٤) . مما يدل على نشاط هذا الملك فى هذه المنطقة .

ويستمر هذا النشاط الحربى لحماية بعثات التعدين فى شبه جزيرة سيناء فى عصر الأسرة الرابعة ، إذ أننا نجد سنفرو مؤسس الأسرة يقوم بإرسال بعثات التعدين إلى وادى المغارة . وخلف لنا رجاله ذكرى تلك الحملة على صخور وادى المغارة ، فعلى مقربة من مناجم الدهنج والنحاس فى تلك المنطقة نقش رجال الحملة نقشا يمثل

---

(١) د. عـــبد القـــادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٥ – ١٦ لوحة (١) ؛ وأيضا :
James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 42 Fig. 11.

(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٨ – ١٩ لوحة (٢) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠ لوحة (٣) .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨ حاشية (٣) ، وربما أحدهما يخص سانخت ، راجع :
James, op. cit., p. 35-36 Fig.6.

الملك وهو يعاقب أحد البدو ومن خلف الملك كتب النص الآتي : المعبود الطيب قاهر البلاد الأجنبية " .(١)

واستمر الملك خوفو فى فرض هذه الحماية لبعثات التعدين. فقد عثر على نقش فى وادى المغارة يمثله وهو يعاقب أحد رؤساء البدو وكتب فوق هذا المنظر : " خنوم خو اف وى ، المعبود الطيب ، الذى يضرب المنثو " (٢)، أى " بدو سيناء". (٣)

واستمر بعض ملوك الأسرة الخامسة فى السياسة الخارجية نفسها فقد عثر على نقوشا كثيرة فى وادى المغارة ، تمثل ساحورع ونى اوسررع آنى ومن كاو حور وجد كارع اسيسى وهم يؤدبون البدو . فعلى لوحة الملك ساحورع نراه يؤدب أسير راكع وأمامه نقرأ :

" المعبود الطيب ضارب المنثو وجميع البلاد الأجنبية ". (٤)

ومن عصر ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة نجد نقشا بالطريق الصاعد للهرم الذى يربط بين (معبديه الجنائزى والوادى) بسقارة ، ظهر فيه الآسيويين على انهم أسرى ، احضروا عن طريق البحر لأحد الموانى المصرية .(٥) وفى عصر الملك ببيى الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة نجده يقوم بإرسال حملة للتعدين إلى وادى المغارة . وقد ترك لنا نقشا يصوره فى المنظر التقليدى المعتاد وهو يعاقب أحد رؤساء البدو ، وأمامه كتب النص الآتى :

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٣ – ٢٤ لوحة (٤) .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥– ٢٦ لوحة (٥) .

(٣) عرفت هذه التسمية " منثو" فى نصوص الأهرام وأصبحت تنطق " منثيو فى العصر المتأخر، راجع: Faulkner, op. cit., p. 110; Wb 11, 92, 4-6

(٤) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٥– ٢٧ لوحة (٦) .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ – ٤٨ .

" المعبود الطيب الذى يضرب المنتو وكل البلاد الأجنبية ". (١)

وفى عهد هذا الملك حدث تهديد من نوع معين لتجارة مصر فى ذلك مع فلسطين الأمر الذى دفع ذلك الملك إلى استدعاء أعظم رجاله وهو القائد ونى الذى يروى لنا هذه الأحداث على اللوحة التى تركها فى مقبرته فى أبيدوس . ويذكر أن الملك أرسله ليقود الجيش خمس مرات فى أرض البدو عند كل عصيان ، ومدحه الملك كثيرا من أجل ذلك .

ويبدو أنه فى عصر الملك بيبى الثانى توافدت على أراضى فلسطين هجرات بدوية متقطعة لقبائل سماهم المصريون باسم " هؤلاء الذين فوق الرمال " ويبدو أنها هددت سبل التجارة بين مصر وجيرانها ، وحاولت أن تثير الاضطرابات وتعبر الحدود الشمالية الشرقية لمصر ، لذا عهد بيبى الأول إلى ونى بحماية تجارة مصر وحماية حدودها . وكان من نتيجة ذلك خروجه فى خمس حملات على أقل تقدير ، أربع عن طريق البر وخامسة كا طريق البر والبحر . وكللت كلها بالنجاح على حد قوله وعودته إلى مصر بقواته سالمة من كل سوء وقد جاء على لسان ونى فى نص لوحته : " لقد اكتسح جلالته البدو سكان الرمال " . ويذكر سميث أن نقش ونى هذا يعد فى الواقع النقش الوحيد الذى يمدنا بمعلومات عن حملة حربية منظمة خلال الدولة القديمة فى جنوب فلسطين . (٢)

وحذا الملك بيبى الثانى حذو أسلافه ، إذ أنه قام بإرسال بعثة تعدين إلى وادى المغارة بشبه جزيرة سيناء . ولكننا لا نجد هذا الملك ممثلا فى النقوش المعتادة وهو يعاقب عدوا آسيويا .(٣) وعلى الحائط الشرقى من مقبرة انتى بدشاشة من أواخر الأسرة الخامسة أو بداية الأسرة السادسة ، يوجد منظر يمثل معركة بين المصريين والآسيويين فى جنوب فلسطين ، وهجوم المصريين على قلعة الآسيويين المحصنة.(٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨ – ٢٩ لوحة (٧) .
(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ٥٣– ٥٥ ، ٨١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨ – ٥١ لوحة (٩) .

ولدينا من عصر الأسرة السادسة منظر حصار لقلعة ، وهو موجود بمقبرة كا- ام- حست بسقارة .[١]

ولم تخرج علاقات مصر السياسية بشبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين عن كونها للحصول على المعادن والأحجار الكريمة من سيناء وعلى تأديب بعض البدو القريبين من الحدود الشرقية لمصر والذين جاءوا من جنوب فلسطين والذين كانوا يحاولون التوغل إلى الحدود المصرية وقد اتسمت كل هذه العلاقات بالعنف . كما أن منطقة جبيل الساحلية كانت تتبادل التجارة مع مصر بطرق سلمية فى معظم الأحيان بينما كانت جنوب فلسطين وخاصة المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل مثيرا للمتاعب بالنسبة لمصر.[٢]

وفى نهاية الدولة القديمة أخذت بوادر الضعف فى الظهور فى السياسة الخارجية لمصر ، وتسرب الآسيويون واستقروا فى الدلتا ولم تستطع السلطة المركزية فى ذلك العصر الحيلولة دون وقف عملية الانهيار . فقد عثر أثناء تنظيف المعبد الجنائزى للملك بيبى الثانى بسقارة على بقايا تماثيل حجرية تمثل أسرى راكعين وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم . وتمثل ملامح هذه التماثيل مختلف الجنسيات ميزها المصريون القدماء من بين أعدائهم الأجانب .[٣] وقد وصف لنا ايبوور حالة الضعف التى انتابت البلاد فى أواخر الدولة القديمة وذلك على بردية متحف ليدن ، والذى يعنينا هو قوله :

" غدا الأجانب منتشرين فى كل مكان " ، " ودخل البرابرة مصر من الخارج " . ويتحدث عن توقف الاتصال بالساحل الفينيقى قائلا :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١- ٥٢ لوحة (١٠) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٢ حاشية (١) .

" لم يعد اليوم أحد يبحر شمالا إلى (جبيل). فما الذى سوف نفعله لإحضار خشب الأرز لمومياواتنا " [١] ، أى إعداد التوابيت من خشب الأرز . واستمر الحال على ذلك حتى جاء الملك خيتى الثالث (أو الرابع) من ملوك الأسرة العاشرة ، وحاول أن يطهر أراضى الدلتا الشرقية من البدو الذين تسربوا إليها منذ أواخر الدولة القديمة . ويبدو أنه نجح فى طرد البدو الآسيويين من شرق الدلتا . وأوصى خيتى ابنه فى نصائحه التى تركها له بأن يتبع سياسة ذات شقين مع البدو الآسيويين : أولا الاهتمام بشباب البلاد . ثانيا مكافحة البدو عن طريق إنشاء المدن المحصنة على حواف الوادى وتعميرها بخير الرجال . ثم شجعه على اتباع سياسته وقال له :

" أقم الحصون فى كل المناطق الشمالية ولاحظ أن سمعة الرجل فيما يفعله ليست بالشيء الهين ، البلد العامرة بالسكان لن يمسها سوء ، فابن مدنا ".[٢]

واهتم منتوحتب الثانى فى الأسرة الحادية عشرة بالحدود الشمالية الشرقية إذ عثر على نقش على جدران معبده الجنائزى بالدير البحرى يظهر فيه آسيوى منحنى إلى الأرض أمام الملك .[٣] وعثر فى معبده فى جبلين على نقش آخر يظهر فيه الملك وهو يعاقب أربعة أسرى من الجنوب والغرب والشمال والشرق .[٤] ومما يؤكد قيام هذا الملك بحملة ضد الآسيويين فى شبه جزيرة سيناء ، ما ذكره القبطان البحرى اختوى فى نقوش مقبرته بطيبة من قيامه بحملة حربية إلى سيناء . ويبدو أن هذه الحملة قد ذهبت إلى هناك من أجل إحضار النحاس والفيروز ولكنها تعرضت لهجوم البدو فانتصر اختوى عليهم وسجل أخبار انتصاره على صخرة هناك ، ولكنه لم يرده إلى نفسه ورده إلى ملكه .[٥]

----

(١) المرجع السابق ، ص ٨٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ – ٩١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٩٤ – ٩٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٩٩ – ١٠٧ .

ونعلم أن أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة أقام ما عرف باسم " حائط الأمير " وذلك لمنع تسرب البدو الآسيويين إلى داخل البلاد .[١] وهو الذى أشار إليه سنوهى عند هروبه . ويذكر جاردنر أن هذا الحائط كان يقع بالقرب من وادى طميلات . وهناك نقش فى مقبرة خنوم حتب حاكم إقليم الوعل " بنى حسن " من عهد هذا الملك يذكر فيه انه قاتل من أجل هذا الملك فى الجنوب وضد قبائل البدو الآسيويين .[٢] ولدينا لوحة بمتحف اللوفر تخص أحد النبلاء وهو نسو منتو يذكر فى نصها أنه قام فى العام الرابع والعشرين من حكم الملك أمنمحات الأول بحملة ضد الشعوب القاطنة فى الشمال الشرقى .[٣]

ومن عباراته انه يقول " هزمت سكان الكهوف الآسيويين الساكنين فوق الرمال ... " . وعثر على صدرية بمنطقة دهشور صور عليها الملك سنوسرت الثالث فى هيئة المعبود مونتو وهو يطأ أربعة من البدو تحت أقدامه . [٤]

ونعلم من ناحية أخرى أن سنوسرت الثالث أرسل حملة عسكرية وصلت فى تقدمها إلى إقليم سكمم ، مما يدل على قيام بدو شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين ببعض المتاعب ضد مصر ، الأمر الذى دفع سنوسرت الثالث إلى القيام بهذه الحملة التأديبية . ونستقى أخبار هذه الحملة من لوحة عثر عليها فى أبيدوس وتخص المدعو سبك- خو .[٥] وعثر على صدرية أخرى بمنطقة دهشور صور عليها الملك أمنمحات الثالث وهو يضرب بدويا بمقمعة قتاله .[٦]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ١٠٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠١- ١٠٢ لوحة ١٩ ، ص ١٢٥.
(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٠- ١٠١، ١٢٣- ١٢٤ ، ١٦٢، ١٦٨.
(٦) المرجع السابق ، ١٠٣ لوحة ٢٠ .

ونعلم أيضا أن أمنمحات الثالث أرسل فى العام الثانى من حكمه حملة قوامها ٧٣٤ جنديا بقيادة خنت خاتى- حتب- خنوم- سو كلفت إلى جانب تأديبها البدو بإحضار الفيروز والنحاس من مناجم وادى المغارة .[١] ولدينا من نهاية الدولة الوسطى والأسرة الثالثة عشرة مجموعة من النصوص تسمى نصوص اللعنة التى كانت عبارة عن دعوات كتبها الكهنة (السحرة) بالمداد الأحمر على أوانى صغيرة من الفخار وتماثيل من الصلصال ، وصبوا اللعنة فيها على مجموعة من حكام القبائل والمدن فى الشمال الشرقى وفى الغرب وجنوب الحدود المصرية .

وكان من المفروض أن يجمع الكهنة هذه الأوانى والتماثيل الصغيرة بأسمائها الملعونة ، ويتلوا عليها قراءات وتعاويذ سحرية معينة ثم يحطموها فى حفل خاص أملا فى أن يؤدى تحطيمها إلى تحطيم عزائم المذكورين عليها ويبلغ عدد المدن التى ذكرت فى هذه النصوص وأسماء القبائل حوالى ثلاثة وستين اسما ، أغلبها أسماء من سورية وفلسطين .[٢]

وبعد ذلك خضعت مصر لحكم الهكسوس . ولم يكن فرض سيادة الهكسوس على مصر نتيجة لغزوة مفاجئة ، ولكنها كانت نتيجة تسرب قبائل وشعوب من أواسط آسيا أجبرت الشعوب فى الشمال الشرقى من مصر على التحرك نحو حدود مصر الشرقية . وحكم الهكسوس مصر مدة قرن ونصف إلى أن عزم المصريون على طردهم . وتم طرد الهكسوس ودفعهم إلى ما وراء الحدود الطبيعية لمصر . وعندما تعرضت مصر لغزو الهكسوس واحتلوا أرضها لأول مرة فى تاريخها فى نهاية العصر الوسيط الثانى ، حاول الهكسوس أن يندمجوا مع المصريين وتقلدوا بالتقاليد المصرية . وكانوا ينتمون فى الأصل إلى قبائل جبلية تفتقد إلى الأصالة الحضارية وبالتالى عجزوا عن إضافة أى شئ جديد إلى مظاهر الحضارة المصرية المعروفة فى ذلك العصر ، كما عجزوا عن تبديل تقاليدها الدينية والثقافية والفنية الراسخة ، بل على العكس من ذلك ، نجدهم قد تأثروا وتطبعوا بمظاهر هذه الحضارة ، ويبدو أنه

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣ – ١٧٢ .

لم يكن لديهم هوية ثقافة ، ولهذا كان تأثرهم بالحضارة المصرية العريقة واضحا واقتبسوا منها الشئ الكثير .

وتعلم المصريون منهم استخدام الخيل التى تجرها العجلات الحربية وكذلك صناعة بعض الأسلحة من البرونز . وخرج حكام مصر من محنة الهكسوس وقد غلب على تفكيرهم انه لا أمان لاستقلالهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشهم ، وانه لا أمان لتجارتهم من اعتداءات الهكسوس إلا إذا أبعدوهم عن مسالك تجارتهم الخارجية . وانه لا أمان لمستقبل بلادهم من غزو هجرات جديدة غريبة إلا إذا سيطروا بأنفسهم على مداخل الهجرات فى شمال سوريا وأطراف العراق ، وهذا ما تكفل به الملوك الأوائل فى الأسرة الثامنة عشرة : أحمس الأول وأمنحتب الأول وتحوتمس الأول . (١)

وزاد الطابع العسكري للسياسة الخارجية لمصر ، نتيجة لرد الفعل ضد الغزو الأجنبى والاحتلال ، فازدادت الحملات العسكرية على الحدود الشرقية وفى فلسطين وسوريا . هذا ولم يشهد عصرى كل من تحوتمس الثاني وحاتشبسوت نشاطا عسكريا فى الشمال الشرقى . ولكن بعد انفراد تحوتمس الثالث بالعرش نجد تغيرا ملموسا قد طرأ فى السياسة الخارجية مع سوريا وفلسطين وخاض الملك أكثر من ست عشرة حملة . وطوال عشرون عاما أخذ يشن حملات على آسيا ، بمعدل حملة كل عام تقريبا وبعض هذه الحملات كانت من أجل قتال حقيقى وذلك بغرض حماية من يدينون بالولاء لمصر ، والبعض الآخر كانت إظهارا للقوة .(٢)

ولم يكتف تحوتمس الثالث بالحملات فى سبيل توطيد سلطان مصر فى سوريا بل شيد قلعة فى لبنان أسماها " من خبر رع يربط المتشردين " .(٣) وكذلك أراد أن يضمن ولاء أمراء سوريا فى المستقبل فكان يحضر معه أبناء الأمراء

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٨٣، ١٨٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

المحليين ليقوم بتربيتهم فى مصر ويغرس فى قلوبهم حبها ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تعيينهم فى المستقبل فى أماكن آبائهم الحكام القدامى . وقد بلغ عدد من أحضرهم من أبناء الأمراء إلى مصر فى حملته الأولى ستة وثلاثين طفلا .[١]

وعندما وقعت بعض الاضطرابات الداخلية فى ممالك غرب آسيا فى عهد إخناتون ، نجد أن ربعدى حاكم جبيل الموالى لإخناتون ، يذكر فى أكثر من خطاب من خطابات تل العمارنة أن الملك كان يقوم بإرسال قوات من حملة السهام ، مما يدل على أن قوات إخناتون كان لها نشاط فى غرب آسيا .[٢]

ويبدو انه كانت هناك محاولة قام بها الملك توت عنخ آمون لتهدئة اضطراب الأحوال فى سوريا فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة .[٣]

وبعد ذلك قام سيتى الأول بحملة إلى سوريا فى العام الأول من حكمه ، وكانت حملة الملك تهدف إلى تخليص مدينة بيت شان ورحوب من الهجوم الذى كانت تتزعمه مدينة حماة ومن ثم فان هذه الحملة لم يكن القصد منها توسيع حدود أو بسط نفوذ ، بقدر ما كانت للدفاع عن مناطق ما زالت خاضعة للنفوذ المصرى .[٤] وفى العام الثانى من حكمه قام سيتى الأول بحملة ضد مدينة قادش على نهر الاورنت وكذلك ضد أرض آمور . ونجح فى إعادة النفوذ المصرى على فلسطين كلها وقطنه وتونيب بعد أن هزم بدو سيناء وجنوبى فلسطين الشاسو .

وقد عثر على لوحات صغيرة فى قادش وفى تل شهاب ذكر على كل منها اسم سيتى الأول ، وعثر فى بيت شان (بيسان) على لوحة تؤكد وصول جيوشه إلى مدينة حماه . وقد عثر على تمثال له على هيئة أبو الهول فى معبده الجنائزى بالبر الغربى فى طيبة ذكر عليها معظم البلاد التى أخضعها فى فلسطين وهى حوالى ستة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

عشر بلدا ، وربما قد وصل فى حملاته الأربع حتى قادش .[١]

تقابل الملك سيتى الأول فى حملته الرابعة إلى آسيا مع ملك الحيثيين وذلك فى شمال قادش ، وربما وقع فى هذه المرة معاهدة مع ملك الحيثيين ولكن لم تصلنا نصوصها وليس لدينا أية تفاصيل عن الحرب التى دارت بين المصريين وقوات مواتلى ملك الحيثيين . وإنما تذكر أن سيتى عاد منتصرا من هذه الحملة .[٢] وفى عصر خليفته رمسيس الثانى قامت حرب كبيرة بينه وبين الحيثيين دارت رحاها كذلك عند مدينة قادش . وانتهى الأمر برغبة الطرفين مصر وخيتا فى وضع حد لهذه الحروب التى نشبت بينهما ووقعا معا معاهدة سلام ، والسبب الرئيسى وراء هذه الرغبة هو ظهور خطر جديد على مسرح الأحداث وهو ظهور شعوب البحر .[٣] ولكن رمسيس الثانى ذهب بعدها أكثر من مرة إلى آسيا . وقام مرنبتاح بحملة على بعض المدن فى فلسطين التى عاقبها بشدة مثل كنعان ، عسقالون ، جزر ، وينعام وقضى قضاءا تاما على قبائل اليسيراو وأصبحت خارو (فلسطين وسوريا) تابعة لمصر . ومما يدل على أن قبائل اليسيراو كانت قبائل رحل نقش لأحد الموظفين يشير فيه إلى انه منع قبائل الشاسو من آدوم من المرور من حدود مرنبتاح .[٤]

ومما يدل على تدهور نفوذ مصر السياسى الخارجى وبصفة خاصة فى جبيل التى كانت تربطها بمصر علاقات تجارية وغيرها منذ أقدم العصور ، هى قصة ون آمون وما حدث له ، فقد أرسله حريحور حاكم طيبة الفعلى فى عصر رمسيس الحادى عشر إلى جبيل من أجل إحضار خشب الأرز لتجديد القارب المقدس لآمون ، فرفض أميرها أن يمده بالأخشاب المطلوبة إلا بعد أن يدفع ثمنها .

---

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٤٧٣– ٤٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨٨ .

ومن أحداث حكم ششنق الأول فى الأسرة الثانية والعشرين غزو سوريا العليا وفلسطين وقد جاء ذكر هذه الحملة فى الكتاب المقدس فقد جاء فيه أن الملك ششنق هاجم القدس وكان معه جيش من المرتزقة من الليبيين والسوقيين والكوشيين ، واستولى على خزائن بيت الأبدية وخزائن بيت الملك . وأخذ كل شئ وأخذ كل الدروع من الذهب التى صنعها سليمان . وعندما عاد ششنق منتصرا إلى مصر ، سجل بالنقوش قصة انتصاره على الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الأعمدة الكبيرة فى معبد الكرنك . وقد كتبت فوق رؤوس الأسرى ، الذين يمثلون أهالى أسماء مائة وست وخمسين مدينة فى فلسطين والتى تقع على الحدود الجنوبية لأرض يهوذا وشمال الجليل . ومن بينها نجد أسماء عديدة معروفة فى الكتاب المقدس .

من بين هذه الأسماء " حقل إبراهيم " الذى لم يتعرف عليه ولكنه يمثل أول ذكر تاريخى لاسم سيدنا إبراهيم . ويقوم الملك فى هذه المناظر بتقديم الأسرى إلى المعبود آمون . ولا نعلم هل قام ششنق بحملة أخرى بعد ذلك على شمال فلسطين أم لا .[١]

فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين تعرضت مصر لثلاث غزوات آشورية أعوام ٦٧١، ٦٦٦، ٦٦٤ ق. م ، وهذه هى المرة الثانية التى تتعرض فيها لاحتلال أجنبى ، ووصل الآشوريون فى حملتهم الثالثة حتى مدينة طيبة التى تعرضت للتخريب على أيديهم . واعتمد ملوك الأسرة السادسة والعشرين الأوائل على المرتزقة اليونانيين الذين ساعدوهم فى طرد الآشوريين .

أما بالنسبة للعلاقة مع بلاد فارس ، فنجد أن أحد ملوك الفرس أرسل إلى الملك المصرى طلبا يلتمس فيه أن يأذن لأحد أطباء العيون من رجال بلاطه بالسفر إلى فارس للقيام بعلاجه .[٢] وفى نهاية الأسرة السادسة والعشرين تعرضت مصر للغزو للمرة الثالثة فى تاريخهاعلى أيدى الفرس الذين دخلوا البلاد وحكموا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٤- ٥٥٥ .

(٢) د. أحمد بدوى- د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٩١ .

خلال الأسرة السابعة والعشرين ، التى تكونت من ملوك فرس ابتداء من عام ٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق. م .

وقد عثرت البعثة الفرنسية للآثار التى تقوم بحفائر فى منطقة سوس فى إيران فى عام ١٩٧٢ على تمثال ضخم من الجرانيت الأسود يمثل الملك دارا الأول ، واقفا مرتديا ثوبا متسعا مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفى فى خطوط رأسية . وقام العالم الفرنسى " جان يويوت " بنقل نص هذا التمثال وعمل ترجمة علمية له .(١) واتضح انه عبارة عن نص يذكر فيه الملك دارا حروبه فى بلاد الشرق القديم ويعطينا أسماء الشعوب والمدن التى تم غزوها وإخضاعها للإمبراطورية الفارسية ، كما يحدثنا عن فترة حكمه فى مصر .

وقد أثار العثور على هذا التمثال فى هذا المكان تساؤلات كثيرة من جانب العلماء . ولكن يبدو أن هذا التمثال قد نحت ونقش بالخط الهيروغليفى فى مصر بأيدى فنانين مصريين أثناء فترة حكم الملك دارا فى مصر والتى استمرت حوالى ستة وثلاثين عاما ، وكان الغرض من هذا هو وضع ذلك التمثال فى أحد المعابد المصرية لكى يتعرف المصريون بلغتهم على فتوحات دارا . لأنه ليس من المنطقى أن يكون هذا التمثال قد نحت ونقش بواسطة فنانين مصريين كانوا يعيشون فى سوس أثناء فترة حكم هذا الملك فى مصر لأن نقشه بالخط الهيروغليفى يؤكد أن الغرض منه كان مخاطبة المصريين وليس الفرس . ويبدو أن الملك دارا قد أمر بنقل هذا التمثال إلى سوس قبل وفاته وذلك نظرا لجمال نحته ونقشه . ويبدو انه كان من المعجبين بفن النحت المصرى ، فهو الذى سار على سنة ملوك مصر القدماء فى إقامة المعابد وإرسال البعثات لقطع الأحجار من وادى الحمامات ، ولهذا آثر فى نهاية حياته أن يحتفظ بهذا التمثال لنفسه وأمر بنقله إلى سوس .

---

(١) فى حوليات أكاديمية التسجيلات وعلم الأدب بفرنسا :
Yoyotte, Inscriptions Hieroglyphiques égyptiennes de la Statue de Darius, dans C. R. Academie des Inscriptions et Belles lettres, Paris (1973), p. 256 – 259; Id., Journal Asiatique (1972), p. 253 – 266 .

وفى نهاية الأسرة الثلاثين غزا الفرس مصر للمرة الثانية عام ٣٤١ ق. م. حتى جاء الاسكندر الأكبر لينقذ مصر مما كانت تعانيه من ويلات نتيجة للاحتلال الفارسى . إن العلاقات المصرية الخارجية بصورها المتعددة لم تقتصر فقط على فلسطين وسوريا وبلاد النهرين وبلاد فارس ولكن تعدتها أيضا إلى ما هو أكثر شمالا ، آسية الصغرى ، فهى علاقات ود وصداقة ، وتصاهر ، وتوتر وصراع .

(أ) وتتمثل علاقة الود فى العثور فى منطقة دوراك الواقعة على الجانب الشرقى من جنوب بحر مرمرة على بعد نحو ثلاثين كيلو مترا على شواطئ بحيرة ابوليونت فى داخل إحدى المقابر الملكية على بعض قطع لكرسى مكسو بصفائح من الذهب وتحمل ألقاب الملك ساحورع .(١)

ومن عصر الدولة الوسطى عثر فى منطقة قلعة كوريجن إلى الشرق من انقره على تمثال لأحد المصريين يدعى " كرى " ويبلغ ارتفاعه حوالى ٣٥ سم وهو فى حالة جيدة ، ومحفوظ الآن فى متحف أنقره الجديد . وذكر فى نقوشه اسم المعبودين أوزير وبواوات مما يدل على أن هذا الشخص قد حضر فى مهمة ما إلى هذه المنطقة وأحضر تمثاله معه الذى نحت ونقش فى مصر . (٢)

كما عثر كذلك فى منطقة اضنه الواقعة فى سهل كيليكيا على تمثال لمربية مصرية " سات- سنفرو " ويرجع هذا التمثال إلى الأسرة الثانية عشرة . ويقول هيس أن هذا التمثال من أكبر وأجمل تماثيل السيدات ، وهو مصنوع من الديوريت ، ويرجع وجود تمثال لهذه السيدة فى هذه المنطقة إلى أنها أرسلت إلى هناك لخدمة أحد الموظفين المصريين المعينين هناك أو لتربية أطفال أحد الأمراء من آسيا الصغرى .(٣)

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٥٧- ٥٨ لوحة ١١ ، ص ١٣٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١- ١٣٥ لوحة ٢٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ ١- ١٣٦ لوحة ٢٦ .

وكان هناك نوع من العلاقات الودية بين مصر والحيثيين ، ويبدو انه كان هناك معاهدة بين تحوتمس الثالث وخوزياش الثاني ملك الحيثيين . وقد ظلت هذه المعاهدة سارية المفعول خلال عهد أمنحتب الثالث .(١) وهناك أيضا معاهدة السلام التى وقعها الملك رمسيس الثانى مع خاتوسيل . واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاما حتى أيام ولده مرنبتاح ، الذى أرسل شحنات من الحبوب عن طريق البحر إلى الحيثيين الذين واجهتهم مجاعة نتيجة هجمات الشعوب الهندوأوربية عليهم . (٢)

وكانت لابنة ملك الحيثيين أختا أكبر سنا وكانت تعانى من مرض عصبى ، ووصفت بأنها ابنة ملك من قطر بعيد يسمى باختان قد أصابتها روح شريرة فأرسل إليها من مصر الطبيب المصرى " تحوتى ام حب " الذى لم يستطع علاجها فأرسلوا إليها تمثالا شافيا للمعبود خونسو معبود طيبة ، ولكن الحيثيين لم يرغبوا فى إعادة التمثال مرة أخرى إلى مصر ، ولمدة تقرب من الأربع سنوات ظل التمثال فى أرض أجنبية حتى اللحظة التى رأى فيها الملك حلما أثر فيه ، فأرسل فى طلب التمثال الذى وصل إلى طيبة بين احتفالات الكهنة والشعب . وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم لا إلا أنها تدل على نوع العلاقات التى كانت سائدة بين البلدين .(٣)

(ب) أما عن علاقات المصاهرة ، فقد عثر فى أرشيف بوغازى كوى على بعد مائة كم إلى الشرق من أنقره ، على خطاب أرسلته أرملة توت عنخ آمون تطلب فيه الزواج من أحد أبناء الملك سبيلو ليوما نظرا لوفاة زوجها توت عنخ آمون فى سن صغيرة ووعدته بأنه سيصبح ملكا على البلاد . وقد تشكك الملك الحيثى فى جدية هذا الطلب وأرسل مبعوثا من قبله ليتحرى عن حقيقة الأمر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية، ص٥٢٩، ٦١٩؛ د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

فاحتجت الأرملة ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل .

وعقب توقيع معاهدة السلام بين رمسيس الثانى وخاتوسيل ملك الحيثيين، جاء خاتوسيل إلى مصر ومعه ابنته ، وكثيرا من رجاله، ليزفها زوجة إلى رمسيس. وقد أقام رمسيس احتفالات كبيرة واستقبل ضيفه خير استقبال . وكان حضور ملك خيتا إلى مصر فى العام الرابع والثلاثين من حكم رمسيس وكان فى مصاهرة هذين البيتين ما كفل الأمن والطمأنينة فى غرب آسيا ، ولو إلى حين .(١)

(ج) أما عن علاقات التوتر والمواجهة العسكرية ، فقد بدأت فى عصر أمنحتب الثالث ، فكانت مملكة ميتانى فى شمال العراق ، وكانت تربطها بمصر صلات من الود والمصاهرة ولكن مملكة خيتا (فى الأناضول) الناشئة الطموحة أرادت أن تستولى عليها فى عهد سبيلو ليوما فاستغاث ملك ميتانى بمصر ، فأرسل إليه أمنحتب الثالث نجدة ساعدته فى صد الحيثيين .(٢)

وأدرك ملك خيتا انه لن يتمكن من تحقيق أطماعه فى آسيا ما دام النفوذ المصرى قويا ، ولهذا أخذ يؤلب بعض الأمراء الآسيويين ليشقوا عصا الطاعة فاستجاب له أميران طموحان وهما أمير قادش الذى بسط نفوذه على سهل سورية الشمالى وهزم الأمراء الموالين لمصر . ثم عبد اشرتا ملك الآموريين الذى أخذ يهاجم مدن الساحل الفينيقى وتبعه فى ذلك ابنه عزيرو الذى كان يتظاهر دائما بالولاء لمصر ويرسل الرسائل مؤكدا إخلاصه وينفى ما يقال عنه . وأصيب النفوذ المصرى بضربات قاصمة فى سورية وفى مدن الساحل الفينيقى وفى أعلى الفرات وفى فلسطين . ولم يستطع إخناتون إنقاذ الموالين لمصر من فتك الحيثيين .(٣)

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١، ص٣٥٤- ٣٥٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

كان سيتي الأول يعرف انه طالما كانت خيتا بعيدة عن متناول يده فإنها لن تتوقف عن الاستمرار فى دسائسها لتأليب الإمارات فى سورية وفلسطين على مصر خصوصا بعد أن تغلبت على بلاد ميتانى فى أعالى الفرات . ومصادرنا عن حرب سيتى مع خيتا هى ما دونه على جدران معبد الكرنك ، وكانت المعركة التى دارت بينه وبين الحيثيين فى شمال مدينة قادش وعاد منها سيتى منتصرا ومعه الأسرى والغنائم . وأثمرت هذه المعركة فى جعل مملكة خيتا تعرف أن مصر فى عهد سيتى الأول غيرها فى عهد إخناتون . وان الملك لن يسمح لقوة أجنبية أن تتدخل لإشاعة الفوضى على حدود مصر الشرقية .(١)

وفى عصر رمسيس الثانى استمرت مملكة خيتا فى الدور نفسه بتحريض بعض الأمراء على الثورة أو العصيان . وكان ملك خيتا فى ذلك الوقت يسمى مواتلى ولم يترك وسيلة من الوسائل إلا التجأ إليها ليجعل من مقابلته لجيش مصر ضربة قاضية تمحق نفوذ مصر وسيادتها فى آسيا . ولهذا لم يكتف بأن يضم إليه ، سواء بالوعيد ، الساخطين على مصر أو الطامعين فى إرضاء خيتا ، بل استعان بشعوب أخرى كثيرة وأخذ منها جنودا مرتزقة وكان من بين هذه الشعوب سكان جزر بحر ايجه ، وإمارات آسيا الصغرى ، وبلاد ما بين النهرين .

وتقدم الجيشان نحو مدينة قادش وهى المدينة المحصنة ذات الموقع الإستراتيجى الهام . وانتهى اليوم الأول دون أن يكون النصر الحاسم فى جانب رمسيس أو فى جانب أعدائه . وفى الحقيقة أن الحرب لم تكن فاصلة ووقع الخصمان معاهدة سلام واتفق الطرفان المتحاربان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر وألا يتدخل فى شئون رعاياه . وعاد رمسيس وجيوشه إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش تحت نفوذه .(٢)

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ – ٣٥١ .

- أما بالنسبة للحدود الغربية فكانت العلاقة مع القبائل الليبية تمتاز بالتوتر منذ أقدم العصور حتى نهاية الأسرة العشرين . فمنذ الأسرة الأولى أرسل الملك جر حملة لصد هجمات القبائل الليبية فى الغرب . وقام سنفرو فى الأسرة الرابعة بحملة ضد الليبيين وأحضر منهم العديد من الأسرى والماشية بما يقدر بعشرات الآلاف . ونعرف من بقايا النقوش التى كانت تغطى جدران معبدى ساحورع والطريق الموصل بينهما كثيرا من نشاط هذا الملك وبخاصة على الحدود الغربية إذ تعرضت مصر فى أيامه إلى غزو من ناحية الغرب عندما جاءت بعض القبائل الليبية ومعها زعماؤها ونساؤهم وحيواناتهم ليهاجموا غرب الدلتا ويستقروا فى وادى النيل فهزمهم ساحورع .[١]

انتهز أعداء أمنمحات الأول فرصة غياب ابنه وولى عهده وشريكه فى الملك ، سنوسرت ، فى حملة على ليبيا ، ودبروا مقتله . وكان سنوسرت مع قوات الجيش على الحدود الغربية عندما جاء إليه رسول يخبره بالنبأ فأمر سنوسرت بإخفاء الأمر عن الجيش وعاد فى الحال مسرعا إلى العاصمة .

وفى عصر سيتى الأول كانت الحالة فى شمال أفريقيا بدأت تدخل فى دور من عدم الاستقرار على أثر الهجرات الهندوو- أوربية التى أخذت تجتاح كل بلاد الشرق القديم فى ذلك العصر . ونزلت عناصر منها فى ليبيا وبدأوا يهددون الحدود الغربية لمصر . ولا نستطيع أن نحدد تاريخ حرب سيتى الأول فى ليبيا بالضبط ولكن من المؤكد أن تلك الحملة كانت بعد استيلائه على قادش .[٢]

وفى عصر رمسيس الثانى بدأت العناصر الهندوأوربية التى استقرت فى ليبيا تعاود تهديدها للحدود الغربية لمصر . وربما كان هذا الخطر هو السبب الرئيسى الذى جعل رمسيس الثانى يبنى سلسلة من الحصون فى الجهة الغربية من مصر مثل حصن الغربانيات (على مقربة من برج العرب) وحصنا آخر عند العلمين وحصن

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

عند زاوية أم الرخم إلى الغرب من مرسى مطروح .[١]

وفى عصر مرنبتاح تمكن أحد رؤساء القبائل التى كانت قد استقرت على شاطئ ليبيا أن يجمع إليه عدة قبائل من الشعوب الهندوأوربية وان يهجموا تحت إمرة زعيم يسمى مرى على مصر ومعهم نساؤهم وأطفالهم ، فدارت بينهم وبين مرنبتاح معركة عند مكان يسمى بربر فى غربى الدلتا . وقد استمرت هذه المعركة ست ساعات انتهت بهزيمة ساحقة للمهاجمين ففر منهم من فر وقتل من قتل ووقع تسعة آلاف من الأسرى فى أيدى المصريين .[٢]

وفى السنة الخامسة من حكم رمسيس الثالث هجم جيش كبير من الليبيين وحلفائهم من السبد والماشوش من الشعوب الهندوأوربية على مصر ولكن الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر هزموا شر هزيمة على حدود الدلتا الغربية عندما كانوا فى طريقهم إلى منف . [٣]

وفى العام الحادى عشر أخذت شعوب الماشواش وحلفائهم الليبيين فى تنظيم أنفسهم ويهاجمون مصر تحت إمرة ابن زعيم ليبيا المسمى مشثر فوقفت جيوش مصر تصد هذا الغزو فأوقعت بالقادمين هزيمة كبرى على حدود الدلتا الغربية وارتدوا إلى الصحراء فتتبعتهم الجيوش المصرية نحو عشرين كيلو مترا وأفنت منهم عددا كبيرا ، وأسرت كثيرين كان من بينهم مشثر نفسه وبهذا تخلص رمسيس الثالث من أعدائه فى الغرب .[٤] وبعد هذا التأريخ بدأت العلاقات تدخل فى دور جديد ، فكما نعلم كانت الأسرة الثانية والعشرين من أصل ليبى ، تنتمى فى الأصل إلى عائلات المرتزقة الليبية الذين استقروا فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين أو بعد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٨- ٣٥٩.
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧١- ٣٧٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

ذلك بقليل وفى خلال القرون التالية حاولوا أن يتمصروا فقاموا بالزواج من مصريات وأصابهم الكثير من القوة والنفوذ واعتنقوا حضارة البلاد وأصبحوا مصريون من أصل أجنبى وليسوا غرباء على الإطلاق فقد اعتنقوا اللغة والديانة والعادات المصرية .

وعرفت الشعوب غرب مصر باسم التمحو التى لم تكن أصلا من شمال أفريقيا ويرجح أنهم وفدوا من شمال أوروبا وعبروا عن طريق مضيق جبل طارق إلى المغرب ثم انتشروا غربا على الساحل واصطدموا بالتحنو الذين كانوا يقيمون قبلهم وتغلبوا عليهم تدريجيا حتى قضوا عليهم كشعب مستقل بعد فترة من الزمن . وبدأ اسم التمحو يظهر فى النصوص المصرية منذ أيام الأسرة السادسة، ولكن هناك من الأدلة ما يرجح انهم كانوا على صلة بمصر منذ أيام الأسرة الرابعة ، ويرجح أيضا أن خوفو تزوج واحدة منهم أصبحت أما لبعض أبنائه ونجد فى مقبرة مرس عنخ بالجيزة رسوما لبعض نساء من هذا الفرع وهن يلبسن ملابس تختلف عن الملابس المعتادة للمصريات .(١)

وبالنسبة لتأثر السياسة الخارجية لملوك مصر بما يحدث فى المناطق على الحدود الجنوبية أطلق المصريون القدماء التعبير " تاش– رسى " على الحدود الجنوبية .(٢) كما أطلقوا على بلاد النوبة اسم : " تا– ستى أو ستيو " أى أرض القوس أو الأقواس " ولم يكن هذا الاسم إلا تعبيرا عاما دلالة على شدة بأس رجالها.(٣) والحقيقة أن معظم أهل النوبة تميزوا منذ اقدم العصور بمهارة استخدامهم

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها– الموسوعة المصرية ، المجلد الأول– الجزء الأول ، ص ١٩٠ .

(٢) كلمة تاش تعنى " حد وحدود "، راجع : Meeks, Alex. I, p. 412

(٣) وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفه حندوسه) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

للأقواس والسهام في القتال .[١] وعرفت هذه التسمية فى نصوص الأهرام منذ نهاية الأسرة الخامسة .[٢] وأطلقوا فى العصر البطلمى تسمية أخرى تؤكد المعنى نفسه هى كنستيو " أهل الأقواس " [٣]

وقسم بعض علماء المصريات بلاد النوبة إلى قسمين :

– النوبة السفلى : وتقع معظمها داخل الحدود المصرية إذ تمتد من جنوبى أسوان (الجندل الأول) حتى اندان جنوب قسطل . وكان المصريون القدماء يطلقون على هذا الجزء اسم " واوات ". [٤] وعرفت هذه التسمية منذ عصر الدولة الوسطى فى نقوش مقبرة امينى حاكم إقليم بنى حسن الذى كان معاصرا للملك سنوسرت

---

(١) ذكرت د. سيده كاشف فى ملخص بحثها القيم عن " الفتح العربى لمصر وحدود مصر الجنوبية " فى ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ فى ٢٠ – ٢١ ديسمبر١٩٩٧ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ما يلى : " ومنذ فتح العرب لمصر ومنذ سنة ٢٠ هـ (٦٤١م) أرسل عمرو بن العاص الحملات إلى بلاد النوبة . وكانت الحرب ضد النوبة شديدة على المسلمين وذلك لتفوق النوبيين عليهم فى رمى السهام ، وذهب بذلك الكثير من أعين المسلمين المجاهدين حتى سمى النوبيون باسم " رماة الحدق " .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧١، ص ٣٧ .

(٣) Wb V, 134, 6.

(٤) Wb. I, 250, 7.

فى القائمة التى سجلها الملك تحوتمس الثالث بالكرنك للشعوب التى كانت تعيش فى جنوب الحدود المصرية ، نجد أنه يذكر منطقة واوات وهى النوبة السفلى ويندرج تحت هذا المفهوم ٢٤ اسما جغرافيا ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٣، ص ٤٠٣ .

الأول .(١) وأطلقوا فى العصر البطلمى اسما آخر وهو كنست الذى يعبر عن " النوبة السفلى وشدة بأس سكانها " .(٢)

– النوبة العليا : وتقع معظمها فى أرض السودان شمال جنوب ادندان ووادى حلفا أى من جنوب الجندل الثانى حتى الجندل السادس شمال الخرطوم . وأطلقوا علىهذا الجزء اسم " كاش " الذى عرف فيما بعد باسم " كوش " . وقد عرفت هذه التسمية فى عصر الدولة الوسطى أيضا .(٣)

وأطلق المصريون القدماء على الذهب كلمة " نوب " وإن هذه المنطقة التى نعرفها الآن بالنوبة كانت بلاد الذهب ويبدو أن كلمة نوب كانت الأصل لكلمة نوبة . وتحدث سترابون عام ٢٥- ٢٤ ق. م. نقلا عن اراتو سثينيس عن النوبيين الذين كانوا يعيشون على الشاطئ الغربى للنيل وتمتد بلادهم من مروى حتى منحنى النهر .(٤)

ومنها جاءت التسمية " بلاد النوبة " التى عرفت فى القرن الثالث الميلادى تقريبا عندما استقرت الهجرات النوبية على ضفاف النيل فى تلك المنطقة من جنوب البلاد . وأطلقت هذه التسمية على المنطقة الممتدة إلى الجنوب من أسوان حتى جزيرة تنقستى إلى الجنوب من دنقلة .(٤)

---

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) Meeks, Alex. I, p. 399.

(٣) Wb. V, 109, 1.

فى القائمة السابقة نجد أن الملك تحوتمس الثالث يذكر بلاد كوش وهى النوبة العليا (التى تشمل المناطق شرق حدود مصر الجنوبية والسودان) ويندرج تحت هذا المفهوم ٢٢ اسما جغرافيا ، راجع : المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

(٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٦ .

واتخذت هذه العلاقات مع المناطق الجنوبية صورا وأشكالا عديدة فى مجال السياسة الخارجية .

(أ) علاقات صراع وصدام حربى :

كانت العلاقات مع القبائل الجنوبية تمتاز بالتوتر والصراع منذ أقدم العصور وكانت هناك عناصر من القبائل المشاغبة فى الجنوب طامعة فى الاستقرار خلف الحدود الجنوبية . وترجع غارات القبائل المشاغبة المنتشرة على أطراف الصحراء من الشرق أو من وراء الجندل الرابع على حدود مصر الجنوبية فى عصورها المختلفة إلى طبيعة بلادهم الجغرافية التى كانت تصاب بالجفاف أحيانا مما يؤثر على مواردها الاقتصادية ، مما كان يدفع بأهلها إلى تكرار مهاجمة حدود مصر الجنوبية وخاصة المناطق الغنية منها .[٢] أو أنهم كانوا يقومون بالإغارة على قوافل التجارة القادمة من شمال الوادى فاضطر المصريون القدماء إلى الإكثار من الحملات العسكرية على تلك المناطق لتأمين طرق القوافل والمحافظة على سلامة حدود الوادى .[٣]

وأصبح من سمات السياسة الخارجية التى اتبعها ملوك مصر القديمة منذ أقدم العصور هو تأمين الحدود الشرقية والجنوبية والغربية ضد أى غزو أجنبى أو آية تسربات من عناصر أجنبية وأصبح ذلك من ثوابت السياسة الخارجية وأصبح خط ملزم لكل ملك الذى كان يعمل بكافة الوسائل على تطبيق هذه السياسة للمحافظة على حدود البلاد . والواقع أن علاقات مصر بجنوب الوادى لم تقم على فكرة الاستعمار أو الاستغلال وإنما قامت على تأمين سلامة حدود الوادى الجنوبية وإظهار هذه العلاقات بمختلف الوسائل .[٣] واستمرت هذه السياسة منذ الأسرة الأولى (حوالى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(٢) حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .

٣٢٠٠ ق. م) عندما اصطدم الملك عحا ثانى ملوك الأسرة الأولى[1] بأعدائه من القبائل الجنوبية الطامعين فى خيرات البلاد والذين تسربوا عبر حدودها الجنوبية وكانوا يستقرون بكثرة على ضفاف النيل حتى حدود الجندل الثانى فحاربهم الملك عحا وأمن حدوده الجنوبية . ويقص علينا الملك جر ثالث ملوك الأسرة فى نقش محفور فى قمة جبل الشيخ سليمان عند مدخل الجندل الثانى أخبار حملة قام بها فى الجنوب .

كما أرسل الملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة (حوالى عام ٢٧٨٥ ق. م) الحملات الحربية إلى حدود النوبة السفلى لتأمين الحدود ، وكذلك أرسل الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة (حوالى عام ٢٦٨٠ ق. م) حملة تأديبية ضد القبائل الجنوبية وراء الجندل الثانى .

ونعلم أن الملك ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة (حوالى عام ٢٤٥٨ ق. م) أرسل حملة إلى بلاد النوبة السفلى (بين الجندلين الأول والثانى) وذلك بغرض تأديب القبائل المشاغلة . كما عمل الملك بيبى الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة (حوالى عام ٢٤٢٠ ق. م) على مراقبة حدود بلاد النوبة وقد عثر على اسمه فى النوبة السفلى منقوشا على صخور توماس .

وفى عصر الدولة الوسطى ، اخضع الملك منتوحتب الثانى خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة (حوالى عام ٢٠٤٣ ق. م) المنطقة جنوب الفنتين ، ويبدو انه وصل حتى الجندل الثانى . كما أرسل الملك امنمحات– الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة حوالى (١٩٩١ ق. م) حملة حربية إلى منطقة كورسكو وربما وصلت حتى سمنة عند الجندل الثانى إلى الجنوب من كرما . كما قام الملك سنوسرت الأول خليفة أمنمحات الأول بحملة لإخضاع القبائل المشاغبة فى السنة الثامنة عشرة من

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، ١٩٩٧، ص ٤٢٧ .

حكمه وبسط نفوذه حتى الجندل الثالث . وأقام عدة تحصينات عند كوبان حتى بوهن عند الجندل الثانى . ويقص علينا حاكم إقليم بنى حسن امنمحات المسمى امينى فى نقوش مقبرته فى بنى حسن قصة اشتراكه مع الملك سنوسرت الأول فى حروبه ضد القبائل الجنوبية المشاغبة . وفى عصر الملك سنوسرت الثانى رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة (حوالى عام ١٨٩٧ ق. م) نجد انه فى بداية حكمه حدث تهديد خطير من الجنوب ، حيث بدأت القبائل الجنوبية المشاغبة ، تثور ورفضت مبدأ احترام المحافظة على الحدود الجنوبية واحتلت كل الأراضى جنوب الجندل الثانى ، وبدأت تهدد بغزو حدود مصر الجنوبية . وهناك لوحة صخرية فى أسوان للمدعو " حابو " يذكر عليها انه زار بلاد النوبة فى العام الثالث من حكم الملك سنوسرت الثالث ليتفقد الطريق البرى إلى واوات .

أما عن أعمال الملك سنوسرت الثالث خامس ملوك الأسرة (حوالى عام ١٨٧٨ ق. م) فى الجنوب فهى عديدة وهامة . فنجد انه فى بداية حكمه اتبع السياسة التى بدأها سلفاه امنمحات الأول وسنوسرت الأول وأكمل ما تركوه لتحقيق المحافظة على النفوذ المصرى هناك . ولحماية حدود مصر الجنوبية من خطر هجوم القبائل الجنوبية المشاغبة قام الملك بإقامة عدة تحصينات قوية ، عبارة عن حائط كبير من الطوب اللبن بطول الشاطئ الشرقى للنيل عند الجندل الأول .

وهكذا وضع نهاية للتهديد الذى تعرضت له حدود البلاد من الجنوب من غارات هذه القبائل المستمرة وثبت حدود مصر عند الجندل الثانى . وقام بأربع حملات ضد هذه القبائل ، وشيد على الحدود الجديدة ثلاثة حصون كبيرة واحد على شاطئ للنيل فى سمنة وقمة والثالث على جزيرة فى وسط نهر النيل ، بالقرب من وادى حلفا . ولتسهيل السيطرة على الجنوب ، لجأ إلى شق قناة فى الجندل الأول للحد من شدة التيار ولكى يسمح للمراكب بأن تمر بسرعة وكذلك لتسهيل رسو المراكب فى هذا الجزء الوعر من النهر . حيث كانت المراكب تشد على معابر صناعية عبر التيار ، أو أنها كانت تربط بالحبال عند إنزالها النهر ، وقد سميت هذه القناة باسم " حسنة طرق خع كاورع ". وقد أقام فى سمنة تمثالا كبيرا لشخصه وعدة لوحات لكى يحدد مكان الحدود . وقد عثر هناك على لوحة تقص نقوشها انه شيدها " لكى يمنع أى

معتدى من أن يعبرها عن طريق البر أو النهر ، على قارب أو مع قطعانه من الماشية على الإطلاق ، وذلك إلا بإذن خاص " .

ويحدثنا هيرودوت عن أعمال الملك سنوسرت الثالث قائلا : " انه تقدم بأسطول من مراكب الحرب من البحر الأحمر نحو شواطئ البحر الارتيرى واخضع القبائل فى أثناء مروره ، حتى وصل أخيرا إلى بحر لا يمكن الإبحار فيه نظرا لمياهه الضحلة ، ومن هناك عاد إلى مصر " . وقد عثر على نص من عصر لاحق فى تل بسطه يؤكد هذه الحملة . وهكذا نجحت مصر فى الدفاع عن حدودها الجنوبية ضد أى غزو متوقع من العناصر المشاغبة . وتحقق للسكان الذين يعيشون فى اضطراب فى تلك المناطق ، نوعا من الهدوء . ويرى بعض الباحثين أن عدد ما أقامه الملك سنوسرت الثالث من حصون يبلغ أربع عشرة قلعة وحصنا مزودة كل منها بملحق للعبادة . وقد وجه الملك نفسه فى إحدى لوحاته رسالة إلى الأجيال المقبلة :

" إن أيا من أبنائى يستطيع أن يحافظ على هذه الحدود التى ثبتها جلالتى لهو ابنى وولد من صلبى ، إنه يشبه أباه ويصون ملك من أنجبه وأما من يهملها ويفشل فى الحفاظ عليها فهو ليس ابنا لى ولم يولد من صلبى إن هذا تمثالى أقيمه لكم على الحدود لعله أن ينفعكم فزودوا عنه ". (١)

أما عن امنمحات الثالث سادس ملوك الأسرة (حوالى عام ١٨٤٤ ق. م) فتشير النصوص إلى قيامه بحملة إلى بلاد النوبة وعمل على مد حدود مصر الجنوبية حتى الجندل الثالث .

وبعد أن استشهد الملك سقنن رع فى أولى مواجهة مع ملوك الهكسوس ، ترك مهمة استكمال أو متابعة حرب التحرير إلى ولديه كامس وأحمس وكانت بلاد النوبة العليا (كوش) قد انفصلت عن مصر فى بداية فترة حكم الهكسوس ويعتقد أن إمارة كوش قد نشأت كإمارة مستقلة منذ الأسرة الرابعة عشرة فى الوقت الذى كان

---

(١) حياة وأعمال أحمد بدوى- دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٦ .

يســود فيه عدم الاستقرار والاضطراب السياسى فى داخل مصر . وانسحبت قوات ملك طيبة من الجنوب وهناك انتقلت المراقبة إلى أيدى حاكم وطنى أو موظف كبير .

وفــى نــص مــؤرخ من العام الثالث يذكر لنا الملك كامس مخاطبا مجلس النبلاء فى بلاطه : " بماذا تفيد سلطتى فهناك حاكم فى آفاريس وآخر فى كوش ؟ وأنا هنا مقيد بين آسيوى من ناحية وكوشى من ناحية أخرى وكل منهم يسيطر على جزء من مصر هذه . وأنا لا أريد أن أتنازل على الإطلاق للملك أبو فيس الذى يحكم معى هــذه البلاد من مجرى النهر فيما بعد منف فى اتجاه الجنوب . وعلى الرغم من انه يســيطر على الأشمونين فانه لا يوجد أى شخص فى تلك المنطقة إلا وتراه متعبا من خدمــة الآســيويين ، ســوف أقاومــه وسوف أمزقه من أعلى إلى أسفل (أى أبقر بطنه) لأن رغبتى هى أن أحرر مصر وأقضى على هؤلاء الآسيويين " .(١)

ونشــأت صداقة بين أمير كوش وحاكم الهكسوس فى آفاريس وكانت هناك بعــض الاتصالات بين كوش وآفاريس . وربما كانت هذه الصلات ذات طابع تعاون ودفــاع مشــترك . وهذا ما يتضح من الخطاب الذى أرسله ملك الهكسوس إلى أمير كــوش يطلــب فــيه العون وأرسل هذا الخطاب عن طريق رسول تم القبض عليه بواســطة قوات كامس ومنه تبرز حقيقة هى أن كامس حاول التحرش بأمير كوش . وقــد تم القبض على هذا الرسول أثناء قيام كامس بحملة بجوار سكو (القوصية) . وبعــد أن تم القبض على هذا الرسول والاستيلاء على الرسالة التى كانت فى حوزته أرسله كامس مرة أخرى إلى ملك آفاريس لكى يخبره بما حدث .(٢)

وفــى هــذه الرســالة يحيى ملك الهكسوس أمير كوش ويخاطبه فيها بأنه " ولده "ويعتب عليه انه لم يخبره عن ارتقائه عرش مملكته ويخبره عن هجوم كامس.

---

(١) وولــتر إمــرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسة) الهيئة المصرية العامــة للتألــيف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٧ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٤٤ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٨٤ .

ويذكره ببعض الهجمات الأولى للطيبيين على كوش ويحثه على مهاجمة حدود مصر الجنوبية عندما يتقدم الملك كامس إلى الشمال ، ويقول الملك :

" قبضت على رسول له ، بعيدا عن الواحة ، مسافرا جنوبا نحو كوش ومعه رسالة مكتوبة من حاكم آفاريس : أنا عا اوسررع ابن رع ابيبى احيى ابن حاكم كوش . كيف أصبحت قائدا دون علمي : ألم تسمع بالذى فعلته مصر ضدى . إن القائد المصرى كامس العظيم طردنى من أرضى ولم أصل إليه بعد . وبعد كل ما فعله ضدك فقد اختار تدمير الأرضيين ، أرضى وأرضك وتخريبهما . أبحر حالا إلى الشمال ولا تكن خائفا . انظر انه هنا معى ... لن ادعه يرحل قبل أن تصل . حينئذ سنقسم مدن مصر هذه بيننا ".[١]

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة اتبع الملوك السياسة نفسها التى كانت متبعة من قبل ونعلم أن نقوش قائد الأسطول أحمس بن أبانا التى تركها فى مقبرته فى الكاب أن الملك أحمس (حوالى ١٥٧٠ ق.م) بعد أن قضى على فلول الهكسوس فى الشمال اتجه إلى " خنت إن نفر " وهى تقع فى الجنوب بعد الجندل الثانى لكى يقضى على القبائل المشاغبة هناك . ويذكر لنا أحمس بن أبانا أن معركة كبيرة دارت بينه وبين هذه القبائل .[٢]

ويقول : " وبعد ذلك نزل جلالته مجرى النهر ، سعيدا بنصره العظيم لأنه هزم من هم فى الشمال ومن هم فى الجنوب " .[٣]

---

(١) وولتر إمرى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ١٩٩٧م ، ص ٦٦- ٦٧ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٧ ؛ وولتر إمرى : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

وفــى نقوش الملك أمنحتب الأول (١٥٤٥ ق. م) يقول " أن جلالته أبحر جــنوبا إلـــى كــوش ليوسع حدود مصر " ، " وضرب جلالته قائد الجيش الكوشى" ويســتمر النص فيقول " وبعد أن ساق كل قومه أسرى مع قطعانهم عاد الملك مبحرا إلـــى مصر ، فى رحلة استغرقت يومين " . ويبدو أن هذه الحملة قد وقعت فى العام الثامن من حكم هذا الملك .(١) ويرى إمرى أن هذه المعركة وقعت جنوب سمنة ولهذا فمن الصعب قطع هذه المسافة الكبيرة فى يومين .(٢)

وقد بدأ الملك تحوتمس الأول (١٥٣٠ ق. م) سياسته العسكرية بحملة ضد الجــنوب وبفضلها مد حدود مصر الجنوبية حتى تومبوس التى تبعد قليلا عن الجندل الثالث . وعثر له على نقش يمجد الملك بهذه الكلمات ويتحدث عن إنجازاته :

" لقد أخضع رئيس الجنوبيين ، وقبض بيده على الأعداء وربط حدوده على ضــفتى نهــر النيل ، حتى انه لم يكن يوجد رجل واحد بين الشعوب ذوات الشعور القصيرة قادرة على مهاجمته لأنه لم ينجح أحد من كل هؤلاء الذين حاولوا مهاجمته مــن قبل . وسقطت كل القبائل بفعل السلاح وتناثرت جثثهم على كل أراضيهم " ولم تجــرؤ أية قبيلة معادية على التقدم أمام قلعة الحدود لأن مجد جلالته قد أبهرهم مثل الفهــد الصغير فى وسط قطيع متفرق " .(٣) كما يحدثنا أحمس بن أبانا فى نقوشه عن هذه المعارك ، فيقول : " جاءت سفينة الملك (تحوتمس الأول) المبجل عند إبحاره جــنوبا إلى خنت- إن- نفر لتخمد الثورة فى المرتفعات وليوقف الغارات فى منطقة الــتلال . وأظهــرت شجاعة أمامه فى المياه الصعبة وفى قيادة السفينة عند المنحنى (دنقله) فكافأنى (الملك) وعيننى قائد للأسطول .... وجئ بأهلهم كأسرى أحياء ..

---

(١) د. محمــد بكــر : المــرجع الســابق ، ص ٥٧ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٧٨ ؛ وولتر إمر ى : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٢) وولتر إمرى : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٩٠ ؛ وولتر إمرى : المرجع السابق ، ١٨١ .

وأبحر جلالته جنوبا وكل البلاد فى قبضته .... " .[١]

كمـــا تـــرك لـــنا نوري نصا آخر عند الجندل الأول مسجلا فيه أن الملك اضـــطر ، قـــبل الإبحار متقدما نحو عاصمته طيبة ، أن يطهر قناة سنوسرت الثالث التى كانت قد امتلأت بالحصى . وقام بهذا العمل فى السنة الثالثة بعد انتهاء الحملة . وهناك أدلة على أن تحوتمس الأول ، شيد سلسلة حصون فى تومبوس وعلى جزيرة ساى ولاشك أنه أعاد ترميم العديد من حصون الدولة الوسطى ووسع بعضها . ويبدو أن هـــذا العمل العظيم أنجز تحت إشراف نائب الملك حاكم كوش نورى ولا شك أنه فى آخر حكمه كانت بلاد النوبة كلها ودنقلة أيضا تحت سيطرة يد قوية .[٢]

وهكذا نجح الملك فى إعادة الهدوء وضم كل بلاد النوبة جنوبا حتى أبو حمد الحالية فى جرجوس . وجعل المنطقة ابتداء من الكاب شمالى إدفو حتى آخر حدوده فـــى الـــنوبة السفلى وحدة واحدة يحكمها موظف أطلق عليه " الابن الملكى (حاكم) كوش " .[٣]

وبدأ تحوتمس الثاني حكمه (١٥٢٠ ق. م) بالقضاء على ثورة فى الجنوب بالقرب من المناطق المتاخمة لبلاد كوش ، ولم يقم بحملة تأديبية لأنه اكتفى بالقضاء علـــى تمـــرد بسيط بمساعدة القوات التى كانت تقطن فى المنطقة وذلك قبل وصول قـــوات الملك . ولكنه وصل حتى الجندل الأول ، واستعرض الأسرى الذين جئ بهم من الجنوب . وقد جاء ذكر هذه الثورة فى بلاد كوش على لوحة أقيمت على الطريق بين أسوان وفيله . وتذكر نقوشها أنه لما علم جلالته بذلك ثار كالفهد ، وأقسم أنه لن يدع أى رجل من هؤلاء حيا . وبالفعل قضى على كل هؤلاء الثوار .[٤]

---

(١) وولترى إمرى : المرجع السابق ، ص ٩٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٤) وولترى إمرى : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

وهكــذا انتهــت هذه الحملة التأديبية ، وبعد أسر أمراء كوش ، عاد السلام واســتمر ســائدا فــى الجنوب لعدة سنين مقبلة . ولقد عثر على اسم الملك تحوتمس الــثانى فــى بــرقل ودكه .(١) أما الملكة حاتشبسوت التى تلت تحوتمس الثانى على العــرش . فلم تجد ضرورة لجهود حربية فى النوبة لأن الأراضى الجنوبية بقيت فى ســلام خــلال حكمهــا ولقــد شيدت الملكة معبدا فى بوهن لا يزال يحتفظ بمعالمه المعمارية ومناظره الملونة التى يمكن اعتبارها من أجمل ما عثر عليه فى النوبة .(٢)

وفــى نهاية حكم تحوتمس الثالث (١٥٠٤ ق. م) استغل الملك قيام ثورة محلية فى الجنوب فذهب إلى هناك وقضى عليهــا ولا نعرف تماما الحدود الجنوبية الــتى وصـــل إليها ، وربما وصل إلى الجندل الرابع حيث عثر هناك على لوحة فى جــبل بــرقل تخلــد ذكرى هذا الانتصار . وقد خلد ذكر انتصاراته فى النوبة على الصــرحين الســادس والسابع بالكرنك وذكر أسماء العديد من المناطق الجنوبية التى اســتولى علــيها .(٣) ويرى بعض العلماء أن هذه الحملة لم تكن إلا استعراضا لقوة الملــك العســكرية . وأصبحت واوات جزء مكملا لمصر . وفى حوليات تحوتمس الثالث كانت جزية واوات وكوش كما يلى :

كميات من الذهب وأعداد من الماشية وكميات من سن الفيل وأبنوس وعاج وعدد غير معروف من الأسرى .(٤) وبلغت كمية الذهب التى تم الاستيلاء عليها أكثر مــن ثمانمائــة واثنيــن وعشرين ألف دبن وكانت ذات تأثير كبير لكثرتها فقد كانت الأشياء الأخرى قليلة جدا . وربما كان هذا شاهدا على فقر البلاد بعد الحروب .

وفــى أثناء حكم تحوتمس الثالث وصلت إدارة بلاد النوبة التى كانت فى يد الحــاكم " نحــى " إلى أعلى المستويات .. ومن الواضح أن العمل فى مناجم الذهب

---

(١) وولتر إمرى : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ١٢٨ .

(٤) وولترى إمرى : المرجع السابق ، ص ١٩٤.

وكذلـــك الطرق التجارية قد تمتعا بالأمان فلم تقلقها غارات البدو . وكان من الطبيعى أن يتجه الملك فى سياسته البعيدة المدى إلى تطهير قناة سنوسرت الثالث عند الجندل الأول .(١) أما عصر أمنحتب الثانى (١٤٥٠ ق. م) فكان عصرا يسوده السلام فى الجنوب ولهذا أكمل عملية البناء الضخمة التى بدأها أسلافه فى النوبة ويبدو أنه أكمل بناء المعبد الأصلى فى كلابشة . وأمر بنحت مقصورة فى قصر ابريم .(٢)

وفى عصر تحوتمس الرابع (١٤٢٣ ق. م) اندلعت الثورة فى الجنوب فى العـــام الثامـــن مـــن حكمه . وطبقا لنص منقوش على صخور جزيرة كونوسو عند الجـــندل الأول وصـــلت أنـــباء ثورة فى واوات حركتها غارة من عناصر كوشية . وانـــتهى الأمر بإخماد الثورة ورجوع الملك إلى عاصمته مصطحبا عدد من الأسرى وضـــعوا فـــى ملحق عند معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة . ولقد عثر على لوحة فى سور المعبد تقول : " فرقة كوش التى أحضرها جلالته بعد انتصاراته " .(٣)

خلفـــه ابـــنه أمنحتـــب الثالث (١٤١٠ ق. م) الذى قام بحملة ضد القبائل الجنوبـــية المشاغبة وكان هذا فى السنة الخامسة من حكمه . وكانت تبدو كأنها حملة تأديبـــية أكـــثر مـــنها حملـــة حربـــية وكلـــف الحاكم مرمس بتجنيد فرقة نوبية من مـــناطق كوبـــان وعنيبة . ولقد سجلت هذه الحملة على لوحة فى سمنة تتضمن قائمة للأسرى.(٤) وشيد الملك فى صولب أجمل معبد فى الجنوب شيده من الحجر الرملى .

وشـــيد أيضـــا معبدا لزوجته تى فى سدنجا شمالى صولب ولم يبق منه إلا عمـــود واحد ، واستمر الهدوء فى بلاد النوبة أثناء فترة حكم أمنحتب الرابع وخليفته سمنخ كا رع . وتحت حكم توت عنخ آمون الذى أصبح ملكا عام ١٣٦٢ ق. م. كان " حـــو ى " حاكما لبلاد النوبة آنذاك قد شيد مقبرة له فى طيبة تصور نقوشها أنواع

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

الجزية التي أحضرت من كوش من سبائك ذهبية وفضية وأوان من الذهب والفضة وعـــربة ودروع وأثاث .(١) ووصلت هذه الجزية عن طريق ست سفن : " الوصول من كوش حاملين هذه الجزية الطيبة من أحسن وأنقى ما فى المناطق الجنوبية برئاسة ابن الملك حاكم كوش حوى عند مدينة الجنوب طيبة .(٢) وفى بداية الأسرة التاسعة لم تســجل أيــة حروب فى النوبة أثناء الحكم القصير للملك رمسيس الأول . أما خليفته الملــك ســيتى الأول الذى اعتلى العرش فى عام ١٣١٣ ق. م. فلقد وجه عنايته إلى العمل فى مناجم الذهب فى النوبة ولهذا قام بحفر بئر فى المناطق التى لا تصل إليها المياه لتأمين بعثات التعدين .

وفـــى عصـــر رمســـيس الثانى (١٢٩٠ ق. م) قام بحملات تأديبية على الحدود الجنوبية حتى يحافظ على الهدوء والسلام اللذين سادا الأراضى الجنوبية عامة والدلـــيل علـــى ذلك هو نشاط الملك المعمارى فى بلاد النوبة ولم يكن فى استطاعته القيام بذلك لو أن أرض بلاد النوبة كانت فى حروب مستمرة . واتجه اهتمام رمسيس الـــثانى فـــى السنة الثالثة من حكمه إلى تنمية مناجم الذهب وخاصة مناجم أكيتا التى تشبه مناجم وادى العلاقى .(٣)

وبعد وفاة رمسيس الثانى فى عام ١٢٣٤ ق. م. خلفه ابنه مرنبتاح ترك لنا لوحـــة فى معبد عمدا تسجيل حديثا وجهه لرعاياه فى الجنوب مطالبا إياهم بمزيد من الجهود الحربية للمحافظة على أمن الحدود الجنوبية .(٤)

وفـــى عصر الأسرة العشرين عثر على اسم الملك رمسيس الثالث فى معبد عند حصن سمنة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

وفـــي نهايـــة الأسرة الثالثة والعشرين تطورت الأمور في الجنوب في نباتا وكوش ، وابتداء من هذه الفترة بدأت تنعكس دفة الأمور وبدأ ملوك الجنوب وحكامه الأقويـــاء يفكـــرون في غزو أراضي مصر نظرا لضعف الوضع السياسي في داخل الـــبلاد . وكانـــت بـــلاد النوبة العليا (كوش) قد انفصلت عن مصر في بداية حكم الهكسوس لمصر . وفي بداية الأمر قامت إمارة كوش وكان يرأسها زعماء أو حكام مســـتقلين .(١) وذلك في الفترة التي يقابلها في مصر الأسرة الرابعة عشرة إلى بداية الثامـــنة عشـــرة أي من عام ١٧٣٠ إلى ١٥٨٠ق. م.(٢) ثم قامت بعد ذلك مملكة في كوش التي استمرت فترة طويلة في الفترة من الأسرة الخامسة والعشرين (أي حوالي ٧٤٨- - ٦٦٤ ق.م) إلـــى ٣٥٠ مـــيلادية . وانقســـم عصـــر هذه المملكة إلى عصرين :

- عصر مملكة نباتا من ٧٤٨ إلى ٢٩٥ ق. م.
- عصر مملكة مروي من ٢٩٥ ق. م. إلى ٣٥٠ ميلادية .(٣)

ونجع ملوك نباتا الأوائل في غزو مصر وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين بهـــا . وكما نعلم أن بعنخي تولى الحكم في مملكة نباتا عام ٧٤٨ واستمر يحكم حتى عـــام ٧١٢ مـــنها أربع تقريبا في مصر . أي أن حكم ملوك نباتا لمصر استمر لمدة حوالـــي أربعـــة وثمانيـــن عاما أي في الفترة من ٨٤٧ إلى ٦٦٤ ق. م.(٤) وأصبح المعبود آمون هو المعبود الرسمي للأسرة الملكية الحاكمة في نباتا .

---

(١) تقـــع نـــباتا عـــند الجندل الرابع جنوب دنقله ومروى عند الجذل السادس شمال الخـــرطوم، راجـــع: وولتر امرى: مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠، المقدمة انظر الخريطة .

(٢) د. محمـــد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤، ص ١٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٠، ١٨٨ .

(٤) يـــرى إمـــرى (المرجع السابق ، ص ٢٣١) إن سيادة ملوك نباتا على مصر امتدت حوالى سبعين عاما .

وكان أول ملوك الأسرة فى نباتا هو الملك ألرا ، وكان مواليا لعبادة آمون . وبعـد ذلـك تولـى شـقيقه كاشاتا ، الذى أخذ يعد العدة لغزو مصر .[١] واستطاع الاسـتيلاء على جزء من صعيد مصر ، واستولى على طيبة وأجبر الملك أوسركون الثالث الذى كان يحكم فى طيبة على التقهقر إلى الدلتا .[٢]

وتوفى كاشاتا عام ٧٥١ ق. م. وجاء من بعده ابنه بعنخى (٧٤٨- ٧١٢ ق. م) الـذى صمم على إتمام ما بدأه أبوه لفتح شمال الوادى وتوحيده تحت زعامة نـباتا ، وتحدث بعنخى عن حروبه فى نصوص لوحة من الحجر الجيرى عثر عليها عام ١٨٦٢ فى معبد آمون بجبل برقل وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم JE 48862 ، وحيـنما أمـر بعـنخى قواته بالتقدم شمالا لإعادة الأمور إلى نصابها فى مصر ، كان يوصيهم خيرا بمدينة آمون فيقول : [٣]

" إذا مـا وصـلتم مدينة طيبة ، وواجهتم معبد الكرنك ، فأنزلوا إلى الماء وتطهـروا فـى الـنهر ، ثم ارتدوا ملابسكم قبل أن تخرجوا إلى الشاطئ ، اخفضوا القوس ، وفكوا السهام ولا تتباهوا أمام معبود القوة (آمون) فليس هناك من شجاعة بدونـه ، فهو يجعل من الضعيف قويا ، ويجعل الكثرة تعطى ظهرها للقلة ، والرجل الفـرد يغلب ألفا ، وانثروا مياه قرابينه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وقولوا له : أهدنا الطـريق ، فكلـنا يحارب فى ظل بأسك ، فالجيش الذى يقوده ينتصر ، وتخضع له الكـثرة .[٤] ونزل جيش بعنخى النيل فوق أسطول ضخم ، ووصل إلى طيبة ، وبعد أن تلقى بركة آمون تابع طريقه فى النيل وتقابل مع أسطول تف نخت الأمير الوطنى مـن سـليس والـذى كان يصعد النيل فى اتجاه طيبة ، واندفعت قوات بعنخى حتى

---

(١) د. محمـد بكـر : تاريخ السودان القديم ، ص ١١٠ ؛ وولتر إمرى : المرجع السابق ، ص ٢١٨- ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١١٥ . قام بدراسة هذه اللوحة حديثا :
Grimal, la Stéle Triomphale de Pi (ankh)y, IFAO CV (1981), p. 224-226 .

هيراقليوبولــيس حيــث كــان يوجــد تف نخت على رأس تحالف مكون من أمراء هرموبوليس وليونتوبوليس وبوبسطة . وكان القتال برا وبحرا ، وتلقى المتحالفون من الشــمال أول هــزيمة لهــم فــى مــنطقة بحر يوسف . واضطر تف نخت وحلفاؤه للانسحاب إلى الدلتا . وعندما وصلت قوات جيش بعنخى إلى هذا الحد ترددت ورأت انه من الأفضل لها العودة نحو الجنوب . وعندما وصلت هذه الأخبار إلى بعنخى فى نــباتا ، أظهر نوعا من الضيق لأن جيشه لم يواصل انتصاراته وغزا الدلتا . وقرر علــى الــتو الذهاب بنفسه إلى مصر وبدأت قواته تقتحم هرموبوليس والبهنسا وطهنا واللاهــون ومــنف وهليوبوليس وأتريب وبعدها اتجه إلى الدلتا .[١] وبعد ذلك تم له غــزو البلاد كلها . ويعد بعنخى هو المؤسس الرئيسى للأسرة الخامسة والعشرين فى مصــر ، وذلك بعد هزيمة تف نخت . ولا نعرف حتى الآن الأسباب التى أدت إلى عودة بعنخى المفاجئة إلى نباتا . ولكن نعلم انه حكم على عرش نباتا ومصر حوالى خمســة وثلاثيــن عاما .[٢] (اى من حوالى عام ٧٤٨ إلى عام ٧١٢ ق. م). وانه حكم على مصر لمدة أربع سنوات فقط من عام ٧٣٦ إلى عام ٧٣٢ ق. م.[٣]

وبعــد ذلك جاء شاباكا خليفة بعنخى وأعاد غزو مصر كلها (٧١٢- ٦٩٨ ق. م) وهــو الــذى أنهــى حكم الأسرة الرابعة والعشرين . وأقام شاباكا فى معبد الكــرنك أجزاء معمارية هامة . وفى الكرنك أرخ تسجيل ارتفاع مياه الفيضان بالعام الــثانى مــن حكمــه .[٤] وهو الذى قرر أن يوحد المملكة المصرية ومملكة نباتا فى مملكــة واحــدة كبــيرة وعــندما حاول باك إن رن إف ثانى ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ٧١٦- ٧١١ ق. م. التصدى لغزو شاباكا للدلتا لقى حتفه ، ويعد ذلك هو الغزو الكوشى الثانى لمصر ، ثم أصبحت البلاد كلها خاضعة تحت لواء حكم شاباكا بعــد أن قامت الأسرة الخامسة والعشرين (أعوام ٧٤٨- ٦٦٤ ق. م). وحكم فيها بعد بعنخى أربعة ملوك :

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، طبعة ١٩٩٧، ص ٣٨٧- ٣٩٠ .
(٢) المرجع السابق ، مر ٣٩٧ حاشية (١) .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

شـــاباكا (٧١٢ – ٦٩٨ ق. م) ، شاباتاكا (٦٩٨– ٦٩٠ ق. م) ، طهرقا (٦٩٠–٦٤٤ ق. م) ، تـــانوت آمـــون (٦٦٤– ٦٦٣ ق. م)[1] . و انتهـــت هذه الأســـرة الكوشية بالغزو الآشورى لمصر ثلاث مرات ، الأولى فى عام ٦٧١ ق. م. والثانية فى عام ٦٦٦ ق. م. الثالثة عام ٦٦٤ ق. م. وأرغم تانوت آمون على الفرار فـــيما وراء الحدود الجنوبية إلى نباتا وعاد إلى كوش وتوفى ودفن فى كورو . وهو يعد آخر ملك فى سلسلة ملوك نباتا الذين حكموا مصر . ولن نرى أى ملك من هذه الســـلالة يحكم مصر بعد ذلك . ولكن هذه السلالة استمرت وعاشت لعدة قرون بعد ذلك فى منطقتى مروى ونباتا .

وفـــى عصـــر الأســـرة السادسة والعشرين بدأت كوش تعد العدة من جديد للهجوم على حدود مصر الجنوبية (٥٩٤ ق. م) وأحس الملك بسماتيك الثانى ثالث ملـــوك الأســـرة (٥٩٤– ٥٨٨ ق. م) بهـــذا الخطر فأرسل جيشا مكونا من قوات مصـــرية ومرتزقة من الكاربيين والدرونيين والفينيقيين واليهود . وكان القائد بوتا–ســـيمتو يقـــود أولـــئك الذين يتحدثون لغة أجنبية . وكان يقود القوات المصرية القائد المصرى أمازيس وعبرت القوات النوبة العليا ووصلوا إلى نباتا وربما تتبعوا الأعداء حتى الجندل الرابع (برقل ودنقله القديمة) . وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين عـــثر عليهما فى تانيس والكرنك . وعند عودة هؤلاء المرتزقة نقشوا على ركبة أحد تماثـــيل رمســـيس الـــثانى الضـــخمة أمام معبد أبو سمبل النقوش اليونانية الشهيرة لبوتاســـيمتو [2] وبعد هذه الحملة قام الملك بسماتيك بمحو كل أسماء ملوك نباتا مثل

---

(١) يعطـــى ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة د. أحمد موسى ود. أحمد يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية العدد ٢٧ ، ١٩٩٨، ص ٥٦ الـــتواريخ الآتية : بعنخى (٧٥١– ٧١٦ ق. م) ، شاباكا (٧١٦– ٧٠١ ق. م) شاباتاكا (٧٠١– ٦٩٠ ق. م) طهرقا (٦٩٠– ٦٦٤ ق. م)، تانوت آمون (٦٤٤– ٦٥٦ ق. م) .

(٢) تـــرجم هذا النص المكون من خمسة أسطر إلى العربية فى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦–٣٤٧ ، ونقرأ فى السطرين ٣–٤ : " إذا صعدوا إلى كركيس بقدر ما مكنهم النهر من المسير إذا كان بوتاسيمتو يقود الأجانب وأمازيس المصريين " .

بعنخى وطهرقا من على كل الآثار .[١]

(ب) علاقات ود وتعاون مشترك :

لـم تكن العلاقات متوترة بصفة مستمرة مع أهل الجنوب ولكن نعرف من نصـوص عصر الدولة القديمة أن مصر كانت تستعين بجنود من عناصر المجاو فى جيشـها وخاصة كحراس للمناطق الحدودية وكحرس خاص للملك وكرجال شرطة . ويذكر د. بكر إن مصر كانت تستعين بأهل كوش كمحاربين أقوياء منذ عصر الأسرة السادسـة . وفـى العصر الأهناسى حتى قيام الدولة الوسطى لعبت القوات الكوشية دورا هاما أثناء الخلافات بين بيوتات الحكم المتنازعة على عرش مصر فى كل من مصـر الوسطى والصعيد . وقد حفظ لنا أحد حكام الأقاليم فى مصر الوسطى ويدعو " مسحتى " فى مقبرته بأسيوط ، نموذجا فريدا لفصيلة من المحاربين من أهل كوش ، الذين تخصصوا فى حمل الأقواس ودقة التصويب بالنبال .[٢] ونعلم أن الملك أحمس أثـناء حـرب التحرير ضد الهكسوس استعان بقوات من المجاو التى أصبحت تعمل أمـره القـيادة المصرية وتمثل أفضل العناصر المحاربة وأشدها صلابة فى القوات المتقدمة .

واسـتمرت شـهرة جنود كوش كمحاربين أقوياء . فكان الملوك المصريين يحرصـون علـى اسـتدعاء نفر منهم ليكونوا ضمن حرسهم الخاص . ففى عصر تحوتمـس الثالـث ذكـر انـه اختار عشرة رجال من كوش ليصبحوا ضمن حرسه الخاص . [٣]

وكان حامل المروحة الخاص بالملك توت عنخ آمون من أهل كوش .

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٤٢٨ .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

وفــى المقــبرة رقم ١٨ بالبر الغربى بطيبة نرى نقشا لثلاثة أشخاص كان أحدهم يحمل لقب " رئيس فرق الشرطة الكوشية " ولوحظ أنه صور وفى يده قوس . وهو السلاح الذى طالما برع سكان جنوب مصر فى استخدامه .(١)

وكــان الغرض من تبنى ابنة بعنخى كعابدة مقدسة لآمون هو السيطرة على نفوذ كهنة آمون وأملاكهم . (٢)

وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، كان ضمن قوات الملك نكاو الثانى ثانى ملوك الأسرة (٦٠٩- ٥٩٤ ق . م) مرتزقة من كوش وليبيا .

(ج) تأثــر الجــنوب بنظم الحكم المصرية والاستعانة بالخبرة المصرية فى هذا المجال :

تطلب الأمر عند قيام دولة كوش الاستعانة بعدد من رجال الإدارة المدربين من مصر للعمل فى المراكز الإدارية ، حيث شاركوا فى إنشاء جهاز إدارى منظم ، على نمط ما كان موجودا فى مصر فى عصر الدولة الحديثة وما قبلها .(٣) وكان من نتــيجة ذلك أن استقرت بعض العائلات المصرية فى بعض الأماكن فى كوش . وفى الواقــع أن سياسة ملوك الدولة الحديثة تجاه كوش كانت تهدف إلى التعاون مع أهل الــبلاد ، حيث سمح للأمراء المحليين أن يستمروا فى حكم مقاطعاتهم ومدنهم ، كما ســمح لأبــناء الأمراء الكوشيين بأن يتربوا فى القصر الملكى مع أولاد الملك ليألفوا مظاهــر الحضــارة المصرية ، وليتم إعدادهم إعدادا خاصا ليخلفوا آبائهم فى حكم أقاليمهم .(٤)

وبعد أن أعيد ضم بلاد النوبة إلى مصر فى أوائل الدولة الحديثة . أصبحت بلاد النوبة بقسميها واوات وكوش تحت إشراف أحد كبار رجال الدولة ، وكان يختار

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٢) المرجع السابق ، ٢١٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٩- ٧١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

من بين رجال الدولة المصريين ليس من الأسرة المالكة ويحمل لقب " نائب الملك أو ابـن الملـك حاكم كوش " . ويلاحظ أن معظم من حملوا هذا اللقب كانوا أصلا من طيـبة وقـد تركوا لنا آثارا عديدة وبخاصة فى دائرة عملهم منها العديد من اللوحات والتماثـيل . وكانـت أحـيانا عبارة عن مقاصير حجرية كاملة أو نقوش صخرية . ومعـنى ذلـك أن إقامة مقاصير للعبادة بواسطة نائب الملك فى كوش إنما يشير إلى مدى النفوذ المطلق الذى منحه الملك المصرى لشاغل ذلك المنصب وينبغى أن نذكر أن اسم الملك ظل يحتل مكان الصدارة فى نقوش هذه المقاصير .[١]

وكان نائب الملك فى كوش يشرف على المنطقة الواقعة جنوبى مصر التى امتدت من الكاب شمالا حتى نباتا جنوبا وربما إلى أبعد من ذلك . وكان تحت إمرته العاملون فى الجهازين العسكرى والإدارى وعلى رأسهم قائد الجيش وكان يلقب بلقب رئيس الرماة ، يليه اثنان من المستشارين يختص أحدهما بالجزء الشمالى " واوات " والآخـر بالجـزء الجنوبى " كوش " .[٢] ويضاف إلى واجباته الإشراف على جميع شـئون البلاد وتقديم الجزية فى موعدها حيث يقوم نائب الملك فى كوش على رأس الوفد المحلى المرافق لحاملى الجزية ويشرف بنفسه على تسليمها لوزير الخزانة فى احتفال كبير ، يحضره عدد من الأمراء المحليين الذين يفدون فى صحبة نائب الملك إلـى طيبة . وقد قسمت بلاد كوش إلى خمسة أقسام ، يحكم كل قسم منها أمير محلى معـنى ذلـك أن أمـراء البلاد المحليين شاركوا فعلا فى إدارة دفة الحكم أيام الدولة الحديـثة كل أمير فى منطقته .[٣] وفى نفس الوقت كان عليهم الالتزام بجانب الوفاء لنائب الملك المصرى فى كوش .

وبلغ عدد نواب الملك حكام كوش فى الفترة من الأسرة الثامنة عشرة حتى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

الأسرة الحادية والعشرين ثلاثين شخصا .[١] (ثلاثة عشر نائبا من الأسرة الثامنة عشرة وسبعة عشر نائبا من عصر الأسرات التاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين) .

ومن أهم المناظر المسجلة فى مقابر " نواب الملك فى كوش " والمنحوتة فى البر الغربى بطيبة ، نرى مواكب تقديم منتجات كوش وجزيتها .[٢] وتبين هذه المناظر مدى تأثير مظاهر الحضارة المصرية على سكان كوش . فنرى أن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية يرتدون الأزياء المصرية . ونرى فى مقبرة آمون مس ورخمى رع مناظر تمثل منتجات كوش أهمها الذهب والعاج والبخور وجلود الحيوانات وبيض النعام والماشية والزراف والقردة . وفى مقبرتى حور وقن آمون نرى بعض الأدوات من كوش مثل قطع الأثاث والعجلات والمراوح وريش النعام والدروع .[٣]

أما بالنسبة للشمال ، فكانت هناك علاقات ما بين الشاطئ المصرى وجزر بحر ايجه منذ أقدم العصور ، فإذا تحدثنا عن المادة الأثرية المصرية نقول أنه عثر فى قصر كنوسوس على آثار مصرية ترجع إلى عصور ما قبل الأسرات وبداية الأسرات ، فقد عثر بقصر كنوسوس على الآثار الآتية :

- إناء من الحجر الرخامى الملون يبلغ ارتفاعه ١١ سم ، وقد عثر عليه فى شمال غرب القصر ، والأثر موجود الآن بمتحف كانديا تحت رقم ٢٠٩٢ .
- الجزء الأسفل من إناء من الحجر الرخامى الملون .
- رأس حربة من حجر الديوريت كمثرية الشكل ، وهو محفوظ الآن فى متحف الأشموليان باكسفورد تحت رقم ٨٣٨ .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٠- ٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

- إناء من الحجر الرخامى الملون ويرجع تاريخه إلى عصر الأسرتين الأولى والثانية .[١]

ويرى بعض العلماء أن هذه الأوانى الحجرية المصرية قد ذهبت إلى جزر بحـر ايجـه فـى مراكب سورية أو كريتيه كسلعة قيمة للاتجار فيها .[٢] ومن جهة أخـرى عثر على بقايا آثار كريتيه أو ايجيه فى مقابر الأسرة الأولى فى مصر . فقد عثر بترى على فخار ايجى فى مقبرة جر بأبيدوس وكذلك مقبرة وديمو . [٣]

وعـثر مـن عصر الأسرة الحادية عشرة على منظر نقش على قطعة من حجـر إحـدى المقابـر ظهر فيه بعض المينويين الذين جاءوا إلى الوزير المصرى يحملـون بعـض السـبائك المعدنـية كهديـة له . ومن منظرهم ما يدل على انهم ايجييـن .[٤] وعثر على آثار مصرية أخرى فى بعض المواقع الكريتية والتى ترجع إلى عصر الأسرة نفسها . ففى منطقة المقابر فى جنوب جزيرة كريت ، فى آجيوس انفـريوس عـثر على ثلاثة جعارين من الأسرة الثانية عشرة وفى منطقة اجيا تريادا عـثر علـى خاتم أسطوانى عليه رسم لزهرة اللوتس ، من العصر نفسه ، كما عثر على تميمة من ا للازورد . [٥]

وفـى مـنطقة بسـيخرو عثر على جعل من الأماتيست ظهر عليه قرص الشـمس ويرجع كذلك إلى عصر الأسرة الثانية عشرة . وفى منطقة بلاى كاسترو عثر على تمثالين لرجلين مصريين صغيرين من العاج محفوظان بمتحف كانديا تحت رقمى ١٤٢-١٤٣ .[٦]

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٦١ (أ- د) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٣) المرجع السابق ، ٦١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٠- ١٤٢ لوحة ٢٨ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٥ – ١٤٦ لوحة ٣٠ .

وعـــثر في بلاتانوس على جعل من الحجر الجيرى . وفى منطقة جورنس عثر على حبات خرز من القيشانى . وفى منطقة كنوسوس عثر على النصف الأسفل لتمـــثال مصـــرى وهو لأحد الموظفين المصريين الذى يدعى اوسر ، أرجعه بعض العلماء إلى عهد الملك أمنمحات الأول أو بعد ذلك .[١] وقد عثر على هذا التمثال فى القصر الملكى فى شمال غرب الفناء الأوسط ، والأثر موجود الآن فى متحف كانديا تحـــت رقـــم ٩٥ . وربما كان اوسر هذا مبعوثا مصريا أرسل فى مهمة رسمية إلى كريـــت . أو أن صاحب التمثال حضر بنفسه إلى كنوسوس لتحقيق منفعة شخصية . أو انه مكث فى داخل القصر ورغب فى أن يترك ذكرى له داخل جدرانه .[٢]

ومـــن ناحـــية أخرى عثر تحت أرضية معبود الطود جنوبى الأقصر على أربعـــة صناديق كان ضمن محتوياتها مصوغات أو حلى ذات طراز ايجى . ويرجع هذا الكنز إلى عهد الملك أمنمحات الثانى .[٣] وعثر كذلك على فخار كريتى فى مدينة اللاهون ، وهى المدينة التى شيدت فى عهد سنوسرت الثانى ، وهى عبارة عن أوانى من الفخار الكريتى الذى عرف باسم الفخار الكامارى .[٤]

وعـــثر علـــى غطـــاء مصـــنوع من الألباستر والذى يحمل اسم خيان ملك الهكســـوس فى كنوسوس ، مما يدل على أن العلاقات التجارية بين مصر وكريت لم تـــنقطع أثناء حكم الهكسوس .[٥] وعثر فى ميكيناى فى كريت على عدة آثار مصرية مـــن عصر الدولة الحديثة فقد عثر على تمثال لبابون من القيشانى الأزرق نقش على كـــتفه الأيمـــن اســـم أمنحتـــب الثانى .[٦] وهو محفوظة الآن بمتحف أثينا تحت رقم

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧- ١٥٠ لوحة ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١ ١- ٥٦ ١ لوحة ٣٢- ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٤- ١٥٧ لوحة ٣٤- ٣٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

٤٥٧٣ . وعــثر علــى جعل نقش عليه اسم الملكة تى زوجة الملك أمنحتب الثالث محفــوظ بمتحف أثينا تحت رقم ٢٥٣٠ وعثر كذلك على قطعة من آنية من القيشانى الأزرق عليها اسم الملك أمنحتب الثالث .(١)

ومــن الدولة القديمة عثر فى بلاد اليونان على آنية من المرمر فى جزيرة سريجو بالقرب من الشاطئ الجنوبى لليونان عليها اسم وسر كاف أول ملوك الأسرة الخامســة .(٢) وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة عثر فى بلاد اليونان على جعل من الحجــر عليه نقش لعلامة عنخ نقشت أمام تمثال لأبى الهول المجنح ، وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى .(٣)

وعــثر أيضا فى إسبرطة على جعل من القيشانى الأزرق عليه منظر غير واضح .(٤)

أمـــا عن ذكر المناطق الشمالية : الحاو نبوت وبلاد كفتيو والجزر التي تقع في وسط الأخضر العظيم ومينوى واسي (قبرص) في النصوص المصرية وتمثيل شعوبهم في مقابر عصر الدولة الحديثة نقول :

إن فركوتيه قام فى مؤلفه عن " مصر والعالم الايجي قبل الهلينيه " بدراسة هامة تناول في الجزء الأول منها ما يلى :

أولا : من هم الحاو – نبوت ؟

قام بعرض مختلف الآراء بالنسبة لهذه الشعوب ، فمنذ عصر الدولة القديمة كانت تشير إلى شعوب غير محددة التى تقع فى الشمال الشرقى لحدود مصر . وفى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ١٧٩ .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ – ٢٤٦ لوحة ٤٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

عصر الدولتين الوسطى والحديثة كانت تشير إلى الآسيويين فى شمال شرق مصر . وفـى نهاية الدولة الحديثة أصبحت تشير إلى البرابرة أو الأجانب بوجه عام . ويرى فركوتيه أن هذا التعبير الغامض يشير إلى شعوب الساحل الآسيوى البعيد .(١)

وفى رأينا أن هذا التعبير يتكون من جزئين : H3w بمعنى " فيما وراء "(٢) و nbwt بمعـنى " حدود"(٣) أى أن التعبير يعنى " الشعوب التى (تقطن) فيما وراء الحدود " (أى الحدود الشمالية لمصر) .

ثانيا : بلاد كفتيو(٤) :

عـرض أولا المشـكلة وأشار إلى آراء العلماء فى هذا الصدد وجاء ذكر الكفتـيو لأول مـرة فى النصوص المصرية ، ففى نص إيبوور الذى كتب فيما بين الأسرة الثامنة وبداية الأسرة الحادية عشرة يتحدث عن عدم مجئ الزيوت التى كانت مخصصـة لتحنـيط مومياوات الملوك وتأتى من البلاد البعيدة للكفتيو .(٥) وفى نص آخـر علـى لوحة من عصر الأسرة الثانية عشرة (سنوسرت الأول) يذكر لنا لقب " كاهن حورس كفتى ".(٦) وفى بردية من بداية الأسرة الثامنة عشرة تصف لنا وصفة طبية جاء ذكر الحمى التى تنتقل عدواها من بلاد كفتيو(٧) ، وذكرت أيضا على لوحة تلميذ من بداية الأسرة الثامنة عشرة وجاء فيها " كون أسماء بلاد كفتيو " .(٨) وابتداء

(١) Vercoutter, L’Égypte et le monde Égeen, p. 15-32 (2).

(٢) Meeks, Alex. I, p. 234; r. 111, p. 183.

(٣) Meeks, op. cit., I, p. 187.

(٤) Vercoutter, op. cit., p. 33-123.

(٥) Id., op. cit., p. 43 (doc. 3) .

(٦) Vercoutter, op. cit., p. 38 (doc. 1).

(٧) Id., op. cit., p. 39 (doc. 2) .

(٨) Id., op. cit., p. 45 (doc. 4) .

مــن عصر تحوتمس الثالث جاء الحديث عن كفتيو فى نصوص عديدة : نص يصف الرعب الذى يسببه جلالته لبلاد الغرب : كفتيو وإسى (قبرص)(١) ، ومن النصوص الـتى تخـص حملاته فى معبد الكرنك ، نص الحملة التى قام بها فى العام ٣٤ من حكمــه علــى بلاد نهارينا الذى يشير إلى موانى جلالته التى فتحت لاستقبال أفضل المنتجات التى تحملها سفن الكفتيو .(٢)

ونص آخر يحدثنا عن سفن شيدت بواسطة أهالى كفتيو ومزودة ببحارة من بـنى جنســهم ، وصــدرت إلى مصر وكانت تعمل فى ميناء منف(٣) ، ونص ثالث يحدثنا عن جزية عبارة عن آنية اوشابتى من الفضة من إنتاج بلاد كفتيو .(٤)

وفــى مقابــر نبلاء عصر الأسرة الثامنة عشرة تحت حكم تحوتمس الثالث توالت أنواع الجزية والهدايا من بلاد كفتيو . ففى مقبرة رخمى رع جاء ذكر " جزية الكفتيو التى أحضرها أمراء كفتيو والجزر التى فى وسط البحر(٥) ، أو التى أحضرها كبير (أو زعيم) بلاد الكفتيو " .(٦)

وأشار بعد ذلك إلى النصوص من عصر أمنحتب الثانى حتى نهاية الأسرة الثامــنة عشــرة ، وتشير إلى الجزية من بلاد متعددة منها بلاد كفتيو .(٧) ونص من عصر تحوتمس الرابع يشير إلى آنية حست تحتوى على منتجات كفتيو .(٨) وفى نص آخــر مــن عصــر أمنحتــب الثالــث يشير إلى البلاد التى هزمها الملك من بينها

---

(١) Id., op. cit., p. 51 (doc. 5)
(٢) Id., op. cit., p. 53 (doc. 6) .
(٣) Id., op. cit., p. 54 (doc. 7) .
(٤) Id., op. cit., p. 55 (doc. 8) .
(٥) Id., op. cit., p. 57-58 (doc. 9 a-b) .
(٦) Id., op. cit., p. 64 (doc. 109) .
(٧) Id., op. cit., p. 68-69 (doc. 11-12).
(٨) Id., op. cit., p. 75 (doc. 13) .

بـــلاد الكفتيو .[١] (ونحن نشك فى أنه وصل إلى هناك ، وربما ذكر ذلك على سبيل الدعاية الحربية) . ومن عصر هذا الملك تعويذة ضد أمراض سكان الكفتيو .[٢]

ثـــم حدثنا بعد ذلك عن نصوص الأسرة التاسعة عشرة : ففى معبد أبيدوس مـــن عصر رمسيس الثالث ذكر البلاد التى كانت تدين له بالولاء وتحضر له الجزية مـــن بينها بلاد الكفتيو وإسى (قبرص) .[٣] ونجد القائمة نفسها فى بعض معابد بلاد النوبة والأقصر لرمسيس الثانى وذكرت فيها بلاد كفتيو .[٤]

ويمكن القول بأن مصر كانت تستورد الأحجار نصف الكريمة خلال الأسرة الثامـــنة عشـــرة مـــن بلاد كفتيو ، ففى نص يرجع إلى عصر لاحق لعصر رمسيس الـــثانى نجـــد ذكـــر : " الأحجار ذات اللمعان من بلاد كفتيو "[٥] ومن نهاية الأسرة التاسعة عشرة جاء فى بردتين اسم شخص يدعى " الكفتاوى " .[٦]

ومـــن عصـــر الملـــك رمسيس السادس لدينا نص يحدثنا عن زيارة أمراء بوزيريس لبلاد الكفتيو .[٧]

ومـــن العصر البطلمى تحدثنا بعض النصوص عن البلاد التى كانت ترسل القمح إلى مصر " من بلاد الكفتيو "[٨] وبعض المعادن .[٩]

---

(١) Id., op. cit., p. 78-79 (doc. 14-15).

(٢) Id., op. cit., p. 82-83 (doc. 16 a-b).

(٣) Id., op. cit., p. 87 (doc. 17).

(٤) Id., op. cit., p. 89 (doc. 18-19).

(٥) Id., op. cit., p. 95 (doc. 20).

(٦) Id., op. cit., p. 96-97 (doc. 21-22).

(٧) Id., op. cit., p. 98 (doc. 23).

(٨) Id., op. cit., p. 100 (doc. 24).

(٩) Id., op. cit., p. 102 (doc. 25).

ويقال لبطلميوس الثانى وارسينوى أن أهل بلاد الكفتيو يحضرون لك هداياهم .[١] وفى المناظر التى تمثل مواكب الأقاليم فى معبد كوم أمبو ذكرت بلاد كفتيو مرتين .[٢] والمقصود هنا بذكرها هو ذكر منتجاتها هدية المعبود الرئيسى للمعبد . وفى معبد إدفو نجد أن من بين الهدايا التى تقدم لحورس منتجات كفتيو .[٣] ثم تحدث فركوتيه بعد ذلك عن كيفية كتابة الاسم كفتيو[٤] ومعنى الاسم من Kf3 بمعنى " يكون فى المؤخرة أو فى الخلف[٥] ، وأعطانا بعد ذلك قائمة بأشكال الكلمة فى الكتابة .[٦]

ثالثا : تحدث عن " الجزر التى تقع فى وسط الأخضر العظيم "[٧] :

(Iw w ḥryw-ib nw W3ḏ-wr)

عرض أولا مشكلة هذه الجزر[٨] ، ثم تحدث عن ذكرها فى النصوص قبل عصر تحوتمس الثالث . وأول ذكر لها فى قصة سنوهي فى نهاية دعاء للمعبودات :

" المعبودات أسياد مصر وجزر الأخضر العظيم "[٩]

وجاء ثانى ذكر فى نص من عصر تحوتمس الأول ، شبه فيه الملك بالمعبود حورس وأن " جزر الأخضر العظيم خضعت له ، والأرض كلها تحت أقدامه " .[١٠]

---

(١) Id., op. cit., p. 103 (doc. 26) .
(٢) Id., op. cit., p. 104 - 105 (doc. 26 - 27) .
(٣) راجع فيما بعد النصوص الخاصة ببلاد بونت ، النص رقم (١٣٨) .
(٤) Id., op. cit., p. 106-115 .
(٥) Id., op. cit., p. 116-122 .
(٦) Id., op. cit., p. 122-123 .
(٧) Id., op. cit., p. 125-158 .
(٨) Id., op. cit., p. 125-126 .
(٩) Id., op. cit., p. 127 (doc. 29) .
(١٠) Id., op. cit., p. 128 (doc. 30) .

ثم تحدث عن ذكرها فى النصوص المعاصرة لتحوتمس الثالث حتى نهاية الأسرة الثامـــنة عشرة . فعلى نقش حفر حول آنية من الذهب للقائد تحوتى ومحفوظة فى متحف اللوفر نقرأ : " إنه كان محل ثقة الملك لكل البلاد الأجنبية والجزر التى فى وسط الأخضر العظيم ، الذى يملأ المخازن باللازورد والفضة " .(١)

وفـــى مقبرة وزير تحوتمس الثالث ووسر آمون نقرأ نصا يصاحب تمثيل الجزية الأجنبية :

" تلقـــى الجزية التى أحضرتها قوة جلالته من البلاد الأجنبية الشمالية لقارة آسيا ومن الجزر التى فى وسط البحر ، بواسطة الأمير والحاكم وسر آمون " .(٢)

وفى نص على لوحة من جبل برقل يتحدث تحوتمس الثالث قائلا : " لقد قضيت علـــى الأقواس التسعة ، والجزر التى فى وسط الأخضر العظيم ، والحاو نبوت ، والبلاد الأجنبية الثائرة " .(٣)

وفى نص آخر على لوحة لتحوتمس الثالث يذكر المعبود آمون فيه أفضاله على الملك : " لقد وصلت ، وجعلتك تعاقب هؤلاء الذين فى الجزر ، وهؤلاء الذين يسكنون فى وسط الأخضر العظيم " .(٤)

وفى مقبرة رخمى رع يوجد نص ، نقرأ فيه : " المجئ فى سلام بواسطة أمراء بلاد كفتيو والجزر التى تقع فى وسط الأخضر العظيم " .(٥)

وابـــتداء مـــن عصـــر أمنحتـــب الرابع أصبحت الوثائق تذكر الجزر فى وسط الأخضر العظيم بدقة أكثر . ففى نص من تل العمارنة نقرأ :

---

(١) Id., op. cit., p. 129 (doc. 31).
(٢) Id., op. cit., p. 130 (doc. 32).
(٣) Id., op. cit., p. 132 (doc. 33).
(٤) Id., op. cit., p. 133-34 (doc. 34).
(٥) Id., op. cit., p. 133 (doc. 35).

" لتلقى جزية خارو (سوريا) وكوش (النوبة) والبلاد الغربية ، والشرقية ومن كل البلاد الأجنبية التى اتحدت مرة واحدة والجزر فى وسط الأخضر العظيم تحضر هداياها إلى الملك الذى على العرش الكبير لآخت آتون ".(١)

ونقرأ فى نشيد لآتون : " الجنوب وأيضا الشمال والغرب والشرق (وأيضا) الجزر التى فى وسط الأخضر العظيم ، يصبحون فى سعادة بفضل شخصك ".(٢)

ومن عصر الرعامسة نجد النص الآتى على لوحة محفوظة فى متحف الإسماعيلية يتحدث فيه حورس إلى الملك رمسيس الثانى :

" سيفك يحمى مصر ، توسعت حدودك ، قضيت على السوريين ، والنوبيين ، والليبيين ، والبدو الشاسو ، والجزر التى فى وسط البحر الأخضر ، بسبب انتصارات سيفك ، أنت تصطحبهم إلى مصر ".(٣)

وفى نص آخر لرمسيس الثانى من طيبة يقال له : " إنه (أى آمون) يعطيك الجنوب والشمال والغرب والشرق وأيضا الجزر فى وسط الأخضر العظيم ".(٤)

وعلى لوحة من تانيس يقال لرمسيس الثانى : " رمسيس الثانى ، هيبته عبرت الأخضر العظيم ، والجزر التى فى وسطه أصبحت تحت رهبته ويأتون إليه مع جزية رؤسائهم ".(٥)

وفى معبد الأقصر يوجد قائمة بالبلاد التى بها مناجم ، من عصر رمسيس الثانى : " صيغة تقال بواسطة بلاد المناجم والجزر التى فى الوسط إلى ابن رع ، رمسيس

---

(١) Id., op. cit., p. 134-135 (doc. 36)

(٢) Id., op. cit., p. 36 (doc. 37).

(٣) Id., op. cit., p. 137(doc. 38).

(٤) Id., op. cit., p. 138 (doc. 39).

(٥) Id., op. cit., p. 139 (doc. 40).

الثانى : لقد جئت وأحضرت لك ... فى زكائب عديدة " .[١]

وابتداء من عصر الأسرة العشرين ، أى عصر رمسيس الثالث ذكرت الجزر فى وسط الأخضر العظيم أكثر من مرة . ففى معبد مدينة هابو ، نقرأ :

" الأجانـب الذيـن أتوا من بلادهم ومن الجزر وسط الأخضر العظيم ، بينما هم يتقدمون نحو مصر ، وقلوبهم كلها ثقة فى قوة أيديهم ، كان هناك فخا يعد لهم " .[٢]

وعلـى بردية محفوظة فى متحف ليدن يوجد نشيد لآمون نقرأ فيه : " ... ثقيل عندما يصل الأرض ، فى الجزر التى فى وسط الأخضر العظيم " .[٣]

وفـى نـص لوحـة بعـنخى يتوجه بالكلام إلى آمون ويؤكد أنه أطاع أوامره المقدسـة : " إننى وصلت جزر الأخضر العظيم لأننى أحترم قوتك " .[٤] وفى هذا النص نوع من المبالغة لأنه لم يصل بالفعل إلى هذا المكان .

وفـى معبد إدفو نقرأ فى منظر تقديم منتجات خنت – شى : " لأن خوفك يغمر الوجهين وفى البلاد الأجنبية ، والرعب الذى تثيره فى جزر الأخضر العظيم " .[٥]

وفـى نـص آخر فى معبد إدفو يعلن حورس للملك : " إننى جعلت خوفك يغمر الجزر التى فى وسط الأخضر العظيم وبلاد الحا نبوت " .[٦]

---

(١) Id., op. cit., p. 139 (doc. 41).
(٢) Id., op. cit., p. 141 (doc. 42).
(٣) Id., op. cit., p. 145 (doc. 49).
(٤) Id., op. cit., p. 147 (doc. 51).
(٥) Id., op. cit., p. 147 (doc. 52).
(٦) Id., op. cit., p. 148 (doc. 53).

وفـــى نـــص مشابه فى معبد إدفو نقرأ : " إننى جعلت خوفك يذهب إلى الجزر التى فى وسط الأخضر العظيم ".(١)

وفـــى مرسوم كانوب نقرأ : " (قمح يأتى من) جزيرة سبى ناى التى فى وسط الأخضر العظيم ".(٢)

ثم تحدث فركوتيه عن معنى الاسم ، وأشكال كتابته .(٣)

رابعا : تحدث عن " منوس " (Mnws)(٤) :

وبـــدأ بعرض المشكلة ومختلف آراء العلماء عن موقعها(٥) ، ويذكر أنها ظهرت لأول مرة فى نص قصة سنوهى :

" ولعـــل جلالتك تأمر بأن يصطحبوا مكى (أسير) من قدم الجنوبية ، واياوشى من كشو ، ومنوس من بلاد الفنخو ".(٦)

وفـــى نـــص من عصر لأمنحتب الثانى ذكرت بجوار كفتيو : " كل أمراء رتنو العليا ، وكل أمراء رتنو السفلى ، الكفتيو ، المنوس ، وكل البلاد الأجنبية بأجمعها ".(٧)

وفى نص آخر من عصر الملك نفسه ذكرت بجوار كفتيو : " (الأقواس التسعة) ، نهارينا (ميتانى) ، الكفتيو ، منوس ، رتنو العليا (شمال سوريا) ورتنو السفلى ".(٨)

---

(١) Id., op. cit., p. 148 (doc. 54).
(٢) Id., op. cit., p. 149 (doc. 55).
(٣) Id., op. cit., p. 149-158.
(٤) Id., op. cit., p. 159-182.
(٥) Id., op. cit., p. 159-160.
(٦) Id., op. cit., p. 160 (doc. 56).
(٧) Id., op. cit., p. 162-163 (doc. 57).
(٨) Id., op. cit., p. 163 (doc. 58).

وفى نص الكرنك من عصر سيتى الأول يذكر لنا قائمة بشعوب الأقواس التسعة بعد إضافة اسم قبرص ومنوس إليها :

" خيتا ، نهارينا (ميتانى) ، رتنو العليا (شمال سوريا) ، رتنو السفلى (سوريا) ، سانجار (بابل) ، ونو في الجزيرة ، قادش ، بابخ (فى بلاد النهرين) قطنة (شمال قادش) ، إسى (قبرص ؟) ، ومنوس ".[١]

كما ظهرت مرتين فى نص يرجع إلى عصر سيتى الأول يذكر قائمة بالشعوب المنهزمة حوالى ١٩ اسما ، كما ذكرت إسى (قبرص) فى النص نفسه .[٢]

وفى نص فى الكرنك من عصر الملك رمسيس الثانى ، جاء ذكر منوس وإسى[٣] .

وفى نص فى معبد مدينة هابو جاء ذكر منوس وإسى أيضا.[٤] ثم تحدث فركوتيه عن قراءة الاسم ومعناه وأشكال كتابته .[٥]

ارتبط بمشكلة الكفتيو وتحديد موقع منوس ، بلاد إسى ، ففى وثائق الأسرة التاسعة عشرة منوس ارتبطت ببلاد إسى وأجمع علماء المصريات على أنها قبرص[٦] ، ولم يظهر هذا الاسم بين حاملى الجزية من عصر تحوتمس الثالث . ويرى فركوتيه أن إسى تعبر عن قبرص وكانت مرتبطة ببلاد كفتيو ومنوس .[٧] وجاء ذكر إسى فى قصة ون آمون ، الذى اضطرته ريحا مضادة للالتجاء إلى جزيرة قبرص وهناك كاد يقتله أهلها ، ولكن ملكة قبرص عطفت عليه عندما عرفت قصته .[٨]

---

(١) Id., op. cit., p. 165 (doc. 59).
(٢) Id., op. cit., p. 166 (doc. 60) no 27, 36, 41.
(٣) Id., op. cit., p. 169 (doc. 61) no 17, 22.
(٤) Id., op. cit., p. 169 (doc. 62) no 7, 8.
(٥) Id., op. cit., p. 176-182 .
(٦) Id., op. cit., p. 179 .
(٧) Id., op. cit., p. 182
ويعطينا فركوتيه أشكال كتابة الاسم ومن بينها T3 n sbjw بلاد أهل إسى (قبرص) = Id., op. cit., p. 182 n. (2)
(٨) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٩٠ .

وفـــى الجزء الثاني من مؤلفه تحدث فى الفصل الأول عن خصائص الآثار التى تصور الشعوب السابقة .(١)

وفـــى الفصـــل الثاني تحدث عن أشكال هذه الشعوب وتمثيلهم فى مقابر سنموت وبوى ام رع ووسر آمون ورخمى رع ومنخبر رع سنب وآمن ام ابت وقن آمون وانينى وآمن – ام – حب .(٢) فنجد فى مقبرة سنموت منظر وصول بعض المينويين وهم يحملون أوانـــى كبـــيرة متعددة الأشكال ، وذات ألوان جميلة .(٣) ونجد أيضا منظرا للمينويين فى مقـــبرة الوزيـــر وســـر – آمون الذى عاصر الملك تحوتمس الثالث ونجد على جدرانها مبعوثيـــن مينويين يحمل أولهم تمثال نصفى على شكل رأس ثور ، ويحمل الثانى آنية من الفضة بينما يحمل الثالث تمثال ثور صغير ويحمل الرابع تمثال رأس ابن آوى . ويبدو أن هذه التماثيل كانت مصنوعة من الذهب والفضة ومن الأشكال المفضلة عند المصريين .(٤)

وكذلـــك على جدران مقبرة رخمى رع وزير تحوتمس الثالث نرى مبعوثين من الكفتـــيو والمينويين ، نراهم فى مجموعتين : مجموعة من ثلاثة أشخاص ، والثانية مكونة من أربعة وهم يحملون أوانى وعقود وكتل من معدن القصدير .(٥)

وفـــى الفصل الثالث تحدث عن زيهم : عصبة الرأس ، النقبة وأنواعها ، وحزام الوسط ، وحذاء وصنادل القدم ، وزينة الملابس .(٦)

وفى الفصل الرابع تحدث عن المنتجات التى صورت معهم وأحضروها معهم : من أكواب وأوعية برؤوس حيوانات ، وأغطية أوعية فى شكل رؤوس حيوانات ، وأوانى

---

(١) Id., op. cit., p. 185-200 .

(٢) Id., op. cit., p. 200-240 .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ٢٣٧ – ٢٣٩ لوحة ٣٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ لوحة ٤٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤٢ لوحة ٤١ أ ب .

(٦) Id., op. cit., p. 241-304 .

بـــدون مقـــابض ، أوانى مزينة بأشكال حيوانية ، تماثيل ثيران ، وأسلحة وأقمشة وأشياء متنوعة .[١]

وفـــى الجـــزء الثالـــث مـــن هـــذا المؤلف الهام ، تحدث فى الفصل الأول عن مشـــكلة الكفتـــيو وزيهـــم والمنتجات التى كانوا يحملونها وخاصة الأوانى وشكل تسريحة شعورهم .[٢]

وفـــى الفصل الثانى تحدث عن مشكلة الموكينيين ومختلف الآراء بالنسبة لهم ، وتمثيلهم فى مقبرة وسرامون بزيهم .[٣]

وفـــى الفصـــل الثالـــث تحدث عن تاريخ العلاقات بين جزر بحر ايجه ومصر وتمثـــيل شـــعوب هـــذه المـــناطق فى مقابر عصر الدولة الحديثة وذكرهم فى النصوص المختلفة .[٤]

وفـــى الفصل الرابع تحدث عن الطرق التجارية التى كانت تربط بموانى مصر الشـــمالية وجزر بحر ايجه فى عصر الدولة الحديثة . فكان هناك طريقان : الأول : يبدأ من ميناء فى شرق الدلتا ويمر بطول الساحل الفينيقى ويمر بعدها بشمال قبرص . والثانى طريق مباشر يبدأ من ميناء فى غرب الدلتا ويمر مباشرة بعرض البحر المتوسط .[٥]

وترى لالويت أنه كان هناك علاقات دبلوماسية وتبادل للسفراء مع مملكة قبرص (آلاســـيا) فـــى عصـــر الملك أمنحتب الثالث ، فهناك خطاب من هذه المملكة إلى ملك مصـــر : " إلـــى ملـــك مصر ، أخى ، هكذا يتحدث ملك آلاسيا ، أخيك . بالنسبة لى فإن الأمـــور تسير بالحسنى ، وبالنسبة لك فأرجوا أن تكون كذلك ، (وأيضا) بالنسبة لبيتك ، وزوجاتك ، وأولادك ، وخيولك ، وعرباتك ، وبالنسبة لكل ما هو فى داخل بلدك ، فأرجو أن تكون جيدة .

---

(١) Id., op. cit., p. 305-366 .
(٢) Id., op. cit., p. 369-395 .
(٣) Id., op. cit., p. 397-406 .
(٤) Id., op. cit., p. 407-416 .
(٥) Id., op. cit., p. 417-429 .

ومـــن ناحـــية أخـــرى ، علمت أنك تتربع على عرش منزل أبيك ... لقد تلقيت التحـيات مـــن أخى ، وعلى ذلك أرسلت لك ... و ٢٠٠ تالنت من النحاس ... أرجو أن تجعـل رســولى يرحل على وجه السرعة إن أمكن الذى حمل إليك هذه الرسالة . أكتب إلـــى ، أخى لا يجب حجز رجلى الذى تحدث معك ، اتركه يرحل بسرعة بقدر الإمكان ، حـــتى يســتطيع رسولى أن يأتى إليك كل عام . وفيما يخصك لعل رسولك يأتى كل عام أمامى " .(١)

وفـــى خطاب آخر يقول للملك المصرى : " هناك مواطن قبرصى (آلاسيا) قد توفى فى مصر ، وممتلكاته موجودة فى بلدك ، فى حين يوجد أولاده وزوجته فى قبرص (آلاســيا) لعــل أخى يحرص على جمع ممتلكات المواطن القبرصى ويضعها بين يدى رسولى " .(٢)

وهناك نوع آخر من العلاقات يتمثل في هجوم شعوب البحر في العام الثامن من حكـم رمسيس الثالث على مصر عن طريق البر والبحر وأعد الملك رمسيس الثالث لصد هــذا الهجــوم أســطولا ضخما للدفاع عن الدلتا وأعد قوات مدربة جيدا ، ويبدو أنه فاجأ الغـــزاة بعنصــر المفاجأة حتى أنهم لم يستطيعوا الرسو على الشاطئ وهلك أغلبهم ، وقد صـــور لـــنا الفـــنان قتال المصريين فوق سفنهم وشوهد العدو أمامهم وكان من بين تلك الشـــعوب الشردانة ، الدانو ، والبلست الذين اشتهروا فيما بعد ، والثكر ، وعلى أية حال فقـــد تحطـــم أســـطول الغزاة من شعوب البحر أمام شواطئ الدلتا ولم يعاودوا الكرة مرة أخرى .(٣)

فى عصر الأسرة الثالثة والعشرين ، أقام بعض التجار الآيونيين من جزيرة ميليه فـــى آسيا الصغرى ، مركزا تجاريا فى غرب الدلتا ، وكان لهذا الحدث أهميته لأنه يمثل أول خطـــوة فـــى سلســـلة العلاقات العميقة بين اليونان ومصر التى يمكن تحديدها ابتداء

---

(١) Lalouette, Thébes ou la naissance d'un Empire, p. 431 .

(٢) Id., op. cit., p. 433 .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

من هذا التاريخ .[١]

اهتم بسماتيك الأول في بداية الأسرة السادسة والعشرين– أساسا بعلاقاته مع ليديا واليونان . ولتوطيد مركزه السياسي في بداية حكمه استعان بسماتيك الأول بالمرتزقة الذين أرسلوا بواسطة القائد المسمى جيجس الذي كان صديقا لبسماتيك . وكان جيجس هذا قد اغتصب عرش مملكة ليديا فأرسل له جنودا مرتزقة من المدربين على القتال بكامل عدتهم لمعاونته . وبالفعل نجح بسماتيك الأول في القضاء على سلطان بعض الأمراء الأقوياء في السنوات الأولى من حكمه .[٢] وأخذت علاقاته ببلاد اليونان تزداد أهمية في هذا العصر ، وأخذت الحضارة اليونانية تزداد أهمية بصفة عامة في أثينا وكورنث وإسبرطة وجزر بحر ايجه ، وفي المدن المستقلة للشاطئ الغربي لآسيا الصغرى وفي أماكن أخرى أيضا . وقد استعان بسماتيك في بداية الأسرة بالمرتزقة اليونانيين للتخلص من الاحتلال الآشوري . وأصبح هؤلاء المرتزقة يمثلون القاعدة الرئيسية في جيشه .[٣] ولكي يمنع أي صدام بينهم وبين القوات المصرية حدد لهم منطقتين مميزتين لإقامتهم ، إحداهما في شرق الدلتا والأخرى في أطراف عاصمته سايس ، ولذلك تركزت القوات اليونانية الرئيسية في دفنة ، بالقرب من مدينة القنطرة الحالية ، وبقية القوات اليونانية في نقراطيس بالقرب من مدينة دمنهور الحالية .

وتبعا لذلك نشطت التجارة مع المدن اليونانية ، وكان المرتزقة اليونانيون يعودون إلى بلادهم يحملون معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصا عجيبة عن رخاء مصر ويروجون لفنها وصناعتها وديانتها حتى أن الرحالة اليونانيين بدأوا يتوافدون على مصر وبدأ اليونانيون من جانبهم في دراسة فلسفة الديانة المصرية والرسم والنحت والعمارة والطب والموسيقى .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

(٢) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٢١ ؛ د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٥٩٥– ٥٩٦ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٥٩٩ .

وحـــافظ نكـــاو الثاني على علاقاته مع اليونانيين وأصبح ضمن قواته إلى جانب المرتـــزقة الكوشـــيين والليبيـــن - يونانيين من آسيا - وكان يريد تكوين أسطول بحرى مصـــرى قوى بمساعدة الإغريق . وعندما أخذت كوش تعد العدة للهجوم على مصر من الجـــنوب ، أحـــس بسماتيك الثانى بهذا الخطر وأرسل جيشا من المرتزقة والمصريين . وكانـــت القـــوات المرتـــزقة تشـــمل كاريين ودورنيين وفينيقيين ويهود وكانوا تحت قيادة بوتاســـيمتو ، أما القوات المصرية فكانت تحت قيادة أمازيس . وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين عثر عليهما فى تانيس وفى الكرنك . وعند عودة هؤلاء المرتزقة نقشوا على ركـــبة أحد تماثيل رمسيس الثانى أمام معبد أبو سمبل النقوش اليونانية الشهيرة لبوتاسيمتو كما ذكرنا من قبل (ص ٣٢٥) .

وكـــان أمـــازيس حريصـــا كذلك على توثيق علاقات الود مع اليونانيين فهؤلاء يكونـــون القاعدة الأساسية فى جيشه ، كما حدث تحت حكم الملوك السابقين . وقد تأثرت الـــروح الوطنية فى كبريائها بسبب وجود الأجانب ، وحدثت اضطرابات هامة من جانب الجنود المصريين ضد التجار اليونانيين المتفرقين فى الدلتا . وكان أول عمل به هذا الملك لتجنـــب تدهور الموقف وارضاءا للشعور الوطنى فقد طلب من اليونانيين بأن يستقروا فى أراضى محددة .

وقد أرسل أمازيس الهدايا إلى بلاد اليونان فالى كورينى أرسل تمثالا لأثينا مغطى بالذهب مع صورة مرسومة ، وإلى ليندوس تمثالين من الحجر . وكان أمازيس ماهرا جدا فـــى السياسة ، فقد قاد دفة الأمور بنوع من الحرص والذكاء الشديدين . وذلك بمحافظته على علاقات الود والصداقة مع اليونانيين وعلى مصالح شعبه وكان محبا لليونانيين لدرجة أن هـــيرودوت لقبه " بالمحب لليونانيين " ولكن بدأت تظهر فى ذلك الوقت قوة جديدة فى الشـــرق ، ففـــى نهاية حكم أمازيس نجد أن الفرس الذين لم يتوقفوا فى توسعاتهم عند حد معين ، بدأوا يهددون كل الشرق القديم ، ولتجنب الخطر الفارسى المرتقب اضطر أمازيس إلـــى الـــتحالف مع كيزيس ملك ليديا ومع حكام إسبرطة . وبالفعل قام قورش ملك الفرس بمهاجمـــة ملـــك لـــيديا وغزا آسيا الصغرى بعد معركة بتريا واستولى على عاصمة ملك الليديين . ولم يستطع أمازيس مساعدة حليفه .

اعــتمد نفريــتس الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين على صداقة ومساعدة اليونانييــن فــى توطيد سلطانه . ولذلك قام فى عام ٩٣٦ ق. م. بعقد معاهدة مع إسبرطة وضم إلى قواته مرتزقة يونانيين .

ويقــص علينــا ديودور الصقلى أن نفريتس وضع تحت تصرف ملك إسبرطة ، اجيسيلاوس مهمات حربية تشمل مائة سفينة ، ولكن الأثينيين حطموا الأسطول الإسبرطى فــى عرض رودس . وجمع الفرس جيشا كبيرا لمهاجمة مصر ولكن هذا المشروع قد باء بالفشل .

وعــندما تولى هكر (آخوريس) ثانى ملوك هذه الأسرة عمل على إدخال ضمن قواتــه حوالى عشرين ألفا من المرتزقة اليونانيين لكى يدافعوا عن مصر فى حالة هجوم مــتوقع من جانب الفرس .[١] وبفضل هؤلاء المرتزقة نجح فى تفادى غزو جديد لمصر . وقــد رأى هكــر انــه لا فائدة من التحالف مع إسبرطة ، وبحث عن حليف آخر هو ايفا جــوراس ملك قبرص ، وقد ترك أحد القواد الآثنيين المشهورين ويدعى شابرياس خدمة أثينا ليعمل فى الجيش المصرى . وقام بتدريب البحارة المصريين وعمل عدة استحكامات بيــن الفرع البلورى للنيل ومستنقعات سيربونيا . وقد ظلت هذه التحصينات معروفه حتى العصــر الــرومانى باســم " استحكامات شابرياس " . وفيما يتعلق بايفا جوراس فقد تلقى معونــة مــن هكــر وكــون أسطولا من مائتى سفينة واستولى على صور وبعض المدن الأخرى ولكن قضى عليه فى النهاية ، ويقال أن أفلاطون قد زار مصر فى عصر الملك هكر ومكث فترة طويلة فى إيونو .

وعكندما تولى تيوس فى الأسرة الثلاثين بعد أبيه نختنبو ، وجد انه من الضرورة التحالف مع اليونانيين كما كانت هى العادة السائدة آنذاك ولهذا سعى إلى عقد معاهدات مع أثيــنا وإســبرطة . واستطاع تكوين جيش قوى قوامه ثمانون ألف جندى مصرى وعشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين ، وقوة مكونة من ألف جندى من إسبرطة وأسطول تبلغ قوته أكثر من مائتى سفينة .

---

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٦٣٠- ٦٣١ .

ويذكـر ديـودور الصقلى أن اجيسيلاوس ، ملك إسبرطة ، جاء إلى مصر على رأس ألـف من المحاربين ليعاون تيوس . وجاء ومعه شابرياس القائد اليونانى الذى كان موجودا فى مصر من قبل .

وشـكل تـيوس قوة وطنية وأسطولا منظما وتقدم نحو فلسطين وسوريا لمقابلة الجـيش الفارسـى . ووضع اجيسيلاوس على رأس المرتزقة اليونانيين ، وقام شابرياس بقـيادة الأسـطول الـبحرى . ووضع تيوس ابن أخيه نخت حرحبيت على رأس الجنود المصريين الوطنيين .

ولكن بعد أن تقدمت القوات نحو سوريا أعلن نخت حرحبيت العصيان على ملك مصـر ، وفر شابرياس إلى أثينا فقد أحدثت الثورة انشقاقا فى صفوف الجيش المصرى . وعاد اجيسيلاوس إلى إسبرطة . وعندما شعر تيوس أن مصر فى أيدى الثوار فقد صوابه ولجأ إلى ملك الفرس .

وعـندما تولى حرحبيت (نختنبو الثانى) الحكم فى مصر . كان عليه أن يواجه ثـورة شعبية فى إقليم مندس . وقد نجح نختنبو الثانى فى القضاء عليها بمساعدة المرتزقة من إسبرطة .

حـاول أرتاكسركسيس الثالث – آوخوس غزو مصر للمرة الثانية عام ٣٥١ ق. م. واستعان نختنبو الثانى بالمرتزقة اليونانيين ولم يستطع ارتاكسركسيس الثالث أن يقضى علـى قوات نختنبو الثانى وذلك بفضل حسن تصرف القائدين يوفانتوس من أثينا وليمياس من إسبرطة واستطاع نختنبو أن يصد هذا الهجوم .

وفـى عام ٣٤١ ق. م. بدأ الملك الفارسى يعد العدة لغزو مصر من جديد وأخذ يهـاجم مصر عن طريق البر والبحر بمعدات هائلة . فاستعان نختنبو الثانى بالمرتزقة من إسـبرطة وأثيـنا ولم تكف شجاعة المرتزقة الإغريق فى الحد من تقدم الجيش الفارسى ، وكـان أرتاكسركسـيس الثالـث قد جمع كل هذه الأعداد من المرتزقة من بلاد اليونان ، ووصل بقواته عند بلوز (الفرما) وكان يقوم بالزود عنها فيلوفون ومعه خمسة عشر ألف جـندى مـن اليونان ، ولم يستطع ارتا كسركسيس الثالث أن يخترق استحكامات بلوز . وحشـد نختنـبو الـثانى حوالـى عشرين ألفا ومثل هذا العدد من الليبيين وستين ألفا من

المصريين لوقف تقدم الفرس ومحاولتهم غزو الدلتا . ولكن الأسطول الفارسى استطاع أن يدخـــل مصـــاب النـــيل واستســـلمت المدن المصرية الواحدة بعد الأخرى ، وعندما رأى المرتـــزقة اليونانييـــن ذلك الموقف ، غيروا المعسكر وانضموا إلى ارتاكسركسيس الذى استولى على بلوز وبوبسطة وتراجع نختنبو الثانى إلى مصر العليا .

ودخل الفرس منف للمرة الثانية ، وتعرضت البلاد فى هذه المرة للسلب والنهب وهدمت دور العبادة وانتهكت حرمتها . وعاد أرتاكسركسيس إلى بلاده بعد أن أسس أسرة فارسية .

مـــنذ عـــام ٣٣٨ ظهرت مقدونيا كقوة تسيطر على العالم ، فاندفع فيليب الثانى لـــيكون حلفا مع اليونان ، وجاء من بعده ولده الاسكندر الأكبر الذى ظهر فى ذلك الوقت كمحـــرر لمصـــر . فهزم دارا الثالث – قودمان فى معركة اسوس شمال الاسكندرونة فى عـــام ٣٣٣ ق. م. وبعد هذا الانتصار أصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه باعتباره المنقذ المرتقب من جبروت الفرس .

وفى نهاية عام ٣٣٢ق. م. سار نحو مصر واستقبلته البلاد كمحرر لها واستسلم الحاكم الفارسى ساباسس وكان اليونانيون منذ زمن بعيد حلفاء للمصريين ولكن هذه المرة أغفل المصريون أن هؤلاء الإغريق قد جاءوا مستعمرين وليسوا مأجورين وكسادة وليسوا مرتـــزقة . وفـــى منف استقبل الإسكندر بحماس ، وقد بدأ بالذهاب لتقديم القرابين للعجل أبيس المقدس ، ونحر الأضاحى قربانا إلى معبودات منف .

وفـــى بدايـــة عام ٣٣١ ق. م. ذهب إلى معبد واحة سيوة فى الصحراء الغربية لـــزيارة معبد آمون معبود سيوة ويسأل الوحى هناك . وقبل أن يغادر مصر ، أسس على الشاطئ فى الطريق الشمالى لغرب الدلتا ، مدينة يونانية أعطاها اسمه .

ثانـــيا – بالنســـبة لمظاهـــر الحـــياة الاجتماعية وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخري فى الشرق والغرب والجنوب والشمال :

فقـــد ذكرنا من قبل أن التكوين الاجتماعى فى مصر القديمة كان يشمل الأقليات الأجنبـــية والأســـرى الأجانـــب ، وكـــان منهم العمال ، الذين يأتون عبر الحدود الشرقية والغربـــية والجنوبية بحثا عن عمل . وكان من بينهم أيضا المرتزقة الأجانب من الشرق والغرب والشمال والجنوب وينضمون إلى القوات المصرية .

وكـــان هؤلاء الأجانب يقيمون فى البلاد ويؤدون مختلف الأعمال فى ظل قوانين اجتماعـــية تكفل لهم الحماية والأمن . ومن هؤلاء الأجانب من كان يتجمع حسب جنسيته فى أحياء خاصة بهم .

فمـــن الشرق ، نجد انه كان يوجد حول معبد الكرنك من أيام تحوتمس الثالث ، جالية سورية وتجار سوريون . وحول معبد أمنحتب الثالث الجنائزى فى البر الغربى فى طيـــبة كـــان يوجـــد حى سورى ، تحت إدارة أحد الأمراء الذين حضروا إلى مصر من سوريا .

وفـــى محاجر طره كان يعمل بعض الأجانب من الهكسوس . وكان هناك أيضا بعض الفينيقيين الذين كانوا يعملون فى بناء معبد بتاح فى منف ، وكالما هناك أيضا بعض الـــبدو الآســـيويين مـــن شرق الدلتا الذين كانوا يعملون فى مشروعات الملك المختلفة فى منطقة تانيس ومنهم بعض الجنسيات الأخرى .

إلـــى جانـــب هـــؤلاء الأجانب من الشرق كان يوجد أسرى الحرب الذين كانوا يعملـــون فـــى مشروعات مختلفة . واستخدموا كعمال فى الزراعة والبناء والنسيج . ومن هـــؤلاء الأســـرى مـــن كـــان يعمل كعبيد . وهناك بردية كتبت بالهيراطيقية من عصر الرعامســـة بالمتحف المصرى ، يحدثنا نصها عن توثيق بيع مجموعة من العبيد ، وهناك نـــص على تمثال صغير فى متحف اللوفر يشرح الشخص فيه انه اعتق عبدا لديه ووهبه ميراثا لكى يزوجه ابنة أخيه المصرية .

وهــناك نــص آخر على بردية فى متحف اكسفورد يشير إلى أن رجل أراد أن يــتزوج إحــدى العبــيد الــتى كانت ملكا لأخته التى أعتقتها وأعطتها بعض الإرث لكى تتزوج .

وكــان هــناك آســيويون يعيشون بالقرب من الملك مرنبتاح ، وكان بينهم كبار ضــباطه أمثال ابن أزان الذى كان نديما للملك . ونجد فى بلاط الملك رمسيس الثالث أحد الأجانب الذى كان يعيش بالقرب من الملك ويحمل اسما فينيقيا .

وكــان مــن حق المصرى أن يتزوج من امرأة آسيوية . ففى بردية فى متحف تورين نجد نصا بهذا المعنى . كما كان من حق الآسيوى أن يتزوج من مصرية . ونعرف أن الملــك نكاو الثانى فى الأسرة السادسة والعشرين أرسل بعثة للاكتشافات البحرية حول الشواطئ الأفريقية وربما أيضا بغرض التجارة . وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام . ويبدو أن هذا المشروع قد نفذ بمساعدة بعض البحارة الفينيقيين .[١]

كــان جيش رمسيس الثانى الذى اشترك به فى معركة قادش يشمل بعض الجنود المرتزقة من الآموريين الذين ربما جندهم الملك فى فلسطين .[٢] وفى نهاية الأسرة التاسعة جاءت هجرة من هجرات الشعوب التى كانت تعيش فى الناحية الشرقية من مصر . وكان ارســو مــن أصل سورى من زعماء الجنود المرتزقة الذين كانوا فى الجيش والذى جمع حوــله بعــض رجالــه من المرتزقة ونجح فى الاستيلاء على السلطة لمصلحته فى نهاية الأســرة .[٣] وكانت الحملة التى أرسلها بسماتيك الثانى إلى كوش تشمل مرتزقة فينيقيين ويهود .[٤]

---

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٠٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

(٤) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٠٦ .

وكـــان يقــيم فى منف والفنتين فى بداية الأسرة السابعة والعشرين عدد كبير من المرتـــزقة الـــيهود . وكان لدى الجالية اليهودية فى الفنتين بردية تحمل تاريخ حياة دارا بالآرامية .[١]

ومـــن الغرب جاء المرتزقة من ليبيا ، فكان جيش رمسيس الثالث يشمل مرتزقة ليبييـــن . ونعرف أيضا أن أصل الأسرة الثانية والعشرين يرجع إلى أصل ليبى . فنجد أن المرتـــزقة الليبيين والماشواش قد نجحوا فى أن تكون معظم وحدات الجيش قاصرة عليهم وحدهـــم . وقـــد كان رؤسائهم يتمتعون بنفوذ كبير نظرا لأن البلاد كانت فى حالة انهيار سياســـى وعسكرى واقتصادى . وقد استقر المرتزقة الليبيون فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين ، وفى خلال القرون التالية حاولوا أن يتمصروا ففقدوا بذلك وحدتهم وخصائصهم الجنســـية[٢] ، عن طريق زواجهم المتكرر من مصريات . وتخلوا عن تقاليدهم وعاداتهم وأصـــبحوا مصريون من أصل أجنبى . ولهذا لم يعتبرهم التاريخ أجانب بقدر ما اعتبرهم مغتصبين للعرش . وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، كان ضمن قوات نكاو الثانى مرتزقة من الليبيين .

ومن الجنوب جاء أفراد المجاو الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى ويمثلون أقوى عناصره .

ومـــن الشـــمال ، أصبح المرتزقة اليونانيون يمثلون القاعدة الرئيسية فى الجيش المصـــرى فـــى عصر الملك بسماتيك الأول فى الأسرة السادسة والعشرين . ولكى يمنع الملك أى صدام بينهم وبين القوات المصرية حدد لهم منطقتين مميزتين لإقامتهم ، إحداهما فى شرق الدلتا فى دفنه ، والأخرى فى أطراف عاصمة الملك فى ذلك الوقت ، سايس فى غـــرب الدلتا ، فى جنوب غرب سايس فى مدينة نقراطيس . وكان جيش نكاو الثانى يضم قـــوات مرتـــزقة من اليونانيين والحملة التى أرسلها بسماتيك الثانى إلى كوش كانت تضم مرتـــزقة كارييـــن ودونيين ، كما استمر كل من نكاو الثانى وأمازيس فى اعتمادهما على

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .

المرتــزقة اليونانييــن وكذلــك نفرتــيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين وهكر (آخوريــس) ثانى ملوك الأسرة وأيضا تيوس ثانى ملوك الأسرة الثلاثين الذى سعى إلى عقــد معــاهدات مــع أثيــنا وإسبرطة وذلك لجلب المزيد من المرتزقة لتقوية جيشه ضد الفرس .

ثالــثا – بالنســبة لمظاهــر الحــياة الاقتصادية وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخري فى الشرق والغرب والجنوب والشمال :

نقــول أن هــناك مجموعة من الآثار والنصوص التى تدل على انه كانت هناك علاقات تجارية بين مصر وبعض بلدان الشرق القديم وبعض المناطق فى أفريقيا منذ أقدم العصور .

فبالنســبة للشــرق ، حرصــت مصــر على تجارتها مع الساحل الفينيقى وذلك للحصــول علــى أخشاب الأرز والصنوبر التى استخدموها فى تسقيف مقابر ملوكهم منذ الأســرة الأولى . فقد استخدمت هذه الأخشاب فى بعض مقابر أبيدوس وكذلك فى صناعة المراكب الكبيرة منذ عهد الملك عحا .(١)

ومما يدل على وجود علاقات تجارية بين مصر وسوريا فى عصر الأسرة الثالثة هــو العثور على عدد من الأوانى الحجرية فى سوريا ترجع إلى عصر تلك الأسرة . كما عثر على تابوت خشبى فى هرم الملك جسر المدرج ، وهو مصنوع من أربعة أنواع من الخشــب أحدهمــا مصــرى والــثلاثة عــبارة عن أخشاب سورية من الصنوبر والسرو والأرز .(٢)

وتحدثــنا نقــوش حجر بالرمو عن إحضار الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة لأربعيــن مركــب محملــة بخشــب الأرز من جبيل ، وذلك لاستخدامها فى صناعة بناء

---

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

المراكــب وفـــى تدعيم بعض الأحجار فى هرمه الجنوبى بدهشور . ولاشك أن إحضار أربعين مركب محملة بالأخشاب خلال عام واحد من أعوام حكم سنفرو ليدل دلالة واضحة علـــى اتساع نطاق التبادل التجارى . وإحضار هذه المراكب فى عهد سنفرو يثبت لنا أن التجارة فى ذلك الوقت كانت تتم بين مصر وجبيل عن طريق البحر . وتحدثنا نقوش حجر بالـــرمو أن الملـــك أعد مشروعا لبناء ستين مركب لكل منها ستة عشر مجدافا .[١] كانت ضرورية لبناء أسطول تجارى بحرى .

ويبدو أن الملك خوفو قام بمثل ما قام به والده وهو إرساله بعثة بحرية إلى جبيل فقد عثر على اسم القارب الملكى لخوفو عند منبع نهر ادونيس (نهر إبراهيم) .[٢]

وعـــن الرحلات البحرية إلى جبيل فى عصر الأسرة السادسة فإن لدينا نص هام يـــتحدث عـــن جانب من هذه الرحلات ، وهو نص الملاح خنوم حتب نقشه على جدران مقـــبرة خوى بقبة الهواء بأسوان ، ويذكر فيه انه خرج مع ثثى وخوى إلى كوش وبونت وجبيل إحدى عشرة مرة ونقرأ ما يلى :

" خرجت مع سيدى الأمير الوراثى وحامل ختم المعبود ثثى (وأيضا) خوى إلى كبـــن (جبيل وبونت) إحدى عشرة مرة حاملا بسلام ما أنتجته (حرفيا ما صنعته) هذه الـــبلاد الأجنبية " . أى أن خنوم حتب خرج مع هذين الموظفين إلى كوش وبونت مرات متســـاوية أى خمس مرات وإلى جبيل مرة وانه استمتع بما شاهده فى هذه البلاد .[٣] مما يدل على وجود خط ملاحى يربط بين بونت وجبيل . ويرى مونتيه أن هذه المراكب كانت تمخـــر عـــباب البحر المتوسط بحذاء الساحل السورى حتى تصل إلى شواطئ الدلتا ، ثم تســـير فـــى أحـــد أفـــرع النيل كالفرع البيلوزى أو التانيسى حتى مدينة بوبسطة ثم تسير المراكب حتى الموقع الحالى لمدينة الإسماعيلية حيث كانت هناك مياه البحر الأحمر .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٦، ص ١٣٩؛ د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٤١- ٤٣؛ Urk I, p. 140 .
(٤) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ٤٣ .

وعـثر فى جبيل على قطعة من مائدة قرابين من المرمر نقش عليها نص يخص " كاتب النجارين الملكيين نفر سشم- رع " . وان العثور على اسم أحد النجارين الملكيين هـناك يعطينا انطباعا إلى إرساله من أجل الإشراف على إحضار الأخشاب اللازمة لبناء الأسطول الملكى .(١) وتوقفت هذه العلاقات التجارية فى عصور الأسرات السابعة والثامنة والتاسـعة ، واستؤنفت هذه العلاقات التجارية بعد ذلك مع الشاطئ الفينيقى وعاد استيراد أخشاب الأرز كما تخبرنا بذلك تعاليم خيتى الثالث (أو الرابع) . وهناك نقش من عصر الملك سنوسرت الأول فى الكرنك يتحدث فيه عن أن رؤساء المدن الفينيقية كانوا يقطعون لـه أشـجار الأرز اللازمـة . ونعلـم أيضا أن سكان مجدو قد أحسنوا استقبال المبعوث المصرى المسمى تحوتى حتب من عهد سنوسرت الثالث الذى أصبح فيما بعد حاكما لإقليم الأرنب فى مصر الوسطى ، وكان يشغل وظيفة المشرف على تسمين الماشية ، وربما قد ذهـب إلى هناك للتفاوض على شراء قطيع من الثيران من مجدو . ويبدو أن العدوى قد انتشـرت بيـن الماشـية فى مصر . وقد ذهب إلى هناك لتعويض النقص أو المفقود من الماشـية المحلـية أو تأكيدا لذلك فنجد انه صور فى مقبرته بعض القطيع الذى وصل إلى مصر بالفعل .(٢)

وكـان الملـك أبـى شمو ملك بيبلوس والمعاصر للملك أمنمحات الثالث والملك ابشمو ابى يتلقيان الهدايا مقابل تيسير سبل التجارة .

وفـى عصر الدولة الحديثة زادت العلاقات التجارية مع الشاطئ الفينيقى . ففى نص لوحة أمنحتب الثالث التى عثر عليها فى معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة ، يخبرنا الملك انه قام بإعداد قارب مقدس لآمون رع من أخشاب الأرز التى قطعت له من جبيل ووضعت على زحافات .

وعـندما قـام سيتى الأول بحملته على آسيا ، وصل إلى فينيقيا ، ونشاهد على الجـدار الشمالى من الخارج لبهو الأعمدة الكبرى فى معبد الكرنك ، الأمراء وهم يقومون

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥- ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣- ١٢٤ .

بقطــع أخشـــاب أشجار الأرز له .[١] وهناك بردية ون آمون ، من بداية الأسرة الحادية والعشـــرين ، الـــذى ذهب إلى ميناء جبيل لإحضار أخشاب الأرز اللازمة لترميم القارب المقدس لآمون ، وما لاقى من متاعب نتيجة تدهور نفوذ مصر الخارجي فى هذه الفترة .

كـــان من أول أهداف دارا الأول فى مجال السياسة الداخلية فى مصر هو العمل علـــى إعـــادة حفر القناة التى كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر . وكان من دوافع هذا المشروع ، تيسير وصول مراكب الجزية إلى فارس ، وإسهام تلك القناة فى تنشيط التجارة الـــبحرية مع بلاد الشرق القديم . ويرجع التفكير فى هذا المشروع إلى أيام الأسرة الثانية عشـــرة عندما فكر الملك سنوسرت الأول أو الثالث (؟) فى إيصال النيل بالبحر الأحمر بواســـطة قـــناة مائـــية تيسر الاتصالات التجارية مع الشرق . وكانت هذه القناة تبدأ عند ضواحى بوبسطة وتأخذ مياهها من فرع النيل البيلوزى وتصل إلى البحيرات المرة ثم إلى خلـــيج الســـويس وتعد أقدم طريق مائى يصل النيل بالبحر الأحمر . وان هذه أول تجربة لوصـــل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بواسطة النيل . وشرع الملك نكاو الثانى فى إعادة حفـــر هـــذه القناة فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ولكنه عدل عنه . ثم أعاد حفرها الملـــك دارا ، وفى الواقع أن دارا كان أكثر من ملوك مصر حاجة إلى هذا الممر المائى الذى يسمح له بالاتصال بالعاصمة التى تقع فى الخليج العربى . وهكذا قام دارا بإعداد هذا الممـــر المائى فى حوالى عام ٥١٨ ق. م. كما يدل على ذلك الخمس لوحات الكبرى التى أقامها بطول القناة تخليدا لذكرى هذا العمل .

وتحدثـــنا هذه اللوحات عن كيفية شق القناة وكيف تم حفرها مرة أخرى . ويذكر الـــنص كذلـــك انه بعد الانتهاء من أعمال الحفر كان هناك أسطول من ثمانين (أو اثنين وثلاثيـــن) مركب محملة بالجزية سارت فى النيل وعبرت هذه القناة واتجهت نحو البحر الأحمر لكى تكمل طريقها بعد ذلك إلى إحدى الموانى الفارسية .[٢]

---

(١) د. ســـيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٩٠ ، ص ١٤٩ .

(٢) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٢١- ٦٢٢ .

وردمـــت القناة بعد ذلك ، ثم أعاد حفرها الإمبراطور الرومانى تراجان وردمت بعد ذلك . ولكن بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ (٦٤٠ م) واستقر له الأمــر فيها وأنشأ مدينة الفسطاط وجامع عمرو بن العاص ، وقام بفتح خليج قيل له خليج أمــير المؤمنين وقد حفر فى سنة ٢٣ هــ/ ٦٤٣ م ، وفرغ منه فى ستة أشهر وكان هذا الخلــيج يقــع فــى شمال الفسطاط وتصل مياهه إلى مدينة عين شمس ثم تسير فى وادى الطميلات وتتقابل مع مجرى القناة القديمة ، الذى كان يخرج من الفرع التانيسى للنيل عند ضــواحى بوبســطة وتلتقى مياه القناتين فى المجرى الذى يسير فى وادى الطميلات حتى بحيرة التمساح ومن جنوب هذه البحيرة يتابع جريانه خلال البحيرات المره حتى يبلغ خليج السويس عند القلزم على البحر الأحمر . وكان طول خليج أمير المؤمنين نحو ستين ميلا . وظــل هذا الخليج مستخدما إلى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف بالخلــيج الناصــرى . وكــان هناك خليج ثالث يسمى الخليج المصرى ويخرج من النيل جــنوبى قصــر العيــنى عند السواقى السبع التى تمد القناطر المقامة بجانبها بالمياه إلى القلعــة ، ويعــرف اليوم مكان هذه السواقى بفم الخليج وكانت هذه السواقى تدار بواسطة جواميس ، فترفع الماء وتصبه فى حوض كبير يجرى منه إلى القلعة .

وعندما يبلغ النيل الوفاء ابتداء من العاشر من أغسطس أو سبتمبر إلى العشرين من أكتوبر أو نوفمبر ، ويبلغ ارتقاء الماء عشرين ذراعا عن مستواه فى الشتاء ، يحضر الســلطان راكــبا ليفــتح النهر الذى يسمى " الخليج " والذى يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة . وهو ملك خاص للسلطان . وفى ذلك اليوم (يوم ركوب السلطان لفتح الخليج) تفتح الخلجان والترع الأخرى فى الولايات كلها .[1]

---

(١) عــبد الرحمــن الرافعى : تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣، ص ٦٢، ٢٨٤- ٢٨٥ ؛ د. عبد الرحمن زكى : القاهــرة تاريخها وآثارها (٩٦٩- ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الــدار المصـــرية للتألـــيف والـــترجمة ١٩٦٦، ص ٣٦ - ٤٠ ، ١٧٠- ١٧١ ؛ المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكرى الخطط والآثار ====

أمـــا عـــن نوعـــية العلاقات الاقتصادية وغيرها بين مصر وبعض المناطق في الجـــنوب الشرقي للجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا فهذا يجعلنا نتحدث بالتفصيل عن :

ذكر بلاد بونت – وتا – نثر فى النصوص المصرية القديمة وطبيعة علاقتها بمصر :

حيـــن نتحدث عن أقدم العلاقات بين مصر واليمن فإننا نقصد العلاقة التى كانت قائمة بين مصر وما يسمى ببلاد بونت وتا– نثر . فقد قمنا بعمل دراسة عن " بونت وتا– نـــثر وأثـــر منـــتجاتهما في الحياة اليومية في مصر القديمة منذ أقد العصور حتي العصر البطلمي– الروماني " (دراسة وثائقية) .[1] وقد حاولنا حل مشكلة موقع بلاد بونت ، تلك البلاد البعيدة التى اشتهرت بمنتجاتها الوفيرة من العنتيو– cntyw الذى كان يستخرج من شجر المر ، وكان يستخدم كبخور فى الطقوس الدينية فى المعابد وفى الطقوس الجنائزية عـــند دفن الموتى وكذلك فى الاحتفالات العامة وفى الحياة اليومية . كما استخدم أيضا فى تركيـــب بعـــض الأدوية كما تدخل زهرته فى صنع العطور . كما أحضر المصريون من هناك المرحت – mrht وهو صمغ راتنجى أيضا كان يستخدم فى صناعة البخور لرائحته الذكية ويستخدم أيضا ضمن مواد التحنيط وكان يستخدم أيضا كمرهم لدهان الجسد وعلاج

=== (المعـــروف بالخطط المقريزية) الجزء الأول ، دار صادر بيروت ، ص ٤٧٠– ٤٧٥ ؛ الجـــزء الثانى ، ص ١٣٩– ١٤٤ وردم هذا الخليج فى أواخر القرن التاسع عشـــر ويسمى الشارع الآن شارع بورسعيد (راجع د. عبد الرحمن زكى : المرجع الســـابق ، ص ٩) وكان يعرف قبل الإسلام بخليج مصر ، وفى أول الإسلام بخليج أمـــير المؤمنيـــن ، يعـــنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، (راجع: ابن ظهيره : الفضـــائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ١٩٦٩، ص ١١٢ حاشية (٨) .

(١) نشرت فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ ، كلية الآداب– جامعة المنيا ، العدد الثانى ، شهر يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ – ١٠٣ .

بعــض الجروح ويدخل فى صناعة بعض الأدوية . كما أحضر المصريون كذلك من هــناك الذهب الخام والأبنوس والعاج النقى والنباتات العطرية (h3w) والبهارات والــتوابل وأشــجار المر الأخضر والبخور والكحل الأسود . والثروات الطبيعية من جبال بونت وبعض الحيوانات كالنسانيس والقردة والكلاب وجلود الفهود .

وقــد اخــتلف العلمــاء حتى الآن فى تحديد موقعها ، هل هى فى المنطقة الممــتدة من سواكن إلى مصوع أو تقع فى منطقة خليج زولا على ساحل إرتيريا أو فى منطقة خليج تاجورة فى الصومال أو فى شمال الصومال أو فى شماله الشرقى ، أو فــى مكــان مــا فى اليمن ؟ أو فى جنوبه فى المناطق القريبة من الساحل أو فى جــنوب حضرموت أو عند بوغاز باب المندب ؟ بل منهم من ذهب إلى أبعد من هذا ورأى أنها تقع فى المغرب أو فى مورتانيا أو فى زامبيا .(١)

آراء العلماء بالنسبة لتحديد الموقع :

وســوف نسترض هنا ما جاء فى هذا المقال بالنسبة لبعض الآراء من قبل علمــاء الدراسات المصرية القديمة من أجانب ومصريين ، ونبدأ بأقدمها حتى أحدثها ثــم نســتعرض بعد ذلك ذكر بونت وتا- نثر فى الوثائق المصرية القديمة منذ أقدم العصــور حــتى العصر البطلمى- الرومانى ، ونذكر أيضا ما تمدنا به هذه الوثائق والمصــادر مــن معلومــات . ونحــاول بعد ذلك تصنيف هذه المعلومات فى أربعة محــاور : الاسم ومعناه ، الموقع ومحاولة تحديده ، طبيعة هذه العلاقات وأهمية بلاد بونت كمصدر للمر والبخور والصمغ ولمواد ومنتجات أخرى وأنواع من الحيوانات وجلودها ، تأثير الديانة المصرية فى هذه المناطق البعيدة .

---

(١) نجــد الإشارة إلى بعض هذه الآراء عند : Saleh, BIFAO 72 (1972) p. 247 n. 2-5, 248 n. 1-6, 249 n. 3-6; Saleh, JEA 58 (1972), p. 140-158 Mokhtar, Histoire Générale de l’Afrique (Afrique Ancienne 1980), p. 144-148; Kitchen, in LA 1V (1982), p. 1198-1201 n. 1-34.

- يــرى بيســينج (فــى عــام ١٩٤٨) فى دراسة عن بونت والرحلات البحرية المصرية أن بونت تقع عند بوغاز باب المندب .[١]

- ويرى لففر (١٩٤٩) فى مؤلفه عن الأدب " أن اسم بلاد بونت كان يشمل حتى نهايــة الدولــة الوسطى الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن وكذلك الجزر الموجــودة فى مواجهة هذا الساحل " . وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة امتدت هــذه التسمية حتى تشمل بقية الساحل حتى خليج جردفوى (بلاد الصومال على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن) وليس من المستبعد أن هذه التسمية أصبحت تشمل فى عصر لاحق الساحل المقابل للجزيرة العربية وخاصة اليمن . [٢]

- ويــرى كل من دريوتون وفانديه (١٩٥٢) أنها تقع فى مكان ما على الساحل الصومالى .[٣]

- ويــرى فركوتيه (١٩٥٦) أن بلاد بونت تقع فى الجانب الصومالى فى منطقه حول بوغاز باب المندب .[٤]

- ويــرى د. فخــرى (١٩٥٨) أن بونــت هــى بلاد تشمل الشاطئين الأفريقى والآســيوى حول بوغاز باب المندب .[٥] ويضيف أيضا أنه اسم عام يطلق على المــنطقة التى تنبت البخور فى جنوبى البحر الأحمر على مقربة من بوغاز باب

---

(١) Von Bissing, Pyene (Punt) und die See Fahrten des Agypten, Sitzb, Bayern Akad " Wiss " (Munchen S. B.), 1948, p. 146-157; Gauthier, DG 11, p. 45-46.

(٢) Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, Paris (1949), p. 30.

(٣) Drioton-Vandier, L'Égypte (ed. 1052), p. 208.

(٤) Vercoutter, L'Égypte et Monde Egeen, BdE 22 (1956), p. 56 n. 6, 61, 153, 389 (c),

(٥) د. أحمــد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨، ص ١٢٧ ؛ المؤلــف نفســه فــى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٦٠٥ .

المندب وتشمل كل من الشاطئين الأفريقى والآسيوى أى أن هذه البلاد تشمل الآن ما يسمى باسم جنوبى الجزيرة العربية والصومال وإرتيريا .[١]

- ويرى بوزنر (١٩٥٩) أن بلاد بونت تقع فى محيط ارتيريا والصومال .[٢]
- ويــرى كــل من ارمان- ورانكه (١٩٦٣) أن بلاد بونت تقع فى خط عرض مدخل البحر الأحمر وبخاصة على الشاطئ الصومالى .[٣]
- ويرى فانديه (١٩٦٤) أن بونت هى منطقة تقع إلى جنوب شرقى مصر ، من ناحية الساحل الصومالى .[٤]
- ويــرى دومــا (١٩٦٥) أنها تقع جنوبى رأس جردفوى (أقصى شرق القارة الأفريقية) على الساحل الصومالى .[٥]
- ويــرى كوتــرل (١٩٦٦) أنهــا تقــع فــى الشرق على حافة البحر الأحمر وربمــا شــملت جــزءا من الصومال أو شاطئ البحر الأحمر[٦] وأيضا الساحل الصومالى .[٧]
- ويــرى هــيرتزوج (١٩٦٨) فــى دراسة قام بها عن بلاد بونت أنها تقع فى المــناطق الســودانية المتاخمة للحبشة على النيل الأبيض والنيل الأزرق ، وأن

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٥- ١٤٦ .

(٢) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, Paris (1959), p. 229.

(٣) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, Paris (1963), p. 676.

(٤) Vandier, Manuel d'archéologie 1V, p. 574 (a) .

(٥) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, Paris (1965), p. 176 (54) .

(٦) Cottrell, les Epouses des Pharaons, Paris (1966), p. 55.

(٧) Cottrell, op. cit., p. 24 .

المصـــريين القدمـــاء لم يصلوا إلى بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر بل عن طريق النيل .[١]

- ويرى د. عبد المنعم عبد الحليم (فى أعوام ١٩٦٨، ١٩٧٣– ١٩٧٤، ١٩٧٩) فى ست دراسات مختلفة أن بلاد بونت تقع فى شمال شرق الصومال وتطل على خليج جل وين (نهر الفيل) .[٢]

---

(١) Herzog, Punt Abh. DAIK, Bd 6 (1968), p. 20-30, 42-43.

(٢) تحـدث عـنها أولا فى رسالته للماجستير غير المنشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٦٨ ، وتحمل عنوان " دراسة لعلاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشـاطها فـى الـبحر الأحمر ، ونشر ملخصا لهذه الرسالة فى مؤلفه " البحر الأحمـر وظهـيره فى العصور القديمة " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١٥–٢٢ . وتحدث عنها ثانيا فى رسالته للدكتوراه غير المنشورة ، كلية الآداب– جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٣ والتى تحمل عنوان : " دراسة تاريخية للصـلات ومؤثـرات الحضـارة بين حضارة مصر الفرعونية وحضارة البحر الأحمر " . ونشر ملخصا عنها فى مؤلفه السابق ذكره : " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة " ، ص ٢٣–٢٧ . وأشار فى هذا الملخص إلى التشابه بين بونـت واوفـير وخاصـة فى تجارة سلعة البخور التى كانت تجلب من كل من المنطقتيـن وذكر أن اوفير كانت تقع فى منطقة أفريقية وليس فى منطقة آسيوية وحدد موقعها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة فى الصـومال الفرنسـى سـابقا . كمـا تحدث عنها ثالثا فى مقال يحمل عنوان : " محاولـة لتحديد موقع بونت " نشر فى مجلة دراسات أثرية وتاريخية ، جمعية الآثار بالإسكندرية، العدد الخامس ، ١٩٧٤، ص١– ٣١ . وأعيد نشر هذا المقال فـى مؤلفه الذى ذكرناه " البحر الأحمر وظهيره "، ص ٣٩– ١٠٧. كما تعرض للحديث عنها رابعا فى بحث يحمل عنوان: " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فـى العصـور القديمة " نشر فى مؤلفه السابق، ص٥٦٤– ٥٩٥ وتحدث عنها خامسـا فـى مقدمة حديثه عن كشفه الأثرى عن موقع ميناء من الأسرة الثانية عشرة فى وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر (راجع : مؤلفه عن: البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص٧٤ –٧٦) وأخيرا تحدث عنها سادسا فـى بحـث ألقاه فى ندوة " دراسات تاريخ الجزيرة العربية " التى عقدت بكلية الآداب بجامعة الرياض فى أبريل١٩٧٩ ونشر فى أعمال الندوة " مصادر تاريخ الجزيـرة العربية " الجزء الأول، ص ٣٩– ٤٥، ونشر هذا البحث الأخير تحت عـنوان : " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها فى النقوش العربية فى مصر "، فى مؤلفه: البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٤٠١– ٤٠٩. وأشار هذا البحث إلى مفهوم كلمتى تا– نثر وبونت كاسمين مترادفين، أطلق أولهما على الصحراء الشرقية وعلى المنطقة الممتدة بمحاذاة النيل .

- وأشـــار د. صـــالح (١٩٧٢، ١٩٧٦) إلى بلاد بونت فى مقالين وكتاب ، ففى الأوليـــن يرى أن بونت تقع على الجانب الأفريقى للبحر الأحمر فى خط عرض ارتـــيريا والصـــومال .[١] وفى الثانى يرى أن بلاد بونت هى منطقه الصومال وارتـــيريا معا . وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بعـــض العصـــور . وكانـــت البعثات تسلك طريقها إلى بونت عن طريق وادى الحمامـــات ثـــم تـــنزل إلـــى الـــبحر الأحمر عند القصير أو عند مخرج وادى جواسيس .[٢]
- ويـــرى جيمس (١٩٧٩) أن مكانها لم يحدد بنوع من الدقة . ولكن ربما شمل جزءا من الساحل الصومالى .[٣]
- ويـــرى كل من باينز ومالك (١٩٨٠) أن موقع بونت لم يحدد بنوع من التأكيد ولكن ربما يقع فى منطقة ارتيريا الحديثة أو فى الصومال .[٤]
- ويرى د. جمال (١٩٨٠) أنها تقع فى القرن الأفريقى مع صعوبة تحديد مكانها بنوع من الدقة .[٥] أو أنها توجد على الساحل الارتيرى أو الصومال .[٦]

---

(١) Saleh, BIFAO 72 (1072), p. 247; Id., in JEA 58 (1972), p. 140-158.

(٢) د. عـــبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق، طبعة ١٩٧٦، ص ١٢٧ .

(٣) James, An Introduction to Ancient Egypt, London, (1979), p. 36.

(٤) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford (1980), p. 20.

(٥) Mokhtar, op. cit., p. 144-145 n. 23, 146-148.

(٦) Id., op. cit., p. 253.

ويذكر د. جمال مختار فى : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩٨ حاشية (٢) أن بونت هى الصومال الحالية فى أغلب الظن .

- ويــرى كيتشــن (١٩٨٢) أن بــلاد بونت كانت تحتل مساحة كبيرة من شرق السـودان وشمال غربى الحبشة ، وأن المصريين القدماء كانوا يصلون إليها عن طريق البحر الأحمر ثم يتجهون بعد ذلك غربا فوق اليابسة .[١]

- وتــرى لا لويت (١٩٨٥) أن بلاد بونت لا تشمل فقط الصومال الحالية ولكن مـنطقة أوسع من ذلك تقع إلى الشرق من السودان فى اتجاه البحر الأحمر وفى شـمال وغـربى أثيوبيا .[٢] وتضيف أيضا " أن بونت كانت جزءا من تا- نثر (أرضى المعبود) لأنها كانت تنتج البخور والنباتات التى تضفى القداسة " .[٣]

- ويرى أبو العيون (١٩٨٦) أنها تقع قى المناطق الجنوبية .[٤]

- ويرى كل من د. صالح وسوروزيان (١٩٨٨) أن بلاد بونت تقع فى مكان ما على الساحل الصومالى .[٥]

- ويــرى كــل مــن فــرنوس ويويــوت (١٩٨٨) ، فى مؤلفهم المشترك عن " الفراعنة " أن شواطئ بونت الشهيرة ومناطقها الداخلية تشمل مساحة صحراوية وأخــرى ســاحلية وتقع بين خط عرض ٢٢ و ١٨ . ويقطعها من الجنوب إقليم كســلا الحــالى (شرق السودان) وفى الشمال ارتيريا . ونحو الغرب والشمال الغربى توجد حدود تفصلها عن كوش وبلاد المجاو[٦] (أثيوبيا الحالية) .

---

(١) Kitchen, in : LA 1V (1982), p. 1198-1201; Id., in Or 40.

(٢) Lalouette, Thébes ou la naissance d'un empire, Paris (1958), p. 67-68, p. 184-207.

(٣) Lalouette, op. cit., p. 68.

(٤) د. أبــو العــيون بركات : " بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة " فى مجلة اليمن الجديد ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩٨٦، ص ١٠٤- ١٠٥ .

(٥) Saleh-Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo (1987) no. 130 a.

(٦) Vernus-Yoyotte, les Pharaons, Paris 1988, p. 115.

- ويــرى د. عاطف (١٩٩٤) فى دراسة حديثة لم تنشر بعد أن بلاد بونت هى بــلاد ظفار الواقعة فى جنوب عمان . وذلك اعتمادا على أن هناك أربعة أنواع مــن الكندر تنمو فى ظفار وتختلف أماكن زراعتها باختلاف ارتفاعها وابتعادها عن الساحل .[١] ويضيف أن الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء عليها هو نفس الاسم الذى كان يطلقه عليها أهل اليمن وهو " بنت " .

- وحديثا قام د. محفوظ (٢٠٠٢) بإعداد رسالة دكتوراه غير منشورة ناقشها فى بــاريس فــى يولــيو ٢٠٠٢ وهــى بعنوان : " سياسة ملوك الدولة الحديثة فى الصــحراء الشرقية " .[٢] وكان من الطبيعى أن يتحدث بالتفصيل عن بلاد بونت فــى أكثر من موضع وكلها تنحصر فى نصوص عصر الدولة الحديثة ، وناقش أكثر من موضوع يخص هذه البلاد نلخصها فى الآتى :

- ففــى ص ٢٢ – ٣١ تحدث تفصيليا عن الرحلة التى أمرت بإرسالها الملكة حاتشبســوت إلــى بلاد بونت ، وتحدث عن أغلب نقوشها بالدير البحرى وقام بترجمتها (راجع أيضا ص ٤٢٦) .

- وفــى ص ٥٧ – ٥٩ تحــدث عــن ذكر بونت فى نصوص عصر الملك تحوتمــس الثالث ونصوص كبار رجال الدولة فى عصره . فتحدث عن ذكــر بونت فى حولياته فى أعوام ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ . وذكرها فى نقوش مقابر : بوى ام رع (رقم ٣٩) ومقبرة رخمى رع (رقم ١٠٠) ومقبرة فنجر رع سنب (رقم ٨٦) .

- وفى ص ٧٠ – ٧١ تناول نصين يتحدثان عن العلاقات التجارية بين مصر وبلاد بونت فى عصر الملك أمنحتب الثانى وتمثيل كبار بونت فى المقبرة رقم ١٤٣ .

---

(١) د. عــاطف عــبد السلام : موقع بلاد بونت وتجارة اللبان فى ظفار ، بحث قبل للنشر فى مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، ١٩٩٤ ، ص ١٢٠٢ .

(٢) El Sayed-Mahfouz, la Politique des Souverains du Nouvel Empire au desert Oriental, Paris 2002 (non publiée).

- وفى ص ١٠٤ – ١٠٨ تحدث عن البعثات التى أرسلت إلى بلاد بونت فى عصـــر الملـــك أمنحتب الثالث وتصوير مراكب من بونت فى مقبرة آمن مس .
- وفـــى ص ١٢٦ – ١٢٧ تحدث عن التصوير الوحيد لكبار بونت فى مقبرة مرى رع الثانى فى تل العمارنة واستقبال الملك إخناتون وعائلته لهم .
- وفـــى ص ١٣١ – ١٣٢ تحدث عن حضور أمراء بونت لتحية الملك حور محـــب ومعهم جزيتهم على ظهورهم فى نقوش الصرح العاشر فى معبد الكرنك .
- وفـــى ص ١٦٥ – ١٦٦ تحدث عن النقش الذى يشير إلى بونت فى قاعة الأعمدة الكبرى فى معبد الكرنك من عصر الملك سيتى الأول .
- وفـــى ص ١٩٥ – ١٩٦ تحـــدث عن نصين يشيران إلى بونت من عصر الملك رمسيس الثانى فى نقوش معبدى العامرة الغربية واكشا .
- وفـــى ص ١٩٧ – ١٩٨ تحـــدث عـــن نصوص أخرى من عصر الملك رمسيس الثانى فى معبدى سرابية الخادم وأبيدوس .
- وفـــى ص ٢١٦ تحدث عن القرابين المسجلة فى الحجرة رقم ١٢ (حجرة الخـــزانة) فـــى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث وتذكر المر الذى يأتى من تا – نثر .
- وفى ص ٢١٨ – ٢٢٢ تحدث عن بردية هاريس التى تذكر إرسال بعثة إلى بلاد بونت فى عصر الملك رمسيس الثالث وشرح لنا فى نصين : مراحل الاستعداد للرحلة ، الوصول إلى بلاد بونت ، ثم العودة والرسو فى قفط .
- وفى ص ٣٢٥ – ٣٣٦ ناقش بعض الآراء التى قيلت بخصوص بلاد بونت ابتداء من هيرتزوج ومختلف العلماء الأجانب والمصريين .

- وفى ص ٣٣٦ – ٣٣٧ يذكر رأيه بالنسبة لموقع بونت ويقول : " يبدو أن بـلاد بونـت كانـت قـارة تمتد بطول البحر الأحمر فى الشرق (ميناء السـودان) حتى الشمال فى عقيق فى الجنوب إلى عطبرة فى الغرب . وأن المصـريين يصلون إليها فى عصر الدولة الحديثة عن طريق البحر الأحمر " . وفى رأينا أن كلمة قارة هنا هو تعبير مبالغ فيه بعض الشىء وأفضل أن نقول أنها تشمل منطقة شاسعة أو لها امتداد واسع .

- وفى ص ٣٣٧ – ٣٣٩ ناقش سبع نقاط يؤيد بها رأيه السابق .

- وفـى ص ٣٤٠ – ٣٤١ تحـدث باختصـار وبوجه عام عن نقوش الدولة الحديثة التى تتناول بلاد بونت .

- وأخـيرا فى ص ٣٥٨ – ٣٦٠ تحدث عن وجود قدس أقداس أو مقصورة للمعبودات المصرية فى بلاد بونت فى عصر الدولة الحديثة . ويأمل فى حـدوث حفائـر للعـثور علـى بقاياها . كما تحدث عن ارتباط بعض المعبودات المصرية ببلاد بونت .

وفى رأينا أن معظم هذه الآراء عبارة عن اجتهادات وآراء شخصية من قبل العلمـاء ولا يعتمد أغلبها (إلا القلة مثل ما ذكره د. محفوظ بالنسبة لذكر بونت فى نصوص عصر الدولة الحديثة) على معلومة محددة مشتقة من نص أو أكثر من نقش يمكن الاعتماد عليه فى تأكيد أو رفض أى من هذه الآراء . لهذا رأينا أن نرجع إلى المصـادر الأثرية وخاصة النقوش والنصوص المصرية القديمة لمعرفة أين تقع هذه الـبلاد على وجه التقريب وما كانت تمثله منتجاتها من أهمية فى الطقوس فى الحياة الدينية والاقتصادية فى مصر القديمة . وذلك ابتداء من نصوص عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى – الرومانى . ولا ندعى أننا جمعنا كل النصوص ولكن حاولنا تجميع أكبر قدر منها وهى أكثر من ١٦٢ نصا .

عصر الدولة القديمة :

أ- فـــى إحدى المقابر من عصر الأسرة الرابعة جاء ذكر أنه كان يوجد فى خدمه أحد أبناء الملك خوفو شخص من بونت يدعى نحسى الملقب بحرايزى .(١)

٢- وجـــاء أول ذكـــر لـــبلاد بونت فى نقوش حجر بالرمو التى تذكر لنا أن الملك ســاحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة (حوالى ٢٤٥٨ ق. م) قد تلقى ٨٠ ألف وحـــدة مـــن المـــر وســـتة آلاف وحدة من الالكتروم ، و٢٩ ألف عصا (من الأبنوس) وكمية من الذهب والأخشاب والأحجار الكريمة .(٢) فهل أرسل الملك ساحورع بعثة مصرية إلى تلك المناطق البعيدة وتلقى منها كل هذه الجزية ؟

٣- وفـــى نقـــوش المعبد الجنائزى الخاص بالملك ساحورع نجد تصوير لأسرى أو ســـجناء من أهل بونت ، صورهم الفنان مقيدى الأيدى .(٣) دلالة على خضوعهم

---

(١) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 678; LD 11, 23; Herzog, Punt, p. 9 n. 1.
مع أن كيتشن يشك فى صحة هذا النص ، راجع : Kitchen, in LA 1V, p. 1198 n. (1)

(٢) Lalouette, op. cit., p. 68; Erman-Ranke, op. cit., p. 678 Breasted, ARI, 161, 8.
وأيضـــا : د. أحمـــد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٢ حاشية(٢) ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، دار النهضة العربية ١٩٦٦، ص ٢٣٥؛ حـــياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤، ص ١٤٣؛ د. رمضـــان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٥٥٤ .

(٣) د. أحمـــد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢حاشية (١) ، ١٤٣ حاشية (١) ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٧ حاشية (٦٧) .
Latouette, op. cit., p. 68; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. (1); Erman-Ranke, op. cit., p. 677 fig. 253.

لسـطوته ولا يعنى ذلك أنه أخضعهم عسكريا حيث لا تشير النصوص إلى قيام هذا الملك بحملة عسكرية على بلاد بونت ولكنه نوع من الدعاية العسكرية .

٤- ومن عصر الملك جد كارع اسيسي ثامن ملوك هذه الأسرة (حوالى عام ٢٣٦٩ ق. م) تخبرنا النصوص أنه أرسل حملة إلى بونت ، وكان يقودها القائد " باور جـدت " وكان على القوات أن تعبر الصحراء بين النيل والبحر الأحمر ، وبعد ذلـك تم بناء مراكب على الشاطئ غير المسكون . وأبحرت المراكب من ميناء كان يطل على البحر الأحمر . ثم قطعت المراكب مسافة ٢٠٠٠ كم بحرا بطول الشـاطئ الخـالى من المياه العذبة . وأخيرا وصلت البعثة إلى بلاد بونت وكان لابـد لأعضائها من إقامة علاقات ودية مع سكان بلاد بونت الأصليين ، والذى كـانوا يـنظرون إليهم بعين الحرص والحذر . وقد كافأه الملك بعد عودته على إنجـاز هذه المهمة بنجاح لدرجة أن هذه المكافأة كانت هامة ومجال تعليق تحت حكم الملك بيبى الثانى . وجاء ذكر هذه الحملة على حجر بالرمو الذى أمر الملك جد كارع اسيسى بإقامته . وأحضرت الحملة من هناك حوالى ثلاثة آلاف عصا من الأبنوس وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ والجلود .[١]

٥- ومـن الأسرة السادسة عثر ريزنر على إناء أثناء حفائر فى نجع الدير عليه اسم الملك تيتى وعليه صورة لأنثى تعبر عن بلاد بونت وهذا الإناء موجود حاليا فى مجموعـة جامعة كاليفورنيا .[٢] ربما كان هذا الإناء يحتوى على زيوت عطرية من بونت أو أطعمة يحملها البحارة معهم عند ذهابهم إلى بلاد بونت (راجع فيما بعد النص رقم ٢٠) .

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 46; Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 44; Erman-Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 678; Kitchen, in LA 1V, p. 1199. ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٦١- ٥٦٢ .

(٢) د. عـبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ؛ Smith, in CAHI, part 2, p. 1950.

٦- وكتـب حـرخوف أحد حكام أسوان إلى الملك بيبي الثاني خامس ملوك الأسرة (حوالى ٢٢٤٦ ق. م) أنه أحضر قزما زنجيا من بلاد الأرواح ورد عليه الملك بخطـاب سـجل محتواه حرخوف على جدران مقبرته فى أسوان ويقول الملك فـيه : " إن جلالتى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل ثروات مناجم سيناء أو بلاد بونت ".[١]

٧- كمـا أرسل الملك بيبي الثاني بعد ذلك أحد حكام أسوان ويدعى بيبى نخت الذى قـام بعدة رحلات وخاصة إلى بلاد بونت . وخصص الملك لهذه الرحلة قوة من الجنود والبحارة والعمال لبناء المراكب اللازمة على شواطئ البحر الأحمر.[٢] وكان يرأس هذه الحملة أحد الضباط . ولكن هذه الحملة لم تتم بسبب هجوم قبائل بـدو الصـحراء الشرقية على أفرادها وقضوا عليهم . وعندما وصلت أنباء هذا الحـدث أرسل الملك بيبى نخت بهدف معاقبة هؤلاء البدو والانتقام منهم والعودة بأجساد الضحايا .

(أى أن بونت ذكرت مرتين فى عصر الملك بيبى الثانى)

٨- وعن الرحلات البحرية إلى كبن (جبيل) وبونت فى عصر الأسرة السادسة لدينا نقش للملاح خنوم حتب فى مقبرة حامل ختم المعبود " خوى " فى الفنتين ويقول فيه :

---

(١) Aldred, les Egyptiens au temps des Pharaons, Paris (1965), p. 88, 110; Weigall, op. cit., p. 54; Mokhtar, op. cit., p. 252; Breasted, AR I, 339.

وأيضا : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ١٣٠- ١٣١، ٤٠٢ حاشـية (٦) ؛ وولـتر إمـرى : مصـر وبلاد النوبة (ترجمة تحفه حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠، ١٣٥؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٤.

(٢) James, op. cit., p. 48; Kitchen, in LA 1V, p. 1199; Drioton-Vandier, L'Égypte (éd. 1952), p. 208, 228 (9); Erman-Ranke, op. cit., p. 678; Breasted, AR I, 336.

مديــر المقصــورة خنوم حتب يقول : خرجت مع سيدى الأمير الوراثى حامل خــتم المعــبود تثى (وأيضا) خوى إلى كبن (جبيل) وبونت ، إحدى عشرة مرة ، حاملا بسلام ما أنتجته (حرفيا ما صنعته) البلاد الأجنبية .(١) والمقصود بالمقصــورة هنا هو المكان الذى كانت تمارس فيه الطقوس الدينية ويبدو أن ما أحضره كان له صلة بما يتم فى هذه المقصورة من حرق للبخور . وهناك نقش آخــر يخــص تثى نفسه ونقرأ فيه ألقابه وإنجازاته ويبدو أنه ذهب إلى المناطق الجنوبــية لإحضار منتجاتها إلى الملك ، ويقول " لقد أحضرت ثروات (حرفيا ممتلكات – hrt) البلاد الأجنبية الجنوبية إلى ملك مصر العليا ، تثى " .(٢)

وتوقفت العلاقات التجارية مع بلاد بونت وتا– نثر خلال فترة الاضطرابات السياســية فــى مصر فى العصر الوسيط الأول من الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة . واستؤنفت هذه العلاقات مع بداية عصر الدولة الوسطى .

عصر الدولة الوسطى :

نجد أن بونت ذكرت فى أكثر من نص من نصوص التوابيت :

---

(١) Kitchen, op. cit., p.1199 n. 6; Urk I, 140-141 (291, 1. 14-15, 1-3; De Morgan, Catalogue des Monuments et Inscriptions I, p. 157; Mokhtar, op. cit., p. 147 n. 30; Drioton-Vandier, op. cit., p. 209, 227; Breasted, AR I, 361.
وأيضـــا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٩ حاشية (١١١). وذكــر هــذا النص فى مؤلف د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية، ١٩٨١، ص ٤١–٤٢ . ولكــن الترجمة محتاجة إلى مراجعة ؛ د. أحمد فخرى: المرجع السابق ، ص ١٤٢ حاشية (٣) .

(٢) Urk I, 140-141 (30), 1. 6-8; De Morgan, op. cit., I, p. 199-200.

٩ – فيحدثـــنا نص عن دور حتحور بالنسبة لأوزير (أى المتوفى) فيقول أنها : [١]
" سيدة بونت "[٢] التى تعطى (لأوزير) المر فى القصر الكبير .[٣]

١٠– وفـــى نـــص آخـــر يتشابه فيه المتوفى مع أوزير ويتقبل المنتجات الثمينة التى تخرجها الأرض وأيضا العطور والروائح التى يقدمها المعبود جب ونقرأ [٤] :

" انه جب الذى يحضر له المر (cntyw) من تا– نثر " .

١١– وفى نص ثالث يقال للمتوفى [٥] :

" فليحضر له المر من تا– نثر والعطور [٦] من بونت " .

١٢– وفى نص رابع يقول المتوفى [٧] :

" أمـــى إيـــزيس هى التى أرضعتنى ... إنى أبحث عن مكان للاستقرار باســـمى هـــذا " ححو " ووجدته فى بونت . وشيدت منزلا هناك على تل مسطح حيث تمكث أمى (إيزيس) بين أشجاره للجميز " .

هنا يشبه الكاتب بونت بالجبانة التى يجد فيها المتوفى المقر مع إيزيس .

---

(١) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, p. 91 n. (2) .

(٢) عن حتحور سيدة بونت ورمز لكل منتجات المناجم ، راجع :
Aufrere,L'Univers mineral dans la Pensée Égyptienne, BdE 105/1 (1991), p. 82, 121, 174 .

(٣) المقصـــود بالقصـــر الكبير هو المقصورة الموجودة فى المعبد ، مثل التى كانت موجودة فى معبدى الكرنك واسنا ، راجع :
Gitton, BIFAO 74 (1974), p. 64-73; Sauneron, Esna V, p. 329 n. (d) .

(٤) Aufrere, op. cit., p. 316 n. 79.

(٥) Id., op. cit., p. 316 n. 80.

(٦) كلمة cntyw تعنى مر أو عطور ، راجع : Wb I, 206, 7-14

(٧) Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 117 n. 7.

١٣- وهـــناك نـــص من عصر الملك منتوحتب الثاني خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة نعرف منه أنه أمر بإرسال بعثة عبر الصحراء إلى بلاد بونت .(١)

١٤- وهـــناك نقش فى وادى الحمامات يحمل رقم ١١٤ من عصر الملك منتوحتب الثالـــث سادس ملوك الأسرة ومؤرخ بالعام الثامن من حكم هذا الملك ويحدثنا أن هذا الملك أرسل حملة إلى بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر وقد وضعت هـــذه الحملـــة تحت قيادة ضابط يسمى حننو وكان معه ثلاثة آلاف من الجنود وكان يصرف لكل واحد من جنوده ٢٠ رغيفا وقدرتين من الماء يوميا . وقام هـــذا القـــائد بحفـــر آبار للمياه حتى لا يتعرض أفراد البعثة لمشاكل العطش وأعدت المراكب وأنزلت إلى المياه ، وأخيرا كللت هذه الرحلة الطويلة بالنجاح وعـــادت إلى البلاد محملة بكميات كبيرة من البخور والعطور . وبعد عودتها قـــام أفـــراد البعثة بتقديم القرابين والتضحيات شكرا للمعبودات على عودتهم ســـالمين . وقد عثر على لوحات فى موقع الميناء عند مرسى وادى جواسيس من عصر الدولة الوسطى .(٢) ونقرأ فى السطرين ١٠- ١٥ ما يلى :

" أرســـلنى ســـيدى لكـــى أجهز سفنا من بيبلوس متجهة إلى بونت لكى أحضـــر لـــه المـــر الطـــازج (cntyw w3d)(٣) الذى ينتجه الحكام رؤساء الصـــحراء (hryw- tp dšrt) (أى أرض جـــنوب الجزيرة العربية) لأن الخـــوف الذى يوحى به (جلالته) كان يعم البلاد الأجنبية . ورحلت من قفط عـــبر الطـــريق الـــذى أمـــرنى جلالته بأن أتبعه مصحوبا بقوات من أرض الجـــنوب .. وقمـــت بمـــا أمرنى به جلالته وأحضرت له كل المنتجات التى وجدتها فى مناطق تا- نثر " .(٤)

---

(١) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 7; Hayes, JEA 35 (1949), p. 43.
(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٢١- ١٢٢ (١)
(٣) Wb I, 206, 13.
(٤) ذكر هذا النص العديد من الباحثين ، راجع :
Aufrere, op. cit., p. 13, 43 n. 155; Kitchen, op. cit., p. 1199 n. 8; Couyat-Montet, Inscriptions du Ouadi-Hammamat, p. 81 pl.

١٥- وفـــى النقش رقم ٣٣٢ فى شبه جزيرة سيناء من عصر الدولة الوسطى جاء ذكر المعبود " تحوتى كسيد لبونت " .(١)

١٦- وفى قصة مغامرات سنوهى ، نرى فى النهاية كيف سر سنوهى من الرد الذى تلقـــاه مـــن الملك سنوسرت الأول عندما رحب بعودته فأخذ يدعو للملك بأنه المفضل من قبل مجموعه من المعبودات منها (B 209-210) :

" ميـــن- حـــورس الـــذى يقطـــن فـــى الصـــحارى ، وورت سيدة بونت " (Pwnt) .(٢)

ومـــن عصر الملك سنوسرت الأول لدينا نصين هامين عثر عليهما فى منطقة وادى جواسيس فى مكان الميناء القديم على البحر الأحمر :

=== 31 (114); Breasted, AR I (427); Weigall, op. cit., p. 67; Aldred, op. cit., p. 125, 201; James, op. cit., p. 52; Drioton-Vandier, op. cit., p. 244; Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 677-678; Mahfouz, la Politique des souverains du Nouvel Empire au desert Oriental, Paris 2002, thése inédite, p. 312.

وأيضـــا : د. أحمـــد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ؛ د. عبد الحميد زايـــد : المرجع السابق ، ص٣٤٢ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٨ حاشية (١٣) .

(١) Aufrere, op. cit., p. 41 n. 80.

كـــان للمعـــبود تحوتى دور فى سيناء ، وبالتالى كانت هناك علاقة بين منتجات بونـــت وســـيناء ، راجع : Posener, Annuaire du College de France (1973), p. 369-374; Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes de L'Egypte Ancienne, p. 44, 175 n. 30.

(٢) Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, BdE22 (1956), p. 127 n. 5; Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 116 n. 4; Lefebvre, op. cit., p. 18; Blackman, Middle Egyptian Stories, BAe 11 (1932), p. 33.

١٧- وعلى لوحة للوزير إنتف- إقر كانت مقامة فى مواجهة خليج وادى جواسيس ، وتسجل نقوشها أمرا صدر من الملك سنوسرت الأول إلى الوزير لبناء سفنا لإرسالها إلى منطقة مناجم بونت ورحلت هذه السفن من ميناء جواسيس .[١] ونقرأ فى السطرين ٣-٤ :

" بناء هذه السفن الخاصة بترسانة فقط لإرسالها إلى منجم[٢] بونت- (بيا- بونت) (bj3 Pwnt) " .[٣]

---

(١) Drioton-Vandier, op. cit., p. 258; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 9-10.

وعن هذا الميناء راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٧، ١٨٣ شكل ٤٦ ب .

(٢) يعطى اوفرر فى دراسته الهامة عن عالم المناجم والمحاجر فى الفكر المصرى لكلمة bj3 أكثر من عشرة معانى منها : منجم ، منطقة محاجر ، معدن ، روائع (معدنية) ، ثروات أو روائع المناجم (من أحجار كريمة) ، ثروة (طبيعية)، حجر صوان ، نبات- bj3 ، آبار ، قبة زرقاء (بما فيها من روائع الكون) ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 64 (1), (index), p. 19; Meeks, Alex. 1, p. 113; Wb I 438, 12-13; Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, BdE 59 (1972), p. 120 n. 248.

(٣) يترجم اوفرر كلمة bj3 Pwnt بـ " منجم بونت " راجع :

Aufrere, op. cit., p. 64.

يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٢٨-١٣٨ أن بيا- بونت هى منطقة تقع فى المنطقة الممتدة من بورسودان وسواكن شمالا حتى عقيق جنوبا على وجه التقريب . وفى رأينا أنها منطقة المناجم الخاصة ببونت كما ذكر اوفرر .

١٨- كان للوزير السابق ذكره انتف اقر مقبرة فى البر الغربى فى طيبة ولكنه دفن فى اللشت .[١] وجاء فى نقوشها ذكر لقب " حتحور سيدة بونت " .[٢]

١٩- نقـوش بقايا مقصورة كانت مقامة فى وادى جواسيس لشخص يدعى عنخو ، كـــان رئيســـا للبحارة فى عصر الملك سنوسرت الأول وتسجل نقوشها أخبار بعثة بحرية إلى مناجم بلاد بونت فى ثلاثة أماكن متفرقة حيث نقرأ فى النص ما يلى :

أ- " (سنوسرت الأول) المحبوب من حتحور سيدة بونت " .[٣]

ب- " وتوجهت فى رحلة إلى منجم بونت (bj3 Pwnt) " .[٤]

ج- وفى نفس النص السطر ٦ جاء ذكر العبارة :

" منتجات [٥] تا- نثر " [٦] (inw T3-nṯr) .

---

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ حاشية (٢٥) .

(٢) Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 175 n. 30.

(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٦ (١) ، ١٦٧ شكل ٢٦ ب

(٤) المـــرجع السابق ، ص ١٠١ (٢) ، ١٧١ شكل ٢٨ ب سطر ٢؛ Mokhtar, op. cit., p. 145 n. 26.

(٥) تعـــنى منتجات أو جزية فى شكل منتجات ثمينة من المناجم والمحاجر ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 49, 103, 108 et index, p. 17.

(٦) يـــرى فركوتيه أن تا- نثر هى الأرض التى تقع إلى الشرق فى الشمال الشرقى والجنوب الشرقى لمصر ويطلق أحيانا على سوريا وفلسطين وأحيانا أخرى على المنطقة التى توجد بها بلاد بونت ، وأن كل من بونت وتا نثر كانتا مرتبطتان ، راجع : Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, p. 12-13 n. (2), 65-66, 90 n. (4), 101 n. (5), 102 n. (8); Kuentz, BIFAO 17 (1920), p. 121-140 وهـــذا هـــو رأى كوينز أيضا فى : ويذكـــر لنا فركوتيه نصا من عصر الأسرة العشرين حيث جاء فيه ذكر- T3 ntr mḥty أى " تا- نثر الشمالية " أى التى تقع إلى الشمال من الجزيرة العربية وتشمل سوريا ، راجع : Vercoutter, op. cit., p. 98 (23), n. (4) ====

كما إننا نقرأ بقايا نص مهشم بقيت منه كلمة واحدة هى " بونت " .[(١)]

== ويفهــم مــن ذلك النص أن هناك تا- نثر الجنوبية التى كانت تشمل كل الجزيرة العربية وسطها وجنوبها . وفى دراسة لأستاذنا د. صالح أشار إلى أن تعبير تا- نثر كان يطلقه المصريون القدماء على أكثر من منطقة ، على الصحراء التى تقع بيــن النــيل والبحر الأحمر وامتد هذا المعنى ليشمل كل البلاد التى تقع جنوبى وشــرقى الحــدود المصرية . وأصبح له معنى أكثر شمولا فيضم أراضى شبه جزيرة سيناء وشمال الجزيرة العربية ثم فلسطين وفينيقيا وسوريا وأراضى خاتى (آســيا الصغرى) . ثم أصبح بعد ذلك مصطلحا عاما لا يحدد منطقة معينة بل يشــمل مفهــوم المصرى القديم كل الأراضى التى خلقها المعبود فى كل مكان ، راجــع : Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 108-111, 115-116; Id., BIFAO 72 (1972), p. 249 n. (1) .

ويــرى اوفــرر أن تا- نثر هى الأرض التى تقع بين النيل والبحر الأحمر شرق قفط وسلسلة جبال الجزيرة العربية ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 743 n. (a) - ويــرى كــل من ارمان ورانكه أن تا- نثر تشمل الشرق حيث يشرق المعــبود رع يوميا . ومن ثم أطلق هذا التعبير على المنطقة الصحراوية الجبلية بيــن النــيل والــبحر الأحمر وأيضا شبه جزيرة سيناء وشمال الجزيرة العربية ووسطها، راجع : Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 676 بيــنما يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ أن تا- نثر يمكن أن تشمل الجزيرة العربية أى أنها الأرض التى يشرق منها المعبودان تا- نثر وبونت تقعان فى منطقة متجاورة .

كل هذه المعانى نجدها فى Meeks, Alex. I, p. 441; Wb V, 225, 1-3. كما أطلق التعبير تا- نثر على الجبانة بوجه عام ، راجع : Meeks, Alex. III, p. 319; Wb V, 225, 5.

وســوف نرى فى نصوص الملكة حاتشبسوت بالدير البحرى أن التعبير تا- نثر بمعنى " البلد المقدس " كان يطلق أيضا على بلاد بونت نفسها، راجع : أرقام ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩ ؛ وأيضـــا : Wb V, 225, I.

(١) د. عــبد المــنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٦٢، ١٧٢ شكل ٢٩. فهل المقصود هنا بيا بونت أى منجم أو محجر بونت الموجود فى جبال بونت والذى كــان يستخرج منه الذهب الخام، راجع : RdE 29, p. 150 n. 10 ويفهم من لوحـــة انتف- اقر السابق ذكرها أن السفن المصرية التى كانت متجهة إلى بلاد بونت أو إلى مناجم جبال بونت كانت تبحر من ميناء يطل على ====

٢٠- عثر في حفائر وادي جواسيس على كسر أواني فخارية عليها كتابات بالهيراطيقية تشير إلى أنواع الأطعمة وأشياء أخرى كانت تحتويها هذه الأواني .

=== البحر الأحمر . وقد تم الكشف عنه في عامي ١٩٧٦، ١٩٧٧، بواسطة بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية برئاسة د. عبد المنعم عبد الحليم . وكان هذا الميناء يقع إلى الشمال من ميناء القصير الحالي بحوالي ٦٠ كم. وكانت هذه اللوحة من بين العديد من الآثار التي عثر عليها في هذا الموقع الهام. ويفهم من نصها وخاصة السطرين ٣- ٤ أن سفن البعثات البحرية إلى بونت كانت تشيد في ترسانة قفط على شاطئ النيل (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، ص ٧٣- ١٤٥، ٤٣٩ حاشية (٥٥)؛ Lalouette, Thebes ou la naissance d'un Empire, p. 68; Drioton-Vandier, op. cit., p. 244. ويفهم من هذا النص أيضا أن هذا الميناء كان مستخدما في عصر الملك سنوسرت الأول ثاني ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وربما كان موجودا من قبل هذا التاريخ (؟) . (يرى كيس أن رحلات الدولة القديمة إلى بلاد بونت كانت تركب البحر من منطقة السويس فقط ، راجع د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٧ حاشية "٦٦") . ويضيف د. عبد المنعم عبد الحليم (المرجع السابق، ص١٤٤- ١٤٥) أن هذه السفن كانت تفك إلى عدة أجزاء وتنقل بعد ذلك عبر الطرق الصحراوية من النيل إلى البحر الأحمر ، حينا كانت تركب وتجمع في هذا الميناء وتستخدم في الإبحار في البحر الأحمر، وأنه بعد عودتها من رحلتها، يعاد فكها مرة أخرى في الميناء وتنقل أجزاؤها إلى النيل لتستخدم كمراكب نيلية .

وكان يطلق على هذا الميناء اسم " ساوو " أو " سو " . وقد ورد هذا الاسم في نقوش عنخو ولوحة خنتي ختي- ور وفي نقوش تحوتمس الثالث (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١١٩- ١٢١ ؛ Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 676) . وأحيانا كان يسبق كلمة ساوو كلمة " دمي " بمعنى ميناء أي ميناء ساوو ، (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٨، ١٢١) .

وعن معنى كلمة dmi ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 436

وكذلك الأماكن التى جاءت منها . ومنها آنية عليها ثلاثة أسطر ، ففى السطر الثانى نقرأ اسم الجهة الصادر إليها الطعام وهى بونت (Pwnt) وفى السطر الثالث الجهة الوارد منها (فى مصر) .[١]

٢١- ومـــن عصر الملك امنمحات الثانى ثالث ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٢٩ ق. م) لديـــنا بردية تحمل اسم قصة بحار السفينة الغارقة أو الملاح الذى نجا وتســمى أيضـــا قصة جزيرة الثعبان . وهى المعروفة باسم بردية جولينتشف ومحفوظة الآن فى متحف الارميتاج فى لينتجراد تحت رقم 1115 .[٢] وتقص علينـــا قصة بحار كان ذاهبا فى بعثة إلى بلاد بونت [٣] لإحضار البخور من هناك فقامت عاصفة وهلك جميع البحارة المائة وعشرين وحملته الأمواج إلى جزيـــرة أمضـــى هـــناك ثلاثـــة أيام وحيدا لا أنيس معه وفوق هذه الجزيرة كـــان يعـــيش ثعبانا يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وله لحية طولها أكثر من ذراعين وأعضاؤه مغطاة بالذهب . وعندما سأله عمن أحضره إلى هذه الجزيرة أخبره بقصته وهلاك المائة والعشرين بحارة الذين كانوا معه . وطمئنه وقال لا تخف أن المعـــبود أراد أن تحـــيا لأنه اصطحبك إلى هنا إلى جزيرة الروح وسوف تمضى شهرا يلى شهرا حتى أربعة وبعد ذلك تأتى مركب لتعود بها إلى بلدك مـــع بحـــارة تعـــرفهم ، وسوف تعود معهم وتتوفى فى مدينتك . وقص عليه الثعبان قصته التى حدثت له على هذه الجزيرة ، وأنه كان مع بنى جنسه وكان يوجد من بينهم أطفال . وكان عددهم خمسة وسبعين ثعبانا . وكان يوجد أيضا

---

(١) Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 175 n. 30.

(٢) راجع : Erman- Ranke, op. cit., p. 676-682

وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٧٧-٣٧٨ ؛ د. أحمد فخرى: دراســات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٣ (١) ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩١٧، ص ٦٦٧- ٦٦٩ .

(٣) كان ذاهبا إلى جزيرة الروح وكانت موجودة فى بلاد بونت ، راجع :
Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, Paris (1949), p. 30.

فـتاة صغيرة السن ، وهبت لهذا الثعبان عن طريق الطقوس والدعاء وسقطت نجمـة مـن السماء عليهم جميعا فهلكوا بنارها واحترقوا جميعا . وتبين هذه القصـة مدى المصاعب والمخاطر التى كان يتعرض لها البحارة المصريون أثناء رحلاتهم فى البحر الأحمر . وما يهمنا هنا هو ما جاء فى حوار الثعبان مع البحار عندما قال له (١) :

أ – السطر ١٥٠ :

" انـك لا تملك الكثير من المر (cntyw) (بينما أنا) نشأت كسيد للـبخور (snṯr) . وأنـا بالتأكـيد حاكم بونت (Pwnt) والمر (cntyw) والذى بها يخصنى . (أما عن) عطر -ḫknw(٢) هذا الذى قلت أنك تستطيع إحضاره فإنه المنتج (حرفيا المكان)(٣) الرئيسى لهذه الجزيرة " .

ب– الأسطر ١٦٢– ١٦٦ :

ويذكر البحارة فى نهاية الحوار ما أعطاه له الثعبان من منتجات :

" ثـم أعطـانى حمولـة (sbt) مـن المر (cntyw) وعطر– ḫknw ، وعطر– iwdnbw (٤)، والتوابل (ḫs3yw)(٥) والبهارات (ti - špsw)(٦)،

---

(١) Lefebvre, op. cit., p. 38-39; Erman-Ranke, op. cit., p. 681-682; Blackman, Middle Egyptian Stories, Bae 11 (1932), p. 46-47; Desroches-Noblecourt, Memnonia 1X (1998), p. 59-64.

(٢) Wb 111, 180, 5; Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, p. 105 n. 182.

(٣) كـان مـن المنتظر أن يكتب الكاتب هنا كلمة m3c بمعنى " منتج " (راجع : Faulkner, Concise Dictionary, p. 102) ولكنه كتب كلمة bw التى ربما تعنى هنا " (منتج) المكان " .

(٤) Wb I, 59, 9.

(٥) Wb 111, 400, 3-4.

(٦) Wb V, 243, 8.

ومنتج الـ Š3c - cẖ [1]، وكحل أسود ، وذيول زراف [2] ، وزكائب ضخمة للـبخور (sntr)[3]، وسن فيل [4]، وكلاب صيد ، وقردة [5]، ونسانيس [6]، وكل النفائس الطيبة (Špssw nb nfr) ثم حملت هذا إلى هذا المركب " .

ج- السطر ١٧٥ :

وعـند عودتـه إلى مصر وضع كل هذه المنتجات أمام الملك ، ويقول : " وقدمـت (ms) لـه (أى الملـك) هذه المنتجات [7] (inw pn) التى أحضرتها من داخل هذه الجزيرة . وشكرنى فى حضرة نبلاء البلاد كلها ، ثم رفعنى إلى مرتبة صديق ومنحنى العبيد من بين الذين كانوا فى ملكيته " .[8]

٢٢- عـثر علـى لوحة للمدعو خنتي ختي- ور الأمير الوراثى- من عصر الملك أمـنمحات الثانى ، عثر عليها فى الموقع الرومانى بوادى جواسيس[9] ، ولكن يـبدو أنها كانت مقامة فى الأصل بالقرب من مرسى ميناء جواسيس ، وتذكر نصوصها :

---

(١) Wb 1V, 409, 12 .

(٢) تقرأ : sdw nw mmy ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 156

(٣) تقرأ : mrywt c3t nt sntr ،راجع لمعنى mrt : Meeks, Alex. I, p. 164

(٤) تقرأ : nḥdwt nt 3bw ، راجع لمعنى nhdt : Meeks, Alex. I, p. 198

(٥) تقرأ : gwfw

(٦) تقـرأ : kyw وجـاء ذكر معظم هذه المنتجات فى نصوص حاتشبسوت بالدير البحرى ، (راجع فيما بعد رقم ٣٥ أ) .

(٧) عن هذا المعنى لـ inw ، راجع فيما سبق رقم ١٩ حاشية (٤) .

(٨) Lefebvre, op. cit., p. 39.

(٩) يذكر د. عبد الحميد زايد فى : مصر الخالدة ، ص ٣٨٠ ، ٤٠٧ أن هذه اللوحة نقلت إلى إنجلترا وهى الآن فى قلعه Alnwick .

" التعــبد للمعــبود وأداء الابتهالات إلى مين قفط بواسطة الأمير الوراثى ، حــامل خــتم الوجه البحرى ، المشرف على القاعة خنتى ختى- ور وذلك بعد وصوله بسلام من بلاد بونت (Pwnt) وقواته معه ورسى بأسطوله بسلام فى ساوو .[١]

٢٣- كمــا عثر فى وادى جواسيس على لوحة تخص المدعو إى- مرو من الأسرة الثانــية عشــرة ، ولكن للأسف الشديد تآكلت معظم نقوشها ولم يتبق إلا نقوش بسيطة فى الجزء السفلى ونقرأ منه بقايا العبارة ".... إلى منجم بونت " (bj3 Pwnt) .[٢]

وتوقفت للمرة الثانية العلاقات التجارية مع بلاد بونت وتا- نثر من الأسرة الثالــثة عشــرة حــتى الأسرة السابعة عشرة ، وذلك أثناء فترات الضعف السياسى وتمــزق وحــدة الــبلاد السياسية وتعرضها للغزو والاحتلال الأجنبى لأول مرة فى تاريخها فكان من الطبيعى أن تتوقف الرحلات التجارية إلى الجنوب .

عصر الدولة الحديثة :

زادت العلاقــات الــتجارية مع بونت فى هذا العصر ، فقد أرسلت الملكة حاتشبســوت فى العام التاسع من حكمها (حوالى عام ١٤٩٦ ق. م) بعثتها الشهيرة إلى بلاد بونت لإحضار المنتجات والثروات الطبيعية لجبال هذه البلاد البعيدة .[٣]

---

(١) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 10; Mokhtar, op. cit., p. 145; Erman-Ranke, op. cit., p. 678; Drioton-Vandier, op. cit., p. 258. ؛ وأيضــا : د. عــبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٧ شــكل (١) ؛ د. عــبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩١، ١٦٠ شكل ١٩ أ- ب .

(٣) قــام فانديــه بالحديث تفصيلا عن هذه الرحلة التى أمرت بإرسالها حاتشبسوت وحاملى الجزية منها فى مقبرتى امنمحات والمقبرة رقم ١٤٣ .
Vandier, Manuel d'archéologie 1V, p. 574 – 578 Fig. 311-312 . Lalouette, Thébes ou la naissance d'un Empire, Paris (1985), p. 299-256; Saleh
===

وســجلت مــراحل هذه الرحلة فى نقوش الشرفة الثانية أو المدرج الثانى ، الرواق الأيسر ، الجدار الجنوبى . ويبدو أنه كان يصحب البعثة فنان كبير من القصر الملكى يعاونه آخرون تولوا بعد عودة البعثة نقش كل تفاصيلها على جدران المعبد(١) مــن أصل تخطيطى رسم وسجلت عليه كل التفاصيل بدء من الرحيل حتى العودة . وربما كان مع البعثة مجموعة من الكتبة الذين أدوا دور المراسلين الصحفيين .(٢)

فــنرى رحــيل الأســطول ووصوله إلى شواطئ بونت . ونرى المبعوث المصرى " نحسى " وقد رسى بمراكبه على الشاطئ ومعه أحد الضباط وثمانية جنود مســلحين بأســلحة خفيفة مما يدل على الغرض السلمى أو التجارى من إرسال هذه البعثة . ونرى أمامه أشياء عبارة عن خرز وفأس وخنجر وأساور وصندوق خشبى .

== Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 130 a-c, Mokhtar, op. cit., p. 146 (1), 147 n. 31; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 12 (B); Drioton-Vandier, op. cit., p. 339; Erman-Ranke, op. cit., p. 683-684, 686; Breasted, AR 11 (260); بالنسبة لنصوص هذه البعثة، راجع : Urk 1V, 317-354؛ وبالنسبة للمــراجع العربــية التى ذكرت هذه البعثة ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : الــبحر الأحمــر وظهــيره فى العصور القديمة ، ص ٤٩ شكل (٢) ؛ د. أحمد فخــرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٣-١٤٥ ؛ د. عبد العزيز صـــالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦، ص٢٠٧-٢٠٨ حاشية ٣٨- ٣٩؛ د- صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٨، ص ٨٠- ٨١ شكل ٢٤- ٢٥؛ د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة: (الأقصر)، ص ١٨٨- ١٩٣ شكل ٣٦ أ- ب

(١) نعلــم مــن قصـــة سنوهى أن الملك سنوسرت الأول أمر بأن يشيد لسنوهى بعد عودته إلى أرض مصر هرما بين الأهرام ليدفن فيه وأصدر أوامره إلى النحاتين ورئيس الرسامين بالقصر الملكى لتنفيذ هذا العمل ، راجع :
Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, p. 24.

(٢) Cottrell, les Epouses des Pharaons, Paris (1966), p. 55, 57.

وهى عبارة عن الهدايا التى أحضرها من مصر لتقديمها إلى حتحور سيدة بونت " . وعلى الجانب الأخر وقف زعيم بونت " باروهو "[١] (Wr n Pwnt P3rw) رافعا يديـه يحيى الوفد المصرى ومن خلفه زوجته، البدينة ذات الأرداف الثقيلة " إتى "[٢] hmt. f ity وهـى تـرفع يديها للتحية ومن خلفها جاء للتحية أيضا واستقبال البعثة المصرية أولادها " ولدان وبنت[٣] ، وصور من خلفهم حمارا كتب أعلاه الحمار الذى يحمـل زوجـته "[٤] (جزء من هذا النقش موجود الآن بالمتحف المصرى)[٥] وخلف هذين الزوجين نرى قرب بلاد بونت التى يظهر فيها النخيل والأكواخ العالية المقامة علـى دعـائم والتى يصعد إليها عن طريق سلم خشبى . ونرى الماشية وهى ترعى ويـرى كلـب رابـض وآخر يصحب سيده . وأعلى هذا المنظر نرى منظر خيمة ضـربها المصـريون لكـى يستقبلوا فيها زعيم بونت وفى الصف الثانى من الجدار الغـربى نـرى مـنظر المراكب ويقوم الحمالون بنقل المنتجات إليها . فهناك رجال يحملـون شتلات شجر المر فى سلال وثمة قرود تقفز على المنتجات أو تسير على حبال المراكب .

وفى منتصف ذلك الجدار نرى منظر يمثل الملكة (وقد كشط شكلها) وهى تقـوم بتقديم منتجات وثروات بونت إلى المعبود آمون- رع . وتعلن فى الوقت نفسه نجـاح بعثـتها فتسمع المعبودات هذا الخبر ، فتبارك عملها . وعلى الجدار الشمالى مـنظر يمـثل الملكـة وهى تعلن نتائج بعثتها إلى موظفى القصر الملكى ومن بينهم

---

(١) Urk 1V, 324 (1. 16).

(٢) Urk 1V, 325 (1. 1).

(٣) Urk 1V, 325 (1. 2 - 3).

(٤) Urk 1V, 325 (1. 5); Saleh-Sourouzian, op. cit., n. 130 b.

(٥) Saleh-Sourouzian, op. cit., n. 130 b. وفـى مكان آخر بنفس المنظر نرى زعيم بونت وزوجته البدينة وخلفهم رجل يحمل الهدايا ، راجع : Saleh-Sourouzian, op. cit., n. 130 a . ؛ وأيضا د. صبحى بكرى : المرجع السابق ، شكل ٢٥ .

سنموت .[١]

قامت الباحثة الفرنسية " لالويت " بوصف مراحل هذد الرحلة وترجمة أغلب النصوص التى تصاحب مناظرها . بدأ بالأمر الملكى بإرسال هذه البعثة حتى عودتها واســتقبال الملكة لها وقيامها بتكريس كل ما أحضرته من ثروات ومنتجات إلى أبيها آمــون رع بعــد وزن وقــياس وكيل هذه المنتجات . وسوف نقوم بترجمة ما قامت بمراجعته لالويت بعد الرجوع إلى النص الأصلى المنشور فى Urk 1V .[٢] وسوف نتبع فى هذه الترجمة نفس ترتيب ذكر هذه النصوص كما وردت فى صفحات مؤلف الـــ Urk 1V والتى تحدثنا عن النصوص المصاحبة للمنظر وعن مراحل الرحلة المتعددة وهى كالآتى :

٢٤- أ- بقايا نسخة من التمثال الأصلى الذى اصطحبته البعثه معها :

عـــثر علـــى بقايا تمثال من الجرانيت كان يمثل المعبود آمون والملكة ويبدو أنه كان نسخة أخرى للتمثال الأصلى الذى اصطحبته البعثة معها وكان يمثل آمون والملكة[٣] وعثر على هذه البقايا فى موقع معبد الدير البحرى .[٤] وعلى هذه البقايا نقرأ :

- " .... بونت المكان المقدس " (St - dsrt).[٥]
- " .... لكى تسر قلوبهم بالأشجار (nhwt).[٦]

---

(١) د. صبحى بكرى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٢) Lalouette, op. cit., p. 249-256; Urk 1V, 317-354.

(٣) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 686; Lalouette, Thébes ou la naissance d'un Empire, Paris (1985), p. 250 n. 109.

(٤) Urk 1V, 316 (1. 12-13).

(٥) Urk 1V, 317 (D) (1.1).

(٦) Urk 1V, 317 (H) (1.3).

- "…. التاسوع الكبير … بونت " .(١)
- "…. مر طبقا لرغباتهم " .(٢)
- " …. (آمون سيد) المجاو حاكم بونت " .(٣)

٢٤ ب – وتعطى هذه البقايا بعد ترميمها وإعادة كتابتها النص الآتى(٤) :

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع فلتعش أبديا ، ما فعلته كأثرها لأبـيها آمون رع سيد عروش الأرضيين أن صنعت له تمثالا كبيرا (يمثل) ماعـت كـارع وآمون رع سيد المجاو وحاكم بونت(٥) ، المحبوبة (mryt) وصـنعته جلالـتها طبقا لفكر(٦) قلبها وأقامته فى البلد المقدس (T3 - ntr) وصـنعت تمثالا لهذا المعبود مرتبط بتمثال ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع ونحتته من كتلة واحدة من حجر الجرانيت الصلب وسوف يوفر الحمايـة(٧) لهمـا التاسـوع الكبير الذى يقطن بونت (Psdt c3t ḥryt-ib Pwnt) وسوف يظلان ويمكثان إلى الأبدية ودائما فى مكانهما أمام مدرجات

---

(١) Urk 1V, 317 (L) (1.3).

(٢) Urk 1V, 317 (F) (1.5).

(٣) Urk 1V, 318 (N) (1.1).

(٤) Urk 1V, 319 (1.6-17); 320 (1.1-3).

(٥) فـى قصـة باخـتان نجد أن المعبود آمون كان يحمل لقب " حاكم الصحراء " (hk3 dsrt) راجـع : Lefebvre, Roman et Contes Égyptiens, p. 226 (3) n. (14).

(٦) تقـرأ k3t-ib ، راجـع للمعنى : Piankoff, le Coeur dans les textes Égyptiens, Paris (1930), p. 121.

(٧) Lalouette, op. cit., p. 250-251.

مـــر بونت "[١] (m ḫnt ḫtyw cntyw nw Pwnt) المكان المقدس (-St dsrt)[٢] الــذى يســعد القلـــب[٣] ، وما تحقق له : هذا المعبود المبجل ، أن جلالتها نفذت هذا .

٢٥- وعــندما أرسلت القوات إلى هذا البلد وتنبأ لها أبوها بالطريق لكى يسمح لهذا الــبلد بأن يرى جلالتها مع أبيها حاكم بونت نهار كل يوم بسبب عظم قدراته وبســبب فائدة قدراته وبسبب حسن قدراته تجاه كل المعبودات بقدر حبه لابنته ماعـــت كارع أكثر من الملوك الذين كانوا فيما سبق . ووصل جيش جلالتها هذا فى أحسن حال وسليما ومعافى إلى مدرجات من بونت (ḫtyw cntyw nw Pwnt) . وكـــان هذا التمثال معهم ، وكانت قدرات هذا التمثال المبجل هى التى أرشدتهم على الماء وعلى الأرض . ولم ترسل حملة إلى هذه البلاد منذ زمن المعبود بواسطة (أى ملوك) آخرين سابقين مبجلين " .[٤]

٢٦- وكشـــف عن وجه جلالتها (أى تمثالها) (عند) الوصول إلى مدرجات المر (ḫtyw cntyw) وحمــل إلـــيهم (أى أعضـــاء البعثة) المر طبقا لرغباتهم وحملـــت أســـاطيلهم بمـــا يرضى قلوبهم (من) أشجار المر الطازج (nhwt

---

(١) لـــم يعـــثر على مكان هذا التمثال حتى الآن . عن معنى كلمة ḫtyw ، راجع :
Aufrere, op. cit., p. 29; Meeks, Alex. 11., p. 291; t. 111, p. 226;
Wb 111, 349, 9 ؛ وهـــناك التعبير المركب " عود المر " (ḫt n cntyw)
راجـــع : Wb 111, 340, 6 . وهـــذا يذكـــرنا بالتعبير الذى أطلقه المصريون القدماء على " مدرجات الأرز " (ḫtyw nw cš) (راجع Wb 111, 349, 8)
و" خشب أرز قمة المدرجات " (cš n tp ḫtyw) راجع : Meeks, op. cit., 111, p. 226 ، وأيضا : Wb 111, 349, 8

(٢) Lalouette, op. cit., p. 251 n. 110.

(٣) Piankoff, op. cit., p. 120.

(٤) Urk 1V, 320 (1. 3-17) = Lalouette, op. cit., p. 253 n. 116.

m3cw nb nfr n) ... وكـــل المنـــتجات[١] الطيبة لهذا البلد (cntyw w3d
h3st tn) والكل شاهد .[٢]

٢٧- وحينـــئذ جاء كبار رجال بونت وأبدوا جميعهم (Wrw nw Pwnt) خدماتهم لهـــا (أى لتمثالها) وجاءوا منحنيين لهيبتها (hryt)[٣] هم كلاب وأتوا بمثل ما يفعـــل الكلاب ، رافعين الحمولة وحاملين منتجاتهم... سائلين السلام من جلالتها ملـــك مصر العليا والوجه البحرى حاكم الأرضيين.... التى تمارس منح الحياة مثل رع أبديا " .[٤]

٢٨- الإبحار والوصول بسلام والتقدمة للمعبودة حتحور :

نرى منظر يمثل خمس سفن ، اثنتان منها راسية وثلاث على وشك الرحيل لأن أشـــرعتها مفـــرودة بفضل الرياح . ونرى الكابينة مزودة برصيفين .[٥] وكانت البعثة تضم ٢١٠ رجلا ، منهم ثلاثين مجدف لكل مركب و٢١ بحارة ، تصحبهم ســـرية صـــغيرة من ثمانية جنود وضابط للحماية أو الحراسة . " تلبية دعوة [٦]

---

(١) Faulkner, Concise Dictionary, p. 102.
(٢) Urk 1V, 321 (1. 1-7).
(٣) Faulkner, op. cit., p. 176.
(٤) Urk 1V, 321 (1. 9-17).
(٥) عن أنواع السفن المصرية التى كانت تجوب البحار ، راجع :
Erman-Ranke, op. cit., p. 656-657.
وكـــان يطلـــق علـــى الأسطول المتجه إلى جبيل " الجبيلى " والمتجه إلى بونت " البونتى " ، راجع : Id., op. cit., p. 656
(٦) عن المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 175

الأرض العظيمة (T3-wr) [١] : الإبحار فى الأخضر العظيم واتخاذ الطريق المناسـب إلـى الأرض المقدسة (T3-ntr) . الرسو بسلام فى بونت بواسطة قـوات سـيد الأرضـيين طبقا لتعليمات (tpt rd) سيد المعبودات آمون سيد عـروش الأرضـيين الذى يترأس الكرنك لكى تحضر له ثروات كل البلد (أو الجـبل)[٢] (bj3wt ḫ3st nbt) بقـدر[٣] حـبه لابنته ماعت كارع أكثر من الملـوك السابقين المبجلين للوجه القبلى ولم يحدث هذا تجاه ملوك آخرين للوجه البحرى الذين تواجدوا على هذه الأرض أبديا " .[٤]

٢٩- (ثم) تفريغ هذه المراكب (ipntw) مما تحمله إلى أمه (أى أمها) مركب وراء مركب ...إلى حتحور سيدة بونت من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها.[٥]

٣٠- " ووصول المبعوث الملكى إلى البلد المقدس (T3-nṯr) مع القوات التى تعقبه أمام (tp m)[٦] كبار بونت (Wrw nw Pwnt) ووصل بكل الأشياء الطيبة

---

(١) Urk 1V, 322 (L. 4).

(٢) يعطـى اوفـرر أكثر من سبعة معانى لكلمة h3st فهى تعنى : " جبل ، محجر، منطقه محاجر أو مناجم ، جبانة ، صحراء ، مستورد من الخارج ، أجنبى ، بلد أجنبى " ، راجع : (index) Aufrere, op. cit., p. 24-25 ويعطى مكس معنى إضافى وهو " هضبة " راجع : Meeks, Alex. 1, p. 270-271 ومن الأفضـل تـرجمة هـذه الكلمة فى جميع نصوص حاتشبسوتب بمعنى " جبل أو منطقة جبلية .

(٣) تقرأ : n c3t n وعن المعنى ، راجع : Meeks, Alex. 1, p. 56

(٤) Urk 1V, 322 (1. 6-15) = Lalouette, op. cit., p. 251.

(٥) Urk 1V, 323 (1. 2-5) .

(٦) Faulkner, op. cit., p. 296.

من القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة .[١]

٣١- " مخصصة لحتحور سيدة بونت[٢] من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها .[٣]

٣٢- استقبال البعثة بواسطة كبار بونت :

يـــأتى بعـــد ذلك منظر وصول البعثة إلى شواطئ بونت واستقبال عظيم بونـــت وزوجته لها . ومن وراء المبعوث الملكى نرى السرية العسكرية المكونة مـــن ثمانـــية جـــنود يحمل كل واحد منهم حربة ودرع أما الضابط فيحمل جعبة وحربة وبلطة .[٤]

" المجـــئ بواســـطة كبار بونت (Wrw nw Pwnt) منحنيين ومطأطئ الـــرأس لكـــى يستقبلوا قوات الملك هذه . وأدوا الابتهالات إلى سيد المعبودات آمـــون رع[٥] ، أزلـــى الأرضيين الذى يطئ المناطق الجبلية . (hb h3swt) قائلين ومرددين وسائلين السلام : كيف وصلتم إلى هذا البلد الذى يجهله الناس ؟ هـــل هبطتم على طرق السماء ؟ أم أبحرتم على الماء أو على الأرض ؟ كم هو مخضـــر هذا البلد المقدس (W3dw T3-ntr) الذى وطئه رع من أجلكم (أما بالنسبة) لملك الأرض المحبوبة (T3-mry) (مصر) فلا يعرف الطريق إلى

---

(١) Urk 1V, 323 (1. 14-17) = Lalouette, op. cit., p. 251-252.

(٢) ذكر هذا اللقب عند : Erman-Ranke. Op. cit., p. 686; Saleh BIFAO 81, p. 116 n. 3.

(٣) Urk 1V, 324 (1. 1).

(٤) لهـــذا المـــنظر ، راجـــع : Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 176 Fig, 54.

(٥) أى أنهم تعبدوا إلى تمثال آمون الذى أحضرته البعثة معها .

جلالته لكى نعش بفضل النسيم من عطاياه ".[(١)]

٣٣- " عظيم بونت باروهو (P3 rwhw)

" زوجته " (Ity)

" ولداه وابنته "

" الحمار الذى يحمل زوجته "[(٢)]

٣٤- نصب الخيمة والتبادل التجارى :

علـــى يميـــن المـــنظر نصبت خيمة المبعوث الملكى وأمامه وضعت منـــتجات بونت وعلى اليسار مجموعة من أهالى بونت يحملون أشياء مشابهة وعلى رأسهم عظيم بونت وزوجته البدينة وصور أمير بونت وهو يحمل كومة من المر وأحد أبنائه يحمل إناء يحتوى على التبر .

" نصبت خيمة للمبعوث الملكى مع قواته فى مدرجات مر بونت (m ḫtyw cntyw nw Pwnt) علـــى شاطئ الأخضر العظيم[(٣)] (ḥr gswy W3ḏ-wr) لاســتقبال عظمـــاء هـــذا البلد وقدم إليهم الخبز والجعة والنبيذ واللحـــوم والفواكـــه وكـــل الأشياء من داخل الأرض المحبوبة (T3-mry) (مصـــر) طـــبقا للأمـــر الـــذى صدر فى القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة ".[(٤)]

---

(١) Urk 1V, 324 (13-14) = Lalouette, op. cit., p. 252 n. 111
Erman-Ranke, op. cit., p. 684.

(٢) Urk 1V, 324 (1.16); (1. 1-3); 325 (1. 5).

(٣) الـــنص يتحدث هنا عن شاطئ (بالمثنى) البحر الأحمر مما يشير إلى الشاطئ الآسيوى والأفريقى معا .

(٤) Urk 1V, 325 (1. 12-17) = Lalouette, op. cit., p. 252 n. 112;
Erman-Ranke, op. cit., p. 686.

٣٥- تلقى منتجات عظيم بونت (Wr n Pwnt) بواسطة المبعوث الملكى : المجئ بواسطة عظيم بونت (Wr n Pwnt) حاملا منتجاته (inw) [١] على شاطئ الأخضر العظيم (hr gswy W3d wr) أما المبعوث الملكى... القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة . (عبارة عن) ذهب عامو ومر... " .[٢]

٣٦- "..... كــل المـــر الوفير بها وبكثرة . فى المدرجات... واقتلاع[٣] أشجار المر (nhwt cntyw)[٤]

٣٧- " أقدامكـــم (يـــا) رفـــاق انتـــبهوا الحمولة ثقيلة التى نفذناها فى صالح الملك القـــوى[٥] ، والســـلامة تصحبنا (لأن) أشجار المر التى فى وسط البلد المقدس (nhwt hryt-ib T3-ntr) ســـوف تخصص لمعبد آمون ، هناك سوف يكون مكانها حيث سوف تزرعها ماعت كارع فى حديقته على جانبى معبده طبقا لأمر أبيها .[٦]

٣٨- " ... حـــرق الـــبخور لحـــتحور ســـيدة بونـــت من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها " .[٧]

---

(١) عن هذا المعنى (inw) راجع نص رقم ٢١ ج .

(٢) Urk 1V, 326 (1. 5-9) = Lalouette, op. cit., p. 252.

(٣) Faulkner, op. cit., p. 99.

(٤) Urk 1V, 327 (1. 3-6).

(٥) Urk 1V, 327 (1. 11-13).

(٦) Urk 1V, 328 (1. 3-7) = Lalouette, op. cit., p. 253 n. 114.

(٧) Urk 1V, 328 (1. 13-14).

٣٩- تحميل وشحن المراكب بمنتجات بونت :

صـــور لـــنا كل من ارمان ورانكه والدرد[١] منظرا يمثل تحميل وشحن المركب بالمنتجات . فنرى مركب كبير له شراعان كبيران وعلى ظهره بحاران مصريان يمسك أحدهما بعصا ويقوم الآخر بتوجيه الحمالين الذين نصبوا سقالتين للصـــعود علـــيهما إلى ظهر المركب . فنرى على السقالة الأولى مجموعة من الحماليـــن يحملون شتلتين من أشجار المر وضعتا فى سلة كبيرة يحمل كل سلة ســـتة حماليـــن ثلاثـــة من أمام وثلاثة آخرين من الخلف وذلك بمساعدة كتلتين طويلتيـــن مـــن الخشب مربوط بهما حبل لحمل كل شتلة على حده (   ) . ونـــرى اثنين آخرين يحملان على أكتافهما أوعية أو زكائب بها مواد ومنتجات عطـــرية أو توابل وعلى السقالة الأخرى نرى منظر صعود ستة حمالين ومعهم شـــتلة مـــن شـــجر المر . وهناك آخر يدفعهم من الخلف . ويتقدمهم ويسير من ورائهم عاملان يحملان أوعية أو زكائب بالمنتجات الأخرى من ثروات بونت . ونـــرى على ظهر المركب أكوام المر والتوابل وأربع شتلات لأشجار المر فى أوعيـــتهـــا . ورتب كل ذلك بطريقة منظمة ومتقنة . كما نرى فوقا هذه البضائع قـــردة ونســـانيس كما نقش الفنان أسفل المركب خمس أسماك تختلف كل واحدة مـــنها عن الأخرى فكأنما أراد بذلك أن يبين لنا ما تمتعت به سواحل بونت من ثروات بحرية .

وها هى قراءة هذا النص الهام الذى كتب أعلى المركب [٢] :

---

(١) Erman-ranke, op. cit., p. 685 Fig. 255; Aldred, les Égyptiens au temps des Pharaons, Paris (1965), p. 154-155 Fig. 40; Lalouette, op. cit., p. 252-253.

(٢) Urk 1V, 328 (1. 17); 329 (1. 1-12).

3tp cḥcw r c3t wrt m bj3wt ẖ3st Pwnt ẖ3w nb nfr n T3 – nṯr cḥcw m kmjt nt cntyw m nhwt nt cntyw w3ḏ m hbny ḥr 3 bw wcb m nwb w3ḏ n c3 mw m ti – šps hs – 3yt m ihmt snṯr msdmt m cncw gfw ṯsmw m inmw3byw nw 3bw šmcw m mr (w) ḥnc msw sn n sp in tw mitt nn n nswt nb ḫpr ḏr p3wt t3 .

وها هي الترجمة الحرفية [١] :

" تحميل المراكب إلى درجة كبيرة جدا بالثروات (الطبيعية) لجبل بونت : كـل النــباتات العطرية[٢] الجميلة للبلد المقدس ، وأكوام[٣] من صمغ[٤] المر ، وبأشــجار المر الأخضر (أو الطازج)[٥] وبأبنوس وعاج نقى وبذهب خام من عــامو[٦] وبالــبهارات[٧] والــتو ابــل[٨] وبالمر[٩] والبخور[١٠] والكحل الأسود

---

(١) راجــع تــرجمة كل من : Lalouette, op. cit., p. 253 n. 115; Erman-Ranke, op. cit., p. 685-687.

(٢) عــن معــنى h3w ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 330, 777; Meeks, Alex. I, p. 267; t. 111, p. 209 Shimy, Memnonia 1X (1998), p. 213 n. 37, p. 233; Wb. 111, 221, 4; Vernus, Athribis, p. 225 n. (a).

(٣) Wb I, 220, 10-11.

(٤) عن المعنى ، راجع : Wb I, 206, 14; V, 39, 7, Faulkner, op. cit., p. 279.

(٥) Wb I, 207, 11; 283, 1.

(٦) يعــبر عن الشعوب التى تقطن جنوب الحدود المصرية ، راجع : Wb I, 167, 19.

(٧) راجع النص رقم ٢١ ب حاشية (٥) .

(٨) راجع النص رقم ٢١ ب حاشية (٤) .

(٩) لهــذه العلامــة التى تعبر عن المر فى عصر الدولة الحديثة ، راجع : Wb I, 119, 2.

(١٠) Wb 1V, 180, 18-22.

وبالنسانيس والقردة والكلاب وبجلود الفهود من الجنوب وبخدم (أو أنفار)[١] مع أولادهـم . ولـم يحـدث أن أحضـر مثل هذا بواسطة أى ملك منذ بداية خلق الأرض ".[٢] كما صور الفنان ثوران وزرافة[٣] وفهدين .[٤]

٤٠- الرحيل والوصول إلى طيبة بسلام :

" الإبحـار والوصول بسلام والرسو عند الكرنك وسط السرور[٥] بواسطة قـوات سـيد الأرضيين والعظماء فى أعقابهم من هذه الأرض وأحضروا ما لم يحضره أمثالهم لملوك الوجه البحرى الآخرين من ثروات جبل بونت (mbj3w h3st Pwnt (t)) بسـبب عظم قدرات هذا المعبود المبجل : آمون رع سيد عروش الأرضيين .[٦]

---

(١) Wb 11, 107, 1.

(٢) Wb V, 592, 1.

(٣) قـام العديـد مـن العلمـاء بذكـر بعض هذه المنتجات فى مؤلفاتهم ، راجع : Kitchen, in LA 1V, p. 1199 (B); Mokhtar, op. cit., p. 94, 114, 147-148; Aldred, op. cit., p. 154-155; Drioton-Vandier, op. cit., p. 378, 379, 438; Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 113; James, op. cit., p. 36, 59; Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 673; Erman-Ranke, op. cit., p. 686-687.
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٢٤-٥٢٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٤) Erman-Ranke, op. cit., p. 687 Fig. 257.

(٥) Urk 1V, 329 (1. 15-17) .

(٦) Urk 1V, 330 (1. 1-6) = Lalouette, op. cit., p. 253.

٤١ – وفود كبار بونت والبلاد الجنوبية على مصر :

ونرى فى المنظر وفود حاملى الجزية والهدايا فى طوابير طويلة قادمين مـن بونـت والبلاد الجنوبية، ربما جاءوا فى رحلة مستقلة : " إعطاء الدعوات لماعـت كارع وتقديم التبجيل لذات الشخصية[١] القوية (Wsrt k3w) بواسطة كـبار بونت (Wrw nw Pwnt) ... والبدو النوبيين (Iwntyw styw)[٢] مـن الـنوبة[٣] وكـل بلد جنوبى مصر (h3st nb rsy nw kmt) جاءوا فى خضـوع منكسـى الرأس حاملين منتجاتهم حيث المكان الذى به جلالتها.. على طرق لم تطئ بواسطة الآخرين ... كل بلد اتخذ (mn) كخدم لجلالتها " .[٤]

٤٢ – " كبار بونت (Wrw nw Pwnt) قالوا مرددين وسائلين السلام من جلالتها : تحـية لك ملك الأرض المحبوبة (T3-mry) الشمس المؤنثة التى تسطع مثل آتون ، سيدتنا ، وسيدة بونت ، ابنة آمون ملك المعبودات . ان اسمك يصل إلى دائرة السماء وقدرات ماعت كارع عمت الدائرة الكبرى (أى الكون كله) " .[٥]

٤٣ – " وكـبار نما – يو[٦] ، وكبار ارم[٧] قالوا مرددين وسائلين السلام من جلالتها تحية لك .... " .[٨]

---

(١) نعـرف أنـه كانت الملكة هى المسئولة عن توزيع الثروات الطبيعية على أهل البلاد ، راجع : Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 161 n. 273

(٢) Faulkner, op. cit., p. 253 .

(٣) Id., op. cit., p. 195 .

(٤) Urk 1V, 331 (1. 1-14) = Lalouette, op. cit., p. 254.

(٥) Urk 1V, 332 (1. 7-16) = Lalouette, op. cit., p. 254.

(٦) شعب نوبى ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 117

(٧) بلد يقع فى السودان الحالية وبه آبار كانت تلعب دورا هاما فى تمويل البعثات ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 118

(٨) Urk 1V, 333 (1. 8-10) = Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 117-119.

٤٤ – تكريس كل المنتجات والثروات لآمون :

وكـــان مـــن الطبيعى أن تكرس كل منتجات وثروات بونت والمناطق الجنوبية لآمون وتزيد من ثروات خزائنه . ويقول النص :

" الملـــك نفســـه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ماعت كارع يكرس (ḥrp) ثروات بونت (bj3w n Pwnt) ونفائس البلد المقدس (Špssw n T3-nṯr)[١] مخـــتلطة بمنـــتجات (inw) البلاد الجنوبية وبأفضل منتجات (b3kw) كوش الخاسئة وبمنتجات بلاد النوبة (العليا) لآمون سيد عروش الأرضيين الذى يترأس الكرنك من أجل حياة ورخاء وصحة ملك مصر العليا والوجـــه البحرى ماعت كارع التى تنعم بالحياة والاستقرار وبالسرور حاكمة الأرضيين مثل رع أبديا " .[٢]

وهى عبارة عن :

٤٥– " أشـــجار المـــر الطازج ٣١ التى أحضرت من بين ثروات بونت (bj3w Pwnt)[٣] لجلالـــة هذا المعبود : آمون سيد عروش الأرضيين ولم ير المثل منذ بدء الخليقة . (وهى) :

- ذهب خالص (فى شكل حلقات) .
- كحل أسود (معبأ فى زكائب) .

---

(١) راجع : Meeks, Alex. I, p. 57

(٢) Urk IV, 334 (1.4-14) = Lalouette, op. cit., p. 255.

(٣) يذكـــر د. صـــالح أن عظيم بونت قبل استقباله للبعثة التجارية المصرية قام هو ورجالـــه باستيراد ٣١ نوعا من شجيرات المر من مدرجات المر فى اليمن حتى يقومـــوا بدور الوسطاء التجاريين النشطين حتى يجنبوا بعثة الملكة مشقة الذهاب إلى جنوب اليمن ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛ المؤلـــف نفسه : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢ ، ص ٤٢ .

- بومارانج (عصى) (cmc3t)[١] خالص بالبونتيين .[٢]
- أبنوس (فى شكل عصى ضخمة) .
- عاج خام (فى شكل أنياب فيله) .
- مادة التلوين K3j km .[٣]
- أكوام المر الطازج بوفرة عظيمة (أو كبيرة) .[٤]

٤٦- قياس ووزن وتسجيل وكيل الثروات الطبيعية الخاصة ببلاد بونت :

نرى منظرا يمثل المعبودات والرجال الذين يقومون بعملية قياس ووزن جزية البلاد الجنوبية . وتترأس الملكة كل هذه العمليات أمام آمون جالسا على العرش ونصب أمامها ميزانين كبيرين ، وهى موازين تحوتى الدقيقة والعادلة. وملئــت الكفتين بحلقات من الذهب . ويراقب عملية الوزن المعبودان حورس رئـــيس الوزانين وددون من النوبة ، الذى أدخل استخدام البخور فى مصر[٥]، وتقوم المعبودة سشات ربة الكتابة بتسجيل نتيجة الوزن . كما يقوم معبود آخر بعملـــية القـــياس وهو " تحوتى " " الكاتب وكيل المؤن " ويقدم رئيس الخزانة تقريـــرا إلـــى الملكة . كما يقوم المعبود تحوتى بتقديم تقرير أيضا إلى آمون

---

(١) Faulkner, op. cit., p. 42.

(٢) ذكروا فى : Wb I, 506, 16; Faulkner, op. cit., p. 88

(٣) ظهرت هذه الكلمة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، راجع : Wb V, 101, 13

(٤) Urk IV, 334 (1. 16-17); 335 (1. 1-2); 335 (1. 4-11) = Lalouette, op. cit., p. 255 = Erman-Ranke, op. cit., p. 687.

(٥) يقـــال لددون فى نصوص الأهرام أنه " الشاب المصرى الطويل القادم من النوبة والـــذى أدخـــل استخدام البخور فى مصر " راجع : Morenz, la Religion Égyptienne, Paris (1962), p. 299 n. (4).

رع .[١] وتقول النصوص المصاحبة لهذا المنظر ما يأتى :

" قياس (h3t) المر الطازج الوفير جدا والمخصص لآمون سيد عروش الأرضيين (من) ثروات جبال بونت (bj3wt h3swt Pwnt) ونفائس البلد المقدس (Špss (w) n T3-nṯr) من أجل حياة ورخاء وصحة ابنة رع من صلبه (حاتشبسوت) .[٢]

٤٧- " تحوتى الكاتب ، وكيل المؤن (mr pr) " .

" تلقى ثروات جبال بونت (bj3w h3swt Pwnt) من أجل آمون رع سيد عروش الأرضيين سيد السماء من أجل حياة ورخاء وصحة ماعت كارع التى تنعم بالحياة " .[٣]

٤٨- وزن الذهب والالكتروم (ḏcmw) وأفضل (أنواع) الجزية للبلاد الجنوبية من أجل آمون رع سيد عروش الأرضيين .... الذى يترأس الكرنك من أجل حياة ورخاء وصحة ماعت كارع التى تمارس منح الحياة مثل رع أبديا " .[٤]

٤٩- " الميزان الدقيق والعادل لتحوتى . ما قامت به ملكة مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع لأبيها آمون رع سيد عروش الأرضيين لوزن الفضة والذهب واللازورد والتركواز وكل الأحجار الثمينة من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها التى تنعم بالحياة أبديا " .[٥]

---

(١) Lalouette, op. cit., p. 255 n. 121; Chadefaud, op. cit., p. 175.

(٢) Urk IV, 335 (1. 13-16).

(٣) Urk IV, 336 (1. 9-12).

(٤) Urk IV, 337 (1. 7-11).

(٥) Urk IV, 337 (1. 13-17).

٥٠- وفوق رأس حورس نقرأ :

" كـــلام يقال بواسطة حورس الذى يترأس الوزانين (mh̬3tyw) الذين يجعلون العدالة تصعد إلى سيدها ".[١]

وفوق رأس ددون نقرأ :

" ددون الـــذى يترأس بلاد النوبة الذى فى وسط المناطق الجبلية الغربية " كلام يقال : كل البلاد الجنوبية تحضر إليك كشخص واحد[٢] إلى شخصك ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع ".[٣]

٥١- " تســـجيل وحســـاب الحصـــيلة[٤] والجمع النهائى[٥] بالملايين ومئات الآلاف وعشـــرات الآلاف والآلاف والمـــئات لما ورد من ثروات من البلاد الجنوبية والمخصصة لآمون سيد عروش الأرضيين الذى يترأس الكرنك ".[٦]

٥٢- " الملـــك نفسه ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، ماعت كارع ، تلقى صاع (hk3t) مـــن الذهب الخالص ومد الذراع لكى يفتح الأكوام . ويعد (هذا) أول خطوة لحدث سعيد (ألا وهو) قياس المر الطازج (h̲3t cntyw w3d̲) المخصص لآمون سيد عروش الأرضيين سيد السماء من بواكير كل محصول (tp šmw nb)[٧] الـــذى أحضر من بين ثروات جبل بونت (bj3w h̬3st

---

(١) Urk IV, 338 (1. 4-5).

(٢) Meeks, Alex. I, p. 82.

(٣) Urk IV, 338 (1. 10-11).

(٤) نقرأ : Smnt n sšw ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 345

(٥) نقرأ : dmd̲ sm3 ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 346

(٦) Urk IV, 338 (1. 15-17); 339 (1. 1-2).

(٧) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 371

Pwnt) وتحوتى سيد الأشمونين يسجل وشات ذات القرون السبعة (sfḫt cbw)[١] تحسب الحصيلة " .[٢]

٥٣- الملكة تجرب العطر بنفسها :

" وجلالتها نفسها استعملت بيديها أفضل أنواع المر (ḫ3t cntyw) على كــل جســدها لدرجة أن عطرها أصبح شبيه بالرائحة المقدسة (i3dt ntr) واختلطت رائحتها (sty) بما فى بونت (وظهر) جلدها وكأنه مطروق فى الذهــب الخالص[٣] ساطعا مثل ما تحدثه النجوم فى داخل صالة الأعياد أمام الأرض كلهــا . وأوديت الرقصات بواسطة كل العامة وأدوا الابتهالات لسيد المعبودات وبجلوا ماعت كارع بفضل أعمالها المقدسة نظرا لعظم المعجزات الـتى أحدثتها ولحم يحدث بالمثل تجاه المعبودات السابقين منذ أزلية الأرض التى تمارس عطاء الحياة مثل رع أبديا " .[٤]

٥٤- تقديم المر للمعبود آمون :

وفــى منتصف الجدار الغربى للرواق الأيسر ، نرى منظرا يمثل الملكة (وقــد كشــط شكلها) وهى تقوم بتقديم كل هذه المنتجات والثروات الطبيعية لبونــت إلى المعبود آمون . وتعلن فى الوقت نفسه نجاح بعثتها فى مهمتها . فتســمع المعــبودات هذا الخبر فتبارك عملها . وعلى الجدار الشمالى منظر

(١) عن هذا المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 225

(٢) Urk IV, 339 (1. 4-12) = Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 113.

(٣) Urk IV, 339 (1. 13-17).

(٤) Urk IV, 340 (1. 1-8) = Lalouette, op. cit., p. 255-256 n. 122.

الملكة وهى تعلن نتائج هذه البعثة على موظفى القصر الملكى ونرى من بينهم مهندسها سنموت .(١)

" تقديم أفضل المر الطازج (tp cntyw w3ḏ) لآمون سيد عروش الأرضيين ، سيد السماء الذى يمارس إعطاء الحياة والاستقرار والسيطرة والصحة الذى يسر مثل رع أبديا ".(٢)

٥٥- فضل آمون فى تسهيل مأمورية البعثة :

" الملك نفسه ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع ، دعت القصر الملكى له الحياة والرخاء والصحة إلى شرفة سيد المعبودات وسمع الأمر فى المكان العظيم وأخذت نصيحة المعبود نفسه بأن تطرق الطرق إلى بونت وتفتح المسالك إلى مدرجات المر (ẖtyw cntyw) وترشد القوات على الماء وعلى الأرض لإحضار الثروات من البلد المقدس (bj3w m T3-ntr) لهذا المعبود الذى خلق محاسنها " .(٣)

وتنفـيذا لمـــا قيل وطبقا لأمر السيد وجلالة هذا المعبود المبجل وكما هى رغبة جلالتها تجاهها (أى بونت) التى تمارس إعطاء الحياة والاستقرار والقوة رع " .(٤)

٥٦- " اننى أهبك بونت بأكملها وأيضا (r nm n) أراضى المعبودات أو الأراضى المقدسة (T3w - ntrw). والبلد المقدس T3 - ntr ( ) فى أثرها

(١) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ ، ص ٨١ .

(٢) Urk IV, 340 (1. 13-16).

(٣) Urk IV, 342 (1. 9-17).

(٤) Urk 1V, 343 (1. 1-3).

(hnd.f) (وأيضا) مدرجات المر (htyw cntyw) التى يجهلها الناس ". [١]

٥٧- " وأرشـدتها (البعـثة) على الماء وعلى الأرض وفتحت لهم الطرق الغامضة ووطئت مدرجات المر (htyw cntyw) وهذا الشاطئ المقدس للبلد المقدس (idb pw dsr n T3 - ntr) المريح للقلب [٢] بالتأكيد ".[٣]

٥٨- " ومـا حققـته هى لى لكى تنعش (skb) قلبى مع موت وحتحور سيدة تاج الوجـه القبلى وبونت وسيدة السماء وورت حقا وسيدة كل المعبودات [٤] : ان حملوا المر الذى يفضلونه، وحملوا السفن ليسعدوا قلوبهم بأشجار المر الطازج (nhwt nt cntyw w3d)، وكل المنتجات الجميلة لهذا البلد (m3cw nb nfr n h3st tn) . والبونتـيون الذيـن يجهلهم الناس (هم) خبستيو [٥] البلد المقدس (hbstyw nw T3-ntr) [٦] الذين أبدوا تجاهها حسن التصرف عن

---

(١) Urk 1V, 344 (1. 6-8).

(٢) تقرأ pw grt : و عن الاستخدام، راجع: Meeks, op. cit., I, p. 406 .

(٣) Urk 1V, 345 (1. 1-5).

(٤) معبودات كانت تعبد مع آمون فى معبده Naville, Deir el Bahari 111, p1. 84, 1. 15; Vercoutter, op. cit., p. 124n. 3.

(٥) هـذا الاسـم مشـتق أساسـا مـن كلمة hbst بمعنى "منجم أو محجر "راجع : Aufrere, op. cit., p. 63, 66, 756-757; Meeks, Alex. I, p. 274; Wb 111, 255, 15-16 .

وعلى ذلك يمكن ترجمة التسمية hbstyw بـ " أهل المناجم أو المحاجر" بينما يرى د. عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٤٠٤ حاشـية (١١) أن الخبسـتيو هم قبائل ذات أصل عربى جنوبى كانت تسـكن منطقة مهرة فى جنوب الجزيرة العربية ثم هاجرت إلى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر واستقرت فى بلاد الحبشة .

(٦) Wb V, 225, 7.

حب ".[١]

٥٩- تحقيق أمنيه آمون وأحضر المر وزرعت أشجاره في معبده :

" انتـــبه، هـــم جـــاءوا فـــى سلام إلى الكرنك يحملون الثروات العظيمة (bj3wt c3t) وكل شئ طيب (أو جميل) للبلد المقدس (ht nbt nfrt nt T3-ntr) وجلالتى أرسلتهم بخصوصها وهى : أكوام من صمغ المر الطازج (Kmjt nt cntyw) وأشجار صلبة محملة بالمر الطازج (nhwt mn hry cntyw w3d) فلتفـــتح صــــالة الأعياد لكى ترى كل المعبودات أن جلالتى سوف تزرعها بنفسها فى الحديقة على جانبى معبدى لكى يسر قلبى بهما. [٢] وشـــهرتهما (ســـوف تصــــبح) أمام المعبودات (كما هى) شهرتك أمام كل الأحـــياء أبديـــا. وسوف تغمر السماء والأرض بالرائحة المقدسة (sty ntr) وتشـــم فـــى حوت- سر [٣] وسأرتبها وأنظفها من الشوائب (Ksnt) الكبيرة لكـــى يســـتخرج الزيت (nwdwt) [٤] المعطر (mdt) الخاص بالأعضاء المقدسة.[٥]

---

(١) Urk 1V, 345 (1. 6-16).

(٢) Urk 1V, 346 (1. 10-16); 347 (1. 1-7).

(٣) قاعـــة العدالـــة فـــى ايونو وأيضا القاعة التى يولد فيها ملك المستقبل ، راجع: Meeks, Alex. I, p. 233.

(٤) Wb 11, 226, 8-9; Meeks, Alex. I, p. 187; Shimy, Memnonia IX (1998), p. 212, p. 233 n. 38, p. 235 n. 63 .

وتســـتخدم كلمـــة nwd كفعل بمعنى " يصحن، يعد، يطبخ " أو كأسم بمعنى " زيوت عطرية أو روائح "، راجع : Id., op. cit., p. 233 n. 38.

(٥) المقصود بها هنا أجزاء التمثال المقدس الموضوع فى قدس الأقداس، الذى بفعل الطقـــوس ســـوف تـــدب فيه الحياة. فيقال مثالا لروح أوزير: " ادخلى فى هذه الأجساد من الخشب ، من الحجر ، من المعدن " راجع: ===

٦٠ – أصل المرسوم الملكى والأمر بإرسال البعثة إلى بلاد بونت :

نــرى الملكــة جالسة على العرش وتخاطب رجال البلاط الملكى وأمامها ثلاثة من النبلاء من بينهم نحسى وسنموت . وهى تقول لهم :

" انظــروا ، أمــرت جلالــتى بأن تزاد قرابين من خلقنى ويزاد الزيت المعطــر (mdt) للأعضـــاء المقدسة المقدرة له لكى تصبح أكثر وفرة عما كانت عليه فيما سبق ."[١]

" وعلـــى ذلك أمرت جلالتى بأن يعطى أمرا [٢] بحملة إلى مدرجات المر (htyw cntyw) وتفــتح طرقها من أجل مصلحتها ويعرف جوارها وتفتح مسالكها طبقا لأمر أبى آمون... والزيوت المعطرة الثمينة لكى يستخرج الزيت المعطر للأعضاء المقدسة كما قدرت لكل المعبودات لكى تستمر قوانين معبده وتقــتلع الأشــجار فـــى البلد المقدس (fdt nhwt m T3-ntr) وتوضع فى الأرض ... فـــى حديقــة ملك المعبودات ويحضرها حاملو المر هناك (hry (w) cntyw im) لكـــى يســتخرج الزيت المعطر للأعضاء المقدسة [٣] كما قدرت لكل المعبودات . [٤]

٦١– ".. له وأعطيت أمرى لكى تقام له بونت فى عاصمته وأن توضع " أشجار البلد المقدس على جانبى معبده " (mnw nw T3-ntr hr gswy hwt.f ntr) [٥]

== Moret, la Mise `a mort du dieu en Egypte, p. 37.

(١) Urk 1V, 351 (1. 14-17).

(٢) تقرأ rdit (w) m hr ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 175.

(٣) Aufrere, op. cit., p. 249-250 n. 108.

(٤) Urk 1V, 352 (1. 2-14).

(٥) Urk 1V, 353 (1. 1-4) = Weigall, Histoire de L`Égypte Ancienne, p. 112-113.

٦٢- " وصـــنعت له بونت فى حديقته كما أعطى أوامره لى فى طيبة ما أعظمها له (عندما) يسير فيها " .[١]

٦٣ أ- " حتحور سيدة المر تفتح لك ذراعيها بالصمغ (Kmjt) (وكل) الأشياء . وعـندئذ صـدر الأمر فى جلالة القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة إلى الأبـد إلى النبيل ، حامل ختم الوجه البحرى ، السمير الوحيد ، المشرف على الختم ، " نحسى " لإرسال حملة إلى بونت ".[٢]

ب- وفــى النص المصاحب لمنظر الميلاد المقدس للملكة حاتشبسوت فى معبد الدير البحرى ، يتحدث النص عن أمها الملكة أحمس حتب تمحو قائلا :

" أنهـا أيقظت بسبب عطر المعبود (آمون) الذى أخذت تستنشقه فى حضرة جلالـته ... وكـان حب المعبود يتخلل فى أجزاء جسدها ، وغمرت بواسطة عطر المعبود ، عطره القادم من بونت ". [٣]

٦٤ أ- وعلى قاعدة المسلة الجنوبية المهشمة للملكة فى معبد الكرنك ، نجد أن الملكة تـؤكد فى نصوصها أن حدود بونت تمثل أقصى الحدود الجنوبية لسلطانها ،

---

(١) Urk 1V, 353 (1.15-16); 354 (1. 1-3) .

وقـد عـثر رجال الآثار على بقايا هذه الأشجار على جانبى الشرفة الأولى لمعبد الدير البحرى وكانت مغلفة بالطمى الذى جلب إلى هناك لكى يقوى الجذور ومضـى علـيها وقـت طويل ولم تروى بمياه النيل لهذا جفت وماتت، راجع : Cottrell, op. cit., p. 59، بيـنما يذكـر د. عبد المنعم عبد الحليم: (البحر الأحمـر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٥٧٤) أن عدم نمو أشجار المر فى الـبر الغـربى يرجع إلى عدم توافر البيئة والتربة المناسبة لأن البيئة المصرية كانت تختلف عن بيئة بلاد بونت.

(٢) Urk 1V, 354 (1. 15-17).

(٣) Cottrell, op. cit., p. 52.

ونقرأ ما يلى :

" إن سـلطانها يمـتد من بلاد بونت التى أحضرت لها المر والبخور حتى حـدود آسـيا ومنها يحضر لها الفيروز وان الليبيين أحضروا ٧٠٠ سن فيل وعدد لا يحصى من جلود الفهود ". (١)

ب- ويحدثـنا نص من عصر الملكة حاتشبسوت عن وجود مخزن لحفظ البخور فى معـبد الكرنك . فعلى كتلة من كتف باب أعيد استخدامها داخل الصرح الثالث للملـك أمنحتـب الثالث نقرأ أن الملكة شيدت لأبيها آمون " مخزن للبخور " (Pr-hd cntyw) ويقـول الـنص " لعمـل تعطير كل يوم ، لكى يبقى هذا الحرم (أى هذا المعبد) دائما فى روائح تا- نثر ".(٢)

٦٥- وعلى لوحة للملك تحوتمس الثالث كانت موجودة فى الأصل فى القاعة التى تقع إلـى الشـمال الغـربى مـن قدس الأقداس فى الكرنك ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم CG34010 ويذكر نصها حديثا للمعبود آمون رع إلى الملـك ويذكـر له ما حققه له من انتصارات فى الشرق والغرب والشمال و الجنوب. (٣)

ويقول له فيما يخص شعوب آسيا والشرق (٤) ما يلى :

---

(١) Barguet, le Temple d'Amon-Rê a Karnak, le Caire (1962), p. 99; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 256 n. (4); Id., in Suppl. BIFAO 81, p. 111 n. (2) .

(٢) Shimy, Memnonia X (1998), p. 228 n. 73 .

(٣) Lalouette, op. cit., p. 317-319, 603 n. 74 = Urk 1V, 611-619; Saleh, BIFAO, p. 317.

(٤) لمـثل هذه النوعية من النصوص التى تمثل نوعا من الدعاية لإنجازات الملك ، راجـع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale Égyptienne, Paris (1986), p. 450-463.

أ- " انــنى أتيــت وجعلــتك تســحق شــعوب آسيا وأن تضرب الرؤساء الآسيويين لرتنو... ".

ب- " انــنى أتيت وجعلتك تسحق الأرض الشرقية، وأن تسير (أو تطأ) على سكان مــناطق بلاد تا- نثر [١] وعملت على أن يروا جلالتك كالنجمة [٢] التى تلقى بضوئها مثل الشعلة وتعطى ظلالها ".[٣]

٦٦ أ- وهــناك أربــع حجــرات كانــت تطل على فناء الصرح السادس الذى شيده تحوتمــس الثالــث فــى الكــرنك ، ويوجــد مدخل هذه الحجرات فى الحائط الشمالى ، ويقوم الملك أو تمثاله بالاشتراك فى تقديم القرابين المقدسة فى هذه الحجرات . وتحمل الحجرة الثانية (أو المقصورة الثانية) اسم :

" مخــزن المر أو العطور " (Pr - hd n cntyw) . ونرى على جدران الحائط الداخلية تمثيل لأكوام المر وشتلات أشجار المر ، ويقول النص :

" أنها اختيرت من أفضل ثروات بلاد بونت " (bj3wt Pwnt) .[٤]

ب- وعلى الكتف الشمالى نقرأ النص التالى:

" (الملك تحوتمس الثالث) شيد كأثر له من أجل أبيه آمون ، سيد عروش الأرضين ، تنفيذ تشييد مخزن المر (Pr - hd cnty)... لإعداد العطور

---

(١) تقرأ حرفيا ww nw T3-ntr " ضواحى تا- نثر " وهذا يعنى أن تا- نثر كانت تشــمل مــناطق عديدة وأنها كانت تقع شرق مصر، راجع : BIFAO 72, p. 257; Id., in Suppl. BIFAO 81, p. 110; Wb V, 225, 6.

(٢) هل يشير ذلك إلى عبادة النجوم التى انتشرت فيما بعد فى جنوب اليمن ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 317 .

(٣) فــى قصة سنوهى زوجة لسنوسرت الأول لقبت بلقب " سيدة النجوم "، راجع : Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, p. 23 (B, 270).

(٤) Barguet, op. cit., p. 125 n. (2) = lacau, ASAE 52, p. 185-198.

الثميــنة ، لكـــى يصبح هذا الحرم دائما فى روائح العطاء المقدس "[١] ويذكر د. شيمى أن هذا المكان أعد لـــ irt nwdw špsw لاستخراج العصير الثمين " أى عصير الروائح [٢] وقد سبق أن أشار لاكو فى مقال قيم إلى وجود مخزن للـــبخور فى معبد الكرنك من عصر حاتشبسوت وتحوتمس الثالث . [٣] وتذكر ســاوت أن مـــثل هذه المبانى كانت مقامة فى معبد الكرنك منذ عصر الدولة الوســطى. [٤] ويضــيف د. شــيمى أن مثل هذه المخازن كانت موجودة فى معبدى الرمسيوم ومدينة هابو وفى بعض المعابد البطلمية .[٥]

٦٧- وعلى جدران الحائط الذى شيده تحوتمس الثالث أمام قاعات الملكة حاتشبسوت بالكـــرنك ، وعلى الجزء الشرقى منها نرى الملك تحوتمس ممثلا فى حضرة آمون رع وهو يستعرض قائمة الجزية التى تلقاها من البلاد الأجنبية وخاصة بونـــت وجـــنوب الجزيـــرة العربية [٦] ، ونقرأ فى هذا المكان ثلاثة نصوص هامة :

أ- ففـــى نـــص مؤرخ بالعامين ٣١، ٣٢ من عصر هذا الملك نقرأ أنه بعد حملته السابعة فى غرب آسيا جاء إليه مبعوثو جنوب الجزيرة العربية :

" وعندما وصل جلالته إلى مصر جاء مبعوثو الجنبتيو (Gnbtyw) [٧]

---

(١) Shimy, op. cit., p. 228 n. 74.

(٢) Id., op. cit., p. 228 n. 75.

(٣) Lacau, ASAE 52 (1952), p. 185-190.

(٤) Shimy, op. cit., p. 227 n. 71.

(٥) Id., op. cit., p. 226 - 230 n. 76-88.

(٦) Barguet, op. cit., p. 152.

(٧) عن هذه الشعوب راجع دراسة د. صالح فى : Saleh, BIFAO 72, p. 245-262. ، ويرى أن هذه الشعوب عاشت أما فى بلاد بونت أو فى جنوب الجزيرة العربية أو فى مكان ما فى جنوب مصر ، راجع : ===

يحملون هداياهم من المر (cntyw) وصمغ- K3j ". [١]

ب- ومن العام ٣٢ نقرأ النص التالى [٢] :

" ثروات أحضرت إلى جلالته من بلاد بونت فى هذا العام : المر (cntyw) (مقداره) ١٦٨٥ حقات [٣] ، وذهب (من بلاد العامو) ".

ج- ومن العام ٣٨ نقرأ النص التالى أيضا :

" ثـــروات أحضـــرت بســـبب شـــهرة جلالـــته من بونت : المر (cntyw) (مقداره) ٢٤٠ حقات ".[٤]

٦٨- وجـــاء ذكـــر اســـم بونت من بين البلاد التى هزمها الملك تحوتمس الثالث فى الجـــنوب . علمـــا بـــأن بونت لم تتعرض لأى غزو عسكرى من قبل أى ملك مصـــرى . ولكـــنه نوع من الدعاية العسكرية للدلالة على قوة الملك . [٥] ولكن

== .Id., op. cit., p. 250-258

يذكـــر د. صـــالح أن هـــذا الـــنص يسجل وصول وفد من تجار " جنبتيين " بمـــتاجرهم مـــن المر والبخور والكندر إلى مصر فى العام ٣٢ من عهد الملك تحوتمـــس الثالث (أى فى حوالى عام ١٤٥٨ ق. م) . وكان الجنبتيون عشائر نشـــطة مـــن العرب القتبانيين فى جنوب شبه الجزيرة العربية، راجع : د. عبد العزيـــز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ ، ص ٤١ .

(١) Wb V, 96, 14.

(٢) Saleh, op. cit., p. 257 n. (4) = Urk 1V, 702, 1. 4-7; Lalouette, op. cit., p. 307; Vercoutter, op. cit., p. 61 n. (4); Drioton-Vandier, op. cit., p. 404; Kitchen, in LA1V, p. 1199 n. 14.

(٣) أى ما يعادل ٧٤٨٢ لترا ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 307.

(٤) Saleh, op. cit., p. 255 n. (1) = Urk 1V, 720, (1. 6-7).

(٥) Vercoutter, op. cit., p. 74 n. (2) = Urk 1v. 798.

بلاد بونت لم تخضع للنفوذ المصرى مباشرة .(١)

٦٩- وبجوار قاعات الأعياد للملك تحوتمس الثالث فى الكرنك فيما يسمى بصالة أو حجرة النباتات . وفى الجزء الغربى من الجدار الشمالى نقرأ نصا هاما ولكن بدايته مفقودة للأسف ونقرأ ما يلى :

"... كل أنواع النباتات الأجنبية وكل أنواع الزهور الجميلة التى توجد فى تا- نثر (٢) (التى أحضرها) جلالته عندما كان ذاهبا إلى رتنو العليا لكى يخضع البلاد الشمالية ، طبقا لأمر أبيه آمون الذى وضع كل الأراضى تحت نعليه ... " .(٣)

وفى بعض مناظر مقابر الأشراف فى البر الغربى فى طيبة من عصر الدولة الحديثة نرى مناظر تمثل حملة الجزية من بلاد بونت .

٧٠- ففى مقبرة رخمى رع (رقم ١٠٠) والذى كان حاكما فى طيبة ووزيرا فى عصر الملك تحوتمس الثالث نرى تمثيلا لكبار البلاد الأجنبية الذين حضروا إلى مصر محملين بهداياهم إلى الملك. فنرى الوزير رخمى رع يدخل قاعة الاجتماعات فى القصر الملكى لكى يتلقى باسم الملك الجزية من ممثلى البلاد الأجنبية ومن بينهم كبار بونت (Wrw nw Pwnt) وفوق رؤوسهم نقرأ النص التالى :

---

(١) Saleh, BIFAO 72, p. 255 .

(٢) يذكر بارجيه ان كل النباتات الممثلة على جدران هذه القاعة هى التى كانت تنمو فى المناطق إلى الشرق من مصر وفى سوريا والجزيرة العربية ، راجع: Barguet, op. cit., p. 199

ولكن فى رأينا أن المقصود بتا- نثر هنا هى مناطق فلسطين وسوريا ، راجع : فيما بعد ، ص ٤٢٣ النص رقم ٩٥ .

(٣) Barguet, op. cit., p. 198-199 (d).

" تلقــى الهدايا من البلاد الأجنبية فى الجنوب ، وأيضا هدايا بونت ، وهدايا رتــنو ، و هدايــا الكفتــيو ، وأيضــا هدايا (أو جزية) كل البلاد الأجنبية (الأخرى) التى أحضرت (بفضل) قوة جلالته (أى تحوتمس الثالث) .[١]

٧١- " المجــئ فى سلام لكبار بلاد بونت ، منحنيين ومطأطئ الرأس ، أنهم يحملون هدايــاهم ، هناك حيث يوجد جلالته مع كل الأشياء الجميلة الثمينة من بلادهم حيــث لــم تطأ أى قدم (ملوك) آخرين (هذه المناطق) وذلك بسبب عظمة قوته عبر بلادهم .[٢]

ويلاحظ أن الفنان فى تمثيله لشعوب الجنوب[٣] فى مقبرة رخمى رع وخاصة أهــل بونت أو كبار بونت قد أعطى لهم نفس السمات والملامح والخصائص الــتى أعطاهــا لهــم الفــنان فى نقوش معبد الدير البحرى .[٤] ولكن يلاحظ أن أزيــاء بعضهم تشبه أزيــاء الآسيويين[٥] مما يجعلنا نعتقد أنهم من أصل

---

(١) Vercoutter, op. cit., p. 56 (ga), 58 (A2) = Urk 1V, 1094, (1. 6-11); Lalouette, op. cit., p. 304, 334, 603 n. 95; Saleh, BIFAO 72, p. 255 n. 2; Erman-Ranke, op. cit., p. 687.

(٢) Vercoutter, L`Égypte et, le Monde Égeen., p. 60 n. (3); Saleh, op. cit., p. 254-255 n. (1), 258-259 n. (1).

ويــرى فركوتيه فى هذا النص أن الملك تحوتمس الثالث قام بحملة إلى هذه الــبلاد وأنه وصل إلى أماكن لم يصلها الآخرون . وأن هدايا كبار هذه المناطق جاءت عقب حملة قام بها الملك إلى هناك ، راجع : Vercoutter, op. cit., p. 61 n. (4). ، وعن هذه الحملة لتحوتمس الثالث إلى بلاد بونت ، راجع أيضا : Save-Soderbergh, The Navy of the 18th. Dynasty, p. 17.

(٣) بلغ مجموع حاملى الجزية فى عصر الملك أمنحتب الثانى ٢,٦٥٧، منهم ٢٠٠ من حاملى النباتات العطرية من بلاد الجنوب ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 399-400.

(٤) Vercoutter, op. cit., p. 39 n. (4).

(٥) Saleh, op. cit., p. 259 n. (2) .

سامى (؟) اختلط بالأصل الحامى .[١]

٧٢- وفى مقبرة منخبر رع سنب (رقم ٨٦) من عصر تحوتمس الثالث أيضا وكان كبيرا لكهنة آمون ، نرى وفود رجال بونت ونقرأ فوق رؤوسهم النص التالى :

" انهـــم يحملـــون فوق ظهورهم كل منتج طيب من تا- نثر : الفضة ، الذهب ، الفـــيروز ، الدهنج ، وكل أنواع الأحجار الكريمة لكى يعطى لهم نسيم الحياة من خـــلال الرغبة فى الوفاء لجلالته لكى تحميهم قوته " .[٢]وذكر الفيروز والدهنج يدل على أن بلاد بونت كانت جزءا من الجزيرة العربية .

٧٣ - وفـــى المقـــبرة رقم ١٤٣ (الاسم مفقود وكذلك اللقب) من عصر تحوتمس الثالث نرى أيضا تمثيلا لوفد من بلاد بونت .[٣]

٧٤- وعلـــى بردية موجودة بالمتحف المصرى من عصر الملك امنحتب الثانى نقرأ نشيد طويل موجها إلى المعبود آمون - رع ، حيث يقال له :

أ- " تحـــية لك يا آمون رع ، سيد عروش الأرضيين ، الذى يترأس الكرنك ، ثـــور أمـــه ، الذى يترأس حقوله ، ذو الخطوة الكبيرة ، الذى يترأس الوجه القبلى ، سيد المجاو ، وحاكم بونت ، معبود السماء الكبير ، أزلى الأرض ، سيد كل شىء كان الوحيد ، ولم يتواجد الآخرون (بعد إلا) سواه " .[٤]

---

(١) Saleh, op. cit., p. 260 n. (1).

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 13 n. (3), 65 n. (2); Urk IV, 929; Saleh,BIFAO 72 (1972), p. 255 n. (3-4) ، ولمـــثل هذه النوعية من النصـــوص ، راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale Égyptienne, p. 238-239 .

(٣) Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 15-16; Mokhtar, op. cit., p. 148. وأيضـــا د. أحمـــد فخـــرى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ (١) ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٢٠٣ . كما تحدث فانديه عما جاء فى هذه المقبرة بخصوص حمله الجزية من بلاد بونت Vandier, Manuel d'archéologie IV, p. 576-577 fig. 313-314 .

(٤) Lalouette, op. cit., p. 494, 604 n. 135 = Urk IV, 940-94

ب- " أنهـا (أى المعـبودات) تحب رائحته عندما يعود من بلاد بونت ، أمير أصـحاب الروائح ، الذى يهبط بلاد المجاو ، (المعبود) ذو الوجه الجميل الذى يجيء من البلد المقدس ..." .(١)

٧٥ أ- وفى مقبرة قن آمون (رقم ٩٣) الذى كان كبيرا لاستقبالات الملك من عصر الملك امنحتب الثانى ، صور شخص يقال انه " رجل بونت " .(٢)

ب- على جدران مقبرة رئيس الخزانة المدعو " مين " فى البر الغربى من عصر الملـك أمنحتـب الثانى . نرى مين ومعه مجموعة من الجنود وهم يستقبلون المراكب القادمة من بونت . وفى منظر علوى نرى مركبا يحمل الوافدين من بونـت حيـث يتم بواسطة أربعة أشخاص منهم تفريغ حمولة هذا المركب فى الميناء المصرى المطل على البحر الحمر وربما هو ميناء ساوو المعروف منذ عصـر الدولة الوسطى . وتتكون هذه المنتجات من أفضل منتجات بونت من عطر ihmt وأشجار المر (nhwt nt cntyw) .(٣)

٧٦- وفـى حجـرة الدفن الخاصة مقبرة الملك تحوتمس الرابع عثر على بقايا آنية علـيها نـص يعبر عن نوعية المادة التى كانت تحفظ فى هذه الآنية منها أفضل أنواع التوابل Ti-špsy (نفس الاسم نجده فى نقوش حاتشبسوت من بين المواد الـتى أحضـرتها بعثـتها من بونت (راجع أيضا ٤١) وأفضل أنواع الصمغ (Kmjt) الذى يأتى أصلا من بونت .(٤)

---

(١) Lalouette, op. cit., p. 494 = Urk IV, 959-962.

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 224 n. (3), 389 (c); Mokhtar, op. cit., p. 146 (2), 148; Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 15-16. ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) Urk IV, p. 1472-3 (452) .

(٤) Vercoutter, op. cit., p. 224 n. 4-5, 92 no. 13. وعـثر فى مقبرة توت عنخ آمون على آنية من المرمر خاصة بالعطور وهى الآن بالمـتحف المصرى . ر اجع: Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 190 كمـا كـان هـناك من بين عناصر المتاع الجنائزى فى مقبرة مرنبتاح البخور والزيوت العطرية، راجع: Valbelle, les Ouvriers de la tombe, p. 77 n. (9)، وكمـا نعلـم أنـه أثناء تشييع جنازة المتوفى إلى المقبرة كان يطلق دخان البخور وتؤدى مراسم التطهير المرتبطة بطقوس فتح الفم التى يقوم بها الكا هن " سم "، ر اجع: Valbelle, op. cit., p. 303 n. 12-14

٧٧- وعلـــى لوحـــة للملك أمنحتب الثالث المحفوظة بالمتحف المصرى وهى تحمل رقـــم CG 34025 يحدثـــنا نصها على أن المعبود آمون رع تحدث إلى الملك أمنحتب الثالث وعـــدد له ما تحقق من معجزات . وأنه بفضل تدخل هذا المعبود تحققت تلك المعجزات ألا وهى مجئ سكان الجهات الأصلية الأربع[١] : الجنوب والشمال والغرب والشرق محملين بخيرات ومنتجات بلادهم هدية للملك . فنقرأ ابتداء من السطر ٢٧ إلى ٣١ ما يلى :

أ - " واتجهـــت بوجهى نحو الجنوب (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى جعلـــت كبار (بلاد) كوش الخاسئين يعبرون (الحدود) إليك محملين بكل عطاياهم فوق ظهورهم .

ب - " واتجهـــت بوجهى نحو الشمال (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى سببت أن يأتى إليك (سكان) المناطق الجبلية من أطراف آسيا محملين بكل عطايـــاهم فوق ظهورهم يقدمونها إليك بأنفسهم مع أبنائهم متضرعين لعلك تهبهـــم نسيم الحياة .

ج - واتجهـــت بوجهـــى نحو الغرب (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى جعلـــتك تقبض على التحنو ولم يستطيعوا تدمير بناء هذا الحصن بسبب اسم جلالـــتى . والمحـــاط بسور عال على وشك أن يخترق السماء وعمر بأبناء عظماء رجال الأقواس من النوبة .

د - " واتجهـــت بوجهى نحو الشروق (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى ســـببت أن يأتى إلك (سكان) جبال بونت محملين بكل النباتات العطرية[٢] الأخـــاذة لجبالهم (ẖ3swt nw Pwnt ḥry ẖ3w nb nḏm ẖ3swt. sn) لكى يطلبوا السلام مصحوبا باستنشاق النسيم من عطائك " .[٣]

---

(١) لـــم يذكـــر كيتشـــن هذا النص الهام ضمن وثائق الأسرة الثامنة عشرة عن بلاد بونت، راجع: Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 12-17

(٢) عن معنى كلمة ẖ3w ، راجع: Aufrere, op. cit., p. 330, 779

(٣) عن هذا النص الهام راجع : Lalouette, Thébes ou lanaissance d'un Empire (1972), p. 426, 607 n. 26; Grimal, les Termes de la Propogande Royale Égyptienne, p. 460-462;

====

يفهم من هذا النص الهام بأن بلاد بونت تقع فى اتجاه الشرق وخاصة وأن كاتب النص يحدثنا فى السطرين ٢٧– ٢٨ عن بلاد كوش فى الجنوب ولم يضع بونـت معها فى الجنوب بل وضعها فى الشرق . وأن بيئتها جبلية بها مدرجات النـباتات العطرية الآخاذة .[١] أضف إلى ذلك أن مخصص كلمة بونت هنا هو مخصص سلسلة الجبال . كما رأينا فى نصوص حاتشبسوت (أرقام ٢٤ أ– ب ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦) أنـه كان يوجد بها مدرجات المر التى تقع على شاطئ البحر الأحمر .[٢] وكما يذكر د. صالح أنه كان يوجد باليمن مدرجات المر التى تنبت خير أنواعه .[٣]

٧٨– وفـى النص الذى يصاحب منظر عملية الوضع فى قصة الميلاد المقدس للملك امنحتب الثالث فى معبد الأقصر ، نقرأ النص التالى :

" (وكان) القصر مغمورا بعطر المعبود وكل روائحه من بلاد بونت (ḥnmw .f nb n Pwnt) " .[٤]

=== Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 257 n. (2); Kitchen, RI IV, p. 12-19; Urk IV, 1656-1657; Breasted, AR 11 (892); PM 11, 49 (7)
قـام جـريمال فـى دراسته بتجميع ستة نصوص من هذه النوعية من عصور أمنحتب الثالث ، سيتى الأول ، أربعة من عصر رمسيس الثالث ، راجع : Id., op. cit., p. 454-463 (وراجع فيما بعد أرقام ٨٠ أب ، ٨٤ أب ، ٨٥ أب) .

(١) فى نص حاتشبسوت رقم أ نجد : ḫ3w nb nfr n T3-nṯr وعند أمنحتب الثالث نجد ḫ3w nb sṯy n Pwnt وفى فيله نجد ḫ3w nb nḏm h3swt. sn (انظر فيما بعد النص رقم ١٣٧) .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٤٩ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق : ص ٢٠٧ .

(٤) Daumas, les Mammisis des temples Égyptiens, Paris (1958), p. 397 n. (2).

٧٩- وعلى الجدار الشرقى للفناء الواقع بين الصرحين التاسع والعاشر ، يوجد نقش يمثل الملك حور محب ومعه رجال مجلسه وهم يستقبلون رؤساء البلاد الأجنبية الذيـن جاءوا يحملون خيرات بلادهم كهدايا للملك . وهم رؤساء رتنو والحاونبو وبونت .[١] ويقول كبار بونت :

" تحـية لـك ملك مصر وشمس الأقواس التسعة ، لعل شخصك يكون دائم العطـاء (أو الـتدفق) . إننا لا نعرف مصر ، آباؤنا لم يطأوا هذه الأرض . امنحنا النسيم الذى تهبه عادة ، إن كل البلاد تحت نعليك " .[٢]

٨٠- وفـى نص جاء على لوحة للملك سيتى الأول ، كانت موضوعة أمام الواجهة الجنوبـية للصـرح السابع بمعبد الكرنك ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقـم CG. 34011 ، نقرأ أن المعبود آمون يؤكد لابنه سيتى الأول خضوع كل البلاد الأجنبية له فى الجهات الأصلية الأربع ، فيقول له فى موضعين :

أ- " أنـا سـببت أن يـأتى إليك البلاد الأجنبية التى لا تعرف مصر ، يحملون هداياهم الثقيلة من الذهب والفضة والفيروز وكل أنواع الأحجار الثمينة من تا- نثر " . [٣]

ب- " واتجهـت بوجهى نحو الشرق (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى قـيدتهم (سكان الشرق) لك عن آخرهم مجتمعين فى قبضة يدك وجمعت كـل (سكان) جبال بونت (ḫ3swt nbt nt Pwnt) (مع) هداياهم من الصمغ والمر الثمين " .[٤] (Kmjt cntyw špss) .[٥]

---

(١) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 261 n. (2).

(٢) Lalouette, Thébes ou la naissance d'un Empire, p. 582, 612 n. (12) = Urk IV, 2128, 1.3-8; Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 17. وأيضا د. صكبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص ٦٦٢.

(٣) Grimal, op. cit., p. 458-459; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 257 n. (3); Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (18).

(٤) عن هذا المعنى لكلمة špss ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 368

(٥) عن هذا النص ، راجع : Grimal, op. cit., p. 461

٨١ أ – ويــتحدث إلـــى الملـــك قائلا له فى موضع آخر[١] : " اننى فتحت له (أى لسيتى) الطرق إلى بونت " .[٢]

ب – لوحـــة جداريـــة فى سرابية الخادم للمدعو نحسي ومعه كاتبه آمن مس من عصر الملك سيتى الأول ، نقرأ عليها أن الكاتب آمن مس " عندما أصدر له الملـــك الأمـــر بالرحيل ، رحل بحذاء شاطئ البحر الأحمر بحثا عن أفضل منـــتجات بونـــت .[٣] يـــدل هذا النص أن بلاد بونت كانت تشمل الشاطئين الشرقى والغربى للبحر الأحمر .

ج- كما عثر فى موقع سرابية الخادم على بقايا نصين رقمى ٢٣٨ و ٤٢٧ من عصـــر الدولة الحديث جاء الحديث فيهما عن " عبور جبال بونت لإحضار أفضل المنتجات (من هناك) لجلالته " .[٤]

٨٢- ذكـــرت بلاد بونت فى خمسة مصادر من عصر الملك رمسيس الثانى : معبد العمـــرة الغربية ومعبد اكشا ، وسرابية الخادم ، وفى قائمة رمسيس بأبيدوس ، ونشيد لآمون على بردية ليدن .

أ – يـــتحدث الـــنص الأول عـــن حملـــة للملك لإحضار أفضل منتجات بونت (bj3wt Pwnt) .

ب – والثانى عن إرسال لحملة إلى بونت وأن البونتيين هناك أحضروا المراكب المحملة بالجلود وأشجار البخور والعطور اشش وارتيو وغيرها .

---

(١) Saleh, op. cit., p. 257 n. (3).

(٢) فى قصة ون آمون يخبرنا أنه كان معه تمثالا لآمون فاتح الطرق ، راجع : Lefebvre, op. cit., p. 217 n. 65 .

(٣) Urk IV, p. 1891-3 (687).

(٤) Edel, Sinaiin Schriften, in NAWG, p. 176-180 fig. 6.

ج - والثالث عن المعبود " تحوتى سيد بونت " .(١)

د - والرابع عن قيام الملك بحفر العديد من البحيرات وحفها بكل الأشجار والنباتات العطرية من بلاد بونت .

هـ - والخامس من أن " كل من هم فى بونت يأتون إليه (آمون) وتا- نثر تحضر بسبب حبك ، والمراكب تبحر نحوك وتحضر الصمغ (Kmty) من أجل احتفال معبدك بالأعياد حيث عبق الروائح الطيبة " .(٢)

٨٣- وفى معبد أبيدوس من عصر رمسيس الثانى نجد أنه صور من بين النوبيين أو أهل الجنوب واحد من أهالى بونت كان يتفاخر بحدائق نباتات بونت فى بلاده .(٣)

وفى معبد رمسيس الثالث بمعبد الكرنك وفى مدينة هابو أربعة نصوص تشير إلى انتصار الملك على الشعوب الأجنبية فى الجهات الأصلية الأربع . والنص الأول سجل على الكتف الشمالى للصرح الأول فى معبد مدينة هابو . وهو أكثر النصوص اكتمالا ، أما الثلاثة الآخرين فنجدهم فى معبد رمسيس الثالث بالكرنك .(٤)

---

(١) كان تحوتى مع حورس ومين وحتحور وأوزير من المعبودات التى لها صلة بالدورة القمرية الخيرة وارتباط منتجات المناجم والمحاجر بعين حورس المقدسة. كما كان شو وتحوتى مسئولان عن مناجم جنوبى أسوان ومين مسئول عن حماية الصحراء الشرقية وسوبد وشو عن شرق آسيا ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 81-82, 121.

(٢) لهذه النصوص الخمسة ، راجع : Kitchen, RI 11, p. 211, p. 215-6 (55), 401-402 (149), 514 (204); Gardiner, ZAS 42, p. 12-20 وأيضا : Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (19); Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 116 n. (5) .

(٣) Kitchen, op. cit., p. 1199 n. (22) .

(٤) Grimal, op. cit., p. 454 n. (85); Kitchen, IR V, p. 97, 1. 2, 98, 1.2 = PM 11, p. 489 ويعطى كيتشن خمس نسخ من هذه النوعية من النصوص .

٨٤- نصى معبد مدينة هابو :

أ - " أنـــا ســـببت أن تأتى إليك البلاد الأجنبية التى لا تعرف مصر ، (مع) جزيـــتهم الثقيلة من الذهب والفضة والفيروز الخالص وكل أنواع الأحجار الثمينة المختارة من تا- نثر من أجل وجهك الجميل " .(١) وهذا يؤكد أيضا أن تا- نثر كانت جزءا من الجزيرة العربية إن لم يكن كلها .

ب - " واتجهـــت بوجهـــى نحـــو الشرق أثناء معجزتى لك فقيدتهم (أى سكان الشرق) لك عن آخرهم مجتمعين فى قبضة يدك وجمعت لك كل (سكان) جـــبل بونـــت (h̯3st nbt nw Pwnt) (مع) هداياهم من الصمغ والمر الثمين(٢) (Kmjt cntyw špssty) .

٨٥- نصى معبد رمسيس الثالث بالكرنك :

أ - " واتجهـــت بوجهـــى ناحية الشرق (فكانت) معجزتى لك فقيدت بقوة كل (ســـكان) جبل بونت (h̯3st nbt nt Pwnt) (مع) هداياهم من الصمغ والمر الثمين (Kmjt cntyw špssy) .(٣)

ب - " واتجهـــت بوجهـــى ناحية الشرق (فكانت) معجزتى لك وقيدتهم لك ... (بقية النص مهشم جدا) .(٤)

٨٦- وفى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث يوجد منظر يمثل موكب الاحتفال بتكريم تماثيل الملوك الذين كانوا محل تقديس ، ومن وراء هذا الموكب

---

(١) Grimal, op. cit., p. 458-459 (I) .
(٢) Id., op. cit., p. 463 (I) .
(٣) Id., op. cit., p. 463 (2) .
(٤) Grimal, op. cit., p. 461 (3) .

يســـير حملة الرموز والشارات المقدسة ويتبعهم مجموعة من الكهنة منهم رئيس الكهـــنة المرتليـــن ، ورئيس المغنيين ، وزنجى من أهل بونت ، كل منهم يوجه التحية إلى تمثال المعبود مين .[١] وهذا ما سوف نقابله فى النصوص من العصر الـــبطلمى التى تشير إلى مجئ بعض الشعوب الأجنبية للمشاركة فى الاحتفالات الدينية .

٨٧- وعلى بردية هاريس (77,8F) من عصر رمسيس الثالث ، نجد نصا يصف لنا سفن البعثة التى أرسلها الملك إلى بلاد بونت ، فنقرأ [٢] :

" انـــه أرســـل ســـفن كبيرة على البحر الكبير[٣] (الأحمر) إلى جبل بونت (ḫ3st Pwnt) .

٨٨- وعلـــى البردية السابقة فى موضع آخر (70b,14) نقرأ بأنه من بين الهدايا الـــتى منحـــت لمعـــبد ايونـــو حوالى : " ٣٠٠ دبن من الصمغ الأسود الخالص (mnn)[٤] مـــن بونت " .[٥] ويشير هذا النص إلى كمية الصمغ الخام الكبيرة التى كانت تستخدم فى الطقوس فى معبد واحد .

---

(١) Vandier, la Religion Égyptienne, Paris (1949), p. 185 n. (5) .

(٢) Saleh, BIFAO 72, p. 261 n. (3); Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (24); Mokhtar, op. cit., p. 145; Drioton-Vandier, op. cit., p. 357; Erman-Ranke, op. cit., p. 687 . د. عـــبد المـــنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره ، ص ٢٠٤.

(٣) اخـــتلف العلمـــاء فى التسمية: m kdw فهل يقصد بها " نهر الفرات أو البحر الأحمر أو الخليج العربى ، راجع : Saleh, op. cit., p. 261; Wb 11, 52, 6.

(٤) عـــن هذا النوع من الصمغ أو المر ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 639-641.

(٥) Aufrere, op. cit., p. 340, 639 n. (145) .

٨٩- وعلـــى بـــردية تورين رقم ٢٢ من عصر الملك رمسيس السابع نجد أن الملك يخاطب بالألفاظ الآتية فى السطرين ٣ – ٤ :

" البحر يرفع نفسه من أجلك فرحا ، وباونت (P3wnt) تعطى عـــطرها (لك) ... ما بقيت (؟) السماء " .(١)

٩٠- وعلـــى بـــردية لـــيدن رقم ٣٤٧ من عصر الرعامسة نقرأ عدة صيغ لحماية حورس خنتى ختى ، فنجد فى السطرين ٣ – ٤ ما يلى :

" سيد بلاد النوبة الذى من أجله خلقت بونت وإليه أعطى القطرين " .(٢)

٩١- وعلـــى بردية ليدن السحرية رقم ١٣٤٥ من عصر الرعامسة نجد تعويذة ضد كل الأمراض ، حيث يقول المريض على لسان الكاهن الساحر(٣) :

" إن الأمر الذى صدر فى صالحى هو أمر من حعبى وقد صدر فى صالح أخيه رن– وى(٤) القادم من بونت ، وشفى من مرضه " .

٩٢- وفـــى النصـــوص التى جمعها كيتشن من عصر الرعامسة نقرأ نص يشير إلى كمـــية " صمغ بونت " (Kmjt n Pwnt) .(٥) ويذكر الـــ (Wb) منتج آخر مـــن بـــلاد بونت ظهر فى نص من عصر الأسرة التاسعة عشرة هو : اشش – (išš) .(٦)

---

(١) Grimal, op. cit., p. 256 n. (1188) .

(٢) Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 318 (296) .

(٣) Lexa, la Magie dans L'Égypte Antique, Paris (1925), p. 11, 55 (I).

(٤) عن اسم هذا المعبود ، راجع : Wb 11, 429, 10

(٥) Aufrere, op. cit., p. 591 n. (3) .

(٦) Wb I, 135, 13 .

٩٣- وعلى لوحة من الأسرة العشرين والموجودة الآن بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٩٤ نجد أن المعبودة نيت تحمل اللقب الآتى فى السطرين ٢٠- ٢١[١] :

" نيت ... التى تترأس بلاد تا- نثر " .[٢]

يشير النص هنا إلى محاجر شبه جزيرة سيناء .

٩٤- وعلـــى لوحة رع - مس فى مجموعة بانكس وتحمل رقم ٤ والتى عثر عليها فى دير المدينة وهى من عصر الرعامسة ، نجد نشيد لآمون رع حيث يقال له :

" حـــاكم بونـــت " (ḥḳ3 Pwnt) ، الأول فـــى أرض الجـــنوب ، سيد المجاو " .[٣]

العصر المتأخر :

٩٥- هـــناك لوحـــة للملك بعنخى من الأسرة الخامسة والعشرين بالمتحف المصرى وتحمـــل رقم J. E. 48862 يحدثنا نصها فى النهاية فى السطرين ١٥٣- ١٥٤ عن رجوع الملك إلى نباتا بعد حملته على مصر ومعه أساطيله المحملة بالفضة والذهب والنحاس وأنواع الأقمشة وكل خيرات الوجه البحرى وكل كنوز سوريا وكل النباتات العطريه لتا- نثر (ḫ3w nb T3-nṯr) .[٤]

فـــى رأينا أن المقصود بتا- نثر هنا هى فلسطين وسوريا معا وخاصة وأن الملك نفسه قادم من كوش فى جنوب مصر .

---

(١) R. el Sayed, La Deesse Neith de Sais, p. 381 (doc. 399) .

(٢) عن دور المعبودة نيت كحامية لمناطق المناجم والمحاجر وعن التشابه بينها فى هذا الدور وبين حتحور ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 135-137

(٣) Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 175 n. (30) .

(٤) Grimal, la Stéle Triomphale de Piankhy, la Caire (1981), p. 180 (27) .

٩٦- وهناك لوحة الملك تانوت آمون من نفس الأسرة وهى بالمتحف المصرى أيضا وتحمل رقم J. E. 48863 وتشير نصوصها إلى أنه بعد أن استولى الملك على منف ودخل معبد بتاح وقدم القرابين لأبيه بتاح- سوكر وسخمت أصدر أوامره لأحد رجاله للذهاب إلى النوبة العليا (نباتا) لكى يشيد بوابة من الحجر الجيرى لأبيه آمون رع اعترافا منه بالجميل ، وفى السطر ٢٠ نقرأ [١] :

" ولونها الأحمر (ṯms) من زيت شجرة الأرز المعبق بالمر المجفف[٢] من بونت (cnty šw n Pwntt) وبواباتها مغطاة بالذهب الخالص " .

٩٧- وهناك نص هام من عصر أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، فهل هو بسماتيك الأول أو الثالث (؟)[٣] وعثر على هذه اللوحة بترى فى حفائره فى دفنه . ويحدثنا نصها فى السطرين ٨- ٩ عن :

" مطر السماء فى الشهر الرابع (؟) من فصل الشتاء اليوم ... بدرجة كبيرة على جبل بونت (ḏw n Pwnt) " .

ويعتبر كاتب النص أن سقوط هذه الأمطار بغزارة على جبل بونت بمثابة معجزة كبرى فى موسم قلت فيه الأمطار فى المناطق الجنوبية والوجه البحرى . كما يشير النص إلى دور المعبودة نيت ، معبودة سايس وحامية الأسرة السادسة والعشرين ، فى جلب الفيضان السماوى (أى المطر) لكى تحيا قوات الملك .[٤] ويبدو أن أفراد هذه القوات كانت فى مهمة فى بلاد بونت ربما لإحضار منتجاتها

---

(١) Grimal, Quatre Stéles Napateennes au Musée du Caire, le Caire (1981), p. 12, 104.

(٢) عن هذا المعنى ، راجع : Wb I, 206, 12; Meeks, Alex. I, p. 365

(٣) يرى فيكنتيف أن هذه اللوحة ترجع إلى عصر الملك بسماتيك الأول ، راجع : Vikentiev, la Haute Crue du Nil, le Caire (1930), p. 52.

(٤) هذا النص يذكرنا بما ورد عند هيرودوت بأن أمطار معجزة هطلت بغزارة على مدينة طيبة فى عهد الملك بسماتيك الثالث ولم يحدث مثل هذا من قبل ، راجع : Barguet, Herodote-Thucydide, Paris (1964), p. 222 (111, 10).

وتعرضت لخطر الموت ظمأ عند اجتيازها لمناطق جبلية وعرة يندر فيها سقوط الأمطـــار فى أواخر فصل الشتاء . ولكنهم نجوا بفضل هطول الأمطار بغزارة علـــى جـــبال بونت . وهكذا بفضل تدخل ومعجزات المعبودة نيت تم إنقاذ أفراد جيش جلالة الملك .(١)

ونقرأ فى الأسطر من ١٢ إلى ١٥ ما يلى :

(١٢) ... معجزة كبرى حدثت فى وقت جلالتك .

(١٣) ... (لم) ير هذا ولم يسمع هذا فقد أمطرت السماء (ḥy pt) على جبل بونـــت (d̲w n Pwnt) (فـــى وقـــت) قل (cnd̲w) فيه المطر فى المناطق الجنوبية .

(١٤) ... وخلال هذا الشهر الذى أمطرت فيه لم يكن موسمها بالتأكيد على مدن أرض الشمال (الوجه البحرى) .

(١٥) ... أمك نيت (من) سايس أحضرت لك الفيضان لكى تحيا قواتك " .(٢)

---

(١) Mokhtar, op. cit., p. 147 n. (28); Montet, L'Égypte Éternelle, Paris (1970), 132; Vikentiev, op. cit., p. 51-52 n. (5).

(٢) Vikentiev, op. cit., p. 52 n. (2) .

عـــن هذا النص ، راجع : Petrie, Nebsheh and Deffenneh (Tanis 11) (1888), p. 107-108 (103), pl. 42; R. el Sayed, la Deésse Neith de Sais, BdE 86/2 (1982), p. 408 (doc. 457); Vikentiev, op. cit., p. 52; Z. Topozada, les activités des Rois de la XXVI eme dynastie en Égypte, p. 270-271 (doc. 341).

رســـالة دكـــتوراه غـــير منشورة ، كلية الآداب – جامعة المنيا ، ١٩٨٣ ؛ Gauthier, LR IV, p. 77 n. (1); Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (27). ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤٠٣ حاشية (٨) .

ويضع نص هذه اللوحة بلاد بونت في جنوب الحدود المصرية وانه يسقط على جبالها أمطار غزيرة وقت الشتاء .

٩٨ أ - نعلم أن الملك نكاو ثانى ملك فى الأسرة السادسة والعشرين قد أرسل بعثه للاستكشاف البحرية حول الشواطئ الأفريقية .(١) وربما أرسلت أيضا بغرض التجارة والتعرف على أسواق جديدة وموانى جديدة . وربما مرت أيضا ببلاد بونت (؟) وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام .(٢)

ب - فى نسخة من كتاب ساعات السهر لأوزير على تابوت من العصر المتأخر (الأسرة السادسة والعشرين) ، عند الساعة الثالثة نقرأ : " ها هو ابنك حورس يأتى إليك وسيد بونت من خلفه ويؤدى إليه التسبيح بالزيت هكنو " .(٣)

ج - وفى طقس للتحنيط يقال لحتحور - تفنوت التى تحضر منتجات بونت ويقال أيضا " شسمت سيدة بونت " .(٤)

د - يرى هيرودوت الذى زار مصر عام ٤٤٨ق. م. (خلال الأسرة السابعة والعشرين) أن موقع بلاد بونت يوجد على ساحل الصومال .(٥)

---

(١) بعد ذلك بفترة طويلة فى عامى ٥٤ ، ٦٨ ميلادية أرسل الإمبراطور الرومانى نيرون بعثتين لكشف منابع النيل ولكنهما رجعتا بعد وصولهما غالبا إلى منطقة السدود ، راجع : د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ٢٨ .

(٢) راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٧٤٢٦ .

(٣) Soukiassian, BIFAO 82 (1982), p. 337 (3).

(٤) Id., op. cit., p. 337 (4).

ونجد هذا اللقب أيضا لشسمت على لوحة بالهيراطيقية من الأسرة الثامنة عشرة لا نعرف مكانها ، راجع : Vernus, RdE 33 (1981), p. 92, 97 n. v.

(٥) د. صقر خفاجه : هيرودوت يتحدث عن مصر ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

٩٩- لوحة الملك نختنبو الثانى بالمتحف المصرى ، كان قد عثر عليها فى الأشمونين ، وهى مؤرخة بالعام الرابع من حكمه وتسجل زيارة الملك لمعبد الأشمونين وما قام به من أعمال معمارية هناك . ويحدثنا النص فى السطرين ١٦ ، ١٨ عن تشييده لمعبد للمعبودة نهمت عاوى وبعد إتمام البناء يقول النص .[١]

أ - " فإنه على الأرض مثل أفق آمون رع فى سماء بونت (Pwnt) وكالسيدة فى حسرت " .

ب- " (وعندما) دخله الأسياد (أى الملوك) لم ينقبض القلب[٢] تجاهه (وقدمت) الأشياء المختارة القادمة (؟) من بونت " (Pwnt) .

العصر البطلمي- الروماني :

١٠٠-أ- فى نقوش مقبرة بيتوزيريس (التى ترجع إلى عام ٣٠٠ ق. م. أى بداية العصر البطلمى) نجد منظرين فى قاعة المدخل ، الحائط الشمالى ففى هذا المنظر نرى أربعة أشخاص يقومون بصحن المواد العطرية فى أوانى .[٣] وفوق الأول فى أقصى اليمين نقرأ : shm h3w[٤] " صحن النباتات العطرية " . وفوق الثانى نقرأ : nwdw hr ir cnty " العصارون يستخرجون المر " وفوق الاثنين الأخريين اللذين يقومان بصحن ودق المادة الخام على حامل وضع أمامهم فنقرأ :

---

(١) Roeder, ASAE 52 (1954), p. 380 .

(٢) تقرأ hcw-ib ، راجع : Pianköff, le Coeur dans les textes Egyptiens, Paris (1930), p. 116; Wb 111, 51, 15.

(٣) Shimy, Memnonia IX (1998), p. 213 n. 34 Fig. 8 = Lefebvre, le Tombeau de Petosiris 111, p. 58 pl. X1.

(٤) عن المعنى ، راجع : Wb IV, 215, 12; Meeks, Alex. I, p. 337

" Sḥm imyw nw Pwntt " صحن (ما يأتى) من داخل بونت " .

ب – وفى منظر آخر فى نفس المكان نرى أربعة أشخاص يقومون بإعداد وطبخ البخور – ونقرأ فوق الشخصين الأولين : nwdw ir cnty nḏm sṯy " العصارون يستخرجون المر والعطر الطيب " وفوق الشخصين الآخرين الذى يقوم أحدهما بصحن أو تقليب العطر فى وعاء كبير بمساعدة عصا طويلة ويقوم الآخر بعمل فتحة أسفل الإناء لاستخراج المادة السائلة ونقرأ ما يلى : sḥm imyw nw Pwntt وصحن (ما يأتى) من داخل بونت " .(١)

١٠١– عثر فى منطقة سقارة على تابوت من الخشب يوجد الآن بالمتحف المصرى بالبدروم تحت رقم (SS 27/ B4) طوله ٢٠٠سم وعرضه ٦٠ سم وارتفاعه ٣٩ سم وهو يحمل أقدم نقش عربى وجد فى مصر مدون بالخط المسند الذى كان منتشرا فى جنوب الجزيرة العربية . ويرجع هذا النقش إما إلى العام الثانى والعشرين من حكم بطلميوس الثانى (أى عام ٢٨٥ ق. م) أو عصر بطلميوس السادس (أى عام ١٧٢ ق. م)(٢) ويخص أحد التجار من معين وهو زيد– ايل(٣) من منطقة " العلا " والذى دفن فى جبانة سقارة ويحدثنا فى هذا النقش عن المعاملات التجارية التى كانت قائمة بينه وبين كهنة المعابد المصرية ويشير إلى أنه قدم إلى هذه المعابد مقادير من المر وقصب الطيب

---

(١) Shimy, op. cit., p. 223 n. 54 Fig. 17 = Lefebvre, op. cit., p. 59 pl. X.

(٢) د. محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٢٧، ١٨٠ ؛ د. بيومى مهران: دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٢١ ؛ وبوجه خاص د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق، ص ٤٠٨– ٤٠٩. وقام سيادته بنشر هذا النص فى مقال باللغة الإنجليزية فى المؤلف نفسه ، 193-199 .p ؛ د. سيد الناصرى : الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة ، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، ١٩٧٧ ، ص ٤١٢ .

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة فؤاد حسنين وزكى حسن) ، ص ٢٦٩ .

مقـــابل أقمشـــة مصرية . ويذكر أنه استخدم سفينة فى استيراد هذه المنتجات العربية . كما يشير إلى دين عليه يستحق الوفاء فى شهر حتحور (هاتور). وفى موضع آخر فى النص يشير إلى أنه وفى بكل ديونه فى شهر كهياك .

ويخـــتم زيـــد- ايل حديثه بنوع من الدعاء إلى المعبودات يبدو منه أنه يبـــتهل إلـــيها لكى تضفى حمايتها على تابوته وهو يجمع فى هذا الدعاء بين المعـــبود المصرى أوزير- حعبى (وهو يورده فى النص بنطق معرب وهو اثر حف) وبين معبودات موطنه الأصلى .(١)

ونستطيع أن نتعرف من خلال هذا النقش على عدة حقائق من بينها مدى العلاقـــة الوثـــيقة الـــتى كانـــت تـــربط بين هذا التاجر المعينى وبين الكهنة المصـــريين . ويدل على انخراطه فى سلك رجال الدين المصريين الذين رأوا فـــى هذا ما ييسر عليهم الحصول على حاجتهم من البخور والطيوب اللازمة لأداء الشـــعائر والطقـــوس الدينية بشكل مباشر دون وساطة السوق التى ترفع وســـاطتها مـــن ثمن هذه السلع بالضرورة . ويكشف لنا هذا النقش عن حقيقة هامة هى أن المواصلات فى هذه الفترة بين عرب شبه الجزيرة وبين مصر لم تكـــن قاصرة على الطريق البرى ، وإنما كانت تتم كذلك عن الطريق البحرى عـــبر الـــبحر الأحمر ، فكانت هناك عدة موانئ فى مصر على شاطئ البحر الأحمـــر مثل موانئ : ساوو وميوس هرموس وبيرينيكى (رأس بناس حاليا) وميـــناء القصير . ويشير هذا النص أخيرا إلى اندماج هذا التاجر المعينى فى المجـــتمع المصرى وهو اندماج يمكن أن يكون واردا فى حالة عدد كبير من

---

(١) د. عـــبد المـــنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ ؛ أمل بيومى مهران: دراســـة تاريخـــية للعلاقة بين الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى القديم خلال الألـــف الأول قـــبل الميلاد ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية ١٩٩٦، ص ٥٩- ٧١ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

سكان جنوب الجزيرة العربية النازحين إلى مصر فى تلك الفترة . فنحن نرى هــذا الــتاجر يتقدم بدعائه وابتهالاته لا إلى معبوداته فحسب ، بل كذلك إلى معــبود مصرى . ثم هو لا يذكر هذا المعبود المصرى باسمه الذى كان شائعا بيــن اليونانيين المقيمين فى مصر وهو سرابيس ولكنه يذكره باسمه المصرى أوزير- حعبى بعد أن عربه إلى اثر حف مما يشير إلى أن اندماج هذا التاجر لم يكن مع الإغريق وإنما مع المصريين .

وإذا قمنا بفحص بعض النصوص فى المعابد البطلمية- الرومانية والتى جــاء فــيها ذكــر اســم بلاد بونت أو تا- نثر نجدها عديدة وكثيرة وخاصة النصوص الدينية التى تتناول الطقوس المختلفة وبالتحديد طقوس تقديم القرابين اليومــية فى المعابد .[1] وهناك حقيقة هامة وهى أن أغلب المراجع والمؤلفات التى تعرضت لذكر بونت لم تعطينا أية أمثلة من العصر البطلمى - الرومانى وهذا ما مثل لنا مشكلة كبيرة اضطررنا معها إلى فحص المؤلفات الكبرى التى تتــناول نصوص المعابد البطلمية - الرومانية ونحن لا ندعى أننا قمنا بفحص كــل النصــوص التى ذكرت فيها بلاد بونت ولكن هناك بدون شك نصوص أخرى قد مرت علينا دون أن نراها أو هناك مصادر أخرى لم نعرفها . ولكن يكفى أن نقول أننا جمعنا حوالى ٧٢ نصا من هذا العصر وحده .

قدس الأقداس في معبد الكرنك :

على الجدار الشمالى ، يوجد فى الجزء العلوى ، خمسة مناظر تبدأ مــن وسط الجدار الغربى ، وفى المنظر الخامس نرى الإسكندر مرتديا غطاء الــنمس وهو يقدم الزيت المعطر[2] (mḏt) إلى آمون رع ويقدم أيضا تمثال

---

(١) مــثال ذلك : Kitchen, LA IV, p. 1199 n. 28; Herzog, op. cit., p. 20-21; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 229.

(٢) وهو الخاص بالأعضاء المقدسة ، راجع النص رقم ٢٤ أ وحاشية (٦) .

صـــغير لأبى الهول ، ومن خلفه قرين الملك وهو يحمل بخور بونت ويقول النص :

١٠٢- " كلمـــات تقال بواسطة الكا الخاصة بك إلى آمون : اننى أحضرت لك بونت (Pwnnt) اننى مخلص فى حبى لك ".[١]

معبد اسنا :

فـــى قاعة الأعمدة ، الباب الجنوبى الشرقى من العصر الرومانى ، نرى منظرا يمثل الإمبراطور دوميسيان يقدم البخور للمعبودة نيت قائلا :

١٠٣- " خـــذى لنفســـك المر من بونت[٢] والروائح العطرية[٣] (ḥḏw)[٤] من تا-نثر " .

---

(١) Barguet, le Temple d'Amon-Rê a'Karnak, p. 197.

(٢) R, el Sayed, la Déesse Neith de Sais, I, p. 143; t. II, p. 626 (doc. 1010) = Sauneron, Esna 11, p. 138, texte 62.

(٣) نعلم من نصوص اسنا أنه كانت هناك صيغة مقدسة لتقديم آنية العطر ، راجع : Sauneron, op. cit., p. 141 (texte 293, 26) .
وأنـــه كان هناك كاهنا فى نفس المعبد مسئولا عن المبخرة ويقوم بتطهير تماثيل المعـــبودات بالبخور ، راجع : Sauneron, op. cit., p. 134 (texte 284, 10) . ونعلم أنه كان يوجد بمعبد الكرنك رئيس لحملة المباخر ، راجع : R. el Sayed, BIFAO 69 (1983), p. 219-239; Id., ASAE 70 (1984-1985), p. 323-349.

(٤) عـــن هذا النوع من الروائح ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 214-215 n. 11, 212, 111 Wb ,337 ,(d) (C) ويـــرى البعض أن ḥḏw لها نفس معنى h3w ، راجع : Shimy, Memnonia IX (1998), p. 233 n. 37

وفـــى أربعـــة نصـــوص أخرى فى أماكن أخرى بمعبد اسنا ذكرت المعبودة نيت بالألقاب الآتية :

١٠٤- " حاكمة بونت ".(١)

١٠٥- " سيدة تا- نثر ".(٢)

١٠٦- " سيدة بونت ".(٣)

١٥٧- " ملكة بونت ".(٤)

١٠٨- " ذات العطر الذى يفح ابتداء من بونت ورائحتها رائحة العطر الطبيعى ".(٥)

١٠٩- ويقال لابن رع الكبير :

" الفنكس المقدس الذى يجوب بونت ".(٦)

معابد الميلاد المقدس :

فى مؤلف دوما عن هذه المعابد فى ادفو ودندرة نجد ثلاثة نصوص هى :

---

(١) R. el Sayed, op. cit., II, p. 91, 660 (doc. 1055b, 1086).

(٢) Id., op. cit., p. 91 (doc. 1049) = Sauneron, Esna V, p. 291 (texte 163, 23).

(٣) Id., op. cit., p. 91 (doc. 055b) = Sauneron, op. cit., p. 113.

(٤) Id., op. cit., p. 91 (doc. 1049) = Sauneron, op. cit., p. 291 (texte 163, 23).

(٥) Sauneron, Esna V, p. 153 (texte 331, 18) .

(٦) Sauneron, op. cit., p. 370 (texte 262, 23).

فى معبد دندرة (معبد الميلاد المقدس) :

يحدثـنا نص عن القرابين والهدايا والعطايا التى تقدم للمعبودة حتحور من بينها :

١١٠- " كل بخور تا- نثر وكل زيت عطرى آخاذ (ṯḥn) من بونت ".(١)

وفى نصوص المناظر التى تصاحب عملية الميلاد المقدس فى دندرة نجد المعبود آمون رع يتحدث إلى المعبود حتحور قائلا :

١١١- " عطرك من تا- نثر وروائح جسدك من بونت ".(٢)

فى معبد ادفو (معبد الميلاد المقدس) :

نقرأ ما يلى :

١١٢- " كل النباتات العطرية من بونت " (h3w nw Pwntt)(٣)

معبد مدامود :

نـرى علـى أحد الأعمدة منظرا يمثل أحد الملوك البطالمة وهو يقدم إلى إحدى المعبودات البخور ويقول :

١١٣- " متع قلبه بالمر المستخرج من بونت (cntyw pr m Pwntt) ".(٤)

---

(١) Daumas, les Mammisis des Temples Égyptiens, p. 229.

(٢) Id., op. cit., p. 397 n. (2) .

(٣) Id., op. cit., p. 229 n. (I) .

(٤) Drioton, Rapport sur les Fouilles de Medamoud (1926), p. 36 (341) .

١١٤- وفـــى نص آخر فى معبد مدامود نجد إشارة عن طقوس الرقص التى تشارك فيه شعوب البلاد الأجنبية احتفالا بأعياد حتحور ، ونجد بينهم البدو والآسيويين وأهل بونت من :

" الخبستيو (ḫbstyw)[١] يؤدون التحية لك ".[٢]

معبد دير الشلويط :

وهـــو معـــبد صغير مخصص لعبادة إيزيس من العصر الرومانى ويقع على بعد ٣,٥ كم من معبد مدينة هابو .

فى الجزء الذى يقع أمام قدس الأقداس ، نقرأ النص التالى :

١١٥- " فليعش المعبود الطيب سيد بونت " (Pwntt)[٣] (اسم الملك البطلمى غير معروف) .

١١٦- " فليعش حورس الطيب سيد [٤] تا- نثر ".[٥]

معبد طود :

نصوص صالة الأعمدة :

---

(١) عن هؤلاء الأقوام الذين يعملون بالمناجم فى بونت ، راجع النص رقم ٥٨ .

(٢) Drioton, op. cit., p. 27-28 texte 328, 1. 8.

(٣) Chr. Zivie, le Temple de Deir Chelouit, t. 11, le Caire (1983), p. 52 (texte 78, 5).

(٤) لهذه العلامة ، راجع: Wb 11, 235

(٥) Chr. Zivie, op. cit., p. 58 (texte 80, 1).

١١٧ أ - وفـــى منظر يمثل موكب المقاطعة الخامسة (قفط) يقال لمونتو : " هو (أى الملك) يحضر لك ضاحية تثروى محملة بثرواتها القادمة (h3j) من مدرجات الجبال (htyw dww) والمر (ihmw) والفضة (ḥdw) والـــروائح الطيبة (3ḥdw) وأشجار البخور (nnibw) الخاصة بتا - نثر ".[1]

وفـــى مـــنظر آخـــر نرى نرى الملك البطلمى يتحدث إلى المعبودة سخمت قائلا [2] :

ب - " تلقـــى مـــنى البخور (3 tf)[3] من تا- نثر ومر[4] بونت (ihm nw Pwntt) ... ســيدة كبــن وســيدة ثرت التى توجد فى معبد من استغل (حرفيا حطم) بونت " (ḥd n. f Pwn)

وترد عليه المعبودة قائلة[5] :

١١٨- " انـــنى أعطـــيك المر (mrs)[6] أمام كل الناس مثلما ينتشر[7] عطر بونت (mi pẖr cntyw Pwntt) .

وفى نص ثالث بنفس المعبد نقرأ :

١١٩- " بخور بونت (3tf n Pwn)[8]

---

(١) Grenier, Tod, publ. IFAO (1980), p. 134 (texte 86, 4-5) .

(٢) Id., op. cit., p. 196 (texte 132, 4) .

(٣) Wb I, 23, 7.

(٤) Aufrere, op. cit., p. 33, 766-767; Wb I, 119, 2.

(٥) Grenier, op. cit., p. 198, (texte 132, 2) .

(٦) Wb. 11; 113; 1 .

(٧) عن هذا المعنى لكلمة pẖr ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 137

(٨) Grenier, op. cit., p. 238, (texte 152, 4) .

وفى نص رابع بنفس المعبد أيضا نقرأ :

١٢٠- " الــروائح الطيــبة (3ḥdw)[١] من ثرواته من تا- نثر (bj3wt n T3-ntr)[٢] (وهى) الغطاء لكل معبود ..." .[٣]

أى أن الروائح تعبق كل تمثال المعبود فى قدس الأقداس .

معبد أدفو :

ففى نصوص تكريس المعبد لسيده نقرأ :

١٢١- " اسمه مكتوب على حائط معبد ادفو (msn)[٤] كملك لمصر العليا والوجه البحرى ، بطلميوس الحادى عشر ، الإسكندر الأول ، الذى هرب[٥] إلى بلاد بونــت (Pwnt) واســتولى أخــوه الأصــغر علــى مصر وتوج ملكا من جديد " .[٦]

---

(١) كلمة مشتقة أساسا من كلمة iht أو ih ، وللمعنى راجع : Wb I, 120, 14

(٢) ســجل جرنيــيه فى هذا المكان علامة sst3 ولكنه أخطأ فالكلمة أقرب إلى كلمة bj3 وتقــرأ bj3wt nt T3-ntr وهـــى معادلـــة لكلمة bj3wt nt Pwnt راجع النص رقم ١٣٦ فيما بعد ، وأيضا : Wb I, 440, 4

(٣) Grenier, op. cit., p. 238, (texte, 152, 5).

(٤) اســم معــروف لادفــو منذ عصر الدولة القديمة ، راجع : Wb 11, 145, 2; Gauthier, DG 111, p. 60.

(٥) تقرأ Wcr r ، راجع : Wb I, 286, 10

(٦) Chassinat, Edf. V, p. IX (avant propos)
يرى بعض المؤرخين إن بطلميوس الحادى عشر قد هرب إلى قبرص وقضى هــناك حوالــى عشــرين عاما فى المنفى ، بينما نص أدفو يذكر أنه هرب إلى بونت ، راجع : Gauthier, LR 111, p. 355 n. (2), 387 (88)

وفى أكثر من مكان وأكثر من نص نقرأ :

١٢٢- " وجــود ملك مصر العليا والوجه البحرى (بطلميوس الحادى عشر) فوق عرشه كحاكم لتا- نثر " .(١)

١٢٣ أ - " كــلام يقــال بواســطة حورس ادفو ، المعبود العظيم للسماء ، حورس الذهــبى ، ملــك مصــر العليا والوجه البحرى ، الصقر (drty) سيد الصقور ، كبير(٢) تا- نثر وبونت (tnj T3-ntr Pwntt) ... " .(٣)

ب - فــى نص بالفناء يقال لحورس : " عظيم القوة عندما يجوب المستنقعات بالقرب من بونت " (S3b sšw m-ht Pwntt)(٤)

ج - وفــى نــص آخر بالفناء يقال لأنوبيس : " الذى يترأس بونت " (ḫnty Pwntt)(٥)

١٢٤- " ... الــبخور طيــب الــرائحة ... إنــه معــبود مبجل ، بحدتى سيد بونت (Pwntt) ، ملــك مصر العليا والوجه البحرى ، العظيم الذى يحمى أرض مصر العليا ... " .(٦)

١٢٥- " حــتحور ســيدة دندرة ، عين رع ، سيدة السماء ، المعبودة المقدسة ، سيدة تا - نثر " .(٧)

وفى حديث للمعبودة موت موجها إلى الملك نقرأ :

---

(١) Chassinat, op. cit., p. 78, 105.
(٢) Wb V, 374, 4.
(٣) Chassinat, op. cit., p. 78, 1. 8-9.
(٤) Id., op. cit., V, p. 174-175, 1. 17.
(٥) Id., op. cit., p. 186 1. 9.
(٦) Id., op. cit., p. 78, 1. 1-13.
(٧) Id., op. cit., p. 391, 1. 7.

١٢٦- " تعال فى سلام ملك بونت (Pwntt) الكبير (tnj) الذى يترأس ما يحيط بالسماء " .[١]

١٢٧- " ملــك مصــر العلــيا والوجه البحرى ... سيد بونت (Pwn)[٢] ، العين المقدسة[٣] (ntrt ntrt) ، سيدة الضوء (hdwt) ... " .

ويقال للملك البطلمى :

١٢٨- " المعــبود الطيــب الذى يحرق البخور (K3p)[٤] لأبيه (حور سماتاوى) ولكى يرضى المعبود برائحته الذى يجوب تاوى – نترو[٥] (T3wy-ntrw) معتنــيا بمــا فــيها (nwy) ، سيد بونت (Pwntt) ، ابن رع (بطلميوس) ... " .[٦]

ويرد عليه المعبود حور سماتاوى قائلا :

١٢٩- " اننى أعطيك بونت (Pwntt) محملة بما فيها وتا- نتر محملة (بكل) ما يخرج منها ".[٧]

---

(١) Chassinat, op. cit., p. 196, 1. 15.

(٢) Id., op. cit., p. 205, 1. 7.

(٣) Wb 11, 366.

(٤) Wb V, 104, 1.

(٥) جــاءت هــنا بالمثــنى ممــا يعنى أنه كان يوجد أكثر من تا – نتر ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 215 (d), 220 (b); Wb V, 225, I.
ويعــتقد اوفــرر أنها البديل عن المفرد . بينما يعتبرها مكس منطقة مختلفة ، راجع : Meeks, Alex. 11, p. 407

(٦) Chassinat, op. cit., p. 364, 1. 1-2.

(٧) Id., op. cit., p. 364, 1.5.

الحديث هنا يخص المعبودة حتحور :

١٣٠- " الأم الـتى لا مثـيل لهـا ، الحاكمة فى بونت (hk3t m Pwntt) والتى تترأس حنت- نفرت ، السيدة فى جبل المر (int cntyw) ". (١)

هناك منظر يمثل تقديم البخور إلى المعبودة حتحور :

١٣١- "... على يد الأسد (m3j) ، حاكم بونت (Pwntt)... ". (٢)

ونفس النص والمعنى نجدهما فى مكان آخر فى ادفو وفيلة :

١٣٢- " احضر الإناء ذو الأرجل الأمامية للأسد ، حاكم بونت ، صديق شسمو". (٣)

١٣٣- "... خذ لك بخور كل إنسان لأنفه من يد الأسد (m3j) ، حاكم بونت ".(٤)

١٣٤- " الملك المنتمى إلى المعبودتين ، عظيم القوة ، سيد تا- نثر ". (٥)

١٣٥- " ... عمـل ابـتهالات إلـى أمه (حتحور) ، عظيم الهيبة فى تاوى- نثرو (T3wy-ntrw)، سيدة تا – نثر " . (٦)

١٣٦- " حتحور سيدة دندرة ... سيدة المنيت (mnjt) (؟) ، عين رع (٧) التى فى

---

(١) Id., op. cit., p. 382, 1. 12.

(٢) Id., op. cit., p. 378, 1.9.

(٣) Chassinat, EdF. 11, p.378,11-13 = Aufrere, op. cit., p. 214 (b).

(٤) Aufrere, op. cit., p. 213 (B).

(٥) Chassinat, EdF. V, p. 378, 1. 13-14.

(٦) Id., op. cit., p. 370, 1. 1-2.

(٧) نعلـم مـن نصـوص ادفو أن أفضل أنواع البخور تخرج من عين رع . وأن قرابيـن الـبخور تحمـل أسماء : " عين حورس ، عين رع ، عين أوزير " ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 215 (c). ، كما أشار اوفرر إلى أن تلاعب الألفاظ بين لفظى cntyw الذى يعنى بخور ولفظ cndw فى ===

قلب بحدت (ادفو) ، سيدة البخور (nbt cntyw) ، سيدة تا- نثر ". (١)

١٣٧- " حتحور العظيمة ، سيدة دندرة ، عين رع التى فى قلب ادفو ، معبودة ادفو التى تعطى تا- نثر محملة بما فيها إلى ابنها محبوبها ". (٢)

١٣٨- وفى نص يعدد فيه الكاتب الهدايا التى يتلقاها معبود ادفو الرئيسى حورس منها (٣) :

" منتجات خنتى- ش (٤) ، بونت ، الواحات الغربية ، وكفتيو" . نلاحظ أن النص يبدأ بمناطق الجنوب ثم الغرب ثم الشمال .

١٣٩- " سويدت ... ضع السلاح (hpš) (٥) أمامها ، عظيمة القوة عند المرور بالبحيرات (٦) التى تلى بونت " (Pwntt). (٧)

== بعض النصوص البطلمية والذى يعنى " ضوء الفجر أو ضوء الشمس " ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 214 n. (a); Meeks, Alex. I, p. 67.

(١) Chassiant, op. cit., p. 316, 1.2.

(٢) Id., op. cit., p. 315, 1. 7-8.

(٣) Vercoutter, op. cit., p. 174 n. (3) = Chassinat, EdF. V1, p. 202.

(٤) منطقة محاجر بجوار اثيوبيا، ر اجع : Vercoutter, op. cit., p. 103 (26); Aufrere, op. cit., p. 735-736, 746, 765, 767.

(٥) راجع : Wb 111, 260, 1.

يقرأ سنرون هذه العلامة " حقا " التى تعنى " الحكم أو السيطرة " وينطقها بمفردها k فى اسم المعبود hk3 ، راجع : Sauneron, Esna V111, p. 71 (H. 81), 209 (242, 22H; 46-47), 210 (242, 25H81), 211 (232, 27 H. 115).

(٦) تقرأ s3b sšw ، راجع : Wb 111, 420, 15.

(٧) Chassinat, EdF. V, p. 174, 1. 17, 175, 1. 1 .

١٤٠- " (الملك البطلمى) مثل المعبود حاكم تا- نثر ، عظيم الهيبة فيما يخصه فى أرض بونت . (Pwntt) . [١]

١٤١- " (الملك البطلمى) سيد بونت . (Pwn) .[٢]

١٤٢- " حتحور ... سيدة بونت " .[٣]

١٤٣ أ - الصمغ سنن (snn) من تا- نثر والخشب عو (cw) من بونت ". [٤]

ب - أضف إلى ذلك النصوص التالية فى ادفو : أعطيك صحارى الشرق وما تنتجه بونت من أجلك [٥] .

ج - " مين مجاى تا - نثر وبلاد الشرق ، الذى يبحث عن عينه فى تا- نثر ، انــه الــذى يكشف عن عجائب بونت ويبحث عن عما يخصه (بالنسبة للعين) ليوسع نظره .[٦]

د - " أعطيك بونت مع ما يخصها وتا- نثر كلية " [٧] .

هـ- " الصورة الحية للشاب الصغير (سيد) بونت ، قوة حورس القوى " .[٨]

و - " الصــورة الحية للشاب الصغير (سيد) بونت ، صورة حورس القوى

---

(١) Chassinat, op. cit., p. 166, 1. 3.

(٢) Id., op. cit., p. 58, 1. 9.

(٣) Id., op. cit., p. 174 (5) n. (58).

(٤) Aufrere, op. cit., p. 765 (k) n. (L-m).

(٥) El Kordy, ASAE 68 (1982), p. 214 (k)= EdF. I, 84, 4-11.

(٦) Id., op. cit., p. 216 (m) = EdF. 11, 84, 13.

(٧) Id., op. cit., p. 204 = EdF. 11, 85, 4-5.

(٨) Id., op. cit., p. 217 (O).

(مين) .[١]

ز - " الـــذى يكشف عن عجائب بونت (Sr bj3 pwntt) مثل القفطى ، الذى يحضر الخليط المقدس للعين من تا - نثر .[٢]

ح - " يقال لمين : " الباحث الكامل عن ثروات بونت " .[٣]

نصوص معبد دندرة :

١٤٤- " نجـــد أن المعبود مين لقب بلقب " الباحث عن الثروة (الطبيعية) لبونت " (Sr bj3 n pwnt)[٤] . أو الذى يكشف عن ثروات بونت .

١٤٥- ويقال أيضا أن " كل المسحوق الزجاجى (أو الفيانس) (thnt)[٥] من بلاد بونت " .[٦]

١٤٦- " (الملك البطلمى) .. سيد بونت " .[٧]

١٤٧ أ - فى منظر يمثل الملك والملكة ومن خلفهما موكب للمعبودات وهم يتجهون

---

(١) Id., op. cit., p. 200 n.3.

(٢) Id., op. cit., p. 215 (L) = EdF. I, 425, 11-18.

(٣) El Kordy, BIFAO 84 (1984), p. 124 n.3.

(٤) Aufrere, op. cit., p. 138, 438 n. (82).

يعتـــبر مين سيدا لوادى الحمامات وشاطئ البحر الأحمر وحاميا للطرق المؤدية إلى الجزيرة العربية كما يعد رئيسا لجبال تا - نثر ، راجع : Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 117 n. (111) n. (2); Erman-Ranke, la Civilisation Égytienne, p. 677; El Kordy, ASAE 68 (1982), p. 198-199.

(٥) عـــن معنى هذه الكلمة كمنتج للمناجم ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 166-167, 179-181.

(٦) Chassinat, Mammisi de Dendara, p. 229 = Aufrere, op. cit., p. 521, 534 n. (5).

(٧) Aufrere, op. cit., p. 582 (2) (b).

نحــو عرش حورس " سيد المعمل " فى وسط الجدار الشمالى لهذا المبنى .
وفوق العتب نقرأ ايضا النص التالى :

" ابــن حــورس ، عظيم الانتصارات ، سيد المعمل ، ووريث معبود ادفو ، سيد بونت (nb Pwntt) : اننى أتيت إلى بحدت محملا بمنتجات تا – نــثر لكــى يــنعم حورس بعطرها ، فالمر (cnty) فى يده مع أشجار البخور (nnibw) وانا أعطر مسن (ادفو) بروائحها " .[1]

ب – ويقال لمين : " الذى يكشف عن عجائب بونت (Sr bj3 Pwntt) مثل الذى فوق (منصته) .[2]

– مقصورة القارب المقدس فى دندرة :

بها عدة مناظر موزعة على جدرانها الأربعة . فعلى الواجهة الشرقية وعلــى العتب الخارجى الجنوبى ، نرى منظرا يمثل الملك بطلميوس الثامن يورجيتــيس الــثانى وهــو يقــوم آنيتين من الذهب تحتويان على المر إلى حتحور ، ويقول النص :

١٤٨– " ملكــة مصــر العليا والوجه البحرى ، عين رع ، سيدة بونت (Pwnt)[3] التى تحضر ثروات بلد المناجم " .[4]

---

(١) Shimy, Memnonia IV (1998), p. 229 n. 82= Chassinat, EdF. 11, p. 190.

(٢) El Kordy, ASAE 68 (1982), p. 199 n. 11, 208 (D) = Chassinat, Dendara 111, 182, 9-10.
وعــن المعــنى الحرفى للقب sr bj3 اى " الذى يكشف (للملك) عجائب بونت " ، راجع : Id., op. cit., p. 198-199, 208 (D), 215 (L), 216 (M), 221(T).

(٣) Cauville, BIFAO 93 (1993), p. 95 tabl. 7, 1.2.

(٤) تــنطق Hh3t بلد مناجم ينتج الذهب ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 173-174, 318,324.

وعلى الجدار الشمالى منظر تقديم المر من قبل الملك بطلميوس التاسع سوتر الثانى إلى المعبودة حتحور وحورس سماتاوى ، ويقول النص :

١٤٩- " أنــنى أعطــيك المر المستخرج من بونت (cntyw pr m Pwntt) الذى يدخل السرور بسبب رائحته ".(١)

ويقال للملك أيضا :

١٥٠ أ - " فلــيعش حورس ، الشاب ، حاكم وبن ، والحاكم (ity) الذى فى وسط بونت (Pwntt) المنتمى إلى السيدتين ، عظيم القوة ، غنى الروائح ، سيد المر ".(٢)

ب - فى نص على جدران حجرة الخزانة فى معبد دندرة نقرأ : (٣)

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ... يصطحب لك بلاد - منتيت وما بها من كبريت الرصاص وكبريت النحاس المحلل والجيد لبونت ".(٤) (gsfn nfr Pwntt) .

ج - يقال " بس الطيب " سيد بونت (Pwntt) وحيتى " سيد بونت ".(٥)

ويقال حتحور أيضا :

١٥١- " حــتحور ســيدة دندرة ، عين رع ، ... من النوبة .. وتا - نثر ".(٦) وفى دندرة نجد نص مشابها فى مكان آخر :

---

(١) Cauville, op. cit., p. 119 tabl. 20, 1.

(٢) Id., op. cit., p. 119 tabl. 20, 1.3.

(٣) Aufrere, BIFAO 84 (1984), p. 6 (y).

(٤) عــن هذا المنتج الخام والمحلل والضرورى لإعداد الكحل الأخضر ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 4-18; Id., l'Univers Mineral dans la Pensée Égyptienne, p. 738.

(٥) Daumas, les mammisis des Temples égyptiens, p. 143 (1) (4).

(٦) Cauville, op. cit., p. 119 tabl. 20, 1. 4.

١٥٢- " حتحور ... سيدة دندرة ، عين رع ، سيدة بونت ، حاكمة تا – نثر ".(١)

وعلى الواجهة الغربية ، وعلى العتب الجنوبى ، نقرأ ما يلى :

١٥٣- " عملــية حرق البخور وعملية التبخير بالمر بدون حدود ، انه (يشبه) تا – نثر فى روائحه ".(٢)

- القبو الشرقى والجنوبى فى معبد دندرة :

ففى القبو الشرقى رقم ١ ، الحجرة رقم ٢ ، نجد نقوش الإفريز وعليه النص التالى :

١٥٤- " (حتحور) ... عين رع التى تأتى من بونت (Pwn) إلى هذا المعبد فى العيد الجميل ".(٣)

وفــى القــبو الجنوبى رقم ١ ، الحجرة رقم E ، نقرأ فى نقوش الإفريز نص يحدثنا عن الثروات الطبيعية التى تحضر إلى المعبودة حتحور : (٤)

١٥٥- " (من) الصحراء وأرض الفيروز (tfrrt) (٥) والفيانس (thnt) (٦)

---

(١) Aufrere, op. cit., p. 177, 186, n. (72) = Chassinat, Dendara 1V, p. 249, 5-13.

(٢) Cauville, op. cit., p. 133 tabl. 111, 1.2.

(٣) Chassinat, Dendara V, p1. 339.

(٤) Id., Dendara V, p1. 449.

(٥) Aufrere, op. cit., p. 170, 172-173; Wb V, 300, 1.

(٦) Wb V, 390, 12; Aufrere, op. cit., p. 166-167, 179-181.

تقـــدم (m3c)[١] إلـــى العدالـــة [٢] مع نباتات العطر [٣] الطويلة [٤] لبونت (Pwntt nw h3w 3w) وأشـــجار الـــبخور(nnibw)[٥] تحـــت مسئوليته ... " .[٦]

– وعلى بوابة الحائط الخارجى لمعبد موت بالكرنك (من العصر البطلمى) :

فـــى نـــص يســـير إلـــى طقوس الاحتفالات والرقص من قبل الشعوب الأجنبـــية [٧] الـــتى جـــاءت للمشـــاركة فى احتفالات أعياد موت ، ومن بينهم

---

(١) Aufrere, 11, op. cit., p. 22 1; 23,6.

(٢) لقب للمعبودة حتحور ، راجع : Wb 11, 20, 13.

(٣) كتـــب الكاتب كلمة h3w بمخصص غير معروف ولم يسجل من قبل واتبع هذا المخصص بعلامة الجمع : ( ) Wb 111, 221, 8

(٤) تقرأ 3w ، وعن المعنى ، راجع : Wb 1, 4, 10

(٥) تقرأ أيضا njbw ، راجع : Wb 11, 276, 10-14; Aufrere, op. cit., p. 331-333.

(٦) تقرأ r-ht عن المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 225.
Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, p. 106-107 n. 149. ربمـــا تقـــع مســـئولية تلقى هذه الثروات على عاتق كبير الكهنة .

جـــاء ذكـــر " أشجار العطر (nnybw) من تا – نثر " فى نصوص معبد طود ، راجع : Grenier, Tod, p. 134, 1. 4.

(٧) Sauneron, la Porte Ptolémaique de l'enceinte de Mout a Karnak, le Caire (1983), p. 20 n. 3, p1. 11 texte 11, 1. 21.

النوبيين والليبيين والآسيويين الذى يجوبون الصحارى (البدو) وجامعى الصمغ (Kmjtw)[1] (وهم من أهل بونت) .

١٥٦- " فليكن هناك مرح إلى أم المعبودات والناس التى تأتى إليها كبن (جبيل) من الأخضر العظيم محملة بثروة (ḥt) تا- نثر " .[2] وكما هو واضح هنا أن تا- نثر تشير هنا إلى سوريا .

معبد فيله :

١٥٧- فى المناظر التى تمثل مواكب الأقاليم يقال لمعبود المعبد الرئيسى أن الملك " هو الذى يحضر لك بونت " بكل منتجاتها .[3]

وعلى الجزء الشرقى خارج بوابة الصرح الثانى بمعبد فيله : نرى الملك بطلميوس الثامن (يورجيتيس الثانى) يقدم العطر إلى أمه المعبودة ساتيس ويقول :

١٥٨- " اننى أعطيك تا- نثر مع كل ما فيها دون أى نقصان ، كلية "[4] وتجيب المعبودة عليه قائلة [5] :

١٥٩- " اننى أعطيك كل النباتات العطرية ذات الرائحة [6] لبونت " (ḫ3w nb sṯy n Pwntt) .

---

(١) Wb V, 38, 5.

(٢) Sauneron, op. cit., pl. X11, texte 17, 1. 12.

(٣) Aufrere, op. cit., p. 233 n. f.

(٤) Valbelle, Satis et Anoukis, publ. DAIK (1981), p. 58 (407 R), p. 139 (60) n. (1057).

(٥) Valbelle, op. cit., p. 58 n. (288) (407 R), 139 (60) n. (1058) .

(٦) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 355

كما إننا فى نقوش أخرى فى فيله عدة ألقاب لحورس منها :

١٦٠- " الذى يقدر تا- نثر حاكم بونت " .

١٦١- " الصقر المقدس الذى يأتى من بونت " .(١)

معبد كوم أمبو :

نجـد فـوف الأعـتاب الـثلاثة للمدخل ، نجد مجموعة من النصوص تصاحب روح المعبودات التى تأتى لتعطى هباتها إلى المعبود الرئيسى . وهى مقسـمة إلـى مجموعتين شمالية وجنوبية ، والنص يخاطب هذه الأرواح ففى الجزء الجنوبى نقرأ :

١٦٢ أ - " تعـال (يا) روح حور- سا- ايزه (؟) آتوم (؟) من تا- نثر ، أنه يطير نحو الأفق ، أنه يدخل قرص إمن- ور ، أنهم يعطون الحياة والقوة للملك ... " .(٢)

ب - ويقال لمين " الذى يكشف عن عجائب بونت "(٣) (Sr bj3 Pwntt)

ج - فـى قائمـة للمواكـب الجغرافية من العصر الرومانى بالمعبد ، جاء ذكر " بونت "(٤) وكتبت الباء بعلامة السماء pt .

وممـا سبق يتضح لنا أن بونت كانت من أكثر المناطق ذكرا فى النصوص المصـرية ممـا يـدل على أهمية منتجاتها بالنسبة للحياة اليومية فى مصر القديمة وبالنسبة لطقوسهم الدينية ومعتقداتهم الجنائزية .

---

(١) Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 116 n. (6), 117 n. (5).

(٢) Gutbub, Textes Fondamentaux de la Théologie de Kom-Ombo, BdE 47/ 1 (1973), p. 387 (I).

(٣) El Kordy, op. cit., p. 221 (T).

(٤) Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, p. 104 (27A).

تحليل ما جاء فى هذه المصادر :

وإذا استعرضـنا مـا جاء من معلومات فى كل هذه النصوص التى يتجاوز عددهـا الـ ١٦٢ نصا[٣] منذ أقدم العصور أى عصر الدولة القديمة حتى العصر الـبطلمى- الـرومانى فإننا سوف نناقش بالنسبة لكل عصر العناصر التالية : كتابة الاسم ، الموقع ، كمصدر للبخور ، ارتباط بعض المعبودات المصرية ببلاد بونت :

أولا بالنسـبة لنصـوص عصر الدولة القديمة : فإنها تذكر الاسم وتنطقه بونت (Pwnt) (٢، ٦، ٧، ٨) وتتبعه بمخصص سلسلة الجبال .

أمـا بالنسـبة للموقع فبعضها يتحدث عن بونت بوجه عام دون تحديد مكان جغـرافى معيـن (٢، ٣، ٤ ، ٥) ويفهم من بعض النصوص الأخرى ضمنا أنها كانـت تقـع فـى جنوب الحدود المصرية (٦ ، ٧ ، ٨) . وكانت بعض الرحلات البحرية التى تذهب إليها عن طريق البحر الأحمر (٧) تحت قيادة أحد القواد الكبار (٤) . كما أن بعض كبار رجال الدولة كانوا يذهبون إليها أكثر من مرة (٨) .

أمـا بالنسـبة لكونهـا مصدرا للذهب والأخشاب الثمينة والأحجار الكريمة وثـروات المـناجم والأبـنوس والصـمغ والجلود وما تنتجه هذه البلاد فتؤكده عدة نصوص (٢ ، ٤ ، ٨) .

أما عن تمثيل أهالى بونت فنجده على مصدر واحد (٣) أما عن ذكر أحد أهالى بونت فنجده على مصدر واحد أيضا (١) .

---

(١) علـى اعتبار أن هناك بعض الوثائق تشمل أ ، ب ، ج ، د ، مثل أرقام ١٩ ، ٢١ ، ٢٤، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٢ . ولهذا يمكن أن يبلغ عددها ٢٠٠ نصا .

ثانيا بالنسبة لنصوص عصر الدولة الوسطى : فنجد أنها تذكر الاسم بونت (Pwnt) (٩ ، ١٠ ، ١١، ١١، ١٢ ، ١٣ ، ١٤، ١٥، ١٦ ، ١٧، ١٩ أ- ب) .

أمـــا بالنســبة للموقع فيفهم من بعض النصوص أن بلاد بونت وتا- نثر[١] كانــتا مرتبطــتان (١١) وهــذه هى المرة الأولى التى نجد فيها ذكر تا- نثر قبل بونت . ويبدو أن بونت أصبحت جزءا من تا- نتر ابتداء من عصر الدولة الوسطى أى أصــبحت جزءا من جنوب شبه الجزيرة العربية (١٤) وكانت بعض الرحلات تــتم إليها إما برا عن طريق الصحراء (١٣) أو بحرا عن طريق البحر الأحمر . وكانـــت الســفن تــبحر من ميناء " ساوو " قرب وادى جواسيس على شاطئ البحر الأحمــر (١٧، ١٩، ٢٢، ٢٣) . كما أن بعض النصوص الأخرى لا تحدد موقعها وتذكرها بوجه عام (٩، ١٠، ١١، ١٢ ، ٢١ أ) .

أمـــا بالنسبة لكونها مصدرا للمر والنباتات العطرية والمر الطازج ومنتجات المــناجم فــنجده فى أكثر من نص (٩، ١١، ١٤، ١٧، ١٩ ب ، ٢٣) ، ويخبرنا النص ٣١ ب بمعلومة هامة وهى أن إحدى الجزر فى مدخل البحر الأحمر كانت تقع فى بلاد بونت وكانت تنتج المر والبخور وعطر ḥknw وعطر iwdnbw والتوابل والــبهارات ومنتج Š3c-ch والكحل الأسود وذيول الزراف وسن الفيل وأنواع معينة من كلاب الصيد وأنواع من القردة والنسانيس وكل النفائس الطيبة .

كمـــا كانـــت أرض تـــا- نـــثر مصـــدرا للبخور والمر ومنتجات المناجم (١٠ ، ١١ ،١٧ ، ١٩ ب - ج) .

---

(١) يـــرى فركوتيه أن تا- نثر هو تعبير جغرافى يطلق على المناطق التى تقع إلى الشرق أو الشمال الشرقى أو الجنوب الشرقى لمصر أو هى منطقة تقع فيها بلاد بونت ، راجع : Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, p. 12-13 وأيضا : Saleh, BIFAO 81 (1981), p. 107-117 نجد نفس الآراء التى ساقها فركوتيه من قبل .

كمـــا تخبرنا بعض النصوص أن السيادة الدينية فى بلاد بونت كانت لبعض المعـــبودات المصـــرية وعلـــى رأسها حتحور (٩، ١٨، ١٩ أ) وتحوتى (١٥) وورِرت (١٦) . كما شبه المتوفى بلاد بونت بالجبانة التى كان يتمنى أن يكون له بهـــا مقـــرا (١٢) كما كانت أمنيته أن يحضر له المر والبخور من بونت وتا- نثر (١٠، ١١) .

ثالـــثا بالنسبة لنصوص عصر الدولة الحديثة : فنجدها (وخاصة نصوص الملكـــة حاتشبسوت) أكثر حديثا وتفصيلا عن بلاد بونت . فنجد أن جميع نصوص الملكة حاتشبسوت تذكر الاسم بونت (Pwnt) (٢٤ – ٦٣ أ) .

أمـــا بالنســـبة للموقـــع فيفهم من المناظر المسجلة على جدران معبد الدير الـــبحرى ومـــن النصوص المصاحبة لها أن هذه البلاد كانت تقع فى أقصى جنوب الحـــدود المصرية (٢٤ أ- ب ، ٤١ ، ٤٤) . ونعلم أن الملكة أمرت بإرسال هذه البعثة فى العام التاسع من حكمها (٦٠) وكانت تحت إمرة نحسى (٦٣) واتخذت طـــريق الـــبحر الأحمـــر (٢٨) حتى وصلت إلى الشاطئ الشرقى لأفريقيا بعد أن أرشـــدها إلـــى الطـــريق السليم وسهل لها مهمتها المعبود آمون (٢٥، ٥٥ ، ٥٧) وتحدثـــنا النصوص وتشير المناظر إلى وصول البعثة على شواطئ العظيم الأخضر (أى الـــبحر الأحمـــر) (٢٨) . وعـــند وصـــولها نصبت الخيمة لإقامة المبعوث المصـــرى مـــع قواته فى منطقة مدرجات المر على شاطئ الأخضر العظيم (٣٤) وجـــاء عظـــيم بونت وزوجته وبقية كبار بونت لاستقبال أعضاء البعثة (٣٠ ، ٣٢، ٣٤) وتســـاءلوا عند مقابلتهم لأعضاء البعثة المصرية عن كيفية وصولهم إلى بونت هـــل تـــم ذلك بحرا أم برا ؛ (٣٢) ويقصد بذلك هل اتخذت البعثة طريق البر فى الـــبداية ثم اتجهت بعدها إلى البحر . ويخبرنا النصين أرقام ٣٤ ، ٣٥ أن مدرجات المر فى بونت كانت تقع على شاطئ الأخضر العظيم ويلاحظ هنا أن الكاتب استخدم كلمـــة شـــاطئ بالمثـــنى مما يدل على أن المقصود بالشاطئين هما الشاطئ الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر .[1]

---

(١) د. أحمد فخرى فى مؤلف: تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤١٦ حاشية (٢).

أما بالنسبة للثروات الطبيعية والحيوانية التى أحضرتها البعثة من هذه البلاد فهــى عديــدة ومتنوعة ووفيرة على حد تعبير الملكة (٦٠) . وكما تذكر نصوص الملكــة أنهــا أمــرت بإرســال هذه البعثة لإحضار كميات من المر الخام والطازج لأعضــاء التمــثال المقــدس لآمون (٦٠) . فالمر كان يؤتى به من مدرجات المر (٢٤ ب ، ٢٥، ٢٦، ٣٤، ٣٦، ٥٥، ٥٦) . أو من المناطق الجبلية لبونت (٢٨، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٦، ٤٧، ٥٢) وأن جذور شتلات شجر المر سوف تقتلع من على هذه المدرجات (٣٦ ، ٤٥) ليعاد زراعتها مرة أخرى فى حديقة معبد آمون (٣٧، ٥٩) لكــى تصــبح حديقة معبده فى البر الغربى أو فى عاصمته نموذجا آخر لبلاد بونت (٦٢) يتمــتع بالسير فيها (أى تمثاله المحمول) وتذكر النصوص أن الذى سوف يحضــر المر هم حملة المر الذين سوف يحضرونه ليعصر على التو بعد تنظيفها من الشوائب لاستخراج الزيوت العطرية (٥٩ ، ٦٠) التى تستخدم فى الطقوس الدينية لتمثال المعبود (٥٩ ، ٦٠) .

أما تفاصيل هذه الثروات التى أحضرتها البعثة من جبال بونت فكانت تشمل : النباتات العطرية الجميلة للبلد المقدس ، أكوام من صمغ المر ، أشجار المر الأخضر (أو الطــازج) ، أبــنوس ، عــاج نقى ، ذهب خام من عامو ، بهارات ، توابل ، مر ، بخور ، كحل أسود ، نسانيس ، قردة ، كلاب ، جلود فهود ، وخدم مع أولادهم هذا بالإضافة إلى ثيران وزرافة وفهدين (٣٩) وزيادة على أشجار المر الطازج كل المنتجات الطيبة لهذا البلد (٢٦) وأيضا ٣١ شجرة أو شتلة من أشجار المر الطازج (٤٥) أو أشــجار صــلبة محملة بالمر الطازج (٥٩) . وذهب فى شكل حلقات وكحل وضع فى زكائب وأبنوس فى شكل عصى ضخمة وعاج من أنياب الفيلة ومادة K3j-Km للتلويــن ، وعصــى الــبومارانج التى كان يستخدمها أهل بونت فى صيد الطيور وكان يستخدمها المصريون أنفسهم (٤٥) .

كما صور زعيم بونت وهو يحمل بنفسه كومة من المر (٣٣ ، ٣٥) كرمز لأفضــل منتجات بلاده . ويذكر النص انه " المر المستخرج من وسط البلد المقدس " (٣٧) . وكان أحد أبناء زعيم بونت يحمل إناءا يحتوى على كمية من التبر (٣٤) كرمز لأفضل ما تنتجه محاجر بلاده .

وتشـــير بعـــض النصـــوص إلـــى " نفـــائس الـــبلد المقدس " (٤٤ ، ٤٦) و" المنتجات الطيبة لهذا البلد " (٣٦) .

وكـــان المر يعصر بعد إحضاره إلى مصر بواسطة حملة البخور لاستخراج الزيوت العطرية (٥٩ ، ٦٠) للأعضاء المقدسة للمعبود (٦٠) .

وعادت البعثة بكل هذه الثروات والنفائس بعد أن وضعت تمثالا للمعبود آمون والملكة على شواطئ بونت أمام مدرجات المر ذلك المكان المحبب إلى القلب (٢٤ أ- ب ، ٢٥، ٢٦، ٢٧) وذلـــك لكي يراه الناس فى هذا البلد يوميا (٢٥) . وقد عثر على نسخة أصلية لهذا التمثال فى موقع الدير البحرى (٢٤ أ) .

وعادت البعثة وأعقبها مجيء وفد من كبار بونت جاءوا لتقديم هذه المنتجات بروح سمحة طالبين السلام مع الملكة (٤١ ، ٤٢) وكان من الطبيعى أن تزيد هذه المنـــتجات مـــن ثروات خزائن معبد آمون بالكرنك (٤٤) . وقامت الملكة بنفسها والمعـــبودات معها بكيل أكوام المر بصاع خاص بالكيل والإشراف أيضا على وزن البخور الطازج وقياسه وتسجيله (٤٦- ٥١) وذلك فى احتفال رسمى وشعبى . كما قامـــت الملكة بنفسها بتجربة تعطير جسدها بأحسن أنواع البخور من بونت (٥٣) . ولهـــذا لقبـــت الملكة بلقب " سيدة بونت " (٤٢) . كما أمرت الملكة بزرع شتلات الـــ ٣١ شـــجرة من المر على جانبى معبد آمون فى حديقته وأرادت أن تصنع له نمـــوذج أصـــلى لبونت فى حديقته (٣٧ ، ٥٩ ، ٦٢) وتعهدت الملكة برعاية هذه الأشـــجار حـــتى تغمـــر بـــروائحها عنان السماء والأرض (٥٩) ويتمتع المعبود بروائحها الطيبة فى حديقة معبده عندما يتجول فيها (٦٢).

ومما يؤكد <u>وقوع بونت فى جنوب مصر</u> ما جاء فى نص مسلة حاتشبسوت من أن " سلطانها يمتد من بلاد بونت التى أحضرت لها المر والبخور " جنوبا حتى " حدود آسيا ومنها يحضر لها الفيروز " شمالا " (١٦٤ أ).

<u>أما بقية النصوص الأخرى من عصر الدولة الحديثة فتذكر الاسم بونت</u> (Pwnt) (٦٤ – ٩٤) وكتبت مرة واحدة باونت (<u>P3wnt</u>) (٨٩) .

أما بالنسبة للموقع فنجد نص من عصر الملك تحوتمس الثالث تجعل من تا- نثر تقع فى الشرق (٦٥) ونصوص أخرى تجعلها تقع فى شمال الجزيرة العربية أو فى فلسطين وسوريا (٦٩ حاشية (٢) ، ٨٠، ٨٤ب ، ٩٣) .

ويفهم من بعض النصوص الأخرى أن بونت كانت تقع فى جنوب الحدود المصرية (٦٧ ب - ج ، ٧٠) بينما تضعها نصوص أخرى جهة الشرق (٧٧ د ، ٨٠ ب ، ٨٥ أ - ب) واستمر تدفق البخور والمر من بعد عصر الملكة حاتشبسوت وكان يختار من أحسن الأنواع ويخزن فى مخازن للبخور أو العطور بمعبد الكرنك (٦٦) كما أن جزية أهل أو زعماء بونت كانت تحضر إلى ملك مصر فى شكل كميات كبيرة من المر أو الزيوت العطرية والهدايا أو العطايا (٦٧ أ - ب ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣) . واستمر تدفق الصمغ والمر الثمين فى عصرى سيتى الأول ورمسيس الثالث (٨٠ ب ، ٨٤ ب- ٨٥ أ) . كما وردت كميات كبيرة من الصمغ لعدة معابد (٦٧ أ ، ٩٢) . وكان من بين العطايا التى قدمت لمعبد إيونو فى عصر رمسيس الثالث كميات من الصمغ السود الخام الواردة أيضا من بلاد بونت (٨٨) . كما كان يحتفظ فى بعض مقابر بعض ملوك عصر الدولة الحديثة بالصمغ والبهارات (٧٦ حاشية٣) كما أحضر المنتج إشش من بلاد بونت فى عصر الأسرة التاسعة عشرة (٩٢ حاشية ٢) .

وفى النص المصاحب لمنظر الميلاد المقدس لحاتشبسوت يخبرنا أن جسد أمها الملكة أحمس حتب تمحو غمر بواسطة عطر المعبود (آمون) ذلك العطر القادم من بونت (٦٣ب) ونجد نفس الحدث فى المنظر الذى يقص علينا قصة الميلاد المقدس لأمنحتب الثالث فى معبد الأقصر نجد أن القصر كان مغمورا بعطر المعبود آمون ، ذلك العطر الذى أحضر من بونت (٧٨) كما أحضرت نفس المنتجات من تا- نثر (٧٢ ، ٨٠ أ) .

كما أنه كثر تمثيل أهالى أو زعماء بونت فى مقابر النبلاء فى البر الغربى فى عصر الدولة الحديثة جاءوا ليعبروا عن ولائهم لملك مصر وكسب صداقته وحملوا معهم أفضل ما تنتجه أرض بونت (٦٧ ب- ج) وحرص الفنان على أن

يصـــورهم بدقة متناهية بملامحهم الأصلية وخصائصهم الجسمانية وملابسهم (٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ب ، ٧٩) كمـــا صور فى معبد أبيدوس من عصر الملك رمسيس الـــثانى أحـــد أهـــالى بونـــت الذى كان يفتخر بجودة نباتات العطر فى حدائق بونت (٨٣) . كما صور أحد أهالى بونت وهو يشترك فى أحد الاحتفالات الدينية الخاصة بالمعـــبود مين فى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث (٨٦) . وكان الطريق المستخدم إلى بونت فى عصر الرعامسة هو البحر الأحمر (٨٧ ، ٨٩) .

وهناك نص يحدثنا عن أن بونت كانت ضمن البلاد التى هزمها تحوتمس الثالث فى الجنوب علما بأن هذه البلاد لم تتعرض لأى غزو عسكرى من قبل أى ملك مصرى على مر العصور (٦٨) . ولكن إذا كان النص رقم (٧١) يحدثنا عن تواجد الملك تحوتمس الثالث هناك فهذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها مثل هذا الحدث ، ولو أننا نرى فى هذا النص نوع من الدعاية العسكرية لإظهار أو الترويج لقوة الملك العسكرية. كما تحدثنا بعض النصوص عن وجود " مخزن للمر " فى معبد الكرنك (٦٦ أ- ب) وكان يتم فى هذا المكان " استخراج عصير الروائح الثمين " (٦٦ ب) .

واستمرت السيادة الدينية لبعض المعبودات المصرية فى بلاد بونت فأقامت الملكة حتشبسوت تمثالا لآمون على شواطئ بونت أمام مدرجات المر (٢٤ أ- ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وأن المعـــبود آمون كان يحمل لقب حاكم بونت " (٢٤ أ- ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤)[١] وأن حـــتحور كانت سيدة بونت (٣٩ ، ٣١ ، ٣٨) أو حتحور سيدة المر (٦٣) . وكان تحوتى سيدا لبونت (٨٢ج) وجاء رع إلى بونت (٣٢) وخلقـــت بونت من أجل حور خنتى خيتى (٩٠) وقدم رن- وى من بونت (٩١) وكانت نيت تترأس تا - نثر (٩٣) وكان هناك تاسوع كبير يقطن فى بونت ويوفر الحماية السحرية لتمثال آمون هناك (٢٤ أ - ب) .

---

(١) Chadefaud, les Statues Porte-Enseiques de l`Égypte Ancienne, p. 175 n. 30.

رابعــا - بالنسبة لنصوص العصر المتأخر فهى قليلة ، ولكن نخرج منها بــأن اســم بونت كان يكتب بونت Pwnt (٩٧ ، ٩٩) وأحيانا بونتت (Pwntt) (٩٦ ، ٩٩) ويشير نصان إلى أنها تقع فى جنوب الحدود المصرية (٩٦ ، ٩٧) والــنص رقــم ٩٨ د يجعلها تقع على الساحل الصومالى ، وأنها غزيرة الأمطار فى الشــتاء (٩٧) ونــص لم يحدد موقعها (٧٨) وأنها كانت مصدرا للمر المجفف (šw cntyw) (٩٦) والأشــياء المخــتارة (٩٩ ب) وأن أفق آمون يسطع فى ســماء بونت (٩٩ أ) أما تا - نثر فكانت تشمل فلسطين وسوريا (٩٥) ولدينا من هــذه الفــترة ألقــاب : " حتحور - تفنوت التى تحضر منتجات بونت " (٩٨ ج) " وشسمت سيدة بونت " (٩٨ ج) .

خامســا - بالنســبة لنصــوص العصــر البطلمى- الرومانى فهى عديدة ومتنوعة فنجد أن الاسم كان يكتب فى أغلب الأحوال بونتت (Pwntt) (١٠٠ أب، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ب ، ١٤٩ ، ١٥٠ب ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ب) . وأحــيانا كان يكتب بونــنــت (Pwnnt) (١٠٢) وأحــيانا يكتــب بالطريقة القديمة بونت (Pwnt) (١٢١ ، ١٤٤ ، ١٤٨) وأحــيانا بطريقة مختصرة بون (١١٩ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٤) . وكــان يتبع الاسم مخصص سلسلة الجبال . أما بالنسبة لأسم تا- نثر فكان يكتــب فى أغلب النصوص البطلمية T3-ntr ، فيما عدا نصين كتبا بالمثنى والجمع T3wy-ntrw (١٢٨ - ١٣٥) .

أمــا بالنسبة للموقع فنجد ثلاثة أنواع من النصوص ، النوع الأول لا يحدد الموقــع الخــاص ببونت أو تا- نثر بنوع من الدقة ولكن تذكره بوجه عام (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٠٦ ، ١٥٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) .

أمــا الــنوع الثانى فيجعلنا نفهم أنها تقع فى جنوب مصر وذلك عندما يقال للملــك الــبطلمى أنــه ملكا أو حاكما أو سيدا لبونت أو تا- نثر على أساس أن هذه

المـــناطق تمـــثل الامـــتداد الطبيعى لحدود مصر الجنوبية (١١٥ ، ١١٦، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦٠) . وهـــناك ثلاثـــة نصـــوص صريحة تضعها ضمن مناطق الجنوب (١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) وهناك نصان يجعلان من بلاد بونت تقع بالقرب من المستنقعات أو البحيرات فـــيقال لحـــورس " عظـــيم القـــوة عـــندما يجـــوب المستنقعات بالقرب من بونت " (١٢٣ ب) ولســـوبدت " عظـــيمة القـــوة عند المرور بالبحيرات التى تلى بونت " (١٣٩) ومما لاشك فيه فى أن هذه المستنقعات أو البحيرات لابد وأن تقع فى وسط أفريقـــيا . امـــا النوع الثالث فيربط بين تا- نثر وبونت أو بونت وتا- نثر (١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣) .

كمـــا أن المر والبخور والروائح العطرية كانت من مواد القرابين الأساسية الـــتى تقـــدم للمعـــبودات فى المعابد الرئيسية من هذا العصر وخاصة فى معابد ادفو ودندرة واسنا وفيلة ومدامود وطود ودير الشلويط وغيرها .

فـــنجد أولا أن نـــص زيد- ايل ذلك التاجر المعينى الذى عاش فى عصر بطلمـــيوس الثانى أو السادس يخبرنا بأنه كان يمد المعابد المصرية بمقادير من المر وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية (١٠١) .

أما بالنسبة لنصوص المعابد البطلمية- الرومانية فتحدثنا عن بونت وتا- نثر ومنـــتجاتهما بطـــريقة أو بأخـــرى . فعندما يقول الملك أنه أحضر بونت أو تا- نثر للمعـــبود أو عندما يجيب المعبود بأنه أعطى بونت أو تا- نثر للملك ، فهذا يعنى أن اسم المكان كان يجسد كل ما ينتجه من ثروات طبيعية أى ما تنتجه بلاد بونت وتانثر (١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٣د ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٥٨) أو يـــأتى مـــن داخلهـــا (١٠٠ أ ب) .

فمن بلاد بونت كان يحضر :

- المر أو العطور (Cntyw) (١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٩) .
- المر (ihm) (١١٧ب) .

- البخور (3tf) (١١٩) .
- الزيت العطرى الخاذ (thn) (١١٠) .
- الروائح (١١١) .
- النباتات العطرية (ḫ3w) (١١٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩) .
- أشجار البخور (nnibw) (١٥٥) .
- الأخشاب عو (١٤٣ أ) .
- الفيانس (١٤٥) .
- كبريت النحاس المحلل (١٥٠ ب) .

ومن تا – نثر كان يحضر :

- الروائح العطرية (ḥdw) (١٠٣ ، ١٢٠) .
- أشجار البخور (nnibw) (١١٧أ ، ١٤٧ أ) .
- البخور (١١٠ ، ١٥٣) .
- البخور (3tf) (١١٧ ب) .
- العطر (١١١) .
- المر (cnty) (١٤٧ أ) .
- الصمغ سنن (١٤٣ أ) .
- المر (ihm) (١١٧ أ) .
- والروائح الطيبة (3ḥdw) (١١٧ أ) .
- والفضة (ḥdw) (١١٧ أ) .

وفى مقبرة بيتوزيريس نرى مناظر تمثل صحن النباتات العطرية (h3w) وعصرها لاستخراج العطور وذلك ضمن ما يأتى من داخل بونت (١٠٠ أب) .

وكانـــت كل هذه المواد العطرية وغيرها من بخور ومر تقدم للمعبودات فى المعابد الرئيسية فى العصر البطلمى (١٠٢ ، ١١٧ ، ١٤٧أ) كما أن تمثال المعبود فى قدس الأقداس كان معبقا بروائح البخور الطيبة (3ḥdw) التى تأتى من تا – نثر (١٢٠) كمـــا أن السيادة الدينية على بلاد بونت وتا – نثر ظلت لبعض المعبودات المصرية وتأتى فى مقدمتهم :

- حـــتحور الـــتى يقـــال لها : " عطرك من تا – نثر وروائح جسدك من بونت " (١١١) ، " حاكمة تا – نثر " (١٥٢) ، " سيدة تا – نثر " (١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٥١) ، " عظيمة الهيبة فى تاوى – نثرو " (١٣٥) ، " التى تعطى تا – نثر محملـــة بما فيها إلى الملك " (١٣٧) ويقال لها أيضا " سيدة بونت " (١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٢) ، " حاكمـــة بونـــت " (١٣٠) ، " الســـيدة فـــى جـــبل المر " (١٣٠) ، " عيـــن رع الـــتى تـــأتى مـــن بونـــت " (١٥٤) ، " سيدة المر " (cntyw) (١٣٦) .

- ونيت التى يقال لها : " سيدة تا – نثر " (١٠٥) ، " حاكمة بونت " (١٠٤) ، " سيدة بونت " (١٠٦) ، " ملكة بونت " (١٠٧) " .

- وحـــورس الذى يقال له " كبير تا – نثر وبونت " (١٢٣ أ) ، " الذى يقدر تا – نـــثر ، حـــاكم بونـــت " (١٦٠) ، " الصـــقر المقـــدس الذى يأتى من بونت " (١٦١) ، " بحدتـــى سيد بونت " (١٢٤) ، " الشاب الصغير (سيد) بونت " (١٤٣هـــ ، و) ، " عظيم القوة عندما يجوب المستنقعات بالقرب من بونت " (١٢٣ب) .

- وميـــن الـــذى يقـــال له " الباحث عن الثروات (الطبيعية) لبلاد بونت أو الذى

يكشــف عن ثروات بونت [١] (١٤٣ج ، ١٤٤ ، ١٤٧ب ، ١٦٢ب) ، " الذى يحضر الخليط المقدس للعين من تا – نثر " (١٤٣ ز) .

- وهناك أيضا " آتوم من تا – نثر " (١٦٢ أ) ، " والفنكس المقدس الذى يجوب بونــت " (١٠٩) ، " أنوبــيس الذى يترأس بونت " (١٢٣ج) ، و" بس سيد بونت " (١٥٠ج) ، و" حيتي سيد بونت " (١٥٠ج) .

- كمـــا أن الملك البطلمي كانت له السيادة فى بلاد بونت وتا – نثر مما يدل على أهميتهما فى العصر البطلمى فيقال له : " حاكم بونت " (١٣٢ ، ١٣٣) ، " سيد بونــت " (١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧أ) ، " ملــك بونــت " (١٢٦) ، " عظيم الهيبة فيما يخصه فى ارض بونت " (١٤٠) ، " الحاكم فى وسط بونت " (١٥٠ أ) ، ويقال له أيضا " سيد تانثر " (١١٦) ، " حاكم تا – نثر " (١٢٢ ، ١٤٠) ، " الذى يجوب تاوى – نثرو " (١٢٨) .

كمــا أنــنا نجــد وفود بعض رجال بونت من أهل المناجم (الخبستيو) أو جــامعو الصــمغ الخــام(kmjtw) الذيــن جاءوا للمشاركة فى احتفالات بعض المعــبودات المصرية مثل حتحور وموت فى معابد الكرنك ومدامود من هذا العصر (١١٤ ، ١٥٦) .

النتائج والخلاصة بوجه عام :

وبعــد استعراض ما جاء فى نصوص كل عصر من معلومات تخص بلاد بونــت وتا– نثر سوف نحاول الآن تصنيف هذه المعلومات فى أربعة محاور رئيسة هى :

---

(١) راجع أيضا : Vernus-Yoyotte, les Pharaons, p. 115 .

الاســم ومعــناه ، الموقع ومحاولة تحديده ، الأهمية الكبرى لبونت كمصدر للــبخور والمــواد الأخــرى للمعــابد واستخدامه في الحياة اليومية ، وتأثير الديانة المصرية في هذه المناطق البعيدة نقول أنه :

أولا – بالنســبة لكتابة الاسم فأن أغلب النصوص من عصر الدولة القديمة حــتى العصر البطلمى– الرومانى تكتبها بونت (Pwnt) (١) (٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ أ–ب ، ٦٤ ، ٧٧د ، ٧٨ ، ٨٠ب ، ٨٤ب ، ٨٥ أ ، ١٢١) . وفــى نــص واحــد كتبت باونت (P3wnt) (٨٩) . وفى العصرين المتأخر والبطلمى– الرومانى كانت تكتب فى أغلــب الأحوال بونتت (Pwntt) (٢) (٩٦ ، ١٠٠ أ– ب ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧، ١١٨ ، ١٢٣ أ – ج ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ز ، ١٤٧ أ – ب ، ١٤٩ ، ١٥٠ أ–ب ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ج ، ونــادرا مــا كتبــت بونت (Pwnnt) (١٠٢) وأحيانا باختصار بون (Pwn) (١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٥٤) .

ولــذا فمــن الأفضــل نطقها وكتابتها بونت (Pwnt) (٣) لأن هذا النطق

---

(١) Wb I, 506, 15.

(٢) Wb I, 506, 15.

(٣) ينطقها البعض بواني ، بوني ، وبوانيت ، بينه ، بونه ، طبقا لما هو معروف فى لغــة أهــل السواحل والبانتو فى شرق أفريقيا ، راجع : Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 248 n. (4); Id., in Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 109 n. (2)

ويــنطقها د. صــالح بوينة ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديــم ، الجــزء الأول : مصــر والعــراق ، طــبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ ، ١٣٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٥٠ ، ٥٩١ (الفهرس) ؛ وأيضا نجد نفس النطق عند د. صــبحى بكــرى : دليل آثار الأقصر ، ١٩٧٨ ، ص ٨٠ – ٨١ . أو بنت عــند د. جمال مختار فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٩٨ ؛ د. عاطف عبد السلام : موقع بنت وتجارة اللبان فى ظفار ، بحــث قبل للنشر فى مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، ١٩٩٤ ، ص ٢– ١٢ .

والكتابة هما الأكثر استخداما والأكثر شيوعا فى جميع النصوص . كما أن المخصص المصاحب لهذا الاسم كان دائما مخصص سلسلة الجبال .

أمـــا عن تا- نثر فكانت تكتب فى أغلب النصوص تا- نثر (T3-ntr) [١] وفى نص لحتشبسوت (٥٦) وفى نصين من العصر البطلمى- الرومانى كتبت تاوى- نثرو (T3wy-ntrw) (١٢٨ ، ١٣٥) .

أما بالنسبة لمعنى الاسم فنقول أن التعبير تا- نثر لا يمثل أية مشكلة بالنسبة لمعـــناه فمعـــناه واضح ويعنى " أرض المعبود " والمقصود بالمعبود هنا هو رع [٢] الشـــمس الـــتى تشـــرق مـــن الشرق وتنتشر أشعتها وضوئها على أكبر مساحة من الأرض . أمـــا بالنســـبة لتسمية تاوى- نثرو فربما قصد بها أراضى الوجهين القبلى والـــبحرى . وتـــا- نـــثر وحدهـــا تعنى الأراضى شرق مصر . حتى إننا نجد إن الإمبراطور الرومانى هادريان كان يلقب فى نقوش الجزء الأمامى من قدس الأقداس لـــبقايا معـــبد بالقرب من بحيرة مدينة هابو " فليعش المعبود الطيب ، سيد تا- نثر ، طفل الأرضين " .[٣]

أمـــا بالنسبة لبونت فلم يحاول العلماء أو الباحثين تفسير معنى هذا الاسم . وفـــى رأينا أنه تعبير جغرافى مكون من كلمتين P بمعنى " موضع، مقر "[٤] و wnt جـــاءت من فعل wn بمعنى " يفتح أو يخترق ". [٥] ونجدها فى التعبير المستخدم فى

----

(١) راجـــع أيضا: Wb V, 225, 1-21; Saleh, BIFAO 72, p. 262 n.b يذكر اوفـــرر أنهـــا أحيانا تكتب تا- نترو (T3-ntrw) راجع : Aufrere, op. cit., p. 220 (IV) (A-B).

(٢) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, Paris (1963), p. 676.

(٣) Gauthier, LRV, p. 146 (46).

(٤) Wb. I, 489, 3 = Meeks, Alex. I, p. 125 .

(٥) Wb. I, 311, 2 = Meeks, Alex. I, p. 89; Aufere, op. cit., p. 69 .

اســتغلال المناجم wn dww " فتح الجبال أى استغلالها " [1] ولهذا نقترح للاسم p-wnt معــنى " مقر (أو موضع أو مكان) استغلال (المحاجر) " . ومما يؤكد هذا المعــنى ان مخصــص الاسم فى أغلب النصوص إن لم يكن جميعها هو مخصص سلسلة الجبال .

وبناء على ذلك يمكن ترجمة اسم البونتيين (Pwntyw) بمعنى: " مقر (أو موضع) مستغلو (المحاجر) " (٤٥) وهم أيضا الخبستيو (hbstyw) أى " أهل المناجم أو المحاجر" (٥٨) .

ونجد مفهوم استغلال المناجم أو المحاجر الموجودة فى جبال بونت أو استغلال المدرجات التى تنمو عليها النباتات العطرية وأشجار البخور فى عدة نصوص :

أ - فنجد أن بعض النصوص تحدثنا عن " منجم (أو محجر) بونت " (١٧، ١٩، ٢٣) .

ب - والبعض الآخر يحدثنا عن " الثروات (الطبيعية) لبونت " (٤٤ ، ٤٥)

ج - وهناك نوع ثالث من النصوص يحدثنا عن " ثروات كل الجبل " فى بونت (٢٨) أو " الــثروات (الطبيعية) لجبل أو جبال بونت " (٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢) أو بطريقة مختصرة " المناطق الجبلية " (٣٠) .

د - وهــناك نوع رابع من النصوص يحثنا عن " (سكان) جبال بونت " (٧٧) أو " كــل (سكان) جبال بونت " (٨٠ ب ، ٨٤ ب) أو " كل سكان جبل بونت . (٨٥ أ) . أو بطريقة مختصرة " جبل بونت " (٨٧ ، ٩٧) .

---

(١) Aufere, op. cit., p. 69 n. (149 - 153).
كما يستخدم الفعل wn فى الحديث عن " فتح أو شق الأرض أو الشواطئ أو الطرق " ، راجع : Wb I, 312, 3; Meeks, Alex. I, p. 89.

هـ- وهناك نوع خامس من النصوص يحدثنا عن " مدرجات المر " التى تنمو عليها النباتات أو الأشجار العطرية أو المر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) أو يقال أيضا " جبل المر " (١٣٠) ويحدثنا نص آخر عن " نباتات بونت " (٨٣) .

و- كما أطلقت نصوص الملكة حاتشبسوت على بلاد بونت ست صفات هى :

- " البلد المقدس " (T3-ntr) (٢٤ ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) . وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم تا – نثر وتعبر عن ارتباطها بهذا المكان أو هذا التعريف الجغرافى .(١)

- " المكان المقدس " (St-dsrt) (٢٤ أ– ب) . وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم قدس الأقداس فى المعابد المصرية وتتشابه فى هذه الصفة مع اسم الجبانة (٢) . وتعبر هذه الصفة عن ارتباط منتجاتها بالأماكن المقدسة والمراسم الجنائزية وعالم الموتى. وكما رأينا سابقا فقد عثر فى بعض المقابر الملكية من عصر الدولة الحديثة على الصمغ والبهارات من بونت (٧٦) .

- " الأرض العظيمة " (T3-wr) (٢٨) . وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم الجبانة أو الغرب . (٣)

- " المحبوبة " (mryt) (٢٤ب) وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم مصر " البلد المحبوب" (T3-mry) (٣٢ ، ٣٤ ، ٤١) .

- " كم هو مخضر البلد المقدس " (W3dw T3-ntr) (٣٢) .

---

(١) وقد أشار جيمس أن بونت تسمى أيضا تا– نثر ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 36 .

(٢) Wb. V, 228, 9.

(٣) Meeks, Alex. I, p. 412.

- " الشاطئ المقدس للبلد المقدس " (idb pw dsr n T3-ntr) (٥٧) .

ثانياً- وبالنسبة لمحاولة تحديد الموقع ، فأننا وجدنا أربعة أنواع من النصوص : نصوص تحدثنا عن بونت أو تا- نثرت بوجه عام ، ونصوص أخرى تضعها جنوب الجزيرة العربية، ونصوص ثالثة تضعها جنوب الحدود المصرية ، ونصوص رابعة تجعل بونت جزءا من تا- نثر .

أ - ففي نصوص عصر الدولة القديمة وجدنا أن هناك نصوص لا تحدد الموقع (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ويفهم من بعضها الآخر أن بلاد بوتا تقع فى الجنوب (٦) وكانت بعض الرحلات البحرية تتجه إليها عن طريق البحر الأحمر (٧) .

ب - أما نصوص عصر الدولة الوسطى فنجد أن بعضها لم يحدد الموقع بالتحديد (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١) . ويفهم من بعضها الآخر أنها تقع جنوب الجزيرة العربية (١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣) وأن بونت ارتبطت بتا- نثر (١١) .

ج - أما نصوص عصر الدولة الحديثة وخاصة فى نصوص حاتشبسوت فيفهم من أغلبها أن بلاد بونت تقع جنوب مصر وأن الجزء الأكبر منها يقع فى أفريقيا فتحدثنا نصوص حاتشبسوت عن شواطئ بونت التى تطل على البحر الأحمر (٢٤ أ- ب ، ٤١ ، ٤٤) أو مدرجات المر الجبلية التى تقع على شاطئ البحر الأحمر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) وأن زعيم بونت جاء حاملا معه هداياه للمبعوث المصرى على شواطئ البحر الأحمر (٣٥) كما جاء كبار بونت لاستقبال أعضاء البعثة المصرية (٣٢) كما أن تمثال آمون والملكة وضع على شاطئ بونت أمام مدرجات البخور التى تطل على البحر الأحمر (٢٤ أ- ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) ومن بين هذه النصوص العديدة نجد أن بعضها يجعل تا- نثر جزءا من جنوب الجزيرة العربية (٦٥ ، ٧٢) وأنها بلاد كثيرة الخضرة (٣٢) . وهذا يذكر بالصفة التى أطلقت على اليمن فيما بعد " اليمن السعيد ". بينما تضعها أربعة نصوص أخرى ضمن

مـــناطق الجنوب مع بلادد النوبة العليا وكوش والسودان (٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٤) وخمســـة نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة تضعها فى الجنوب (٦٧ ب – ج ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤) . وهــذا المفهــوم نجده واضحا فى ثلاثة نصوص التى تجعل من المعبود آمون سيد القبائل المجاو فى الجنوب وحاكما لبونت (٢٤ أ- ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . كما أن نص بردية ليدن من عصر الدولة الحديثة يؤكد هذا الموقع لأن حورس اعتبر سيدا للنوبة والذى من أجله خلقت بلاد بونت (٩٠) أى أنه اعتبر سيدا للنوبة وما وراثها فى الجنوب .

وهناك نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة تضعها فى الشرق مثل نص من عصر تحوتمس الثالث الذى يضع تا- نثر فى الشرق (٦٥) وخاصة جنوب الجزيرة العربية حيث كانت تعبد النجوم .

أما نصوص أمنحتب الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثالث فتضع بونت جهة الشرق صراحة (٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ أ- ب) .

ويفهم من نصوص عصر الدولة الحديثة أن بلاد بونت كانت تشمل المنطقتين جنوب الحدود المصرية على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وأقصى جنوب الجزيرة العربية فى الشرق على الساحل الآسيوى للبحر الأحمر .

د – أمـــا نصوص العصر المتأخر ، فهناك نص لا يحدد الموقع (٩٨) ويفهم من نـــص بعنخى أن تا- نثر كانت تشمل سوريا وفلسطين (٩٥) وهناك نصان آخران يجعلان بونت تقع فى الجنوب وأن أمطارها غزيرة فى الشتاء (٩٧ ، ٩٩) . أما النص رقم ٩٨ د فيجعلها تقع على الساحل الصومالى .

هـــ- أمـــا نصـــوص العصـــر البطلمى- الرومانى فنجد فيها الأربعة أنواع من النصوص نصوص لا تحدد الموقع ببونت أو تا- نثر (١٠٢ ، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢، ١١٣، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) .

وهـــناك نوعـــية ثانية من النصوص تجعل الملك البطلمى ملكا أو حاكما أو ســيدا على بونت أو تا- نثر فيفهم ضمنا أنه كان ملكا أو سيدا على بلاد تمثل أقصى الامـــتداد الطبـــيعى للحدود المصرية نحو الجنوب (١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠) .

وهـــناك نوعية ثالثة تضعها صراحة ضمن أقصى الحدود الجنوبية لمصر (١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) وأخـــيرا هناك نوعية رابعة تجعل من بونت جزءا من تا- نـــثر أى جزءا من جنوب الجزيرة العربية (١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣) .

ونخـــرج من كل هذا بالنسبة للموقع أن بلاد بونت وتا- نثر كانت تشملان المنطقتيـــن بالشـــاطئ الآســـيوى والأفريقى للبحر الأحمر أى شرق وجنوب الحدود المصـــرية . فالنصـــوص التى تضعها على الشاطئ الآسيوى فى الشرق هى أرقام (١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٧٧ ، ٨٤ب ، ٨٥أ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٣) .

أما النصوص التى تضعها على الشاطئ الشرقى لأفريقيا فى الجنوب هـــى أرقـــام (٦ ، ٢٤ أ- ب ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٧) .

وهناك النصان رقمى ١٢٣ب و١٣٩ اللذان يتحدثان عن المستنقعات التى تقع بالقرب من بونت أو البحيرات التى تقع مباشرة بعد بونت مما يؤكد أن جزءا من بونت كان يقع على الشاطئ الشرقى للقارة الأفريقية لأن المستنقعات أو البحيرات لابد من وجودها هناك .

وهـــذا الرأى يؤكد الرأى الذى ذكره كل من د. أحمد فخرى من أن " بلاد بونـــت هـــو اســـم عـــام يطلق على المنطقة القريبة من باب المندب وتشمل كلا من الشـــاطئين الأفـــريقى والآسيوى . أى أن هذه البلاد كانت تشمل ما نعرفه الآن باسم

جنوبى الجزيرة العربية و الصومال وارتيريا " .(١)

وهذا ما ذكره د. صالح أيضا ورأى أن " بلاد بونت تشمل منطقة الصومال وارتيريا وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بعض العصور " (٢) وهو رأى صائب إلى حد كبير .

ويذكر فى دراسة أخرى " انه بحكم موقع الجزيرة العربية شرق مصر فإن ذلك يرجح أن تا- نثر كانت موجودة فى هذا المكان الشرقى وذلك لارتباطها بالبخور ومنتجاته .(٣) وان تا- نثر كانت تضم بونت الأفريقية . (٤)

ويمكننا أن نضيف إلى رأى د. صالح أن المصريين القدماء ضموا إلى بونت ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بداية الأسرة الحادية عشرة (١٤) ومما يؤكد هذا الرأى أيضا أن لفظ بونت ذكر فى النصوص المصرية ابتداء من عصر الدولة القديمة (٥) أما لفظ تا- نثر فلم يظهر إلا ابتداء من عصر الدولة

---

(١) د. أحمد فخرى فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٦٠٥ ؛ نفس المؤلف: دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٤٥- ١٤٦ حاشية .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢١ . ويرى د. صالح أن مناظر أكواخ بونت فى نقوش معبد الدير البحرى تشبه إلى حد كبير الأكواخ التى رآها الرحالة فى بحر الغزال فى الشكل والبناء ، راجع :
Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 249 n. (b).

(٣) Saleh, op. cit., p. 248-249 n. (1), 262 (a), Id., in Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 107-115.

(٤) Saleh, BIFAO 72, p. 256 n. (3), 257.

(٥) Wb I, 506, 15 .

الوسطى [١] ولهذا لم ترتبط بونت بتا- نثر إلا ابتداء من عصر الدولة الوسطى أى أن بونـــت كانـــت تشمل الجزء الأكبر من الساحل الشرقى لأفريقيا وجزءا من الساحل الآســيوى للــبحر الأحمر . [٢] ويخبرنا النصان رقمى ٣٤ و ٣٥ بأن مدرجات مر بونـــت كانـــت تقع على شاطئ العظيم الأخضر (gswy W3d wr) أى أن الكاتب اســتخدم كلمـــة شـــاطئ بالمثنى مما يدل على أن المقصود بالشاطئين هما الشاطئ الآسيوى والأفريقى للأخضر العظيم (البحر الأحمر) .

وهـــذا الرأى يؤكد ما ذكره لففر فى مؤلفه عن الأدب بأن " اسم بونت كان يشـــمل حـــتى نهايـــة الدولة الوسطى الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن حتى مصوع وكذلك الجزر الموجودة في مواجهة هذا الساحل . (وهذا ما يشير إليه النص رقـــم ٢١ أ- ج) وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة امتدت هذه التسمية حتى شملت بقية الساحل حتى خليج جرد فوى (بلاد الصومال على ساحل البحر الأحمر وخليج عـــدن) وليس من المستبعد أن هذه التسمية أصبحت تشمل فى عصر لاحق الساحل المقابل للجزيرة العربية وخاصة اليمن . [٣]

ثالثا – ونظرا للأهمية الكبرى للمر والبخور والعطور ومنتجات المناجم فى طقوسهم اليومية والمنتجات الأخرى والحيوانات لاستخدامها فى حياتهم اليومية فأنهم اهتموا بإرسال البعثات إلى تلك البلاد البعيدة منذ عصر الدولة القديمة تارة عن طريق البر وتارة أخرى عن طريق البحر (٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ – ٦٣ ، ٨٧) ولاشك فى أن بلاد بونت كانت تقع فى منطقتين : الأولى

---

(١) Wb V, 225, 2.

(٢) يرى د. صالح أن اختلاط العنصر الآسيوى بالأفريقى نشاهده فى أشكال مبعوثى أراضـــى تا- نثر المصورين فى مقبرة بويمرع رقم ٢٩ بالبر الغربى من عصر تحوتمس الثالث ، راجع : Saleh, BIFAO 72, p. 260 n. (3)

(٣) Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, Paris (1949), p. 30.

فى جنوب الجزيرة العربية والثانية على الساحل الشرقى لأفريقيا (٣٤ ، ٣٥ ، ٨٤ ب) وهـذا مـا يفسـر إلى حد كبير طبيعة منتجاتها التى كانت فى الواقع خليط من منتجات جنوب الجزيرة العربية وأفريقيا .

- فمـنذ عصـر الدولة القديمة (وما تلاها من عصور) كانت بلاد بونت مصدرا هامـا للمـر والصمغ والجلود والالكتروم والأبنوس والذهب والأخشاب الثمينة والأحجـار الكـريمة (٢ ، ٤) والزيوت العطرية (٥) ، ثروات مناجم بلاد بونت (٦) .

- وفـى عصـر الدولة الوسطى كان يجلب منها : المر (٩ ، ٢١ أب) ، والمر الطازج (١٤) ، والعطور (١١) الثروات التى تأتى من مناجمها (١٧ ، ١٩ ب ، ٢٣) العطـر hknw (٢١ أب) وعطـر iwdnbw (٢١ب) والتوابل والـبهارات (٢١ب) وكحل أسود وذيول زراف وسن فيل وكلاب صيد وقردة ونسـانيس (٢١ ب) ومنـتج الـ š3c-ch (٢١ب) وزكائب ضخمة (أو ممتلـئة) من البخور (sntr) (٢١ ب) [1] ، وكل النفائس الجميلة أو الطيبة (٢١ ب) .

-

---

(١) وهـذا ما أكده لنا الكاتب الرومانى بلينى فيما بعد (أعوام ٢٣ – ٧٩ ميلادية) مـن أن " شـبوه " عاصـمة بـلاد الحضـارمة قد لعبت دورا هاما فى تجارة الـبخور . وأن الإقـبال علـى تلـك السلعة حتى وقت بلينى بالذات كان كبيرا لارتـباطهما الوثـيق بالطقوس الدينية فى معابد الإمبراطورية الرومانية القديمة (راجـع : د. عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ١٤٧) . ولا يختلف اثـنان على أن ظفار كانت إحدى المناطق الرئيسية لإنتاج اللبان . كما أن هناك أنواعـا من أشجار اللبان لا تزال تنتشر فى تلال حضرموت ومنها الذى يسمى حالـيا " لـبان بـدوى " والذى تجئ ، حتى وقتنا هذا ، محاصيل منه إلى البر الصومالى لفصده وجمعه فى مواسم معينة . كما حدثنا بلينى عن المر ونموه فى مناطق عديدة والذى نرى أشجاره فى بعض الشعاب والأودية ====

والمر من تا – نثر (١٠ ، ١١) ، وكل المنتجات التى توجد فى مناطق تا نثر (١٤) ، ومنتجات تا – نثر (١٩ج) .

- وفى عصر الدولة الحديثة كان يجلب منها :

- أشجار المر الطازج (٢٦ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٦٦ أ ، ٧٥ ب)

== القريبة من شبوه . ويرى بعض العلماء اعتمادا على ما جاء عند بلينى ، أن المر ربما كان من محصولات بلاد الشاعر فى تهامة بالقرب من باب المندب (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ وأيضا دراسته عن : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز ، جده ، المجلد الثانى ١٩٨٢ ، ص ١٤١ – ١٧٤ . وأعاد نشر هذا البحث مرة ثانية فى كتابة : " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٥٦٤ – ٥٩٥ ؛ كما تعرض لتجارة البخور فى رسالة أخرى تحت عنوان " دراسة تاريخية للصلات ومؤثرات الحضارة بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الحمر " وكان هذا موضوع رسالته للدكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٣ . ونشر ملخصا لها فى مؤلفه : " البحر الحمر وظهيره فى العصور القديمة " ، ص ٢٣ – ٢٧ . وأشار فى هذا الملخص إلى التشابه بين بونت واوفير وخاصة فى تجارة سلعة البخور التى كانت تجلب من المنطقتين . وذكر أن اوفير كانت تقع فى منطقة أفريقية وليس فى منطقة آسيوية كما ذكر ورأى بعض الباحثين الآخرين . وحدد لنا موقعها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى سابقا (جمهورية جيبوتى حاليا) (راجع : المرجع السابق ، ص ٢٢ – ٢٣) . كما تحدث عن تجارة المواد العطرية مع مصر د. مصطفى عبد الحليم فى بحث بعنوان : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانى والرومانى ، نشر هذا البحث فى مجلد " دراسات تاريخ الجزيرة العربية " ، الكتاب الثانى ، جامعة الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٠ – ١١٥ .

- المنتجات الطيبة لهذا البلد (٢٦ ، ٥٨) .
- الـــثروات الطبيعية من جبال بونت (٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٦ أ ، ٨٢ أ) .
- صـــمغ المـــر الطازج (٣٩ ، ٥٩ ، ٦٣أ ، ٦٦ ، ٨٢هـــ ، ٩٢) أو المر الطـــازج وأفضل أنواعه (٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩) أو أفضل أنواع المر (٥٣ ، ٦٠ ، ٦٦ ب ج) .
- أبنوس وعاج نقى وذهب خام من عامو (٣٩) .
- بهارات وتوابل (٣٩ ، ٧٦) .
- الكحـــل الأسود والنسانيس والقردة والكلاب وجلود الفهود وثيران وزراف وفهود (٣٩) .
- ذهب خالص فى شكل حلقات (٤٥ ، ٤٨) والألكتروم (٤٨) .
- الفضة والذهب واللازورد والتركواز والأحجار الثمينة (٤٩) .
- كحل أسود معبأ فى زكائب (٤٥) .
- عصى خاصة بأهل بونت وأبنوس فى شكل عصى ضخمة وأبنوس وعاج خام (فى شكل أنياب فيلة) ومادة للتلوين (٤٥) .
- المر والبخور (٣٩ ، ٦٤أ) أو المر والصمغ الثمين (٦٧أ ، ٨٠ ب ، ٨١ هـــ ، ٨٤ ب ، ٨٥ أ) ، الصمغ الأسود (٧٦ ، ٨٨ ، ٩٢) .
- عطر ihmt (٧٥ ب) .
- النباتات العطرية (٧٧ د) ، وأشجار البخور والعطور اشش وارتيو (٨٢ ب ، ٩٢) .
- الأشجار والنباتات العطرية (٨٢ د) .

ومــن تــا – نثر كان يجلب : أشجار المر التى فى وسط تا – نثر (٣٧) والنــباتات العطرية الجميلة من تا – نثر (٣٩) ، ونفائس من تا – نثر (٤٤ ، ٤٦) .

- وفى العصر المتأخر كان يجلب منها :
  - المر المجفف (٩٦) .
  - الزيت هكنو (٩٨ ب) .
  - الأشياء المختارة (٩٩ ب) .

  ومن تا – نثر كانت تجلب النباتات العطرية (٩٥) .

- وفى العصر البطلمى – الرومانى كان يجلب منها :
  - المر (١٠٠ أب ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٧ب ، ١١٨ ، ١٤٩) .
  - قصب الطيب (١٠١) .
  - العطر (١٠٨) .
  - كــل زيــت عطــرى آخاذ (١١٠) الصمغ الأسود (١٥٦) روائح (١١١) .
  - بخور (١١٩) .
  - الخشب عو من بونت (١٤٣ أ) .
  - الفيانس (١٤٥) .
  - المر وأشجار البخور nnibw (١٤٧ أ) .
  - ثروات مناجم جبال بونت (١٤٣ز ، ج ، ١٤٤ ، ١٤٧ أب ، ١٤٨ ، ١٦٢ ب) .
  - بونت محملة بما فيها (١٢٩) وبونت مع ما يخصها (١٤٣ د) .

- كبريت النحاس المحلل والجيد [1] (١٥٠ ب) .

- النــباتات العطــرية الطويلة (١١٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩) وأشجار البخور nnibw (١٥٥) .

وقد أتاحت لنا هذه الدراسة أن نتعرف على شكل شجرة المر (٣٩) وشكل النباتات العطرية (١٥٥ حاشية ٦).[2]

ويخــبرنا النصــان رقمــى ٥٩ ، ٦٠ أن النــباتات العطرية كانت تحضر وتعصر على التو بمجرد وصولها إلى مصر للحصول على العطور الزيتية .

ومن تا – نثر كان يجلب :

- المر (١٢٠) .

- الــروائح العطــرية (١٠٣) أو الــروائح الطيبة (3ḫdw) (١٢٠) العطر (١١١) .

- المر والفضة والروائح الطيبة وأشجار البخور nnibw (١١٧ أ) .

- الصمغ سنن (١٤٣ أ) .

---

(١) وذلــك لإعــداد الكحل الأخضر ، أما الكحل الأسود فكان يستورد من قبل ذلك (راجع النصين رقمى ٣٩ ، ٤٥) .
وفى نص فى أدفو نقرأ : " وهيماتيت والمنتج واج من المناطق الجبلية لبونت " .
Aufrere, RdE 34 (1982), p. 16 n. 126 .

(٢) هــناك مــا يســمى حديثا ببخور مريم وهو نبات عشبى معمر ينبت فى أوروبا وغــربى آســيا وشمال أفريقيا وفى المناطق الجبلية ، لد درنات إلى السواد فى شكل اللفت ، وساقه قصيرة وأوراقه كبيرة على شكل القلب وأزهاره حمر لكــل منها عنق طويل ، راجع : المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، ١٩٧٢ ، ص ٤١ ؛ المعجم الوجيز ، ١٩٩١ ، ص ٣٨ .

- كل بخور تا – نثر (١١٠) .
- تا – نثر محملة (بكل) ما يخرج منها (١٢٩) .
- تا – نثر مع كل ما فيها (١٥٨) .

وحقـيقة أخـرى لابـد من الإشارة إليها هنا إلا وهى أن بلاد بونت كانت مرتـبطة ارتـباطا وثـيقا بتا – نثر التى كما ذكر فركوتيه هى الأرض التى تقع فى الشـمال الشـرقى والجـنوب الشـرقى لمصر ويطلق هذا التعبير أيضا على سوريا وفلسـطين وعلـى المنطقة التي توجد بها بلاد بونت ، وأن كل من بونت وتا – نثر كانتا يشملان منطقة واحدة . ومما يؤكد هذا الرأى أن منتجات تا – نثر هى منتجات بونـت نفسـها . وهذا الارتباط كان موجودا منذ عصر الدولة الوسطى حيث تحدثنا نصوص هذا العصر عن المر من تا – نثر (١٠ ، ١١) يشير النص رقم ١٤ على أنها تقع فى الجنوب . وتؤكد نصوص الدولة الحديثة هذا الارتباط وعلى المنتج نفسه فيقال : " أشجار المر فى وسط تا – نثر " (٣٧) ، " وكل النباتات العطرية الجميلة (أو الطيبة) ، لتا – نثر " (٣٩) ، " نفائس تا – نثر (٤٤ ، ٤٦) ، " ثروات من تا – نثر (٥٥) ، " كل شيء جميل (أو طيب) لتا – نثر (٥٩) ، " أشجار تا – نثر " (٦١) .

وتؤكد النصوص البطلمية هذا الارتباط " المر من بونت والروائح العطرية مـن تا – نثر " (١٠٣) ، " كل بخور تا – نثر وكل زيت عطرى آخاذ من بونت " (١١٠) ، " العطـر مـن تا – نثر والروائح من بونت " (١١١) ، " المر والفضة والـروائح الطيبة وأشجار البخور لتا – نثر " (١١٧ أ) ، " الروائح الطيبة من تا – نثر " (١٢٠) ، " أعطيك بونت محملة بما فيها وتا – نثر محملة (بكل) ما يخرج مـنها " (١٢٩) ، أو " أعطيك تا – نثر مع كل ما فيها " (١٥٨) ، " الصمغ سنن من تا – نثر وخشب عو من بونت " (١٤٣ أ) .

وهناك بعض النصوص التى تشير إلى منتجات أرض (تا – نثر) التى تقع فـى الشمال الشرقى لمصر ، ويضعها الكاتب ضمن البلاد الأجنبية ، التى تأتى إلى الملـك حاملة جزيتها من " الذهب والفضة والفيروز وكل أنواع الأحجار الثمينة من

تا – نثر " (٨٠ أ ، ٨٤ أ) ، ونص آخر من العصر المتأخر يؤكد على هذا الموقع " كل كنوز سوريا وكل النباتات العطرية لتا – نثر " (٩٥) ، " الناس تأتى إليها من كبـن (جبيل) من الأخضر العظيم محملة بثروتنا – نثر " (١٥٦) كما هو واضح أن تا – نثر تشير إلى سوريا .

وكانـت أفضـل أنواع المر والبخور والمنتجات تقدم للمعبودات (١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥) . ونعلـم علـى سـبيل المثال أنه يوجد بمعبد أدفو حوالى ١٦٠٠ مـنظرا تمـثل القرابين للمعبودات منها ١٥٠ فقط تمثل تقديم المر أو البخور وحرق الـبخور ، و٢٥٠ تمثل مجموعة من القرابين من المواد العطرية أو الأوانى العطرية وأنواع الأقمشة وأدوات الزينة اللازمة لضمان الطهارة الجسدية لتمثال المعبود [1] . كما أن البخور والمواد العطرية من أهم المواد الأكثر استخداما فى الطقوس الدينية .

ففـى طقـوس الصباح فى المعبد كان كبير الكهنة يقوم بتقديم القرابين أى الوجبة المادية من الأطعمة ويقوم بعد ذلك بأداء التراتيل اللازمة لفتح الناووس الذى يحتوى على تمثال المعبود فى قدس الأقداس ثم يقوم بعد ذلك بتنظيف التمثال وتبخيره وكسـائه وتزينه ودهنه بالزيت المعطر [2] حتى يستطيع بع كل تلك المراسيم [3] أن يواجه عالمه المظلم فى قدس الأقداس [4] . وبعدها يقوم بتقديم البخور – رمز العدالة ماعت اللذين يجعلان من المعبود نفسه يجمع بين ما هو مادى وبين عالمه الخفى التى

---

(١) Cauville, Edfou, publ. IFAO, le Caire (1984), p. 78 .

(٢) ولهـذا لنا أن نفهم جيدا معنى ما ذكرته حاتشبسوت فى نصوصها بأنها أمرت بإحضـار المـر أو العطر لأعضاء الجسد المقدس أى لأعضاء التمثال المقدس لآمون (٥٩ ، ٦٠) .

(٣) Sauneron, les Prštres de L`Ancienne Égypte, Paris (1959), p. 82-85; Morenz, la Religion Egyptienne, Paris (1962), p. 123.

(٤) Sauneron, op. cit., p. 85.

تسيطر عليه قوته (١) .

وفى طقوس الظهيرة التى تشمل أساسا نثر الماء المقدس وحرق البخور أمام تماثـيل المعبودات المصاحبة للمعبود الرئيسى فى المعبد وكذلك تماثيل الملوك محل القداسـة فـى المعـبد . وتـتم هذه الطقوس أيضا حول كل قدس الأقداس وأمام كل القاعات الصغيرة المخصصة للطقوس المشتركة. (٢)

وفى طقوس المساء يتكرر ما حدث فى الصباح فيقوم كبير الكهنة بتنفيذ ما قام به من طقوس فى قدس الأقداس الرئيسى ، الذى يبقى مغلقا ، فى المقاصير التى تحيط بقدس الأقداس من تقديم القرابين المادية وتكريسها وتقديم الماء المطهر وحرق البخور وتقليص حجم الأغذية ، ثم أداء عملية التطهير النهائية. (٣)

وبالإضـافة إلى هذه الطقوس اليومية فإنه أثناء الأعياد الدينية التى تقام فى المعـابد فـإن تأدية الغناء والتحية أو الابتهالات وعملية التبخير هم الغذاء المعنوى لتمثال المعبـود (١٤٧)(٤) . ونعلم من النصوص الأخـرى أن العطر الطيب كـان يخـرج مـن المعـبودات (٦٣ ب) وأن البخور كان يساهم فى فاعلية وقدرات هذه المعبودات (٩) .

ونعلم من النصوص الأخرى أن العطر الطيب كان يخرج من المعبودات . وأن الـبخور كـان يساهم فى فاعلية وقدرات هذه المعبودات.(٥) وكان يوجد ببعض

---

(١) Sauneron, op. cit., p. 82.

(٢) Sauneron, op. cit., p. 87.

(٣) Id., op. cit., p. 87.

(٤) Morenz, op. cit., p. 126 n. (4).

(٥) Frankfort, la Royauté et les dieux, Paris (1951), p. 187.

المعابد أماكن مخصصة لحفظ أكوام المر [1] والبخور الخام [2] . من بلاد بونت ففى معبد الكرنك كان يوجد حجرة تسمى : مخزن المر أو العطور "(Pr hd n cntyw) (٦٦ أ-ب) وعلـــى جدران هذا المخزن صورت أكوام البخور وأشجار البخور من بونت (٦٦ أ) وفى هذا المخزن كان يتم أيضا استخراج العصر الثمين (٦٦ب) . وكان يوجد مثل هذا المكان فى معابد أخرى مثل معابد الرمسيوم ومدينة هابو ودندرة (١٥٥) وادفو (١٣٨) (راجع أيضا : النص رقم ٦٦ب حاشية ٩) .

---

(١) سجل الـــ Wb حوالى ٢٠ اسما لأنواع مختلفة من المر وهي :
(مـــر 3wt-ib (=Wb I, I), ihmt (= I, 119, 2), C;y-nd (= I, 116)
(= cntyw (= I, 206, 7) (مـــر وعطـــور وزيت ومرهم) cntyw-w3d
= Wb) (طازج) 14, I) nht nt cntyw (شجرة المر) (= I, 207, I)
Kmjt nt (Wb 11, 283, I) ht n cntyw (عودة المر) (111, 340, 6
(=Wb 11, htyw hw cntyw (206, 13 مدرجات) (= 111, 349, 9)
(=Wb 11, 291, cntyw (صمغ المر) (= Wb I, 206, 14) (صفة للمر)
(المـــر) (4 ,Wb 11, 59 =) (نوع من المر) (29, 3, mm3c) (نوع
من المر) 6, b3d mšc 111, (اسم المر) (11, 156, 16), nh3s-cwy
h3 Wb IV, (Wb 111, 7, 13), hry (111, 323, 21), hs hs (333,
Wb V, 182,) 3, hss (11, 333, 4), smswn (صفة لإناء المر) 143,
2) (مر مجفف) grn (IV, 467, I) Šns-r3-ht . (9) .

(٢) سجل الـــ Wb حوالى ستة أنواع من البخور وهي :
htp (Wb 111, 196, 4), hms (Wb111, 367, 9), sntr وهـــو النوع
الأكثر شيوعا فى النصوص ,Wb 111) srw ,(Wb IV, 180, 18-22)
kdrt (= نـــوع مـــن البخور (Wb V, 82, 3) (وكان) nht sntr شجرة
البخور) (Wb 11, 283, 2) (حبات البخور من النوبة Wb 1V, 180, 20)
(ويستورد من بونت الـــ sntr نوع من البخور (1V, 180, 19)، ومن آسيا
180, 21 .

ولا أدل علـــى أهمـــية بونت كمصدر للمر ونباتات الطيب م مما جاء على تـــابوت زيـــد – ايـــل (١٠١) إذ يذكـــر هذا التاجر المعينى الذى عاش فى عصر بطلمـــيوس الثانى أو السادس أنه كان يمد المعابد المصرية بمقادير من المر وقصب الطيـــب . كمـــا كان الملوك والملكات يستخدمون أيضا البخور والمواد العطرية فى حياتهم اليومية (٥٣ ، ١٥٠) وكما أن العطر كان ينبعث من أجساد المعبودات فإن ذلـــك كـــان ينعكس على شخصية الملك نفسه فهو " الملك المقدس " إذن فهو " عطر المعـــبودات حتى فى أثناء تتويجه كان لابد وأن يطهر جسده بالبخور ".[١] حتى أن المتوفى كان يتمنى أن يحضر له العطو من بونت (١٠) وفى نص آخر نجد تشبيه جميل بين بونت والجبانة حيث يجد فيها المتوفى مستقرا له ويشيد منزلا له فيها على تـــل مســـطح (١٢) وكما رأينا فى بعض مقابر ملوك الدولة الحديثة أنه عثر على أوانى بها بقايا بخور وزيوت عطرية مثل مقابر تحوتمس الرابع (٧٦) وتوت عنخ آمون ومرنبتاح (راجع نص ٧٦ وحاشية ٣) .

وأيضـــا كانـــت المـــواد العطرية والزيوت من المواد الهامة لمقومات عالم الآخـــرة الذى كان المصريون القدماء يضعونه نصب أعينهم . فلذلك يلاحظ أنه أثناء عملية التحنيط كانوا يتركون تجويف البطن والتجويف الصدرى فارغين أو يحشونهما بالكـــتان المشبع بالمواد العطرية أو بالصمغ أو بالقار فنعرف أنهم استخدموا أكثر من ١٣ مـــادة عطـــرية لإتمام عملية التحنيط [٢] . وأخيرا استخدم حرق البخور لتكريم

---

(١) Frankfort, op. cit., p. 187-188.

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص ٢٥٧ – ٢٦٩ كما أوردت بسمه قوره فى رسالتها عن " الزيوت السبعة المقدسة " أسماء وأنواع الزيوت والدهون والمراهم الـــتى اســـتخدمها المصـــريون القدمـــاء منذ العصر المبكر حتى بداية العصر الـــبطلمى ، وجمعت حوالى ٩٤ اسما منها ٣٨ اسما لزيوت من أصول نباتية ، راجـــع : B.Koura, Die 7-Heiligen Ole und andere O1-und Fettnamen, Aachen 1999, p. 160-251.

وعلـــى ســـبيل المثال نجد أن مومياء توت عنخ آمون وقد عطرت ودهنت بعشـــرة أنـــواع مـــن الزيوت العطرية ، راجع : Champdor, le livre des morts, p. 19,55.

أرواح الملـــوك الســـابقين والأجداد . ففى الممر الذى يلى مقصورة المعبود بتاح – ســـوكر فـــى معبد أبيدوس حيث يوجد نقش يمثل ما عرف باسم " قائمة أبيدوس " . وأمـــام هـــذا الـــنقش نـــرى مـــنظرا يمثل الملك سيتى الأول ويصطحبه ابنه الأكبر رمســـيس ، وهما يقومان بتقديم القرابين وحرق البخور إلى أسماء ستة وسبعين ملكا من أجدادهم ممثلين بخاناتهم الملكية .(١)

ونظـــر لأهمـــية مـــادة المـــر – cntyw القادمة من بلاد بونت والمشتقات المســـتخرجة مـــن النباتات العطرية فإنها كانت تصحن (٢) وتطبخ (٣) وتنقى (٤) فى أماكـــن معيـــنة ثم توضع فى أوانى معدة لها خصيصا (٥) وتوضع بعد ختمها بمعرفة كتـــبة المـــر " (٦) (Sšw n cntyw) فى مخازن خاصة بها ملحقة بالمعابد ويطلق عليها اسمها " مخزن المر " (٧) (Pr hd cntyw) .

رابعـــا – وبالنســـبة لتأثير الديانة المصرية فى هذه البلاد البعيدة نقول أن التـــبادل الـــتجارى كـــان وسيلة من وسائل نشر الثقافة الدينية ولذا فمن المحتمل أن البعـــثات الـــتى أرســـلت إلى بونت كان الغرض منها بالإضافة إلى التجارة والتبادل

---

(١) PM VI, p. 25 (229-230).

(٢) Shimy, Memnonia IX (1998), p. 233 n. 36.

(٣) Id., op. cit., p. 219-225 Fig. 12-18.

(٤) Id., op. cit., 214-219 Fig. 10-11.

(٥) Id., op. cit.., p. 218-219.

(٦) Id., op. cit., p. 226, 233 n. 35, 236 n. 70.

عن ألقاب الموظفين الذين يقومون بالإشراف على استخراج الزيوت والدهون العطـــرية والأماكـــن التى تتم بها سواء أكان ذلك تحت إشراف إدارة المعبد أو تحت إشراف القصر الملكى مباشرة ، راجع : B. Koura, op. cit., p. 270-283.

(٧) Shimy, op. cit., p. 228 n. 75.

التجارى هو نشر الديانة والعبادات المصرية فى هذه البلاد البعيدة . فقد أمرت الملكة حاتشبسـوث بـأن ينحـت للمعبود آمون ولها شخصيا تمثالين لكى يقاما هناك أمام مدرجات البخور لكى يبقيا فى مكانهما إلى وقت الأبدية (٢٤ ب ، ٢٦) لكى يراهما أهل البلاد يوميا (٢٥) ولا يقتصر الأمر على وجود تمثال لآمون فى بونت ، بل أن بعض المعبودات المصرية اتخذت ألقابا تربطها ببلاد بونت ، فنجد أن آمون هو الذى يطـئ مـناطق الجـبال (فـى بونـت) (٣٢) وكان يلقب بلقب " حاكم بونت " (٢٤ أ- ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . وتخـبرنا النصـوص عن " أفق آمون فى سماء بونت " (٩٩) إلى جانب تمثال آمون كان للمعبودة حتحور وجود فى بونت ، فحين وصـلت سـرية الجنود المصاحبة لبعثة حاتشبسوت ، إلى شواطئ بونت مع قائدهم نحسـى ، نجـد أنهم قدموا القرابين لحتحور فى بونت (٣١) وهذا يشير إلى وجود عـبادة لهـا هناك . ولهذا السبب نجد أن بعض النصوص تلقبها بلقب " سيدة بونت " (٩ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٢) وسيدة المر (٦٣) فهى عين رع القادمة من بونت (١٥٤) [١] . ويجئ بعد حتحور حورس ، فهو حور خنتى الى من أجله خلقت بلاد بونـت (٩٠) أو أنـه " كبير تا- نثر وبونت " (١٢٣) وهو " بحدتى سيد بونت " (١٢٤)، " حـاكم بونت " (١٦٥) ، " الصقر المقدس القادم من بونت "(١٦١)[٢]، وتـأتى بعـده نيـبت الـتى تترأس تا- نثر (٩٣) أو " سيدة تا- نثر " (١٠٥) ، " سيدة بونت " (١٠٦) " ملكة بونت " (١٠٧) ، " حاكمة بونت " (١٠٤) وتحوتى كان له دور هام فهو " سيد بونت " (١٥ ، ٨٢) ، ووررت " سيدة بونت " (١٦)

---

(١) بالإضافة إلى حتحور كسيدة لبونت ، يذكر هربان معبودات أخرى لها صلة ببلاد بونـت مـثل : إيـزيس ، حات محيت ، ساتيس – باستت ، نخبت ، سخمت ، واجيت ، واونوت ، راجع : Herbin, RdE 35 (1984), p. 118 n. 43.

(٢) ولعـل سـر ارتباط حورس ببونت هو ما قيل له فى بردية سالت السحرية رقم ٣٢٥ : " حـورس يبكى وتسقط دموعه من عينه على الأرض ونباته ينمو ، هذا هو أصل المر " .

وجب هو الذى يحضر البخور من تا- نثر (١٠) ورن- وى قدم من بونت (٩١) و " الفـــنكس بن رع هو الذى يجوب بونت " (٩ ، ١) ومين هو " الباحث عن ثروة بونـــت " (١٤٤) ورع " وطئ أرض بونت " (٣٢) وآتوم من تا- نثر (١٦٢) كمـــا كان هناك تاسوع كبير " يقطن فى بونت " (٢٤ أ- ب) وحتحور- تفنوت (١) " الـــتى تحضـــر منـــتجات بونـــت " (٩١ ج) و" شسمت سيدة بونت " (٩١ ج) و" انوبيس الذى يترأس بونت " (١٢٣ ج)

وبفضـــل كـــل هذه النصوص وما أمدتنا به من معلومات نكون قد أوضحنا عدة أمور أولا بالنسبة للقراءة الصحيحة للاسم ومعناه المحتمل ، وحددنا موقع بونت التى كانت تشمل الشاطئين الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر .

ونكون بذلك قد وضعنا حدا للآراء المتباينة والتى اختلفت حول تحديد موقع بونـــت وتـــا - نـــثر ، اللتيـــن ارتبطتا اسميا فى عصر الدولة الوسطى على أنهما الأراضى التى تنتج المر والبخور والمواد العطرية والأحجار الثمينة ومنتجات أخرى كانـــت هامـــة وضرورية للمعابد المصرية ولمقاصيرها ولطقوسها المختلفة ولملوكها ولملكاتهـــا ولزينـــتهم ولقصورهم ولمنازلهم ولمتاع مقابرهم ولزينة وتحنيط موتاهم ولتكريم أرواح أجدادهم ولكافة مظاهر حياتهم اليومية والدينية .(٢)

لهـــذا كانت بلاد بونت محل تقدير كبير من المصريين القدماء فقد ذكروها علـــى أنهـــا " البلد المقدس " (٢٤ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) أو " المكـــان المقـــدس " (٢٤ أ-ب) ، (ولهذا ارتبطت بعض المعـــبودات المصـــرية بـــأرض بونت) " الأرض العظيمة " (٢٨) ، " المحبوبة " (٢٤ ب) . وهذه الصفات كانت تعبر عما فى فكرهم عن هذه البلاد فهم لم ينظروا

---

(١) ويقال أيضا على نفس البردية : " شو وتفنوت يبكون كثيرا جدا وتسقط دموعهم من أعينهم على الأرض ونباتهم ينمو ، هذا هو اصل البخور " راجع : Lexa, la Magie dans l`Égypte Antique II, p. 65.

(٢) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 262; Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 687.

إلـــيها بـــنفس النظرة التى نظروا بها إلى بعض البلاد الأخرى التى كانت بينها وبين مصر علاقات تجارية أو ثقافية سواء فى الجنوب أو فى الشرق أو الغرب ، وهذا مما دعـــى بعـــض العلماء إلى الاعتقاد بأن بلاد بونت هى بلد أو موطن الأجداد البعيدين للمصريين القدماء . [١]

رابعـــا – بالنســـبة للعقائد الدينية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى :

فـــى معتقدات الشعوب الأخرى المجاورة والبعيدة . ففى الشرق كان للديانة المصـــرية تأثـــير كبير فى حضارة سورية القديمة منذ أقدم العصور فطبقا لأسطورة أوزير ، فبعد أن قتل المعبود ست أخاه أوزير ووضعه فى تابوت والقى به فى النيل ، جرف التيار هذا التابوت إلى الفرع التانيسى ، ثم إلى البحر الأحمر حتى بيبلوس .

ومن هنا رأى العلماء أن عبادة أوزير ترجع إلى عصر بعيد القدم فى شرقى الدلـــتا وربمـــا كانت تقوم صلى بينها وبين عبادات آسيا القريبة ، فى عصور ما قبل التأريخ .[٢]

عـــثر فـــى جبيل على بقايا معبدين ، أطلق على الأول " المعبد المصرى " وعلـــى الثانى اسم " المعبد السورى " ، ويرى مونتيه أن المعبد المصرى يرجع إلى عصر الدولة القديمة ، ويذكر إن نقوش هذا المعبد قد تمت بأيد مصرية ، أمام المعبد الســـورى فينســـب لأهـــل جبيل . وهو بلاشك كان معبدا مصريا بنى فى بيبلوس ، واخـــتلف العلمـــاء فى تأريخه ولكن يغلب الظن انتمائه إلى عصر الأسرة الرابعة .

---

(١) Cottrell, les Épouses des Pharaons, p. 55.

(٢) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٠١ .

وعــثر فى بقايا هذا المعبد على أوان تحمل أسماء الملوك ونيس وبيبى الأول وبيبى الثانى ، وعلى ختم اسطوانى كتب عليه اسم الملك مر ان رع . كما عثر فى اساسات معبد سيدة بيبلوس على عدد كبير من الجعارين التى ترجع إلى الدولة القديمة وربما إلى عهد الملك بيبى الثانى .

مما يدل على المعبودات المصرية كان معترف بها فى سورية القديمة . كما أن معبودات بيبلوس كانت محل تقدير من ملوك مصر منذ عصر الدولة القديمة .(١)

وطــبقا لنصــوص من عصر الدولة الوسطى فإن التوابيت الخاصة بكبار الشخصيات فى مصر ، كانت تصنع من خشب الأرز ، وكانت زيوت الأرز تستخدم كذلك فى تحنيط المومياوات .

ونجــد أيضا آثارا من عهد الملك أمنمحات الثالث ارسلها هذا الملك لتكريم معبودة بيبلوس .

وكانــت الأناشــيد التى قالها إخناتون فى مديح آتون من الدب الرفيع الذى أخــذت تتــناقله الأجيال ، ونشيده الكبير هو الأصل الذى نقل عنه الجزء الأكبر من مزمور ١٠٤ من مزامير سيدنا داود .(٢)

وابــتداء من عصر الدولة الحديثة وخاصة الأسرة التاسعة عشرة ، نجد أن بعــض المعبودات السورية القديمة مثل عشتارت وعنات ورشبو وقادش ، قد ذكرت بكــثرة فى البرديات والنصوص الدينية . وشبه المعبود مونتو بالمعبود السورى بعل

----

(١) د. عــبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامــة للكــتاب ، ١٩٨١ ، ص ٤٦ – ٤٧ ؛ ألفــه نخــبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٩ ، وأيضا : Montet, Byblos et L`Égypte, p. 36, 62, 70-71 (45-50), 72-73 (56-57).

(٢) ألفــه نخــبة مــن العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٥١ .

فـــى قصائد بنتاورة ، انه هو الذى أسرع إلى نجدة رمسيس الثانى فى لحظات الشدة علـــى ارض معركة قادش ويرجع أصل المعبود سبدو معبود صفط الحنة إلى أصل آسيوى ويرجع إلى عهد ما قبل التاريخ [(١)] وكان يمثل بلحية كامل كثيفة وليست لحية المعبودات المصرية النابتة عند الذقن وحدها ويعلو رأسه تاج وريشتان محدبتان لهما مظهــر أجنـــبى يلاحــظ كذلك فى مئزرة الذى يشده الحزام ، وكذا كان سيد البلاد الأجنبية وسيد الصحراء الشرقية . وقد أمتد نفوذه إلى آسيا . وقد مثلوه برأس الصقر حورس ليبدو فى مظهر أكثر مصرية .[(٢)]

وتذكـــر نصوص بردية هاريس المحفوظة بالمتحف البريطانى والتى يربو طولهـــا على مائة وثلاثين قدما (أى حوالى ٣٩,٦٢ مترا) ، أن هناك حوالى ١٦٩ مدينة فى مصر وسورية وكوش كانت تدخل ضمن ممتلكات معبد آمون بالكرنك فى عصر رمسيس الثالث .[(٣)]

ويذكـــر قائد الأسطول المصرى وجاحر رسنت أنه عقب غزو قمبيز لمصر جعل عواطفه طيبة نحو مصر ومعبوداتها وبخاصة نحو معبودة مدينة سايس " نيت " ويـــبدو أنـــه فى بداية الغزو تعرضت المعابد المصرية للتخريب والنهب والحريق . ولذلـــك أمر قمبيز بطرد المعتدين من المعابد وإخراجهم منها بعد أن استقروا فيها ، كمـــا أمـــر بإصلاحها مما يؤكد أن جنوده عسكروا فى داخل هذه المعابد بعد نهبها .

---

(١) عن المعبودات الأجنبية فى مصر ، راجع :
Stadelmann, Syrisch-Palastinensische Gottheiten in Agypten, PA 5 (1967), p. 5; LA11, p. 643; Helck, Beziehungen, p. 446-473; Hart, A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, London 1986, p. 150.

(٢) فرانســـوا دوما : المرجع السابق ، ص ، ١٠٧ ؛ د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢١ حاشية (١) .

(٣) د. أيفـــار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة شاكر إبراهيم) ، ص ٧٢ .

وأمـــر كذلك بإعادة كل عبيد معبد نيت وخدمه وكهنته ، وتجديد أعياده واحتفالاته ، وزار قمبـــيز بنفســـه مديـــنة سايس ودخل معبد نيت وقدم القرابين للمعبودة كما كان يقدمها كل الملوك . (١)

اكتســـب معبد آمون فى سيوة شهرة كبرى فى القرن السابع ق.م ، لأنه كان يحتوى على تمثال الوحى لآمون (٢) ، وكان يقصد هذا المعبد الكثيرون ليسألون كهنة آمون وتمثال الوحى ، وحدث أن سئل كهنة الوحى فى سيوة عن قمبيز وغزو الفرس لمصر ، فجاء الجواب بإن الفرس سيرحلون وأن قمبيز سيلاقى سؤ المصير .

ويقال أن قمبيز أرسل جيشا كبيرا عبر الصحراء الغربية لهدم معبد سيوه . ولكـــن هذا الجيش هلك بأكمله فى الصحراء ولا يزال مغمورا تحت رمال الصحراء الغربية حتى الآن .

وعـــندما جاء دارا بن قمبيز إلى مصر حاول أن ينتهج سياسة جديدة وأمر بالاستمرار فى الإصلاحات وإتمام معبد الخارجة الكبير الذى بدأ فى تشييده أمازيس ، وكـــان مخصصـــا للمعـــبود آمـــون ، وشـــيد من الحجر الرملى على غرار المعابد المصـــرية .(٣) كما أصدر أوامره إلى الحكام الفرس فى مصر بمراعاة شعور الناس وتقديـــم القرابيـــن للمعبودات المصرية وأظهر تقديره للديانة المحلية وبخاصة عبادة العجل ابيس الذى كان لعبادته فى ذلك أهمية كبرى فى مصر فأمر بإعادة دفن العجل ابـــيس على الطريقة التى كان يتبعها ملوك مصر الوطنيين وكان دارا يحمل لقب ابن نيـــت معـــبودة سايس (٤) . وكان لهذا التسامح أثره بين الفرس فبدأ كثيرون منهم فى اعتناق الديانة المصرية .(٥)

---

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٦٢٠ .
(٢) عن هذا التمثال ، راجع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦ – ٢٧ .
(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٢١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢٣ .
(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ – ٤٣٠ .

أما عن تأثير الديانة المصرية القديمة في عقائد الشعوب والقبائل التيت تقع غــرب مصر ، فأننا لا نعلم الشئ الكثير عن هذا التأثير ، ومما يدل على وجود هذا التأثير منذ أقدم العصور ، العثور على نص فى معبد ساحورع بابى صير من الأسرة الخامســة ، يربط بين المعبودة نيت معبودة سايس فى غرب الدلتا وبين قبائل التحمو الذين كانوا يحبون الوشم ، وأحب أنواعه لديهم رمز المعبودة " نيت " .(١)

وأمــا عن تأثير الديانة المصرية القديمة فى عقائد المفكرين والحكام ومن جاءوا من الشمال :

فمن الشمال جاء أفلاطون (٤٢٩ – ٣٤٧ ق.م) إلى مصر فيما بين عامى ٣٩٧ ، ٣٩٥ ق.م . نجـد أنــه قضــى عاميــن كامليــن فى ايونو معقل الكهنوت المصرى . وقد تأثر فى آخر مؤلفاته le Timeée بالديانة المصرية وشبه المعبودة نيت معبودة سايس فى غرب الدلتا بالمعبودة اثينا وخاصة فى الفقرة ٢٣ .

وفــى نوفمــبر مــن عام ٣٣٣ ق.م انتصر الاسكندر على دارا فى معركة اســوس فى كيليكيا . وفى خريف عام ٣٣٢ ق.م استسلم الوالى الفارسى على مصر دون القــتال ، ودخل الاسكندر منف وأظهر احترامه الكامل لعادات البلاد وديانتها ، وحرص كل الحرص على أن يتم تتويجه ملكا على مصر وفق التقاليد القديمة . فقام بــتقديم القرابيــن للمعــبودات المصرية وأغدق الهبات على المعابد وأمر بإصلاحها فــزادت محبة المصريين له . ولم يكتف الاسكندر بتتويجه فى منف وايونو بل زار معبد آمون فى سيوه حيث استقبله كبير كهنتها ورحب به مما يدل على التأثير الدينى لكهنة آمون على شخصية الإسكندر (٢) . وقد تركت هذه الزيارة أثرا كبيرا فى نفس

---

(١) تــاريخ مصر وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١٩٠ .

(٢) يقــال أنــه بعــد رجوعه من هذه الزيارة أمر بتخطيط مدينة الإسكندرية لتكون مركزا للمواصلات بين الشرق والغرب ، راجع :

الاسكندر إلى يوم وفاته .(١)

=== ايـدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩ – ٤٠ ؛ د. أحمـد فخـرى : مصـر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٤٤. عـثر فـى تمى الأمديد بالقرب من السنبلاوين على فيسفساءة ، محفوظة الآن بمـتحف الإسكندرية ، صورت فيها الإسكندرية بوصفها سيدة البحار ، فقد رمـز إلـى الإسكندر بسيدة على رأسها تاج بحرى وعلى كتفيها عباءة حربية ، وفـى يدهـا اليسـرى رمز الانتصارات البحرية ، وهذه الزخرفة مأخوذة عن زخـرفة خشبية كان يزين بها مؤخرة السفن (راجع د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصـر فـى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٧٥) عن الإسـكندرية وتأسيسـها راجـع د. إبراهـيم نصحى : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٧٠ – ٣٢٢ .

(١) زار الاسكندر معبد الوحى فى سيوة ، وكان يريد أن يحقق ثلاث غايات :

- إثبات صلة نسبه بالآلهة ، ويثبت أنه ابن آمون .
- الحصول على دعم أمام الرأى الدولى على تأييد الآله آمون لمشروعاته التى كانت ترمى إلى بسط سيادته على العالم القديم .
- أن يقـتفى أثر برسيوس وهرقل اللذين يقال أنهما تزودا بمشورة آمون سيوة قـبل أن يقدمـا علـى جلائل أعمالهما ، راجع د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصـر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ٢١ – ٢٣ .

ويقـال أنـه فى حى كوم الدكة كانت توجد السيما ، وهى المعبد الجنائزى الـذى دفـن فيه الإسكندر داخل تابوت من الذهب (راجع د. إبراهيم نصحى : تـاريخ مصـر فـى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، ص ٢٨٦ حاشية (١) ، وتحدثـنا المصـادر أنه فى أواخر عام ٣٢٢ نقل جثمان الإسكندر من بابل إلى سوريا ، وهناك استقبله بطلميوس على رأس حامية قوية ونقله إلى مصر ، حيث دفـنه أولا فـى منف ثم نقله بعد بضع سنين إلى الإسكندرية ، راجع د. نصحى المـرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٢ ؛ د. محمود السعدنى : قبر الإسكندر الأكبر (احتمالات موقعه وشكله – دراسة تاريخية أثرية) القاهرة ١٩٩١ ، ص ٦٨ – ٨٠ .

ودخلـت مصر منذ ذلك العهد فى دور جديد من أدوار تاريخها خصوصا . بعـد تأسـيس أسرة البطالمة . وبعد ذلك حكم أسرة الأباطرة الرومان . وكان الملوك الأجانـب حريصـين علـى التقلد بملوك مصر القدماء ويظهرون فى نقوش جدران المعابد وهم يتعبدون إلى المعبودات المصرية .

واستسـلم اليونانيون للطقوس الدينية المصرية ، لقد عرض الفكر اليونانى علـى الشـرق الفلسـفة وعرض الشرق على الفكر اليونانى الديانة ، وكانت الغلبة للديـن ، لأن الفلسـفة كانت ترفا يقدم للأقلية من الناس ، بينما الدين سلوى للكثيرين منهم ويرضى وجدان الإنسان . (١)

كانت سياسة التقرب إلى المعبودات المصرية من اهم الأسس التى أقام عليها البطالمة سلطتهم المركزية فى مصر .

سياسة التقرب الدينى للبطالمة وتأثرهم بالديانة المصرية :

اتخذت سياسة التقرب الدينى للملوك البطالمة ستة اتجاهات :

إنشـاء عبادة سرابيس وإيزيس وحاربوقراتس (حورس الطفل) التعبد إلى المعبودات المصرية ، تشبيه المعبودات بالمعبودات الإغريقية ، إشراك ملوك وملكات الـبطالمة فـى العـبادة مع المعبودات المصرية ، تشييد المعابد للمعبودات المصرية وإغداق الهبات عليها ، اتخاذ ألقاب دينية تقربهم إلى المعبودات المصرية .

– **بالنسـبة للاتجاه الأول** ، فقد أدرك بطلميوس الأول أن المصريين ديانة موروثة راسخة القدم ، وأن الإغريق أحضروا معهم ديانتهم ومذاهبهم ، وكذلك وجه همـه بإنشـاء ديانـة جديدة تؤلف بين المصريين والإغريق ويشترك فى التعبد إلى معـبوداتها المصـريون والإغريق معا . ويحدثنا بلوتارخ بان بطلميوس الأول كون لجـنة مـن علمـاء الدين ، كان من بين أعضائها الكان المصرى مانيتون والكاهن

---

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) ، ص ١٨٣ .

الإغريقى تيموثيوس .

وقد استقر رأى اللجنة على أن يكون محور اليانة الجديدة ثالوثا ن يتألف من سيرابيس وإيزيس وحاربوقراتس .[١]

وكـــان اختيارهم لأوزير لأنه كان أكثر المعبودات المصرية شعبية ، وكان المصـــريون أجمعـــون يستجدون حمايته ، وهو الذى علم المصريين الحضارة وهو المسيطر على عالم الآخرة ولم يكن أوزير محليا ترتبط عبادته بأقليم معين ، بل كان معبودا عاما فى مصر يمكن أن يتحد باى معبود مصرى .[٢]

وفـــى منف كان يعبد المعبود الأكبر بتاح الذى يتجسد أحيانا شخصية حابى او آبـــيس ، أى أنـــه معبود النيل الحى فى صورة عجل ، وكان أوزير يختلط أحيانا بحعـــبى ويدعـــى اسار – حابى أو اوسار – حابى ويدعوه الإغريق اوسير – ابيس ومـــنها جـــاءت التسمية سيرابيس . وعندما فتح الإسكندر مصر ، كانت عبادة هذين المعبوديـــن قد اكتسبت أهمية فى مذاهب منف ، فإذا أريد اتباع رغبات الناس وإقامة الديانـــة الجديـــدة علـــى أسس قوية ، كان لابد من اختيار معبود هذه الديانة من بين معـــبودات منف . وكان أوزير – آبيس يتمتع بمكانة كبيرة بين الإغريق المقيمين فى مصـــر قبل ارتقاء بطلميوس الأول عرشها ، فإن أقدم وثيقة عن عبادته ، هى بردية إغريقـــية ، موجـــودة الآن فـــى المكتبة الأهلية بفيينا ، عبارة عن التماس من امرأة إغريقية تدعى ارتميسيا إلى المعبود سيرابيس لينزل نقمته على رجل انجبت منه أبنة توفيت ورهن جثتها ولم يف بدينه .[٣]

وعندما اختار البطالمة سيرابيس كمعبود رسمى للدولة ، شيدوا له معبدا فى منف ، الذى عرف باسم السيرابيوم . وكانت تعبد معه معبودات مصرية أخرى غير

---

(١) د. إبراهـــيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٦ ، ص ١٨٠ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

أنهـا شـبهت أيضـا بالمعـبودات الإغريقية ، مثل ايموحتب الذى شبه باسكليبيوس " معـبود الشفاء " عند الإغريق ، وكان هذا المعبد يقوم على أربعة أميال من منف ، بالقـرب من سفح التلال التى تحد وادى النيل من الناحية الغربية ، وكان يتألف من مجموعـة مـبان ، تقـوم على الأرض المرتفعة إلى ما وراء الأراضى الزراعية . وكانت توجد داخل الأسوار المقدسة ، هيكل للمعبودة السورية عشتارت . وداخل هذه الأسـوار كان يوجد هيكلان صغيران طراز أحدهما مصرى به تمثال لسرابيس فى صـورة إنسـانية وطـراز الآخـر إغريقى ، ومن المحتمل أن الهيكل الأخير كان المخصـص للمصـابيح ، وفـى المنطقة نفسها كانت تؤدى قاعة مكشوفة بها تماثيل لبيـنداروس وبروتاجوراس وأفلاطون ، وعلى حافة الصحراء بالقرب من الأراضى الزراعـية ، كان يوجد معبد أنوبيس ، ومن هذا المعبد ، كان يمتد طريق مرصوف علـى جانبـيه تماثـيل لأبـى الهول . وكان السيرابيوم يتصل بمدافن العجول آبيس المـتوفاه ، وكانـت أجسـادها المحنطة توضع فى دهاليز تحت سطح الأرض ، اما العجل أبيس الحى ، فكان يوضع فى هيكل فى منف يسمى ابيوم ، ويتصل بمعبد بتاح المقـام فـى الأراضى الزراعية . وكان العل ابيس الحى – وهو عجل اسود جبهته شارة بيضاء ، يعتبر صورة مجسدة لمعبود النيل ويشبه أحيانا بالمعبود بتاح .(١)

وعـندما وفاة هذا الرمز الحى تشترك مصر كلها فى جنازته ويدوم الحداد فـى كل مكان سبعين يوما ، وهى الفترة التى تستغرقها عملية التحنيط . وترسل كل المعابد كتانا للفائف المومياء . وعند اتمام كل شئ ، كانت المومياء تحمل فى موكب يقـوده حـتى معـبد أنوبـيس وبعدهـا يسير الموكب فى الطريق المرصوف حتى السـيرابيوم ، حيـث يدفن فى غرفة أعدت لهذا الغرض فى أحد الدهاليز الى تحت سطح الأرض . وكانت الطقوس تقام له فى الدهاليز التى تحت سطح الأرض .(٢)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

وقــد استمرت عبادة العجل المقدس فى منف حتى العصر الرومانى ، ونجد اسم سيرابيس مذكورا فى الوثائق الديموطيقية والإغريقية التى عثر عليها هناك .

وتذكــر الوثــائق أنه كن يوجد ، فى وقت متأخر من عصر البطالمة داخل أســوار المعــبد ، مركــز للشرطة وسجن يتصل به ومكتب حكومى لتحرير الوثائق ومكتب لممثل حاكم مقاطعة منف .(١)

وبعــد ذلك أنشئ لسرابيس معبد كبير في الإسكندرية في الحي الشعبي الذي كان يقع في موقع قرية راقودة القديمة ، وأصبح معبد الإسكندرية هو المعبد الرئيسى الرســمى لهــذه العــبادة . والحق بسرابيس الزوجة إيزيس والأبن حورس وأصبح الــثالوث المقدس يذكر فى الوثائق الرسمية . وكانت العبادة فى هذا المعبد تقام وفقا للطقوس المصرية .(٢)

وشــيد معــبد لسرابيس في ابيدوس ، ويستدل على ذلك من لوحات زينت حســب التقاليد المصرية بمناظر تمثل أوزير ، وهو يستقل الموتى ، ووجهت الدعية على اللوحات بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى إلى أوزير ، اما التى كتبت بالخط الــيونانى فإنها وجهت إلى سرابيس (٣) . وقد وجدت لوحات مماثلة فى مقابر الفيوم وسقارة .

وعــندما انتشــرت عبادة سيرابيس خارج مصر في العالم الأغريقي ، بقى أصــله المصــرى واضــحا جلــيا بالرغم مما أدخل على هذا المعبود من الصفات الهلينــية ، فانــه كان يشرك دائما مع معبودات مصرية صميمة مثل إيزيس وأنوبيس وحورس والعجل ابيس ، وكانت طيور الأوز تقدم كقرابين لسرابيس (٤) . ولاكتساب

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ حاشية (٢) .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٧ – ١٨٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

سـيرابيس مكانـة عظمى نشر فى الناس أن هذا المعبود يقوم بمعجزات جليلة لأنه يشفى المرضى ، وشبه بالمعبود اسكليبيوس معبود الشفاء عند الإغريق .(١)

ومنذ عصر بطلميوس الرابع بدأت تتضاءل مكانة سيرابيس وازدادت مكانة إيـزيس ، فلـم يأت آخر عهد بطلميوس السادس (فيلومتور) حتى أصبحت إيزيس بلاد من سيرابيس أهم معبودات الإسكندرية .(٢)

– وبالنسـبة للاتجـاه الـثانى نقول أن الديانة المصرية تركت فى نفوس الإغـريق أثـرا بينا ، بسبب قدم عهدها وغموض أسرارها . فكانوا يتعبدون لأوزير وسـيرابيس وإيزيس وأنوبيس وحورس . وكانوا لا يجدون حرجا فى دخول المعابد المصرية وتقديم القرابين للمعبودات المصرية ، على أساس أنهم كانوا نزلاء فى تلك الـبلاد الـتى تتمتع بحماية المعبودات المصرية . وأنه كان من سداد الرأى اكتساب عطـف هـذه المعـبودات بإظهـار إجلالهم لها . فعبدوا إلى جانب المعبودات التى ذكـرناها ، المعبودات بس وتاورت وسبك ، الذى حور الإغريق أسمه تحيرا طفيفا ، فأصبح يعرف باسم سوخوس .(٣)

ويحدثـنا نقشـان مـن الفيوم ، أحدهما من عام ٩٨ ق.م والآخر من عام ٩٥ ق.م عـن قـيام شـابين مـن الإغريق بإهداء قطعة أرض مقدسة إلى المعبود " سـوخوس (أى سبك) العظيم جدا " وكان القواد اليونان يتنافسون فيما يقدمونه من

---

(١) وشبه سيرابيس أيضا بديونيسوس معبود البعث والخمر وهاديس (بلوتو) معبود عـالم الآخـرة ، وهيلـيوس معبودة الشمس والوحى ، وزيوس كبير المعبودات ولقـبوه بسيد العالمين ، راجع د. مصطفى العبادى : مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص ٥٢ ؛ ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العـربى (نقلـه إلـى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٥٣ – ٥٦ حاشية (٢) .

(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

الهـبات إلى المعابد المصرية . وترينا النقوش من أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الأول ق.م أن الإغـريق يشــغلون مناصب رفيعة ويتمتعون بمكانة اجتماعية كبيرة كانوا يتعبدون إلى معبودات مصرية مثل حورس وباستت .(١)

وزادت ألفــة الإغريق بالمعبودات المصرية كلما طال استقرارهم فى البلاد وزاد اختلاطهم بأهالى البلاد فكثر تقربهم إلى هذه المعبودات بالعبادة وتقديم القرابين ومختلف أنواع الهبات .

- أمــا بالنسـبة للاتجـاه الثالـث ، فنجد أنه منذ العصر الذى زار فيه هـيرودوت مصر درج الإغريق المقيمين فى البلاد على تشبيه المعبودات المصرية بالمعــبودات الإغريقــية فشــبهوا المعــبود بتاح بهفايستوس فى الإسكندرية ، ونيت بالمعــبودة أثينا . وفى نص قورن أبولو بالمعبود المصرى التمساح سوخوس ، وفى نصوص أخرى ذكرت افروديتى مع معبود التمساح سوخوس .(٢)

وأحيانا أخرى كانوا يشبهون أيضا ابوللو بحورس ، وأثينا بتاورت ، وهيرا بنيــت ، وديمــتر بموت (٣) . وهرمس بتحوتى ، واسكليبيوس بايموحتب ، وزيوس بــآمون ، وهلــيوس بــرع (٤) . وكــانوا يشبهون إيزيس بديمتر وافروديتى وهيرا وأثينا .(٥)

كما أطلق الإغريق على المدن التى تعبد فيها المعبودات المصرية الرئيسية أســماء إغريقــية مــثل ديوسبوليس وهيراقليوبوليس وأبولونوبوليس ولاتونوبوليس وكروكديلوبولــيس وهرمونتيس مما يدل على أن هذه التشبيهات أصبحت معترفا بها

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٠ – ١٤١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

رسميا .[١]

– أما بالنسبة للاتجاه الرابع ، فقد بقيت المعتقات القديمة الخاصة بالميلاد المقدس للملك المصرى من المعبودات المصرية سائدة فى أيام البطالمة وكذلك إشراك ملـــوك وملكات البطالمة فى العبادة مع المعبودات المصرية . فكانت هناك نصوص مصـــرية تحدثـــنا عن المولد المقدس للملك المصرى ، مثل النصوص الخاصة بهذا المـــيلاد المقدس للملكة حاتشبسوت فى معبد الدير البحرى وأمنحتب الثالث فى معبد الأقصر ورمسيس الثانى فى معبد الرمسيوم وفى أماكن أخرى ، أما فى عهد البطالمة فكان يخصص معبد صغير لهذا الغرض أطلق عليه اسم الماميزى أى بيت الولادة [٢] وكـــان هـــذا المعبد الصغير يقام إلى جانب كل معبد من المعابد التى يعبد فيها ثالوث مقـــدس ، ويمـــثل المعـــبد الصغير صورة المكان السماوى الذى أنجبت فيه المعبودة المعبود الابن ، أى حورس الطفل الذى كان يرمز لمولد الملك .

ونظرا لأهمية هذا الاعتقاد فى أيام البطالمة نجد أنه عندما أنجبت كليوباترا الســـابعة فى ٢٣ من يونيو عام ٤٧ ق.م . طفلا ذكرا من يوليوس قيصر ، ولم تكن تجـــرى فى عروق هذا الطفل الدماء المقدسة ، فنجد أنها صورت على جدران معبد أرمنت قصة تشبه قصة حاتشبسوت فى معبد الدير البحرى وقصة أمنحتب الثالث فى معبد الأقصر . [٣]

أمـــا بالنســـبة لإشـــراك ملـــوك وملكات البطالمة فى العبادة مع المعبودات المصـــرية ، كـــان تقلـــيدا مرعيا منذ عهد بطلميوس الثانى ، فكان الملك بطلميوس وزوجـــه يعتـــبران معبودين شريكين للمعبودات المصرية فى المعابد التى أقيمت من أجـــل تلـــك المعـــبودات وأن جدران المعابد كانت تزين بصورهما فى زى الملوك المصريين التقليدى وتسجل تقواهما وما جاءا به من خيرات .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ١٤٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وتحدثنا لوحة مندس بأن بطلميوس الثانى أشرك زوجة ارسينوى الثانية مع كـبش مندس ومع المعبود آتوم فى بيثوم ومع نيت فى سايس وبتاح فى منف وموت فـى الكرنك ومونتو وخونسو فى الكرنك وسبك فى الفيوم وإيزيس فى فيلة . ونتبين من قرار كانوا أن ملوك البطالمة الأوائل كانوا يعتبرون أنفسهم فى منزلة المعبودات المصـرية فـى كل المعابد ويشركون فى العبادة وأن القرابين كانت تقدم لبطلميوس الـرابع ثلاث مرات شهريا ، وذلك إلى جانب الاحتفال بأعيادهما السنوية ، مثل عيد ميلاد الملك وعيد ارتقائه العرش .(١)

– بالنسـبة للاتجـاه الخـامس ، فكـان الإغريق يكنون للديانة المصرية احـتراما عميقا . ولما كان الباعث هذه السياسة هو رغبة البطالمة فى توطيد دعائم ملكهم فأنهم لم يألوا جهدا فى العمل على إظهار إجلالهم واحترامهم للديانة المصرية . فقد رأينا من قبل حرصهم على إيجاد عبادة رسمية موحدة وتعبدهم لبعض المعبودات المصـرية وتشبيه المعبودات المصرية بالمعبودات الإغريقية وتمسكهم بتقاليد الميلاد المقـدس واشـتراكهم فـى العبادة مع بعض المعبودات المصرية . فنجد انهم اتبعوا وسـائل شـتى لإظهـار هـذا التقدير للديانة المصرية فى تقديم القرابين ، وإرجاع تماثـيل المعبودات التى كان الفرس قد أخذوها من البلاد ، ومنح المعابد هبات مالية وأراضى ، وإنشاء المعابد والهياكل وإصلاحها وزخرفتها ، ومنح المعابد حق حماية اللاجئين إليها .(٢)

فابـتداء من الإسكندر الأكبر إلى بطلميوس الثانى عشر وكليوباترا السابعة عمل البطالمة على إظهار احترامهم للديانة المصرية .

فعـندما نـزل الإسـكندر الأكـبر فى منف كان همه الأول يتقدم القرابين للمعـبودات الوطنية والعجل المقدس أبيس . وبعد ذلك وضع أساس معبد إيزيس فى الإسـكندرية . وأقام فى معبد الأقصر أمام قدس الأقداس ، هيكلا صغيرا عليه صور

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

تمـــثل الإسكندر فى حضرة المعبودات آمون وموت وخونسو ، الذين أهدى إليهم هذا الهـــيكل . وأصلح الإسكندر مدخل البوابة التى كانت تكون الواجهة الغربية فى معبد الكرنك من أيام تحوتمس الأول ، وإنشاء معبدا فى الواحة البحرية .(١)

ومـــا كاد بطلميوس الأول (سوتر = المنقذ) يطأ أرض مصر ، حتى بادر بالتبرع بمبلغ قدره خمسون تالنتا للاحتفال بجنازة أحد العجول المقدسة . وعلى لوحة الوالـــى الـــتى عـــثر علـــيها فـــى القاهرة عام ١٨٧١ يعطينا النص صورة صادقة لمجهـــودات بطلميوس الأول فى إعادة الممتلكات الخاصة بمعبدى ب ودب (بوتو) الـــتى نهبت فى أيام الفرس . وأعاد الملك إنشاء قدس الأقداس فى معبد الكرنك باسم فيليـــب ارهيدايوس . وزخرف باسم الإسكندر الرابع قاعة احتفالات تحوتمس الثالث بالكـــرنك . كما شيد هيكلا فى بنى حسن وأقام بوابة أمام معبد الفنتين ، صور عليها الإسكندر الرابع وهو يتعبد إلى المعبود خنوم .(٢)

أمـــا بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) فلم يتوان فى إظهار إجلال واحترامه للمعـــبودات . فـــتذكر لـــنا لوحة بيثوم أن الملك زار معبد اتوم فى شرق الدلتا ثلاث مـــرات فـــى العـــام الســـادس من حكمه وزار بلاد فارس وأحضر من هناك تماثيل المعـــبودات المصرية . أما الزيارة الثانية فى العام الثانى عشر عندما أصطحب معه زوجة الملكة ارسينوى الثانية وأجزل الهبات لمعبودات بيثوم أما الزيارة الثالثة فكانت فـــى العام الحادى والعشرين عندما منح المعابد المصرية هبة مالية قدرها ٧٥٠ ألف دبن وهو ما يوازى ٣١٢٥ تالنت من الفضة .

وشيد عددا من المعابد المصرية فأقام للمعبودة إيزيس معبدا فى جزيرة فيلة وآخـــر فـــى بهبيت الحجر بالقرب من سمنود مكان معبد نختنبو الأول . وشيد معبدا صغيرا لايمحوتب فى فيله ، وشيد كذلك معبدين آخرين أحدهما فى مندس والآخر فى نقراطيس ، وأقام بوابة أمام معبد موت فى الكرنك . (٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ – ٣٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٠ – ٣١ .

أمـــا عـــن سياســـة بطلميوس الثالث (يورجتيس = الخير) ، فإن مرسوم كـــانوب يحدثـــنا عن هذه السياسة الدينية ، وان الملك وزوجة لا يدخران وسعا فى العناية بآبيس ومنيفس وغيرهما من الحيوانات المقدسة المشهورة مهما كلفهما ذلك من النفقات .

وأن الملك قام بحملة فى الخارج أعاد إلى مصر التماثيل المقدسة التى كان الفــرس قــد أخذوهــا معهم . ويعتبر مرسوم كانوب عبارة عن قرار أصدره مجمع الكهنة ، الذى انعقد فى كانوب فى ٦ مارس عام ٢٣٧ . وقد وصلت إلينا ثلاث نسخ من هذا المرسوم ، عثر على أولها فى عام ١٨٦٥ بين أطلال تانيس ، ووجدت الثانية فى عام ١٨٨١ ، وهاتان الوثيقتان موجودتان الآن فى المتحف المصرى . أما النسخة الثالثة فإنها محفوظة فى متحف اللوفر .

أمـــا عن المنشآت الدينية التى أقامها هذا الملك ، فأنه أكمل معبد إيزيس فى فـــيلة ، الـــذى لم يتم بناؤه فى عهد أبيه بطلميوس الثانى ، كما عثر فى جزيرة بيجه المجاورة لجزيرة فيلة على بقايا معبد وجد عليها اسم بطلميوس الثالث وأسماء بعض الملوك المصريين .

وقد بدأ فى إقامة معبدا لإيزيس فى أسوان ، وشيد معبدا صغيرا فى اسنا ، وشيد الباب الخارجى لمعبد بتاح والمدخل الأكبر لمعبد خونسو والجزء الشمالى لمعبد مونتو بالكرنك وشيد معبدا جديدا لأوزير فى كانوب . ولكن لعل أهم أثار هذا العاهل هـــو معـــبد حـــورس فـــى ادفـــو الـــذى وضـــع أساســـه فـــى ٢٣ أغسطس عام ٢٣٧ ق.م ، إلا إن بـــناؤه وزخرفـــته لم يتما إلا ٥ ديسمبر عام ٥٧ ق.م فى عصر بطلميوس الثانى عشر .(١)

وتحدثنا لوحة بيثوم ، التى حفظت لنا القرار الذى أصدره مجمع الكهنة فى مـــنف فـــى نوفمبر عام ٢١٧ ، عن اهتمام بطلميوس الرابع (فيلو باتور = المحب لأبيه) بإظهار إجلاله للمعبودات والديانة المصرية .

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٤ .

وتحدثـــنا هـــذه الوثيقة بأنه ما كاد يصل إلى علم الملك أنه قد لحق ببعض التماثيل الخاصة بالمعبودات المصرية فى فلسطين كثير من الأذى ، حتى اصدر أمرا تكـــريما لها بألا يتعرض لها أحد ثانية بمكروه ن وذلك رغبة منه فى أن يدرك جميع الأجانب عظيم اهتمام الملك بمعبودات المصريين وشده وحرصه عليها . وكذلك أمر بـــان تنقل إلى مصر كل مومياوات الحيوانات المقدسة ، وبأن يقام لها احتفال عظيم وتدفن فى مقابرها ، وبأن ينقل إلى معابدها فى مصر فى حفل تكريم ما وجد مشوها من التماثيل . وكان الملك مهتما بأمر التماثيل المقدسة التى نقلت من مصر إلى آشور وفينيقيا عندما انتهك الفرس حرمة المعابد المصرية .

كما وجه اهتمامه إلى المنشآت الدينية ، فقد أسهم فى بناء معبد حورس فى ادفو ذلك المعبد الذى بدأه أبوه ، وتحدثنا نقوش هذا المعبد بأنه " قد تم بناء قاعة قدس الأقداس للمعبود حورس الذهب فى السابع من شهر أبيب فى السنة العاشرة من حكم الملـــك بطلميوس فيلوباتور ، وزينت جدرانها بنقوش بديعة وبالاسم الأكبر لصاحب الجلالـــة وبصـــور معبودات أدفو وفى العام السادس من حكم جلال الملك ، تم بناء مدخلها الأكبر (أو المدخل الأكبر للمعبد) والباب المزدوج لردهته الكبيرة ... " .

وقـــد بدأ فيلوباتور فى بناء معبد دير المدينة غربى النيل ، كما حاول إتمام المعـــبد الصغير الذى بدأه ابوه فى الفنتين ، وشيد المقصورة الداخلية من المعبد الذى شيد شرقى المعبد الكبير فى فيلة . وشيد فيلوباتور معبدا لمعبودات الجندل الأول على جزيـــرة سهيل جنوبى أسوان ، وأضاف إلى مبانى معبد إيزيس فى أسوان الذى بدأه أبـــوه ، ولكـــن لـــم يتم بناء هذا المعبد حتى اليوم [١] . وشيد بطلميوس الرابع معبدا لحاربوقراتس فى الإسكندرية .[٢]

ونســـتطيع الوقوف على مدى اهتمام بطلميوس الخامس (ابيفانس) بالديانة المصـــرية مـــن مرسوم حجر رشيد الذى أصدره مجمع الكهنة فى منف فى عام ٢٧

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ – ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

مـــارس عـــام ١٩٦ ق.م ، ويحدثنا هذا المرسوم بان بطلميوس الخامس قام بخدمات كبـــيرة . للمعـــابد والمعـــبودات واحيا ما أهمل من طقوس خاصة بالمعبودات . وقد الهدايـــا إلى أبيس ومنيفس وسائر الحيوانات الخرى المقدسة فى مصر أكثر مما قدم إليها الملوك الآخرون ، ووجه عناية كبرى إلى دفنها وما يقدم إلى هياكلها ، وصرف مـــبالغ طائلة فى زخرفة معبد أبيس ، وأسس معابد وهياكل ومذابح عديدة . وأن يقام فـــى كـــل المعابد سنويا إجلالا للملك يدوم خمسة أيام ، وأن يكتب هذا المرسوم على لوحة من الصخر بالهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية .

كمـــا ساهم ابيفانس فى إتمام معبد ادفو العظيم، وأتم معبد ما أقامه أبوه فى جزيرة فيلة وشيد مدخل معبد أيمحوتب فى هذه الجزيرة . (١)

أمـــا بطلمـــيوس السادس (فيلو متور = المحب لأمه) فقد ساهم بدوره فى تكملـــة معـــبد ادفـــو اذ تحدثنا نقوش هذا المعبد بأنه " فى أول شهر طوبة فى العام الخـــامس مـــن حكـــم بطلميوس فيلومتور ، وضعت البوابة الخشبية الكبيرة فى قاعة المنتصر الأعظم وكذلك الأبواب المزدوجة فى بهو الأعمدة الثانى ، واستؤنف العمل ثانية داخل قاعة الأسلحة فى العام الثلاثين من حكم هذا الملك " .

كمـــا شيد فيلومتور معبد سبك وحورس فى كوم امبو، وبدأ بناء معبد خنوم فـــى أســـنا ، وبـــنى هيكلا فى معبد موت بالكرنك ، وأضاف مدخلا إلى معبد بتاح بالكـــرنك ، وأقـــام هـــو وأخـــوه بطلميوس الثامن بابا فى معبد أمون رع بالكرنك . وأضـــاف بهـــو إلى معبد انطيوبوليس (قاو الكبير) وساهم فى اكمال معبد إيزيس الكبـــير فى فيلة . وبدأ فى إقامة معبد لحتحور فى هذه الجزيرة ، وأضاف بوابة إلى الهـــيكل الـــذى أقامه الملك النوبى ازاخر آمون فى دبود وهى تقع جنوبى فيلة بنحو عشرة أميال .(٢)

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٣٧ – ٣٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ – ٣٩ .

ولا نعــرف أى شــئ عن سياسة التقرب الدينى لبطلميوس السابع (نيوس فيلوباتور) .

ونتبيــن مــدى اهــتمام بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى) بشون الديانة المصرية من القرار الذى أصدره فى عام ١١٨ ق.م . وقيام خزانة الملك بدفع نفقات دفن العجول المقدسة . كما تحدثنا نقوش معبد ادفو عن الأراضى التى وهبها البطالمة لهــذا المعبد ، حتى أنه فى نهاية عهد بطلميوس الثامن كان هذا المعبد يملك أراضى فــى أربــع مناطق ، تبلغ مساحتها أربعة عشر ميلا مربعا وربع الميل أما المنشآت الدينــية التى قام بها الملك فمتعددة ، ونجد بين نقوش معبد أدفو النص التالى " استمر العمــل حتى اليوم الثامن عشر من شهر مسرى فى العام الثامن والعشرين من حكم بطلمــيوس يورجتــيس الــثانى وزوجته الملكة كليوباترا ، لاتمام نحت النقوش على الحجر ، وزخرفة الجدران بالذهب والألوان ، وضع الأبواب من الخشب وعمل قمتها مــن الــبرونز الجيد وعمل إطارات الأبواب ومزاليجها ، وتثبيت ألواح ذهبية على الأبواب ، وإتمام الجزء الداخلى من المعبد " .

وقــد أقام هذا هيكلا للمعبودة ابيت فى الكرنك ، وقام بإضافات إلى معبدى ديــر المديــنة ومدينة هابو ، وشيد بالقرب من المعبد الأخير هيكلا صغيرا للمعبود تحوتى ، وبدأ بناء معبدا فى الكاب ، وأضاف بيت الولادة إلى معبد كوم أمبو ، وأقام مسلتين صغيرتين من الجرانيت أمام معبد إيزيس الكبير فى فيلة ، وأضاف إلى الفناء الخــارجى فى هذا المعبد دهليزا من الأعمدة ، واتم معبد حتحور فى فيلة ، الذى بدأه اخوه بطلميوس السادس ، وأضاف إلى معبدى دابود ودكة .[١]

وتحدثــنا نقوش معبد أدفو بأن الأخوين : بطلميوس التاسع (سوتر الثانى) بطلمــيوس العاشــر (بطلمــيوس الإســكندر الأول) ، أعطيا معبدا ادفو هبات من الأراضــى مساحتها خمسة أميال مربعة وربع الميل . وقد منح بطلميوس العاشر فى عام ٩٥ ق.م معبد اتريب حق حماية اللاجئين . وأضاف بطلميوس التاسع إلى مبانى معبد مدامود ، وأعاد بناء بوابة طهرقا فى معبد مدينة هابو ، وأتم معبد الكاب ، وشيد

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٣٩ – ٤٠ .

أقبية معبد دندرة ، وأتم بيت الولادة الذى بدأه بطلميوس الثامن أمام معبد حورس فى أدفــو ، وأضـــاف إلـــى هذا المعبد الفناء الخارجى ، بما فيه من أعمدة وعددها اثنان وثلاثـــون عمودا ، وأضاف إلى معبد إيزيس الكبير فى فيله ، ونجد آثار منشأت هذا الملك فى كلابشة (تالميس) بالنوبة وفى الواحة الخارجة . أما بطلميوس العاشر فأنه أعـــاد بناء معبد دندرة، وأتم المنشأت التى كان أخوه قد بدأها ، وأتم الجدار الخارجى الـــذى يحيط بمعبد ادفو [١] . ولا نعلم أى شئ عن سياسية التقرب الدينى لبطلميوس الحادى عشر (بطلميوس اسكندر الثانى) .

وأقـــام بطلميوس الثانى عشر (اوليتس أى الزمار) [٢] وكيلوباترا السابعة عـــدة منشـــأت دينية . فقد أقام بطلميوس العاشر مذبحا لإيزيس وخم وهه فى قفط ، وأتم بناء وزخرفة معبد أدفو ، ووضع أبوابا برونزية للبوابة الكبرى فى هذا المعبد ، وزيـــن هذه البوابة بمناظر تمثله وهو يضرب أعداءه فى حضرة حورس معبود أدفو وزوجـــة حـــتحور معبودة دندرة ، وقد ساهم أيضا فى إتمام بناء الجزء الرئيسى من معبد كوم امبو وشيد البوابة الخارجية لهذا المعبد . ونجد صورة وخرطوشة فى عدد مـــن المعـــابد فـــى جزيـــرتى فيلة وبيجه ، وفى الكرنك ودندرة ، مما يدل على أنه خصص جانبا من عنايته وأمواله للديانة المصرية .[٣]

وليس أدل على اهتمام الملكة كليوباترا السابعة بالديانة المصرية من ذهابها فـــى خـــلال العام الأول من حكمها إلى الوجه القبلى ، حيث اشتركت بنفسها ، على رأس جمع حاشد من رجالها وكهنة طيبة وأرمنت فى موكب بوخيس ، عجل أرمنت

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠ – ٤١ .

(٢) أتخـــذ بطلميوس الثانى عشر لقب فيلوباتور فيلادلفوس ، لكنه لم يلبث أن أضـاف إلـــى ذلـــك أيضا لقب " نيوس ديونيسوس " ، راجع د. إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ ، ص ٢٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

المقدس ، وكان يعتبر الصورة المجسدة للمعبود رع ، الذى كانت هى ابنته ، ويضاف إلى ذلك إنها أقامت معبدا فى ارمنت ، صورت على جدرانه القصة التى زعمت فيها أنهـا أنجبت قيصرون من المعبود آمون رع ، وفضلا عن ذلك فأنها أمرت بتصوير نفسها هى وقيصرون على جدران معبد دندرة .(١)

– وبالنسـبة للاتجاه السادس والأخير ، نجد أن ملوك البطالمة ومن قبلهم الإسـكندر الأكـبر كان يحملون ألقابا دينية أو ألقابا مقدسة فى ألقابهم الرسمية ، هذه الألقـاب تضـفى عليهم طابع القداسة عند توليهم العرش تشير إلى أنهم مختارين من قـبل المعـبودات وتجعلهم تحت حماية المعبودات المصرية . وكان الملك بطلميوس الـرابع أول من توج من البطالمة ملكا على نمط ملوك مصر القدماء وأول ملك من الـبطالمة قـرن أسمه بالألقاب المصرية كاملة فى كافة الوثائق الرسمية سواء أكانت مسجلة بالهيروغليفية أم الديموطيقية أم الإغريقية . (٢)

– فـاتخذ الإسكندر الأكبر وفيليب ارهيدايوس اللقب : ستب ان رع ، مرى آمن : معناه " المختار من رع ، محبوب آمون " .

– الإسكندر الرابع : حع – ايب – رع ، ستب ان آمن :

ومعناه " الذى ينعش قلب رع ، المختار من آمون " .

– بطلميوس الأول : مرى رع ، ستب ان آمن :

ومعناه " محبوب رع ، المختار من آمون " .

– بطلميوس الثانى : وسركارع ، مرى آمن :

ومعناه " قوى قرين رع ، محبوب آمون " .

---

(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٤١ – ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

- بطلميوس الثالث : إوع أن نثروى سنوى ، ستب ان رع ، سخم عنخ ان آمن :

ومعناه : " وريث الأخوين (ادلفوى) ، المختار من رع ، الصورة الحية لآمون :

- بطلميوس الرابع : إوع ان نثروى منخوى ، ستب ان بتاح وسر كارع ، سخم عنخ ان آمن :

ومعناه : " وريث المعبودين الخيرين (يورجتيس) ، المختار من بتاح ، قوى قرين رع ، الصورة الحية لآمون " .

- بطلميوس الخامس : إوع نثروى مرى إتوى ، ستب ان بتاح ، وسر كارع ، سخم عنخ ان آمن :

ومعناه : " وريث المعبودين المحبين لابيهما (فيلوباتورس) المختار من بتاح ، قوى قرين رع ، الصورة الحية لآمون .

- بطلميوس السادس : إوع أن نثروى بروى ، بتاح خبرى ، ستب ان رع ، اير ماعت ان امن:

ومعناه : " وريث المعبودين الظاهرين (ابيفانس) ، بتاح الكائن ، المختار من رع ، محقق عدالة آمون " .

- بطلميوس السابع : لم يرد له ألقاب على جدران المعابد المصرية .

- بطلميوس الثامن : إوع ان نثروى بروى ستب أن بتاح ، اير ماعت رع ، سخم عنخ ان امن :

ومعناه " وريث المعبودين الظاهرين (ابيفانس) المختار من بتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون .

- بطللميوس التاسع: اوع نثروى منخوى ، مرى موت ، ندج ، ستب ان بتاح ، اير ماعت رع ، سخم عنخ آمن :

ومعـــناه : " وريـــث المعبوديـــن الخيرين (يورجتيس) ، المحب لأمه ، (فيلو مـــتور) ، المـــنقذ (سوتر) ، المختار من بتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون " .

- بطلمـــيوس العاشر : اوع ان نثر منخ ، سانثرت منخت رعت ، ستب إن بتاح ، اير ماعت رع ، سنن عنخ ان امن :

ومعناه : " وريث المعبود الخير (يورجتيس) ، ابن المعبودة الخيرة (يورجتيس رعيـــت ، المخــتار مـــن بـــتاح ، محقـــق عدالة رع ، الصورة الحية المطابقة لآمون " .

- بطلميوس الحادى عشر : لم يرد له ألقاب على جدران المعابد المصرية .

- بطلمـــيوس الثاني عشر: إوع بانثر انتي تمم ، ستب ان بتاح ، اير ماعت رع ، سخم عنخ أن آمن :

ومعـــناه : " وريـــث المعبود المنقذ (سوتر) ، المختار من بتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون " .[1]

ويتبين لنا أن ملوك البطالمة ومن بعدهم الرومان كانوا يستندون فى حكمهم لمصر القديمة إلى حق الملوك المقدس طبقا لمعتقدات المصريين الدينية .

ووفقـــا لهذه المعتقدات كان الملك دون سائر البشر يتمتع بصفة القداسة فى حياته ولذلك فأنه كان المخلوق الوحيد الذى يستطيع الاتصال بالمعبودات ومن ثم كان الكاهن الأكبر لكل المعبودات .[2]

ويلاحظ فى هذه الألقاب ورود أسماء ثلاثة معبودات مصرية : رع ، بتاح ، آمـــون وذلـــك لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن المعبود رع كان أول الملوك

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ – ٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣ ، ٧ – ٨ .

المعـــبودات الذيـــن حكموا مصر وهو جدهم العلى ، وكان الكهنة يدخلون فى روع الناس أن الملك الذى آل إليه العرش قد أنجبته أمه من المعبود الأكبر فى ذلك الوقت، وتـــدل نقوش الأمثلة الواقعية التى لدينا على أنه المعبود رع فى عصر الدولة القديمة وذلك من قصة خوفو والسحرة والتى تقص علينا أن الثلاثة ملوك الأوائل فى الأسرة الخامســـة كـــانوا مـــن صلب رع . وأصبح آمون يؤدى هذا الدور فى عصر الدولة الحديثة ، وأن الملكة حاتشبسوت وأمنحتب الثالث ورمسيس الثانى قد ولدوا من صلب آمـــون . أى أن هـــؤلاء الملوك كانوا يدينون لهذه المعبودات بمولدهم المقدس ، وبما اسبغوه عليهم من نعم السيادة والقوة والخلود . هذا بالإضافة إلى أن المعبود بتاح يعد من اقدم المعبودات المصرية وكان يعتبر من معبودات الخليقة والنشأة .

وتحدثنا النقوش أن نختنبو الثانى آخر الملوك الوطنيين عندما طرده الفرس فى منتصف القرن الرابع ق.م ، لم يفر إلى بلاد النوبة بل إلى مقدونيا حيث وقع فى حـــب ملكـــتها وأن المعـــبود آمون قد تقمص صورة نختنبو الثانى وخالط أوليمبياس وانجـــب مـــنها الإسكندر ، وقال للملكة : " إفرحى أيتها السيدة لأنك حملت منى ابنا ســـيثأر لـــك ويحكم العالم أجمع "[١] . ونرى فى هذه القصة تشابها كبيرا بينها وبين قصـــة حاتشبســـوت وأمنحتب الثالث وأن الإسكندر أعتنق التقاليد المصرية ليؤكد أنه خليفة الملوك السابقين وأنه أبن المعبود آمون .

وممـــا يؤكـــد هذا الاتجاه عند الملوك البطالمة أنه جاء فى نص لوحة بيثوم الـــذى هـــو عبارة عن نص أصدره الكهنة فى ١٥ نوفمبر عام ٢١٧ ق.م ، بمناسبة انتصـــار الملك بطلميوس الرابع فى معركة رفح ، اسم الملك بألقابه كاملة على نمط الملـــوك الوطنيـــن المصـــريين ، وكتبـــت هذه الألقاب الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، ويذكر النص أن : " المعبود بتاح وافق على هذا الملك " أليس يعنى ذلك أن الملك دخل قدس الأقداس فى معبد بتاح لتتويجه ملكا على مصر [٢] . وقد وردت عبارة مشابهة على حجر رشيد بالنسبة للملك بطلميوس الخامس حيث جاء :

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

" أن أبـــاه (أى المعبود بتاح) قد نصبه ملكا " [١] مما يدل على أن أغلب ملــوك البطالمة لم يجدوا مفرا من الخضوع للتقاليد الدينية المصرية المتوارثة ، كما أن ألقـــاب بطلميوس الخامس قد جاءت على حجر رشيد كاملة وكتبت بالهيروغليفية والديموطيقـــية واليونانـــية وهـــى الألقاب التقليدية الرسمية التى كانت تخص الملوك المصريين السابقين .[٢]

وبمـــا أن الملك كان يدين للمعبودات بمولده المقدس ، وبما اسبغوا عليه من نعـــم الحـــياة والقـــوة والخلود ، فانه كان يعنى بإظهار حبه وإجلاله لهم ، واعترافا بجمـــيلهم وضـــمانا للاحتفاظ بخير العلاقات بينهم وبينه ، لذلك كان الملوك يهتمون بتشـــييد المعـــابد أو بإضافة أجزاء جديدة إلى المعابد القديمة أو بإصلاح هذه المعابد وزخرفـــتها ، كمـــا كانوا يهتمون بإقامة الشعائر الدينية وتقديم القرابين ومنح الهبات لهـــا [٣] . وهـــذا مـــا قـــام به ملوك البطالمة والرومان لكسب عواطف المصريين وبالظهور فى ثوب جدير بخلفاء حقيقيين للملوك المصريين القوميين ، كانوا يتوجون علـــى نهج الملوك الوطنيين ، وحمل ألقابهم التقليدية ، وارتداء زيهم الوطني . ويؤيد ذلـــك هـــو تصـــوير هؤلاء الملوك على جدران المعابد فى أشكال وأوضاع مصرية صـــحيحة فـــى حضـــرة المعبودات المصرية [٤] . بل وتصويرهم على اللوحات فى مظاهر الإجلال للمعبودات المصرية .

ويجـــدر بـــنا أن نذكر أنه إذا كانت الديانة المصرية قد أثرت فى الإغريق وملوكهـــم فأظهروا جلالهم لها وقدموا القرابين لمعبوداتها ، فأننا لا نجد دليلا واحدا علـــى أن شخصـــا مصريا قد قربانا لمعبود إغريقى [٥] . على الرغم من أن النقوش

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

تريـــنا انتشار الجيمنازيا والبلايسترا الإغريقية فى مختلف أنحاء مصر واحتفاظ هذه المنتديات بمعبوداتها الإغريقية مثل ما كانت عليه الحال فى بلاد الإغريق .[١]

وعـــند وفــود الإغــريق على مصر بعد الفتح المقدونى ، أحضروا معهم معــبوداتهم ، وشــيدوا المعابد في المدن الإغريقية الثلاث : الإسكندرية ونقراطيس وبطوليميس .

وفـــى أنحـــاء مصـــر الاخرى حيث كانت تقيم جالياتهم ، ومن العجيب أن الحفائـــر لـــم تكشف حتى الآن إلا عن معبد اغريقى واحد فى الأشمونين من عصر بطلميوس الثالث .

وتذكـــر النصوص معابد أخري : معابد زيوس واسكليبيوس وديمتر وهرقل وبـــان وكـــرونوس فـــى الإســـكندرية ومعابد أبولو وزيوس وهفايستوس فى منف ، ومعبدى زيوس فى القوصية ، وكركيوسيريس وزيوس وديونيسوس واسكليبيوس فى بطلمـــيوس فـــي جنوب سوهاج ، وزيوس اليوسينيوس وديمترا وكورا وديوسكورى وبـــان وتوخـــى فى كر وكوديلوبوليس (الفيوم) ومعبد ديمتر فى كارانيس ، ومعبد إغريقى فى ليكوبوليس .[٢]

اهتم البطالمة بعبادة إيزيس ، وأقاموا لها معبدا فى جزيرة الفنتين ، وأقاموا لهـــا عـــدة معابد فى الإسكندرية ، وما يجاورها . وقد كانت لإيزيس معابد فى طول مصـــر وعرضـــها وكذلـــك ، ونذكـــر منها على سبيل المثال المعبد الذى شيده لها أبولونيوس فى فيلادلفيا بالفيوم [٣] . ولم تكن عبادة إيزيس مقصورة على المصريين والإغـــريق فـــى مصـــر ، بـــل ســـرعان ما انتشرت هذه العبادة فى حوض البحر المتوسط . وكان لها المكانة نفسها فى العصر الرومانى . وكان الإمبراطور الرومانى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

تيتوس ابن الإمبراطور فسبسيانوس محبا للعقائد المصرية ، وانتقلت عبادة إيزيس من مصـــر إلـــى رومـــا منذ القرن الثانى ق.م فقد كان لها معابد فى ديلوس وفى مدينة بيريه ، وكان يعبد بجوارها المعبود سرابيس .

وربما انتقلت هذه العبادة فى ذلك التأريخ بواسطة الإغريق الذين وفدوا إلى عاصمة الإمبراطورية الرومانية من مصر . وربما انتقلت هذه العبادة أيضا بواسطة إغـــريق استوطنوا جنوبى شبه جزيرة إيطاليا أو إغريق جزر البحر المتوسط . وفى بومـــباى ، توجد معابد وبيوت وأثاث قد نقشت عليها مراحل تطور عقيدة إيزيس فى إيطالـــيا . ولقد جاء عرض لها فى قصة ابيليه دى مادور . ووصلت إلى بلاد الغال وشطوط الراين شمال – شرقى الإمبراطورية .(١)

وفـــى عـــام ١٦٨ ق.م صدر أمر بهدم معابد إيزيس وسرابيس المقامة فى رومـــا ، إلا إن السلطات سمحت لاتباع إيزيس بأن يمارسوا شعائرهم الدينية خارج أســـوار مديـــنة رومـــا ، وبعد فترة من الزمان زاد نشاط تلك العبادة ، ونالت عبادة إيـــزيس الكثير من الاهتمام نتيجة لعلاقة الملكة كيلوباترا السابغة بالدكتاتور يوليوس قيصر .

ويلاحظ عموما أن معظم من اعتنق تلك العقيدة المصرية دال شبه الجزيرة الإيطالية كانوا أجانب أو من العبيد بالإضافة إلى عدد من فقراء اليونان . إلا أنه كان هناك بعض سيدات الطبقة الأرستقراطية اللاتى اعتقن هذه العبادة .

وفـــى عصـــر الإمبراطور تبريوس (١٤ – ٢٧ ميلادية) صدر قرار من السناتو عام ١٩م حرمت فيه كل العبادات المصرية واليهودية فى إيطاليا كلها ، على أن يطرد كل اتباع العقائد الدينية الأجنبية خارج إيطاليا إذا لم يرتدوا عن عقائدهم .

---

(١) فرانســـوا دومـــا : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) ، ص ١٠٣ ؛ وأيضا د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العـــربى ، ص ٥٢ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٥ ، ١٥٨ – ١٥٩ ؛ ألفـــه نخـــبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ .

وفى زمن كاليجولا (٢٧ – ٤١م) زاد نفوذ اتباع أيزيس وأصبح لإيزيس سابق نفوذها ، عندما أعاد ذلك الإمبراطور بناء معبدها وضم عبادتها وسيرابيس إلى قائمـــة عــبادات الدولـــة [١] . وفى عصر الإمبراطور كلوديوس (٤١ – ٥٤م) لم تتعرض عبادة إيزيس لأى اضطهاد .

وفى عهد نيرون (٥٤ – ٦٨م) كانت زوجته تتشبه بإيزيس وبعد وفاتها تم الحفاظ على جثتها طبقا للتقاليد المصرية .

وكـــان الإمبراطور آتو من أنصار إيزيس ، وكان يعتنق هذه العقيدة علنا ، وبلغ من نفوذ عقيدة إيزيس آن أصبح أصحابها يمارسون شعائرهم علانية .

ويذكر المؤرخون أن أبن الإمبراطور فسباسيانوس المدعو دوميتيان اعترف بعقيدة إيزيس اعترافا رسميا .

ولا ينـــبغى أن نغفـــل قيمة الصور المرسومة على العملة فى إيضاح بعض العـــبادات الدينـــية مثال ذلك صور معبد إيزيس المرسومة على العملة الرومانية منذ عهـــد فسباسيانوس ، وصورة معبد سيرابيس والمعبودة كوبيلى لأول مرة فى عصر دوميتيان .[٢]

---

(١) دونـــالد وولـــى : حضـــارة روما (ترجمة جمال يواقيم وفاروق زيد ومراجعة د. صـــقر خفاجـــة) دار نهضة مصر للطبع والنشر ، والقاهرة ، ص ٣٧٥ .
وكانـــت تقـــام فى معابد إيزيس طقوس يومية ، كما تقام الاحتفالات الكبيرة ذات الطقـــوس البالغة الروعة فى مواسم معينة من السنة ، ويصف لنا ابوليوس عيد ســـفينة إيـــزيس فـــى الخـــامس من شهر مارس حيث يلبس المحتفلون الأقنعة ويســـيرون فـــى مواكب رائعة وحيث تنزل إلى الماء السفينة المقدسة وفى شهر نوفمـــبر كـــان يجرى احتفال " العثور على أوزير " مع ما يصاحبه من مشاهد درامية مقدسة تمثل الموت والبعث (المرجع السابق ص ٣٧٦) .

(١) د. عـــبد اللطـــيف علـــى : مصـــادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٣ – ١٤٥ (حاشية) .

ومـــا يدل على الأعياد الدينية مثل النقود المزينة بصورة مستوحاه من عيد " سفينة إيزيس " البحرى (بوصفها معبودة هادية السفن وراعية للبحارة) والذى كان يحـــتفل بـــه فى يوم ٥ مارس إيذانا ببدء موسم الملاحة ، وكانت هذه النقود تنثر فى وسط الجماهير .

وقـــد ظـــل قـــواد المديـــنة الذين كانوا ينتمون إلى أسر من الطبقة السناتو متمســكين بهــذه العادة حتى بعد ٣١٢ ميلادية ، فكانوا يسكون هذه القطع البرونزية الصـــغيرة فـــى رأس السنة ، وعليها صور إيزيس وسرابيس وأنوبيس . وظلت هذه العادة قائمة لا فى عهد قسطنطين فقط بل إلى ما بعد عهده بحوالى خمسين عاما .(١)

وعثر فى بلاد اليونان وجزر بحر ايجه على تماثيل تدل على انتشار عبادة بعض المعبودات المصرية الأخرى .

فمـــثلا عـــبادة أمون كانت معروفة أيضا فى اليونان ، فقد عثر فى جزيرة كريت على تمثال من البرونز يرجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، ويبلغ ارتفاعه ١٠ سم ، وهو يمثل المعبود آمون رع جالسا . كما عثر على جعل نقش عليه منظر للمعبود نفسه . (٢)

وعـــثر فـــى ميكيـــناى فـــى كريت على تمثال لبابون (رمز تحوتى) من القيشـــانى الأزرق علـــيه اسم الملك أمنحتب الثانى . وهو موجود الآن بمتحف اثينا تحت رقم ٤٥٧٣ .(٣)

---

(١) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٢) د. عـــبد القـــادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامــــة للكـــتاب ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ (لوحـــة ٣٨) ؛ د. لطفـــى عـــبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦ ، ص ٦٢ – ٦٣ حاشية (٢٥) .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

وفى عصر الدولة الحديثة عثر فى بلاد اليونان أيضا على جعل من الحجر تظهـر عليه علامة الحياة عنخ ، وهى أمام تمثال لأبى الهول المجنح ، ويوجود هذا الجعل الآن بالمتحف البريطانى .(١)

وعـثر فـى إسبرطة أيضا على جعل من القيشانى الأزرق ، ذهبت طبقته اللامعة الشكل ، وفوقه منظر مجنح غير محدد .(٢)

وبالمتحف المصرى ثلاثة ألواح من العصر الرومانى عليها صور مرسومة على الجص عثر عليها فى تونا الجبل . ويمثل رقم ٦٢٤٧ أسطورة أوديب الذى يرى إلى اليمين وهو يقتل أباه لايوس ، أمام اعنويا معبودة الخطأ ، وإلى اليسار يحل لغزا وضـعه له أبـو الهـول أمام المعبودتين " طيبة " و" زيتيما " معبودة الألغاز ، ورقم ٦٢٤٨ يمـثل الكـترا بملابـس الحداد وفى حال يأس أمام مقبرة والدها اغاممنون . ويمثل رقم ٦٢٤٩ ، وهو فى حالة سيئة ، أسطورة جواد طروادة ، ويرجع تاريخ هذا الأثر إلى حوالى بداية القرن الثانى الميلادى .(٣)

– أمـا عـن تأثير الديانة المصرية القديمة عند بعض الممالك والقبائل فى الجـنوب وفى أفريقيا فكان واضحا . فقد كان قامت المعابد المصرية بدور كبير فى نشـر العقـائد المصـرية فى الجنوب وكانت معبودات طيبة وهى أوسع المعبودات انتشـارا فى كوش فى المنطقة من الجندل الثانى حتى السادس ، حيث أصبحت نباتا مـثل طيـبة فـى صعيد مصر ، مقرا رسميا للمعبود آمون رع ، الذى قدس هناك باعتباره سيد القطرين القائم على جبل نباتا المقدس . وشيد له معبد ضخم فى حضن جبل برقل . وانتشرت عبادته فى نباتا ومروى على هيئة الكبش ابتداء من عام ٧٣٠ ق.م كمـا لعبـت عـبادة المعبودة حورس دورا كبيرا أيضا ، وانتشرت فى الجزء الشـمالى مـن كوش (٤) . وعثرنا على نصوص عديدة تذكر لنا المعبود حورس فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ (لوحة ٤٢) .
(٢) لمرجع السابق ، ص ٢٤٥ .
(٣) دلـيل المـتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ (٦٢٤٧ – ٦٢٤٩) .
(٤) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٦٦ .

كوبـــان وحورس فى عنيبه وحورس فى أبو سمبل وحورس فى بوهن . كما انتشرت عبادة الثالوث المقدس فى منطقة الجندل الأول ، والذى كان يتكون من خنوم وساتت وعنقت وصور هذا الثالوث على جدران بعض المعابد الصخرية فى بلاد النوبة ، كما عــبد المعــبود ابــيس الذى اتخذ شكل الثور فى مروى ، كما شيدت المعابد العديدة للمعــبود إيــزيس فى مروى . كما ظهرت صورة المعبود تحوتى معبود الكتابة فى مواكــب المعــبودات المصــرية على جدران معبد الأسد بالمصورات الصفراء عند الجندل السادس .(١)

كمــا أننا نجد أن معبودات نباتا كانت هى نفس المعبودات المصرية . فعلى ســبيل المثال نجد طهرقا يشيد معبدا فى جبل برقل خصصه لعبادة المعبودة حتحور التى كان يرمز إلى الأمومة والحماية والمعطاء . وربما يرجع انتشار هذه المعبودات المصــرية فــى بلاد كوش إلى بساطتها وأدوارها الى كانت أقرب إلى مفاهيم عامة الناس .

كمــا وجدت المعبودات المصرية كل تقدير من جانب ملوك كوش فبعد أن حكم الملك بعنخى لمدة تقرب من اثنى عشر عاما فى مملكة نباتا ، نجد أنه بدأ يتدخل فــى شــئون مصر (عام ٧٣٦ ق.م) وكانت الظروف السياسية فى مصر متاحة له لكــى يوسع نفوذه ، ولكى يظهر بمظهر المنقذ لطيبة التى كانت بالنسبة له – المدينة المقدســة للمعــبود الكبير آمون رع ، ولم ينشغل بعنخى كثيرا بأمر الملك الحاكم – اوسركون الثالث – وكان يرغب فى حماية طيبة ومعابدها المقدسة وكذلك كهنة آمون رع مــن الاضطرابات التى سببها له ملوك الدلتا الصغار لذلك كان الأمر بالنسبة له واجبا دينيا (٢) . وهذا يبين مدى تأثره بالديانة المصرية .

وقد أعد بنفسه جيشا على وجه السرعة وخاطب قواده لحظة الرحيل قائلا :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ – ١٨٧ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

" أنكـم لا تعرفون أن أمون هو الذى أرسلكم "[1] وبعد أن دخل جيشه طيبة وتـابع مسـيرته حتى مصر الوسطى عند منطقة بحر يوسف رأى أنه من الأفضل العـودة نحو الجنوب . وعندما وردت هذه الأخبار إلى بعنخى فى نباتا ، أظهر نوعا مـن الضـيق لأن جيشـه لم يواصل انتصاراته وطارد الحلفاء وغزا الدلتا ، وقرر الذهاب بنفسه إلى مصر فى الصباح قائلا : " بحق حب آمون لى ، فإننى سأذهب إلى مصر شخصيا " .[2]

وعـندما اسـتولى بعنخى على البهنسا وطهنا وهرموبوليس نجد أنه عندما دخـل مديـنة الأشمونين قام بتأدية الطقوس الدينية فى معبد المعبود تحوتى المعبود المحلى . وسلم كل مخازن نمرود حاكم الآشمونين إلى معبد الكرنك .[3]

وفعل الشيء نفسه عندما استسلمت له مدينة اللاهون واستولى على الخزائن الـتى خصصـها أيضا لمعبد بالكرنك . وعندما وصل إلى منف اشترك فى الطقوس الدينـية فـى معبد بتاح وأعاد الكهنة إلى مناصبهم . وقسم الخزائن بما فيها بنصيب متسـاوى بيـن المعـبودات المحلـية وآمون رع فى الكرنك [4] . وعندما أتجه إلى هليوبولـيس بالتطهر فى البحيرة المقدسة ، غامرا وجهه فى الماء المقدس وقام بنحر الأضـاحى المعـتادة إلى المعبود رع ، ثم دخل قدس الأقداس حيث اعترف به كهنة المعبود رع ملكا .

كـان بعـنخى تقيا ومحاربا قويا ، وفجأة عاد إلى عاصمته البعيدة نباتا وقد دفـن بعنخى فى كورو فى أول هرم حقيقى لمجموعة المقابر من هذا الطراز . وقبل أن يغـادر طيـبة عـام ٧٣٢ ق.م عائدا إلى بلاده ارغم العابدة المقدسة لآمون ابنة اوسـركون الثالث – شوب أن أوبت الولى أن تتبنى أخته آمن اردس الأولى كعابدة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

مقدســة وبعد ذلك بقليل شغلت ابنة بعنخى التى تدعى أشوب إن أوبت الثانية الوظيفة نفســها [١] . والجدير بالذكر أن هذا اللقب كان من أهم الألقاب الكهنوتية . كما يوجد فــى متحف اللوفر تمثال صغير للملك طهرقا يمثله راكعا وهو يقدم القرابين للمعبود حورس .

اســتخدم شعب المجموعة الأولى فى بلاد النوبة [٢] نوعين من المقابر لدفن موتــاه : الــنوع الأول عــبارة عن حفر بسيطة مستطيلة أقرب إلى الاستدارة . أما الأخــرى ، وهــى غير منتشرة فهى عبارة عن حفر بيضاوية لها حجرة جانبيه فى مستوى منخفض فى أحد جوانبها يصل عنقها إلى ١,٣٠م وكان المتوفى يوضع على شكل القرفصاء على جانبها الأيمن والرأس عادة إلى الغرب وكان يحيط بالجثة أشياء الاســتعمال اليومى مثل الأوانى الفخارية وأوعية لصحن الغلال من الألبستر وألواح الكحــل من الألبستر والحجر الرملى [٣] . والجبانة الوحيدة التى عثر عليها من هذا العصــر كانــت توجد فى بهان جنوبى الجندل الأول كما عثر على عدد محدود من الجبانات من هذه الفترة بين الجندل الأول ودكة فى المناطق الشمالية للنوبة السفلى [٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩١ .

(٢) يعاصر تاريخ بلاد النوبة تاريخ مصر القديم فى كل فتراته :

- عصور ما قبل التأريخ فى مصر يقابلها فى بلاد النوبة عصور ما قبل الأسرات المبكرة والمتأخرة .
- من الأسرة الأولى إلى الثالثة يقابلها عصر المجموعة الأولى .
- مــن الأسرة الرابعة إلى الأسرة الحادية عشرة يقابله عصر المجموعة الثانية .
- مــن الأســرة الثانــية عشرة إلى الثالثة عشرة يقابله عصر المجموعة الثالثة .

راجــع : وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٤١ ؛ د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٨ .

(٣) وولتر امرى : المرجع السابق ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

وهى ترجع إلى أواخر الأسرة الثانية المصرية والتى تعاصر شعب المجموعة الأولى فـــى بـــلاد النوبة وكان سكان هذه المجموعة لا يختلفون فى مميزاتهم الجسدية عن المصريين فيما قبل الأسرات .

كم إننا نجد أصحاب حضارة كوش يشتركون فى عبادة واحتفالات المعبودة إيـــزيس ، فكـــان رســـل الملوك المرويين يصلون إلى جزيرة فيلة كل عام محملين بالهدايا فى فيلة .[١]

كمـــا إنـــنا نجد صدى للمعتقدات والعادات الدينية المصرية عند أهل كوش فـــنجد أصـــحاب حضـــارة المجموعة الثالثة فى مرحلتها الأخيرة ينتهجون الأسلوب المصـــرى فـــى دفن الموتى ، فنجد أنهم كانوا يوسدون موتاهم على الجانب الأيسر والـــرأس مـــتجه نحـــو الشـــرق . كمـــا عـــثر فى مقابرهم على تماثيل الاوشابتى (المجيـــبات) التى كانت جزءا من المتاع الجنائزى فى المقابر الملكية المصرية [٢] كما أننا نجد أصحاب حضارة نباتا يزينون جدران غرف دفنهم بالمناظر والنصوص الدينـــية المصـــرية التى تحدثنا عن البعث وعن الحياة فى عالم الآخرة التى عرفتها مصر طوال عصورها القديمة ما يدل على مدى تأثرهم بهذه العقائد ومدى تغلغلها فى نفوســـهم . كمـــا عثر فى مقابرهم على جعارين وتمائم مصرية . وكان الجعل (أو الجعـــران) يرمـــز على معبود الشمس فى الصباح . وهو من أكثر التمائم المصرية شعبية . فهو يرمز إلى الوجود المتجدد والدائم .[٣]

وعلى موائد القرابين واللوحات الجنائزية المكتوبة بالخط المروى والتى عثر عليها فى مقابر مروى نجد نصوصا دينية مثل النصوص التى عثر عليها على تمثال للمعبودة إيزيس من جبل برقل ، وعليها أيضا صيغ قرابين لاوزير وإيزيس للمساعدة فـــى توفير القرابين المادية للمتوفى [٤] . كم أننا نجد مجموعة من الابتهالات والدعية

---

(١) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .
(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

الموجهة إلى إيزيس على جدران معبدها فى فيلة .

كما أن معبود النوبة ددون كان يمثل بين المعبودات المصرية فى معابد بلاد النوبة(١) .

ومـــن العوامل التى ساعدت على استمرار مظاهر الحضارة المصرية أمد طويـــلا فى المناطق الجنوبية عاملان : وهما استمرار العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة العليا . وتمسك أهل الجنوب بالديانة المصرية من ناحية أخرى .(٢)

وبقـــى تأثـــير الديانة المصرية واضحا أيضا عند بعض الممالك الخرى فى أفريقـــيا . ففـــى مملكة كانم وحضارة ساو التى قامت حول بحيرة تشاد والتى يرجع تـــاريخ تأسيسها إلى القرن الثامن الميلادى واستمرت فى الوجود حتى القرن السابع عشر . نجد فى الكثير من الصناعات الفخارية المتقدمة والتماثيل ، منها ما هو على هيـــئة رأس الكبش الذى عرفته الديانة المصرية رمزا للمعبود آمون رع . مما يشير إلى وجود تأثير دينى بين أهالى هذه الحضارات وبين حضارة وادى النيل .(٣)

وفـــى مملكـــة جوكـــون فـــى شمال نيجريا ، وهى نموذج آخر من نماذج الملكـــيات المقدسة التى اتخذت من ممالك وادى النيل ومروى مثله الأعلى رغم بعد الزمـــن فكان لهم فى ذلك بعض المعتقدات التى تشابه معتقدات المصريين القدماء . وعلى سبيل المثال نجد ان الاحتفال بالعيد الثلاثينى (عيد سد) للملك عند المصريين القدمـــاء ، قـــد تطور عند هذه الشعوب إلى إعادة الاحتفال بتتويج الملك مرة أخرى كإنما هو توفى ثم بعث من جديد .(٤)

---

(١) جـــاء ذكـــره فى نصوص الأهرام ونجده ممثلا فى معابد فيله وكلابشه واللسيية وأبـــو سمبل ، راجع : Gauthier, Rvue Egyptologique 2(1920), p. 1-41; Otto, in LAI, p. 1003-1004.

(٢) حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٥٥ .

(٣) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٣٩ .

(٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وفـــي غــرب أفريقــيا في حوض نهر النيجر الاسفل أسست قبيلة اليوربا وعاصمتها ايف وتقع حاليا في جنوب نيجيريا ، حضارة هامة ما بين القرنين السادس والثامــن مــيلادية . ويوجد تشابه بينها وبين حضارات النيل والسودان في اكثر من مجــال . فالملكــية عند اليوربا مقدسة كما كانت في مصر القديمة . وبالنسبة للعقائد الدينــية اتخــذت قــبائل اليوربا معبودا أطلق عليه اسم شنجو ، كان معبودا للرعد ، وأتخذوا له قناعا على شكل الكبش رمزا للمعبود آمون رع في كل من حضارة مصر القديمة وحضارة مروى .

كمــا عــثر علـــى تمثال لرأس كبش في ابرى بالقرب من ايف وعثر في لاجــوس علـــى قــلادة حديدية على شكل رأس كبش ، وفيها يظهر التأثير المصرى بوضوح .[1]

ومـــنذ القرن السادس الميلادى أخذت المسيحية تتسرب تسربا منظما وبطيئا إلـــى بلاد النوبة . وقام اسقف فيلة واسوان بدور هام في التمهيد لدخول النوبيين في الدين المسيحى . وكان اعتناق النوبيين الديانة المسيحية إيذانا ببدء تقدم سياسى وثقافى فـــى السودان . وقامت على أنقاض مملكة مروى ثلاث ممالك نوبية مسيحية . فكانت فـــى الشمال مملكة النوبات التى تمتد من الجندل الأول إلى الجندل الثالث وعاصمتها فـــرس . ويلـــيها جنوبها مملكة المقرة التى تنتهى حدودها الجنوبية عند مكان عرف بـــالابواب عند الكتاب العرب بالقرب من كيوشية ، وكانت دنقلا العجوز عاصمة هذه المملكـــة . ثم تاتى مملكة علوة وعاصمتها سوبا التى تقع بالقرب من الخرطوم جنوبا وصارت المسيحية بعد ذلك الدين الرسمى للسودان الشمالى عند أواخر القرن السادس الميلادى ؛ واستمرار الحال كذلك حتى تم استيلاء عمرو بن العاص على مصر عام ٢٠ هـــ ٦٤٠م ، وقامــت حملتان إسلاميتان لغزو تلك الممالك المسيحية في شمال

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

السودان .(١)

وفى الواقع لا نستطيع أن نختم الحديث عن تأثير المعتقدات الدينية المصرية علـــى شـــعوب المناطق والدول المجاورة لها دون الحديث أو الإشارة إلى الأحداث الدينية المؤثرة التى كان مصدرها بعض مناطق الشرق القديم فقد وفد إلى مصر من الشرق القديم بعض الأنبياء والرسل جاءوا يبلغون رسالات ربهم ونشأت تطورات فى العلاقات بينهم وبين ملوك مصر القديمة . وللأسف الشديد لا نعرف متى جاء هؤلاء الأنبياء والرسل وفى عصور من من ملوكها القدماء عاشوا ؟ . ومما لاشك فيه أن ما نادوا به كان له تأثير عميق فى معتقدات بعض المصريين القدماء فى فترات تواجدهم وما بعدها .

وقـــد بـــدأ المســـلمون فى القرن الثالث الهجرى (القرن التاسع الميلادى) يؤلفـــون فـــى تقويم البلدان ، ويصفون أجزاء دولتهم وما يجاورها من أقطار وأمتاز الجغرافيون العرب فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) بأن معظمهم كانوا رحالـــة وجمعـــوا كثـــيرا ممـــا كتبوه بواسطة المشاهدة والأسفار (٢) وألفوا كتبا فى الرحلات والطبقات وأخبار الأمم والملوك والأدب والأنساب والجغرافيا .

وبـــدأ الـــرحالة والأخباريون العرب يتحدثون عن أخبار بعض ملوك مصر القديمـــة فى كتاباتهم ابتداء من القرن الرابع إلى الثامن الهجرى (القرن العاشر إلى الرابع عشر الميلادى) وقد تحدث بعضهم عن بعض الآثار المصرية التى شاهدوها والتى كانت قائمة فى عصورهم كما تحدثوا عن عجائب مصر وما بها من طلسمات

---

(١) د. ســـر الخـــتم العـــراقى : الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أفريقيا الغربـــية حـــتى السادس عشر ، مجلة التاريخ والمستقبل ــ كلية الآداب جامعة المنـــيا العـــدد الثانى ١٩٩٧ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ حياة وأعمال أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٢) د. زكـــى حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦ - ٧ ، ٣٥ .

وبرابى وثغور . كما تحدث البعض الآخر عمن زاروا مصر واستقروا فيها أو ولدوا بها ودفنوا فيها من الأنبياء والرسل الصالحين والصحابة والفقهاء والعلماء والشعراء والأحبار والزهاد .[1]

ولكن يؤخذ على ما كتبون ما يلى :

(١) أن معظم رواياتهم مشبعة بقصص السحر والأساطير وخاصة بالنسبة لبعض أسماء ملوك مصر القديمة وأعمالهم وكذلك بالنسبة لأسماء زوجاتهم وأولادهم . فمن أين أتوا بهذه الأسماء ؟

(٢) أن كل ما دونوه من روايات عن الآثار المصرية وتاريخ مصر القديم يخلو من الاعتماد على المصادر التاريخية الأصلية (التى لم تكن معروفة حتى وقت مجيئهم) ويعتمد فقط على الرواية الشفهية المتداولة والمنقولة .

(٣) أن معظم هؤلاء الرحالة والإخباريين كانوا لا يعرفون قراءة اللغة المصرية ولهجاتها ، ولهذا جاءت معظم كتاباتهم خالية من القراءات السليمة والحقائق التاريخية الثابتة ، وكل ما ذكروه يدخل تحت باب التخمين والتفسير الخاطىء.

---

(١) راجع :

- الكندى : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه بالقاهرة ، دار الفكر ببيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ – ٤٤ .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، المجلد الخامس ، ١٩٨٤ ، ١٣٨ ، ١٤٢ – ١٤٣ .
- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٨٣ – ٨٥ ، ١٠٧ – ١٠٩ ، ١٤٣ .
- ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ، الجزء الأول – القسم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٩ – ٣١ ، ٣٣ – ٣٦ .

وكـــان سيدنا آدم أول من دعا لها (أى لمصر) بالرحمة والخصب والرأفة والــبركة . وعن أبن عباس أن نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيصرحام فقال اللهم أنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغــوث العــباد التى نهرها أفضل أنهار الدنيا وأجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم وقواهم عليها .

وقال كعب الاحبار لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت إلا مصر فقيل له لــم فقـــال لأنهـــا بلد معافاة من الفتن ومن أرادها بسود أكبه الله على وجهه وهو بلد مــبارك لأهلـــه فيه ... ويقال أن فى بعض الكتب الإلهية مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله تعالى .(١)

كـــان أول من دخلها سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء (٢) وتذكر التوراة أن الخليل

---

(١) المقريـــزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) الجزء الأول ، دار صادر بيروت ، ص ٢٧ .

(٢) المقريزى : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

ويـــرى بعـــض الكتاب أن سيدنا إبراهيم قد نشأ قبل الميلاد بنحو ألفى عام ، راجع : زكى شنوده : المجتمع اليهودى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ص ٥ .

ومـــن ناحية أخرى نعلم أن الملك ششنق الأول فى الأسرة الثانية والعشرين (٩٥٠ – ٩٢٩ ق.م) قـــد قـــام بحملة على فلسطين وسجل انتصاره هذا على الجدران الخارجية لبهو الأعمدة الكبيرة فى معبد الكرنك ، وقد مثل فوق رؤوس الأســـرى الذيـــن يمثلون أهالى مائة وستة وخمسين موقع وأماكن فى فلسطين ، ومن بينها نجد أسماء عديدة معروفة فى الكتاب المقدس ، ومن بين هذه الأسماء " حقـــل إبراهـــيم " وهـــذا يمثل أول ذكر تاريخى لسيدنا إبراهيم فى النصوص المصرية ، راجع : د. رمضان السيد ، معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٥٤٤ .

علــيه الســـلام قد أقام ما شاء الله أن يقيم فى أرض كنعان [١] ثم رحل عنها صوب أرض النيل الطيبة بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان . وقد جاء خليل الله عليه السلام إلـــى مصر مع زوجته ساره ، وإذا كان سيدنا إبراهيم قد جاء إلى مصر ليصيب من خـــيراتها ، فأنه جاء أيضا ليسمع ما يقول رجال الدين فى أمر الله [٢] . ثم عاد مرة ثانـــية إلى أرض كنعان ثم انجبت زوجته سيدنا يعقوب ، الذى جاء هو وعشيرته إلى مصر بحثا عن مورد الرزق الدائم فى ربوعها فى زمن القحط .

وجـــئ بسيدنا يوسف إليها وكان صغيرا وتربى فيها وشاب وأصبح ذا شأن كبير ، مصداقا لقوله تعالى :

" وقـــال الـــذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه . عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث " .[٣]

ويذكر المقريزى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ (١٤٤١م) " أن سيدنا يوسف هو أحـــد الأسباط الاثنى عشر ولد بأرض كنعان فى بلاد الشام ورأى الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكاد له أخوته على ذلك وباعوه إلى قوم من مدين فساروا به إلى مصر وباعوه لقائد ملك مصر فأقام فى منزله اثنى عشـــر شـــهرا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فأعتصم وكذبت عليه إلى أن حبس ومكث فى السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل فى السجن إلى أن رأى الساقى والخـــباز وفســـر لهما يوسف حلمهما وخرنا ونسى الساقى سنتين إلى أن رأى الملك الـــبقر والسنابل فذكره واتاه فقص عليه الرؤيا وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ

---

(١) كـــان هذا اللفظ يطلق فى البداية على الساحل وغربى فلسطين ، ثم شمل الاسم الجغـــرافى المـــتعارف عليه الآن فلسطين بالإضافة إلى جزء كبير من سورية القديمة .

(٢) د. بـــيومى مهـــران : دراســـات تاريخـــية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥ حاشية (٢) ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٣) سورة يوسف : آية ٢١ .

ثلاثون سنة فأستوزره الملك من ذلك الوقت إلى أن سار سيدنا يعقوب إلى مصر التى شـــهدت تســـع سنين منها سبع سنين من سنى الشبع وسنتان من سنى الجوع . وكان لـــيعقوب فـــى السنة التى سار فيها إلى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان أهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ أن سار إلى مصر إلى أن ولد سيدنا موسى عليه السلام مائة وثلاثـــون سنة أخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفى وعمره مائة وسبع وأربعون سنة فخاف الأسباط حينئذ مقابلة يوسف أياهم فقالوا أن أباك أوصى أن تغفر ذنـــب أخوتك فأنك وهم بيد الله إله أبيك فبكى يوسف وقال لهم لا تحتاجون إلى ذلك ووعدهم بخير تممه لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشر سنين والله أعلم " [١] وأن سيدنا يوسف هو الذى عمر مدينة الفيوم وأمر بحفر الخليج بها وبناء القناطر بها وأن الريان بن الوليد (؟) هو فرعون سيدنا يوسف " .[٢]

ويـــرى بعـــض العلماء أن بنى إسرائيل عندما جاءوا إلى مصر كانوا اثنى عشر رجلا ، وأنهم دخلوا فى عصر الهكسوس (؟) .[٣]

كمـــا يـــرى بعض المفسرين أن اسم " إسرائيل " لقب لنبى الله يعقوب نفسه

---

(١) المقريزى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤١ – ٢٤٦ .

(٣) Mayani, les Hyksos et le Mond de la Bible, p. 154, 161; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 108; Pirenne, la Società Hebraique d`apres la Bible, p. 29, n. (1) Lalouette, L`Empire des Ramsés, p. 46, 259. n. 166, p. 490 .
وأيضا :

د. بـــيومى مهـــران : المرجع السابق ، ص ٨٢ ؛ د. رزق الطويل : بنوا إســـرائيل فـــى القرآن ، ١٩٨٠ ، ص ١٧ . ويرى بيرن أن الهجرة حدثت فى عصر الأسرة الثالثة عشرة ، وأن سيدنا يوسف اشترى فى مصر أثناء حكم ثلاثة من ملوك هذه الأسرة فى تانيس ، وهو أمر مشكوك فيه .

راجع : Pirenne, op. cit., p. 26-29 .

وأصـــله بالعـــبرية " يســـرائيل " ومعناه " المحب لعبادة الله وطاعته " [١] وهو رأى مشكوك فى صحته (؟) وليس له سند من الصحة .[٢]

ويبدو أن حياتهم فى مصر ، كانت خصبة ، وفى البداية عاش بنو إسرائيل فـــى مصر فى عزلة تامة [٣] . مثلهم فى ذلك الوقت مثل أية أقلية أجنبية فلم تحدثنا النصـــوص المصرية الرسمية عن وجود بنى إسرائيل فى مصر ، لأنهم كانوا قليلى العـــدد ولم يكن لهم أى دور فعال فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى مصر ، سوى أنهـــم كـــانوا مثل غيرهم ربما كانوا يعملون فى المنشآت المعمارية للملوك ومشاريع الدولة المختلفة .

وأن وجودهم فى مجملة لم يترك أثرا ذا بال يدل على مساهمتهم الفعالة فى مجال العمارة المصرية ، وعجزهم كذلك عن التأثير فى تقاليد مصر الدينية واللغوية

---

(١) د. رزق الطويل : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) يذكـــر ابـــن كثير نقلا عن ابن عباس " كان إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام يعتريه عرق النسا وكان يقلقه ويزعجه عن النوم " . وفى رأى آخر أن إسرائيل لـــيس هو سيدنا يعقوب بل كان " عبدا شكورا من تبعية سيدنا نوح مصداقا لقوله تعـــالى : وأتيـــنا موسى الكتاب وجعلناه هدى لنبى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكـــيلا ، ذريـــة مـــن حملنا مع نوح أنه كان عبدا شكورا " (الإسراء : الآيات ٢-٣) أى أنهـــم مـــنذ عصر سيدنا نوح ، ثم تفرقوا فى الأرض شمالا وجنوبا وشـــرقا وغربا ، أذن إسرائيل هو المقصود بصفة " العبد الشكور " وليس سيدنا نـــوح وكـــل سلالة بنى إسرائيل ترجع إلى " إسرائيل " المنوه عنه فى هذه الآية وأن سيدنا موسى بعث فى هذه الذرية بعد قرون طويلة جدا وتثبت هذه الآية أن " إسرائيل " الذى كان مع سيدنا نوح كان موجودا من قبل أن تنزل التوراة على ســـيدنا موســـى ، راجع : يحيى كامل : رسالة الإسلام الجزء الأول ، مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ١٩٧٥ ، ص ٨٥ ، ٨٩ .ونقرأ فى سورة مريم: الآية ٥٨: " أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل " .

(٣) عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القرآن الكريم ، ١٩٨٠ ، ص ١١ .

وحـــدث علـــى العكـــس أنهـــم تأثروا هم أنفسهم بهذه التقاليد وتطبعوا بها وبمظاهر الحضارة المصرية المختلفة .

أمـــا عـــن المدة التى قضوها فى مصر ، فيرى بعض الكتاب أنها أربعمائة وثلاثون سنة .(١)

ونشأ سيدنا موسى من رسل الله الكرام أولى العزم فى أرض مصر ويمكن القـــول بأنه كان يحمل أسما مصريا جاء من كلمة " مس – سو " تعنى " أنه ولد " أو " المولد " .(٢)

ويذكـــر المقريزى أيضا " أن سيدنا موسى عليه السلام ولد فى سنة ثلاثين ومائة لقدوم سيدنا يعقوب إلى مصر وفى سنة أربع وعشرين وأربعمائة لولادة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ولمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان " .(٣)

وتـــربى ســـيدنا موسى فى ظل الحكم والتعاليم المصرية القديمة والمظاهر الحضـــارية المخـــتلفة (٤) . والتى كانت معروفة فى عهده . وكان لهذا كله أثره فى تكوينه الثقافى ودوره كرسول ورجل قانون ، مصداقا لقوله تعالى :

" ولما بلغ أشده واستوى أتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين " .(٥)

وأصـــبح لســـيدنا موســـى شان كبير فى مصر وذو نفوذ قوى ، ويبدوا أنه تعـــاطف مـــع الأقليات الأجنبية التى كانت موجودة فى مصر فى ذلك الوقت ، وذلك نظـــرا لطبيعـــته الســـمحة الخيرة ، وذلك قبل أن يبلغ بالرسالة ، وكان من بين هذه

---

(١) زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٢) بيـــير مونتـــيه : الحـــياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٧٨ . وأيضا : Lalouette, op. cit., p. 259 .

(٣) المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) الجزء الثانى ، دار صادر بيروت ، ص ٤٦٦ .

(٤) أى أنه تعلم العلوم والمعارف والآداب والحكم المصرية ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 260 n. 170 et p. 491.
وأيضا زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٥) سورة القصص : آية ١٤ .

الأقليات قبيلة بنى إسرائيل الذين كانوا عرضة لاضطهاد فرعون والتنكيل بهم .

ونجـد أن آيات القرآن الكريم غنية بالحديث عن سيدنا موسى (الذى ورد أسمه ١٢٩ مرة) وفرعون (وذكر ٦٧ مرة) وبنى إسرائيل (ذكروا ٣٦ مرة) (١) ومصر (ذكرت ٥ مرات)(٢) .

ويكفي الحضارة المصرية القديمة فخرا أن سيدنا موسي عليه السلام ، نشأ وتربى على ارض الحضارة المصرية ، وعاش فى عصر أحد ملوكها القدماء ، الذى لا نعـرف أسمه ولكنه لقب بلقب فرعون ، حتى اختاره الله سبحانه وتعالى كرسول ليبلغ رسالة الإيمان والتوحيد إلى فرعون مصر (٣) . ولكن فرعون وآله كفروا بآيات

---

(١) إسماعيل إبراهيم : فى معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ص ٥٠ .

(٢) سـورة البقرة : آيـة ٦٠ ؛ يونس : آية ٨٦ ؛ يوسف : الآيات ٢٠ ، ٩٨ ؛ الزخرف : آية ٥٠ .

(٣) سـورة الأعـراف : الآيات ١٠٢ – ١٠٣ ؛ هود : الآيات ٩٥ – ٩٦ ؛ طه : الآيات ٢٣ – ٢٥ .

يـرى المسعودى الذى توفى فى عام ٩٥٦ ميلادية (فى مؤلفه مروج الذهب معـادن الجوهر ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، دار المعرفة بـيروت ، لبـنان ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥٨) إن فـرعون سـيدنا موسـى هـو " الولـيد بـن مصعب " (؟) وكان إما من الشام أو من العماليق أو من الأقباط ، راجـع أيضـا : المقريـزى : كـتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) الجزء الأول ، دار صادر بيروت ، ص ٧١ ؛ الجـزء الثانى ، ص ٤٦٦ ويذكر المقريزى (المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤٦) إن فـرعون الزم بنى إسرائيل البناء وضرب الطوب اللبن فبنوا له عـدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال الشاج هى الفيوم وحوف رمسيس وفى زمان الريان بن الوليد (؟) دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسـبعون نفسا ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس إلى الفرما وهى أرض ريفية برية " .

الله عــز وجــل ، فكان عقابهم الهلاك (٤) . إلا أن بعض المصريين – بالرغم من ذلك – استجابوا للرسل والأنبياء الذين نادوا بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، وعندما بلغ سيدنا موسى بالرسالة وطلب من المصريين عبادة الله وحده وترك العبادات الأخرى ، دخــل الــبعض مــنهم فى ديانة سيدنا موسى رغم معارضة فرعون وتهديده لهم ، وترتبت على ذلك بتر أيديهم وأرجلهم وصلبهم .(٢)

وذلــك مما يدل على إن البعض منهم حاول أن يبحث عن الإيمان الحقيقى بــالله عز وجل فوجده على يد سيدنا موسى . وربما نسى البعض الآخر نفسه وخالقه وأخذه تيار الغرور بما انتج وبما وصل إليه من تقدم حضارى وسار بعيدا عن طريق الأيمان والوحدانية . فقد آمن سحرة فرعون (٣) وكان هناك من آل فرعون نفسه من عــرف الإيمــان بــالله عز وجل ولكنه لم يعلن إيمانه وكتمه (٤) . بل نجد أن امرأة فرعون أيضا قد أمنت برسالة سيدنا موسى عليه السلام .(٥)

وقــد وصف القرآن الكريم ديانة سيدنا موسى بأنها إسلام الإنسان وجهه الله ســبحانه وتعــالى ، فلمــا جاء الإسلام تضمن المبدأ نفسه ، حيث إن جميع الديانات السماوية جاءت بوحدانية الله سبحانه وتعالى ولا اختلاف فى ذلك بينها .

وممــا يــدل علــى المكانة التى خص بها الله عز وجل أرض مصر الآية الكــريمة : " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين " .(٦)

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠ ؛ الأعراف : أية هو ١٠٢ ؛ الانفعال : الآيات ٥١ ، ٥٣ ؛ هود : الآيات ٩٦ – ٩٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٢٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ١٢٠ – ١٢٢ .

(٤) سورة غافر : آية ٢٧ .

(٥) سورة التحريم : آية ١٠ .

(٦) سورة يونس : آية ٨٧ .

وفى جبانة البجوات فى الواحة الخارجة ، والتى يرجع تاريخها بالتحديد بين القرن الرابع والقرن الثامن الميلادى ، نرى بقايا آثار مسيحية منها بقايا خمسة هياكل بهـا نقـوش ملونـة ، أكثر مناظر دينية من قصص العهد القديم ، كقصة سيدنا أدم وحـواء ، وقصـة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل ، وقصة سيدنا نوح ، وقصة خروج بني إسرائيل من مصر.(١)

ولا يزال يوجد بمنطقة مصر القديمة أثر يحكي قصة مجيء السيدة العذراء والسيد المسيح عليه السلام إلى مصر ، ونعنى بذلك كنيسة " أبو سرجة " حيث يوجد فـى أسفل الهيكل مغارة يقال أن السيدة مريم آوت إليها لتحمى السيد من المسيح من انتقام هيرودوس الذى كان قد عزم على قتله كما جاء فى إنجيل متي :

" وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : " قم وخذ الصـبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودوس مزمع أن يطلب الصبى ويهلكه " .(٢)

ويقول أهل كفر أبو مسلم مركز أبو حماد محافظة الشرقية عن الشيخ سليم او مسـلم بن يوسف أى يعقوب الهمذانى الذى وصل إلى مصر سنة ٦١٠ هـ (٣) . أنه اختار هذه البقعة لتكون ضريحا له لماضيها الحافل بالأحداث والذكريات الدينية ، فيقال أنها كانت ممرا لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عند دخوله مصر ، وكما إنها كانت هى وما حولها مخازن للغلال فى عهد سيدنا يوسف الصديق (٤) ، وإنها كانت

---

(١) تـاريخ الدولـة القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٤٢٤ .

(٢) د. حسن باشا وآخرون : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص ٤٧ .

(٣) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٩ .

(٤) يـرى المسـعودى الذى توفى فى عام ٩٥٦ ميلادية " المقريزى الذى توفى فى عـامى ١٤٤١ م ، إن فـرعون سيدنا يوسف هو " الريان بن الوليد " العملاقى (؟) ، راجع : المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق ===

مكانا لبنى إسرائيل وأنهم ذبحوا بقرتهم التى ورد ذكرها فى سورة البقرة بها .(١)

وهـناك مشهد بالقرافة الجنوبية على بعد مائة متر شمال مسجد لؤلؤة يطلق علـيه مشهد أخوة يوسف ، ويقع هذا المشهد ضمن مجموعة المقابر والأضرحة التى ترجع إلى عصور متأخرة معظمها من العصر التركى . (٢)

ويذكر ابن أياس ٩٣٠ هـ - ١٥٢٤ م فى مؤلفه :

" ذكـر مـن دخل مصر من الأنبياء عليهم السلام : قال أبو عمر محمد بن يوسـف الكـندى فى كتاب " فضائل مصر " : دخل مصر من الأنبياء ثلاثين نبيا ، علـيهم السـلام ، مـنهم إدريس ، ويقال له هرمس ، وإبراهيم الخليل ، وفى بعض الأخـبار إن إسـماعيل بـن إبراهيم دخل مصر أيضا ، نقل ذلك الشيخ جلال الدين السـيوطى ؛ ويعقـوب ويوسـف واثنا عشر من ولد يعقوب ، عليهم السلام ، وهم الأسـباط ، ولـوط ، عليه السلام ؛ وولد بها موسى ، وهارون ، ويوسع بن نون ، علـيهم السلام ؛ ودخلها دانيال ، وأرميا ، وعيسى بن مريم ، عليه السلام ، وسليمان ابن داواد ، عليهما السلام ، نقل ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى ، وذكر أن أيوب ، عليه السلام ، دخل مصر ". (٣)

ويذكر لنا ابن ظهيره (ربما ٨٨٥ أو ٨٩١ هـ) ما كان بمصر من ثغور الرباط :

== محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ١٩٨٢، ص ٣٥٨ ؛ المقريـزى : كـتاب المواعـظ والاعتـبار بذكـر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) الجزء الأول دار صادر بيروت ، ص ٧٥ .

(١) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) ابـن ايـاس : بدائـع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب لها المقدمة محمد مصـطفى ، الجـزء الأول – القسـم الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩ .

" وبمصـــر مـــن البقاع الشريفة : الجبل المقطم ، والوادى المقدس ، وبها الطور . وبها ألقي موسي عصاه . وبها انفلق البحر لموسي . وبها النخلة التي امرت (مريم بهزها وبها النخلة التى أمرت أن تضع عيسى تحتها . فلم يثمر غيرها ، وهى بالجيزة) وبها الجميزة التى صلى تحتها موسى ، وهى بطرا (أى طره) .[١]

وإقامـــة الحواريـــن معه بمدينة البهنسا غير منكورة . وبركة عيسي عليه السلام ظاهر ببئر البلسم التى بأرض المطرية ، ودلوته لأهل البهنسا مشهورة . وأما الطور المقدس الذى كلم الله موسى عليه السلام من جبلها المقطم فهو داخل فيها ، وقد وقـــع فيه التقديس ، كما قال كعب الاحبار ، قال تعالى : " وناديناه من جانب الطور الأيمـــن وقربناه نجيا " (مريم : ٥٢) وقال تعالى : " إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى " (= طه : ١٢) . [٢]

قـــال ســـعيد بن عفير : لما فر موسى من " منف " خوفا من فرعون دخل طوى ، فكانت كل شجرة فيه إذا سجد تسجد معه ، شكرا لله عز وجل ، ولذلك ترى كـــل شـــجرة بطـــوى منكسة إلى القبلة ، وأن موسى عليه السلام ناجى ربه بوادى المقطم " .[٣]

وســـمى " المقطـــم " لأن المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام كان ينزله ".[٤]

---

(١) ابـــن ظهيره : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ١٩٦٩ ، ص ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

خامسا – بالنسبة للحياة الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف وما لها من تأثير على ثقافات بعض الشعوب الأخرى :

فيمكـن القـول بـأن العـامل الثقافى للحضارة المصرية القديمة كان أكثر العوامـل تأثيراً وأسرعها فاعلية وأكثرها بقاءاً ودواماً بين الشعوب المحيطة بمصر والتى اتصلت بها من الشرق والغرب والشمال والجنوب . وانتشر هذا التأثير الثقافى عن طريق اللغة والكتابة والأدب .

فبالنسبة لبلاد الشرق الأدنى القديم :

نقـول أن اللغة المصرية القديمة وخاصة الأبجدية السينائية قد أثرت اللغة المصـرية القديمة فى العديد من لغات بلاد الشرق القديم وكانت الكتابة الهيروغليفية المصـدر الرئيسى الذى اعتمدت عليه " الأبجدية السينائية أو مخربشات شبه جزيرة سـيناء " والتى كانت بدورها مصدراً هاماً للخط المسند .[1] والكتابة الفينيقية ، والتى

(١) تـرجع الكـتابة الـثمودية القديمة إلى ما قبل عام ١٠٠٠ ق.م وهى تتشابه مع حـروف الكـتابة البروتوسينائية ، فإن الكتابتين الثمودية القديمة والبروتوسينائية تتشـابهان فـى خصائصهما ، فى طريقة الكتابة أفقية ورأسية ، وبهما حروف مـزدوجة أى المؤلفة من حرفين متصلين ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٤٢٤ .

كمـا تحدث د. عبد المنعم فى مقال منفصل عن : " دور الإسكندرية سينا القدمـاء فى نشأة الخط المسند (اليمنى القديم) " وذلك فى المؤلف نفسه ، ص ٤٥١ – ٤٦٢ ، ونشـر هـذا البحـث أيضا فى مجلة الداره ، التى تصدر فى الـرياض ، العـدد الأول ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٢٠٣ – ٢١٤ . وذكر أيضا أن الأبجديـة البروتوسـينائية قـد انتقلت إلى اليمن وحضرموت عبر منطقة مدين (راجع ص ٤٦٠) .

انتشــرت فــى مخــتلف الــبلاد المطلة على البحر المتوسط .[١] وكان الخط المسند والكــتابة الفينيقــية همـــا الأصل الذى تطورت عنه عدة كتابات .[٢] هذا مع مراعاة التطور والتغير فى أشكال الحروف .

ففى عام ١٩٠٥ أعلن الأثرى الإنجليزى بترى عن كشفه نصوصا عديدة فى شــبه جزيــرة ســيناء كتبت بخط غير معروف فى ذلك الوقت ، وانه يشبه الكتابة الهيروغليفــية المصــرية . وبلغ مجموع الرسوم التى اكتشفها بترى أكثر من ثلاثين علامة ، وأعلن جاردنر، بعد عشر سنوات من تاريخ كشف بترى لهــذه النصوص، تمكنه من حل بعض رموزها وبدأت المحاولات فى تنظيمها على أساس أبجدى . وقد لاحــظ جاردنــر علــى ســت مــن هــذه الأشــكال قــربها مــن معــانى بعض

---

(١) ألفـــه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) مكتــبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ نشر ، ص ٦١٨ حاشية (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : نظرات عابرة فى العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم فـــى مجلة عالم الفكر – المجلد الثانى – العدد الثالث ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ١٦٨ ؛ د. بــيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الحضارة المصرية ، ص و – ذ (المقدم) وأيضا :

Montet, Byblos et L'Égypte, p. 48

(٢) مـــن المســـند اشـــتقت الكتابات الحميرية ، اللحيانية ، الثمودية ، الصفوية ومن الفينيقـــية اشـــتقت مجموعـــة كبيرة من الكتابات منها : اليونانية (ومن اليونانية الاتروســكية ومـــن الأخيرة اللاتينية ، ومن اليونانية جاء أيضا الخط القبطى) البونـــية الآرامـــية (ومـــنها جاءت النبطية ومن النبطية جاءت العربية ، ومن الآرامية جاءت أيضا التدمرية والرسيانية) العبرية القديمة .

راجـــع الجـــدول الذى اعده د. عبد المنعم عبد الحليم فى مؤلفه : البحر الأحمـــر وظهـــيره فـــى العصـــور القديمـــة ، ص ٢٥٣ ، عـــن الأبجدية الأم (البروتوسينائية) وتفرعاتها .

الحروف فى الأبجدية العبرية واليونانية . واعتمد مبدئيا فى ذلك على أربعة أو خمسة حـروف (أصـوات) ذكرت أكثر من مرة فى هذه النصوص : عصا (الراعى ، بيت ، عين ، خطاف ، صليب . وقد قرأ كلا منهما كحرف أبجدى عبرى . وتوصل جاردنـر أيضـا إلى معرفة ان هذه النصوص هى الأصل فى ابجدية معظم اللغات الأوروبية.(١) التى اشتقت أساساً من اليونانية والتى جاءت منها الاتروسكية واللاتينية .

وقـد ارتفع عدد النصوص السينائية بعد ذلك إلى حوالة ٢ نصا وذلك على اثـر قـيام بعثات حفر ودراسات متتالية فى منطقة سرابية الخادم بسيناء (من بينها ثـلاث بعـثات قامـت بهـا جامعة هارفارد الأمريكية) وظل الكثير من اصل هذه النصوص حتى عام ١٩٤٨ غامضا حتى كشف اعضاء جامعة كاليفورنيا الأسس التى استطاع بها علماء الدراسات الشرقية حل رموزها تلك النصوص . وقد أمكن معرفة تاريخ هذه النصوص من إنها من القرن الخامس عشر ق.م (٢)

اخـتلف الباحـثون فى زمن اختراع البروتوسيانية ، فبعضهم يرى إنه فى عصر الدولة الوسطى ، وبالتحديد فى عصر الأسرة الثانية عشرة بينما يرى آخرون إنهـا تـرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة وبالتحديد إلى عصرى حاتشبسوت وتحوتمس الثالث .(٣)

وإذا تخطينا حدود سيناء إلى فلسطين ، نجد انه منذ عام ١٩٣٠ كشف على الاقل عن ثلاثة نصوص قصيرة بالنصوص السينائية ، وتأكد إنها مؤرخة بين ١٨٠٠ و٥٠٠ ق.م ، وهـى نصـوص من جزر ، ششم لاخيش . وقد بلغ مجموع حروفها الأبجدية أربعة عشر حرفا.(٤)

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .
(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .
(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

وقـد ظهـر فى النصف الأخير من الألف الثانى ق.م فى سوريا وفلسطين خطـوط أو كـتابات جديدة لها مقاطع ، وكان من هذه الخطوط ما هو متأثر بالكتابة الهيروغليفـية مباشـرة وهـى الجبيلـية (نسـبة إلى مدينة جبيل) وما هو متأثر بالمخربشات السينائية (التى هى صورة من صور الكتابة الهيروغليفية المختصرة) ومنها جاءت الفينيقية ، وما هو متأثر بالكتابة المسمارية ، وبالتالى اصبح هناك ثلاث كتابات ، وهى :

- (أ) فمـن الكـتابة الهيروغليفية جاءت الجبيلية ، فقد عثر العالم الفرنسى دوناند Dunand فـى جبـيل عن اثنى عشر نصا ، وقد ظهرت هذه النصوص على بعض أجـزاء مـن لوحات من الحجر وأدوات من البرونز وعلى تمثال صغير وكتبت هذه النصـوص بخـط لـم تعرف مقاطعه من قبل . وقد سمى بالهيروغليفيى – المخادع Pseudo Hieroglyphic . وتـرجع هذه النصوص إلى القرن الثامن عشر والقرن الخامس عشر ق.م .(١)

- (ب) ومن مخربشات سيناء اشتقت الكتابة الفينيقية .(٢) فقد استخدمت هذه الكتابة الكثـير مـن الأبجدية المصرية القديمة . وسجلت هذه الكتابة على آثار تخص أمراء وحكام جبيل .

ومن هذه الفينيقية جاءت الآرامية (التى اشتقت منها النبطية ثم العربية) ، العـبرية القديمة ، اليونانية (التى اشتقت منها القبطية وكذلك الاتروسكية التى جاءت مـنها اللاتينـية) . وتـرجع الكتابة الفينيقية إلى القرن الثامن عشر والخامس عشر ق.م (٣) .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : السابق ، ص ١٧٤ .
(٢) موسـوعة المجـالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ المجلدان السادس عشـر والسـابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، وص ٢٥ – ٢٧ ، وعن الأصل المصرى للأبجدية الفينيقية ، راجع : Mallon, BIFAO 30 (1931), p. 131-151.
(٣) د. عـبد الحمـيد زايد، ص ١٦٩ ، د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٤٧ .

- (جـــ) ومـــن الكـــتابة المسمارية جاء الخط الاوجاريتي أو الاوجاريتية (راس الشمرا) وقد تأثر هذا الخط كثيرا بالأبجدية إلى القرن الرابع عشر ق.م (١)

وفى الواقع من الصعب تحديد متى استعارت اليونانية الأبجدية الفينيقية ربما فـــى القـــرن الثانى عشر ق.م ؛ ونعرف أن الآرامية اشتقت من الفينيقية أيضا ربما كذلـــك فـــى القرن العاشر ق.م ؟ وقد انتشرت الآرامية فى مناطق عديدة فى سورية القديمـــة وفلســـطين . ومن الآرامية اشتقت الكتابة النبطية فى القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادى فى شمال الحجاز . وعثر فى شبه جزيرة سيناء على ما لا يقل عـــن ثلاثـــة آلاف نـــص نـــبطي . ومنذ القرن السابع الميلادى حلت العربية محل النبطية .(٢)

تحـــدث د. عبد المنعم فى مقال بعنوان : " صلات الأنباط بمصر من خلال الـــنقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية " (٣)عن النقوش التى تنتشـــر فى صحراء مصر الشرقية انتشارا واسعا من ساحل مصر الشمالى عند قرية " المحمدية " إلى الشرق من بورسعيد ، حتى المناطق الواقعة إلى الجنوب من وادى الحمامات ، ويبلغ عددها ٨١ نقشا . ويرجع أقدمها إلى أواخر العصر البطلمى (أى مـــا بين أعوام ٥٠ – ٣٠ ق.م) ويرجع أحدثها إلى منتصف القرن الثالث الميلادى وأواخر القرن الرابع الميلادى .

---

(١) د. عـــبد الحمـــيد زايـــد ، ص ١٧٠ ؛ وأيضـــا : Montet, Revue Syria (1929), p. 12 - 13 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٣) نشر هذا البحث فى موضعين : فى مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، المجلد الأول ١٩٨١ ، ص ٤٢ – ٦٣ ؛ د. عبد المنعم عـــبد الحلـــيم : الـــبحر الأحمـــر وظهـــيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٤٦٣ – ٤٨٠ .

وقد أمدتنا بعض هذه النقوش بمعلومات هامة عن استقرار بعض الأنباط فى مـــناطق مخـــتلفة من الصحراء الشرقية ومدى أو طبيعة صلتهم بالرومان وانخراط الـــبعض منهم فى خدمة الجيش الرومانى والعمل فى المحطات التجارية التى أقامها الـــرومان فى الصحراء الشرقية واندماجهم مع جنودها من اليونان والرومان . ولهذا نجـــد أن بعـــض الأســـماء اليونانية الرومانية قد اختلطت بالأسماء النبطية فى بعض مناطق الصحراء الشرقية .(١)

وقـــام د. عبد المنعم أيضا بإعداد بيان عن مناطق توزيع الأنباط فى شمال وادى الحمامات وفى جنوبه .

كما يذكر المؤلف فى مقال آخر (٢) أن هناك تأثير مصرى فى مجال الكتابة البروتوســـينائية أو كتابة " ما قبل السينائية " التى ترجع إلى عصر الأنباط " وينتشر فى جنوب سيناء . ويذكر لنا أن هناك تشابها فى أشكال حروف الكتابة البروتوسينائية وأشكال حروف الكتابة الثمودية القديمة . ويرى أيضا أن كتابة أهل مدين التى تعتبر المـــرحلة المتوســـطة بين الكتابتين البروتوسينائية والثمودية القديمة ، كانت الأصل المشـــترك الـــذى أخـــذت عـــنه الكتابات العربية ، وخاصة الكتابة العربية الشمالية(الديدانية واللحيانية) .(٣)

وفـــى دراســـة جـــادة وهامة قام د. شعبان خليفة فى تتبع أصول الخطوط والكتابات العربية .(٤) وأعطانا ذلك فى رسمين بيانيين :

---

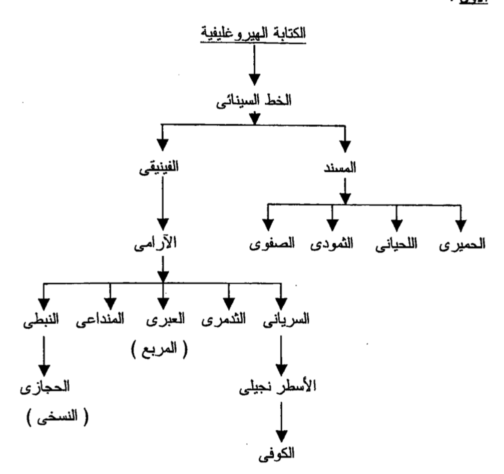
(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ – ٤٧٨ .

(٢) بعـــنوان " الأصـــول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربـــية قـــبل الإســـلام " نشر فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤١٨ ، ٤٥٠ .

(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٢١ – ٤٢٧ .

(٤) د. شـــعبان خليفة : الكتابة العربية فى مرحلة النشوء والارتقاء ، العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٨ ، ص ٨ – ١٨ .

الأول :

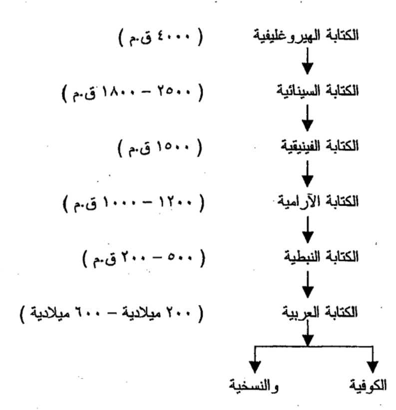


يكشف هذا البيان على أن خطوط المسند الأربعة على اختلافها هى خطوط مقفلـــة توقفت عن الحياة ولم تشتق منها خطوط أخرى . وقد حل الخط العربى محلها بعـــد أن أخـــرجها من الاستعمال كما يبين الخطوط التسعة التى اشتقت وتطورت من الفينيقية ، والأصل فى كل هذا هو الكتابة الهيروغليفية ومشتقاتها .[1]

---

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

<u>الثاني</u> :



وهـــذا الرسم يعبر عن الرأى القائل باشتقاق الخط العربى من مصدر واحد هو الخط النبطى الذى تطور عن الكتابة الآرامية على مدى ثلاثة قرون . وأصبحت لـــه شخصـــيته واستقلاله منذ القرن الثانى قبل الميلاد وحتى بعد القضاء على دولة الأنـــباط بفترة طويلة ربما حتى القرن السابع الميلادى . وهذا الرأى هو أكثر الآراء قبولا لدى الباليوجرافيين فى الوقت الحاضر .[1] وهذا يبين أيضا أن الأصول الأولى ترجع إلى <u>الكتابة الهيروغليفية ومشتقاتها</u> .

كمـــا تحـــدث د. شعبان فى موضع آخر عن الكتابات الأبجدية فى الشرق الأدنى القديم وأفريقيا وتأثير الفينيقية عليها .[2]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٧٨ .

بالنسبة لوجود بعض الكتابات الخاصة بجنوب الجزيرة العربية فى مصر نقول بأنه جاء ذكر اسم مصر فى نقش معينى محفور على سور مدينة براقش ، سجله رجلان هما : " عم صدق بن حمم عثت " و" سعد بن والج " وقد كانا كبيرين على المصرية " مصرن " وعلى معين المصرية " معين مصرن " ، وهو الاسم المعينى لمستوطنة معينية . وقد أمرا بتدوين هذا النقش شكرا لمعبودات معين " عثتر ذو قبض " و" ود " و " نكرح " لأنها أنقذت القافلة التجارية من الوقوع فى أيدى الغزاة كما قاما بتزين معبد " تنعم " وذلك فى عصر الملك المعينى " اب يدع ثيع " ويرجع هذا النص إلى القرن الرابع ق.م (حوالى ٣٤٣ ق.م) (١) .

كما عثر على كتابات معنية على صخور وادى الحمامات ووادى عباد وترجع بعض هذه النقوش إلى عصر قمبيز عندما غزا مصر .(٢)

وبعضها الآخر يرجع إلى عصر البطالمة . كما عثر على نقوش سبئية محفورة على صخور الصحراء الشرقية .(٣)

وظهر هذا التأثير فى الكتابة البروتوسينائية التى أثرت بدورها فى بعض الكتابات السامية فى جنوب الجزيرة العربية وخاصة فى الحروف الثمودية القديمة (٤) . كما يظهر هذا التأثير أيضا فى بعض الآثار المادية لبعض العبادات والطقوس .

---

(١) أمل مهران : دراسة تاريخية للعلاقات بين الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة دكتوراه – غير منشورة – كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ٤١ – ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٤) د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤٢٥ – ٤٢٧ .

أول تأثير للغة المصرية القديمة على الخط المسند (المعينى) :

ويجـــب أن نذكــر هنا العثور على أول نص كتب بالخط المسند (المعينى) المتأثر بنطق الكلمات والأسماء المصرية القديمة ونقصد هنا النص الذى جاء على تابوت من الخشـــب يوجد الآن بالمتحف المصرى بالبدروم تحت رقم SS27/B4 ويخص أحد الـــتجار المعينييـــن مـــن العـــلا ويسمى زيد ايل وعاش فى عصر بطلميوس الثانى (حوالـــى عام ٢٨٥ ق. م) أو السادس (حوالى عام ١٧٢ ق. م) ويتحدث فى هذا النقش الذى كتب بالخط المعينى المتأثر باللغة المصرية القديمة عن معاملات تجارية بيـــنه وبين كهنة المعابد المصرية وكيف انه أمد هذه المعابد بمقادير من المر وقصب الطيـــب مقـــابل أقمشة مصرية . (١) وانه استخدم سفينة فى استيراد هذه المنتجات . وقمنا بإرجاع بعض الكلمات التى وردت فى هذا النص إلى أصولها المصرية القديمة بعد تعريبها مثال ذلك : (٢)

بوص = أصلها المصرى bsw بمعنى " شكل أو صورة " .

صياحص = أصلها المصرى sch مومياء المتوفى

ويس = أصلها المصرى wts يرفع إلى أعلى

ينس = أصلها المصرى insw متماسك أو مترابط

عمس = أصلها المصرى ims غطاء رأس

حتحر = أصلها المصرى Ht-hr شهر هاتور

كيحك = أصلها المصرى k3-hr-k3 شهر كهياك

---

(١) د. عـــبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ٤٠٨ – ٤٠٩ ، وبالإنجليزية فى نفـــس المـــرجع ، p. 193 - 199 ؛ أمل مهران : المرجع السابق ، ص ٥٩ – ٧٠.

(٢) أمل مهران : المرجع السابق ، ص ٦١ – ٦٦ .

وســـوف نتحدث عن ما بقى من تأثير اللغة المصرية القديمة والقبطية القديمة فى بعض مفردات اللغة العربية فى الباب الثالث عشر

اثر حف = أصلها المصرى Wsir hcpy اوزير – ابيس

هس = أصلها المصرى hsy ينشد أو يغنى

جم = أصلها المصرى km3 يصنع أو يخلق

نس = أصلها المصرى ns أطراف

ذوب = أصلها المصرى wcb يتطهر

وبالنسبة لبعض المناطق فى شمال بلاد الشمال نعلم من قصة مغامرات سنوهى الذى ذهب إلى سوريا ، فى بداية الأسرة الحادية عشرة ، انه بعد أن اتصل بأمير رتنو العليا ، أخذه الأمير معه وأغراه بأنه سيجد لديه كل راحة وسيستمع إلى لغة مصر (١) لان كثيرين من المصريين كانوا يقيمون معه ، مما يدل على أن المصريين خرجوا بحضارتهم خارج حدودهم لكى ينشروا الثقافة والعلم فى البلاد المجاورة .

ولكى يقيم المصريون علاقات دبلوماسية فى بعض المناطق فى آسيا فى عصر الدولة الحديثة كان عليهم معرفة لغات هذه البلاد وخاصة الفينيقية الأكدية وكتابتها المسمارية . ومما يدل على معرفة المصريين بهذه اللغة والكتابة العثور على لوحات تل العمارنة التى كتبت جميعها باللغة الأكدية وبالخط المسمارى مما يدل انه كان هناك فى البلاط الملكى من يعرفون هذه اللغة وكتابتها معرفة جيدة .(٢)

وفى عصر الأسرة التاسعة عشرة أقام الملك رمسيس الثانى عدة لوحات فى معبد جبيل . وكان ملك جبيل فى ذلك هو احيرام الذى كان يكتب ويتكلم اللغة المصرية إلى جانب لغته الأصلية والمحلية . وكان يتفاخر دائما بثقافته المصرية . لدرجة انه شيد لنفسه مقبرة تحمل الطابع المصرى وزين أثاثه الجنائزى على الطريقة المصرية .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٨٦ .

(٢) Knudtzon, Die EL - Amarna Tefeln, 2 vol., leipzig 1915; Mercer, The Tell el Amarna Tablets, 2 vol., Toronto, 1939 .

وتحدثــنا من قبل عن الكشف فى منطقة سوس فى إيران عام ١٩٧٢ على تمثــال ضخم مــن الجرانيت الأسود ويمثل الملك دارا الأول ، ومغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفيى فى خطوط رأسية . هذا التمثال الذى كشفت عنه البعثة الفرنسية التى تعمل فى هذا الموقع منذ عام ١٩٠٠ [١] .

كــان مــن نتــيجة اتصال مصر ببلاد الشرق القديم والشعوب الاخرى فى الشــرق وخاصة فى عصرى الدولتين الوسطى والحديثة ، أن أثرت الكتابة المصرية القديمــة ، كمــا رأينا ، فى كتابات ولغات هذه الشعوب . كما تأثرت اللغة المصرية القديمة بدورها بلغات هذه الشعوب .

فــنجد أن اللغــة المصــرية القديمة تشترك مع اللغات السامية الأخرى فى الضمائر الاسنادية الآتية :

	فى المصرية	البابلية	العبرية القديمة	العربية
-المفرد المتكلم	انوك	اناك	اتمى	أنا
-المخاطب المفرد	انتك	–	–	أنت
-المخاطب الجمع	انتن	–	–	أنتم

كمــا تشترك اللغة المصرية القديمة مع اللغات السامية فى خمسة من عشرة من الأعداد :

واحد : وع

اثنين : سنو

ستة : سيسو

سبعة : سفخ

ثمانية : خمنو [١]

ونجــد أنه فى داخل اللغة المصرية القديمة فى عصر الدولة الحديثة يوجد كلمات عديدة من أصل سامي . ونجد أيضا أن ذلك التأثير واضحا فى مؤلفات الأدب

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، ص ٤٢٧ وحاشية(٥) .
(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

والشعر ، وقــد استخدم الكاتب المصرى بعض الألفاظ السامية فــى كتاباته ، مثــال ذلك :

في المصرية	في العبرية	في العربية
مت	موث	موت (١)

وقــد جاء على لوحة مرنبتاح المحفوظة بالمتحف المصرى (CG34025) بعض أسماء المدن التى توجد فى فلسطين ، وذلك فى السطر ٢٥ - ٢٧ وهى :(٢)

كانع نع = كنعان(٣)

اسكارنى = عسقلان(٤)

كاجار = جزر(٥)

ينوعم = ينعم(٦)

أشــارت الحكم والتعاليم التى جاءت على بردية أمنموبت من الأسرة الحادية والعشــرين ، كما ذكرنا فى باب الأدب (٧) ، انتباه العلماء على أساس أن أجزاء من ســفر الأمثال (من الإصحاح ٢٢ : ١٧ حتى الإصحاح ٢٤ : ٢٢) نقلت حرفيا من بردية أمنموبت ، كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذه البردية قد اقتبسها العبرانيون فى مواضع كثيرة من التوراة فى غير سفر الأمثال وربما قد تكون نصوص هذه البردية قــد وصلت إليهم فيما بعد لأن أقدم أجزاء التوراة لم تكتب إلا فى القرن الثامن ق.م

---

(١) James, An Introdution to Ancient Egypt,london 1979, p.81

(٢) Kitchen, RI 1V, p. 12 - 19; Breasted, AR 111, p. 256; lacau, Steles du Nouvel Empire I, p. 54 - 56 pl. 17.

(٣) منطقة غير معروفة محددة تشمل الجزء الأكبر من فلسطين .

(٤) إلى الشمال قليلا من غزة .

(٥) إلى الشمال من فلسطين .

(٦) إلى الجنوب من فلسطين .

(٧) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

على الأكثر وأكثر ما كتبت فى التوراة وفصولها كتب بعد ذلك بعدة قرون . [١]

وفــى آســيا الصــغرى كانــت هــناك كــتابة أقل انتشاراً هى ما تسمى بالهيروغليفــية الحيثــية " . وتشــبه علاماتهــا إلــى حــد كبــير علامات الكتابة الهيروغليفية [٢]

وفــى شمال أفريقيا نجد بقايا تأثير اللغة المصرية القديمة فى لهجات بعض قــبائل الــبربر فــى جنوب شمال أفريقيا مثل قبائل البجاء (البجة) والبربر وجالا والصومال .[٣] فمثلا نجد تشابها فى الكلمات الآتية :[٤]

فى المصرية القديمة	لغات شمال أفريقيا
مت (موت)	امت (عند البربر)
كفن (يربط)	اكرف (عند البربر)
نفر (حسن)	نفير (عند البجه)
جبع (اصبع)	جيبا (عند البجه)

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٧١ حاشية (١) ، ص ٣٧٢ حاشية (١-٤) ؛ وأيضا : James, An Introduction to Ancient Egypt, London 1979, p. 98-99 .

(٢) Contenau, les Civilisation Anciennes du Proche Orient, Paris (1963), p. 4-5.

(٣) Gardiner, Egyptian Grammar (third edition), london (1957), p. 2, 3 .

(٤) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 81; kitchen, RI 1V, p. 2 - 12 .

شمس (يتبع او تابع) شميس (عند البجه)

جم (يجد) اجمى (عند الطوارق

ونجد على سبيل المثال أن اسم ليبيا من أصل مصرى قديم ، جاء من كلمة ربو (لبو) .

ما بقى من تأثير فى لغات ولهجات بعض القبائل الأفريقية :

ونجد أن تأثير الثقافة المصرية كان أكثر وضوحا في بلاد كوش في الجنوب فقد اشتقت الكتابة المروية من الكتابة الهيروغليفية وقد ظهرت المروية مع نشأت مملكة مروى فى القرن الثالث قبل الميلاد .

فبعد انتهاء فترة حكم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية فى مصر ، استقرت سلالة هذه الأسرة الكوشية ولمدة عدة قرون فى منطقة نباتا ومروى وحكمت هناك شعبا ينتمى إلى القارة الأفريقية ، واستخدموا فى الكتابة خطأ يشبه إلى حد كبير الخط الديموطيقى المصرى . وأطلق على هذا الخط الكتابة المروية المصورة ، وأغلبها مقتبس من الأبجدية المصرية فى العصر المتأخرة ونعرف من حروفها ثلاثة وعشرين حرفا . ثم ابتكروا حروفا مبسطة أخرى .

وتتميز حروف الكتابة المروية بأن كل حرف منها يدل على صوت واحد ، أى إنها أبجدية صرفه ، كما تتميز باستخدام الفواصل بين الكلمات [1] . وقد عاشت هذه اللغة حتى القرن الرابع الميلادى .

وكان ملوك نباتا يستخدمون اللغة المصرية كلغة رسمية، كما يحتمل أنهم

---

(١) د. عبد الحميد زايد : نظرات عابرة فى العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم ، فى مجلة الفكر – المجلد الثقافى – العدد الثالث ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠٣ .

كانوا يستخدمون اللغة المروية في شئون حياتهم اليومية ، إلا أن مدى معرفتهم باللغة المصـــرية وقواعدها بدأ يقل تدريجيا تعذر الاتصال مع مصر بسبب خضوعها للحكم الأجنـــبى من بطالمة ورومان . أما بالنسبة لمملكة مروى فنجد أن ملوكها تخلوا عن اســـتخدام اللغة المصرية كلغة رسمية وانصرفوا إلى لغتهم المروية ، بعد أن ابتكروا لهـــا أبجديتيـــن إحداهما مصورة والأخرى مبسطة ، واستطاع العلماء منذ أكثر من خمسين عاما أن يقرأوا حروفها دون أن يفهموها ، فيما عدا بعض المفردات المأخوذة مـــن المصـــرية القديمة . وأقدم النصوص المدونة باللغة المروية ترجع إلى حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد (حوالى عام ١٧٠ - ١٦٠ ق.م) .[١]

وعثر على مخربشات باللغة المروية على العديد من الآثار فى صولب وكوه وساى وبوهن وعنيبة ووادى السبوع والدكة وكلابشة وفيله وغيرها . [٢]

وعـــثر فـــى مـــروى فى معبد الشمس على نصوص مكتوبة بالهيروغليفية المـــروية وبالنســـبة للنصوص المكتوبة بهذه الكتابة فهى قليلة [٣] . والهيروغليفية - المروية تقرأ مع اتجاه الرسوم المصورة .[٤]

ولديـــنا بالمـــتحف المصـــرى العديـــد من لوحات المقابر وموائد القرابين ونصـــوص دينية أخرى كتبت على أنواع مختلفة من الآثار ، كتبت أو نقشت جميعها بـــالخط المروى . وهناك أيضا بعض النصوص التى سجلت بهذا الخط على جدران معبد كلابشة .

وقـــد قضـــى ملـــوك الحبشـــة [٥] على تلك المملكة فسقطت فى عام ٣٥٠

---

(١) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ١٠٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٥) اشـــتقت الكـــتابة السينائية من الخط الهيروغليفى ، وجاء من السينائية الفينيقية والمســـند . ومـــن المســـند جاءت الخطوط الحميرية واللحيانية والثمودية ومن الحميرية جاءت الحبشية .

ميلادية تقريبا . ولا يزال تأثير اللغة المصرية القديمة واضحا في ثقافة بعض الشعوب والقبائل الأفريقية [١] . ومازلنا حتى الآن نرى بعض القبائل الأفريقية تمارس عادات وتقاليد مصرية قديمة . [٢]

فنجد أن هناك تشابها كبيرا بين ما كان معروفا في اللغة المصرية القديمة وما هو معروف حاليا في لغات ولهجات قبائل الولوف – Wolof [٣] وخاصة في طريقة التعبير عن الضمائر الشخصية وأسماء الإشارة وبعض الأفعال في صيغة المضارع والماضي وصيغة المبني للمجهول (في المضارع وفي الماضي) وصيغة الحال وبعض الأسماء المذكرة . [٤]

وبالنسبة للأزمنة ، نجد التشابه في حالة الماضي ، حيث يوضع حرف n في اللغة المصرية القديمة بين الفعل والضمير للتعبير عن الماضي ، وفي لغة الولوف يوضع حرف مشابه هو on . وفي صيغة المبني للمجهول تستخدم اللغة المصرية القديمة الضمير tw وهو الضمير نفسه المستخدم في لغة الولوف . وفي

---

(١) يبلغ عدد سكان قارة أفريقيا ٢٩٠ مليونا ، ويقدر الخبراء عدد اللغات واللهجات الموجودة بها ما بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ لغة ولهجة ، وأكثر اللغات انتشارا هي بلا شك اللغة العربية ، راجع : د. محمد رياض – د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٢) مثل ما يحدث في مملكة جوكون في شمال نيجيريا وقبائل اليوربا في غرب أفريقيا ، راجع : د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٧٣ – ١٧٥ .

(٣) تمتد قبائل الولوف في المنطقة السفلى من نهر السنغال وجامبيا في أقصى أطراف غرب السودان ، راجع :

Fage, A History of Africa 11 (1981), p. 44-49.

(٤) Motkhtar, General History of Africa II, 1981, p. 44- 49 .

صـــيغة تستخدم اللغة المصرية بالنسبة للمفرد المتكلم الإضافة أو النهاية kwi وهى الإضـــافة أو الـــنهاية نفسها المستخدمة عند الولوف وكذلك صيغة استخدام الفاعل أو المفعـــول مـــع المستقبل التى تعرف فى المصرية القديمة باسم صيغة sdm.tyfy . وأيضـــاً صيغة المصدر التى ينتهى الفعل فيها بحرف التاء . ونرى ذلك فى الأفعال الآتية : (١)

(١) فعـــل " كـــف " بمعـــنى " يمســـك بـــ أو يقبض على " .(٢) فى حالة المضارع (ومتصلا به الضمير Suffix) .

لغة الولوف		اللغة المصرية القديمة	
kef - na		kf.i	أنا أمسك بـــ
kef-nga		kf.k	أنت تمسك بـــ
-----		kf.t	أنت (للمؤنث) تمسكى بـــ
kef-ef	(أكثر تشابها)	kf.f	هو يمسك بـــ
kef-es	(أكثر تشابها)	kf.s	هى تمسك بـــ
kef-nanu	(أكثر تشابها)	kf.n	نحن نمسك بـــ
kef-ngen		kf.tn	أنتم (للمذكر والمؤنث) تمسكون بـــ
kef-nanu		kf.sn	هم (للمذكر والمؤنث) يمسكون بـــ

---

(١) Mokhtar, op. cit., p. 45-46.

(٢) Id., op. cit., p. 45 .

لغة الولوف	اللغة المصرية القديمة
في حالة الماضي	
Kef-(on)-na	Kf.n.i
Kef-(on)-nga	Kf.n.k
----------	Kf.n.t
kef-(on)-ef	Kf.n.f
kef-(on)-es	Kf.n.s
kef-(on)-nanu	Kf.n.tn
kef-(on)-nanu	Kf.n.tn

(٢) فعل " فخ " بمعنى " ينطلق أو يذهب بعيد ".(١)

لغة الولوف	اللغة المصرية القديمة
في حالة المضارع :	
Feh-ef	fh.f
Feh-es	fh.s
في حالة الماضي :	
Feh-on-ef	fh.n.f
Feh-on-es	fh.n.s
في صيغة المبني للمجهول (في المضارع) :	
Feh-tw-ef	fh.tw.f
Feh-tw-es	fh.tw.s
في صيغة المبني للمجهول (في الماضي) :	
Feh-an-tw-ef	fh.n.tw.f
Fah-an-tw-es	fh.n.tw.s

---

(١) Id., op. cit., p. 66.

في صيغة المستقبل :

Feh-at-fy	fh.ty fy
Feh-at-es	fh.ty sy

في صيغة الحال :

Fahi-kw	fh.kwi

(٣) فعل " مر " بمعنى " يحب .[١]

في حالة المضارع :

Mar-ef	mr.f
Mar-es	mr.s

في حالة الماضي :

Mar-on-ef	mr.n.s
Mar-on-es	mr.n.s

في صيغة المبني للمجهول (في المضارع) :

Mar-tw-ef	mr.tw.f
Mar-tw-es	mr.tw.s

في صيغة المبني للمجهول (في الماضي) :

Mar-an-tw-ef	mr.n.tw.f
Mar-an-tw-es	mr.n.tw.s

في صيغة المصدر :

Mar-t-ef	mrt.f
Mar-t-es	mrt.s

---

(١) Id., op. cit., p. 67 .

في صيغة المستقبل :

Mar-at-ef	mr.ty fy
Mar-at-es	mr.ty sy

في صيغة الحال :

Mari-kw	mr.kwi

ونجد هذا التشابه أيضاً فى بعض الأفعال والمفردات والأسماء الأخرى مثال ذلك : (١)

	اللغة المصرية القديمة	لغة الولوف
يسأل (نجدح)	nd	lad (لادج)
يحمى (نخ)	nh	lah (لاه)
حسن لدرجة أن (بن بن)	bnbn	belbel (بل بل)
ينمو كبيرا (ثنى)	tni	tale (تالى)
لعاب (تفنوت)	tfnwt	tefnit (تفنيت)
ضفيرة (نبدت)	nbdt	nab (ناب)
عضو تذكير (هن)	hn	gen (جن)
مراهق (هون)	hwn	gwne (جونه)
صقر (حور)	Hr	gor (جور)
صقر صغير (هور هون)	Hr hwn	gor gwne (جور جونه)

ونجد هذا التشابه أيضا فى أسماء الإشارة الآتية : (٢)

---

(١) Id, op. cit., p. 48 – 49 .

(٢) Id, op. cit., p. 45 – 46 .

هذا للمذكر (القريب) (بو)	pw	(ابو) epw
هذا للمذكر (بن)	pn	(بب) pb
هذا للمذكر (البعيد) (بف)	pf	(فف) ff ، (بب) pb

ويتفق علماء اللغة على أن لغات هذه الشعوب تشكل فرعا من العائلة اللغوية للسكان الأصليين (أى كونغو – النيجر) والتى تتميز عن لهجات الماندى . وهناك شعوب الفولانى ، وهم قوم من البدو الرعاة ويطلق عليهم العرب اسم " الفلانه " وجاءوا إلى غرب السودان (١) . وقد اختلف الباحثون فى أصلهم فيربطهم " فمولر " لغويا بالنوبة السفلى فى السودان . (٢)

ويرى بعض العلماء أن اللغة المصرية القديمة عاشت فى أفريقيا على الأقل ٤٥٠٠ عام (٣) ، ورأى البعض الآخر أنه إن كانت الحياة الثقافية المصرية القديمة قد أثرت فى طريقة الكتابة وثقافة وتفكير الحضارات الأفريقية القديمة ، فلاشك إنها بدورها قد تأثرت أيضا بتلك الحضارات الأفريقية القديمة وخاصة فى مجال اللغة ولو بقدر يسير .(٤)

وفى الشمال كان للحضارة المصرية القديمة تأثيرا كبير على الحضارة اليونانية وجزر بحر ايجه وخاصة فى مجال الحياة الثقافية :

---

(١) مثل قبائل السرر والديولا والتندا والسبييل والتمن والجولا وكانت قبائل الولوف أول القوى السياسية المجاورة للساحل عندما جاء البرتغاليون فى أوائل القرن السادس عشر . وأطلق عليهم إمبراطورية الولوف وتقع بين السنغال الأدنى وجامبيا فى أقصى أطراف غرب السودان وغرب ليبريا مع مجموعة القبائل الأخرى ، راجع : Fage, A History of Africa (1978), p. 241.

(٢) Dubois, Tomboutou la Mystérieuse, Paris (1899), p. 52.

(٣) Mokhtar, op. cit., p. 49 .

(٤) Id., op. cit., p. 49 .

ويـــرى د. ايفـــار أن مـــا قدمته مصر للحضارة الإنسانية عامة وللحضارة الغربية خاصة لم يلحظ بالتقدير المطلوب ، وذلك لأنها زودت الغرب بعلوم ومعارف عديـــدة مـــنها الهندســـة والطب . وقد آلت هذه المعارف إليها عن طريق الفينيقيين والسوريين واليهود والكريتيين واليونانيين والرومان أنفسهم .(١)

ومـــن الصـــعب تحديد إلى أى مدى استطاعت الحضارة المصرية القديمة التأثير فى الحضارة اليونانية الناشئة ، ولكن يمكن القول بأنه كان للحضارة المصرية فضل كبير فى تطور الحضارة اليونانية .

لقـــد تعلمـــت اليونان فى شبابها من مصر واعترفت لها بالفضل ثم غربت حضارة اليونان أو انزوت فى ظل الحضارة المصرية على شواطئ الإسكندرية فلسفة ودينا .

ولهذا يقول ول ديورانت :

" تعلمـــت الـــيونان فـــى شبابها من مصر واعترفت لها بالفضل ثم غربت حضارة اليونان فى احضان مصر على سواحل الاسكندرية فلسفة ودينا "(٢)

ان الحضـــارة اليونانـــية نشأت متأخرة عن حضارة الشرق جميعا ولذا فقد أفـــادت مـــنها كثيرا وظلت حضارات الشرق تمد الحضارة اليونانية طوال تاريخها بكثـــير من عناصر تراثها وان التهويل من شان الحضارة اليونانية على حساب سائر الحضارات القديمة إنما هى نزعة عنصرية لدى بعض الأوروبيين المعاصرين ولـــم يعرفها اليونانيون القدماء لأنهم كانوا أكثر تواضعاً من خلفائهم الأوروبيين فى معرفة

---

(١) د. ايفـــار ليسنر : الماضى الحى (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة) ترجمة شاكر إبراهـــيم ومـــراجعة د. أبو المحاسن عصفور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٧٤ .

(٢) د. أحمـــد صـــبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ١٧ (هامش) .

حقيقة أنفسهم .[١]

لقد ابتكرت الحضارة الإغريقية الفلسفة وفروعها : المنطق وفلسفة الأخلاق ومـــا يعد من الطبيعة ، وعلم النفس ، والهندسة ، وفن المسرح والتأريخ ، اما سائر مظاهر الفكر والمعارف ، فيرجع إلى الحضارات الأخرى .[٢]

كانـــت مصـــر هـــى الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة للبردى فى التاريخ القديم . وكانت بلاد اليونان منذ نهضتها الثقافية الكبرى فى القرن الخامس قبل الميلاد فى حاجة ماسة إلى هذه السلعة .[٣]

إذن فالـــتهويل من شأن الحضارة اليونانية على حساب الحضارات القديمة الأخـــرى إنما هي نزعة عنصرية لدي الأوروبيين المعاصرين لم يعرفها اليونانيون القدماء وأهل الفكر منهم .[٤]

هـــيرودوت ذلـــك المـــؤرخ الـــيونانى الذى تطلق عليه الخطيب الرومانى شيشـــرون لقب " أبى التاريخ " والذى زار مصر فى حوالى عام ٤٥٠ ق.م وهو لم يجعـــل تاريخية مقصورا على الوقائع السياسية وإنما تجاوزها إلى الجانب الحضارى من التاريخ .[٥]ولهذا لم ينس أن يسجل هذه الفقرة :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) د. مصـــطفى العـــبادى : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٣ .

(٤) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢١ – ١٢٣

" وعــن طــريق اليونانييــن وصــلت إلى الحضارة الغربية بعض الأفكار المصرية " .[١]

واذا بحثنا في النصوص عن اقدم تأثير للحياة الثقافية في مصر القديمة على بــلا الــيونان . نســتطيع ان نقول انه فى قصة ون آمون من بداية الأسرة الحادية والعشــرين ، وذلــك المبعوث الذى ألقت به الأمواج فى البحر المتوسط على جزيرة آرســا أو إســى (قــبرص) . يحدثــنا فى نصوص هذه البردية انه وجد على هذه الجزيرة من يفهم اللغة المصرية ويتحدث بها .[٢]

فــى منتصف القرن السابع ق.م نشطت العلاقات بين مصر والمدن الواقعة علــى الساحل الغربى لآسية الصغرى . فكان اليونانيون والكاريون يعملون كمرتزقة فى جيش الملك بسماتيك الأول الذى كان يعمل على توطيد دعائم سلطانه على وادى النيل كله وليس من شك فى أن التجار والسياح العاديين جاءوا فى أعقاب المحاربين ثم حملوا إلى أوطانهم قصصا كثيرة عن الأشياء الغربية التى شاهدوها وتعلموها فى ارض مصر . وكانوا يتحدثون عن ثقافة مصر وفنونها وآدابها وديانتها ومنتجاتها .

وكــان يسكن فى ايونيا فى القرن السادس ق.م جنس من الناس اكثر تعطشا للمعــرفة وللــثقافة من اى شعب آخر عاش فوق الأرض . وما سمعوه عن حضارة مصر هو الذى دفعهم إلى الاهتمام بمصر بخاصة . ومن بينهم جاء أول الكتاب الذين زاروا مصر وزودا مواطنيهم باوصاف مستفيضة عن مصر والمصريين .[١]

---

(١) Vercoutter , L'Égypte Ancienne , p . 8 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٦ .

(٣) الــن جاردنــر : مصــر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

وفـــى الفـــترة فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد جاء عـــدد مـــن الشخصيات اليونانية (أو الايونية) إلى مصر منهم الرحالة والمؤرخين الذين كتبوا وصفا لما شاهدوه وسمعوه فى مصر ، ومن أمثال هؤلاء :

هيكاتية الملتى : مؤرخ وجغرافى إغريقى (٥٢٠ ق.م) الذى اهتم بمشاكل فيضـــان النـــيل وتكوين الدلتا واهتم بجغرافية البلاد وعناصر البيئة أكثر من اهتمامه بالسكان وتاريخهم وقد ضاع " تخطيط الأرض " الذى ناقش فيه كل هذه الأمور .

هـــيرودوت الهاليكارناسي (حوالى ٤٨٤ – ٤٣٠ ق.م) الذى ارتحل عقب ٤٥٠ ق.م .[١] مباشـــرة كسائح حتى الجندل الأول وان رحلته ربما لم تستغرق اكثر من ثلاثة شهور وإننا نجد إن مظاهـــــر البيئة والحضارة المصرية قد أثارت اهتمام هيرودوت .[١]

ويقـــال أن هـــيرودوت زار مصـــر فـــى العصر الفارسى فى عهد الملك ارتاكسركسيس الأول ويرجح أن هذه الزيارة تمت بين عام ٤٤٨ ، عندما عقدت أثناء الصـــلح مع الفرس ، وعام ٤٤٥ ق.م عندما كان فى أثينا قبل ذهابه إلى قوريى التى اشترك فى تأسيسها عام ٤٤٣ ق.م .

ويحدثـــنا هيرودوت بان البلاد كانت فى رخاء وأن التجارة والصناعة كانتا رائجتيـــن ، برغم الضرائب الكثيرة المفروضة عليها . وكانت أبواب البلاد مفتوحة أمـــام الـــزوار الأجانب ، وكان فى استطاعتهم زيارة المعابد وكل معالم البلاد دون صـــعوبة أو الـــتعرض لأى ضـــرر مـــن الأهـــالى . ويبدو أن الكفاح بين الفرس والمصـــريين كان مقصورا على الدلتا وما يجاور منف ، إذ أن هيرودوت لم ير فى

---

(١) الـــن جارنـــر : مصـــر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم ابو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ١٥ – ١٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦ – ١٧ .

الوجـــه القبلى أى آثار تخريب . وكان يوجد بالبلاد الإدلاء الذين اصطحبوه فى كل مكان .(١)

أفلاطـــون : فيلسوف إغريقى صاحب السياسة والنوايس والكلام على المدن والملوك .(٤٢٩ –٣٤٧)(٢) فقد جاء إلى مصر قبل عام ٣٩٥ ق.م بين عامى ٣٩٧ و٣٩٥ ويقال انه استقر فى مدرسة إيونو لمدة عامين كاملين حيث درس على الكهنة العلــوم الرياضـــية والمعارف التاريخية واخذ بنصيب وافر من الفلك كما استفاد من تعــرفه علـــى ديانـــة المصـــريين ونظام الحكم والأخلاق ، والتى تتلاءم مع تفكيره الفلســفى . وقد شبه فى آخر مؤلفاته : le Timee معبودة سايس فى غرب الدلتا ، نيت بالمعبودة اثينا وخاصة اثينا فى الفقرة ٢٣ .

ويقال انه غادر مصر فى عام ٣٩٥ ق.م عقب الحرب التى قامت بين أثينا وإسبرطة حيث كانت مصر حليفة لإسبرطة فى هذه الحرب .(٣) ويقول المؤرخ بتلر أن ســترابون لما زار مصر دله الناس على المواضع التى كان أفلاطون يتلقى فيها العلم من قبل .(٤)

ولا توجـــد حضـــارة شـــهد لها فلاسفة العالم القديم إلا الحضارة المصرية القديمـــة ويكفـــى ان نذكـــر مـــا كتبه افلاطون لندرك أهمية وقيمة ما كان يشعر به

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطـــبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٧ – ٨ .

(٢) ايـــدرس بـــل : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على ، ص ٢٥٥ .

(٣) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٤) عـــبد الرحمـــن الـــرافعى : تـــاريخ الحركة القديمة فى مصر القديمة ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرية ١٩٦٣ ، ص ٥٨ حاشية (٢) .

اليونانيون القدماء من فضل للحضارة المصرية .[١]

وبعد الإسكندر الأكبر – تحت حكم البطالمة – احتشدت مصر بالإغريق الذين حطوا رحالهم بها وشغلوا بأعمالهم التجارية وبالزراعة اكثر من إبداء الاهتمام بالعادات الغريبة لجيرانهم من المواطنين .

هيكاتيه الابديري : مؤرخ إغريقي : (٣٢٠ ق.م) الذى أبدى بعض الملاحظات المبعثرة عن مصر ، وكتب كتابا فقد اليوم بعنوان : " دراسات مصرية ".

أجاثاركيدس السفودي الجغرافي المؤرخ (القرن الثاني قبل الميلاد)

ديودور الصقلي الذى قام برحلة سياحية فى مصر لمدى قصير فى ٥٩ ق.م وهو مؤرخ إغريقي اعتمد على مصادر من سبقوه مثل هيكاتيه الأبديري وأجاثاركيدس السفودي الجغرافي . وقد كرس مساحة كبيرة فى كتاباته للمعبود أوزير وتحدث عن ارض مصر ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية بها وفى نهاية الامر نلتقي بمناقشة مستفيضة عن أسباب الفيضان ، ثم يتحدث بعد ذلك عن بعض ملوك مصر . والثلاثون فقرة الأخيرة من كتابه الأول بالغة الطرافة وهى تبادل طائفة من الموضوعات من بينها حياة الملوك وإدارة الأقاليم ونظام الطوائف ثم العدالة والقوانين والتعليم والطب وتقديس بعض الحيوانات ودفن وعبادة الموتى وأخيرا ما يدين به الإغريق لمصر .

سترابون : كاتب إغريقي ولد فى وعاش فى الإسكندرية لبضع سنوات ثم صحب صديقه الحاكم الروماني ، اليوس جاليوس ، فى حملة الجندل الأول حوالى ٢٥ ، ٢٤ ق.م . ووتوفى بين عامى ٢١ أو ٢٥ ميلادية . وكتاب سترابون عن مصر قصير نسبياً يتضمنه الكتاب السابع عشر والأخير من مؤلفه " جغرافيكا " وهو

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٠ ؛ وراجع أيضا : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق ٢٠٠١ ، ص ٢٤٥ – ٢٦٣ .

يبدأ بحديث موجز عن النيل ثم يتابعه بوصف مفصل عن الإسكندرية والإقليم المتأخرة لها شرقا . وهو يتابع بعد ذلك الكتابة تبعا للترتيب الطبوغرافى . وتناول أقاليم ومدن الدلتا حظا من التفصيلات الكاملة . كما تحدث عن الأبنية والعبادات فى هذه المدن كما تحدث عن الاوزوريون فى أبيدوس وكان سترابون أول من أشار إلى تمثالى ممنون وما يصدر عنهما من أصوات .

ونراه يحدثنا كذلك عن مقياس النيل فى الفنتين . ويذكر انه كان يوجد داخل حدود مصر ما لا يقل عن داخل حدود مصر ما لا يقل عن ٩٩ مدينة ومحلة يمكن تحديد مواقع معظمها .

بلينى الأكبر : كاتب رومانى الذى جاء بين عامى ٢٣ - ٢٩ ميلادية وزار خلالها مصر ، وقد أظهر إعجابه بهندسة الأهرام وأبو الهول . وكتب مؤلفا عن " التاريخ الطبيعى " (١) ويعد كتابه حجة عن جغرافية مصر .

بلوتارخ الخايرونى : مؤرخ إغريقى (٥٠ - ١٢٠ ميلادية) نراه يروى فى لغة بسيطة قصة أوزير الملك الصالح الذى قتله غيلة أخوه الشرير ست ثم انتقم له ابنه حورس وتتفق القصة التى يرويها بلوتارخ ، والتى كان قد رواها من قبل ديوردور الصقلى ولكن بلوتارخ أضاف إليها الكثير من التفصيلات التى استقى بعضها على الأقل من بعض مصادر أصلية لم تصل إلينا . وهو مرة يجعل أوزير مساويا للنيل ومرة أخرى يرى فى أوزير الرطوبة ويرى فى ست قوة الجفاف ، بينما يرى فى حورس المطر الذى ينتصر عليه .(٢)

كما زارها اثينا جوراس (الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى) وزار مدينة سايس وتحدث عن آثارها . وجامبليك : فيلسوف إغريقى (الذى ولد فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى وتوفى فى عام ٢٢٥ - ٢٣٠) وألف كتابا عن أسرار مصر .

---

(١) الن جاردنر : المرجع السابق ، ص ١٧ - ٢٠ ، ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢١ .

وارنوبيـــيوس : كاتب لاتينى (الذى عاش فى نهاية القرن الثالث وتوفى فى عـــام ٣٢٧ م) وتحدث عن فيضان النيل .[١] كما قصد مصر النابغون من أهل العلم والفكـــر فى اليونان ، وكانوا يفخرون دائما بتلك السنوات التى قضوها فى مصر مع الكهـــنة المصــــريين فى المدارس المختلفة الملحقة بالمعابد فى سايس وايونو ومنف والأشــــمونين وأبـــيدوس وطيـــبة . جاء الإغريق إلى مصر يستفسرون عن تاريخها وعاداتها وتقاليدها وديانتها وثقافتها وفنونها .

حـــتى أن الطلبة اليونانيين بدأو يختلطون بدور العلم المصرية . ولدينا نص علــــى بـــردية يونانية ، عبارة عن رسالة من أم يونانية إلى ابنها الذى كان يقيم فى مصر ، جاء فيها ما يأتى :

" وعندما بلغنى انك تتعلم الكتابة المصرية فرحت لك "

وفـــى ذلك ما يدل على ان اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر منهم من كان يرى أن الإفادة الكاملة لن تتم دون تعلم لغة البلاد أى اللغة المصرية .[٢]

كمـــا تعلـــم كثير من المصريين اليونانية ، وتسموا بأسماء إغريقية . وفى القرن الثالث ق.م نجد عددا من المصريين يشغلون بعض المراكز الهامة ، إن لم تكن من المناصب الإدارية العليا .[٣]

وبدأ اليونانيون من جانبهم فى دراسة الثقافة والعلوم المصرية فى بلادهم ، وخاصــــة فى مجال الهندسة والطب . وكان بعض المصريين الذين هاجروا إلى بلاد

---

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٥٧ .

(٢) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٤٣ حاشية (٢) .

(٣) ايـــدرس بل : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى (نقله الى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، ص ٥٠ .

اليونان يقومون بتعليم الموسيقى والعزف على الآلات المختلفة لبعض اليونانيين .[١]

وقــبل وبعد زيارة الرحالة اليونان تأثر الكثيرون من أهل الفكر فى اليونان بالحضارة المصرية يؤمونها لالتماس أزهار معارفها ومنهم من لم يزرها ولكنه تأثر بمعارفهـا وثقافـتها بطـريقة مـا فزارها قبل أفلاطون فيثاغورس صاحب الكيمياء والنجوم والروحانيات والطلاسم والبرابى والرياضيات وأسرار الطبيعة .[٢] وبعد أن غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م عاد معه فيثاغورس إلى بابل وظل هناك اثنى عشر عاما يدرس الحساب والموسيقى وتعاليم المجوس .

وابقراط (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) صاحب الكلام عن الطب .

وكما تعلم افلاطون فروع العلم المختلفة ، تعلم تلميذه يودكس الفلك

ومــن الفلاسفة أيضا ديموقراط وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) صــاحب المــنطق والطبيعــيات والسياســة وكــان من بين الفلاسفة الإغريق الذين سمح لهم بالاشتراك فى الاحتفالات الدينية : ديموقراط الأبديرى وأفلاطون وايدوكس وهرمس وبلوتــارخ الــذى تعلم أسرار أوزير وفلوتين الذى كان يعرف ترجمة الهيروغليفية والمعــنى الخفى وجامبليك الذى حدثنا عن قدسية الكاهن المصرى فى تعبده وقدسية المعبودات .[٣] وافلاطيموس صــاحب الفلاحة ، وفيلور صاحب الدواليب والارحيه والحــركات وارمسيس صاحب المرآة المحرقة والمنجنيقات التى ترمى بها الحصون وجاليــنوس الطبيــب (١٣٠ - ٣٠٠ ميلادية)[٤] ، وغيرهم من أمثال طاليس الذى

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ .

(٢) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، المؤسســة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ١٣ حاشية (١) ؛ د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٣) Champdor, le livre des Morts, p. 34.

(٤) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعــية الإســكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠ ؛ وأيضــا : الأعمال الكاملة لعلى مبارك : المرجع السابق ، ص ١٣ حاشية (٢ ، ٤ ، ٦) .

تعلـــم مـــن أسرار الكهنة المصريين ونقل عنهم أصول النحت والهندسة إلى مواطنيه الـــيونان وتذكـــر أنه قاس الأهرام جامعا النسب بين ظلها وظل جسم الإنسان(١) وقد نصـــح طالـــيس تلميذه بيتاجوراس بان يتم دراسته مع الكهنة المصريين فقضى فى مصـــر اثنى وعشرين عاما تعلم فيها الفلك والهندسة والحساب فى معابدها .(٢) وكان الملـــك أمـــازيس قد أوكله إلى كهنة منف وعرف أشياء عن عالم المعبودات وخلود الروح وعرف أيضا حقيقة خلق الكون وكان يجوب المعابد بسهولة . وكان هو نفسه محل إعجاب وحب من الكهنة المصريين وأقام علاقات معهم متعلما منهم كل شئ ولم يهمـــل أى توجـــيه شفهى وتوجه إلى كل الكهنة ، وتعلم الحكمة من كل واحد منهم ، ومكـــث فى مصر حوالى عشرين عاما حتى جاء اليوم الذى وقع فيه اسيرا بواسطة جـــيش قمبيز .(٣) كما تعلم بيتاجوراس اصول النوتة الموسيقية والسلم الموسيقى فى مصـــر . وكـــل من هؤلاء كان معروفا بنظرياته العلمية والرياضية والفلسفية ومن أصـــحاب الهندسة والمقادير وجر الأثقال والآلات لقياس الوقت والمخروطات وغير ذلك . ومن المشرعين سولون المشرع الاثينى الذى أقام فى سايس وليكورج .(٤)

---

(١) Champdor, op. cit., p. 34.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٢ ؛ د. عبد العزيـــز صـــالح : التربـــية والتعليم فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٥١ .

(٣) Champdor, op. cit., p. 34 .

(٤) فمـــثلا قانون تقديم إقرارات الذمة المالية نقله سولون أثناء رحلته فى مصر إلى أثينا ، فكان من واجب على كل مصرى أن يقدم إقرارا يتضمن اسمه ومهنته أو حرفـــته ودخله للسلطة القضائية ولابد ان تكون صحيحة ، راجع د. عبد الرحيم صـــدقى : القـــانون الجـــنائى عـــند الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٢١ ، ٣٩ .

ومن الموسيقين اورفي ومن الشعراء هومير (الذى عاش فى القرن التاسع ق.م) وانوبيدز .[١]

وكــان هومـــير يتغـــنى بحكمـــة مصـــر وتفرقها فى مختلف ميادين العلم والفــنون .[٢] وقــد اخذ اليونانيون عن المصريين القدماء الكثير من ميادين العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية فى قواعد العلوم المختلفة .[٣]

وهـــى مـــبادئ علمية لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحســـب وانمـــا دونهـــا المصريون القدماء فى شكل قواعد علمية كما يظهر لنا ذلك بوضـــوح فـــى بـــرديات ابـــرس وهرســـت وادويـــن سميث الطبية . وتركت هذه الـــبرديات وغيرها أثرها على المنجزات الطبية فى اليونان . هذا وقد اخذ اليونانيون عن المصريين ، على سبيل المثال ، اولى مبادئ الطب والتشريح .

وهـــو أثر وصل إلى درجة الاقتباس الكامل فى كثير من الأحيان كما يظهر لـــنا بوضوح فى كتابات ديوسكو ريديس وجالينوس وهيبراكليتوس (ابقراط) . وقد وضع ابقراط فى القرن الخامس قواعد علم الطب وكان من نظراياته ان المرض داء طبـــيعى يجـــب مكافحته بوسائل طبيعية .[٤] كما زارها أيضا فركيدس وهراكليتوس واناكساجوراس وديموكريتوس كما زارها اوذكس رياضى وفلكى يونانى .[٥]

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص٢٤٦ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٧ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٥٥٧٩ – ٥٨٠ ؛ وأيضا د. احمد بـــدوى – د. جمـــال مخـــتار : المـــرجع الســـابق ، ص ٢٤٧ ؛ د. إبراهـــيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى – عصر البطالمة) ، ص ٢٠٣ .

(٤) د. إبراهـــيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالـــثة ، مكتـــبة الانجلـــو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٦ ؛ وأيضا : د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٥) فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتى)، ص ٢٤٥.

وكـــان علمـــاء اليونان ومثقفيها يتلقون العلم على يد الكهنة المصريين .(١) ويفخـــر الكثيرون من أهل الفكر فى اليونان الذين وضعوا أسس العلوم اليونانية بأنهم درسوا عدة سنوات فى مصر .(٢)

وعندما دخل الاسكندر الأكبر مصر ، اصطحب معه فى فتوحاته عدداً كبيراً مـــن العلمـــاء والفلاســـفة والأدباء ، وأنه أثناء إقامته بمصر أرسل رجالاً يحاولون اكتشـــاف مـــنابع النـــيل وأســـباب فيضانه . وهى السياسة نفسها الذى سوف يتبعها بونابـــرت أثـــناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م عندما اصطحب معه مجموعة من العلماء الفرنسيين .

وكان بالإسكندرية علماء فى الفيزياء وآخرون فى الرياضات والفلسفة .(٣)

استمرار هذا الدور الثقافي المؤثر والفعال لمصر في العصر البطلمي ويتمثل ذلك في الدور الذي قامت به دار العلم ومكتبة الإسكندرية الكبرى في هذا العصر :

لم ينقض القرن الثالث ق.م حتى أصبحت مدينة الإسكندرية عاصمة للأدب فى العالم الإغريقى وذلك بفضل إنشاء دار العلم أو معهد الإسكندرية (الموزيون)(٤) ومكتبة الإسكندرية التى يرجع الفضل فى تأسيسها إلى بطلميوس الأول فى عام ٢٩٠ ق.م والـــذى عهـــد إلى المفكر السياسى الأثينى ديمتريوس الفاليرى بمهمة التصميم

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩٩ .
(٣) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٩٣ .
(٤) كانـــت كلمـــة موزيون تعنى أصلا معبد ربات التاريخ والأدب والفنون والفلك ، راجـــع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطـــبعة الثالـــثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ٢٠٨ (٤) ؛ د. صلاح البهنســـى : المتاحف المصرية كنوز من التراث الإنسانى ، ٢٠٠٤ ، ص ١٣ – ١٤ .

والتنفيذ لهاتين المؤسستين . ولم يكتف الملوك البطالمة بعد ذلك فى جلب العلماء إلى الموزيون من كافة أنحاء اليونان ولكن أحضروا أيضا الكتب والمخطوطات الأصلية مـن جميع أنحاء العالم اليونانى . والموزيون لم يكن متحفا كما يبدو من أسمه مجرد مكـان لتجميع التحف بل كان فى حقيقة الأمر أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى وقد شيدت هذه الأكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى وقد شيدت هذه الأكاديمية فى قلـب الحى الملكى ، الحى اليونانى ، حى البروكيوم وقد أنشئت هذه الأكاديمية على نمـط مدارس أثينا الفلسفية ، وبخاصة أكاديمية أفلاطون وليكيوم وأرسطو . ومع أن معلوماتـنا عـن نظمها ومبانيها ضئيلة جدا فكل يمكن قوله اعتمادا على ما جاء فى المصـادر القديمـة إنها كانت تتألف من مجموعة من البنايات الضخمة المشيدة من الـرخام الأبـيض والحجارة البيضاء ، وكانت هذه البنايات عبارة عن قاعات لإقامة التماثـيل ومعـارض للوحـات وأماكن للنوم وإقامة وقاعات للطعام وأماكن الراحة والمشـى والـنقاش والتأمل ، وقاعات محاضرات في الفلسفة والعلوم وقراءة أعمال الشـعراء وأعمال المؤرخين الكلاسيكيين ومساكن لإقامة العلماء والباحثين المغتربين والذين كان يقدر عددهم بأكثر من مائة عالم وباحث ، كلهم كانوا يقيمون تحت كفالة ورعايـة تلـك المؤسسة الملكية : الموزيون : المتحف . هنا كان الباحثون يدرسون ويبحـثون ويكتبون فى كل مجالات المعرفة البشرية : فى التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعـية والتطبيقية واللغة والأدب . وفوق كل هذا كانوا يقومون بتحقيق النصوص ويقومـون بنسخها وإعداد نسخ لبيعها لمن يريد أن يكون مكتبة شخصية وكان كبير أمناء المتحف أو مدير الأكاديمية شخصا عالما بل وأهم مفكر فى عصره [(١)] وتوحى القرائن بأنه كان يشغل فى الوقت نفسه منصب كاهن الإسكندر والبطالمة الذين كانوا محل قداسة . وهو الذى كانت تؤرخ باسمه كافة الوثائق فى طول البلاد وعرضها . وكـان يشغل أيضا منصب كبير حكام الإسكندرية . [(٢)] وهذا يذكرنا بما كان يتم فيما

---

(١) د. شـعبان خلـيفه : مكتـبة الإسـكندرية : الحـريق ... والأحياء ، كتاب الجمهورية ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٣ – ٢٤ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

يسمى بدور الحياة (بر – عنخ) فى مصر فى العصور السابقة .

وأن الملــوك الــبطالمة كـــانوا يدفعــون لهؤلاء العلماء مرتبات شخصية ويوفرون لهم كل مطالبهم المادية ويعفونهم من دفع الضرائب وأداء أى عمل إضافى يصرفهم عن البحث والكتابة .

كم اهتم الملوك البطالمة بمكتبة الإسكندرية أو المكتبة الكبرى بالإسكندرية ، وكانـــت اعظم المكتبات فى العصور القديمة . ويبدو انه خصصت فى دار العلم لكل فــرع من فروع العلم ، والفلك والتشريح والطبيعة والميكانيكا ، قاعة أو أكثر زودت بمـــا يلزم من الأدوات والآلات والأجهزة . وأما علماء النبات والحيوان فكانت لديهم حدائــق فسيحة تضم مختلف أنواع النبات والحيوان ، ولاسيما النادر منها . وقد كان أهـــم مـــا عنى به العلماء الجغرافيا والرياضيات والطبيعة والطب والتاريخ الطبيعى وفقه اللغة .

وقـــد كانت دار العلم أساساً معهداً للبحث العلمى وليست مركزا للتعليم ، فلم يكن العلماء والفقهاء والأدباء والفلاسفة مطالبين بإلقاء أية محاضرات ، ولم تنظم دار العلم أى نوع من الدراسات . ولكن شهرة هؤلاء العلماء الأعلام كانت تسترعى انتباه الراغبين فى العلم ، فيلتف حول كل منهم عدد من الراغبين فى الاستزادة من علمه ، ويقوم الأساتذة بتعليم من يتوسمون فيهم الإفادة من علمهم . وكان كل ما يهم الطالب انـــه درس على هذا او ذاك من أساتذة دار العلم فى الإسكندرية ، وقد كان هذا اللون من التعليم مثمرا إلى حد انه تمخض عنه عدد من المدارس المتنافسة فى كل فرع من فـــروع المعـــرفة ، فكانت هناك مدرسة اريستارخوس ومدرسة اريستوفانس فى فقه اللغـــة ، ومدرسة هيروفيلوس ومدرسة اراسيستراتوس فى الطب . والمقصود طبعا بهذه المدارس إتباع هذا أو ذاك من الأساتذة الذين كانوا يسرعون نحو كل منهم .[1]

واستمرت دار العلم فى دورها فى خدمة العلماء إلى عهد متأخر فى العصر الـــرومانى ، باســـتثناء الفـــترة القصيرة التى اضطهد فيها بطلميوس الثامن علماء

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

الإسـكندرية وفنانـيها لان الكثيريـن منهم كانوا يعطفون على أخيه وأخته فى أثناء النضـال على العرش فاعتبرهم أعداءه وصب عليهم جام غضبه . وتحدثنا المصادر القديمـة بأنـه نتـيجة لذلـك تشـرد فى أنحاء العالم الإغريقى الكثيرون من علماء الإسكندرية وفنانيها فبعثوا نهضة علمية وفنية فى كل الأماكن التى فروا إليها .

وبفضـل جهـود علماء دار العلم فى الإسكندرية أمكن تنظيم البحث العلمى الجمـاعى لأول مـرة فى التاريخ ، وتوفير مطلق الحرية للعلماء فى متابعة بحوثهم دون أى توجـيه أو ضـغط سياسـى أو دينى ، ودون الجرى وراء أى هدف سوى البحث عن الحقيقة والتبحر فى أعماق المعارف .

وفـى ظـل هـذه الظروف انطلق العلماء فى بحوثهم وأفادوا من كل ثمار البحوث السابقة سواء أكانت المصرية صحيحة أم بابلية أم إغريقية (١) فأحدثوا نهضة علمية باهرة لم يشهد العالم لها مثيلا من قبل . ومن هنا برز دور المكتبة الكبرى .

فعلى حين كانت دار العلم مركز البحوث العلمية ، كانت المكتبة الكبرى اى قـبـل نهاية حكمه ، ضاف المبنى الأصلى للمكتبة بما فيه من كتب مما استوجب مركـز الدراسـات الإنسانية . وقد حرص الملوك على أن يزوروها بأنفس المؤلفات وان يسندوا الأشراف عليها إلى علماء بارزين .

ــكـان بطلمـيوس الأول هو الذى وضع نواة المكتبة الكبرى بما جمعه من كتب ، ورعاها بطلميوس الثانى إلى حد انه عند منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، أى قـبـل نهاية حكمه كانت تضم عشر صالات واسعات ، وكانت جدرانها مقسمة إلـى خزانات مرقمة ومعنونة وفى كل خزانة كانت ترتب الكتب والمخطوطات التى تحوى الحكمة والعلم والمعرفة التى تراكمت عبر القرون . ولقد خصصت كل صالة مـن الصالات العشر لأحد فروع المعرفة البشرية حسب التصنيف العشرى الهللينى للمعرفة على نحو ما جاء فى فهرس كاليماخوس المسمى بيناكس . وكان من المألوف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

أن يرتاد هذه الصالات العلماء والباحثون للقراءة والبحث والإطلاع .(١)

ومن هنا تكون مكتبة الإسكندرية مكتبة عالمية قامت على ارض مصر ذات التاريخ العريق فى إنشاء المكتبات (٢) ، وهذا يذكرنا بدور المخطوطات بر – مجات فـى مصـر القديمـة ، وبلـد مواد الكتابة والبردى وأدوات الكتاب ، ضاق المبنى الأصـلى للمكتـبة بما فيه من كتب مما استوجب إنشاء مكتبة ثانية فى السيرابيوم ، تعرف باسم المكتبة الصغرى ، وأودع فيها ٤٢,٨٠٠ مجلد ، لعلها كانت نسخا مكررة رؤى نقلهـا مـن المكتـبة الكبرى ، وذلك لتوفير مكتبة ثانية يستطيع القارئ العادى الـتردد عليها . وقد أقتفى بطلميوس الثالث خطوات أبيه وجده على كل القادمين من الخـارج أن يسلموا عند وصولهم إلى الإسكندرية كل ما معهم من كتب لإيداعها فى المكتـبة إذا لـم تكـن مـن بين مقتنياتها على أن تنسخ صورة من كل منها تعطى لأصحابها بدلا من النسخ الأصلية التى تم تسليمها . ويروى أيضا انه استعار من أثينا النسخ الأصلية لمؤلفات " ايسخيلوس " و" سوفوكليس " و" يوريبيدس " من أجل نسخها وقـدم ضـمانا ماليا يقدر بحوالى ٦٠ ألف جنيها حاليا ، ولكنه ضمن بهذا المبلغ فى نظير استبقاه النسخ الأصلية ورد نسخا جديدة بدلا منها .(٣)

وتـتفاوت تقديـرات المصـادر القديمة لعدد الكتب التى كانت تحويها كل من هاتين المكتبتيـن . ولعل أقربها إلى الحقيقة تقدير العالم البيزنطى تزتزس ، الذى يذكر انه كـان يوجـد فى المكتبة الكبرى ٤٠٠ الف مجلد مختلط و٩٠ ألف مجلد بسيط غير مختلط ، وفى المكتبة الصغرى ٤٢,٨٠٠ مجلد ، ثم يضيف إلى ذلك أن كاليماخوس هو الذى وضع فيما بعد فهارس هذه الكتب أو المجلدات . ويبدو أن المقصود بعبارة مجلـدات غير مختلطة لفافات من الأوراق البردية كانت كل منها تحوى كتابا واحدا صغير الحجم .

---

(١) د. شعبان خليفه : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١١ .

أما المجلدات المختلطة فإنها كانت اللفائف البردية الضخمة التى تحتوى كل منها على كتابين أو أكثر . وقد بقيت المكتبة الكبرى كعبة الباحثين والمطلعين إلى أن تعرضـت للحـريق ، حرص المسئولون فى مكتبة الإسكندرية القديمة على جمع ما يمكن جمعه من مخطوطات أو بزديات مصرية قديمة سواء فى أصولها أو ترجماتها والـتى تشمل جميع أنواع المعارف الثقافية التى توصل إليها المصريون القدماء ومما شـك فيه أن مصدر هذه البرديات كانت المكتبات الملحقة بالمعابد الكبرى ولابد إنها كانـت كثـيرة جدا جمعت من مختلف المصادر لتستقر فى مكتبة الإسكندرية القديمة ولعـل هذا هو سر عدم عثورنا على محتويات المكتبات المصرية القديمة قبل مكتبة الإسكندرية وهى كثيرة جدا أيضا رغم عثورنا على مبانيها وأماكنها .(١)

كمـا حرصـت مكتـبة الإسـكندرية على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسـية واليونانـية والمخطوطات التى كتب بخطوط أخرى مثل الفينيقية (٢) كما حـوت مؤلفـات أو مخطوطـات مشاهير الثقافة فى مصر وفى اليونان وفى الشرق الأدنى القديم . ومن الهند أيضا جاءت كتب وأعمال كثيرة مترجمة وأصلية إلى مكتبة الإسكندرية تلك القارة التى غزاها الإسكندر بعد أن دمر الإمبراطورية الفارسية (٣) .

وهذا يذكرنا بما قام به من قبل الملك سرجون الثانى (الآشورى) ٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) عـندما أنشـأ مكتبة فى نينوى ، وزار هذه المكتبة أولاده وأحفاده وكان أكـثرهم حـباً للثقافات القديمة وجمعها فى مكتبات هو آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م) الـذى أرسـل منشورا إلى حكام ولاياته فى الأقاليم يأمرهم فيه بالتحرى عن الألواح المسمارية القديمة حيثما وجدوها ويرسلوها إلى قصره . (٤)

---

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ – ٧١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٤) د. رمضـان عـبده : تـاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : إيران – العراق ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٦٩ .

ففى أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر عام ٤٨ ق.م قامت الجرب التى عرفت فـيما بعد باسم " حرب الإسكندرية " بين جنود قيصر والسكندريين ، وعندما وصل قيصر إلى الإسكندرية فى ٢من أكتوبر عام ٤٨ ق.م كان معه قوة صغيرة تتألف من ٣٤ سـفينة و ٨٠٠ فـارس و٣٢٠٠ من المشاه . وكان السكندريين فى الميناء ٧٢ سفينة ، وفى الأحواض ٣٨ سفينة على الاقل ، ولذلك أمر بإحراق هذه السفن جميعاً إذ لـم يكن فى استطاعته ، بسبب قلة رجاله ، استخدامها ولا حمايتها من الوقوع فى قبضة خصومه . فارتفع اللهب بشدة ، حتى امتد إلى رصيف الميناء .

وأحـرق المـبانى المجاورة له [1] ويرى بلوتارك أن المكتبة الكبرى كانت جـزءا مـن هـذه المبانى ، ويؤيد ذلك أديب معروف ويدعى اولوس جلوس ويؤكد سـنكا ، الذى استمد معلوماته من ليفيوس ، أن عدد الكتب التى التهمتها النيران يبلغ علـى الأرجـح ٤٠٠ ألف مجلد .[2] وقد أهدى أنطونيوس إلى كيلوبترا مكتبة برجام تعويضـاً لها عن الكتب التى أحرقت فى عهد قيصر ، وتحدثنا المصادر القديمة بأن الهدية كانت تتألف من ٢٠٠ ألف مجلد بسيط .[3]

ويـرى بعض المؤرخين فى العصر الحديث أن المكتبة الكبرى لم تتعرض للهيب النيران ، بل يعتقدون أن النيران لم تلتهم إلا كتبا كانت مخزونة مؤقتا بالقرب من الميناء لنقلها إلى روما ، أو على الأكثر مخازن المكتبة الكبرى . ويعتمدون على هذا الرأى بأنه لم يرد لحادث هام مثل حرق المكتبة الكبرى ذكر فيما كتبه قيصر ولا مؤلف تاريخ حرب الإسكندرية ولاسترابون ولاشيشرون ولالوكيانوس ، وربما إغفال ذكـر حـادث مـثل هذا الحادث كان متعمدا لأنه لا يشرفهم أن يعرف مواطنيهم أن

---

(١) د. إبراهـيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

الحريق حدث بسبب هجوم قيصر .[١]

ومما يؤكد أن الحريق قد امتد إلى المكتبة الكبرى وقضى عليها ، أن أنطونيوس أراد أن يعوض كليوباترا عن تلك الخسارة الفادحة فأهدى إليها ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة برجام .

وتعرض ما بقى من كتب والهدية التى أهداها أنطونيوس للحريق مرة أخرى عندما أحرق الإمبراطور ماركوس اورليوس الحى الملكى بالإسكندرية فى عام ٢٧٢ ميلادية فدمر جانب منها ونقل ما تبقى فيها من كتب إلى مكتبة السرابيوم .[٢]

وقد راحت البقية الباقية من هذه المكتبة ضحية للصراع بين المسيحيين والوثنيين ، عندما أصبحت المسيحية الدين الرسمى للدولة ، فقد أمر ثيوفيلوس (أسقف الإسكندرية من ٣٨٥ إلى ٤١٢ ميلادية) بتدميرها بوصفها معقل الآراء الهدامة والآراء الوثنية . ويحدثنا أوروسيوس بأنه لم يعد لبقايا المكتبة أى وجود فى عام ٤١٦ ميلادية ، أى قبل الفتح العربى بأكثر من قرنين ومن ثم فان اتهام المسلمين بإحراق مكتبة الإسكندرية رأى لا يستند إلى الحقيقة العلمية . لان الكتب الوثنية كانت اشد خطرا على المسيحيين الذين كانوا يستطيعون قراءتها منها على المسلمين الذين كان يتعذر عليهم قراءتها على الإطلاق . لأنها كتبت باليونانية وادعى بعض الإخباريين العرب آن عمرو بن العاص هو الذى حرق المكتبة ، وربما ادعى المؤرخون العرب هذا الادعاء على اعتبار ان هذه المكتبة كانت تحتوى على كتبا وثنية فأرادوا أن ينسبوا فضل محو أحد رموز الوثنية إلى عمرو بن الخطاب .

وجذبت دار العلم هذه العلماء فى كل فروع العلم والمعرفة من جميع أنحاء بلاد اليونان كما أخرجت هذه الدار الكثير من العلماء اليونان ذوى الشهرة الواسعة وأخرجت كذلك أكثر من عالم من أبناء مصر الوطنيين فى المجالات العلمية المختلفة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

وممـــا يؤكـــد على استقلال المكتبة عن المتحف أنه كانت لها إدارة مستقلة قائمـــة بذاتها وأن رئيس المكتبة كان يعين بقرار من الملك شأنه فى ذلك شأن رئيس المـــتحف ومديره . ويعطينا د. شعبان قائمة بأسماء من تولوا إدارة المكتبة ابتداء من ديمتريوس القاليرى حتى كايوس فاسيتوس من عام ٢٩٠ ق.م حتى عام ١٣٠ م .[١]

علماء وأمناء المكتبة :

أسدى العلماء الذين عينهم البطالمة فى المكتبة خدمات جليلة للعلم ، فانهم لم يقصـــروا عنايتهم على وضع فهارس للكتب بل وضعوا أسس علم التصنيف وتحقيق النصوص والنقد الأدبى ، وابتكروا العلامات الصوتية وكذلك علامات الاستفهام وما إليها من فواصل الكلام .

وكان علماء الإسكندرية عند دراسة أى مؤلف يهتمون أولا بتحقيق النص ثم بشرح لغته وبعد ذلك بتفسير الموضوعات التى يتناولها .

عـــثر فى أطلال مدينة اوكسيرنخوس فى الصحراء الغربية المصرية على بردية تحمل رقم ١٢٤١ بين برديات مجموعة اوكسيرنحوس وهى ترجع إلى النصف الأول مـــن القرن الثانى بعد الميلاد فى عصر الأباطرة الرومان الأول ، وتحمل هذه الـــبردية ستة أعمدة من الكتابة المتصلة تتضمن قائمة بالنحاتين والمثالين والرسامين والنحويين المشاهير وأمناء مكتبة الإسكندرية .[٢]

كان أول أمين للمكتبة زنودوتوس ومساعداه : إسكندر الايتولي وليكوفرون الأيوبـــى ، فقـــد عكف الثلاثة على جمع وتصنيف وتحقيق ونقد الشعر الإغريقي من أشـــعار هومـــيروس وهسيود وبيندار واناكربون كما عنوا بالتراجيديا والكوميديا .[٣]

---

(١) د. شعبان خليفة ، المرجع السابق ، ص ٤٧ – ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

وترينا مقارنة نصوص الأشعار الهوميرية التى نشرها على التوالى أعظم نقاد الأدب فى عصر البطالمة الطريقة التى كان أولئك العلماء يتبعونها . ويرتكز النقد السكندرى بمعـنى علـى قواعد ثابتة أكيدة تخالف تماما قواعد النقد عند الرواقيين ، وذلك النقد التخيلى الذى ظهر فيما بعد فى برجام .

وقـد عنى بعض علماء الإسكندرية بدراسة قواعد اللغة فقط ، وقد كان أول كـتاب عـن قواعـد اللغـة اليونانـية مـن وضـع ديونيسـيوس الـتراقي تلميذ اريستارخوس .(١)

وقد قام كاليماخوس بتصنيف الكتب فى المكتبة إلى ثمانية أصناف :

المسـرحيات ، الشـعر الحماسي والغنائي ، التشريع ، الفلسفة ، التاريخ ، الخطب وعلم الخطابة ، وموضوعات مختلفة الأنواع .(٢)

ووضع للكتب فهارس رتبها فى بعض الأصناف ترتيبا زمنيا ، وفى البعض الأخـر ترتيـبا أبجديا أما للموضوعات أو للمؤلفين ، وكانت الفهارس تتضمن فضلا عـن أسـماء المؤلفيـن وأسماء الكتب والجملة الأولى فى كل كتاب وعدد سطوره وترجمة أدبية موجزة .

تولى وظيفة أمين المكتبة بعد زنودتوس ابولونيوس الرودسي واراتوسثينيس واريسـتوفانس البيزنطى الذى علق على فهارس كيالماخورس ، وابولونيوس مؤرخ الأدب الاغريقى ، واريستاخورس ، وكيداس احد رجال حرس الملك وكان اغلبهم من معلمى ومربى أفراد الأسرة المالكة .(٣)

لـم تكن الإسكندرية بفضل دار العلم فيها عاصمة الأدب فحسب فى العالم الهلينيسـى بل كانت كذلك عاصمته العلمية بفضل رعاية البطالمة الأوائل ، فقد بذل

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

بطلميوس الأول جهده فى اجتذاب الفلاسفة والكتاب والعلماء إلى عاصمته . كما وفر هـو وغيره من البطالمة الرعاية الكافية للعلم مما أدى إلى تقدم العلوم تقدما محسوسا فى دار العلم بالإسكندرية .

جمـع علماء دار العلم فى الإسكندرية بين العلوم والفلسفة والأدب والدين ، هـذا الجمـع بيـن مظاهـر الفكـر الأربعة هو أهم سمات مدرسة أو دار العلم فى الإسكندرية .

بلغـت العلـوم أوج مجدها فى ظل دار العلم والمكتبة فى الإسكندرية . فقد زارها العديد من العلماء منهم :

أرشـميدس وأفاد من علمائها وهو صاحب قانون الطفو . وفى دار العلم لم تهمل الرياضيات والعلوم البحته .

أراتوسـثينس (٢٧٥ – ١٩٤ ق.م) الذى يعتبر ما كتبه أعظم مثل للنثر السكندرى ، عندما استدعاه بطلميوس الثالث ليخلف ابولونيوس الرودسى فى منصب أميـن المكتـبة . وقد كانت سعة إطلاعه وتبحره فى مختلف العلوم والفنون مضرب الأمثال . فقد كتب فى الشعر والفلسفة وقواعد اللغة وفقه اللغة والتاريخ والجغرافيا . ولكن مؤلفاته فى العامين الأخيرين فاقت سائر ما كتبه . وأهم ما وضعه فى التأريخ كـتاب كبـير يطلـق عليه " علم التأريخ " وأهم مؤلفاته فى الجغرافيا كتابان ، كان أحدهما بحثا عن قياس أبعاد الكرة الأرضية والآخر كتابا فى ثلاثة أجزاء يسمى " علمُ الجغرافيا " وقدر فى الكتاب الأول محيط الكرة الأرضية تقديراً يثير الإعجاب . فان التقدير الصحيح هو ٤٠,١٢٠ كم بينما كان تقديره ٣٩,٦٩٠ كم . وقد وصل إلى هذه النتيجة بملاحظة موضع الشمس وقت الظهر فى الإسكندرية وفى أسوان وقت المنقلب المصيفى .(١)

---

(١) د. إبراهـيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ – ٢٢٥ ؛ ايدرس بل : مصر مـن الاسـكندر الأكـبر حـتى الفـتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٣.

ثم حظا علم الفلك خطوات واسعة على يدى اريستارخوس من ساموس الذى كـان يعـيش حوالى عام ٣١٠ ق.م وكان يلقب بلقب الرياضى ، للتفرقة بينه وبين الكثيريـن ممـن يحملون الاسم نفسه . وذاعت شهرته بوصفه عالماً رياضياً وفلكياً ووضـع عدة كتب كان أشهرها عن حجم وأبعاد الشمس والقمر .(١) واكتشف دوران الأرض حـول الشمس قبل أن يكتشفه كوبر نيكوس ويأتى بعد ذلك من علماء الفلك فى الإسكندرية كونون من ساموس الذى أطلق على مجموعة من النجوم اسم " جدائل شعر برينيكى " .

ويقال كونون وضع سبعة كتب عن علم الفلك وأهداها جميعـا لبطلميوس الثالـث ، وأنـه وضـع كذلـك قائمـة بكل ما حدث فى مصر من حالات كسوف الشمس .(٢)

أما أعظم علماء الفلك فى الإسكندرية فهو هيبارخوس من نيقيا الذى استخدم حسـاب المثلـثات لأول مرة استخداما منظما دقيقا . وقد كانت أعظم كشوفه تحديد الاعتداليـن الربيعى والخريفى . وقدر هيبارخوس طول الشهر القمرى فى المتوسط بفـترة مـن الزمن طولها ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٢,٥ ثانية ، وهو تقدير مدهش لأنه لا يقل إلا بثانية واحدة عن التقدير المقبول اليوم . ويقال انه ادخل تحسينا علـى تقديـر اريستارخوس لحجم وأبعاد الشمس والقمر . وقد وضع فهرسا بالنجوم الثابـتة أثبـت فيه وجود ٨٥٠ نجم أو ما يزيد على ذلك ، وفرق بين مقدار لمعانها وأوضح مواقعها ، وأعد كرة بين عليها مواقع النجوم كما حددها ، وأخيراً وضع كتاباً عن الجغرافيا كان أساسه تطبيق معارف علم الفلك على الجغرافيا .(٣)

عاصـر اقليدوس بطلميوس الأول ، وجاء قبل اراتوستينيس وارشميدس ، وأسـس فى الإسكندرية مدرسة تعلم فيها فيما بعد ابولونيوس من برجا ووضع كتابا

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

فى الهندسة يعرف باسم " العناصر " وقد وضع أقليدوس كتبا أخرى لم تكن مقصورة علـــى الهندسة ، بل شملت فروع الرياضيات كان أحدهما يتضمن نظريات من النوع نفســه الــذى كـــان يتضـــمنه كتاب العناصر ، وكان الكتاب الثانى رسالة أولية عن المـــنظور ، والكـــتاب الثالـــث يشمل نظريات عن الفلك والكتاب الرابع رسالة عن العناصر الموسيقى .[١] وكان أرشميدس قد تتلمذ على يد أقليدس .

وفـــى عهـــد بطلميوس الثالث تألق نجم أبولونيوس ، الذى ولد فى برجا ، ودرس مـــدة طويلة فى الإسكندرية على يد خلفاء أقليدس ، ونبغ فى الهندسة . وكان أبولونيوس إلى جانب ذلك عالما فلكيا ممتازا .[٢]

واكتســـيبيوس الأكبر – الذى يحتمل انه كان يعش فى عهد بطلميوس الثانى أو الثالث – كان ابرز من اشتغلوا بالدراسات الميكانيكية . وقد وضع كتابا وصف فيه تجاربـــه واخـــتراعاته لكنه لم يصل إلينا ، ولذلك فأننا نستمد معلوماتنا عنه مما كتبه القدماء .[٣]

وفى الإسكندرية اخترع هيرون الآلة البخارية أو لعله نقلها من غيره ، كما اخترع الآلة الاتوماتيكية .[٤]

ويـــبدو أن بطلمـــيوس الـــثانى كان أكثر ميلا إلى العلوم الطبيعية والتاريخ الطبيعى ، وأن بطلميوس الثالث كان شغوفا بالرياضيات .[٥]

---

(١) د. إبراهيم نصحى: المرجع السابق ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(٤) آلة تدار بوضع عملة صغيرة فى ثقب بها ، راجع ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ٧٣ حاشية (٢) .

(٥) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

على أن التخصص الأصلى لدار العلم بالإسكندرية كان بحوث علم الحيوان بوجـه عـام ، وهـى الـبحوث الـتى اهتم بها ثيوفراستوس بعد أرسطو . كما نبغ ثيوفراستوس فى علم النبات . واهتمت دار العلم أيضا بالطب بوجه خاص .

وكـان أبـرز علمـاء الطب فى الإسكندرية هروفيلوس العالم فى التشريح وأراسيتراتوس العالم فى وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) ولانعرف عن حياة هذين العالميـن إلا أنهما قدما من آسيا الصغرى لمزاولة عملهما فى الإسكندرية فى خلال النصـف الأول من القرن الثالث ق.م ومما يؤسف له أن أبحاثهما قد فقدت ، وإن كنا نعـرف جانـباً كبـيراً منها من الإشارة إليها فيما كتبه المتأخرون ، وأمثال جالنوس وسورانوس وكلسوس .

وكان هروفيلوس أحد أتباع مدرسة أبقراط ويمارس مهنته ويقوم بأبحاثه فى الإسكندرية على عهد البطالمة الأوائل . وهو الذى كشف الدورة الدموية ووجه عناية كبيرة إلى ضربات النبض . وقد كانت أبحاثه التشريحية تدور حول المخ والأعصاب والكبد والرئتين وأعضاء التناسل .[١]

وقد كان من طبيعيا أن يؤدى تقدم التشريح إلى تقدم الجراحة . ومن أسباب مجـد طـب الإسـكندرية اختراع آلات جراحة جديدة واستخدام هذه الآلات بمهارة فائقة .

وقد كان من أشهر تلاميذ هروفيلوس طبيب يدعى فيلينوس عزا إليه كثيرون إنشاء مدرسة طب جديدة فى الإسكندرية تدعى المدرسة التجريبية .[٢]

وظهـر أيضـاً فـى هـذا المجال أبولونيوس من منف ، وكان أحد تلاميذ أراسيستراتوس ، واستخدم المعارف المصرية القديمة فى مجال الطب .[٣]

---

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ – ٢٣٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

وبلـــغ مـــن الشـــهرة دار العلم فى الإسكندرية فى الطب ما ذكره اميانوس ماركيلينيوس إذ أشار إلى انه كان يكفى لتزكية اى طبيب ان يكون قد تعلم الطب فى الإسكندرية .(١)

وفـــى القـــرن الثالث ق.م ، وفى خلال الخمسة القرون التالية أخرجت هذه المدرسة الكثير من العلماء ذوى الشهرة الواسعة فى مجال الفلك أمثال : ارستاركس وارستيلاس وتماخورس وسوسجتر .(٢) واشهر علماء مدرسة الإسكندرية هو :

كلوديـــوس بطلميوس مصرى الأصل من اصل يونانى نشأ فى الإسكندرية (توفـــى بعـــد ســـنة ١٦٨ مـــيلادية) من علماء الفلك وتركيب الأفلاك والرياضة والجغرافـــيا وتسطيح الكرة الأرضية والطبيعة والتاريخ ، وله فى الفلك اكتشافات ، وـــله كذلـــك انتقادات وتفسيرات .(٣) ولكنه اشتهر بمؤلفه المسمى " المجسطى " وقد كتب أيضاً فى الضوء وفى الجغرافيا .(٤) وهو الذى اشتهر بين العرب فيما بعد .

ويعتـــبر قمـــة فـــى علـــم الجغرافـــيا القديمـــة متمـــيزا علـــى ســـابقيه من أمثال سترابون ، وذلك لأنه لم يكن مثلهم جغرافيا فحسب بل رياضيا مجددا إلى جانب كونه فلكيا وعالما طبيعيا . ودرس الجغرافيا على أساس رياضى فلكى وعمل خريطة للعالم وضع عليها أماكن كل إقليم بنسبة أبعادها الصحيحة .(٥)

---

(١) د. عـــبد العزيـــز ســـالم : تـــاريخ الإســـكندرية وحضـــارتها فـــى العصـــر الاسلامى ،١٩٨٢ ، ص ٣٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٢– ٥٨٣ .

(٣) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الاولى ، ١٩٨١ ، ص ١٣ وحاشية (٥) .

(٤) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٥٨٢ – ٥٨٣ .

(٥) د. مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، ص٢٧١ .

وقــد بلــغ اتجاه خلط الطب بالفلسفة ذروته لدى جالينوس ، وهو من أشهر الأسماء فى مدرسة الإسكندرية .[١]

وإلــى جانــب تفــوق بعــض العلماء فى مجال الطب والرياضة والهندسة والكيمــياء والجغرافيا والفلك . فقد تفوق العلماء الآخرين فى مجال الشعر والأدب إذ وفد إلى مدرسة الإسكندرية الشعراء والأدباء . أما للدراسة أو المناقشة أو الإفادة من المكتبة ، ففى مجال الأدب اجتمع فيها شعراء من أمثال :

كالــيماكوس وثيوكريــتوس وابولونيوس الرودى وهيرواندااس وقامت بينهم مناقشات أدبية ونقدية . واتخذ الأدب الإغريقى انذاك اسم الأدب السكندرى .[٢]

ومن أشهر فلاسفة مدرسة الإسكندرية أو دار العلم فيها ، الفيلسوف اليهودى فيلون السكندرى (من ٣٠ ق.م - ٥٠ م) الذى تمثل فلسفته اهم محاولة للتوفيق بين الديانة اليهودية والفلسفة اليونانية ، وقد استند فى فلسفته إلى التأويل الرمزى لقصص الــتوراة ، وان " اجــتماع شمل اليهود فى بلد واحد قد قصد به إجماع الفضائل فى الــنفس (الواحــدة) وتنافســها (واســتقرارها) بعد ما تحدثه الرذيلة (فى داخل الإنسان) من تشتت " .[٣]

وفــى الإســكندرية أيضا ترجمت التوراة إلى اللغة اليونانية وهى الترجمة المعروفة باسم السبعينية .

---

(١) المــرجع الســابق ، ص ١٤٥ ؛ د. أحمــد صــبحى : المــرجع السابق ، ص ٢٢١ - ٢٢٥ ؛ د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) د. عــبد العزيــز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ ؛ د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٤٥ ، ٢٢١ .

(٣) د. أحمــد صبحى : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

أمـــا الفيلسوف الكبير الذى تخرج فى الإسكندرية ويعتبر زعيم الأفلاطونية الحديـــثة فهو أفلوطين من أبناء أسيوط فى صعيد مصر فى القرن الثالث الميلادى . وكانـــت فلسفة أفلوطين تجمع بين الفلسفة اليونانية والفكر الشرقى ، فهو يعتمد أساساً على فلسفة أفلاطون والفيثاغورثية الحديثة .(١)

كانـــت مصـــر أول البلاد الأفريقية التى دخلتها المسيحية في حوالي القرن الأول المـــيلادى علي يد القديس مرقس الإنجيلي الذى بني أول كنيسة بالإسكندرية ، واجتذبـــت المســـيحية عدداً من يهود الإسكندرية وغيرهم من سكان البلاد اليونانيين والمصريين – ولقيت المسيحية بيئة صالحة للنمو والانتشار ، لأنها كانت تعبيرا قويا على نزعة قومية مصرية ضد الرومان الذين يسيطرون على مصر وغيرها من بلاد الشرق القديم ، وكان الرومان حتى ذلك الوقت على الوثنية .(٢)

اســـتمرت دار العلم في الإسكندرية في دورها في العصر البيزنطي كمركز للعلـــم والـــثقافة يقصـــدها الدارسون من شتى الأقطار وكثيراً ما حضر الشباب إلى الإســـكندرية لدراســـة العلوم الإنسانية (اى الفلسفة وآدابها) ثم تحولوا بعد ذلك إلى المســـيحية وخاصـــة فـــى القرنين الرابع والخامس الميلاديين . ومثال ذلك القديس ســـيفيروس الذى جاء من إنطاكية وكان لا يزال وثنيا ، ودرس العلوم الوثنية فى دار العلـــم بالإسكندرية وهناك التقى بعدد من أعلام العصر مثل زكريا وتوماس من غزه وربنو دوتوس وبالراليوس من آسيا الصغرى .(٣)

ومن الشخصيات اللامعة فى تاريخ دار العلم الوثنية بالإسكندرية فى العصر البـــيزنطى الفليســـوفة الجمـــيلة هيباتيا ، وكان والدها أستاذاً للرياضة ، وهى أستاذ

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٢) د. ســـر الخـــتم العـــراقى : الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أفريقيا الغربية حتى القرن السادس عشر ، فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب بالمنيا العدد الثانى ١٩٩٧ ، ص١٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

الفلسـقة ، وبلـغ مـن شـهرتها ومجدها أن قصدها الطلاب واستمع إليها الوثنيون والمسـيحيون علـى السواء ، حتى لقيت مصرعها على آلات التعذيب والحرق أثناء بعض الفتن فى مطلع القرن الخامس .[١]

ومن أشهر الشخصيات التى تلقيت المعرفة على يد هيباثيا سنيسيوس أسقف كنيسة قورينة فى برقة ، وبالرغم من كونه مسيحيا ورجل دين له مكانته ، فلم يخف إعجابه الشديد بهيباثيا رغم وثنيتها وبمدرسة الفلسفة بالإسكندرية .[٢]

ويذكـر بعـض الإخباريين العرب أسماء بعض العلماء والمفكرين اليونان الذين نهلوا من الثقافة المصرية القديمة مثلما ما جاء عند :

- الكندى : بعد ٣٥٥ هـ – ٩٦٦م .[٣]
- أبـو الصـلت أمـيه : الأديب والشاعر الكبير من بلاد الأندلس الذى وصل إلى الإسكندرية فى عام ٤٨٩هـ (١٠٩٥ – ١٠٩٦م) .[٤]
- ابـن ظهيره : من علماء القرن التاسع الهجرى (ربما ٨٨٥ أو ٨٩١) [٥] ونذكر هنا كمثال ما جاء عند :
- ابن أياس : نحو ٩٣٠هـ – ١٥٢٤م فيذكر :

" قـال الكندى : وكان بها من الحكماء ، إنما يتمون ، وفيثاغورس ، وهما تلامـيذ هـرمس ، وإلـيهم يعزى علم الكيمياء والنجوم ، وعلم السحر والروحانيات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .
(٣) الكـندى : فضـائل مصـر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه القاهرة ، ودار الفكر بيروت ١٩٧١، ص ٣٤ – ٣٧ .
(٤) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص ٤٨ .
(٥) ابن ظهيره: الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٨٥ – ٨٨ .

والطلمســات ، وأســرار الطبــيعة ؛ ومنهم ارسلاوس ، وبندقليس أصحاب الكهانة والسحر ؛ ومنهم سقراط ، صاحب الكلام على الحكمة .

ومنهم أفلاطون ، صاحب السياسة والكلام عن المدن والإقاليم وغير ذلك ؛ وممــا وقع له من النكت اللطيفة ، أنه رأى امرأة مصلوبة على شجرة ، فقال : ليت على كل شجرة مثل هذه الثمرة .

ومــنهم ارسطاليس ، صاحب المنطق ، ومنهم بطلميوس صاحب الرصد ، والحســاب ، وتركيــب الأفلاك ، وتسطيح الكرة ؛ ومنهم اراطس ، صاحب صور (١٦ ب) الفلك .

ومــنهم افلطيــنوس، صاحب الفلاحة ، ومنهم ابرجيس ، صاحب المعرفة بــذات الخلــق ؛ ومــنهم تــاول ، صــاحب الريح ، ومنهم دامابنوس ، ووالبس ، واصطقر ، أصحاب كتب أحكام النجوم .

ومــنهم انذريــه ، صاحب الهندسة ، والمقادير والآلات لقياس الساعات ؛ ومــنهم قلــيور ، صــاحب عمــل الدواليــب والأرحية ؛ منهم ارمسيس ، صاحب المنجنــيقات ، الــتى يرمى بها على الحصون ؛ ومنهم قليطر ، وصاريه ، اصحاب الطلمسات والبرابى . (١)

ومــنهم ايلونــيوس ، صــاحب المخروطات ؛ ومنهم تابوشيش ، صاحب الاكــره ، ومنهم قيطس ، صاحب حساب الأفلاك ؛ ومنهم افطوقس ، صاحب كتاب الأسطوانية .

---

(١) ابــن ايــاس : بدائــع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب لها المقدمة محمد مصــطفى الجــزء الأول القســم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٣١ – ٣٢ .

ودخلها ، وأقام بها جالينوس ، صاحب الطب ، والينوس ، وديسقوريدس ، صـــاحب الحشائش ؛ ومنهم روحاش ، والانماى ، وأساسيوس ، وهرهونوس ، وهم من حكماء اليونان ؛ وسقراط ، وأبقراط .

وقـــد أخـــذ اليونانيون عن المصريين الكثير من مبادئ العلوم ومنها حوالى ثلاثيـــن نظـــرية في قواعد العلوم المختلفة [1] . وهى مبادئ علمية لم يقتصر مجالها علـــى الخـــبرة الناتجة عن الممارسة فحسب وإنما دونها المصريون القدماء فى شكل قواعـــد علمية كما يظهر لنا ذلك بوضوح فى أوراق البردى الطبية مثل بردية ابرس المحفوظـــة الآن فـــى جامعـــة لايـــبزج ، وبردية هرست المحفوظة الآن فى جامعة كاليفورنـــيا ، وبـــردية ادوين سميث الموجودة الآن فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك ، وبردية برلين الموجودة الآن فى متحف برلين .

وقـــد تركـــت هذه البرديات وغيرها وما سطر عليها أثرها على المنجزات الطبـــية فى الطب اليونانى القديم وهو اثر وصل إلى درجة الاقتباس الكامل فى كثير مـــن الأحيان كما يظهر لنا بوضوح فى كتابات ديوسكوريديس وجالينوس وهيبوقراط (ابقراط) الذى يعتبر المعلم الإنسانى الأول لمهنة الطب . وهو أول من رتب الطب وبوبـــه ، وذلـــك فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد بنى الطب على أسس علمية صحيحة وطهره من الخرافات وجعل التجربة الصحيحة أساساً له . [2]

---

(١) د. إبراهـــيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى – مصر الـــبطالمة) ، ص ٢٠٣ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ؛ ألفـــه نخـــبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٧٩ – ٥٨٠ .

(٢) د. لطفـــى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٧٨ ، ص ٢٠٢ ؛ د. محمد أحمد : مظاهر الحضارة فـــى مصـــر العلـــيا فى عهد سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٣١٤ حاشية (٢٦٢) .

سادســا – بالنسبة للحياة الفنية ومظاهرها وما لها من تأثير فى فنون بعض الشعوب الأخرى :

فيمكــن القــول بــأن التأثيرات الفنية للفن المصرى القديم فى فنون البلاد الأخرى ، وتأثره بها ، يظهر واضحا فى فنون بعض بلاد الشرق القديم وفنون جزر بحر ايجه واليونان .

ففى الشرق :

يظهــر تأثــير الفن المصرى القديم بوضوح لأن الفن هو لغة مشتركة بين شعوب بلاد الشرق الأدنى القديم . ولاشك فى أن ما توصل إليه الفنان المصرى من أوضاع وقواعد واتجاهات فنية سار عليها وطبقها بكل دقة . قد أثر بها فى الآخرين كما تأثر هو نفسه بما توصل إليه الآخرون . مما يدل على مرونة فنانى بلاد الشرق الأدنى القديم وسعة أفقهم .

ويــبقى الســؤال الهــام كيف حدث هذا التأثير والتأثر الفنى ؟ وكيف تم ما يســمى بالتفاعل الفنى ؟ وبأى وسيلة تم الاتصال ؟ وفى أى فترة ؟ ومما لا شك فيه أنه من الصعب الإجابة على مثل هذه الأسئلة .

ولكــن يذكر باروه الاثرى الفرنسى الذى قام بعدة حفائر فى سومر وآشور بأن هذا الاتصال قد تم عن طريق الفن السورى – الفينيقيى .(١)

ويظهر هذا التأثير المصرى فى بعض الأشكال الأثرية التى عثر عليها فى إيــران ، فــى بلاد النهرين ، فى الأناضول ، فى بلاد الشام ، وفى اليمن . وقد قمنا بتجمــيع بعــض هــذه الأشــكال الأثرية التى لمسنا فيها وجود نوع من التشابه فى الاتجاهات الفنية ممثلا فى الآتى :

---

(١) Parrot, Assur, Paris (1961), p. 147.

إيـــران : - عــثر فـــى ســـوس على أناء مرسوم عليه بالحفر الغائر وملون بعجينة بيضـــاء ، ويـــرجع إلـــى بداية الألف الثانية ق.م وموجود الآن بمتحف اللوفر . وتمثل الرسومات طائر ينهش فى رأس سمكة كبيرة ، ومن تحت ذا المـــنظر مجموعـــة مـــن المثلثات والخطوط [١] وتذكرنا هذه الطريقة بالرسومات بالمغرة البيضاء على فخار نقادة الأولى فى مصر . واستطاع أهـــل نقادة الأولى أن يستخدموا خطوطهم فى تصوير أشكال شبه هندسية تشبه المثلثات والنجوم .[٢]

- هـــناك لوحـــة مـــن بقايا بوابة القصر الملكى فى بازار جاده من القرن الســـادس ق.م وموجودة بالموقع ويبلغ ارتفاعها ٢,٧٥ متر ، نقش عليها نصـــف معبود بأجنحة كبيرة ويرتدى زيا علاميا ويتوج رأسه تاج الآتف المصرى ومزود بالصلين المقدسين .[٣]

- عـــثر فـــى عـــام ١٩٧٢ علـــى تمثال ضخمن من الديوريت الأسود فى العاصـــمة ســـوس عثرت عليه البعثة الفرنسية التى تعمل هناك منذ عام ١٩٠٠ ، وهـــو محفوظ الآن بمتحف طهران ، وهو تمثال مغطى بنقوش كتبـــت بالخط الهيروغليفى ونلاحظ أن أسماء البلاد التى فتحها دارا كتبت داخل خراطيش يعلوها أشخاص يمثلون شعوب هذه البلاد . ومن الواضح أن هذا التمثال قد نحت ونقش فى مصر واصطحبه معه دارا .[٤]

---

(١) Parrot, op. cit., p. 241, 376 fig. 298 (B).

(٢) د. رمضـــان عـــبده : تـــاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق ٢٠٠١ ، ص ٣٩٨ .

(٣) Chirshman, Perse, Paris (1963), p. 128, 426 fig. 174; Parrot, Assur, p. 192, 374 fig. 241.

(٤) د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الأول : إيران – العراق ، دار نهضة الشرق ٢٠٠٢ ، ص ٩١ ، ١١٠ .

بلاد النهرين : هناك العديد من الأمثلة الأثرية يلاحظ فيها التأثير المصرى :

١- نقــش على أسطوانى من بداية الألف الثالثة ق.م وموجود الآن بمتحف اللوفر ، نلاحظ عليه تمثيل لحيوانين تطاولت أعناقهما وتشابكت . مثل ما هو وجود على صلاية الملك نعرمر الموجودة بالمتحف المصرى .(١)

٢- نقــوش مقبض سكين جبل العركى ، الموجود بمتحف اللوفر من الفترة السابقة ، ونــرى فى أعلى النقش منظرا يمثل شخص له سمات آسيوية يقوم بالفصل بين أسدين كبيرين . ودعى هذا المنظر الآثرى باروه إلى الحديث عن تأثير فن بلاد النهرين على الفن المصرى .(٢)

٣- نقش على ختم اسطوانى من بداية الألف الثالثة ق.م من الديوريت عثر عليه فى تل بيلا وموجود الآن بمتحف بغداد ، نرى عليه أشخاصا يقومون بطقوس دينية ومركب تتجه نحو مقصورة مقامة على حافة نهر ولها واجهة تشبه إلى حد كبير واجهة القصر الملكي المصرى (السرخ) . (٣)

٤- مســلة صــغيرة مــن الديوريت يبلغ ارتفاعها ١,٤٠ متر عثر عليها فى سوس ومغطــاة بالخط المسمارى على أوجهها الأربعة ، وهى موجودة بمتحف اللوفر وتــرجع إلى النصف الثانى من الألف الثالثة ق.م وهى تخص الملك مانيشتوسو من ملوك أكد .(٤)

---

(١) Parrot, Sumer, Paris (1960), p. 80, 381. fig. 98-99 (A-B).

(٢) Parrot, op. cit., p. 80, 381 fig. 99.

(٣) Parrot, Sumer, p. 74, 380 fig. 91(B).

(٤) Id., op. cit., p. 178, 385 fig. 215 .

٥- نقــش علــى لوحــة من الطين المحروق ارتفاعها ٥٠ سم ، نرى عليها معبودة عاريــة الجســد ولها جناحين ويتوج رأسها التاج المكون من أربعة طبقات من القــرون وتمسك بآلة القياس ، وهى ممثلة وواقفة على أسدين متعارضين يحيط بهمــا بومتين ولها رجل طائر بمخالبه ويرجع هذا النقش إلى بداية الألف الثانية ق.م ، ويوجد الآن بمجموعة خاصة تخص نورمان كول فيل .[١]

٦- نقــش آخــر على لوحة من الطين المحروق يمثل المعبودة السابقة ويتوج رأسها الــتاج المكون من أربعة طبقات من القرون ولها رجل طائر وتقف على جديين متعارضــيين ، ويوجــد هــذا الــنقش فى متحف اللوفر[٢] وتتشابه نقوش هاتين اللوحتين مع اللوحات السحرية المصرية المسماه بـــ"حورس فوق تمساحين " .

٧- لوحة من تل حلف تمثل فى منطقة الخابور ، وهى من البازلت ارتفاعها ١,٢٥ مــتر علــيها ثلاثة أشكال : جلجامش فى الوسط فى هيئة آدمية وله لحية طويلة ويحــيط به من الجانبين شكلين متشابهين لصديقه انكيدو : النصف العلوى على هيئة آدمية والنصف السفلى على هيئة حيوانية وله لحية طويلة والثلاثة يحملون قــرص الشــمس المصرى المجنح ، وترجع هذه اللوحة إلى بداية الألف الأولى ق.م . وهى بمتحف حلب[٣] .

٨- لوحة على شكل مسلة للملك شالمانصر الثالث من نمرود من القرن التاسع ق.م. بالمتحف البريطانى وعلى نصفها العلوى خمسة مناظر وأسفلها نص طويل .[٤] وهى أشبه بالمسلة المصرية ولكنه بحجم صغير جدا .

---

(١) Id., op. cit., p. 300, 391 fig. 367 (a); Parrot, Assur, p. 287, 378 fig. 358.

(٢) Id., Sumer, p. 300, 391 fig. 367 (c).

(٣) Parrot, op. cit., p. 88, 368 Fig. 97 B.

(٤) Id., Assur., p. 35, 366 Fig. 40 B.

٩- ثلاثة مناظر موجودة على الآثار الآتية :

أ - نقش من الكالح (نمرود) من القرن التاسع ق. م. بالمتحف البريطانى عليه منظر يمثل جنود يصوبون سهامهم تجاه أعداء يفرون عبر نهر عن طريق السباحة والتنفس فى الماء بمساعدة قربة منتفخة . ويحاولون الوصول إلى حصن على النهر يحميه جنديان فى حصن يصوب أحدهما سهامه تجاه الأعداء(١) .

ب - نقش يمثل نقل الأخشاب من خورسباد من القرن الثامن ق. م. بمتحف اللوفر وهو يمثل نقل الأخشاب عن طريق نهر دجلة إلى شمال العراق(٢) .

ج - نقش يمثل معركة فى بحيرة من نينوى من القرن السابع ق. م. بالمتحف البريطانى(٣) .

نجد أن الفنان فى هذه المناظر الثلاثة وغيرها طبق قاعدة إظهار غير المنظور التى كان يسير عليها الفنان المصرى .

١٠- نقش من قصر سرجون الثانى فى خورسباد من القرن الثامن ق. م. بمتحف تورين ، يمثل تفاصيل الوجه والذقن ، ويلاحظ أن القرط فى أذنيه يتخذ شكل علامة عنخ المصرية.(٤)

---

(١) Id., op. cit., p. 40, 366 Fig. 47.

(٢) Parrot, Assur, p. 40, 366 Fig. 48.

(٣) Id., op. cit., p. 43, 367 Fig. 52.

(٤) Id., op. cit., p. 13, 365 Fig. 15.

١١- لوحـــة عليها منظرا يمثل المعبودة عشتارت من تيل بارسيب (تل أحمر) من القـــرن الثامـــن ق.م ، وهـــى واقفة فوق ظهر أسد وتمسك بمقوده .[١] وهذا المنظر هو منظر المعبودة " قدش " ، من أصل سورى وكانت تمثل على هيئة آدمـــية وتقـــف فـــوق ظهر أسد لها تاج يشبه تاج المعبودة المصرية حتحور وتمسك بحيتين ، عرفت فى مصر منذ الأسرة الثانية عشرة وانتشرت عبادتها بيـــن المجموعات من أصل أجنبى فى مصر وعبدت فى منف وقفط . وكانت زوجـــة لرشـــف وتكون معه ومع مين ثالوث مقدس أشتهر فى عصر الدولة الحديثة ، وكانت تعتبر أحياناً زوجة لبتاح وابنه لمين وهى تتشابه مع عشتارت وتعتبر معبودة للحب .[٢]

١٢- نقش من الكالخ (نمرود) من القرن الثامن ق.م من العاج وهى من أعمال الآشوريين ومحفوظ بالمتحف البريطانى فنرى عليه أسدا يلتهم أثيوبيا فى داخل دغل من اللوتس . وهنا يظهر التأثير المصرى .

- وهـــناك قطعة أخرى مماثلة موجودة بمتحف بغداد [٣] فهل فى هذا تشبيه أنثى الأسد بالآشوريين والاثيوبى بملوك الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر.

١٣- نقـــش آخـــر مـــن الكالخ (نمرود) من القرن الثامن ق.م من العاج بمتحف المتروبوليـــتان ونـــرى عليه صورة لأبى الهول المجنح بوجه إنسانى صغير الســـن جـــدا ، ويرتدى النمس ويعلو رأسه الصل المقدس وفوق صدره قلادة الـــ "وسخ" . وخلفه خرطوس وضع على زهرة اللوتس ومزين بريشتين فى

---

(١) Parrot, op. cit., p. 76, 368 Fig. 85 .

(٢) Rossini-Antelme, Neter dieux d'Egypte, 1992, p. 108-109 (26).

(٣) Parrot, Assur, p. 152-153, 372 Fig. 186-187.

وســطهما قرص الشمس [١] . وداخل الخرطوش كتب اسم غير صحيح وهو مقلــد ولا يدل على اسم أى ملك . ويرى باروه أن هذه القطعة هى جزء من جزية الملك الكوشى طهرقا عام ٦٧٠ ق.م إلى اسرحدون[٢] وهذا غير مؤكد . وفى رأينا أنه تقليد غير متقن للفن المصرى .

١٤- نقــش مــن الكالخ (نمرود) من القرن الثامن ق.م من العاج بمتحف بغداد . نــرى عليه منظرا يمثل امرأة أو معبودة جالسة على عرشها ولها جدائل شعر طويلة وتمسك بيدها اليمنى حلقة مستديرة وباليسرى نبات ذو زهرتين . وفوق رأســها قرص الشمس المجنح ويتدلى منه ما يقلد الحيتين فى الصل المصرى المقدس .[٣]

١٥- نقشان من دورشاروكين (خورسباد) من القرن الثامن من العاج :

أ- أحدهمــا يقلــد المعــبودة إيزيس وهى تنشر جناحيها على المعبود حورس وللأسف لم ينجح الفنان فى رسم العلامة المميزة لها فوق رأسها وتمسك بطرف يدها اليسرى زهرة اللوتس المتفتحة .

ب- والــثانى يصــور أبــو الهــول المجنح برأس آدمى ويحلى رأسه النمس ويرتدى قلادة " وسخ " .[٤]

١٦- رســم علــى حائط من قصر تل بارسيب (تل أحمر) من القرن الثامن ق.م يمــثل جــنديا يهوى بسيفه الممسك به فى يده اليسرى على رأس أسير راكع ويمســك بشعره فى قمة رأسه باليد اليمنى ومن خلف الأسير أسير آخر يرفع

---

(١) Id., op. cit., p. 155, 372 Fig. 188.

(٢) Id., op. cit., p. 154.

(٣) Id., op. cit., p. 155, 372 Fig. 189 .

(٤) Parrot, Assur., p. 147, 371-372 Fig. 180 B-C .

يديــه طالبا العفو ومن خلف الجندى جندى آخر مسلح بالقوس وجعبة السهام ومــن ورائــه زوجة الأسير تبكى حزنا على مصير زوجها(١) . ويتشابه هذا المــنظر مع مناظر الملك المصرى وهو يقوم بتأديب الأعداء ويهوى بمقمعة قتالة على رأس العدو .(٢)

١٧- نقش آخر من دورشاروكين (خورسباد) من القرن الثامن ق.م بمتحف اللوفر يمــثل سرجون الثانى وهو يحمل بيده اليسرى جديا ويمسك بيده اليمنى زهرة اللوتس المتفتحة براعمها .(٣)

١٨- مــناظر تمــثل صــيد آشــور بانيبال للأسود من القرن السابع ق.م بالمتحف الــبريطانى (٤) ، يتشابه ذلك مع مناظر صيد الأسود للملك رمسيس الثالث فى معبد مدينة هابو .(٥)

ومــن هذه الأمثلة أو النماذج الثمانية عشر نجد أن فنان بلاد النهرين أخذ العديــد من العناصر من الفن المصرى وربما حدث هذا التأثير أما عن طريق الفــن السورى الفينيقى منذ أقدم العصور أو عندما غزا الآشوريون مصر بعد ذلك . ويتمثل هذا التأثير فى العناصر الآتية :

---

(١) Id., op. cit., p. 106-107, 369 Fig. 115-116.

(٢) علــى رقــيقه من الذهب بالمتحف المصرى نرى منظرا يمثل توت عنخ آمون وهــو يهــوى بسيفه على رأس أسير راكع وممسك به من قمة رأسه ، راجع : Desroches-Noblecourt, Vie et Mort d`un Pharaon , p. 202 Fig. 121.

(٣) Parrot., op. cit., p. 37, 366 Fig. 43 .

(٤) Parrot, Assur, p. 60, 367 Fig. 65.

(٥) Vandier, Manuel d`archéologie IV, p. 828 Fig. 468.

تصوير أشكال حيوانات تطاولت أعناقها وتشابكت (١) أو تمثيل أشخاصا لهم سمات آسيوية وتقليد واجهة القصر الملكى المصرى (السرخ) فى نقوش بعـض الأختام (٣) وتقليد شكل المسلة المصرية ولكن بحجم صغير (٤ ، ٨) وشـكل القرط الذى يتشابه شكله مع شكل علامة عنخ المصرية(١٠) وتمثيل زهـرة اللوتس (١٥أ ، ١٧) ودغل من اللوتس (١٢) ومناظر صيد الأسود مـع مثيلـتها مـن عصـر رمسـيس الثالـث (١٨) وقوف عشتارت على أسـد وذلـك مـا يتشابه مع بعض مناظر المعبودة قدش (١١) وتقليد إيزيس المجنحه وهى تحمى حورس (١٥أ) وتقليد أبو الهول المجنح (١٣ ، ١٥ ب) وتقلـيد مـنظر تأديب الأسرى المصرى (١٦) وتشابه منظر المعبودة فوق أسـدين متعارضـين أو جدييـن متعارضين مع لوحات المعبود حورس فوق التمسـاحين (٥ ، ٦) ، ومـن أكثر العناصر المصرية تقليدا فى فن العراق القديم هو تقليد عنصر قرص الشمس المجنح (٧ ، ١٤) .

وسار الفنان فى العراق القديم على نفس القواعد التى سار عليها الفنان المصرى فى إظهار غير المنظور التى كان يسير عليها دائما (٩ أج) .

<u>الأناضـول</u> : عثر على لوحة من البازلت فى تل بارسيب (تل أحمر) عليها منظرا يمـثل المعـبود الحيثى تيشوب وهو يقف على ثور ويحمى رأسه من أعلى <u>قرص الشمس المجنح</u> . ويبلغ ارتفاع هذه اللوحة ٢,١٠ متر وهى تـرجع إلـى الألـف الثانية وبداية الألف الأولى ، وهى موجودة الآن بمتحف حلب .[١]

<u>بـلاد الشـام</u> : نقـش من العاج من حاداتو (ارسلان تاش) يمثل <u>ابو الهول المجنح برأس كبش</u> ، ويرجع إلى القرن الثامن ق.م ، وهو موجود الآن بمتحف حلب .[٢]

---

(١) Parrot, Assur, p. 79, 368 fig. 89.

(٢) Id., op. cit., p. 256, 377 fig. 326 .

يظهر تأثير الفن المصرى القديم فى قطع الأثاث الجنائزى التى عثر عليها فى المقبرة رقم ٢٢١ فى بيبلوس ، والتى تؤرخ من عصر قريب مـن عصر الملكين امنمحات الثالث والرابع أى الأسرة الثانية عشرة . ونلاحـظ التأثـير نفسه فى نقوش أثاث الملك احيرام ، ملك بيبلوس ، الـذى كان معاصرا للملك رمسيس الثانى ، فقد شيد هذا الملك لنفسه مقـبرة تحمـل الطـابع المصرى وزين أثاثه الجنائزى على الطريقة المصرية . ويقال أن الذى صمم تخطيط طيبة هو كادموس Cadmus وهو فينيقى الأصل .(١)

اليمن : يظهر هذا التأثير أيضاً فى بعض الآثار المادية لبعض العبادات والطقوس فى اليمـن . فقد عثر فى المعبد المصرى فى سرابية الخادم على موائد للبخور ذات شـكل غـير المـألوف . أشـبه ببعض أشكال موائد البخور اليمينية القديمـة . كما عثر فى صرواح عاصمة مكارب سبأ على معبد به حوض للتطهـير به تأثيرات فنية مصرية . كما عثر فى تمنع عاصمة قتبان القديمة علـى بعض اللوحات التذكارية أو بعض شواهد المقابر ذوات الطاقة تشبه إلى حد كبير الزخارف المصرية (٢) . كما تتشابه بعض التماثيل اليمينية فى أوضـاعها مـع التماثيل المصرية مثل تمثال البرونز الخاص بمعبد يكرب الـذى عـثر عليه فى محرم بلقيس فى مأرب ويرجع إلى القرن السابع أو السادس ق.م .

---

(١) د. أحمـد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ١٧ .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره ، ص ٤٢٨ – ٤٣٢ .

كما أننا نجد الأصول المصرية فى شكل بعض أنواع المراكب العربية القديمـــة وفى شكل بعض أجزائها [١] . كما عثر فى مأرب على قطع أثرية مصرية منها جعارين وتمائم وخرز ومنها جعران يحمل اسم أمنحتب الثالث وجعــران آخــر علــيه نقش يمثل صقرا وقرص للشمس ، ولوحة صغيرة وتمــيمة صــغيرة زرقــاء للمعبود بس وترجع إلى عصر الأسرة السادسة والعشرين أو التاسعة والعشرين .

كما عثر على مجموعة أخرى من الآثار والتحف الصغيرة تحمل نفس التأثــير المصرى ، وهى محفوظة بالمتحف الوطنى بصنعاء[٢] والواقع أن التوسع فى الحفائر سوف يكشف لنا المزيد من عناصر هذا التأثير .

في الشمال :

أخــذ تأثير الفن الكريتى يظهر فى بعض الرسومات الحلزونية على بعض الجعارين التى عثر عليها فى مدينة قاو المصرية من الأسرة الثانية عشرة [٣] . وعن تأثــير الفن المصرى فقد عثر فى اجياد ترياداً على خاتم اسطوانى عليه رسم زهرة

---

(١) نــاقش د. عــبد المنعم فى بحث له بعنوان " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهــر الحضــارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام " ألقاه فى الندوة الثانية لدراســات تاريخ الجزيرة العربية التى عقدت بكلية الآداب بجامعة الرياض فى أبــريل سنة ١٩٧٩ ونشر فى أعمال الندوة بعنوان : " الكتاب الثانى ، الجزيرة العربية قبل الإسلام " ص ٣٥٢ – ٣٨٥ ، وأعيد نشره فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهــيره ، ص ٤١٨ – ٤٣٧ . وفــي الواقع أنه ركز على الأصول المصرية لبعض المظاهر الحضارية في اليمن .

(٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٦٩ .

(٣) د. عــبد القــادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ١٣٩ .

اللوتــس يرجع تاريخه إلى الأسرة الثانية عشرة [١] . وفى منطقة بسيخرو عثر على جعل من الاماتيست ظهر عليه قرص الشمس تنبعث منه الأشعة . ويحتمل أن يكون هذا النقش قد تم بواسطة فنان مينوى [٢] . ويرجع هذا الجعل إلى الدولة الوسطى .

وعثر فى بلاتانوس على جعل من الحجر الجيرى الأبيض عليه منظر يمثل المعــبودة تــاورت وحولهــا بعض الخطوط الحلزونية ، ويرجع إلى الأسرة الثانية عشــرة [٣] ، ومحفــوظ الآن بمتحف كانديا تحت رقم ١٠٥٧ . وفى منطقة جورنس عــثر على حبات خرز من القيشانى منظمة فى قلادة ، بعضها أسطوانى يرجع إلى الــنوع الــذى ساد فى عصر الأسرة الثانية عشرة . وظهورها فى كريت يرجع إلى تاثرها بمصر [٤] . كذلك عثر على فخار كريتى فى مدينة كاهون من عهد سنوسرت الثانى . وتعبر كل هذه الشواهد عن مدى التأثير الذى مارسه الفن المصرى فى ذلك الوقت على الفن الكريتى .[٥]

ومــن عصر الدولة الحديثة عثر على خنجرين كبيرين فى مقبرة اعح حتب لابنها أحمس الأول ، وعلى خنجر ثالث لابنها كامس . والثلاثة تحمل رسوما لمناظر صــيد اتــبع فيها الرسام قواعد الفن الكريتى الذى يميل إلى إظهار الأجسام ممدودة رفيعة والذى يعنى بإظهار حركات الجسم فى شكل طبيعى فى شكل منظور . [٦]

كمــا عــثر فى مقبرة أحد عظماء ميكيناى على قطعة من البرونز اكتسى جانباها برقائق ذهبية رسم عليها منظر نيلى ظهر فيه نهر تسبح فيها الأسماك وعلى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٣ لوحة ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٥ – ١٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

الشاطئ مجموعة من نباتات البردى تسلقتها القطط ساعية وراء صيدها من البط .[١]

كمـــا عـــثر فى ميكيناى على آنية صنعت من القيشانى الأزرق ظهر عليها رســم لأوراق اللوتس كتب عليها اسم الملك أمنحتب الثالث بالخط الهيروغليفى .[٢] وفـــى بلدة مندي التى تقع إلى الشمال من أثينا عثر على أربعة أوانى ، لا تنتمى إلى الصناعة الميكينية ، ويبدو أنها ترجع إلى فترة العمارنة فى مصر .[٣]

وأخـــذ اليونانيون عن المصريين أيضا المبادئ الأولى لفن النحت . فجاءت التماثـــيل اليونانية فى عصرها المبكر نسخة من الأساليب المصرية الممثلة فى الوقفة المتصـــلبة والـــنظر المـــتجه إلى الأمام والذراعان الملتصقتان إلى الجانبين واليدان المقبوضـــتان والقـــدم اليسرى المتقدمة قليلا على القدم اليمنى . وهى صفات نجدها جميعا فى عدد من التماثيل اليونانية الموجودة فى المتحف الوطنى فى أثينا .

كمـــا أخـــذ الفـــنانون اليونانيون ابتداء من القرن السادس ق.م عن عمارة المعـــابد المصـــرية عمـــارة الأبهـــاء والأعمدة لتصبح بعد ذلك هى النمط السائد . عـــند الـــيونان [٤] بـــل أنه يقال أن الذى صمم وخطط مدينة أثينا هو مصري يدعى ســـيكروبس Cecrops .[٥] وطيبة أسسها كادموس وهو فينيقى (وفى رأى أخر أنه أحد الأمراء المصريين الذى عاش فى القرن الرابع عشر ق.م) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٤) د. لطفـــى عـــبد الوهـــاب : اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعـــية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ د. أحمـــد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) ، ص ١٥٣ .

(٥) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٧ (وهامش) .

وهـــناك قسمان من الجزء السفلي من فسيفساء باليسترينا ، عثر عليهما فى باليســترينا (براينســتى) قصر باربير ينى فى باليسترينا . وتبين صورة الفسيفساء معالم مصر المميزة فى عصر البطالمة والرومان فهى تبين خريطة مصر بوجه عام ولا ســيما الدلتا فى زمن الفيضان وصورة الفيسفساء الكاملة هى أحسن صورة لدينا وأكــثرها مطابقة للواقع ، وهى ترجع إلى نهاية عصر البطالمة . ونرى فى الصورة تمــثال لانوبــيس ومقصورة لأبى منجل وأزهار وقوارب السكان الأصليين (يحمل أحدهما لوتس) واثنتين من مراكب النزهة والصيد .[١]

وعــثر علــى صورة من الجص فى هيركولانيوم ، تمثل المناظر الطبيعية لقــرية مصــرية . فقد أعطت الصورة المنقولة من اصل مصرى فكرة عن الريف المصرى فى القرن الأول بعد الميلاد . وهذه الصور تبين ثلاث مزارع على ضفتى قــناة ، تــتألف الأولى من بنائين يشبهان الأبراج ويحيط بهما سور من الطوب . أما الثانية فتتكون من بوابة (بيلون) وبرج مرتفع ، والمبنى الأساسى عبارة عن منزل ريفــى وبرج وخلفه أشجار ، وإلى اليسار يوجد شادوف وبئر . أما المزرعة الثالثة الواقعــة علــى الضفة الأخرى للقناة فتشبهه ولكنها لا تطابق المزرعتين السابقتين . ويحيط بالحديقة الواقعة خلف الدار سور من أوتاد ألقى عليها ساتر .[٢]

رســم بــارز عثر عليه فى بومبى ، يمثل منظراً ريفياً فى مصر ، فبجوار سلســلة مــن بــرك البط يوجد بهو ومنزل ريفى وزائران وخادم يحمل نبيذا وامرأة ولاعــبة على الناى ويزود الفلاح البرك بكميات مستمرة من الماء عن طريق تشغيل الطنبور بقدمه .[٣]

---

(١) م. رســتوفتزف : تــاريخ الإمــبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية (مراجعة م. فريزر ، ترجمة إلى العربية وراجعه زكــى على ومحمد سليم) مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٨٥ – ١٨٦ اللوحة ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ – ١٩١ اللوحة ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٤ – ١٩٥ اللوحة ٥٣ (٥) .

مجموعـــة مـــن التماثيل من الآجر . الأول عثر عليه فى مصر ، مجموعة فوكـــيه ، يمـــثل عربة يجرها بقرتان ويسوقها غلام يلبس معطفا ثقيلا ذا طرطور . وتحمـــى العـــربة من الشمس مظلة . والثانى يمثل فلاح يلبس قبعة خاصة من الوبر علـــى شكل هرم يجمع البلح من أعلى نخلة وقد تسلقها بمعونة حبل ، تتدلى من كتفه ســـلة يضـــع فيها البلح . الثالث يمثل جمل يستخدم فى النقل يحمل سلتين مملوءتين عنـــباً . والرابع يوجد فى المتحف البريطانى يمثل جمل يحمل على ظهره رحل ثقيل ربطت على جانبيه ثلاثة أوعية منها زيت أو نبيذ أو جعة .[١]

هذه المجموعة من التماثيل الصغيرة المصنوعة من الآجر تبين بجلاء تنظيم أعمـــال الحياة الزراعية فى مصر . ويظهر أن الجمل لم يكن معروفا فى مصر فى زمن العصور المصرية ، فهو يظهر لأول مرة فى أوائل عصر البطالمة ، ثم أصبح الجمل فى العصر الرومانى أكثر دواب الحمل استعمالا .[٢]

وبالمتحف المصرى تمثال من الجرانيت الأسود لكاتب مصرى يسمى حور وهو من صنع نحات مصرى تدرب فى المدرسة اليونانية بالإسكندرية .[٣]

فى الجنوب :

أمـــا عـــن التأثيرات الفنية فى الجنوب فنقول إن هذه التأثيرات موجودة منذ أقـــدم العصـــور فنجد أن منطقة توشكى تشمل على آثار من عصور ما قبل التاريخ وعلـــى جـــبانة نوبية . ويتضح أن بعض المناطق البعيدة والمرتفعة عن مستوى مياه بحـــيرة ناصـــر تحتاج إلى عمليات تنقيب علمية دقيقة ، لأنه بعد ضياع ما فى بطن

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ – ١٩٤ اللوحة ٥٣ (١– ٤) .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .
(٣) دلـــيل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٤٨ (٩٧٢) .

أرض النوبة السفلى من آثار ، أصبح أمامنا مواقع محدودة هى التى تعبر عن حضارات عصور ما قبل التاريخ ونخص بالذكر هنا منطقتين هما : توشكي ووادي نبطه.

كانت الحفائر والتنقيبات قاصرة على وادى النيل وحواف الصحراء ، ولم تنل بعض المناطق فى بلاد النوبة السفلى الاهتمام الكافى من علماء الدراسات المصرية المتخصصين فى عصور ما قبل التاريخ نظرا لتقيدهم بعامل الوقت ، فكان المطلوب منهم الانتهاء من هذه الحفائر بأسرع وقت قبل ارتفاع منسوب المياه فى بحيرة ناصر .

وقام المتحف الوطنى فى كندا بالاشتراك مع جامعة هارفارد بعملية مسح أثرى لعصور ما قبل التاريخ فى النوبة السفلى ، وذلك فى بداية الحملة التى قام بها اليونسكو لإنقاذ آثار بلاد النوبة . لأننا كنا لا نعرف كيف كانت بلاد النوبة السفلى فى هذه العصور القديمة ، ولابد أنها كانت مثل بعض المناطق فى مصر ، تختلف كثيرا عما هى عليه اليوم . فربما كانت مناطق شاسعة منها تتمتع بأمطار كثيرة ساعدت الإنسان القديم على الاستقرار فى بعض مناطق النوبة السفلى .

وكشفت الحفائر عن عدد محدود من الجبانات من عصور ما قبل التاريخ بين الجندل الأول ودكه والمناطق الشمالية من النوبة السفلى . والجبانة الوحيدة من هذا العصر والتى تم إنقاذها عثر عليها أثناء عملية المسح الأثرى فى بهان جنوبى الجندل الأول .

وتعرف هذه الحضارة بين علماء المصريات بحضارة المجموعة الأولى . وكان سكانها لا يختلفون فى مميزاتهم الجسمانية عن المصريين فيما قبل عصور الأسرات . واستخدمت شعوب هذه المناطق التى تعاصر شعب المجموعة الأولى (المعاصرة لفترة الأسرة الأولى إلى الثالثة فى مصر) نوعين من المقابر لدفن الموتى .

ولا تختلف هذه المقابر فى طبيعة طرازها ومحتوياتها عن المقابر المعروفة مـن هذه الفترة فى مصر وخاصة فى عصور ما قبل الأسرات ، فالنوع الأول كان عـبارة عـن حفر بسيطة مستطيلة الشكل . أما الآخر فهى عبارة عن حفر بيضاوية الشـكل وكـان المـتوفى يوضع فيها على شكل القرفصاء ويوسد على جانبه الأيمن ويتجه برأسه إلى جهة الغرب وذلك فى جبانة بلانة وغيرها .

وعلـى بعد ١٧٠ كم شمال غرب أبو سمبل فى منطقة توشكى عثرت بعثة أمريكية برئاسة وندورف Wendorf على أكثر من ٣٠٠ موقع أثرى بالمنطقة تشغل مسـاحة قدرها ٣٦ كيلو مترا مربعا ، وذلك بعد ست سنوات من العمل المتواصل . وترجع بعض هذه المواقع إلى الألف التاسعة أو السابعة ق.م . مما يدل على أن هذه المنطقة كانت غاية فى القدم ، وأنها كانت عامرة بالإنسان المصرى – النوبى الأول الـذى عاش على حصد الحبوب البرية مقدمة لمعرفة الزراعة مما يؤكده تحاليل بقايا الـبذور والنـباتات التى عثر عليها بالمنطقة ، مما يدل على أن هذا الإنسان عرف زراعـة بعـض الحـبوب كالقمح والشعير فيما بعد . كما عثر فى الموقع على بئر لاستخراج المياه وترع إلى حوالى عام ٧٨٠٠ ق.م . وكانت تستخدم لسقاية الإنسان والحـيوان ، مما يؤكد وجود مجتمعات عمرانية أو مراكز حضارية وبداية لاستقرار الإنسان المصرى النوبى الأول فى هذه المنطقة الهامة .

كمـا أننا نعرف أهمية توشكى فى العصور التاريخية نظرا لأنه يوجد على بعد حوالى ٨٠ كم غربى توشكى محاجر الديوريت التى كانت تستغل طبقا للنصوص الـتى وصـلت إليـنا مـن عصور الملوك خوفو وجدف رع من الأسرة الرابعة ، وساحورع وجد كارع اسيسى من الأسرة الخامسة .

منطقة نبطه :

وتعتـبر منطقة نبطه من أقدم المواقع الأثرية ، وهى تقع غرب منطقة أبو سمبل ، وعلى بعد ٩٠ كم جنوب توشكى قرب الأراضى الزراعية المستصلحة . وقد بدأ الاهتمام بالمنطقة أثريا منذ بداية الستينيات ، عندما بدأ المسح الأثرى أثناء الحملة

الدولية لإنقاذ آثار النوبة وذلك قبل غمرها بالمياه نتيجة بناء السد العالى وحجز المياه فى بحيرة ناصر . واكتشف الفريق الذى قام بالمسح الأثرى فى منطقة توشكى ونبطه آلاف المواقع المبدئية الأثرية التى تعود إلى الحقب الحجرية المختلفة لما قبل التاريخ وبسـبب هذا المسح المبدئى تم تشكيل بعثة أثرية دولية Combined Prehistoric Expedition تحـت إشراف العالم الأمريكى فرد وندورف Fred Wendrof وهى الـتى قامـت بالكشـف الأثرى فى منطقة توشكى فى مواسم أثرية مختلفة منذ سنة ١٩٦٤ حتى الآن) ، حيث اكتشفت أدوات حجرية مختلفة ترجع إلى لعصر الحجرى القديـم الأعلى Late Palaeolithic فى المنطقة ، ثم بدأ العمل فى منطقة نبطه منذ سنة ١٩٧٤ .

ومـنطقة نبطه من أقدم المواقع الأثرية (تبلغ مساحة منطقة الحفائر حوالى ٣٦ كم٢) حيث أنها ترجع إلى العصر الحجرى الحديث Neolitic حيث تم الكشف عن أثار ترجع إلى العصر الحجرى الحديث الأسفل (٩٥٠٠ – ٨٠٠٠ سنة ق.م) ، ومـن العصـر الحجرى الحديث الأوسط (٧٧٠٠ – ٦٢٠٠ ق.م) ، ومن العصر الحجرى الحديث الأعلى (٦٢٠٠ – ٥٨٠٠ ق.م) .

وتتمـثل الكشـوفات الأثـرية فى وجود الدلائل على أن الإنسان المصرى الـنوبى عاش فى تلك المنطقة منذ حوالى ٩٠٠٠ سنة قبل الآن ، وكذلك وجود بقايا سكنية وكانت على شبه محور مستقيم (حوالى خمسين منزلا فى أحد المواقع وثمانية عشر فى موقع آخر) تم تأريخها بحوالى ٨٠٠٠ سنة قبل الآن ، كما تم الكشف عن بئر مياه بعمق ثلاثة أمتار . كذلك وجدت آثار استقدام الماشية إلى المنطقة منذ حوالى ٧١٠٠ سـنة قـبل الآن ، كمـا وجدت دفنات للأبقار المستأنسة . وبذلك تعتبر من الأماكن القليلة التى عثر فيها على ذلك فى مصر وأفريقيا .

كذلـك تعتبر منطقة حفائر نبطه أقدم الماكن التى تم تصنيع الفخار فيها فى مصـر ، حيث تم الكشف عن فخار يرجع تاريخه إلى حوالى ٧٨٠٠ سنة ق.م . كما تـم الكشـف عن أقدم حجر فى مصر تدخلت اليد البشرية فى نحته ، ولأهميته تقرر نقلـه إلى متحف النوبة بأسوان . وتم العثور على مجموعات حجرية كبيرة (حوالى

ثلاثيـــن قطعـــة حجـــرية) بارتفاع ٢ –٣ م متراصة فى خطوط شبه مستقيمة تتخذ الاتجاهات الأربعة ، ويعتقد نظريا أنها ربما تمثل مرصدا فلكيا .

ومن ذلك يتضح لنا أهمية المنطقة من الناحية الأثرية لما تعطيه من أضواء على تاريخ الإنسان فى العصور الحجرية المختلفة والتى يصعب التعرف عليها حيث لم يترك لنا أى آثار مكتوبة يمكن الاستدلال منها ، وذلك لأنها حضارات قبل معرفة الكتابة . ولكنه ترك لنا أدواته وبقايا مساكنه وطعامه نستخلص منها : أنواع النباتات والحـــيوانات الـــتى كانت فى بيئته ، وتعطى فكرة عن المناخ فى ذلك الوقت . ذلك الصـــناعات وبدايـــتها مـــثل صناعة الأدوات الحجرية وصناعة الفخار واستعمالاتها المختلفة ، وما ترتب على ذلك من الحالة الاقتصادية التى كانت موجودة ، وأن كان هـــناك تـــبادل تجـــارى بين المجموعات السكنية المختلفة ، وهل كانت المجموعات رعويـــة متـــنقلة او كانت متركزة فى مناطق معينة وأصبحت قرى . كل ذلك يعطى معلومات قيمة تزيد من معرفتنا بجذور وتطور الحضارة المصرية القديمة .

إن الاهتمام بدراسة آثار توشكى وما حولها دراسة أثرية دقيقة ومتأنية مبنية على أسس علمية وعملية حديثة ، سوف يبين لنا ما حققه الإنسان المصرى – النوبى الأول مـــن إنجـــازات أثناء عمليات استقراره الأولى فى هذه المناطق البعيدة فى هذه العصور السحيقة ، وكيف تغلب على المشكلات التى واجهته ، وكيف نجح فى عملية التكـــيف مع عوامل البيئة فى هذه الأزمنة البعيدة ، وخاصة بعد غرق معظم المواقع الأثـــرية الـــتى ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ فى بلاد النوبة السفلى ، وأصبحت توشكى بما تحتويه أرضها من بقايا أثرية تمثل مصدرا هاما للدراسات التى يقوم بها الأثرى والجيولوجى .

ولا شـــك أن دراســـة الظواهر الأثرية فى توشكى سوف تبين لنا هل حافظ الإنسان المصرى – النوبى الأول على مظاهره الحضارية المحلية ؟ أو تأثر بنظيره الإنســـان المصـــرى الذى عاش فى وادى النيل فى الشمال ؟ وإلى أى مدى تأثر هذا الإنســـان بمعاصره الذى سكن الوادى . ولو أن بعض العلماء يرى أن المنطقة التى تقـــع بيـــن الجندلين الأول والثانى ، كانت معمورة بأقوام من جنس المصريين الذين

كـــانوا يســـكنون شمال الوادى مما يلى أسوان . كما أن أهل دنقله من حول الجندل الـــرابع من نفس الجنس إلا أنهم اختلطوا بقبائل السودان ، التى كانت تتردد على تلك البقاع أو تعيش على بعد قريب منها .

وعلى الرغم من أن الدراسات لا تزال فى مراحلها الأولية إلا أنها تبين أنه توفر للإنسان المصرى – النوبى الأول الذى قطن منطقة توشكى وغيرها من أراضى بـــلاد الـــنوبة الســـفلى جمـــيع الأسباب المؤدية إلى قيام حضارة إنسانية لها طابعها المحلى ، حضارة محلية كان لها دور فعال فى الاتصال بين حضارات أفريقيا القديمة وحضـــارة شمال الوادى ، ومن ثم فدراسة آثار توشكى وما حولها سوف يكشف عن العديد من الأسرار ويجيب على الكثير من التساؤلات من أهل التخصص .

وكان من بين أقدم الحضارات التى عثر عليها العلماء فى وادى النيل بوجه عام حضارة الخرطوم التى يرجه تاريخها إلى ما بين عامى ٥٠٠٠ ، ٤٧٠٠ ق.م ، وهـــى حضـــارة بلاشـــك لها صلة بحضارة شمال الوادى ولكنها كانت متأثرة بطابع محلـــى نظـــرا لصـــلة السكان بغيرهم ممن كانوا يعيشون إلى الجنوب منهم . وعلى الـــرغم مـــن ذلـــك نلاحظ وجود وجوه شبه عدة بين فخار حضارة الخرطوم وفخار حضـــارة البدارى فى مصر العليا وما عثر عليه المنقبون فى بلاد النوبة وفى غربى السودان مما يدل على انتشار ثقافة فنية واحدة فى جزء كبير من القارة الأفريقية .(١)

وتدل دراسة مخلفات حضارة المجموعة الأولى الأثرية فى بلاد النوبة والتى تـــرجع إلـــى عـــام ٣٢٠٠ – ٢٦٨٠ ق.م على استمرار الصلات بينها وبين الأسرة المصرية الأولى .

ومـــع زيـــادة اتصـــال مصر بالجنوب فى عصر الدولة الحديثة ، انتشرت العناصـــر المعمارية المتأثرة بالعمارة المصرية كالمقابر الصخرية أو تلك التى على شـــكل أهرام صغيرة . والباحث فى مختلف بلاد النوبى وشمال السودان أيام عصر

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٦ – ٣٧ .

الدولـــة الحديـــثة يعـــثر علـــى كثـــير من التوابيت وتماثيل الأوشابتى (المجيبات) والجعارين ورسوم المقابر وأسماء أصحابها المصرية .[١]

وكان للفنانين المصريين دور كبير فى نشر الفنون ذات الطابع المصرى فى ربوع كوش ، فكثيرا ما أوفدوا إلى كوش فى مهام رسمية للإسهام فى إقامة المنشآت المعمارية العديدة . وتذكر نصوص إحدى اللوحات التى عثر عليها فى كوه أن فنانى مـــنف يـــرافقهم أحد المهندسين هو الذين اسهموا فى بناء معبد كوة . كما أسهموا فى بـــناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل برقل . ولا شك أن هؤلاء الفنانين المهرة قد ســـاعدوا علي تكوين جيل الفنانين المحليين الذين أخذوا يشاركون في تطوير الفنون المحلية .[٢]

وفـــى خـــلال حكـــم الأســـرة الخامسة والعشرين انتشرت المقابر الهرمية الضـــخمة فـــى أنحـــاء الســـودان في كوة وفي نوري وجبل برقل ثم مروى القديمة بالإضـــافة إلى المعابد ذات الطابع المصرى وما يتصل بها من إقامة تماثيل ولوحات مكـــتوبة باللغـــة المصرية بخطوطها المختلفة ، وكلها دلائل على تشبع هؤلاء القوم بالعقائد والفنون وبعض نظم الحضارة المصرية .[٣]

ونعـــرف أيضـــا أن زينة الأذن قد وصلت إلى المصريين من جيرانهم فى الجـــنوب وظهـــر نوع من الأقراط الملكية على شكل رأس الكبش بقرص الشمس أو بدونـــه ، وقـــد صـــور الملك تانوت – آمون بهذا النوع من الأقراط فى نقوش معبد أوزير – بتاح بالكرنك .[٤]

---

(١) د. محمد بكر صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ص ١٦٨ .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٦٣ .

(٣) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ص ١٦٩ .

(٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

وعـثر علـى تمثال على شكل راس كبش فى إيري بالقرب من إيف وتقع حالـيا فـى جـنوب نيجـيريا ، كمت عثر على قلادة صدرية على شكل كبش فى لاجوس ، ويظهر فيها تأثير الفن المصرى بوضوح .(١)

وعـندما انفصـلت مصـر سياسـيا عن السودان بسبب الغزاة الجانب من آشـوريين وفـرس وإغريق ورومان استمرت حضارة كوش فى الازدهار لمدة ألف سـنة أخـرى ولم تنقطع فيها صلتها تماما مع مصر حتى أيام البطالمة والرومان ، فـأخذت الحضـارة المروية تقوم بدورها الفعال فى نقل وتوصيل عناصر الحضارة المـتقدمة من وادى النيل إلى مناطق أخرى من القارة الأفريقية ذات الحدود الشاسعة الـتى لا يـزال تاريخهـا القديـم فى حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل والنشر .

شمال أفريقيا :

وما دمنا نتحدث عن تاثير الفن المصرى المحتمل على الحضارات القديمة داخل القارة الأفريقية ، فيجب الإشارة هنا إلى موضوع الرسوم الصخرية ذات التأثير المصرى والتى عثر عليها الباحث هنرى لوته Lhote فى جنوب شرقى الجزائر فى تاسـيلى – ان – آجر : Tassili-n-Ajjer وتقع على طريق القوافل الرئيسى ما بين تمبكـتو – Timbuktu وطـرابلس وتحمـل هذه الرسومات بعض خصائص الفن المصرى القديم .

وهـناك رسم فى تهيل – Theile نرى فيه الرجال والنساء يرتدون أزياء مصرية صميمة بالإضافة إلى لباس للرأس مزود برسم حية على الجبهة وهو ما يشبه الصـل المقـدس فـى مصر القديمة . وفى موضع آخر نرى منظرا يمثل صياد مع كـلاب صـيد ويظهـر فـيه التأثير المصرى واضحا . ومنظر ثالث لمعبودة ذات

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

ذات قرنين وهى صورة قريبة من المعبودة إيزيس – حتحور .(١)

وبالمـــتحف المصرى مجموعة كبيرة من الآثار التى عثر عليها فى مصر عليها نقوش بلغات أجنبية ، كالكارية والنبطية (البلميرية) والآرامية والبابلية . كما يوجـــد بالمـــتحف العديـــد من الآثار التى عثر عليها فى بلاد النوبة ، يمثل معظمها الحضارة المروية التى كانت معاصرة للبطالمة والرومان ، ونقوشها مكتوبة بحروف أبجدية خاصة ، لم يحل إلى الآن إلا جزء يسير من رموزها .(٢)

ســـابعا – بالنســـبة لأساليب التربية ونظم التعليم وما لها من تاثير على أهل الفكر من الشعوب الأخرى

نقـــول أن هـــذه الأساليب قد أثرت فى عناصر من الشمال فقد تأثر فلاسفة الـــيونان ومؤرخيها بأساليب التربية ونظم التعليم فى مصر القديمة (٣) ويقول ديودور الصقلي :

" أن ما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقى حظه الكامل من التربية والرعاية " . ويقول سترابون :

" مـــن التقالـــيد التى كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " .

وعـــندما زار أفلاطون مصر ورأى مدارسها وتردد عليها ، أعجب بمناهج التعلـــيم فى مدارسها وبخاصة أساليب تعليم الصغار عمليات الحساب ، وأهاب بأبناء

---

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .
(٢) دلـــيل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٤٧ (٦٠٨٩ – ٦٠٩١) .
(٣) راجع الباب الحادى عشر .

قومـــه الإغريق أن يتعلموا هذه الأساليب ، ويتبعوها فى تعليم أصول الحساب ، وأن يجتهدوا فى العمل على توجيه النشئ من أولادهم إلى مواد الرياضة والحساب .

ونعرف أن بلوتارخ (٤٦م – ١٢٠م) ، ذلك المؤرخ اليونانى الذى درس الفلســفة ولا سيما الفلسفة الأخلاقية والعلوم الطبيعية والبلاغة فى أثينا . قد زار بلاد كثيرة من بينها الإسكندرية . وتنقسم مؤلفاته تبعا لذلك إلى قسمين كبيرين :

الأخلاقــيات ، وهى على الرغم من عنوانها – لا تقتصر على دراسات فى الأخـــلاق ، بــل تشــمل أيضا دراسات فى الدين والطبيعة والسياسة والأدب . وهى بحــوث مكــتوبة فى شكل محاورات أو رسائل نقدية هجائية لاذعة . وتعلم أسلوب الفضيلة وأساليب التربية وعقيدة أوزير وإيزيس .

والشق الثانى هى التراجم ، وهى أهم كتاباته من الناحية التاريخية ، وتشمل سير بعض القواد والساسة اليونان والرومان .(١)

ولا شك أن بلوتارخ قد تأثر كثيرا بالاتجاهات التربوية والفضائل الموجودة فى قصة أوزير وإيزيس .

وبعد استعراض هذه المظاهر الحضارية الثمانية ، هل استطعنا الإجابة على كـــل مـــا يدور فى مخليتنا عما توصل إليه المصريون القدماء من علوم ومعارف ؟ بالطـــبع الإجابـــة بالـــنفى ، لأن العديد من هذه المعارف كانت تورث للأبناء وتحاط بسرية بالغة .

فمـــثلا تركيب الأدوية وتعاطيها كانا دائما مرتبطين بالديانة ، إذ إن العقاقير كانـــت تحضـــر فى معمل خاص فى المعبد اسمه (إست) فى جو تشيع فيه السرية المطلقـــة ، ويمتزج تركيبها بالطقوس الدينية . ومن مظاهر السرية التى كانت تحيط

---

(١) د. عـــبد اللطـــيف علـــى : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦٢ .

بوسـائل العـلاج أن كثـيرا مـن العقاقـير كـان لها أسماء لا يعرفها إلى فئة من المختارين .

وغلفـت الكثـير من المعارف بالسرية المطلقة ، مثل كيفية بناء الأهرام ، والحصول على الإضاءة الكافية لنحت ونقش وتلوين المقابر فى باطن الصخر وعلى عمـق كبير ، صقل الأوانى الحجرية من الداخل ، وتركيبة الألوان وصهر الحديد ، وغـيرها مـن المعارف . وبالنسبة لصهر المعادن تحدثنا من قبل عن العثور على افران لصهر معدن النحاس فى العين السخونة .

ولا نستطيع أن نؤكد أيه معلومة إلا إذا وجدنا لها ذكر فى نصوصهم أو فى مناظر مقابر ومعابدهم . فيرى بعض العلماء أن المصرى اهتدى إلى صهر النحاس ثـم صبه فى قوالب مهيأة للحصول على الشكل المطلوب كالآلات والأدوات . فكانت هـذه القوالب تصنع من الطين الذى يشكل أولا على الصورة المطلوبة ، ويحرق بعد ذلـك لـيحول إلـى قالب من الفخار يصب فيه النحاس المصهور أو أن بعض هذه القوالـب كـان يصـنع من الأحجار (١) او أنه كان يحول قطع النحاس إلى صفائح مطروقة ، يستطيع أن يشمل فيها ما يريد ويقال أن هذه الطريقة اتبعت فى صنع آنية مـن الـنحاس المطروق والتى عثر عليها فى مقبرة حتب حرس وقد أكمل صانعها صنبور الإناء من قطعة واحدة مصبوبة على قالب وأيضاً فى صنع تمثال الملك بيبى الأول وأن الفنان أو الصانع قد طرق صفائح النحاس على قوالب من الخشب .

وبمـرور الوقـت أكتسب المصرى القديم خبرة فى صنع مصاريع الأبواب الضخمة من النحاس المصهور الذى كان يصب فى قالب كبير من الصلصال ، زود من أعلى بفتحات متعددة ثبتت عليها أقماع يصب فيها المعدن المنصهر .(٢)

ففى منظر على جدران مقبرة رخمى رع رقم ١٠٠ بالبر الغربى من عصر الأسـرة الثامـنة عشـرة نـرى خمسة عمال وهم يحضرون المواد الخام المطلوب

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٦ .

صــــهرها . ونرى بعد ذلك مجموعة من ثلاثة عمال يقف أثنان منهما كل عامل على منفاخيــن مــن الجلد مثبت فى مقدمتها أنابيب تتجه فتحاتها إلى النار وقد أمسك كل مــنهما بحبليــن متصــلان بالمــنفاخ لضغط الهواء أو تخفيفه . ويقوم الثالث بتقليب الجمــرات بــأداة طويلة رفيعة . ويقوم أثنان آخران بوضع وعاء منتفخ يشبه القربة ويبدو أنه مبطن من الداخل به المادة الخام على الجمرات ، وبعد ذلك يقومان بصب المعدن المنصهر على قاعدة تشبه المصطبة عليها أشكال أوانى من الفخار .[1]

وعــندما عــرف المصرى القديم استعمال البرونز كان الصانع يقوم بإعداد صــور من شمع العسل مطابقة لما يود الحصول عليه من تماثيل أو أشكال ثم يغطى التمــثال مــن الشمع بطبقة من الطين او خليط من الطين ومواد أخرى ويوضع هذا التمــثال فى وسط كمية من الرمل تحيط به من جميع الجهات ماعدا أعلاه ، فإذا ما ذاب الشــمع بتأثير الحرارة وتسرب من داخل القالب الطينى ، يصب البرونز فيملأ الفــراغ ويــأخذ الشكل المطلوب ، وبعد ذلك يكسر القالب الطينى ويستخرج التمثال ويخلص من الشوائب .[2]

هــذا ما نراه فى مقبرة رخمى رع وما يذكره العلماء عن صهر المعادن ما عدا الحديد ، فهل كان يملكون معارف أخرى فى هذا المجال ؟

والســؤال نفســه ينطبق على الأوانى الحجرية التى عثر عليها أسفل الهرم المدرج لجسر التى صنعت من الأحجار الصلدة من الديوريت والشست بطريقة شديدة الإتقان فهل اعتمد صانعها ، كما يذكر بعض العلماء ، على آلة بسيطة عمادها مثقاب يــتألف مــن ساق طويلة تثقل من أعلى بقطع الحجر ، ويثبت فيها قطعة معدنية من اسفل ، وكان يدير مقبض هذا المثقاب من اعلى الصانع بأحدى يديه ويسند بالأخرى الإناء نفسه .[1]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥٦ – ٤٥٧ شكل (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٩ صورة رقم ٢٠ .

فهـــل بهـــذه الآلة البسيطة أمكن إخراج هذه التحف الرائعة ؟ لا نستطيع أن نتخيل هذا أو إمكانية تنفيذه . فلو طلب من فنان أو صانع فى العصر الحديث أن ينفذ مـــثل هـــذا العمـــل باستخدام آلاته الحديثة لما استطاع أن يخرجه بهذا الإتقان وهذه الدقـــة . وكم من الوقت استغرق الصانع القديم لتنفيذ هذا العمل دون حدوث كسر أو حـــد مجرد خدش من الداخل أو الخارج ؟ وعلينا أن ننظر إلى الآنيتين المصنوعتين مـــن الحجر الجيرى الصلد والديوريت يبلغ ارتفاعهما بين ٨,٥ و ٩,٥ سم والعرض بين ١٠,٥ سم من عصور ما قبل الأسرات وشكل الفنان الأولى برأس وعل والثانية فـــى شـــكل بيضاوى جميل ، وهما معروضتان بالمتحف المصرى تحت أرقام JE 31437, 66628.[٢] . فكـــيف نفذ الفنان كل هذا فى محيط هذه المساحات الضيقة وبأى وسيلة ؟

---

(١) Zabern-Saleh, Official Catalogue : The Egyptian Museum, no 6.

الباب الثالث عشر

مظاهر الحضارة المصرية القديمة
بين مراحل الارتقاء والازدهار ومراحل الانحسار والغروب

مراحل الارتقاء والازدهار :

لقد رأينا عبر هذه الصفحات السابقة كيف نشأت الحضارة المصرية القديمة وكـيف نمـت وتطـورت وارتقت وازدهرت حتى أثمرت هذه المظاهر الحضارية المخـتلفة . وكـيف استطاع الإنسان المصرى القديم أن يكرس مواهبه وطاقاته فى اسـتغلال إمكانـيات بيئته ومواردها ، واندمج فى العمل الجماعى الذى انتج كل هذه المظاهر الحضارية .

وقد ارتبطت هذه المظاهر بالإنسان نفسه ، وكان الهدف منها تحقيق سعادته فى دنياه وآخرته وتنظيم أساليب حياته وإثرائها .

وعـندما قـام بوضـع نظـم الحكم والإدارة ، كانت لتنظيم حياته وربطها بالقوانيـن البشـرية . وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتحقيق مبدأ العدالة بين الجميع .

وعـندما وضع الأسس فى مظاهر حياته الاجتماعية كان يهدف من ورائها هـو إشباع النزعة الجماعية التى كانت لديه منذ البداية وإيمانه بالترابط الأسرى وما يجب أن يؤديه الفرد فى المجتمع .

وعـندما توصل إلى مظاهر حياته الاقتصادية كان يهدف من ورائها إظهار إنـتاجه ونشـاطه فـى مجـالات حياته اليومية ونجاحه فى التغلب على الكثير من مشـاكله . ومـنذ أن وضع الإنسان المصرى القديم أول أسس العمران واستقر فى حـياته علـى أرض الـوادى وضمن قوته ومسكنه بدأ يفكر فى الديانة والمعتقدات

ليرضى ما فى عقله وقلبه من تساؤلات . فكانت الديانة أقوى وأهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

ومـــا حققه فى حياته الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف كان الغرض منه إظهار ما لديه من فكر ناضج وعميق أدى إلى نجاحه فى التوصـــل إلـــى عدة معارف مختلفة فى المجالات العلمية . وما حققه من أساليب فى التنشئة التربوية والتعليمية ، يدل على إيمانه بأهمية التعليم فى حياة الإنسان وما يحققه الإنسان بفضله . وكان الغرض من هذه الأساليب هو إظهار ما كان يؤمن به من مثل ومبادئ وقيم خلقية ، فكانت هذه المبادئ والقيم السياج القوى الذى أحاط به حضارته فلم تنل منها عوامل الضعف الإنسانية والمشكلات الناتجة عن السلوك المنحرف .

ومـــا حققـــه فـــى مجالات الفنون المختلفة كان الغرض منه إظهار قدراته وملكاتـــه ومواهبه وأحاسيسه وطاقته وعزيمته وتصميمه فى كل ما أنتج وأخرج من فـــنون فـــى مجال النحت والرسم والفنون التعبيرية وما حققه على الأخص فى مجال العمارة .

وأخيرا أن ما قام بتحقيقه فى مجال العلاقات الخارجية ، كان الهدف منه أن يظهـــر إنـــه لم يؤمن بالعزلة وابتعاده عن الآخرين بل أراد أن يثبت تفتحه ونضوجه الفكـــرى والـــثقافى فـــى علاقاته مع دول العالم القديم فى الشرق والغرب والشمال والجـــنوب والشـــعوب الأخـــرى مع الاحتفاظ بشخصيته الحضارية الأصيلة المميزة والدفاع عن أرضه إن لزم الأمر ضد أى أطماع خارجية .

وعلى الرغم مما تعرضت له مصر خلال عصورها التاريخية الطويلة من فترات ضعف فى أوضاع الحكم فى الداخل وما أصابها من بعض الغزاة الأجانب من ويلات أثناء حكم الهكسوس والآشوريين والفرس ، وما تعرضت له حدودها الشرقية والغربـــية والجنوبـــية والشمالية من اخطار التهديد الأجنبى والطامعين من الشعوب والقـــبائل المشاغبة المجاورة بصفة دائمة ، إلا أنها كانت تخرج من كل هذه المحن ، وقـــد أصـــابتها الجـــراح ولكنها كانت لا تلبث أن تسترد عافيتها وتنهض من كبوتها وتردى ثوبها الحضارى من جديد وتستأنف روح نشاطها المعهود والمتأصل فى عزم

أهلهـــا الذين كانوا يواصلون فى كل مرة حركة البناء والتطور الحضارى ، وخرجوا علينا بكل ما حققوه من مظاهر حضارية مختلفة .

ولـــم تؤثر عوامل الضعف السياسية والغزوات الأجنبية على هذه المظاهر الحضــــارية ، فلـــم تتعرض الحضارة المصرية لفقدان ديانتها ، ولم تتعرض نظمها السياســـية والإدارية لحروب أهلية أو ثورات داخلية أو فتن داخلية بصفة دائمة ، ولم تتغـــير نظمهـــا الاجتماعـــية والاقتصــــادية وظلت متمسكة بثقافتها وحياتها العلمية ، وحافظت على قيمها التربوية والسلوكية ومبادئها الخلقية .

وظلـــت كـــل هذه المظاهر الحضارية كما هى ثابتة وراسخة . ولم تصب الحضارة المصرية بعوامل الضعف أو أسباب الانهيار التى تعرضت لها الحضارات الأخـــرى القديمـــة وأدت إلـــى انهيارها . فمظاهر الحضارة المصرية لم تنهر ، ولم تختف بانتهاء الأسرة الثلاثين وإنما ظلت باقية ثابتة لمدة مئات السنين بعد ذلك .

مراحل الانحسار والغروب وأسبابها :

لا يزال البحث جاريا عن الأسباب التي أدت إلى اختفاء معالم هذه الحضارة والتي لم يبق منها غير تراثها المادي . فهـــناك ثلاثـــة آراء : أولهـــا يـــرى بعض المؤرخيـــن أن ذلك يرجع إلى العامل الجغرافي وامتداد البلاد طولا مما أثر على مر العصـــور علـــى تماسكها إداريا وسياسيا وإصابتها بالشيخوخة . وثانيها يرى البعض الآخـــر أن ذلك ناتج عن التطور التاريخي للقوى التي كانت تطمع في خيرات مصر والـــتى كانـــت تناهضها ، وظهور ضعفها السياسى أمام تلك القوى فى بعض فترات تاريخهـــا الطويل . وعلى الرغم من نجاح بعض هذه القوى فى دخول مصر إلا أنها لـــم تؤثـــر فـــى مظاهر حضارتها ، وسرعان ما تخلصت مصر من حكم الهكسوس والآشوريين والفرس ، حتى عندما دخلها البطالمة ثم غزاها الرومان ظلت الحضارة المصرية حضارة مصرية أصيلة وصميمة فى تراثها وفى مظاهرها .

وثالـــثها يـــرى البعض أن عوامل الانهيار ترجع إلى أسباب اقتصادية لأن الاضطرابات الاقتصادية وضعف الإنتاج لهما تأثيرهما على المدى البعيد على تماسك

البنـــيان الاجـــتماعي ويـــؤدى بالـــتالي إلى انهيار الدولة . وبالطبع تضاف إلى هذه الأسباب أسباب أخرى أكثر عمقا ، فنجد أنه بعد غزو الرومان لمصر نجد أنها فتحت ذراعـــيها للمسيحية ، ونبذت عنها ديانتها القديمة حتى دخلها الإسلام واعتقله غالبية ســـكانها وعاش أهلها أجيال وأجيال فى ظل هاتين الديانتين يجمع بينهما تسامح كبير كان أعظم ما ورثوه عن نهج أجدادهم القدماء .

ولكنـــنا نقـــول أن مظاهـــر الحضارة المصرية قد دخلت بعد نهاية الأسرة الثلاثيـــن فى مراحل التوقف والانحسار والغروب وطور النهاية فى معظم مظاهرها فتعرضـــت الـــبلاد لعـــدة أحداث وتغييرات أدت إلى تغير مظاهر حضارتها القديمة وتوقفها واحتجابها وأفولها . وتتلخص هذه الأحداث والتغييرات والتأثيرات فى أربعة عوامل رئيسة هي :

أولا : لعل أولى هذه الأحداث هو دخول الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق. م . وتأسيس حكم أسرة البطالمة فيها . وان كانت مصر قد فقدت حريتها السياسية عندما رحبت بقدوم الإسكندر الأكبر ، ألا أنها لم تفقد مظاهر حضارتها .

وعـــندما تقابلـــت الحضارة اليونانية مع الحضارة المصرية على شواطىء الإســـكندرية ذابت معالمها فى بوتقة الحضارة المصرية[١] ، تلك البوتقة العميقة ذات الجـــذور الضـــاربة فـــى عمق التاريخ ، ولم تنهر الحضارة المصرية أمام حضارة الأجنـــبى كأنـــه أجل محتوم[٢] ، بل ظلت تتحدى الأجنبى بفضل قوة سواعد أبنائها وبفضل ديانتها وثقافتها وعلمها .

وعندما استولى الإسكندر الأكبر على مصر بدون أى صراع وخلال إقامته القصـــيرة فـــى مصر شيد مدينة الإسكندرية التى أصبحت أهم مدن البحر المتوسط

---

(١) د. أحمـــد صـــبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

وتعـبد الإسـكندر للمعبودات المصرية وتوج فى المعابد المصرية فى منف وايونو وذهـب لسؤال تمثال وحى آمون فى واحة سيوة . تلك الزيارة التى تركت أثراً نفسياً كبـيراً فـى حياته . وعندما توفى دفن فى بداية الأمر فى منف ثم نقل بعد ذلك إلى الإسكندرية .

وفى حوالى ٣٠٥ أو ٣٠٤ ق. م . شيد بطلميوس بن لاجوس أسرة بطلمية جديـدة هـو علـى رأسها . ولمدة أكثر من ٢٥٠ عاما بعد ذلك سوف تحكم مصر والمصريين أسرة يونانية وبطلمية .(١)

وإن كان البطالمة قد انحدروا من أصل أجنبى ، إلا أنهم حاولوا التكييف مع مظاهـر الحضـارة المصرية العريقة ، فتمصروا مع مرور الزمن واعتبروا أرض وادى النـيل وطـنهم وديانـة المصريين ديانتهم ، وتقلدوا زى الملوك المصريين ، وخلعـوا علـى أنفسـهم ألقـابهم ، ولم يحاولوا أن يغيروا من المظاهر الاجتماعية والاقتصـادية والثقافـية والعلمـية والفنية السائدة والتى أرست أسسها عقلية الإنسان المصـرى مـن قبل وعلى مر العصور ، وكل ما حدث ان تاريخ مصر وحضارتها كساهما مظهـر جديـد ، أو ثوب جديد . ولكن هذا المظهر الجديد لم يمس جوهر وأصـالة حضـارتها ، وظلت خصائصها كما هى لأنها استمدت هذه الخصائص من عوامل البيئة المحلية ومن فكر ومعارف وعزم رجالها .

ومن ناحية أخرى نجد أن بطلميوس الأول وسائر الملوك البطالمة من بعده لم يتبعوا سياسة تهدف إلى أغرقة مصر أو نشر الحضارة اليونانية بين المصريين ، وإنمـا كـان همهـم هو أغرقة الجيش والإدارة المصرية فقط .(٢) ولم يستطيعوا أن

---

(١) Baines - Malek , Altas of Ancient Egypt, London 1958, p.52.

(٢) د. مصـطفى العـبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٤٧ .

يمســوا الديانـــة أو الكهنة ، لأن المعبد والكهنة كانا يمثلان الروح المصرية النابضة ومعقــل التقالــيد الوطنــية .[١] لذلك أتبعوا سياسة التقرب إلى المعبودات المصرية وإظهار ولائهم لها وتقواهم نحوها .

كمـــا اهتم البطالمة بالجانب الثقافى والتعليمى فى الإسكندرية . فأمر الملك بطلمــيوس الأول بتأســيس دار العلم الموسيون والمكتبة الكبرى . وكان الموسيون بمــثابة أكاديمنــية للبحــث وليســت جامعة للتدريس بها قاعات يجتمع فيها العلماء ويتباحــثون . وكانــت دار العلم هذه أول منشأة علمية حكومية فى العالم الإغريقى . وكانــت ملــتقى للمفكرين من كل فج . وأصبحت المكتبة الكبرى تحمل مشعل العلم والمعرفة فى الإسكندرية .

وأقــبل العلمـــاء على الإسكندرية خلال العصر البطلمى من كل موطن إما للإفادة من مكتباتها الغنية بالتراث الإنسانى وإما للانضمام إلى عضوية الموسيون أو للدراسة فيه . وأقام بهذه الدار عدد من العلماء الذين برزوا فى علوم الرياضة والطب والفلك والجغرافيا والتاريخ والأدب والفلسفة .[٢]

وكـــان المجتمع المصرى يتكون فى هذه الفترة من المصريين والمقدونيين والإغريق والسوريين والفنيقيين والفرس واليهود وغيرهم ممن كانوا بمصر من قبل أو جـــاءوا سعيا وراء الكسب تحت لواء البطالمة . وكان لكل طائفة عبادتها . ولهذا كـــان مـــن الضــــرورى أن يحتضن الملك بطلميوس الأول أحد المعبودات المصرية ويجعله المعبود الرسمى للدولة فاتخذ للعبادة العجل أبيس فى منف الذى كان يتحد بعد موتـــه بالمعبود أوزير ويصبح أوزير – آبيس وبذلك نجح بطلميوس فى التوفيق بين

---

(١) ايدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبداللطيف على) دار النهضة العربية – بيروت١٩٧٣ ، ص ٥٠ .

(٢) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .

العنصـــرين المصـــرى والإغريقى عن طريق الديانة .(١) ولهذا أدخل الإغريق عليه تعديلان حتى يقبله الاغريق :

الأول : يمـــس اســـمه فاصبح سرابيس بدلا من أوزير – آبيس ليسهل على الإغريق نطقه .

والآخـــر : هو تمثيله فى صورة إنسانية بدلا من صورة العجل . وبعد ذلك شـــيد له معـــبداً كبيراً فى الإسكندرية فى الحى الشعبى الذى كان يقع فى موقع قرية راقودة القديمة ، وأصبح معبد الإسكندرية هو المعبد الرئيسى والرسمى لهذه العبادة . وشـــبه الإغريق سرابيس بعدد من المعبودات اليونانية مثل اسكلبيوس وديو نيسيوس وهلـــيوس وزيـــوس . وارتبطـــت بسرابيس الزوجة إيزيس والابن حورس وأصبح الـــثالوث المقـــدس يذكر فى الوثائق الرسمية للدولة البطلمية .(٢) وعندما تولى الملك بطلميوس الثانى أضاف بعض أجزاء إلى معبد سرابيس .(٣)

واهتم بطلميوس الثالث ببناء المعابد المصرية ، فقد أتم معبد المعبودة إيزيس الـــذى كـــان قد بدأه والده فى جزيرة فيله . وأكمل الصرح الأول الشهير الذى شيده يوارجيتيس فى الكرنك ، وبنى معبدا صغيرا فى اسنا تكريما للمعبود خنوم والمعبودة نيـــت ، ويعد معبد أدفو الشهير من أعظم مبانيه والذى يعتبر أكمل المعابد التى بقيت مـــن العصـــر الـــبطلمى . وقد بدئ فى تشييده فى ٢٣ أغسطس سنة ٢٣٧ ق. م . واســـتمر بـــنائه أكـــثر من مائة وثمانين عاماً حتى بطلميوس الثانى عشر ، أى تمت زخرفته النهائية فى عام ٥٧ ق. م .(٤)

---

(١) ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ٥٢ – ٥٦ .
(٢) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٥١ – ٥٢ .
(٣) د. عـــبد العزيـــز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، ومؤسسة شباب الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٣٦ .
(٤) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ،

وهــنا ظهرت أيضا أصالة الفنان المصرى وقدرته ومهارته . فعلى الرغم مــن أن صورة الملك المنقوشة على جدران معبد أدفو وأماكن أخرى ليست بصورة الملك المصرى الوطنى ، إلا أن الفنان المصرى حاول بروح الأصالة المعهودة فيه ، والــتى تتوارثها الأجيال ، أن يخرج صورة الملك الأجنبي بالمهارة نفسها التي كان يصــور بها زميله من قبل صورة الملك المصري . ولم تخمد روح الحماس فيه ولا النشــاط الــذى عهدناه في الأجيال السابقة وعندما سجل كل هذه النصوص والمناظر بهذه الدقة فما كان ذلك إلا اعتزازاً بقوميته وحفاظاً علي تراثه الديني القديم في أكمل صورة . ولهذا شيدت أعظم معابد البطالمة بأيدى مصرية ، وبفكر مصرى أصيل . وليست بفكرة خارجية حملها معه الأجنبي .

وإن كان المصرى القديم لم يسجل اعتراضه على هذا الوجود الأجنبى فيما أخــرج مــن صور ونقوش فى المعابد . لأنه كان يدرك تماما أن هذا المكان مكان مقــدس ومكان للعبادة وان الصورة المنقوشة من إنجاز ساعديه وإنجاز فكره . ولهذا ســجل المصرى العادى اعتراضه على الوجود الأجنبى فى أماكن أخرى فى أرض مصــر وأقاليمها . وقد أحس المصريون فى ظل الحكم البطلمى بأنهم كانوا يعاملون معاملــة المغلوبيــن على أمرهم . ولهذا واجه البطالمة الأجانب الثورات التى بدأت فى مصر منذ عهد بطلميوس الرابع ، وقامت هذه الثورات فى صعيد مصر ودلتاها . ولــم يقــض نهائيا على هذه الثورات المصرية إلا فى عام ١٨٥ ق. م . فى الصعيد حيث كانت طيبة قد أعلنت استقلالها ، ثم قضى على ثورة مماثلة فى الدلتا عام ١٨٣ ق. م.(١)

ثانــيا : وثــاني هذه الأحداث هو دخول الرومان مصر على أثر انتصار أوكتافــيان (أوغســطس قيصــر) مؤســس الإمبراطورية الرومانية على جيوش أنطونــيوس وكلــيوباترا عــام ٣١ ق. م. فى معركة اكتيوم . واتجه أوكتافيان إلى الإســكندرية ودخلها فى أول أغسطس عام ٣٠ ق. م. فلم يجد أنطونيوس حيلة سوى

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

الانــتحار . وبعــده بقليل وجدت كليوباترا متوفاة فى قصرها سواء منتحرة أو بفعل أوكتافيان .

وأعلــن اوكتافــيان ضــم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية وجعلها ولاية رومانــية منذ عام ٢٧ ق. م . واحتل أوكتافيان (أغسطس) مكان الملوك البطالمة ، وأصبح الإمبراطور الرومانى ملك البلاد الرسمى ، وخلعت عليه ألقاب ملوك مصر السابقين .(١)

وتــاريخ مصــر السياسى تحت الحكم الرومانى يختلف تمام الاختلاف عن تاريخهــا فى عصر البطالمة . فقد كانت مصر فى العصر البطلمى دولة شبه مستقلة يحكمهــا ملوك من أصل أجنبى . أما فى العصر الرومانى فقد أصبحت مصر ولاية تتبع الإمبراطور فى روما .(٢)

وهكذا ارتدت الحضارة المصرية أو اضطرت إلى ارتداء ثوب آخر في ظل الاحــتلال الأجنــبي ، ولكن هذا الثوب الجديد لم يغير من شخصيتها أو يطغى على معالمهــا ، بــل ظــل المصرى الذى يعيش في العصر الروماني يحافظ على إيمانه بمعــبوداته وعقائده أى أن إيمانه من الداخل ظل سليماً وقوياً ولهذا لم تختف مظاهر الحضارة المصرية من حياته لأنها جزء من شخصيته وقوميته . وكان هذا هو سبب القوة في الحضارة المصرية وسر تماسكها حتي ولو اضطرت إلى ارتداء ثوب جديد من الخارج للمرة الثانية .

أقــر الــرومان اللغة اليونانية كلغة رسمية للبلاد تصدر بها كافة القرارات والقوانيــن . أما المصريون فكان الكثير منهم يتقن اللغة اليونانية وأكثرهم فى المدن والقــرى والريف يتحدث باللغة المصرية ، اللغة القومية ، والتى كان التعبير الكتابى لهــا بالخط الديموطيقى الذى استخدمت فيه علامات وحروف مختصرة من الحروف

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ١٥٨ – ١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

الهيروغليفية والهيراطيقية . ولهذا لم يحاول الرومان أن يفرضوا تعلم اللاتينية ، لأن اليونانية كانت موجودة من قبل ومنتشرة فى البلاد إلى جوار اللغة الأصلية الوطنية حتى بيانات وقرارات الإمبراطور وخطاباته التى كانت تكتب أصلا باللاتينية كانت تترجم إلى اليونانية عند نشرها فى الإسكندرية . ولهذا فإن عدد النصوص اللاتينية من مصر فى العصر الرومانى قليل جدا ويكاد يقتصر على شئون الجيش الرومانى .(١)

احتضن الرومان مؤسسات الثقافة والتعليم فى الإسكندرية بعد الفتح فبقيت المكتبة والموسيون يلقيان التشجيع والتأييد من الأباطرة الرومان وبمناسبة زيارة هادريان للموسيون زاد عدد العلماء .(٢)

واستمرت عبادة الثالوث البطلمى المكون من سرابيس وإيزيس وحاربوقراط (حورس الطفل) . وأضاف ديوكليتيان (٢٨٤ – ٣٠٥ م) إضافات إلى معبد سرابيس فى الإسكندرية . وأقام بوستيموس ، حاكم الإسكندرية ، فى المعبد نفسه عموداً ضخماً من الجرانيت تكريماً لزيارة الإمبراطور للإسكندرية . وشيد الأباطرة الرومان معبد دندرة تكريماً للثالوث المقدس : حتحور وحورس سماتاوى وإحى ، الذى شيد فى ١٧ نوفمبر عام ٣٤ ميلادية . وأكملوا معبد اسنا المخصص للثالوث خنوم ونيت (أو منهيت) وحكا ، ومعبد فيله المخصص لثالوث الفنتين خنوم وساتت وعنقت ، ومعبد كوم امبو المخصص لسبك وحتحور وخونسو ومعبد طود المخصص لمونتو وثنيت وهربوقراط .(٣)

ونرى على جدران بعض هذه المعابد وخاصة فى دندرة واسنا وكوم أمبو وفيله صور بعض الأباطرة الرومان وهم يتعبدون إلى المعبودات المصرية المحلية .

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .
(٣) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للك

وقــد نفذ الفنان المصرى تلك الصور والنقوش ببراعته وإتقانه المعهودين من قبل . وأعلــن الـــرومان رسميا إدخال عبادة الثالوث البطلمى المكون من سرابيس وإيزيس وحاربوقـــراط إلى روما حتى أنشأ الإمبراطور دوميتيان (٨١ - ٩٦ م) معابد فى روما لعبادة سرابيس وإيزيس .

واستطاعت عبادة إيزيس أن تنتشر فى روما . وتذكر بردية من البهنسا من القـــرن الثانى الميلادى سبع وستين مدينة فى الدلتا لعبادة إيزيس أما فى خارج مصر فــتذكر أسماء خمس وخمسين مدينة مرتبة حسب البلاد التى تقع فيها . ومن دراسة هــذه الــبردية يتضـــح انتشار عبادة إيزيس فى بعض مناطق الشرق القديم وبعض المناطق التى تطل على البحر الأسود وبعض المدن فى إيطاليا .(١)

أرهق الرومان المصريين بالضرائب وأذاقوا أهلها مرارة الجوع وألوانا من العــذاب . وألزموا المصريين بإيواء من يمر بهم من الموظفين الملكيين والعسكريين مـــن الـــرومان ، وتقديـــم مـــا يلزمهم من المؤن ، وقد أدت هذه الأعباء إلى ضعف المصـــريين وازداد سخطهم على الحكم الرومانى .(٢) وقامت الثورات ضد الرومان وكان أهمها الثورة التى قام بها أحد الكهنة ويدعى ازيدور عام ١٧٢م ، وكان مركز الثورة هو منطقة شمال الدلتا .(٣)

ثالـــثا : وثالـــث هذه الأحداث والتغييرات والتأثيرات ، يتمثل فى ظهور المســـيحية ففى القرون الثلاثة الأولى الميلادية كان على الإنسان أن يواجه أهم حدث وتغير وتأثير دينى عرفه فى تاريخه بأسره .

فقد ظهرت المسيحية مع مولد الإمبراطورية الرومانية فى الجزء الأخير من

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) د. حســـن إبراهـــيم : تـــاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

القــرن الأول ق. م.[١] إذ تمــت ظــروف توحيد بلدان العالم فى ظل الإمبراطورية الرومانية ونشطت تبعا لذلك الاتصالات بين البلدان المختلفة وانتشرت الأديان الوثنية من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد .

وفى ظل هذه الظروف نشأت دعوة دينية جديدة هى المسيحية التى ظهرت فى فلسطين وجاءت لتؤكد للإنسان أن الأديان القديمة كلها هراء وفى مثل هذه الحالة كــان على الإنسان أن يلجأ إلى البحث عن الطريق الصحيح وفى مثل هذه الظروف أيضــا لا نعــرف كــيف نشــأت المسيحية وكيف انتشرت ولكن نظراً لظهورها فى فلســطين ، وكــان لقرب حدود مصر الشرقية من حدود فلسطين الجنوبية أثره بدون شك فى وصول هذه الديانة إلى مصر فى عصر مبكر .

ويروى فيوسيبيوس ، أعظم مؤرخى الكنيسة الأولين والذى عاش فى القرن الــرابع الميلادى ، ان القديس مرقص نفسه حضر إلى مصر وأنه بشر للدين الجديد فــى الإســكندرية فى أواسط القرن الأول الميلادى . ولكن ليس هناك أى دليل مادى يثبــت وجود المسيحية فى مصر خلال القرن الأول الميلادى . ولكن لدينا فى بردية نصــاً من إنجيل القديس يوحنا يرجع إلى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى . وعــثر علــى إنجيل مسيحى جديد ، ويرجع تاريخ تدوينه إلى الفترة نفسها أو بعدها بقليل .[٢]

وعــندما وصلت المسيحية إلى مصر ، هنا كان على الإنسان المصرى أن يواجــه أهــم حدث فى تاريخه ، فبدأ جوهر الإنسان فى التغير والتأثر من الداخل ، وأصاب هذا التغير والتأثير عقيدته ومعتقده ، فانعكس ذلك كله على مظاهر حضارته وانتاجه لعدة قرون قادمة .

---

(١) ولد السيد المسيح عليه السلام فى عهد الإمبراطور أوغسطس – قيصر مؤسس الإمــبراطورية الرومانية ، على أثر انتصاره على جيوش أنطونيوس وكليوباترا سنة ٣١ ق. م ، راجع : د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

وابــتداء من ظهور المسيحية بدأ الإنسان المصرى يبتعد عن ديانته القديمة ومعتقداته ، ووجد في المعتقد الجديد عقيدة ربانية ليست من تفكير البشر أو من اعتقاد الكهنة . وابتداء من هذه اللحظة أيضا بدأت مظاهره الحضارية تتخذ وجهة أخرى ، تخــتلف اخــتلافاً كلــياً عما كانت عليه من قبل . فروح الإيمان بما هو مقدس كانت متأصلة في قلب المصري عبر الأجيال المختلفة وطوال آلاف السنين ، وجعلته يتقبل بسهولة المسيحية . ويفسر د. عزيز سوريال هذا الانتشار السريع للمسيحية فى مصر دون غيرها باستعداد العقلية المصرية لتقبلها أو لتقبل فكرة الوحدانية .(١)

ولكننا نقول أن هذا الاستعداد الفطرى والروحى لتقبل كل ما هو مقدس كان موجوداً من قبل وفى كل العصور . فكان للحضارة المصرية رسالة روحية تخاطب الإنســان ومــا يجب أن يتمسك به فى معتقده وفى تصرفاته وفى قيمه التى يجب أن يــتحلى بهــا . فقــد آمن المصرى القديم بالموت واعتقد فى البعث والخلود وتكريم الجســد والمحافظــة عليه وخلود الروح . وآمن بفكرة الثواب والعقاب فى الآخرة . وممــا تــركه المصرى القديم من نصوص دينية عديدة كنصوص الأهرام ونصوص التوابيــت وفصــول كتاب الموتى والكتب الجنائزية الأخرى ، نجد أنها تعكس جزءاً كبيراً من معتقداته فى الحياة والموت وعالم الآخرة .

وكما لمسنا فى الباب الثامن الفصل الثانى عند الحديث عن الأدب الدينى أن بوادر الإيمان بوحدة الربوبية لم تكن وليدة عهد إخناتون ، ولكن هذه البوادر ظهرت فــى أواخــر الدولة القديمة وأوائل الدولة الوسطى ، عندما اتجه أهل العقائد والفكر الديــنى إلى اعتبار معبود الشمس معبوداً خالقاً ومعبوداً أكبر فى آن واحد . ومضى هذا التيار الدينى فى طريقه ، ووجد أصحابه فى اتساع آفاق الناس فى عصر الدولة الحديثة ما جعلهم يتطلعون إلى الوحدانية الكاملة . فعبروا عن معبودهم بأنه الخفى ، الموجــود فــى كل الوجود . حتى جاء إخناتون وأعلن التوحيد خالصاً بعد أن ضاق

---

(١) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، ص ٤١ – ٤٢ .

بروح المحافظة التى تعلقت بالدين وقيدت حرية الناس ، فنادى بمعبود واحد لا شريك لـــه هو آتون ، ورمز إليه بكوكب الشمس الذى يراه الناس فى كل لحظة ، ورأى فى هذا الكوكب ربانية مستترة وجسم ظاهر مضئ .

وفـــى بعـــض النصوص من عصر الأسرة الثامنة عشرة ، والمسجلة على جدران بعض مقابر الأفراد ولوحاتهم الجنائزية ، حرص كتبة النصوص الدينية على إظهار معبود الشمس وآمون رع كخالق عالمى ، ونرى فى نصوص لوحة بالمتحف البريطانى معانى هذه الوحدانية تتجسم فى الكلمات الآتية :

" الذى خلق بنفسه ولم يولد " .(١)

ولـــيس أدل علـــى من تسامح روح المصرى القديم من أن جاليات يهودية عاشـــت فى الفنتين والإسكندرية ، وهم الذين أقاموا وأكلوا وشربوا وغنموا وتمتعوا بخيرات البلاد . فمنهم من قدر كل ذلك ومنهم من خان وافترى على مصر وشعبها . فكانـــت هـــناك جالية يهودية تعيش فى مصر ، فقد أقام الفرس حامية من اليهود فى جزيـــرة الفنتيـــن عثر فى مكانها على مجموعة من أوراق البردى كتبت بالآرامية . ويمكن التأريخ لهذه الحامية بصورة منتظمة فى الفترة بين ٥٢٥ – ٤٠٧ ق. م .

وبعـــد فـــتح الاسكندر لمصر استقر اليهود فى الإسكندرية فى الحى الرابع المســـمى دلـــتا . على ان اليهود فى مصر البطلمية سرعان ما تركوا اللغة الآرامية واتخـــذوا اللغة اليونانية بدلا منها . وكان أكبر مظهر لهذا التغيير هو ترجمة التوراة إلـــى اللغة اليونانية التى تمت فى مصر فى ذلك العصر . وأن هذه الترجمة المسماة " بالـــترجمة السبعينية " التى تمت فى اثنين وسبعين يوما قام بها يهود مصريون فى العصر البطلمى .

وأصـــبحت المراسيم الدينية اليهودية تؤدى باللغة اليونانية ، واتخذوا الزى اليونانى وتسموا بأسماء يونانية وتحدثوا اللغة اليونانية وقد بنوا أيضا كثيرا من أماكن

---

(١) راجع الباب السادس .

العبادة الخاصة بهم والتى تعرف باسم سينا جوج .[١] ويحدثنا فيلون بأن معابد اليهود كانت على أيامه منتشرة فى كل مكان بمدينة الاسكندرية .[٢]

وزاد عـدد الـيهود فى الاسكندرية فى العصر الرومانى فأصبحوا يشغلون اثنيـن أو أكـثر من أحياء المدينة الخمسة [٣] ، بعد ان كانوا يقطنون حيا واحدا وهو المعـروف باسـم " دلـتا " . وكان ليهود مصر فى العصر الرومانى نفس الوضع الاجتماعى الذى كان لهم فى العصر البطلمى .

ويهـود مصر كانوا مصريين من وجهة النظر الرسمية الرومانية . وأراد اليهود ان ينتهزوا فرصة عطف الرومان عليهم والحصول على امتيازات عن طريق اعتـبارهم مواطنيـن سكندريين . وراح زعماء اليهود وكتابهم من أمثال يوسيفوس يثبـتون صدق هذه الدعوى ويدللون عليها بشتى الحجج والأساليب .[٤] وقامت الفتنة الكـبرى عـام ٣٨ ميلادية بين السكندريين واليهود حول مواطنة الاسكندرية وحق اليهود فيها .[٥]

---

(١) د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) ايدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربـية وأضـاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت١٩٧٣ ، ص ٧١ .

(٣) رمـز لكـل منها بأحد حروف الهجاء اليونانية وهى : الفا ، بيتا ، جاما ،دلتا ، ابسـيلون ، راجـع : د. عبد العزيز سالم : الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، ص ٢٦ .

(٤) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

ويضاف إلى ذلك ما سبق أن ذكرناه انه خلال عصور مصر القديمة وأثناء فــترات حكــم بعــض ملوكها ، وفد عليها بعض أنبياء ورسل الله عز وجل يبلغون رسالات ربهم . ونشأت تطورات فى العلاقات بينهم وبين بعض ملوك مصر القديمة الذيــن نجهل أسمائهم . وكان أول من دخلها سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء الذى جاء مع زوجــته ســاره ، ثم جاء سيدنا يعقوب هو وعشيرته وكذلك سيدنا يوسف وأخوته ، الــذى كــان صغيرا وتربى فيها وشاب وأصبح ذا شأن كبير . ثم ولد فيها بعد ذلك ســيدنا موســى مــن رسل الله الكرام أولى العزم ، وعندما بلغ بالرسالة وطلب من المصريين عبادة الله وحده وترك العبادات الأخرى دخل البعض منهم فى ديانة سيدنا موســى رغــم معارضة فرعون وتهديده لهم ، وترتب على ذلك بتر أيديهم وأرجلهم وصــلبهم . وذلك يدل على أن البعض منهم حاول أن يبحث عن الإيمان الحقيقى بالله عز وجل ووجد ذلك الإيمان على يد سيدنا موسى . وكذلك آمن سحرة فرعون ، ومن آل فرعون نفسه من آمن ولكنه لم يعلن إيمانه وكتمه ، بل إن امرأة فرعون نفسها قد آمنــت برســالة ســيدنا موســى علــيه الســلام . فقــد جاء سيدنا موسى برسالة الحق [١] والهداية [٢] وبالآيات[٣] من رب العالمين إلى فرعون وملئه .

مــن هــذا نفهم أن الأجيال السابقة على المصريين الذين عاشوا فى القرن الثانى الميلادى ، والذين عرفوا المسيحية ، عاصروا أحداث كبيرة تمس الوحدانية . وعاشــت هــذه الأجــيال فــى عهود هؤلاء الرسل والأنبياء الذين جاءوا إلى مصر وباركوا أرضها الطيبة ، كما بارك أرضها بعد ذلك السيد المسيح والسيدة العذراء كما يقص علينا نص كنيسة " أبو سرجه " قصة التجاء السيدة العذراء والسيد المسيح إلى مصر حماية للسيد المسيح من انتقام هيرودس .[٤]

---

(١) سورة الأعراف : آيات ١٠٣ – ١٠٥ .

(٢) سورة النازعات : آيات ١٦ – ١٩ .

(٣) سورة الزخرف : آيات ٤٥ – ٤٦ .

(٤) د. حسن الباشا وآخرون : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص ٤٧ .

وكـــان دخـــول المســـيحية مصر بداية اختفاء مظاهر الحضارة المصرية المعهودة والمتعارف عليها . وكان هذا العامل الديني السبب الرئيسي في تغير مظاهر هـــذه الحضــــارة التي عرفناها من قبل . فنجد أن مظاهر الحياة الدينية لم تصبح كما كانت في الماضي وتغيرت كلية ، فمتطلبات الدين الجديد تختلف اختلافاً كلياً عما كان يتطلـــبه المعتقد القديم ، فهذه الحضارة التى قامت فى البداية وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالديانة والمعتقدات نجد أنها تأثرت بقوة أيضاً بعامل الدين الجديد . وظل هذا التأثير قويا فى داخل الإنسان المصرى الذى عاش فى هذه الفترة وممن جاءوا من بعده فى الأجيال اللاحقة . وانعكس ذلك كله على بقية المظاهر الحضارية الأخرى :

فمظاهر الحياة السياسية والإدارية قد تغيرت تماما ومظاهر الحياة الفنية قد تغـــيرت فى أكثر من مجال ، وكذلك مظاهر العلاقات الخارجية قد تغيرت كلية . أما مظاهـــر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فإنها لم تتغير كثيراً وظلت كما هى ودخلتها نظم جديدة . وبالنسبة لمظاهر الحياة الثقافية والعلمية وأساليب التربية والتعليم فدخلتها أيضاً عناصر جديدة وتأثرت بقيم جديدة وأهداف أخرى مختلفة .

فدخـــول المسيحية السمحاء أرض مصر ، جعل المصرى يتوقف عن البناء المعمـــارى فى المعابد المصرية وغيرها من العناصر المعمارية . فالديانة المسيحية ليســت فـــى حاجة إلى معابد أو تماثيل بل هى فى حاجة إلى كنائس ، ولم تعد هناك حاجة إلى العمائر الجنائزية لزوم عقائد الآخرة لأن مفهوم الثواب والعقاب فى الآخرة قـــد تغـــير فى عقيدة الناس ، وبدأ الناس بروحهم الشفافة المعهودة يشعرون بالإيمان الحقـــيقى وأصبح لديهم الإيمان الصادق العميق الثابت الذى لا يضعف ولا يهتز ولا يتحول ولا يتلون .

وظلت روح الإبداع الفنى لدى الفنان المصرى كما هى كما يظهر ذلك فيما أخرجه هذا الفنان من فنون النحت والنقش والرسم والعمارة بأشكالها ، كما نشاهد فى آثار المتحف البريطانى . وبنفس الروح السمحة نجد أنه حافظ على موروث الماضى وتـــراث أجداده . فهذه الآثار جزء من ماضيهم وماضى أجدادهم الذين كانوا يعيشون على الأرض نفسها . فلم يحتج على إقامة أجداده من آثار الماضى لأن هذه الآثار من

صـــنع أجــداده الذيـــن انحـــدر منهم ، ولم تكن من نتاج أناس غرباء عليه ، ولكن المصـــرى الوفـــى لماضـــيه حـــافظ عليها وأبقاها وعاشت حتى الآن . ولكن بعض المســـيحيين المتحمسين للديانة المسيحية فى البداية أرادوا أن يسجلوا اعتراضهم على قـــيام هذه الآثار ، فقاموا بتحويل القليل منها إلى كنائس وقاموا برسم صور القديسين علـــى بعضها الآخر أو قاموا بهدم أجزاء من بعضها الثالث .[1] ولكن بوجه عام لم يحـــاولوا أن يمحوا آثار حضارتهم القديمة كلية ، والدليل على ذلك أن معظم المعابد الكبرى التى شيدت فى الوجه القبلى لا زالت قائمة حتى الآن ، ومحتفظة بمعالمها ، مما يدل على أن الذى قام بعملية الاحتجاج هذه قلة قليلة من الناس .

وهكـــذا انتشرت المسيحية فى الاسكندرية أولا ثم فى بقية أجزاء مصر بعد ذلـــك . وأصـــبح لهـــا فى الاسكندرية مركز ورئيس ومدرسة غير رسمية لتدريس تعالـــيمها . وكانـــت الجماعـــات المســـيحية على اتصال مباشر بالحركة المسيحية بالإسكندرية . وفى بردية ترجع إلى عام ٢٦٤ - ٢٨٢ م ، نجد خطاب كتبه شخص له مكانته فى روما ، يبعث به إلى جماعة المسيحيين فى منطقة الفيوم . وعلى الرغم من وجود المدرسة ورئيس للمسيحيين فى الإسكندرية وفى بعض أجزاء من مصر . فقد تعرضوا للاضطهاد .

وكـــان الهـــدف مـــن إنشـــاء هذه المدرسة مناهضة دار العلم الشهيرة فى الإســـكندرية والـــتى شـــيدت منذ عصر بطلميوس الأول . واستطاعت هذه المدرسة المســـيحية مـــنذ وقـــت مبكر أن تكتسب مجدا وقوة على يدى أساتذتها الكبار أمثال كلـــيمس ، الـــذى ولـــد فى أثينا فى أواسط القرن الثانى الميلادى . ونشأ وثنيا واسع

---

(١) كـــان من أهم الآثار الموجودة فى معبد الكرنك وحولت إلى كنائس عند دخول المســـيحية مصـــر هـــى قاعة الأعياد الخاصة بالملك تحوتمس الثالث وجوسق أمنحتـــب الـــثانى ومعـــبدى خونسو وأوبت ، راجع : Coquin, BIFAO 72 (1972), p. 169-178.

الثقافة اليونانية ثم حضر إلى الاسكندرية وبعد أن استمع إلى محاضرات فى المدرسة المسيحية هناك اعتنق الدين الجديد واصبح أستاذا بالمدرسة نفسها بعد ذلك .

وأثـار انتشـار المسيحية مخاوف الرومان ، واعتبرت السلطات الرومانية المسـيحية خطـرا سياسـيا علـيهم ، واعتـبروا المسـيحيين عنصرا خطيرا على المجـتمع .[1] ولذلك تعقبت السلطات الرومانية المسيحيين بالاضطهاد فى روما أولا ثـم فـى أنحاء الإمبراطورية ثانيا . فعمدوا إلى اضطهاد دعاة المسيحية منذ النصف الـثانى من القرن الثانى الميلادى ، فصبوا على المصريين المسيحيين أسواط العذاب واستشـهد مـنهم من استشهد فى سبيل إعلاء كلمة الرب ونشر دينه ، بروح الوفاء المعروفة عنهم .

وتستقر المسيحية على أرض الكنانة برغم القياصرة الرومان ، ولم يثن هذا الاضطهاد المصريين عن اعتناق المسيحية فانتشرت انتشارا تجاوز كل تقدير .

وفـى عصر الإمبراطور سبتميوس سيفيروس وقع أول اضطهاد منظم ضد المسـيحيين فـى مصر فى عام ٢٠٣ ميلادية . فاضطر كليمس أستاذ المسيحية فى الإسكندرية إلى أن يهاجر إلى فلسطين ويموت هناك . وجاء من بعده اورجينيس الذى نشـأ فـى الاسكندرية مسيحيا ، وشاهد فى سن صغيرة اضطهاد سيفيروس ، وعين وهـو فـى سـن الثامـنة عشرة رئيسا للمدرسة المسيحية خليفة لكليمس . واكتسب اوريجينـيس شـهرة كبيرة بين المسيحيين فى عصره . وظل اوريجينيس حتى عام ٢٣٢ مـيلادية هكذا ولكن اتجاهه الفلسفى أوقعه فى خلاف مع رجال الدين المسيحى فاضـطر اوريجينـيس أن يترك الإسكندرية إلى فلسطين حيث أكمل دراسته للكتاب المقدس هناك .

وحـدث الاضـطهاد الـثانى الكبـير فى منتصف القرن الثالث فى عصر الإمـبراطور ديكيوس . وبعده جاء جالينيوس الذى أوقف اضطهاد المسيحيين وسمح لهـم بحـرية العبادة . وهكذا استطاع المسيحيون لأول مرة أن يشيدوا كنيسة لهم .

---

(١) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

وأول ذكر لكنيسة مصرية يوجد في بردية من البهنسا في عام ٣٠٠ ميلادية . أما عن تــاريخ المسيحية بعد ذلك فيقع في الفترة التاريخية التالية التي تبدأ بعصر ديوكليتيان (٢٨٤ - ٣٠٥ م) فكــان علــيه أن يواجه الإصلاحات فى الحكم وأن يؤمن حدود الإمــبراطورية الرومانــية المترامية ضد غزوات المتبربرين من كل جانب ثم قمع الــثورات المحلية ضد حكمه ومواجهة الدين الجديد . وبدأ ديوكليتيان أقسى اضطهاد عرفه المسيحيون فأصدر الأوامر بجمع نسخ الكتاب المقدس لحرقها وتدمير الكنائس لمنع المسيحيين من الاجتماع والعبادة .[١]

اســتمر اضطهاد المسيحيين على أيدى الأباطرة الرومان بعد ديوكليتيان ، حتى إذا جاء عام ٣٢٣ م الذى نجح فيه قسطنطين فى تولى الحكم (٣٢٣ - ٣٣٧م) واعترف الإمبراطور قسطنطين بالدين المسيحى ، وساوى بين المسيحية وغيرها من الأديــان عام ٣٢٣م . وكان هذا يعد انتصارا حاسما للمسيحية . فمنذ ذلك الوقت بدأ المسيحيون يعملون فى حرية واطمئنان .

وقــام المسيحيون فى مصر فى عصر قسطنطين بتدمير كثير من المعابد أو حولهــا إلــى كنائس . وكان ذلك يتم برضاء السلطات الرسمية وبأمرها أحيانا ومن اشهر ما تم فى هذا المجال هو قرار الإمبراطور بتحويل معبد القيصرون إلى كنيسة بالإســكندرية . وكمــا نعلــم ، كان هذا المعبد قد شيد بواسطة الملكة كليوباترا يوم الاحتفال بقدوم أنطونيوس .[٢]

بــدأ الخــلاف العنــيف بين كنيسة الاسكندرية والقصر الإمبراطورى فى القســطنطينية . وانقســمت الإمــبراطورية الرومانية بعد قسطنطين إلى شرقية فى القسطنطينية وغربية فى روما . وأصبحت مصر تابعة للإمبراطورية الشرقية .

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق، ص ٢٨٢. -٢٩٠ ، ٢٩٣ - ٢٩٩ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٧ ؛ د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

وجـاء بعد ذلك الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥ م) ، الذى أعلن فـى عـام ٣٨١م أن الكنيسـة القسـطنطينية هـى بمثابة الكنيسة الرسمية والأولى للإمبراطورية الشرقية . وفى عصره قام بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس بهدم المعابد فى الإسكندرية .(١)

وفـى عـام ٣٨٩ أو ٣٩١ تهـدم معبد سرابيس وتحطم تمثاله بالقرب من كانوب شرق الإسكندرية . وأقيمت فى هذه الفترة عدة كنائس وبدأت الديانة المسيحية تشغل عقول الناس وتسيطر على نشاطهم الفكرى والثقافى .

وكـان المسـيحى يخـتار أماكن مبانيه فى الأماكن التى مرت بها العائلة المقدسة أو زارها بعض القديسين . ومن أشهر هذه الأماكن : البهنسا وأنطونيوبوليس (انصنه) والأشمونين والقوصية ودرنكه حيث دير السيدة العذراء . وكانت الكنائس هى أكثر العمائر الدينية بقاءً نظراً لما تتمتع به من قداسة . كما شيدت الأديرة ولعل أشـهرها : ديـر الأنبا سمعان (هدرا) فى أسوان ودير الفاخورى فى اسنا والدير الأبـيض والأحمر فى سوهاج ودير الأنبا أنطونيوس ويقع بأحد سلاسل جبال الجلالة القبلية بالبحر الأحمر عند الكيلو ١٣٧ طريق القاهرة الزعفرانة . وهو الذى ولد عام ٢٥١م ، بمحافظة بنى سويف وتوفى فى يناير ٣٥٦م . ويعتبر مؤسس نظام الرهبنة فـى العالم . ودير الأنبا بولا وهو أحد كبار القديسين ، ويقع على هضبة مرتفعة من أحـد جـبال الجلالة القبلية بالبحر الأحمر على خليج السويس ، وعلى بعد ٨٥ كيلو مـتراً مـن رأس غـارب . ودير أبو حنس فى ملوى ودير يوحنا القصير أو الأنبا أرسانيوس فى طره وفى غيرها .

كمـا عـبر أقباط مصر عن معتقداتهم المسيحية بتصوير الأيقونات الجميلة الموجـودة بالمتحف القبطى والتى تمثل السيدة العذراء والقديس أنطونيوس والملاك

---

(١) هذه هى المرة الثانية التى تعرض فيها المعبد للهدم . فكانت المرة الأولى فى عام ٣٨ م أثـناء ثـورة يهـود الإسكندرية ، راجع : د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٤٣.

ميخائـــيل والقديسة بربارة .[١] وانتجوا فناً متميزاً نسب إليهم وهو الفن القبطى الذى يعتبر من الفنون المسيحية المحلية .[٢]

ومـــع اســـتقرار المســـيحية فى مصر فى القرن الثالث الميلادى . استبدل المســـيحيون الحـــروف الهيروغليفـــية فى الكتابة بحروف يونانية . ولما وجدوا أن الأبجديـــة اليونانية لا تفى بحاجة جميع أصوات اللغة المصرية القديمة أضافوا إليها ســـتة حـــروف من الكتابة الديموطيقية . وصاروا يسطرون بخط جديد الذى اصطلح العلماء على تسميته بالخط القبطى بلهجاته المتعددة .

ولكن هذا الخط ، كما ذكرنا من قبل ، لم يكن فى الواقع إلا الصورة الرابعة لأشكال الخطوط التى كانت تكتب بها اللغة المصرية القديمة :

الهيروغليفـــية ، الهيراطيقـــية ، الديموطيقية ، والقبطية . أى أن هذا الخط الأخير يرجع فى أصوله الاجرومية إلى اللغة المصرية القديمة .

وفـــى الواقع أن القبطية ليست ديناً ولا مذهباً جديداً ، وإنما يقصد بها جنس وشـــعب مصر ، لأن لفظ قبط هو اللفظ الذى أطلقه العرب على المصريين عند الفتح العربى .[٣] وكان أول وأعظم أعمال ما حقق بالخط القبطى الجديد ، هو نقل الإنجيل إلـــى المصـــريين فـــى لغة مصرية وثوب مصرى ليس بالخط الأجنبى اليونانى أو اللاتيـــنى . ولعـــل هذا كان من الأسباب التى جعلت المسيحية تنتشر بين المصريين جميعاً انتشاراً واسعاً .[٤]

---

(١) د. صـــلاح البهنسى : المتاحف المصرية ، مطبوعات وزارة الثقافة ، العلاقات الثقافية الخارجية ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٠ – ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٩٨ حاشية (١) .

(٤) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

ونشــأ الخــط الجديــد بين المصريين فى الوقت الذى ذاعت فيه المسيحية وانتشــرت . وبالــرغم مــن أن كنيسة الإسكندرية والمسيحيين فى المدينة استمروا يستخدمون اللغة اليونانية ، فإن المسيحيين المصريون جعلوا من الخط القبطى بلهجاته المتعددة هو وسيلة التعبير لهم فى هذه المراحل التاريخية الجديدة ، وسرعان ما دونوا بــه الأدب الجديد ، مبتدئين بالإنجيل ثم الدعوات والأناشيد الدينية ، ثم توسعوا كثيراً فــى التألــيف بهذا الخط فكتبوا عن سير آباء الكنيسة الأولين وخاصة سير القديسين المصــريين .(١) واستمرت الإسكندرية فى العصر البيزنطى مركزاً للعلم والثقافة كما كانت فى العصر اليونانى الرومانى يقصد إليها الدارسون من شتى الأقطار وكثيراً ما حضــر الشــباب إلــى الإسكندرية لدراسة العلوم الإنسانية (أى الفلسفة وآدابها) ثم تحولــوا بعــد ذلك إلى المسيحية وخاصة فى القرنين الرابع والخامس ، ومثال ذلك القديــس سيفيروس الذى جاء من إنطاكية وكان لا يزال وثنياً ، ودرس العلوم الوثنية فــى مدرســة الإسكندرية وهناك التقى بعدد من أعلام العصر مثل زكريا من غزه ، وتومــاس مــن غزه وربنودوتوس من لسبوس فى كاريا وبارالبوس من كاريا أيضاً (فى آسيا الصغرى) .(٢)

ومن الشخصيات اللامعة فى تاريخ مدرسة الإسكندرية فى العصر البيزنطى الفيلسوفة الجميلة هيباثيا ، وبلغ من شهرتها ومجدها أن قصدها الطلاب واستمع إليها الوثنــيون والمســيحيون علــى حد سواء ، حتى لقيت مصرعها على آلات التعذيب والحريق أثناء بعض الاضطرابات والفتن فى مطلع القرن الخامس .

ومن أشهر الشخصيات التى تلقت المعرفة على يدى هيباثيا سنيسيوى أسقف كنيسة قورنية فى برقة ، وبالرغم من كونه مسيحياً ورجل دين له مكانته ، فلم يخف إعجابه الشديد بهيباثيا رغم وثنيتها وبمدرسة الفلسفة بالإسكندرية .

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

وهــذه الشهرة العلمية العظيمة التى كانت تمتعت بها دار العلم بالإسكندرية كانت تسندها مكتبتها الكبيرة ، وظلت الإسكندرية تتمتع بهذه المكتبة حتى نهاية القرن الرابع الميلادى حين قاد أسقف كنيسة الإسكندرية ثيوفيلوس أكبر حملة اضطهاد ضد دار العلم هذه باعتبارها أكبر مركز للثقافة الوثنية .(١)

وبعد أن تولى الإمبراطور ماركيانوس كان تاريخ الكنيسة المصرية بعد ذلك سلســلة مــن المــنازعات بشــأن اختيار الأسقف ، فمن ينتخبه المصريون لا يعينه الإمــبراطور ، ومن يعينه الإمبراطور لا يقبله المصريون ، إلى أن تم الاتفاق أخيراً فى عام ٤٨٢ ميلادية على أن يختار المصريون أسقفهم دون تدخل الإمبراطور . مما يدل على انفصال كنيسة الإسكندرية عن القسطنطينية نهائياً . وجاء بعد ذلك جستنيان (٤٥٨ – ٥٦٥م) وأصــر على أن يعين هو أسقف الإسكندرية . وكان يرسله إلى الإسكندرية فى حراسة قوة عسكرية تفرضه على الكنيسة فرضاً . وفى أيامه استطاع المصــريون أن يمــدوا نفوذهم الدينى جنوباً فدخلت القبائل النوبية فى المسيحية على المذهب اليعقوبى .(٢)

بعــد ذلــك بــدأ تهديد دولة الفرس لحدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية ونجحت فى التوغل إلى داخل ممتلكات ومناطق نفوذ الإمبراطورية نفسها . ولكن هذا الــتدخل لــم يســتمر طويلاً ، فقد تمكن الإمبراطور هرقل من إعادة الولايات التى اســتولى عليها الفرس فى سوريا وفلسطين ومصر فى عام ٦١٦ ميلادية إلى سيطرة الإمبراطورية من جديد .(٣)

عيــن هــرقل أسقف الإسكندرية الملكانى قيرس (قورش) المعروف باسم المقوقس ليكون حاكماً على مصر . وكان معروفاً بقسوته وكراهيته لأصحاب الطبيعة

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ – ٣٠٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٠ .

الواحـــدة .[١] ومـــنحه الإمبراطور سلطة مطلقة لتحقيق سياسته المتشددة فى مصر . فـــأطلق على المصريين حملة من الاضطهاد العنيف وسياسة الشدة والتعسف . وأخذ يضـــطهد المســـيحيين اضـــطهاداً لم يشهد له المصريون نظيراً من قبل . وأمام هذا الاضـــطهاد اضطر بطريرك الإسكندرية بنيامين إلى الفرار من الإسكندرية من بابها الغـــربى إلـــى الصحراء ولاذ بالفرار إلى دير بالقرب من مدينة قوص وفر عدد من المسيحيين إلى وادى النطرون مثل دير البراموس ودير أنبا بشواى ودير أبى مقار . وتعرض من بقى من المسيحيين فى ديارهم لألوان من التعذيب والتنكيل .

رابعـــا : ورابع هذه الأحداث والتغييرات والتأثيرات ، هو ظهور الإسلام فـــى مدينة مكه معقل الوثنية العربية ، والمركز التجارى الهام فى الجزيرة العربية . فكانـــت أعظـــم دعوة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية للإنسانية عامة . وكانت انتقالاً حاسماً فى تاريخ العرب ، إذ جعل لهم ديناً واحداً يدعو إلى الوحدانية ، وحقق لهم وحدتهم السياسية ، وجعل من العرب أمة موحدة قوية ضد مطامع الروم والفرس فى بلادهم .

وصـــاحب هـــذه الدعوة العظيمة هو سيدنا أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عـــبد المطلـــب بـــن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ، ويرتفع نسبه الكريم إلى معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل .[٢] وظلت مصر تؤمن بالمسيحية حتى دخلها الإسلام على يد القائد عمرو بن العاص الذى قصد إليها مؤمناً

---

(١) مـــا كاد المسيحيون يتخلصون من الاختلافات الدينية حتى وقعوا فى الاختلافات المذهبـــية ، ونشأ عن ذلك ما يعرف بالمذهب الارثوذكسى والمذهب الكاثوليكى وغـــيرهما مـــن المذاهب ، راجع : د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٢) د. عـــبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ، الجزء ٢ ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، ص ٣٩ – ٤٠ .

لا يــتردد ولا يحجم لأن الله اختار مصر فجعلها كنانته وخزانة تراث خلقه ، وملتقى رسالات عرشه فقد عاش فيها اليهود فى سلام ، ثم جاءت المسيحية فآمن بها أهلها ، ثــم جــاء أخيرا الإسلام الذى صقل روح المصريين بالإيمان القوى ، وابتعدوا أكثر فأكثر عن مظاهر حضارة أجدادهم القديمة .

اســتأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب بأن يسير إلى مصر ، وذكر له أنها أكثر الأرض أموالاً ، وقال له :

" إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم "

فــتردد الخليفة فى الأمر ، وأشفق على المسلمين أن يصيبهم الإخفاق ولكنه أمــر عمــرو بــن العــاص بالمسير نحوها ، لأنه كان يعرف أحوالها فى الجاهلية عــند قدومــه إلــيها للتجارة عدة مرات . كان يعرف مدى خصوبة أرضها ووفرة خيراتها .[١]

ودخل عمرو بن العاص مصر بعد سقوط حصون بابليون فى سنة ١٩ هــ (٦٤٠م) وكان يطلق على سكان البلاد فى هذه الفترة القبط أو الأقباط سكان البلاد . فقــد ذكر أن بنيامين بطريرك الإسكندرية ، عندما بلغه دخول العرب أرض مصر ، كتــب إلــى الأقــباط ســكان البلاد يعلمهم بأن ملك الروم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو .[٢] وبعد سقوط حصن بابليون بعدما يقرب من سبعة أشهر من الحصار ، عقد العرب مع القبط (المصريين) معاهدة تعرف بمعاهدة حصن بابليون الأولى .

إذن فلفــظ قبط هو لفظ أطلقه العرب على المصريين سكان البلاد الأصليين جميعاً . وفى وثائق التعداد فى العصر الرومانى كان الرومان والسكندريون يذكرون فــى أول القوائــم وبعدهــم يــأتى سائر السكان الذين كانوا يعرفون اصطلاحاً باسم " المصريين " . وكانوا ينقسمون بدورهم إلى طبقات وفئات مختلفة المنزلة والمكانة .

---

(١) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، ص ٢٣٧ .
(٢) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

ولكن الصفة المميزة لهم جميعا هى خضوعهم لضريبة الرأس .[١] أى أن هذه التسمية " قبط " لم تكن موجودة من قبل أى فى العصر الرومانى ، وإنها جاءت فقط مع دخول العرب مصر .[٢]

وسار عمرو بن العاص إلى الإسكندرية فى ربيع الأول سنة ٢٠ هـ (٦٤٢م) بعد أن عين على حصن بابليون خارجة بن حذاقة بن غانم . واشتبك عمرو مع الروم فى عدة معارك فى نقيوس الواقعة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل الغربى بالقرب من منوف الحالية ، ثم فى سلطيس الواقعة جنوبى دمنهور ، وانهزم البيزنطيون فى كل من هذين الحصنين ، ثم التقى عمرو بالبيزنطيين فى حصن الكريون ، وكان أهم معقل بيزنطى أمام الإسكندرية . وانتصر عمرو على قائد القوات البيزنطية تيودور انتصاراً حاسماً . وتحصنت فلول الجيش البيزنطى فى الإسكندرية . وكانت الإسكندرية مدينة محصنة لها أسوار محكمة البناء ، وأقام عمرو حصاراً حول الإسكندرية استمر لمدة ١٤ شهرا : منها تسعة أشهر بعد موت هرقل ، وخمسة بعد ذلك ، وأن فتحها تم فى أول محرم سنة ٢١ هـ (٦٤٢م) . وساعد على فتح العرب للإسكندرية موت الإمبراطور هرقل وضعف الدولة البيزنطية بعد وفاته فى ٢٣ صفر سنة ٢٠ هـ (١١ فبراير سنة ٦٤١م) ، وقيام المنازعات فى القسطنطينية من أجل العرش ، مما اضطر الروم إلى العمل على إنهاء حالة الحرب ، وذلك بعقد صلح مع المسلمين حتى يتفرغوا لمشاكلهم الداخلية .

وذكر حنا النقيوسى أن البطريرك قيرس الذى عاد من بيزنطة وبيده تفويض من الإمبراطور يخوله عقد الصلح مع عمرو . وذهب إلى عمرو فى بابليون ليفاوضه فى الصلح . وتعهد المسلمون بعدم التدخل فى شئون المسيحيين واحترام كنائسهم ،

---

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء ٢، ص ٢١٧؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول :الدولة العربية، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٣٩ .

والسـماح للـيهود بالبقاء فى الإسكندرية ، وأن يبقى المسلمون مدة أحد عشر شهراً خـارج المديـنة حـتى يبحر عنها الروم . وتم إبحار الروم عن الإسكندرية فى ١٧ سبتمبر سنة ٦٤٢م .(١)

لم يتعصب العرب فى معاملة القبط (أهل البلاد من المصريين الأصليين) بـل عـاملوهم بمنـتهى اللين والتسامح الذى تقتضيه تعاليم الإسلام ، فخيروهم بين الإسلام والبقاء على دينهم المسيحية . فمنهم من اسلم ومنهم من بقى على دينه :

" فمـن أسـلم مـنهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات ، ومن بقى على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها ديناران على من بلـغ الحلـم منهم واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال أضف إلى ذلك رفع الاضطهاد عنهم وعدم تحميلهم مالا يطيقون " .(٢)

وهكذا عندما فتح العرب مصر كان يعيش فيها ثلاثة أجناس من السكان :

- القـبط وهـم أهـل البلاد الأصليين ، وكانوا يكونون السواد الأعظم من السكان .
- الروم ، وهم بقايا الحكم الرومانى الذى قضى عليه العرب . يضاف إليهم اليهود الذين كانوا يعيشون فى الإسكندرية ويكونون أقلية ضئيلة من السكان إلى جانب الأجناس الأخرى .
- العرب ، الذين كانوا يكونون الجيش العربى ويضاف إليهم القبائل العربية الـتى سحرتها طبيعة هذه البلاد ، وطيب العيش فيها . وقد بلغ جند العرب

---

(١) د. عـبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

(٢) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

فــى مصـــر فى عهد معاوية بن أبى سفيان أربعين ألفا ، ثم أخذ هذا العدد يــزداد بســبب وفــود نساء هؤلاء الجند وأولادهم ، واتخاذهم مصر وطناً ثانيا . أضف إلى ذلك اندماج هؤلاء العرب فى أهالى البلاد الأصلية بسبب عامل المصاهرة .(١)

وبعد دخول الإسلام مصر أصبح الشعب المصرى يتكون من أربعة عناصر رئيسة :

- عناصر القبط الذين دخلوا فى الإسلام وأصبحوا مسلمون – مصريون .
- العناصر الأخرى من القبط الذين لم يدخلوا فى الإسلام وظلوا مسيحيون – مصريون .
- عناصـــر مـــن العـــرب الذين ساهموا فى فتح هذه البلاد وبقوا مسلمون – عرب .
- عناصر قليلة من الروم واليهود والأجناس الأخرى الذين بقوا على ديانتهم ، ونعــرف أن العرب خيروا أهل الذمة بين الإسلام والبقاء على دينهم ، فمن أســلم منهم تمتع بما يتمتع به المسلمون . ومن بقى على دينه فرضت عليه الجزية نظير حمايته وتأمينه على نفسه وعلى أولاده وأمواله .

ويؤكـــد هـــذه الحقـــيقة أبو الصلت أميه ، الأديب والشاعر الكبير من بلاد الأندلـــس ، الـــذى عـــزم على زيارة مصر وقدم إلى الإسكندرية فى عام ٤٨٩ هـــ (١٠٩٥ – ١٠٩٦م) ثـــم جاء إلى القاهرة ، وكتب فيما عرف بالرسالة المصرية ، عند حديثه عن سكان أرض مصر فيقول :

" وأمـــا سكان أرض مصر فأخلاط من الناس مختلفة الأصناف : من قبط وروم وعـــرب وبربـــر وأكـــراد وديلم وحبشان وأرمن ، وغير ذلك من الأصناف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٤٣ – ٥٤٤ .

والأجـناس علـى حسـب اخـتلافهم ، وقالوا : إن السبب فى اختلافهم ، والموجب لاخـتلاطهم ، اختلاط المالكين لها والمتغلبين عليها ، من العمالقة واليونانيين والروم والعـرب وغـيرهم ، فلهـذا اختلطت أنسابهم فاقتصروا من التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم ، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم " .

ويقول أيضا :

" وحكـى جماعـة من المؤرخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عباد أصنام ومدبـرى هـياكل ، إلى أن ظهر دين النصرانية وغلب على أرض مصر فتنصروا وبقـوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلم بعضهم وبقى بعض على دين النصرانية ، ومذهبهم مذهب اليعاقبة ".[١]

وقـد تـرك العـرب الأرض للمصـريين من القبط ، وأخذوا على عاتقهم حمايـتهم وحمايـة مقدساتهم وأمنوهم على أنفسهم ونسائهم وأطفالهم فشعروا براحة كبـيرة لم يعهدوها منذ زمن طويل . وأعاد العرب الأمن والنظام إلى البلاد ونظموا الإدارة ونصـبوا القضـاة . ورسموا خطة جباية الخراج وعنوا عناية كبرى بأعمال الـرى وإنشـاء الأحـواض والقناطر والجسور . وكان من أثر هذه الإصلاحات أن تحسنت أحوال القبط والمسلمين من المصريين وزادت ثروتهم .[٢]

وأطلق العرب الحرية الدينية للقبط ، يؤيد ذلك ما فعله عمرو بن العاص بعد استيلائه على حصن بابليون ، إذ كتب بيده عهدا للقبط بحماية كنيستهم ولعن كل من يجـرؤ من المسلمين على إخراجهم منها ، وكتب أمانا للبطريق بنيامين ، ورده إلى كرسيه بعد ان تغيب عنها زهاء ثلاث عشر عاماً . وأصبح القبط بعد الفتح الاسلامى فى غبطة وسرور لتخلصهم من ظلم الروم .

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص ٤٦ – ٤٧ .

(٢) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

ولم يفرق العرب فى معاملتهم للقبط بين أصحاب الملكانية واليعاقبة ، الذين كـانوا متسـاوين أمـام القـانون وفى الحقوق . أى أن المسلم المصرى والمسيحى المصرى كانا يكونان العنصر الرئيسي لسكان البلاد الأصليين . وكلاهما كان يجرى في عروقه أصالة مصر القديمة وتراث الأجيال السابقة .

وقد اشتغل العرب باستثمار الأرض وتاجروا فى الإبل والخيل ، وبعد ذلك زادت أعـداد العرب زيادة واضحة ، فانتشر العرب فى الريف ، واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق . وبمرور الوقت أخذ العنصر العربى يضعف شيئاً فشيئاً ، بعد أن اسـتقرت عناصـر مـنهم فـى أقاليم الصعيد والدلتا وأصبحوا مصريين بمرور الأجيال .

وكما عاش اليهود فى مصر فى ظل الحضارة المصرية القديمة ، وفى ظل الحكـم الـيونانى الـرومانى ، وفى ظل المسيحية ، نجد أنهم عاشوا أيضاً فى ظل الإسلام فى مصر ، فقد استعان المعز لدين الله الفاطمى بكثير من الأطباء اليهود وما لبـث أن عظم نفوذهم فى بلاطه ، وكذلك اتسم عصر العزيز بالله بالتسامح مع القبط وبإعـادة بـناء بعض كنائسهم وبلغ من عطف العزيز على القبط أنه احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم فى شعورهم .(١)

وهكـذا أصاب العامل الأول أجزاء من جسد الحضارة المصرية وأدى إلى اكتسابها لون آخر إلى جانب احتفاظها بمعالمها الأصلية . وأصاب العامل الثانى بقية أجـزاء جسـد الحضارة المصرية وأدى إلى اكتسابها لمزيد من الألوان مع الاحتفاظ بمظاهـرها القديمـة . وأصـاب العامل الثالث روح الحضارة المصرية وأثر فى معـتقداتها الدينية ومن هنا بدأت مراحل التوقف لمظاهرها المختلفة . وأصاب العامل الـرابع قلـب وعقل الحضارة المصرية وأدى لتغير مظاهرها تغيرا كاملا ومن هنا بـدأت مـرحلة الانحسار والغروب . واندثرت معظم الأسرار والمعارف مع اختفاء

---

(١) د. جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر، دار الفكر العربى، ١٩٧٩، ص ٨٦ .

أصـــحابها ولـــم يورثـــوا هذه الأسرار أو المعارف التى اكتسبوها عبر آلاف السنين لغـــيرهم لأنهـــا كانت قاصرة على طبقة الكهنة ، ولم يجدوا فى خلفائهم من الأجيال المتلاحقة من هو أهل لتلقى هذه المعارف وقادر على المحافظة عليها .

وقـــد يتساءل البعض ما هو موقف المسلمين العرب عند دخولهم مصر من هـــذا الـــتراث الأثـــرى وما بقى منه ؟ ولماذا لم تتعرض هذه الآثار لعمليات هدم أو تخريـــب من جانبهم ؟ والإجابة على مثل هذا التساؤل الهام يتلخص فى النقاط الست التالية :

١- لاحظـــنا مـــع دخول المسيحية أرض مصر فى حوالى النصف الثانى من القرن الأول توقـــف المصـــرى عن البناء المعمارى فى المعابد المصرية وغيرها من المنشـــآت المعماريـــة ، فالديانة المسيحية ليست فى حاجة إلى معابد بل هى فى حاجـــة إلـــى كنائس . ولكن بعض القبط المتحمسين للديانة المسيحية فى البداية أرادوا أن يسجلوا اعتراضهم على إقامة الآثار المصرية القديمة ، فقاموا بتحويل القليل منها إلى كنائس وقاموا برسم صور القديسين على بعضها الآخر أو قاموا بهـــدم أجـــزاء مـــن بعضها الثالث . ولكن بوجه عام لم يحاولوا أن يمحوا آثار الحضـــارة القديمة كلية ، والدليل على ذلك أن معظم المعابد الكبرى التى شيدت فـــى الوجه القبلى كالكرنك ، الأقصر ، دندرة ، ادفو ، كوم امبو ، اسنا وغيرها لازالـــت قائمـــة حتى الآن ومحتفظة بجمالها ومعظم معالمها ، مما يدل على أن الـــذى قام بعملية الاحتجاج هذه قلة قليلة من الناس . ومن أمثلة ذلك التحويل ما يلى :

- تحويل قاعة بجوار صالة الأعمدة الكبرى بمعبد الأقصر إلى كنيسة وطمس نقوشها الجدارية بطبقة من الملاط ثم تغطيتها بطبقة من الفرسك خاصة فى الجزء الجنوبى .[١]

---

(١) د. فـــتحى خورشـــيد : كنائس وأديرة محافظة الفيوم منذ انتشار المسيحية حتى نهايـــة العصـــر العثمانى ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية رقم ٢٩ ، المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٧، ١٨٤ حاشية (٥٠) .

- تحويـل معــبد أبوعــودة الذى أمر بنحته الملك حور محب على الشاطىء الشرقى إلى الجنوب من أبو سمبل إلى كنيسة .

- تحويـل معــبد رمســيس الثانى بوادى السبوع فى بلاد النوبة إلى كنيسة . ونشــاهد فــى قدس الأقداس منظر يمثل القديس بطرس يحمل مفتاحا كبيرا رسم فوق نقوش قديمة بعد أن كسيت الجدران بطبقة سميكة من الجص .

- كمــا شيدت الأديرة فى بعض الأماكن الأثرية مثل ما كان قائما فى منطقة معبد الدير البحرى ودير المدينة وغيرها .

- استخدمت بعض مقابر بنى حسن للسكنى من قبل بعض القبط الذين فروا من اضــطهاد الــرومان لهم ، واستخدموها للسكنى فكانوا يعيشون فيها بصفة دائمة ويقيمون فيها الصلوات والاحتفالات .

٢- نجد أن الإسلام لم يعرف التعصب أو العنف أو التخريب بل سادت عقيدته روح التســامح بالنســبة لمعــتقدات الآخرين ودور عبادتهم وممتلكاتهم . فعندما دخل المســلمين العرب مصر اعتبروا أن هذه الآثار جزءاً لا يتجزأ من تراث وتاريخ هذا البلد ولا يجب العبث به . وانطلاقاً من هذه المبادئ السامية للدين الإسلامى أحسن الصحابى الجليل عمرو بن العاص معاملة أهل الذمة من النصارى واليهود بالنســبة لمعــتقداتهم وممــتلكاتهم . وأوجز المؤرخ " جروهمان " هذه المعاملة السمحة فى قوله :

" فكما نرى مثل هذا الاعتدال والتحفظ إزاء شعب مغلوب من فاتح منتصر ونعــم أهل مصر فى ظل سماحة الإسلام بالحرية الدينية التى افتقدوها أثناء حكم الدولة البيزنطية ".[1]

---

(١) د. فتحى خورشيد : المرجع السابق ، ص ٤٤ حاشية (١٥٧) (١٥٨) .

وفـــي الواقع أن المسلمين العرب حافظوا على الآثار المصرية واليونانية والرومانـــية والقبطية . ولم يكن هذا موقفهم بالنسبة لآثار مصر وتراثها فقط بل إن روح التسامح هذه لازمتهم فى كل البلاد التى دخلوها واعتنق أهلها الإسلام ، حـــدث هـــذا فـــى إيران (بلاد فارس) ، العراق (بلاد النهرين) ، الأناضول (تركـــيا) ، بـــلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) ، واليمن ، فكل هذه البلاد تمـــثل مـــا كان يسمى بالشرق الأدنى القديم ، خلف فيها الإنسان للأجيال التالية تراثا حضاريا غنيا بالنظم والأفكار والمظاهر والعلوم والفنون . ولا زلنا جميعا نشـــعر بقيمة هذا التراث وهذه المنجزات الحضارية فالشواهد الأثرية خير دليل علـــى ذلك . لذا يمكن القول بأن انتشار الإسلام كان الحافظ والضامن لبقاء هذه الشواهد الأثرية فى أماكنها سليمة .

فـــإذا عدنا إلى مصر نجد أن العرب أطلقوا الحرية الدينية للقبط ، يؤيد ذلك ما فعله الصحابى الجليل عمرو بن العاص بعد استيلائه على حصن بابليون ، إذ كتـــب بـــيده عهدا للقبط بحماية كنيستهم ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها وكتب أمانا للبطريق بنيامين ، ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاثة عشر عاما ؛ لأنه أدرك منزلة بنيامين فى نفوس أقباط مصر . فكتب إلى جميع أقاليم مصر كتابا يؤمنه على نفسه ويقول فيه :

" الوضع الذى فيه بنيامين بطريرك النصارى القبط له العهد والأمان من الله فليحضر آمنا مطمئنا " .[١]

ولا شك فى أن هذا التصرف من الصحابى الجليل عمرو بن العاص كان يعكـــس روح التســـامح العامة التى سادت العرب ونظرتهم إلى الآثار المصرية القديمة القائمة أثناء دخولهم مصر . وما حدث من تحطيم لأنف تمثال أبى الهول على يد صائم الدهر ما هو إلا حدث فردى لا ينم عن اتجاه عام بل ينم عن سوء فهم وعدم تقدير .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤ حاشية (١٦١) .

٣- لـــم يـــتطرق إلى ذهن المسلمين العرب أن بقايا المعابد أو التماثيل الموجودة بها تمثل نوع من الوثنية كما كان الحال فى الجزيرة العربية قبل الإسلام من انتشار عـــبادة الأصنام قبل الإسلام ، ولكن كانت بالنسبة لهم تعبر عن معانى ومعارف كثـــيرة جذبتهم إليها وأثارت فى نفوسهم عدة تساؤلات بل كانت تمثل لهم مصدر حـــيرة وتعجب فى آن واحد فهى تدل على قدرة الإنسان وما وهبه الله من ذكاء ومعـــارف . كمـــا أن هذه الآثار تفوق ما كان موجودا فى الجزيرة العربية قبل الإســـلام كمـــا كان يفوقها فى الجمال والإبداع وحسن الإخراج . وهذا ما حدث عـــندما بـــدأ المسلمون فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) يؤلفون فى تقويـــم الـــبلدان . وبـــدأ الرحالة والإخباريون العرب يتحدثون عن ملوك مصر القديمة فى كتاباتهم ابتداء من القرن الرابع إلى الثامن الهجرى (أى من العاشر إلـــى الـــرابع عشر الميلادى) . من أمثال : اليعقوبى (٢٨٤هـــ / ٨٩٧م) ، المســـعودي (المـــتوفى سنة ٣٤٦هـــ / ٩٥٧م) ، الاصطخري (المتوفى سنة ٣٤٦هـــ / ٩٥٧م) ، الكندي (المتوفى سنة ٣٥٠هـــ / ٩٦١م) ، ابن حوقل (المـــتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) ، المقدســـي (المتوفى سنة ٣٧٨هـــ / ٩٨٨م) ، ناصر خسرو (الذى زار مصر عـــام ٤٣٩هـــ / ١٠٤٧م) ، ابن النديم (المتوفى سنة ٤٣٨هـــ / ١٠٤٦م) ، البيرونى (المتوفى سنة ٤٤٠هـــ / ١٠٤٨م) ، أبو الصلت أمية (المتوفى سنة ٥٢٨هـــ / ١١٣٢م) ، الادريســـي (المـــتوفى سنة ٥٦٠هـــ / ١١٦٤م) ، الهروى السائح (المتوفى سنة ٦١١هـــ / ١٢١٤م) ، ابن جبير (المتوفى سنة ٦١٤هـــ / ١٢١٧م) ، ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦هـــ / ١٢٢٨م) ، عبد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة ٦٢٩هـــ / ١٢٣١م) ، القزوينى (المتوفى ســـنة ٦٨٢هـــ / ١٢٨٣م) ، ابـــن سعيد المغربى (المتوفى سنة ٦٨٥هـــ / ١٢٨٦م) ، العـــبدري (المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر المـــيلادى) ، أبـــو الفـــدا (المتوفى سنة ٧٣٢هـــ / ١٣٣١م) ، صفى الدين البغدادى (المتوفى سنة ٧٣٩هـــ / ١٣٣٨م) ، البلوى (المتوفى بعد ٧٦٥هـــ / ١٣٦٤م) ، ابن بطوطه (المتوفى سنة ٧٧٩هـــ / ١٣٧٧م) ، خليل بن شاهين

الظاهـري (المـتوفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) ، ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، ابـن دقمـاق(المتوفى سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) ، القلقشـندي (المـتوفى سـنة ٨٢١هـ) ، ابن ظهيره (توفى سنة ٨٨٥هـ أو ٨٩١هـ) ، المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، السيوطي (توفى سـنة ٩١١هـ) ، ابن اياس (توفى سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، ابن الوزان (المـتوفى سـنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٦م) ، القرماني (توفى سنة ١٠١٩هـ / ١٦٠١م).[١]

٤- هـناك الـبعد الزمـنى الذى يفصل بين الفترة التى دخل فيها المسلمون العرب واندثار أصحاب حضارة مصر القديمة ، فهم لم يعاصروا أهل هذه الحضارة أو تعاملوا معهم أو احتكوا بهم عن قرب حتى يحكموا على حقيقة تفكيرهم وأهدافهم وعمق ديانتهم ومعتقداتهم .

٥- إن مصـر بآثارهـا كانت لها مكانة خاصة لأنها شهدت وفود العديد من الرسل والأنبـياء علـيهم السلام ، منهم سيدنا إبراهيم وإسماعيل وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وأخوته وسيدنا موسى الذى نشأ وتربى على أرضها الطيبة وأيضا سيدنا هارون .[٢]

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يحمي تراث مصر الحضاري ؛ لأنه تراث عاصـر الأنبـياء والرسل ولم يكن تراثاً وثنياً . فلم يشعر المسلمين العرب أنهم أمام تماثيل وثنية ولكن كانت بالنسبة لهم تعني أشياء كثيرة وخاصة في فكر من صنعوها من المصريين القدماء .

---

(١) د. رمضـان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م ، ص ٢٦١ – ٢٧٤ .

(٢) الكـندى : فضـائل مصر : تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٧ .

فدرجـــة الإتقـــان تـــدل على أن وراء إخراج هذا التراث الحضارى فكر وذكـــاء وعلـــم وإيمـــان . وأن الله عز وجل وهب أصحاب هذه الحضارة العلم والمعرفة فى أمور كثيرة وذلك بفضل من زاروها من الرسل والأنبياء . فلو أنهم كانوا غير جديرين بهذا العلم وبهذه المعارف لحجبها الله عنهم ولم استطاعوا من خلالها تحقيق العديد من الإنجازات والمعجزات الحضارية . فأناس توصلوا إلى وحدانـــية الخـــالق عز وجل وآمنوا بفكرة الثواب والعقاب وحساب الآخرة وجنة الآخـــرة ، يجعلنا نرفض تماما الحكم على هذا التراث بأنه تراث وثنى فلو كان كذلك لدمره الله وأهلك أهله فى لحظة واحدة كما حدث مع أقوام الكفر فى مناطق أخرى .

ولكـــن هـــذا التراث أقيم بوازع دينى قوى ، ولابد وأن هذه الآثار كانت تخفى ورائها أسراراً عديدة يعجز فكر الإنسان العادى والمجتهد والمتخصص أن يتوصـــل إلـــيها أو الكشـــف عن أصولها ، فمن علم المصريين القدماء كل هذه المعـــارف والعلـــوم ؟ فلابـــد أن هذه المعارف كان يحملها أهل الدين والورثة والأنبياء ونقلوها إلى من هم أهلاً لها . ومن خلال هذه المعارف والأسرار حقق أصحاب الحضارة المصرية كل هذه الإنجازات والمعجزات . وما نحاوله نحن الآن مـــن شرحه أو تفسيره ونقيم له النظريات والافتراضات إنما هو من سبيل الاجتهاد فقط للوصول إلى حقيقة المعنى أو الهدف المراد من إقامة هذه الآثار . وهـــنا نقـــع فـــى خطـــأ كبير لأننا نحاول أن نسير وراء شرح أو تفسير علماء الدراســـات المصـــرية الأجانب الذين وضعوا بذكائهم وليس بقلوبهم أسساً لشرح حقـــيقة الآثـــار وترجمة النصوص وتفسيرها ، وأسساً جافة لشرح قواعد اللغة المصـــرية القديمـــة ولكن دون البحث بعمق أو بإيمان لأن أغلبهم يفتقد الإيمان والمعتقد السليم . فنحن لا نحكم هنا على العلماء الأجانب بصفة عامة ولكن هناك القلة القليلة التى أثرت فيهم عقيدة المصريين القدماء ولا زالوا يبحثون . والدليل على ذلك أن هناك بعض الجماعات فى أوروبا وأمريكا تؤمن بالتجمع سنوياً فى حجـــرة دفـــن الهرم الأكبر وأخرى تؤمن بعقيدة إخناتون وتأتى كل عام إلى تل العمارنـــة ســـنوياً للحج إلى المنطقة . ويعيش هؤلاء الأفراد فى مجتمعات غنية

وتؤمن بالمسيحية وتملك الكثير من أساليب التقدم والتطور ولكنهم فى خضم كل هــذا يبحثون عن عالم آخر ربما يشبع ما فى نفوسهم من نزعات دينية ، فلجأوا إلى البحث عن كل هذا فى حضن تراث مصر القديمة .

٦- إن هذه البقايا الأثرية كانت ذات كم وكيف هائلين كما أنها منتشرة فى كل مكان تقريــباً ، فكــيف السبيل إلى تحطيمها وبأية وسيلة حتى لو أن هناك النية أصلاً لتحطــيمها فكــم يســتلزم ذلك من الوقت والجهد وإلى عرق آلاف الآلآف من العمــال . وهــذا لم يحدث على الإطلاق كمجرد فكرة ، كما أن هناك العديد من هذه الآثار لا يزال مدفوناً فى باطن الأرض ويحمل الكثير من الأسرار .

ما بقى من عناصر هذا التراث الحضارى العريق :

إنها مسيرة عطاء متميز وتفاني بلا حدود في أكثر من مجال حضاري بدأها الإنسان المصرى القديم منذ أقدم العصور واستمرت بالحماس نفسه مع أحفاد سلالاته خلال العصور التالية . فكان خير عطاء لخير تراث ظل حياً حتى الآن .

ويشمل هذا التراث الحضارى أربعة عناصر :

أولا – **ما بقى من تراث أثرى ظاهر وملموس** متمثل فى بقايا الآثار المصرية القديمة الــتي لا يمكن حصرها والآثار اليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية ، هذا الــتراث المتــنوع هــو نتاج جنس واحد أصيل وهو الجنس المصرى منذ أن وطئت سلالة الأجداد الأوائل أرض هذا الوطن وأعقبتها سلالة الآباء ثم الأبناء ثــم الأحفــاد عــبر عصور تاريخية طويلة ساهم كل جيل بدوره فى بناء هذا الصــرح العظــيم مــن هــذا التراث المتنوع ، كما أثمرت جهود هذا الجنس الأصيل فى إنشاء حضارة عريقة متصلة الحلقات ، استطاعت أن تغالب الدهر وأن تــبقى على مر الزمن ، على الرغم مما أصابها من فترات ضعف وتفكك سياسى .

لقـد كان من نتيجة المظاهر الحضارية المختلفة التى رأيناها للحضارة المصرية القديمة أن شيد المصريون القدماء فى كل عصورهم هذا الكم الهائل مـن هذه الثروة من الآثار المصرية القديمة والتى أقاموها فى المناطق الأثرية ابـتداء من آثار الجيزة حتى بلاد النوبة وما بعدها ، وما خلفوه فى أقاليم الدلتا وأطـرافها ، وفى شبه جزيرة سيناء ، وما نراه فى المتحف المصرى ، وهى تـرجع إلـى عصـور مختلفة فإذا كانت هذه الآثار تمدنا بمعلومات قيمة عن مظاهـر الحضـارة المصرية فيجب ألا نغفل مصدر آخر له أهميته ألا وهو البرديات المكتوبة بالهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية واليونانية وبخطوط أخرى .

فكـل أثر قائم فى منطقة أثرية أو معروض فى متحف فى الداخل أو فـى الخـارج هـو بمـثابة راوى من الماضى يحكى لنا مظهر من مظاهر الحضارة المصرية وهى بمثابة كتاب مفتوح عن هذا الماضى التليد ينهل منه من يستطيع قراءة كتاباته ولهجاته .

وإذا كانـت أصوات الكهنة قد سكتت فى أبهاء المعابد المصرية القديمة وتوقفت المواكب الدينية فيها ، فإن صوت التاريخ ما زال يتردد بين أبهائها ، وحجـراتها . وكـل حجـر نراه فيها ليس إلا دليل مادى على قدرة الإنسان المصـرى القديم ، وكل كلمة مسطرة أو منقوشة ليست إلا صفحة مسجلة من فكره العميق الأصيل .

ولا زالـت هـذه الثروة الأثرية المتنوعة على الرغم من غناها تزداد يومـا بعـد يوم بفضل الاكتشافات الأثرية ، فهى معين لا ينضب ، ولعل من أعظـم هذه الاكتشافات الأثرية والتى عاشها علماء علم المصريات فى القرن الماضـى والحالى ، هى : خبيئة الدير البحرى فى عام ١٨٧١ ، ورسائل تل العمارنة فى عام ١٨٨٧ ، وخبيئة الكرنك فى عام ١٩٠٥ ، ومقبرة توت عنخ آمـون فـى عـام ١٩٢٢ ، ومقبرة حتب حرس فى الجيزة فى عام ١٩٢٦ ، وسـراديب طائر الأيبس فى تونا الجبل فى عام ١٩٣٢ ، والمقابر الملكية فى

تانــيس فى عام ١٩٣٩ ، وهرم سخم خت بسقارة الجنوبية فى عام ١٩٥٤ ، ومركــبى خوفــو فــى عام ١٩٥٤ ، ومومياوات الصقور فى سقارة فى عام ١٩٦٨ .

وســتبقى هــذه الآثار المصرية ، بإذن الله ، كما بقيت فى الماضى ذكرى وعظة لمن يشاهدها ويراها ويقرأ نصوصها .

ويجــب أن نذكر أيضا الآثار اليونانية الرومانية الموجودة فى مناطق الصــعيد الممثلة فى معابد دندرة واسنا وادفو وفيله وكوم امبو وأوبت وقصر العجوز وأرمنت ودوش بالواحات وغيرها مما هو قائم فى مناطق أخرى ، أو توجد بقايا منها ، مثل البقايا البطلمية فى تونا الجبل والأشمونين وغيرها .

إلــى جانب هذه المعابد توجد آثار أخرى منها لوحات وتوابيت وتماثيل وبقايــا أجــزاء معماريــة تــرجع إلى الفترة نفسها . ومنها ما هو معروض بالمتحف اليونانى – الرومانى بالإسكندرية .

هــذا بالإضــافة إلــى جانب المجموعات الكبيرة من البردى اليونانى واللاتيــنى المعروضة أو الموجودة بمتحف الإسكندرية والمتحف المصرى . ولعل أهم الاكتشافات البردية هى :

مجموعة البرديات اليونانية التى كشف عنها فى البهنسا عام ١٨٩٦ – ١٨٩٧ و ١٩٠٣ – ١٩٠٧ والــتى تعد أغنى المجموعات البردية اليونانية إذ تحــتوى الأجــزاء المنشــورة علــى حوالى ٢٧٥٠ بردية .(١) كما عثر فى عــام ١٩١٥ فــى جرزة شمال شرقى الفيوم على طائفة كبيرة من البرديات اليونانــية ، وهى برديات زينون ، وكيل أعمال ابوللونيوس ، وزير بطلميوس الــثانى (فــيلادلفوس) مــن القرن الثالث ق. م . ويزيد عدد برديات زينون

---

(١) د. عــبد اللطــيف علــى : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٨٦ (١) .

المنشورة وغير المنشورة على ١٦٨٠ بردية ، وهى موزعة فى متاحف العالم المخـتلفة والجزء الأكبر منها موجود بالمتحف المصرى .[١] ويمكن إضافة أيضـا مجموعـة الأرشـيدوق النمسوى رينر الشهيرة بدار الكتب الأهلية فى فيينا ، وقد عثر على هذه المجموعة ما بين أعوام ١٨٨٤ – ١٨٩١ فى كيمان فارس (ارسينوى) والأشمونين وديمى . وقد بلغ أعداد هذه البرديات : خمسة عشر ألف بردية يونانية ، وألف قبطية ، وأربعة آلاف عربية .[٢]

وتمـتلك جامعة ميتشيجان الآن أكبر مجموعة من أوراق البردى فى أمـريكا (فهـى تمتلك حوالى سبعة آلاف بردية) وأغلب هذه الوثائق يونانية ولاتينية وقبطية وعربية .[٣]

وكشـفت الحفائـر الحديثة التى تمت فى قرية سمنت الخراب منذ عام ١٩٨٦ فى الواحات الخارجة ، وهى التى عرفت قديماً باسم " كليس " فى فترة الـتحول من الوثنية إلى المسيحية فى القرن الرابع الميلادى . وقد عثر على آلاف الـبرديات واللوحـات الخشبية والاوستراكا كتب أكثرها باللغة اليونانية والخـط القـبطى ، وبعضها بالديموطيقية والسريانية واللاتينية . وهى تعطينا صورة واضحة عن مجتمع الواحات وخاصة فى الداخلة وحياة أهلها ومشاكلهم ومعاملاتهم وعقائدهم فى القرن الرابع .[٤]

كمـا ترك اليهودى بقايا مخلفاته الأثرية ، التى تدل على روح التسامح الدينى التى تحلى بها أهل هذه البلاد فى ماضيهم . فقد عثر فى عام ١٩٠٦ – ١٩٠٨ علـى مجموعـة مـن الـبرديات الآرامية فى الفنتين خاصة بالجالية

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) د، مصـطفى العبادى : ندوة وآثار الواحات المصرية عبر العصور فى ١٧ – ١٨ يناير ٢٠٠٤ التى نظمتها لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، ص ٩ .

الـــيهودية الـــتى كانـــت تعـــيش فـــى هذه المدينة فى عصر الأسرة السابعة والعشـــرين . كما أن هناك مجموعة كبيرة من البرديات الآرامية المكتشفة فى مناطق أخرى خارج الفنتين .(١)

ويحدثـــنا الكاتـــب اليهودى فيلون الذى عاش فى العصر الرومانى فى الإسكندرية بأن معابد اليهود كانت على أيامه منتشرة فى كل مكان بالمدينة أى الإســـكندرية .(٢) ومســـجد النـــبى دانيال بالإسكندرية ، هو فى الواقع مقبرة إســـلامية فوق ضريح من أضرحة أنبياء بنى إسرائيل حيث كانت تعيش جالية يهودية كبيرة فى الإسكندرية فى العصر البطلمى الرومانى .(٣)

كمـــا شـــيد القـــبطى فى الماضى وما زال يشيد ، الكثير من الكنائس والأديـــرة فى القاهرة وفى المناطق الأخرى . فمنها ما شيد فى الماضى مثل تلك الكنائس والأديرة التى شيدت فى منطقة مصر القديمة فى جنوب القاهرة . وكمـــا نعلم كان لهذه المنطقة دور هام فى حياة السيد المسيح والسيدة العذراء ولا يـــزال بمصر القديمة أثر يحكى قصة التجاء السيدة العذراء والسيد المسيح إلـــى مصـــر ، ونعنى بذلك كنيسة " أبو سرجة " حيث يوجد فى أسفل الهيكل مغـــارة يقـــال أن الســـيدة مـــريم آوت إلـــيها لتحمى السيد المسيح من انتقام هيرودس ، الذى كان قد عزم على قتله كما جاء فى إنجيل متى :

---

(١) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ن ص ١٩٦ (٤) ، ١٩٧ .

(٢) ايدرس بل : مصر من الاسكندر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على)، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣، ص ٧١ .

(٣) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الأول ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ .

" وبعد ما انصرفوا غذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ويهلكه " .(١)

وتشـــهد هـــذه المنطقة بمدى تكريم القبط لهذه البقعة التى حمت السيد المســـيح والسيدة العذراء . وذلك بكثرة ما شيد فيها من كنائس ، مثل الكنائس التى تعلو أبراج حصن بابليون ، ويعلو برجين من أبراجه الباقية كنيسة المعلقة وتعلو برجاً ثالثاً منه كنيسة مارجرجس كرمز لانتصار المسيحية على طغيان الرومان وجبروتهم .(٢)

هـــذا إلى جانب الآثار القبطية الموجودة فى مناطق أخرى فى القاهرة مثل شجرة السيدة العذراء فى الزيتون ، وهى شجرة جميز عتيقة ساقطة على الأرض ، ربـــط الناس بينها وبين زيارة العائلة المقدسة لمصر . وتوجد هذه الشـــجرة على مقربة من مسلة المطرية . كما أن هناك الآثار القبطية موجودة فى أنحاء الصعيد والدلتا .

ويحتوى المتحف القبطى بمصر القديمة على مجموعة قيمة من الآثار القبطـــية المتنوعة . هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من البرديات القبطية . ففى عام ١٩٤٦ اشترى المتحف القبطى كتاباً بردياً تبين إنه جزء من مجموعة

---

(١) د. حســـن الباشا وآخرون : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص ٤٧ . وما من كنيسة كبيرة فى فرنسا ، على سبيل المثال ، تخلو من تمثيل منظر إيـــــواء الســـيد المســـيح والسيدة مريم إلى مصر ، وذلك بالنقش البارز على العتب الذى يعلو مدخل الكنائس ، مثل ما يوجد فى أعلى مدخل كاتدرائية شارتر ونوتردام . وقمـــت بـــزيارة بعض هذه الكنائس أثناء إقامتى فى فرنسا من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٢ .

(٢) د. حسن الباشا وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

كتب بردية بالقبطية فى حوزة الآنسة داتارى فاستصدر المتحف حكماً قضائياً بالاستيلاء على بقية المجموعة وهى اثنا عشر كتابا من الآنسة المذكورة . وكانت تسعة من هذه الكتب مغلفة بالجلد ، وهو أقدم تجليد من نوعه معروف حتى الآن . ويرجع مصدر هذه الكتب إلى مكان قريب من نجع حمادى . ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث ومنتصف القرن الرابع الميلادى . وهى تحتوى على ٤٨ مؤلفاً عن الغنوصية الخاصة بطائفتين مسيحيتين (وهى مذهب دينى تصوفى يقول بأن المعرفة الحقة لا تأتى إلا عن طريق الحدس والاتحاد بالله) .(١)

وقبل هذا الشراء كشف عن مجموعة من البرديات التى تعرف الآن باسم شستر بيتى ، وكان ذلك فى نوفمبر ١٩٣١ . وقد أمدتنا هذه المجموعة بمعلومات قيمة عن موضوع استخدام الكتاب المخطوط بدلا من اللفافة البردية . والمجموعة المذكورة عبارة عن أحد عشر كتاباً بردياً تتضمن كلها كتابات يهودية – مسيحية ، ويرجح أنها كانت جزءاً من مكتبة إحدى الكنائس أو الأديرة القديمة . وترجع كلها إلى تاريخ يتراوح بين القرن الثانى الميلادى والقرن الرابع الميلادى . وتحتوى سبعة من هذه الكتب على أسفار من " العهد القديم " وهى : التكوين والعدد والتثنية وحزقيال ودانيال واستير وأشعيا وأرميا ، وسفر من الأسفار غير المعتمدة هو سيراج .

وتحتوى ثلاثة منها على أجزاء من " العهد الجديد " وأحدها كان يشتمل على كل الأناجيل الأربعة وأعمال الأنبياء ، والثانى على الجانب الأكبر من رسائل القديس بولس ، والثالث على سفر رؤيا يوحنا ، وأما الكتاب الأخير فيحتوى على أجزاء من سفر أخنوخ الذى وصلنا أصله اليونانى ناقصاً ، وموعظة آلام السيد المسيح للأسقف مليتو الساردیسی .(٢)

---

(١) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٧٢ حاشية (١) .
(٢) معظم هذه البرديات فى حوزة السيد شستر بيتى ، وأما باقى المجموعة فموزع بين مكتبة ميشيجان وجامعة برنستون والمكتبة الأهلية بفيينا والسيد ولفرد مرتون بإنجلترا، راجع : د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٦٧ – ١٦٩ .

وأخيرا نقول أنه كما سارع أجداد المصريين القدماء فى الماضى البعيد فـــى بناء وتشييد المعابد سارع أحفادهم فى الماضى القريب والحاضر فى بناء الكنائس والمساجد ، وكما أبدع هؤلاء الأجداد فيما أخرجوه من جميل الأعمال أبدعوا هم أيضا فى إخراج أعمالهم فى أحسن صورة ليثبتوا أن جذوة الإيمان لا تزال حية وتعيش فى قلوبهم وإنها لن تنطفىء أبدا عبر العصور الطويلة .

فنجد أن المسلمين قد شيدوا خلال العصور الإسلامية التى عاشتها مصر ابـــتداء من عصر الخلفاء الراشدين ، والدولة الطولونية ، ولما أصبحت ولاية تابعة للدولة العباسية ، والدولة الإخشيدية ، وعصر الدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبـــية ، ودولـــة المماليك حتى أصبحت تحت الحكم العثمانى ، العديد من المـــدن والأســـوار والـــبوابات والقباب والخانقاه والأحياء والمساجد والأسبله والمدارس والقصور وزوايا وأضرحة حقيقية أو أضرحة رؤيا ومشاهد . كان للقاهـــرة النصـــيب الأكـــبر من هذه الثروة الأثرية الإسلامية ، أكثر من أى عاصـــمة إسلامية أخرى فى العالم الإسلامى . وهذه الآثار الإسلامية موزعة فـــى القاهـــرة وأحـــيائها القديمة الجمالية والحسينية والأزبكية وبولاق . هذا بالإضـــافة إلـــى الآثار الإسلامية الموجودة بالمتحف الإسلامى بالقاهرة ، إلى جانـــب مجموعة كبيرة من المخطوطات والبرديات العربية المحفوظة فى دار الكتب المصرية . ويجب ألا ننسى أيضا مجموعات الآثار الإسلامية الموجودة فـــى أماكـــن مـــتفرقة فـــى محافظـــات مصر والمتاحف الإقليمية والتاريخية والمتاحف العالمية فى الخارج .

وفـــى دلـــيل الآثـــار الإسلامية ، نجد بياناً بإجمالى الآثار الإسلامية الموجودة بمدينة القاهرة وهى حوالى ٥٣٧ أثراً ويبلغ إجمالى الآثار الإسلامية الموجـــودة فى محافظات مصر حوالى ٧٧٤ أثراً وهى تشمل جميع العصور الإسلامية .[1] فالعرب إذن بناءون عظام ، نعم ابتنوا مدناً كبيرة ، استقر فيها

---

(١) دلـــيل الآثـــار الإســـلامية بمدينة القاهرة ، الإصدار الأول ٢٠٠٠، مطبوعات المجلس الأعلى للآثار، ص ١٧-١٩، ٢٧-٢٨٩. وسبق للدكتورة سعاد ماهر أن تحدثـــت فـــى مؤلفها عن : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الذى ظهر منه خمسة أجزاء ١٩٧١-١٩٨٣ عن ٢٥٥ أثراً .

فيها دينهم وحضارتهم على مر الزمن .[١]

فلمـا انـتهى عمرو بن العاص من بناء مدينة الفسطاط عاصمة مصر (٢١هـ) (٦٤٢م) أنشأ الجامع العتيق ، أقدم المساجد فى مصر (٢١ هـ) (٦٤٢م).[٢] وأول نـواة للعمارة الإسلامية فيها . ثم أقيمت بعد ذلك مدينتى العسكر (١٣٥هـ) (٧٥٢م) والقطائع (٢٥٦هـ) (٨٧٠م).[٣] وكانت القطـائع أول مديـنة فى مصر ، روعى فى إنشائها وتخطيطها القواعد الفنية التى أتبعت عند تأسيس مدينة سامراء . والأثر الفريد الذى خلفته القطائع هو " الجامع الطولونى " الذى شيده أحمد بن طولون ، وهو من أكبر المساجد حيث تـبلغ مسـاحته مع الزيادات ستة أفدنة ونصفاً[٤] (٢٦٣هـ) (٨٧٦م) ثم أسست بعد ذلك مدينة القاهرة ، العاصمة الرابعة لمصر الإسلامية عام (٣٥٩ هـ) (٩٦٩م) . وأحيطت بسورين وثمانية أبواب . ثم شيد بعد ذلك الجامع الأزهـر (٣٥٩هـ) (٩٧٠م) والقصور الفاطمية . ومن أجمل آثار الفترة الفاطمـية هـو جامع الحاكم وقيل له الجامع الأنور (٣٨٠هـ) (٩٩٠م) ومسجد الجيوشى (٤٧٨هـ) (١٠٨٥م) ومسجد الصالح طلائع (٤٨٤هـ) (١٠٩١م)[٥] وجامع الأقمر (٤٩٠هـ) (١٠٩٧م) .[٦]

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص د .

(٢) د. حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ٢٣ .

(٣) د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٤) د. حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

وفى أيام حكم المماليك ، ازدهرت القاهرة وامتدت فى اتجاه الشمال وإلى الغـرب ، وتـنافس الحكام والأمراء فى بناء المساجد والمدارس ودور الكتب والقصور . والواقع أن ما نشاهده اليوم فى القاهرة من الآثار الرائعة فى جميع أحـيائها هـو شاهد حق ، على ما اتسمت به المدينة من الازدهار والروعة . فشـيد المنصـور قـلاوون ، أحد المماليك الأتراك البحرية ، مدرسة وقبه ، وأصـبحت هـذه المجموعـة على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى ولقد غلب اسم البيمارستان على هذه المجموعة ، فعندما كان المنصور قـلاوون أميراً سنة ٦٧٥هـ (١٢٧٦م) أصابه وهو بدمشق مرض ، فعولج بأدويـة أخـذت له من بيمارستان نور الدين الشهيد . وبعد شفائه من المرض زار البيمارسـتان ، فأعجـب بـه ونـذر أن أتاه الله ملك مصر أن يبنى بها بيمارسـتان ، الذى بدء فيه عام ٦٨٣هـ (١٢٨٣م) ، وتصميم القبة غريب بالنسـبة للقباب التى شيدت فى مصر ، لكنه اقتبس إلى حد ما من تصميم قبة الصخرة بالقدس الشريف .(١)

ومن أشهر الأبنية مدرسة ومسجد السلطان حسن (٧٥٧هـ) (١٣٥٦م) التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها .(٢) وهناك فى شارع المعز لدين الله مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق (٧٨٦هـ) (١٣٨٤م) .(٣)

وأقيمت فى العصر العثمانى أيضا عدة قصور فخمة منها قصر محمد بك الألفـى ، وقصر أحمد الشرايبى أكبر تجار القاهرة ، وقصر على بك الكبير . كما شيدت بعض التكايا والأسبلة ، وهى التى تتميز بها معظم مدن آل عثمان

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٥ – ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ – ١٨٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٢ – ١٩٤ .

ومــن أهم الأحياء الجديدة التى شيدت فى العصر العثمانى حى الأزبكية وحى بولاق .[١]

ويجــب ألا ننسى جامع الرفاعى ، الذى شيد على أرض كان بها مسجد قديم يرجع إلى العصر الفاطمى . وقد استغرق بناء هذا المسجد ثلاثة وأربعين عامــاً . وقــد بدأ إنشاؤه سنة ١٢٦٨ هـــ (١٨٦٩م) وانتهى منه فى سنة ١٣٢٩ هـــ .[٢] وكــان الرفاعى هو الإمام أحمد الرفاعى ابن صالح أحمد محى الدين بن عباس ، الذى ألف الكثير من الكتب الدينية فى التوحيد والتفسير والحديث والتصوف والفقه وتوفى سنة ٥٧٢ هـــ .

هــذه هــى أشهر الآثار الإسلامية فى القاهرة ، ولكن يوجد آثار أخرى معروفة وعديدة أيضا ، هذا بالإضافة إلى المساجد والآثار الموجودة فى أنحاء مصــر . ويشــهد هذا التراث الأثرى العظيم من جميع العصور ، بما فيه من آثــار مصرية قديمة ، وآثار يونانية ورومانية ، وآثار يهودية ، وآثار قبطية ، وآثــار إســلامية ، بــأن مصــر لم تكن عظيمة فقط فى حضارتها المصرية القديمة ، بل عظيمة أيضاً فى كل العصور التاريخية التى تلت على الرغم من تغير مظاهر حضارتها نتيجة تطور الأديان والأوضاع السياسية التى تعرضت لها .

وتؤكــد هذه الثروة الأثرية أن أهل مصر ضربوا أعظم أمثلة للتسامح الديــنى فى ماضيهم وحاضرهم فيما صنعوه وأخرجوه ليكون كل هذا التراث الأثــرى ومــا بقــى من ماضى تليد ومن تراث خالد درساً للبشرية أجمعين ورسالة عملية وملموسة لهــا وكتاب مفتوح لكل من يستطيع أن يتأمل ويشاهد بعيــن فاحصة وقلب عامر بالإيمان خال من كل حقد وخال من كل تعصب .

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص هـــ (المقدمة) .

(٢) د. حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ – ٣٧١ ؛ د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٠٤ – ٣٠٩ .

وإن كانت هذه الآثار صماء ألا إنها تعنى الكثير . فهى تشهد على حيوية أهل مصر القديمة ومصر البطلمية الرومانية ومصر القبطية ومصر الإسلامية مع الأصـــالة فى الإبداع ، وحب لكل ما هو رائع وجليل . ومن أجل ذلك عاشت تلـــك الآثار على مر الزمن لتحكى لنا فى صمت ما كان فى الماضى وما كان علـــيه الإنسان على هذه الأرض الطيبة . فهى تحمل فى طياتها رسالة صامتة إلـــى أجيال المستقبل على قدرة الإنسان المصرى عندما يريد فهو يستطيع أن يحقق الكثير .

وكما أبقى القبطى – المصرى على آثار أجداده ولم يتنكر لها لأنها من صـــنع أجداده كذلك فعل المسلم – المصرى . وذلك لإيمانهم معا بأن أجدادهم القدمـــاء قـــد حققـــوا الكثير من المنجزات الحضارية فى العصور القديمة من تـــاريخ البشرية .[1] وقد بقيت روح الأصالة والإبداع الفنى فى نفوس الفنانين المصـــرين وكما أبدع الفنان المصرى فى الماضى . نجد أنه استعين بالصناع المصـــريين المهرة فى بناء مساجد القدس ودمشق وتسربت كثير من العناصر الزخرفية ، كورقة الاكانثوس ومحاليق العنب من الفن اليونانى – القبطى إلى فن العمارة الإسلامية .[2]

وكمـــا كـــان يوجد فى مصر القديمة مدارس الكهنوت العريقة فى عين شمس ومنف وغيرها ، كان يوجد فى العصر البطلمى والرومانى دار العلم فى الإســـكندرية ، ومدرسة المسيحية فى الإسكندرية من العصر الرومانى ، ومن العصر الإسلامى الجامع الأزهر أقدم جامعات العالم من العصر الفاطمى .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١، ص ٤٤٥ .

(٢) ايـــدرس بـــل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضـــاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٧ .

وإذا كانــت مصر القديمة تفخر بأهرامها ومعابدها وآثارها الضخمة الأخرى ، فإن مصر البطلمية والرومانية تفخر بمعابد ادفو وفيله واسنا ودندرة وكــوم امــبو ، ومصر القبطية تفخر بكنائسها فى حى مصر القديمة . ويقول حســن عــبد الوهــاب[١] : " إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجباً بمدرسة السلطان حسن التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها " .[٢]

وكما شرفت أرض مصر بمجئ العديد من الرسل والأنبياء فيها خلال عصور مصر القديمة ، جاءها سيدنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وولد ســيدنا موســى وهارون عليهما السلام على أرضها الطيبة ، ثم مجئ السيدة العــذراء والسيد المسيح فى منطقة مصر القديمة[٣] ، فقد شرفت أيضاً بوجود بعض الأضرحة الحقيقية أو أضرحة الرؤيا لبعض أولياء الله الصالحين فيها ، رضى الله عنهم جميعا .

وكــل ذلك يدل على قوة إيمان المصريين على اختلاف درجاتهم الفقير قبل الغنى وتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية السمحة وتفانيهم فى حب سيدنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام وجميع أولياء الله الصالحون الذين شــرفت بهــم أرض مصــر [٤] ، فــى القاهرة وفى المحافظات حيث توجد أضرحتهم الكريمة .[٥]

---

(١) د. حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
(٢) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الجزء الثالث، ص ٢٨٢ .
(٣) الكــندى : فضــائل مصــر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣١ .
(٤) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٨٤-٩١، ٩٢-٩٧، ٩٨-١٠٣، ١٠٤-١٠٩، ١١٥-١٢١، ١٣٢-١٢٤، ١٢٨-١٣٤، ١٥٢-١٥٧، ٢١٣-٢٢٣، ٣٤٨-٣٩٠، ٤١٣-٤١٤؛ الجزء الثانى، ص١١٣-١١٦، ١١٧-١٢١، ١٢٦-١٣٠، ١٤٠-١٥٧ .
(٥) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٧٧-٨٣، ٢٤٤-٢٤٧، ٢٨٥-٢٨٩، ٢٩٠-٢٩٤؛ والجــزء الثانى ، ص٣٨-٤٣، ١٨٧-١٩١، ٢٥٠-٢٥١، ٢٣٨-٢٤١، ٢٦٣-٢٦٧، ٣٠١-٣٠٩ .

والملفت للنظر فيما بقى من كل هذا الموروث الحضارى على أرض مصر إنه يشمل جميع العصور التاريخية من آثار مصرية قديمة ويونانية رومانية وقبطية وإسلامية وإنه يعبر فى معظمه وهو الأهم ، عن كافة مظاهر الحياة الدينية في مصر في تلك العصور وما آمن به المصريون القدماء وأسلافهم من عقائد دينية مختلفة آمنوا بها بعمق وتمسكوا بها فلجأوا إلى إخراج آثارها في أفضل صورة ممكنة . ولنا أن نتخيل ما كان عليه هذا التراث الحضارى عندما كان فى حالته الأصلية وعند إقامته لأول مرة بكل عناصره فى كل عصر ، فمما لا شك فيه أن الصورة كانت أفضل حالاً عما وصل إلينا من بقايا أثرت فيها عوامل الزمن وبخاصة بالنسبة للآثار المصرية القديمة التى لا زالت بقاياها قائمة والتى لا يمكن حصرها نظراً لكثرة انتشارها فى كافة محافظات مصر .

وخير ما نستشهد به فى هذا المجال ما قاله عمارة اليمنى شاعر البلاط الفاطمي الذى كان يشيد بعظمة القاهرة ودورها فى قصيدته للصالح طلائع وزير الخليفة الفائز والتى يقول فيها :

" أنشأت فيها للعيون بدائعاً   دقت فأذهل حسنها من أبصرا "[١]

ثانيا – ما بقى من تراث ثقافى غير ظاهر وغير ملموس عند عامة المثقفين فى مصر والمتمثل فيما بقى من تأثير للغة المصرية القديمة فى بعض المفردات والتركيبات اللغوية فى اللغة العربية ، وأيضاً فيما بقى من أسماء لبعض المدن والقرى والشهور القبطية والتى يرجع أصلها إلى اللغة واللهجات المصرية القديمة .

---

(١) د. حسن الباشا وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٥ – ٥٦ .

أخذت اللغة العربية تناهض اللهجة والكتابة القبطية ابتداء من القرن السابع الميلادى (٦٤٠م)[١] ، وأصبحت العربية هى لغة الدواوين الرسمية عام ٧٠٦م أى بعد دخول العرب مصر بحوالى ٦٦ عاماً .[٢] ولا شك فى أن استخدام اللغة العربية كل اللهجة والكتابة القبطية فى الكتابة سبقه انتشار اللغة العربية كلغة للتخاطب بين أفراد الشعب .[٣] وكان بعض الناس فى صعيد مصر يتحدثون باللهجة القبطية حتى أيام القرن السابع عشر الميلادى . وأما ما يسمى باللهجة البحيرية فى القبطية فلا تزال مستعملة فى الكنائس المصرية حتى يومنا هذا .

وهناك بعض مفردات اللغة المصرية القديمة قد توارثتها مفردات اللغة العربية التى يتحدث بها أهل مصر . وهناك كلمات عامية يتداولها الناس فى مصر دون معرفة أصلها المصرى القديم أو القبطى وهى كلمات تدل على ضمائر وأفعال وأسماء وصفات وحروف وتعبيرات وكذلك أسماء مدن أصلها مصرى قديم .[٤]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى – الرومانى– المجلد الثنى) ، ص ٢٢٩ . ونعرف أن الأبجدية القبطية استخدمت اعتباراً من عام ١٨٠م ، راجع : Vycichl, la Vocalisation de la langue Egyptienne, BdE 16 (1990), p. 8.

(٢) د. رمضان عبده : " اللغة المصرية : مراحل النشأة والتطور – الازدهار والارتقاء – الانحسار والغروب " فى مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة المنيا ، العدد التاسع والأربعون ، يوليو ٢٠٠٣، ص ٣٧٤ – ٣٧٧ .

(٣) عربت الدواوين خلال العصر الأموى (القرن الثامن الميلادى) بعد أن كان ديوان الخراج فى مصر يدون بالقبطية أصبح يدون باللغة العربية ، راجع د. محمد إدريس : دراسات فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٥ .

(٤) وهناك نص عربى كتب بالخط القبطى ، راجع : Casanova, BIFAO I (1901), p. 1-20 ، وعن تأثير القبطية على العربية فى مصر ، راجع : Caltier, BIFAO 2 (1902), p. 212-216.

يذكر لنا شرنى فى قاموسه الذى نشره فى عام ١٩٧٦ عن أصول المفردات القبطية حوالى ١٧١ كلمة فى العربية مأخوذة من القبطية المأخوذة أساساً من المصرية القديمة .(١) ومنها مفردات شائعة مثل : أردب ، باذنجان ، برسيم، بصل ، بلح ، تبن ، ترمس ، رمان ، تفاح ، حمص ، ريش ، سلوى، سمسم ، شحم ، شعر ، شونة ، طفل ، عدس ، عاقر ، فول ، كتان ، كعك ، قدح ، لقمة ، مشط ، ملح ، منجل ، منشار ، ورد ، هدهد ، كفر ، طوب ، عرب (اسم).

ويذكر د. صالح بوجه عام أن هناك ما يقرب من مائتى كلمة مصرية قديمة لا تزال أمثالها حية فى مفردات اللغة العربية الفصحى .(٢)

وقد حاولنا استخراج بعض هذه المفردات من أول معجم صغير وضع بالعربية لمفردات اللغة المصرية القديمة لأستاذنا الراحل د. بدوى (٣) فكانت أول محاولة ناجحة أثبت فيها المؤلف أن اللغة المصرية القديمة ليست غريبة عن اللغة العربية ولا عن أخواتها الاسمية فى أصولها وقواعدها ومفرداتها.(٤)

ولم يكتف فى إخراج هذا المعجم بترجمة معانى مفرداته إلى اللغة العربية وحسب ، بل أضاف الى ذلك الترجمة الألمانية أيضاً(٥) ولم يفته

---

(١) Černy, Coptic Etymological Dictionary, Cambridge 1976, p. 375- 377 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢ ؛ طبعة ١٩٨١ ، ص ٦ .

(٣) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٨ ، ص ١ – ٢٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص و (المقدمة) .

(٥) وذلك بسبب أن " المعجم الكبير " فى مفردات اللغة المصرية القديمة الذى وضعه ادولف إرمان وخرج فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، كتب ====

كذلك ، أن يثبت من أصول مفردات اللغة المصرية القديمة والتى ذكرت فى القبطية . وقد سبق وأن ذكرنا أن شرنى جمع فى قاموسه عن أصول المفردات القبطية أن هناك حوالى ١٧١ كلمة فى العربية مأخوذة من القبطية القديمة .(١)

فى دراسة هامة قام بها د. بدوى جمع حوالى ١٠٤ كلمة مصرية قديمة أثرت فى اللغات السامية وخاصة العربية .(٢) ونضيف إليها عشر كلمات لتصبح ١١٤ وهى الكلمات الاتية :

iwn (ايون) هى فى العربية " لون " بقلب الألف فى المصرية لاما

ib (اب) جزء من النبات هو طرفه ويقابلها فى اللغات السامية " الأب" أو مل ليس ثمار

ib (اب) فى العربية لب وفى الحبشية لــب أى بقلــب الألف المكسورة فى المصرية " لاما " فى اللغات السامية .

== بالألمانية ، وهو الذى يعتمد عليه علماء علم المصريات فى البحث عن معانى مفردات اللغة المصرية فى جميع عصورها . وظهر قاموس برلين الذى نشر فى ليبزج فى خمسة أجزاء ، الجزء الأول نشر عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ ، والثانى عام ١٩٢٧ – ١٩٢٨، والثالث عام ١٩٢٨ – ١٩٢٩، والرابع فى عام ١٩٢٩ – ١٩٣٠ ، والخامس فى عام ١٩٣١.

(١) Černy, Coptic Etymological Dictionary, p. 375-377.

(٢) د. أحمد بدوى : اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية ، بحث الفن فى مجمع اللغة العربية فى مؤتمر عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ ، البحوث والمحاضرات ، ص ٢٦٣ – ٢٩١ ، نشر هذا البحث مرة أخرى فى مؤلف : حياة وأعمال أحمد بدوى ، هيئة الآثار المصرية – قطاع المتاحف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

3by (ابى) فعل ثلاثى معتل بمعنى رغب واشتاق هو فى اللغة العربية آب بمعنى اشتاق .

ibḫ (ابخ) فى اللغة المصرية بمعنى خلط . والاباشة من الناس فى اللغة العربية هم الأخلاط .

ibd (ابد) معناها شهر والأبد فى اللغة العربية من صفات القمر

ifd (افد) نوع من الكتان رباعى النسيج وفى العربية الأفود وهو نوع من الثياب .

ym (يم) اليم .(١)

in (ان) أداة تستخدم للدلالة على الفاعل بواسطة فى العربية أن التى تسبق المبتدأ .

in (ان) الآن

idn (ادن) اذن ويقابلها إذن فى العربية .

igrt (أجرة) حفائر الموتى ويقابلها فى اللغة العربية " وجرة " وهى حفرة تجعل للوحش

c3 (عا) بمعنى حمار فى العربية عير ، أو c3 بمعنى كبير وفى العربية علا .(٢)

c3p (عاب) وبخ .(٣)

---

(١) د. عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ، القاهرة ١٩٨٤، ص ٢٤٧ .

(٢) د. أحمد بدوى – هرمان كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

cjn (عين) بمعنى عين يقابلها فى العربية عين .

cby (عبيى) بمعنى افتخر وهى قريبة من العبية معناها " الكبر والفخر " .

cb3 (عبا) النور والضوء وهى الكلمة نفسها فى العربية فعب والشمس ضوءها .

icr (اعر) يرتفع فى العربية علا .

cdr (عجر) معين ونصير بمعنى الغلبة فى الحرب فيقال لمن العذر ولمن الغلبة .

cff (عفف) اسم للذبابة وفى العربية عاف اى " استدار " أو حام على شئ يريد الوقوع عليه .

cm بمعنى ابتلع أو التهم مرة واحدة .(١)

cnb عنب .(٢)

cnn (عنن) بمعنى أنشد يقابلها فى العربية " غنى " .

ck3 (عقا) ضرب من الحبل ، وبخاصة الحبل الذى تربط به السفينة فى المرسى ولست أراه بعيدا عن مادة عقل أو العقال فى العربية .

ctš (عتشى) بمعنى عطس .(٣)

cdti (عجتى) عداوة .(٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٢) Wb I, 192, 1.

(٣) Černy, Coptic Etymological Dictionary, p. 10.

(٤) Wb I, 327, 16.

bdš (بدش) بمعنى تعب أو ارتخى يقابله فى العربية مدش أى تعب .

btk (بتك) بمعنى صرع وذبح ويقابلها فى العربية بتك بمعنى قطع .

bgrt(بجرت) بمعنى كهف والمغارة .

brkt(بركت) يقابلها فى العربية بركة .

brg (برج) بمعنى أضاء ويقابلها فى العربية برق .

p3 (با) بمعنى فر وهرب يقابل فى العربية فر .

pr-c3 (برعا) فى العربية فرعون .(١)

prḫ يفرخ .(٢)

prt (برت) بمعنى الثمر فى العربية البر أى الحنطة .

psg (بسج) يقابلها فى العربية بصق .

ptḫ (بتخ) بمعنى طرح يقابلها فى العربية بطح .

wbḫ (وبخ) بمعنى وضأ ولمع " وضح " .

wpš (وبش) بمعنى الضوء ، والبصيص ويقال فى العربية وبش الجمر أى ظهر بصيصه .

wr (ور) الخطاف يقابله فى العربية الوروار أى الصغير .

---

(١) عن هذا اللقب وتطور معناه عبر العصور ، راجع : د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ص ٢٨٧ – ٢٩١ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٤٤٨ – ٤٥٢ ؛ المؤلف نفسه : فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب–جامعة المنيا ، عدد يناير ١٩٩٩، ص ١٠٦ – ١١٤ .

(٢) Wb I, I, 532, 7.

wh3jt (واحيت) الواحة .

wh̆3 (وخا) بمعنى بحث ويقابل فى العربية وخى الأمر قصده .

whn (وهن) بمعنى وهن – ضعف .

wsh̆ (وسخ) وسع منها فى العربية الوسعة الرحبة .

wdc (وجع) بمعنى قطع أو فصل بالسكين يقابله فى العربية وجاء فلاناً بالسكين أو بيده ضربه فى أى موضع .

wd (وج) أمر يقابله فى العربية وصى .

wdf (ودف) أبطأ فى العربية دف أى مشى خفيفاً .

wdn (ودن) بمعنى ثقل يقابله فى العربية وزن .[١]

ptpt (بتبت) بطط أى وطئ أو داس .[٢]

ptr (بتر) بصر أو أبصر .[٣]

pth (بتح) فتح .[٤]

pth̆ (بتخ) بطح .[٥]

pd (بد) مد الخطوة أو الخطوات .[٦]

---

(١) د. أحمد بدوى – هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

fḫ (فخ) فك .[١]

ftft (فتفت) فط .[٢]

mw (مو) ماء فى العربية أيضاً .

mwt (موت) ام .

mnhd تعنى بالمصرية أدوات الكتابة ، وهى التى تعادل الآن كلمة منهج .[٣]

mnht (منحت) منحه هدية .

mnmn (من من) تحرك فى العربية ململ .

mkt (مقت) سلم من خشب يقابله فى العربية مرقاة .

mšdt (مشدة) مخاضة بقلب الشين المصرية خاء .

mšc (مشع) يقابلها فى العربية مشى .

mr (مر) مرض .

mrw (مرو) الخلاء ، البرية فى العربية " مر " .

mrḥ (مرح) مرهم .

md3t (مجاة) مخطوطة فى العربية (مجلة) .

mḥ (مح) بمعنى ملأ والميح فى العربية فى الاستقاء أن ينزل الرجل إلى قرار البئر .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٠ .

(٢) د. أحمد بدوى – هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٣) Wb II, 83, 3.

msh (مسح) تمساح أداة التعريف المصرية تا .

msk (مسق) جلد الحيوان فى العربية المسك بمعنى الجلد .

nnj (ننى) ضعف وتعب بالعربية نأنأ أو ننى بمعنى طفل صغير أى نونو .(١)

nb (نب) بمعنى سيد فى العربية رب .

nbs (نبس) شجرة مثمرة حلوة الثمر يقابلها فى العربية نبق .

npr (نبر) بمعنى الحب فى العربية النبارى .

nc (نع) إعلان الوفاة فى العربية نعى .

n (ن) أداة النفى لا .

ns (نس) لسان

nk (نك) نكح أو جامع .

nik (نيك) عاقب بالموت بالعربية نكاية .

nkm (نقم) الحزن ومنها النكمة أى المصيبة الفادحة .

nkr (نقر) بمعنى صفى فى العربية نخل .

ntr (نثر) نذر .(٢)

nd (نج) نجا .(٣)

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) راجع فيما سبق ، الجزء الثانى ، ص ١٥٢ .

(٣) د. أحمد بدوى – هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

ndr (نجر) نجر .

hmhmt (همهمت) صياح زئير .

hip (هيب) أخفى ، غطى ، خبأ .

hbs (هبس) لباس ، اللباس أو الرداء .

hfd (هفد) علا ، تسلق ، فى العربية حفد أى أسرع .

hfd (حفج) اهتز وارتعش فى العربية حفز .

hfn (حفن) مائة ألف فى العربية حفل حشد من الناس .

hm3t (حمات) بمعنى ملح فى العربية حمض .

hnf (حنف) خضع وأطاع فى العربية حنف .

hnwt (حنوت) سيدة ، فحنة الرجل امرأته .

Hrrt (حررت) زهرة الشجرة فى ريف الصعيد الحريرة .

hrrt (حررة) حيه والحربة فى العربية .

hsy (حسى) بمعنى توجه تلقاء قريب من حوس أى انتشار القتل والتحرك .

htr (حتر) الثوران اللذان يشدان المحراث ، فى العربية حتر العقدة أحكم عقدها .

hkr (حقر) بمعنى جاع واحتاج فى العربية حقر .

htm (حتم) بمعنى أباد وأهلك فى العربية حطم .

htmjt (حتميت) دركه من الجحيم تذكرنى بالحطمة .

hsb (حسب) عد ، حسب الشىء .

ḫj (خعى) شع ، شع شعا .

h̯3rw (خارو) بمعنى شارع والحارة .

h̯3b3s (خاباس) مجموعة الكواكب السماوية ، وفى العربية قبس .

sbh (سبح) صاح .(١)

smr (سمر) سمير .(٢)

štm (شتم) سب أو شتم .(٣)

šd (شد) أنشد .(٤)

knd قرد .(٥)

khkh (كحكح) كبر أو شاخ .(٦)

gmh (جمح) لمح .(٧)

tf (تف) تف أو بصق .(٨)

tm (تم) تم أو أتم .(٩)

tms (تمس) طمس أو دفن .(١٠)

---

(١) د. أحمد بدوى – هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٥) Wb V, 57, 1.

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(١٠) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

tštš (تشتش) دشدش أو حطم .[1]

dt يقابلها فى العربية زيت .[2]

ما بقى من تأثير فى أسماء بعض المدن والقرى وأسماء الشهور القبطية :

يعطينا د. عبد الحليم فى مؤلفه الحديث عن " اللغة المصرية القديمة " أربع قوائم بدأها بذكر المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى أسماء بعض المدن والقرى والأماكن والتى يرجع أصلها إلى المصرية القديمة ، ثم ذكر المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى بعض الأسماء والمفردات فى اللغة العربية الفصحى ، وأيضا المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى اللغة العامية ، وأخيرا يذكر لنا المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى أسماء الشهور القبطية .[3]

وبالنسبة للقائمة الأولى جمع المؤلف ٥٧ كلمة نذكر هنا المؤكد منها وهى : (٥١)

١ – أبو تشت من pr ḏ3ḏ3

٢ – أبو صير من pr wsir

٣ – أبيدوس من 3bḏw

---

(١) د. أحمد بدوى – هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٢) Wb V, 618, 4; Černy, op. cit., p. 375.

(٣) وفى مؤلف آخر ظهر حديثا للدكتور عبد الحليم نور الدين : آثار وحضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٢٧٨ – ٢٩٨ تحدث فى هذه الصفحات عن الموروث من الحضارة المصرية القديمة فى حياتنا المعاصرة فى أسماء المدن والقرى وفى مفردات اللغة العربية وفى العامية وفى الأمثال الشعبية وأسماء الشهور القبطية وفى العادات والتقاليد .

٤ – أبيس	ḥp
٥ – أخميم	ḫnt - Mm
٦ – إدفو	d̲b w
٧ – أرمنت	Iwnw Mn t̲w
٨ – إسنا	Snyt
٩ – أسوان	Swnw
١٠– أسيوط	S wty
١١– الأشمونين	Ḫmnw
١٢– أطفيح	Tp - iḥw
١٣– أهناسيا	Ḥnn - nswt
١٤– البربا	p3 - r - pr
١٥– بهبيت الحجارة	Pr - ḥbt
١٦– بنها	p - n - nḥt
١٧– بوتو	Pr w 3 d̲yt
١٨– تل أتريب	ḥwt ḥry ib
١٩– تل البلامون	p3 - iw - n - Imn
٢٠– تل بسطة[1]	Pr - wb3stt

---

(١) د. عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ، ١٩٩٨، ص٢٢٨ – ٢٤٣ ، ملحق (٦) .

٢١ – حاتنوب	Ḥt - nwb
٢٢ – الحيبة	Ḥt - bnw
٢٣ – دمنهور	p3 - dmi - n - Ḥr
٢٤ – دندرة	Iwnt - t 3 - nṯrt
٢٥ – سخا	Ḫ 3 sw
٢٦ – السرابيوم	Wsir - ḥ py
٢٧ – سقارة	Šqr
٢٨ – سمنود	Ṯb - nṯr
٢٩ – شطب	S3 - ḥtp
٣٠ – صا الحجر	S3 w
٣١ – صان الحجر	Ḏcnt
٣٢ – صفط الحنة	Spd
٣٣ – طره	ḏr3 w - r 3 w
٣٤ – طهنا الجبل	d h n t
٣٥ – الطود	Ḏr ty
٣٦ – طيبة	T3 - ipt
٣٧ – الفرما	Pr - Imn
٣٨ – الفيوم	P3 – ym
٣٩ – قفط	Gbtiw
٤٠ – قنا	ḳni

٤١ – قوص	Gs3
٤٢ – القوصية	ḳis
٤٣ – اللاهون	R3 - ḥnt
٤٤ – منف	Mn - nfr
٤٥ – منوف	Bw - nfr
٤٦ – المنيا	Mni
٤٧ – ميت رهينة	Mit - rhnt
٤٨ – مدامود	M3dw
٤٩ – ميدوم	Mr - tm
٥٠ – هوارة	Ḥt wcrt
٥١ – هربيط	Ḥr - bity

وذكر لنا بعد ذلك المتوارث من اللغة المصرية فى اللغة العربية الفصحى وجمع حوالى ١٠١ كلمة بين فعل واسم وصفة وذكرها حسب ترتيب الأبجدية العربية.(١) وذكر أيضا المتوارث من اللغة المصرية فى اللغة العربية العامية. وجمع حوالى ٢٧ كلمة بين فعل واسم وصفة .(٢) وأنهى هذه القوائم بذكر أسماء الشهور القبطية والتى تختص بالزراعة والحصاد وبعض الأعياد . وهى أسماء مصرية أصلاً ثم انتقلت إلى القبطية ولا تزال اللغة العربية تحتفظ

---

(١) د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ – ٢٤٧ (١) . وقد ذكرنا هذه الأسماء فى مؤلفنا : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ١٩٩٧ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٨ (٢) .

بمسميات هذه الشهور بنفس القيمة الصوتية القديمة التى كانت تنطق بها .[١]
ويستعملها عادة الفلاحون (سواء المسلمون والمسيحيون لشئون الزراعة)
وهي :

١ - توت من	Ḏḥwty
٢ - بابه	P3 - n - ipt
٣ - هاتور	Ḥt - ḥr
٤ - كهياك	K3- ḥr - k3
٥ - طوبة	T3 c3 bt
٦ - أمشير	Mḫr
٧ - برمهات	P3 – n - Imn - ḥtp
٨ - برمودة	P3 – n - Rnnwtt
٩ - بشنس	P3 – n - Ḫnsw
١٠- بؤنه	P3 - n - Int
١١- أبيب	Ip ip
١٢- مسرى	Mswt - Rc

ويجب أن نذكر هنا أن قائمة د. بدوى تعد أكثر تفصيلاً لأصول الكلمات فى العربية والقبطية والعبرية . وقد يظن البعض أن هناك نوع من التشابه بين قائمة د. بدوى ود. عبد الحليم ، ولكن من فحصنا للقائمتين يمكن

---

(١) د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ (٣) ؛ د. إنجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة د. أحمد موسى ود. أحمد يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ ، ١٩٩٨ ، ص ٦٩ .

القول بأن هناك ١١ كلمة فى القائمة التى ذكرها د. عبد الحليم للكلمات فى العربية الفصحى موجودة فى قائمة د. بدوى .[١] وهناك أيضا ثلاث كلمات فى قائمة د. عبد الحليم للكلمات العامية موجودة أصلاً فى قائمة د. بدوى .[٢] وهكذا يمكننا القول بأن د. عبد الحليم أضاف ٩٠ كلمة جديدة فى العربية الفصحى و٢٤ كلمة جديدة فى العامية إلى قائمة د. بدوى . ويصبح مجموع القائمتين معا ٢٢٨ كلمة . ومما يؤسف له أن د. بدوى لم يذكر لنا النصوص والمصادر التى اعتمد عليها فى استخراج كل هذه المفردات .[٣] وفعل الشيء نفسه د. عبد الحليم فى المتوارث من اللغة المصرية فى أسماء الأماكن وفى مفردات العربية الفصحى والعامية .[٤]

ويذكر د. صالح انه يمكن التعرف بوجه عام على ما يقرب من مائتى كلمة مصرية قديمة لا تزال أمثالها حية فى مفردات اللغة العربية الفصحى ،[٥] وهى مجرد قلة من كثرة اندثر بعضها وانزوى بعضها الآخر فى بطون

---

(١) د. أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ١١٨ (١٢) ، ص ١١٩ (١٩) ، ص ١٢٢ (٢٨) (٤٠) ، ص ١٢٣ (٤٦)، ص ١٢٤ (٤٩) (٥١) ، ص ١٢٥ (٩)، ص ١٢٧ (٦٩) ، ص ١٢٩ (٨٢) ، ص ١٣٢ (٩٩) .

(٢) د. أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ١٢٢ (٣٧) ، ص ١٢٩ (٨٣) ، ص ١٣١ (٩٣) .

(٣) كما هو متبع فى مفرداتWb وكما فعل مكس فى قاموسه Meeks, Alex. I-III راجع : حياة وأعمال أحمد بدوى ، صفحات من التاريخ والحفائر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١١٦ – ١٣٣ .

(٤) د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ – ٢٥٠ .

(٥) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢ .

المعاجم نتيجة لتطور مفردات الكتابة والحديث فى اللغة العربية .[١] وهذه الكلمات عبارة عن ضمائر وأفعال وأسماء وصفات وظرف زمان ومكان وحروف وأدوات وأسماء للأعداد وأسماء بعض البلاد والأماكن والمدن والقرى .

هذا بالإضافة إلى أن هناك صلات جوهرية بين قواعد النحو في كل من اللغة المصرية القديمة واللغة العربية ، على الرغم من اختلاف صور الكتابة بينهما ، ومن ذلك وجود حروف الحاء والعين والقاف فى اللغة المصرية القديمة ، وشيوع المصدر الثلاثى بين أفعالها ، وغلبة الفعل المعتل الآخر فيها، وما أخذت به من سبق الفعل للفاعل ، وإلحاق الصفة بالموصوف، واستخدام صيغة المثنى ، واستخدام ياء النسبة . وكتابة الحروف الساكنة فى كلماتها دون حروف الحركة ، وإضافة تاء التأنيث فى نهاية بعض أسمائها وصفاتها المؤنثة ، وتمييز البعض من الكل ، واستخدام كاف المخاطب وميم المكان ونون الجمع ، مثل اللغة العربية .[٢]

ومن أجمل ما بقى من التراث الثقافى تلك الكلمات التى ذكرها بتاح حتب فى تعاليمه لابنه عندما نصحه بالزواج وحثه على معاملة زوجته بالحسنى قائلاً : " أسعد قلبها طالما هى تعيش ، تصبح حقلاً خصباً من أجل صاحبه "[٣] ، وهى كلمات شبيهة بما ورد فى سورة البقرة : " نساؤكم حرث

---

(١) يمكن القول هنا أن هناك تشابه في عدد من ضمائر اللغة المصرية القديمة مع ضمائر بعض لهجات اليمن ولهجات العراق ولهجات جنوب الشام في العصور القديمة ، مع اختلاف فى طريقة النطق بين كل واحدة والأخرى ، راجع : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٥٦٤ .

لكم فآتوا حرثكم أنا شئتم " .[١]

ثالثاً- فلا زلنا نرى بعض أبناء مصر يستخدمون فى القرى وحياتهم الزراعية الأدوات الحرفية نفسها التى كان يستخدمها المصريون القدماء ويزرعون النباتات نفسها مثل استخدام المحراث الذى يتكون من سكين خشبية يثبت إليها مقبضان خشبيان ثم عريش طويل من الخشب يتصل بالمحراث فى جزئه الأسفل ويجره ثوران . وهذا النوع من المحاريث كان يشق الأرض ولا يقلبها (كما نرى فى مقبرة سنجم) .[٢]

كما استخدموا منذ أقدم العصور الشادوف وهو عرق من الخشب يتحرك من وسطه على قائم خشبى وفى أحد طرفيه ثقل من الحجر أو الطين وفى الطرف الآخر دلو من الجلد .[٣]

كما عرف المصريون القدماء فى العصر الرومانى وسيلة أخرى لسحب المياه الجوفية وهى الساقية وهى من طراز يشبه السواقى التى يحفرها الفلاحون اليوم مثل ساقية منطقة تونا الجبل التى ترجع إلى العصر الرومانى وكانت تجلب الماء من عمق ٣٦ متراً على مرحلتين .[٤]

وقد استنبت المصريون القدماء الكثير من أنواع الخضر الشائعة لدينا اليوم وكانت تحتل جانبا رئيسيا من موائدهم وعلى رأسها البصل والكرات .[٥]

---

(١) الآية ٢٢٣ ؛ وراجع أيضاً : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٩ ، ٤٣٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى ، المجلد الأول ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٦٢، ص ٥٠٣ – ٥٠٥ أشكال ٤ أج.

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١٠ شكل ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

فقــد ورثنا عنهم زراعة القمح والشعير ، وقد عرفوا الشعير منذ عصور ما قبل الأسرات وكانوا يصنعون منه الجعة ، كما عرفوا الذرة الرفيعة منذ عصر الدولــة القديمة وصنعوا منها ألواناً وأشكالاً من الخبز . وعرفوا كذلك زراعة الفول والعدس[١] ، والحمص والترمس واللوبيا والبطيخ والشمام والقرع والقثاء والفقــوس والعنب والدوم والبلح والجميز والتين والنبق والرمان وحب العزيز الذى كان يقدم تحية للضيوف فى الحفلات . وكانوا يستوردون كما نفعل اليوم اللوز والبندق والجوز والخوخ والمشمش والصنوبر والخرنوب ويؤتى بها من سوريا .[٢]

وعثر فى بعض المقابر على بقايا ثمار القرع والنرنج والبصل والثوم ، أمــا الشــمام فقد عثر على أوراقه وأزهاره وبذوره فى هذه المقابر .[٣] كما عــرفوا اللفــت ثــم الملوخية منذ العصر الرومانى على الأقل وعرفوا الفجل والكــرات والــبقدونس والكــرفس والشبت والكزبرة ، أما البذور الزيتية فقد عرفوا منها بذور الكتان والخروع والقرطم والخس والزيتون واستخدموا زيتها فــى طعــامهم وفى الإضاءة وصناعة الألوان والعطور وفى التدليك . وكانت أوراق الكــرفس والبطــيخ تســتعمل فــى تزيين المومياوات كما كان البصل يستعمل لإنعاش الموتى .[٤] وهى نباتات لا زلنا نعيش عليها حتى الآن .

واســتخدموا الصــوامع المخروطية المصنوعة من الطين التى ترتفع أحــياناً إلــى خمسة أمتار وقطرها متران وفى أعلاها فتحة صغيرة وبأسفلها

---

(١) فجاء فى سورة البقرة : الآية ٦١ قول قوم سيدنا موسى : " فادع لنا ربك يخرج لــنا ممــا تنبــت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبقلها " ، راجع : المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٦ – ٥١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

بـــاب صـــغير وتســـتعمل الفتحة العلوية لملء الصومعة بالحبوب ، أما الباب الســفلى فيستخدم لسحب الغلال منه عند الحاجة .[١] ولا يزال هذا النوع من الصوامع معروفاً فى قرى مصر .

وكان المصريون القدماء يحتفلون بعيد بداية سنتهم الزراعية وهو عيد قومـــى لا زلـــنا نحـــتفل بـــه اليوم ويتمثل فى الاحتفال برأس السنة القبطية المعـــروف باســـم عيد النيروز والذى ظلت مصر تعترف به عيداً قومياً حتى العصر الفاطمى .[٢] كما عرفوا عيداً آخر من الأعياد الزراعية يقع عند حلول فصل الربيع وهو الاحتفال الخاص بشم النسيم وكان أكثر ما يميز هذا الاحتفال إلـــى جانـــب الـــرقص والموسيقى وضع البصل حول الأعناق وشمه وتناول الأطعمـــة الخاصـــة فى هذه المناسبة .[٣] وكانوا يأكلون الملآنة[٤] ، ولا يزال المصريون حتى اليوم يحتفلون به . ومن بين الأسباب التى تؤدى إلى فيضان النيل هو سقوط دمعة من دموع إيزيس فى ليلة كانوا يطلقون عليها اسم " ليلة ســقوط الدمعـــة " التى لا يزال المصريون يحتفظون حتى اليوم بذكراها فى الحادى عشر من بؤنة ويطلقون عليها اسم " ليلة النقطة " . [٥]

كمـــا ورثـــنا عنهم استخدام الرحى لطحن الحبوب ، وكان المصريون القدمـــاء يســـتخدمونها منذ عصور ما قبل الأسرات ، كما ورثنا عنهم صناعة الطـــوب اللبن المصنوع من الطمى المخلوط بالماء والتبن وتوضع العجينة فى قالب خشبى مستطيل له مقبض وتترك لتجف بفعل حرارة الشمس كما نراه فى مـــناظر جـــدران مقـــبرة رخمى رع .[٦] كما ورثنا عنهم استخدام النول فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ شكل ٣٢ ، ص ٥٠٨ – ٥٠٩ شكل ١٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٤٨٤ صورة رقم ١٨ .

الغـــزل[١] وصناعة الحصير العادى والملون (مقبرة باكت فى بنى حسن)[٢] وصناعة الفخار على عجلة الفخار وحرقه فى أفران وإشعال النار من تحته . وفى مجموعة آثار توت عنخ آمون نرى بعض المقاعد التى تشبه المقاعد التى يســتعملها الــناس عادة على شاطئ البحر ، ويغلب الظن أن بعضاً منها كان يطوى. وكذلك مجموعة من الصناديق التى كانت تحفظ فيها الملابس وغيرها، وذلــك كما يحدث فى الريف المصرى الآن .[٣] كما ورثنا عنهم تربية النحل وتدخين الخلايا لجمع العسل (كما نراه فى مقابر البر الغربى) .

كمــا ورثــنا عنهم أيضاً صناعة خشب الابلكاج ، فقد عثر فى أحد ممــرات هرم جسر على قطعة خشبية مكونة من ست طبقات لا يزيد سمكها عــن ســنتيمتر واحد من شجر السرو والصنوبر والجونيير .[٤] (وهو خشب يؤتى به من سوريا ولونه أحمر وله رائحة ذكية) . وإذا كنا نذكر هذه النماذج فهى على سبيل الأمثلة وليس الحصر .

رابعــا – إن مصـــر القديمة تعيش فينا ونحن نعيش على أرضها فهناك خلود بعض عــادات الأجــداد فــى حــياة الأحفاد فى ما بقى من بعض العادات والتقاليد الجــنائزية والممارســات الطبية مثل استخدام البخور فى الكنائس القبطية كما كــان يحدث فى المعابد المصرية أثناء تأدية الطقوس الدينية .[٥] ومثل وجود

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٦ صورة رقم ١٩ .

(٢) فهــناك رسوم مصرية تقلد زخارف الحصير الفاخر على سطوح المشكاوات أو تقلــيد جدائــل الحصــير بقرامــيد القيشانى فى الحجرات السفلى للهرم المدرج بسقارة ، راجع : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ شكل ٦١ ، ص ٣٢٣ شكل ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

النادبات عقب الوفاة وتشييع الجنازة كما نرى فى مقابر وسرحات ورع موسى بالبر الغربى[١] ومقبرة باحرى فى الكاب ، وذبح ثور أمام المقبرة وهو ما يسمى عندنا الآن الكفارة أو ذبيحة النعش .[٢]

وفى مجال الممارسات الطبية فقد مارس المصريون القدماء عملية الختان التى كانت تجرى للأولاد بين سن السادسة والثانية عشرة فى المعابد ، التى صارت عادة عند اليهود وسنه عند المسلمين . ونشاهد منظر عملية الختان فى مقبرة عنخ ماحور من الأسرة السادسة فى سقارة ويقوم بها كاهن مختن هو الحم – كا. ويظهر فيه الجراح ممسكاً بآلة بيضاوية الشكل يلمس بها العضو التناسلى الذى يسنده بيده اليسرى . وفى هذا المنظر تظهر ملامح المريض ويبدو عليه الألم ونلاحظ كذلك وجود مساعد الجراح خلف المريض وقد أمسك بذراعيه على ارتفاع وجهه فى قوة وعنف .[٣]

كما عرفوا الغسيل الشرجى والمهبلى . وروى بلينى أن المصريين عرفوا العلاج بالحقن الشرجية .[٤]

وورثنا عنهم بعض وصفاتهم لعلاج بعض الأمراض مثل معالجة التبول غير الإرادى والالتهاب الذى يصيب المثانة عن طريق نباتى الكرفس والبقدونس . وكانت توصف على شكل شراب مغلى أو منقوع[٥] وكذلك استخدام القرطم والششم لعلاج الرمد وهو لا يزال يستخدم حتى الآن فى مصر والسودان.[٦]

---

(١) نجد صورة لهذا المنظر فى مؤلف : Zahi Hawas, The Golden Age of Tutankhamon, p. 90-91.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣٣ – ٥٣٤ شكل ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٦١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ ، ٥٦١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٦٢ .

وفى الواقع أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أكثر تفصيلاً للبحث عن بقايا هذا الموروث الحضارى المتعدد الأشكال والمظاهر فى حياتنا وعاداتنا. ويكفى لبيان الأثر المستمر لإسهام المصريين القدماء في مجالات الحضارة أن الدراسات والمؤلفات والأبحاث الحديثة والاكتشافات التى تمت حول حضارتهم أصبحت تكون اليوم علماً مستقلاً أضيف إلى مجموعة العلوم الحديثة التى تدرس فى جامعات أوروبا وأمريكا والصين واليابان على السواء وهو " الإيجيبتولوجى L'Egyptologie " أى " علم المصريات " .

كما أن مجموعة كبيرة من الآداب والعلوم والفنون الغربية بصفة خاصة لا يخلو كل علم فيها من مقدمة أو إشارة إلى ما حققه المصريون القدماء من مظاهر حضارية ، وهذا واضح تمام الوضوح في تاريخ النظم الإدارية وتاريخ القانون[1] ، وتاريخ النظم الاجتماعية والاقتصادية ، وتاريخ الفكر والمعتقدات الدينية ، وتاريخ الحياة الثقافية وتاريخ اللغة والأدب وتاريخ الحياة العلمية وتاريخ العلوم وتاريخ الطب وتاريخ الفنون وتاريخ العمارة ، وتاريخ التربية ونظم التعليم . وهذا هو التأثير الثقافي الحي والفعال لمظاهر حضارة مصر القديمة .

وأخيراً كان لكل هذا الموروث الحضارى المتنوع إسهامه ودوره فى إكساب مصر وضعاً متميزاً بين دول العالم . فكما ذكرنا فهذا الموروث لا يتمثل فيما هو موجود أو قائم فى المناطق الأثرية المتعددة ولكن أيضاً فيما هو مدفون فى باطن أرضها ولم يكشف عنه وفيما هو معروض بمتاحفها الوطنية (المتحف المصرى والمتحف اليونانى الرومانى والمتحف القبطى ومتحف الفن الإسلامى) وما هو موجود فى المتاحف الإقليمية والمتاحف التاريخية . وكذلك فيما انتقل من عناصر هذا الموروث المتنوع من روائع إلى العديد من

---

(١) عمر ممدوح : أصول تاريخ القانون ، ص ٥ .

المــتاحف العالمية ، وكانت السبب الرئيسى فى شهرة هذه المتاحف .[١] وهذا المــوروث الحضــارى هــو خــير شــاهد على مكانة مصر الحضارية بين الحضــارات الإنســانية فــى العالم القديم . فأرض مصر التى أقيم عليها هذا الموروث الحضارى تعد مثل المتحف الكبير مفتوح الأبواب على مصراعيها. وإن كــان بيــن الــتعريفات لمعــنى كلمة " متحف " : " بأنه معبد توقف فيه الزمــن " .[٢] نقــول أن متاحف هذا الموروث الحضارى لمصر فى الداخل والخارج هى :

" معابد لكنوز الماضى الحى " .

---

(١) د. صــلاح البهنسى : المتاحف المصرية ، مطبوعات وزارة الثقافة ، العلاقات الثقافية الخارجية ، ٢٠٠٤ ، ص ١٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .

الخاتمة العامة

كان هدفنا من هذه الدراسة هو تتبع مظاهر الحضارة المصرية القديمة عبر العصـــور التاريخية الطويلة وحاولنا فيها إلقاء الضوء على معظم هذه المظاهر . أى أنها قصة " حضارة وطنية أصيلة " أشبه بقصة شجرة أنبتها المصرى القديم منذ أقدم العصـــور وغـرس جذورهـــا ورعاها واعتنى بها بالجهد والمثابرة حتى ازدهرت وترعرعــت عبر العصور التاريخية الطويلة وأتت أوكلها واستمر فى رعايتها أجيال بعد أجيال حتى نعم فى النهاية بكل ما هو طيب فيها ، ولأن جذورها ممتدة فى أعماق هذه الأرض الطيبة ازدادت صلابة مع مرور الوقت وازدادت ثباتاً على هذه الأرض ولهــذا عاشــت آلاف الســنين ولم تقتلعها أعاصير التغيير ومحن الزمان وغزوات الأجانب وطمع الطامعين .

وكان من هدفنا أيضاً من وراء إصدار هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة هو تعميق الوعى الحضارى بين الطبقة المثقفة والعامة ، اقتناعاً منا بأن الوعى التاريخى بدور هــذه الحضارة ومظاهرها هو مطلب ملح يمكن لمصرنا الغالية من تشخيص واقعها والتمســك بهويــتها – حضارياً وتاريخياً – كذلك إن ترسيخ هذا المفهوم هو الأساس الواقعـــى والحافــز الفعال نحو أى نظرة بناء مستقبلية . ورأينا أن معالجة مثل هذا الموضوع فى صورة أبواب متعددة هو بمثابة فتح نافذة عن كل مظهر حتى يستطيع القــارئ أن يلم بما توصل إليه الإنسان المصرى القديم فى كل مظهر . وكيف نجح بفكـــره وذكائه وقدراته إلى الوصول إلى معارف يعجز الإنسان فى العصر الحديث بكـــل مـــا يمتلك من إمكانيات مادية هائلة أن يستوعبها ويجعله يتساءل أكثر من مرة كـــيف تـــم تحقيق كل هذه الإنجازات والمنجزات . ونقول أن هذه الحضارة العريقة قامت على ثمانى محاور رئيسية هى :

نظـــم حكـــم وإدارة منظمة وحياة اجتماعية متماسكة وحياة اقتصادية مليئة بالنشـــاط وعقائد دينية راسخة ومؤثرة وحياة ثقافية غنية ومتنوعة وحياة علمية مليئة

بالمعـارف والـتجارب الـرائعة وأساليب تربوية ونظم تعليم فعالة . وكان لكل هذه المظاهر الثمانية تأثيرها الكبير فى مجال العلاقات الخارجية فى كافة صورها .

ففـى الجـزء الأول حاولنا استعراض مفهوم كلمة حضارة وأهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة . قسمنا هذا الجزء إلى خمسة أبواب . تناولت فى الباب الأول : البيئة والإنسان المصرى القديم ، أى البيئة التى نشأت فى أحضانها هـذه الحضـارة ومـا بذلـه المصرى فيها من مجهود منذ أقدم العصور على هذه الأرض الطيـبة الـتى أعطته الكثير فأحسن استغلالها. وفى الباب الثانى تحدثنا عن كيفـية : نشأة الحضارة المصرية القديمة على هذه الأرض . واستعرضنا فى الباب الثالـث : عوامل تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة ، أى العوامل التى أدت إلـى ازدهارهـا وتماسكها وبقائها فترة طويلة من الزمن . وتحدثنا فى الباب الرابع عـن : نظم الحكم والإدارة ، باعتبارها أول وأهم مظهر من مظاهر الحضارة على اعتـبار أن تأسيس نظم للحكم قوية يعد الحصن الحصين لقيام المظاهر الحضارية المـتعددة . واستعرضـنا فـى الباب الخامس : مظاهر الحياة الاجتماعية ، والتقاليد والأعراف والقوانين التى كانت تسود هذا المجتمع المتماسك .

وتحدثـنا فـى الـباب السادس عن : مظاهر الحياة الاقتصادية لأن الحياة الاقتصـادية ترتـبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاجتماعية وما الحياة الاقتصادية إلا تعبير عـن نشـاط أفـراد المجتمع وعلى اعتبار أنها الضمان لبقاء هذه الحضارة وشعور الإنسـان المصرى القديم بالاكتفاء الذاتى فعمل بكل طاقته . وفى الجزء الثانى تحدثنا فى الباب السابع وهو من الأبواب الكبيرة والهامةعن : نشأة العقائد الدينية وتطورها ومظاهـر الحـياة الديـنـية ، على اعتبار أن الديانة كانت المحور الأساسى والموجه والمؤثـر فى معظم هذه المظاهر الحضارية . واستعرضنا فى الباب الثامن وهو من الأبـواب الهامـة أيضاً : الحياة الثقافية ومجالاتها ، لأنها حضارة قامت على الفكر والثقافة مما أعطاها قوة الإنطلاق . وتحدثنا فى الباب التاسع عن : الحياة العلمية وما بهـا مـن تجارب ومعارف وكيف توصل الإنسان المصرى القديم إلى عدة تجارب ومعارف صقلته وزودته بكل ما يستطيع أن يتغلب به على الصعوبات التى قابلته فى إنجازاته ، وفى بنائه الحضارى .

وفـــي الجزء الثالث تحدثنا فى الباب العاشر وهو من الأبواب الكبيرة أيضاً عن : الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها وهى تلقى الضوء على إبداع المصرى القديم فى الفنون التشكيلية : الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة والتطعيم ، والعمارة بأشكالها وأنواعها : الدنيوية ، الدينية ، الجنائزية ثم فى الفنون التعبيرية : الموسيقى ، الغـــناء ، الرقص ، محاكاة فن المسرح ، ومحاكاة فن الكاريكاتير . واستعرضنا فى الباب الحادي عشر : أساليب التربية ونظم التعليم وبينا أهمية العلم والتعلم للمصرى القديم فكان سلاحه للتطور والإبداع . وتحدثنا فى الباب الثاني عشر وهو من الأبواب الكبـــيرة كذلـــك عـــن : مظاهر الحضارة المصرية القديمة وانعكاساتها وتأثيرها في مجالات العلاقات الخارجية ، وكيف أثرت الحضارة المصرية القديمة فى غيرها على القاصـــى والدانى والوافد والزائر من بلاد حضارات الشرق الأدنى القديم والحضارة اليونانـــية وبعـــض الحضـــارات القديمة فى أفريقيا ، وإلى أى مدى أثرت إسهامات الحضـــارة المصرية في بعض حضارات العالم القديم منذ فجر التاريخ وكيف تأثرت فـــي بعـــض مجالاتهـــا الحضارية بهذه الحضارات ، مع احتفاظها دائما بشخصيتها وطابعها المصري الأصيل . وتناولنا فى هذا الباب ثمانية مجالات لهذا التأثير :

– فبالنسبة لأساليب الحكم والنظم الإدارية وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى ، نقول إن طبيعة هذه العلاقات الخارجية كانت لها صور عديدة فمنها ما أخذ صور علاقات دبلوماسية بكل ما فيها من مظاهر أو تحالفات عسكرية أو معاهدات أو زيـــارات متبادلة للوفود ، أو أخذ صورة الصراع العسكرى والحملات الحربية وذلك نظـــراً لتوافر خيرات أرضها وغنى ثرواتها الطبيعية فأصبحت مقصداً لكل طامع ، وذلـــك منذ أقدم العصور أى منذ بداية الأسرة الأولى كانت حدودها الشرقية والغربية والجنوبية مطمعاً لتسربات البدو والقبائل المشاغبة وذلك بصفة دائمة ، وكان من أهم واجبات كل ملك هو تأمين هذه الحدود الثلاث ضد هذه التسربات الدائمة ، وأصبحت سياسة حماية الحدود الثلاث هى سياسة ثابتة ، وعندما تعرضت الحدود الشمالية فى عصر الأسرة العشرين لهجمات شعوب البحر عن طريق البحر عمل الملك رمسيس الثالث على تكوين أسطول بحرى قوى للزود عن هذه الحدود .

وعندما أصاب الوهن البلاد وأصاب نظام الحكم الضعف والتفكك السياسى أثر ذلك على السياسة الخارجية وأدى إلى تعرضها للغزو الأجنبى واحتلال الهكسوس لها لأول مرة فى تاريخها .

وعـندما عـادت للبلاد وحدتها وقوى نظام الحكم فيها أثر ذلك فى السياسة الخارجـية فـى عصـر الدولة الحديثة وأصبح لملوك مصر مناطق نفوذ فى سوريا وفلسطين وأصبحت تربطها ببعض الحكام والأمراء والملوك من الشرق الأدنى القديم روابـط صـداقة وأصبح العديد منهم يدين بالولاء لملوك مصر . وعندما بلغ بعض الملـوك المصـريين المحاربيـن أوج قوتهم العسكرية وذاع صيتهم فى بلاد الشرق الأدنى القديم نظرا لحملاتهم الحربية الناجحة وذلك لحماية من يدينون لهم بالولاء من طمـع الحيثييـن وغيرهم ، رأينا وفود الرسل الأجنبية إلى أرض مصر من الشرق والغـرب والشمال والجنوب حاملين هداياهم وأفضل منتجات بلادهم إلى ملوك مصر الأقويـاء . ولكـنها مـرت بمـراحل ضعف بعد ذلك ، وتعرضت لغزو الآشوريين وأصـبحت مصر أضعف من أن تحرر نفسها بمفردها من سيطرة الآشوريين ولذلك رأيـناها تعتمد لتحرير نفسها على المرتزقة الإغريق الذين جاءوا إلى مصر وعملوا بها ابتداء من الأسرة السادسة والعشرين . وكان لهم الفضل المباشر فى إعادة تنظيم القـوة العسـكرية المصـرية ضد الآشوريين وتزويد الجيش المصرى بدماء جديدة وخبرات مؤهلة حتى إن الأسطول المصرى أعيد تنظيمه على غرار النظام الإغريقى فى عصر الملك بسماتيك الأول الذى أسس الأسرة السادسة والعشرين واهتم اهتماماً كبـيراً بعلاقاته مع بلاد اليونان ، وأصبح المرتزقة الإغريق يمثلون القاعدة الرئيسية فـى دفنه ونقراطيس .كما حرص كل من نكاو الثانى وأمازيس على توثيق علاقاتهما مع اليونانيين لأن المرتزقة اليونانيين كانوا يكونون القاعدة الأساسية للجيش المصرى وقـد أرسـل أمـازيس الهدايا إلى بلاد اليونان وخاصة التماثيل . وفى نهاية حكمه اضـطر أمـازيس إلـى التحالف مع كيزيس ملك ليديا ومع حكام إسبرطة أملاً فى الوقوف ضد أطماع الفرس .

ولكـن كـل هـذا لم يمنع من غزو الفرس للبلاد فى نهاية الأسرة السادسة والعشـرين وتعرضـها للاحتلال الفارسى للمرة الأولى . وخرجوا منها بعد تأسيس

الأســـرة الســـابعة والعشـــرين الفارســـية . ولكنهم عاودوا هجومهم على مصر مرة أخـــرى . كمـــا اعتمد نفريتس الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين على صداقة ومســـاعدة اليونانييـــن فـــى توطيد سلطانه وقام فى عام ٩٣٩ق. م. بعقد معاهدة مع إســـبرطة وضـــم إلى قواته مرتزقة يونانيين . وعندما تولى هكر (أخوريس) ثانى ملـــوك الأســـرة الحكم أدخل ضمن قواته العسكرية حوالى عشرين ألفاً من المرتزقة اليونانييـــن لكى يدافعوا عن البلاد فى حالة هجوم الفرس للمرة الثانية ، وسعى الملك تـــيوس ثانى ملوك الأسرة الثلاثين إلى عقد معاهدات مع أثينا وإسبرطة وذلك لجلب المـــزيد مـــن المرتزقة لتكوين جيش قوى لمواجهة الهجوم المتوقع من جانب الفرس للمـــرة الثانية . ويذكر ديودور الصقلى أن اجيسيلاوس ملك إسبرطة جاء إلى مصر على رأس ألف من المحاربين ليعاون تيوس . وجاء ومعه شابرياس القائد الإغريقى الـــذى كان موجوداً فى مصر من قبل ، والذى قام بقيادة الأسطول المصرى ، ولكن الفرس نجحوا فى دخول مصر مرة ثانية .

- وبالنســـبة لمظاهـــر الحياة الاجتماعية وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى . نقول أن التكوين الاجتماعى للمجتمع المصرى كان يشمل الأقليات والتجار الأجانب والعمال والأسرى الأجانب . وكان هؤلاء العمال يأتون عبر الحدود الشرقية والغربـــية والجنوبـــية بحثاً عن مصدر رزق ، وكانت أيد عاملة ضرورية لمساعدة العمال المصريين ، وعند مرورهم عبر الحدود كانوا يتعرضون لعملية مراقبة شديدة بواســـطة رجـــال شـــرطة الحدود ، وكان كل عامل منهم يدون تاريخ دخوله البلاد وخـــروجه منها وأصله والحالة الاجتماعية واسم الأب والغرض من المجئ . وكان هـــؤلاء يقيمون فى البلاد ويؤدون مختلف الأعمال وخاصة المعمارية فى ظل قوانين اجتماعـــية تكفل لهم الحماية والأمن والعيش فى سلام ويتمتعون بالحقوق نفسها التى يتمـــتع بها كل عامل مصرى دون تعصب . ومن هؤلاء الأجانب من كان يعمل فى التجارة وكانوا يتجمعون حسب جنسيتهم فى أحياء خاصة بهم من سوريين وفينيقيين ، وكـــان هـــناك أســـرى الحـــرب الأجانب الذين كانوا يعملون فى مشروعات مختلفة واستخدموا كعمال فى الزراعة والبناء والنسيج . ومن هؤلاء الأسرى من كان يعمل كعبـــيد . وكـــان الملك يمتلك عدداً كبيراً منهم ، وكان يمنح بعض محاربيه عدد من

العبـيد . وكان من المباح بيع وشراء وتأجير العبيد من الجنسين ، ويمكن أن يحصل العبد على عتقه ويتزوج من مصرية وتصبح له كافة الحقوق الاجتماعية .

ولا ننســى أن بيـن الأجانـب الذين جاءوا إلى مصر من الشرق والغرب والشـمال والجـنوب مـن جاء للزيارة وتقديم الهدايا للملك الحاكم من سكان كريت وقـبرص وبـابل وآشور وميتانى وخيتا وبلاد الشام وبونت وكوش .(١) أو لعلاج(٢) فـنعرف أن كثيراً من الأمراء والزعماء الآسيويون فى سوريا وفى خيتا كانوا يفدون للتداوى فى مصر ، كما كانوا يطلبون فى أحيان كثيرة أطباء مصريين لمعالجتهم أو للإقامـة فى بلاطهم .(٣) أو للتعليم فى مدارسها أو جاء كرحالة أو جاء كمرتزقة أو جـاء للاسـتقرار بها ومع مرور الوقت أصابه الثراء وتوصل إلى أعلى المناصب وتمصـروا نتيجة لذلك مثل ما حدث فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة عندما نجح أحد السوريين ويسمى إرسو أن يصبح زعيماً ، وربما كان إرسو أصلاً من أسرة هاجرت مـن سـوريا منذ فترة واستقرت فى مصر ، ونجح فى الوصول إلى العرش بفضل أعوانـه وكـان له نفوذ فى البلاط وجمع حوله رجاله واستولى على السلطة . وكما حـدث أيضاً مع بعض العائلات الليبية الذين أصبحوا بعد ذلك ملوكاً وأسسوا الأسرة الثانية والعشرين ، وهى أسرة ترجع إلى أصل ليبى . ومن فحص أسماء بعض ملوك الأسـرة الثالثة والعشرين نجد أن هذه الأسرة كانت تربطها بالأسرة الثانية والعشرين صلة قرابة .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٢ .

(٢) مثل المنظر الموجود فى مقبرة نب آمون رقم ١٧ من عصر أمنحتب الثانى فى دراع أبو النجا ، الذى يمثل شيخا سورى يجلس على مقعد وخلفه زوجته تسنده بـيديها ، ويقدم إليه نب آمون شراباً (أو دواء) صبه من إناء بيده . وقد جاء هـذا الشـيخ السورى ليعالج عند نب آمون ، راجع : Save-Soderbergh, Four Eighteenth Dynasty Tombs, p. 25-26 pl. 23.

(٣)المرجع السابق ، ص ٦١٩ .

– وبالنســبة لمظاهــر الحياة الاقتصادية وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخــرى . فمنذ عصر الدولة القديمة كان الملوك يرسلون البعثات التجارية إلى بلاد بونت وقلب أفريقيا عن طريق البر تارة وعن طريق البحر الأحمر تارة أخرى وذلك بغــرض التــبادل التجارى ، وإحضار الصمغ والبخور والذهب والحيوانات وريش الــنعام والأبنوس والعاج وجلود الفهود ومنتجات أخرى تنمو بكثرة فى تلك المناطق البعيدة لحاجتهم إليها وحاجة معابدهم إليها .

ومــنذ هــذا العصــر كان هناك تبادل تجارى بين مصر والساحل الفينيقى لإحضــار أخشاب الأرز . وفى عصر الدولة الحديثة كانت ترد من سوريا المنتجات المختلفة وكذلك الأسلحة وغيرها وأيضاً أحجار اللازورد الأزرق الذى كان مصدره باكتريان والمعادن والزيوت من كريت وقبرص .. وغيرها .(١) ونشطت التجارة مع المدن الإغريقية بفضل وجود المرتزقة الإغريق فى صفوف الجيش المصرى ، وكان هؤلاء المرتزقة يعودون إلى بلادهم يحملون هداياهم ويروجون للصناعات والمنتجات المصرية .

– وبالنســبة لمظاهــر العقــائد الدينية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها فى معــتقدات بعــض الشعوب الأخرى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب . نجد أنه كان للديانة المصرية تأثير كبير فى حضارة سوريا القديمة منذ أقدم العصور وكانت بعــض المعــبودات المصــرية محــل تكريم فى هذه البلاد ، مثل عبادة حتحور فى بيــبلوس . كما مثلت بعض المعبودات السورية على الآثار المصرية مثل عشتارت ، وقــدش الــتى ظهرت على لوحة ممثلة واقفة وممسكة بيدها اليمنى بثعبان وباليسرى زهــور اللوتس ويحلى رأسها قرص الشمس وهى واقفة فوق أسد .(٢) وكان للمعبودة نيت ، معبودة سايس تأثير كبير فى غرب الدلتا بين قبائل التمحو ، ومن الشمال جاء

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٢ .

(٢) Wiese-Brodbeck, Toutankhamon, L'Or de l'Au-dela`, 2004, p. 52 fig. 12.

أهــل الفكر من أمثال أفلاطون إلى مصر وقضى عامين كاملين فى معبد ايونو وتأثر بفكــر أهل الديانة بها كما أثرت العقائد المصرية فى الإسكندر الأكبر ، واتبع الملوك الــبطالمة سياسة التقرب الدينى للمعبودات المصرية واتخذ هذا التقرب ست اتجاهات كما ذكرنا . وعثر فى جزيرة كريت على تمثال من البرونز لآمون رع وفى ميكيناى فى كريت عثر على تمثال لبابون رمز تحوتى من القيشانى ، وفى إسبرطة عثر على جعل من القيشانى الأزرق .

أمـــا عــن تأثير الديانة المصرية القديمة عند بعض القبائل فى أفريقيا فكان واضـــحاً وكانـــت معبودات طيبة هى أكثر المعبودات انتشاراً فى كوش ونباتا . كما رحبـــت مصـــر فـــى عصر الدولة الحديثة بالمعبودات الآسيوية وكانت تقام لهم فى عواصمها مقاصير ليتمكن من عبادتها من يشاء من الأجانب المقيمين فى مصر .

وأشـــرت إلـــى وفـــود بعض الأنبياء والرسل الذين جاءوا من بلاد الشرق الأدنـــى القديم فى عصور معينة يبلغون رسالات ربهم ونشأت تطورات فى العلاقات بيـــنهم وبين بعض ملوك مصر القديمة ، لأنه مما لاشك فيه أن مانادوا كان له تأثير عميق فى معتقدات بعض المصريين القدماء ونشأت سيدنا موسى من رسل الله الكرام أولـــى العزم فى أرض مصر ، وما قام به لتبليغ رسالة الإيمان والتوحيد إلى فرعون مصـــر ، ولكن فرعون وآله كفروا بآيات الله عز وجل فكان عقابهم الهلاك فقد آمن ســـحرة فـــرعون وهناك من آل فرعون نفسه من عرف الإيمان بالله ولكنه لم يعلن إيمانه وكتمه ، كما أن امرأة فرعون قد آمنت برسالة سيدنا موسى عليه السلام .

– وبالنسبة للحياة الثقافية والعلمية ومظاهرهما وانعكاساتهما وتأثيرهما على الشـــعوب الأخرى . نقول إننا نجد أن هذا التأثير الثقافى كان مؤثرا عن طريق اللغة والكتابة فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، فمن الكتابة الهيروغليفية اشتق الخط السينائى ومن الخط السينائى اشتق المسند ، ومنه الحميرى واللحيانى ، والثمودى والصفوى . كمـــا اشـــتق الفينـــيقى ومـــنه الآرامى ، ومن الآرامى السريانى والتدمرى والعبرى والنبطى .

كمـــا تحدثـــنا عـــن أول تأثـــير للغـــة المصرية القديمة على الخط المسند (المعيـــنى) كما انتشرت فى آسيا الصغرى (الأناضول) كتابة كانت تعرف باسم الهيروغليفية – الحيثية وتشبه علاماتها إلى حد كبير علامات الكتابة الهيروغليفية .

كمـــا دخلـــت اللغـــة المصـــرية القديمـــة فى بعض ألفاظ البابلية والعبرية والعربية . وفى جنوب شمال أفريقيا نجد بقايا تأثير اللغة المصرية القديمة فى لهجات بعـــض قـــبائل البربر مثل قبائل البجه والبربر وجالا والصومال . كما إننا نجد هذا التأثـــير فى بعض اللهجات عند بعض القبائل فى أفريقيا مثل قبائل الولوف فى غرب السودان . ومن الشمال جاء من بلاد اليونان العديد من الرحالة والمؤرخين ابتداء من القـــرن الســـادس ق. م . نظـــراً لما سمعوه عن ثقافة مصر وفنونها وآدابها وديانتها ومنتجاتها .

وقد استمر هذا الدور الثقافى الفعال لمصر فى العصر البطلمى ويتمثل ذلك فى الدور الذى قامت به دار العلم ومكتبة الإسكندرية الكبرى فى هذا العصر . وكانت دار العلـــم معهـــدا للبحث العلمى ألتحق به العلماء والفقهاء والأدباء والفلاسفة . كما ألتحق بالمكتبة الكبرى العديد من الأمناء العلماء فى عدة تخصصات .

وقـــد أخـــذ اليونانيون عن المصريين القدماء الكثير من مبادئ العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية فى قواعد العلوم المختلفة .

– وبالنســـبة للحـــياة الفنـــية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخـــرى . نجـــد أنـــه كان للفن المصرى تأثير واضح فى فنون بلاد الشرق الأدنى القديـــم ، فى إيران وبلاد النهرين والأناضول وبلاد الشام واليمن . وفى الشمال فى الفـــن الكريتى ، وفى الجنوب فى توشكى ووادى نبطه وفى شمال أفريقيا وفى بعض القبائل الأفريقية .

– وبالنســـبة لأساليب التربية ونظم التعليم وانعكاساتها على بعض الشعوب مـــن الشمال . نجد أن فلاسفة اليونان ومؤرخيها تأثروا بأساليب التربية ونظم التعليم فى مصر من أمثال ديودور الصقلى وسترابون وأفلاطون وبلوتارخ وغيرهم .

وأخـــيرا تناولنا فى الباب الثالث عشر : مظاهر الحضارة المصرية القديمة بيـــن مـــراحل الارتقاء والازدهار ومراحل الأفول والانحسار والغروب ، ولعل كل قـــارئ يتساءل كيف تم أفول هذه الحضارة ، نقول أنها تغيرت فى مظاهر حضارتها نتيجة تطور الأديان والأوضاع السياسية التى تعرض لها تاريخ الشرق الأدنى القديم بوجه عام وبخاصة مصر . وكما بينا أن هناك أربعة عوامل رئيسة قد أدت إلى هذا الانحسار والغروب .

كما تحدثنا فى نهاية هذا الباب عما بقى من هذا التراث الحضارى ، والذى تمـــثل فى أربعة عناصر رئيسة : ما بقى من التراث الأثرى من عصوره المختلفة ، ما بقى من تراث ثقافى غير ظاهر وهو تأثير اللغة المصرية القديمة فى مفردات اللغة العربـــية ، استخدام بعض الأدوات الحرفية نفسها التى كان يستخدمها المصرى القديم وزراعـــة بعـــض النباتات القديمة ، وأخيرا ما بقى من بعض العادات والممارسات الطبية .

وبعـــد اســـتعراض كـــل هذه المظاهر ألا يدعونا كل هذا إلى التمسك أكثر بدراســـة تاريخـــنا القديـــم ومظاهر حضارتنا القديمة فى زمن يحاول فيه الآخرون الـــتطاول على حضارتنا والنيل منها والإدعاء كذبا بمساهمة أجدادهم فيها ونقول إنهم هـــم وأجدادهم أبعد بكثير عما حققه الإنسان المصرى القديم ابن هذه الأرض الأول ، وصانع المنجزات فى كل ركن من أركانها . ففى كل منطقة أثرية له بصمة أو أكثر مـــن بصـــمة ويالهـــا من بصمات تثير الإعجاب تصميماً وتنفيذاً وتدل على معارف وصـــلت فى تطورها حد المعجزات . وما هذه المادة الأثرية إلا جزء هام من تاريخ مصـــر القديـــم الـــتى تعبر عن شخصيتها وما كانت تنفرد به حضارتها القديمة من مظاهر متعددة ومتنوعة وإنجازات ومعجزات .

ونخـــتم حديثـــنا عـــن مظاهر الحضارة المصرية بما ذكره بعض الرحالة الفرنسيين من أقوال مثل لايبنتز الذى يقول :

" كانت مصر فى قديم الزمان منبعا للعلوم وعرينا لمعجزات الطبيعة

ويقول فولتي الذى زار مصر فى القرن الثامن عشر :

" إنـــه لو امتلكت مصر أمة محبة للفنون الجميلة ، لعثرنا فيها على مصادر لمعــرفة العصــور القديمـــة لا نجدها فى مكان آخر من العالم . فهذه المصادر فى الصروح المدفونة فى الرمال أشبه بمستودع للجيل المقبل " .

وحديـــثا يقــول الكاتب الفرنسى روبير سوليه : " المعابد المهيبة والتماثيل الــرائعة والرســوم الملونـــة الباقية بطريقة تثير الدهشة توحى إلينا بالجمال والحب وبالحكمة وعذوبة الحياة وبالنظام والعدالة والخلود " .(١)

ولــنا أن نذكر أيضا ما ذكره أستاذنا الراحل د. بدوى فى مقدمة كتابه عن التربية والتعليم ، فيقول :

" وتاريخ الإنسانية ما زال يذكر لشعبنا العظيم العملاق ما قدم بين يدى دنياه للعـــالم فـــى ماضـــيه من خير ، وما أذاع فى أقطار الشرق والغرب من نور العلم والمعرفة " .(٢)

ومـــا ذكـــره كذلك د. ايفار عندما تحدث عن مظاهر الحضارة المصرية ، فـــيقول فى نهاية كتابه : " كل هذه لن يشهد تاريخ البشرية الثقافى شيئاً واحداً منها إذ يتعذر تحقيقها مرة أخرى . فقد كانت مصر مسرحا لحضارة ارتفعت حتى كادت تبلغ الســماء ولــم تعد – حتى وقتنا هذا – إلى الأرض ، ولعلها أعظم حضارة ازدهرت فوق كوكبنا " .(٣)

ولعل خير ما نختم به هو ما يلى :

" إن مـــا بقى من هذا التراث الحضارى أشبه برحيق عتيق من فيض تراث عريق لا يزال عبقه يجذب كل عاشق يأتى من كل فج عميق " .

---

(١) كل هذه المقتطفات ذكرها الكاتب الصحفى نبيل زكى فى يوميات الأخبار بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٩٩م .
(٢) د. أحمـــد بـــدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الأول العصر الفرعونى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤، ص٨ .
(٣) د. ايفار ليسنر : الماضى الحى، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة : شاكر إبراهيم) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١، ص ٧٤ .

كشاف بأهم أسماء الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ر)

(ن)

(هـ)

الجزء الثالث

(محتويات الكتاب)

صفحة

الباب العاشر

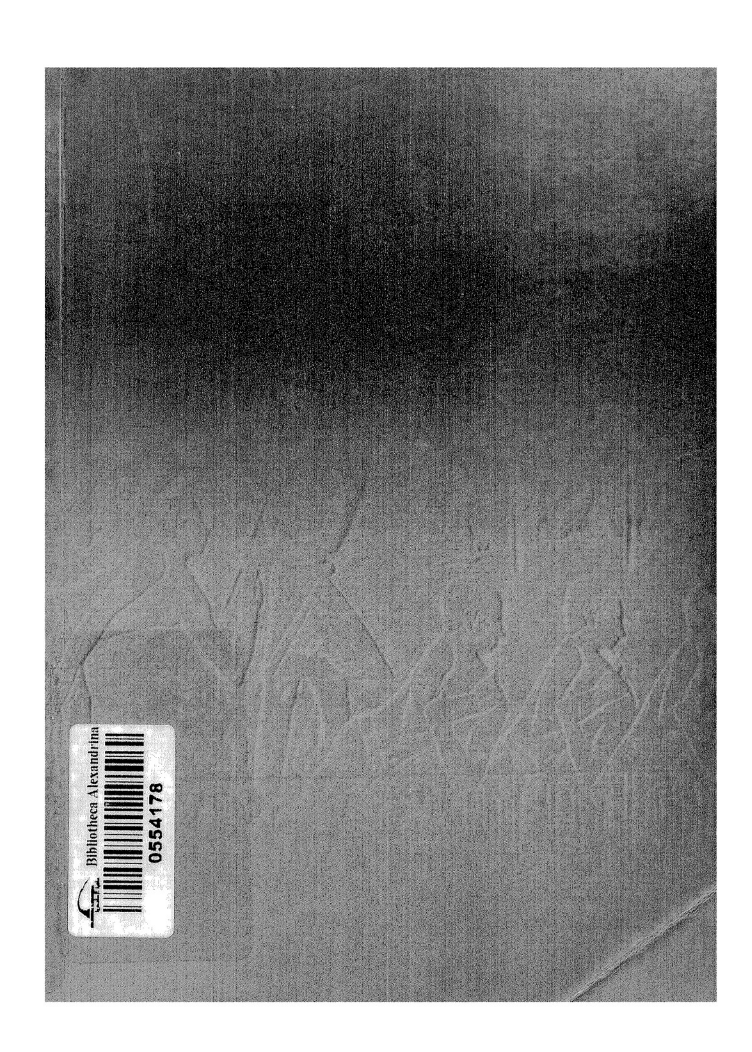
الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع ٢٠٩٤٨ / ٢٠٠٥
I.S.B.N.
977-17-2799-6
مطابع المجلس الأعلى للآثار


Bibliotheca Alexandrina
0554178